

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات
الإسلامية - قسم التفسير

فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الريب

للإمام الطيّبي الحسين بن عبد الله، المتوفى سنة ٧٤٣هـ
دراسة وتحقيق من سورة الحجر إلى نهاية سورة طه

رسالة الدكتوراة

المجلد الأول

إعداد الطالب : محمد الأمين بن الحسين بن أحمد الشنقيطي

بإشراف : الدكتور عبدا لله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

١٤١٥ - ١٤١٦هـ

سورة الحجر، تسع وتسعون آية مكية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ((تلك^(٢) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات))، وهو على منوال : هذا أخوك . قال المصنف : لا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ . قال ابن الحاجب^(٣) : [المشار إليه لا يشترط أن يكون موجوداً حاضراً، بل يكفي أن يكون موجوداً ذهنياً]. قال أبو البقاء^(٤) : [تلك يجوز أن يكون مبتدأ، وآيات الكتاب خبره، وأن يكون خبر المرء^(٥) وآيات الكتاب، بدل أو عطف بيان]، واختيار المصنف الأول لقوله : ((والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً))، فقوله : ((الكامل في كونه كتاباً)) مستفاد من التعريف الجنسي، وإيقاع آيات الكتاب خبراً من اسم الإشارة كما سبق في البقرة^(٦) .

وقوله : ((أي قرآن مستفاد من التذكير)) التفخيمي في قرآن.

وقوله : ((الجامع للكمال)) من توسط العاطف بين الوصفين.

(١) في الكشف إلا آية ٨٧، قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ..﴾ الآية، فمدنية وكذا ذكر الفخر الرازي ١٩/١٥١، وفي الألوسي قال : وفي مجمع البيان عن الحسن أنها مكية إلا آية ٨٧.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿المر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾

(٣) ابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الدوني الأصل، الأنساب المولد، المالكي المذهب، صاحب التصانيف القيمة نحواً وصرفاً وفقهاً، وأصولاً، وقراءة.

ولد سنة ٥٧٠هـ ومات سنة ٦٤٦هـ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٣/٢٤٨، وطبقات القراء ٢/٥١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٦٤.

(٤) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ولد سنة ٥٣٨هـ ومات سنة ٦١٦هـ . انظر

ترجمته في : بغية الوعاه للسيوطي ٢/٣٨، وابن خلكان ١/٤٧٦، وذكر هذا في سورة الرعد ٢/٦٠.

(٥) ١٨/١ بناء على أن الحروف المقطعة أسماء للسورة.

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ الآية ٢.

وقوله : ((والغرابة في البيان)) من إيقاع ﴿ مبین ﴾ وصفاً للقرآن بعد تعداد حروف التهجي، وأن المبين من أبان بمعنى بان للمبالغة . قال محي السنة^(١) : [فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال : ﴿ وقرآن مبین ﴾، وكلاهما واحد ؟. قيل : ليفيد أن المراد بالكتاب ما يكتب، وبالقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض]، ذهب إلى معنى العطف^(٢) من الوصفين، فإن قلت : رجع المال إلى أن ﴿ الكتاب وقرآن ﴾ وصفان لموصوف واحد أقيما مقامه، فما ذلك الموصوف ؟ وكيف تقديره ؟. فإن قدرته معرفة دَفَعَه ﴿ قرآن مبین ﴾، وإن ذهبت إلى أنه نكرة، أباه لفظ الكتاب، قلت : أقدره معرفة ﴿ وقرآن مبین ﴾ في تأويل المعرف، لأن معناه البالغ في الغرابة إلى حد الإعجاز، فهو إذا محدود بل محصور، كأنه قيل : تلك آيات الكتاب الكامل المعجز، وإليه أشار بقوله : ((الكتاب الجامع بين الكمال والغرابة في البيان))، فقولہ : ((الكتاب)) هو الموصوف المضمّر، وأحد الوصفين ما دلّ عليه قوله : ((للكمال))، لأنه معنى الكتاب المذكور في التنزيل، ومعنى ((الكمال)) فيه، مستفاد من التعريف الجنسي، كما سبق، والآخر قوله : ((الغرابة في البيان)) وهو المعنى من قوله : ﴿ وقرآن مبین ﴾ على ما أسلفناه. فإن قلت : جعلت ﴿ الكتاب وقرآن مبین ﴾ (وصفين)^(٣) لموصوف، والمصنف جعلهما في قوله : والكتاب و القرآن المبین : السورة نفس السورة، قلت : لما قلت : أقيما مقام الموصوف، صحّ ذلك^(٤).

(١) محي السنة الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، الملقب بركن الدين، ولد سنة ٤٣٣ هـ، ومات سنة ٥١٦ هـ . انظر ترجمته في : سبز أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩، ووفيات الأعيان ١٣٦/٢ . وذكره في تفسيره معالم التنزيل ٣٤٧/٤ بتحقيق عبد الله النمر، وعثمان جمعه، وسليمان مسلم، طبع دار الفكر.

(٢) بين الوصفين في ب، م . والمراد بباء النسخة السوربة، وبتاء النسخة التركبة، وبألف النسخة المدنية، ويميم النسخة المغربية.

(٣) (وصفان) في م ، ب.

(٤) في ت ، ب ذلك (ولا منافاة لقوله : ((وأي قرآن مبین بالجرّ عطف على كتاب الكامل))

قوله : [قرأ ربما^(١)] نافع^(٢) وعاصم^(٣) بتخفيف الباء، والباقون بالتشديد، والبواقى شواذ^(٤) .

قوله : ((وقد أبوا دخولها إلا على الماضي)) . قال ابن الحاجب^(٥) : [لأنها لتقليل ما ثبت وتحقيقه] . وقيل : هي لتقليل المحقق وهو بالماضي أجدر، نصّ عليه المبرد.

قوله : ((وقيل : إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا أيضاً باب من الودادة)). يعني : تأويل هذه الآية بهذا المعنى من الودادة الباطلة، وتفسير لها بما يهوى ويحب، قال الإمام^(٦) : [هذا قول أكثر المفسرين، كابن عباس، ومجاهد، والعجب من هذا الرجل كيف يجتري على هذا الكلام، وقلت : بل فسرّها من هبط

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ربما يؤذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ .

(٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، أبو رؤيم المقرئ المدني، أحد أعلام

القراء، مات سنة ١٦٩هـ، انظر : معرفة القراء الكبار للذهبي ١٠٧/١، ووفيات الأعيان ٣٦٨/٥ .

(٣) عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم، الكوفي القارئ، الإمام أبو بكر، مات سنة ١٢٧هـ. انظر : وفيات الأعيان ٩/٣، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٨٨/١) . بين هذه القراءة : كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ٢٩/٢، وحجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة.

(٤) أما الشاذة : ﴿ربما﴾ بضم الباء وتخفيفه، فرويت هذه القراءة الشاذة عن محمد بن حبيب الثموني، ومحمد بن عبد الله القلاء عن الأعشى عن أبي بكر. انظر : مختصر الشواذ ٧٠ لابن خالوية.

(٥) ابن الحاجب في الإيضاح في شرح المفصل ١٥٣/٢ .

(٦) المراد بالإمام : الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التميمي، ولد سنة ٥٤٤هـ، ومات سنة ٦٠٦هـ . انظر ترجمته في : طبقات المفسرين للداودي ٢/٢١٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٣٨١. وذكر هذا القول في تفسيره الكبير ١٥٤/١٩ .

فائدة : لم تأت ﴿رب﴾ في القرآن مع كثرتها في اللغة العربية، غير هذه الآية. انظر الألوسي ٤/١٤ .

إليه التنزيل على ما روينا عن الترمذي^(١) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية قال : [إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة وذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين] وعليه معنى التمني، لأن أمثال هذا التمني إنما يحسن موقعه إذا رأى الكافرون حسن عاقبة المسلمين، وشاهدوا سوء مغبة الكافرين، وأيقنوا اليأس التام، والإقنات الكلّي، كما يقول الكافر : ﴿ياليتني كنت تراباً﴾^(٢)، قال المصنف^(٣) : [يحشر الحيوان غير المكلف حتى يقتصر للجماة من القرناء ثم تردّ

(١) أخرجه الترمذي ٢٣/٥-٢٥ كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألا إله إلا الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك، فيقولون لهم : ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، لما يريد الله أن يرى أهل الشرك من الخسرة، فما يبقى موحداً إلا أخرجه الله، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ . رواه النسائي في تفسيره ٦٢٦/١ من طريق يزيد بن صهيب الفقير، قال : كنا عند جابر، فذكر الخوارج، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساقه، وهو حديث حسن بشواهد، وانظر تحفة الأشراف رقم ٣١٤٣.

ومثله في الطبري ٢/١٤ من حديث أبي موسى الأشعري، وكذلك عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم . وأخرجه الحاكم ٣٥٣/٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه ووافقه الذهبي . فبإذا ما ذكره الإمام أنه أكثر قول المفسرين كابن عباس هو الصواب، ولا محل للتعجب .

ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٧ : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ . وقوله في الأنعام الآية ٣١ : ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ . وقوله تعالى في سورة الفرقان الآية ٢٧ : ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ .

(٢) سورة النبأ الآية ٤٠ ، وذكره الزمخشري في الكشاف ٦٩٢/٤ .

(٣) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قول الله عز وجل : ﴿أمم أمثالكم﴾ قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم، والدواب، والطيور، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماة من القرناء، ثم يقول : كوني تراباً، فذلك يقول الكافر : ﴿ياليتني كنت تراباً﴾ . أخرجه الحاكم في المستدرک ٣١٦/٢ وسكت عليه الذهبي .

تراياً فيود الكافر حاله]. وقال الراغب^(١) : [ومن المودة التي تقتضي معنى التمني]
قوله تعالى : ﴿ربما يود الذين كفروا﴾.

قوله : ((لو كان الندم مشكوكاً فيه)) يشير لقوله : ((لعلك ستندم))،
وقوله^(٢) : ((ربما ندم الإنسان على ما فعل)) أي : هذا الذي فعلت، ربما ندم
الإنسان عليه، وخلاصة الجواب أن يقال : لا شك أنهم يكثرون الودادة، ولكن
استعمل ربّ لتقليلها على الاستعارة، أي : تقلّ ودادتهم للإسلام حينئذ على إرادة
أنهم يبالغون في الودادة، ويكثرون منها لاقتضاء مقام التوبخ بهم، ثم تفيد هذه
الاستعارة^(٣) على طريقة الكناية^(٤)، الإيمائية، وهي أخذ الزبدة والخلاصة من المجموع،
معنى توخى : انتهز فرصة الإسلام أي اغتتموا فرصة الإسلام، وسارعوا في تحصيله،
فإنكم لو كنتم تودّونه مرة واحدة فبالحرى أن تسارعوا فيها، فكيف والحال ما
ذكرناها؟. الانتصاف^(٥) : [العرب تعبّر عن المعنى بضدّه، ومنه :

**** قد أنزل القرآن مصفراً أنامله ****^(٦)

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب، توفي سنة
٥٠٢هـ، صاحب التصانيف. انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٠/١٨، والأعلام لخير الدين
الزركلي ٢/٢٥٥. وذكر هذا في كتابه المفردات في غريب القرآن ص ٥١٧.

(٢) وقوله : ((أو كان قليلاً لقوله)) ربما ندم . في ب ، ت.

(٣) الاستعارة لغة : من قولهم : استعار المال طلبه غارية . واصطلاحاً : هي استعمال اللفظ في
غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة
المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، ولكنها أبلغ منه . انظر : جواهر البلاغة
٣٠٣.

(٤) الكناية لغة : ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره . واصطلاحاً : لفظ أريد به غير معناه الذي
وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته. انظر : جواهر البلاغة ٣٤٦-
٣٤٧، والإيضاح في علوم البلاغة ٤٥٦.

(٥) الانتصاف للإمام أحمد بن حنبل، حاشية على الكشاف.

(٦) لم أحقف على قائله وانظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ٥٦٩/٢. وملاحظته

كأنه أخوا به فحسب بنصره انزل الإسلام سادة (قوله)

وإنما يتمدح بالإكثار من ذلك، وعبر عنه بقدر المفيدة للتقليل، ومنه: ﴿وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ (١)، فإن القصد توبيخهم على الأذى، مع توفر علمهم برسالته ونصحه. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ (٢) أي من حق اهتمامك بشأن القبلة مع كثرة تقلب وجهك في السماء أن يكون أكثر مما وجد منك وشوهد من حالك، لأن أصل أمرك أن تستقبل قبلة آبائك، ولكونه أدعى للعرب إلى الإيمان، ولوجوب مخالفة اليهود.

قوله: ((فبالخريّ أن تسارعوا)) قيل: أن يسارعوا مبتدأ، وبالخريّ الخبر، وهو مصدر، والباء غير زائدة، أي: المسارعة ثابتة بالخريّ، وإذا حصل صفة مشبهة، فالباء زائدة، وبالخريّ مبتدأ، وأن يسارعوا الخبر، كقولك: بحسبك زيد، وقلت: جواب لو محذوب والفاء في فبالخريّ جواب لشرط محذوف، يعني: لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة لكان الواجب المسارعة إليه، وإذا كان كذلك فبالخريّ أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه في كلّ ساعة؟، ويجوز أن يكون جواباً للو، لمعنى الشرطية فيها، وجاء في البقرة في قصة المنافقين أن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق، وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر.

قوله: ((وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم)) .

قال صاحب الفرايد (٣): [لابدّ لقوله: يودّ من مفعول، فلو مع ما بعده نزل منزلته، كأنه قيل: ربما يودّ الذين كفروا ما يلزم لو كانوا مسلمين، وهو الخلاص من النار ودخول الجنة، ولو قيل: لو كنّا مسلمين لكان التقدير، ﴿ربما يودّ الذين كفروا﴾ الإسلام قائلين: لو كنّا مسلمين لما ابتلينا بالنار وأدخلنا الجنة، فظهر من هذا أن الغيبة أولى بالذكر، لأنها أقلّ احوجاجاً إلى التقدير،

(١) سورة الصف الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٤.

(٣) صاحب فرائد التفسير للمابرنبادي، توجد منه نسخة في متحف طوئبو سراي، رقم

وقلت : ولهذا قدّمه المصنف على الثاني، وقال : ولو قيل : لكان كذا لكان سديداً.

قوله : ((وقيل : تدهشهم)) جواب آخر للسؤال معطوف على قوله ((هو وارد)) ورب حينئذ للتقليل حقيقة.

قوله : ((من ارعوائهم))، النهاية^(١) : [لا يرعوي : لا ينكف ولا ينزجر عن القبيح]^(٢).

قوله : ((وأن لا يلقوا)) عطف على سبيل البيان على قوله : ((لطول الأعمار واستقامة الأحوال))، أي : خلّهم يشغلّهم توقّعهم أن لا يلقوا في العاقبة إلا خيراً.

قوله : ((حين لا ينفعهم)) ظرف لقوله : ((معاينة)).

قوله : ((فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم)) مسبب عن قوله : ((والغرض)) أي : الغرض من إيراد قوله : ((ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)) الإعلام بأنهم من أهل الخذلان على سبيل الكناية، لا حقيقة الأمر، فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخلّهم لذلك الغرض كما أن الأمر في قوله :

(١) النهاية في غريب الحديث ٢/٢٣٦ لابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي الشافعي، يكنى أبا السعادات، ويلقب بمجد الدين، ويعرف بابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤هـ، ومات سنة ٦٠٦هـ، وكان كثير التصانيف الحسان، منها جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف. انظر ترجمته في : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧/٧١، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٨٩.

(٢) وقوله : ((من ارعوائهم)) هذا تفسير قوله تعالى : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ يعني : اقطع طمعك عن ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه، والصدّ عنه بالذكورة والنصيحة، وخلّهم ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بدياهم وتنفيذ شهواتهم، ويشغلّهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار وسلامة الأحوال وألا يلقوا في العاقبة إلا خيراً، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ سوء صنيعهم، والغرض : الإيذان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وألا زاجر ولا واعظ إلا معاينتهم ما ينذرون به حين لا ينفع الوعظ ... الخ، فأمر رسوله بأن يخلّهم، وأن يبالي في تخلّيتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة، وفيه إلزام الحجة، ومبالغة في الإنذار، وإعذارهم فيهم، وفيه تنبيه على إثارة التلذذ والتنعم، وما يؤدي إليه طول الأمل، وهذه هجّري أكثر الناس، وليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم : التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^(١) لطلب الكفر ظاهراً، والغرض منه التهديد والوعيد.

قوله : ((وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً)) فإن قلت : ليس في الآية أمر، فكيف قال : حتى يأمرهم ؟. قلت : قوله : ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ كلمة موادة ومتاركة، ولا يُذهب إليه إلا بعد الإياس التام والإقنات الكلّي، كأنه قيل : (كلوا وتمتعوا) كما في قوله تعالى : ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون﴾^(٣) ، وموقع قوله : ﴿ربما يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ إلى قوله : ﴿وما يستأخرون﴾ موقع الإعتراض^(٤) بين قوله : ﴿المر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ وبين قوله : ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ كقوله ﴿المر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾. أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس^(٥) فإنه تعالى لما بالغ في وصف الكتاب على ما سبق حتى بلغ القصيا^(٦) في كماله، وبالغوا في التكذيب حتى بالغوه بقوله : ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ سُلّي صلوات الله عليه بقوله : ﴿ربما يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ أي : هوّن على نفسك فإنك بالغت في الإرشاد والإنذار، وهم أيضاً أفرطوا في التكذيب، فهم قوم جهلة قليلوا الدراية، لو كانوا يؤدّون الإسلام مرة فبالحريّ أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يؤدّونه كلّ ساعة، وإذا كان كذلك فاقطع طمعك في ارعوائهم، ودعهم عن النهي عما هم عليه، والصدّ عنه بالتذكرة، بل مُرهم بالأكل كالأنعام والتمتع فيها أياماً قلائل، فسوف يعلمون سوء صنيعهم . والله أعلم.

(١) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم الآية ١٤.

(٣) سورة المرسلات الآية ٧٧.

(٤) الإعتراض : هو أن يأتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر معترضاً بين المعنيين أو نسق الكلام المتصل المعنى . التعريفات للجرجاني مع زيادة من غيره ٤٧.

(٥) سورة يونس الآية ١.

(٦) القصيا بالياء هي القياس، لأنها فعلى واوية اللام، قياسيها أن تبدل ياء، وإبقاؤها على الأصل نادر

كما قال ابن مالك : ** وكون قصوى نادراً لا يخفى **

وهي لغة القرآن، كما قال تعالى : ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾.

قوله : ((وفيه إلام)) أي : في قوله : ﴿ ذرهم ﴾ ، وقلت : في الأمر بالتمتع والإشتغال بالتلذذ : إدماج^(١)، لهذا المعنى، لأن هذا القول لا يصدر عن الرسول إلا بعد الإنذار البالغ حدّه واليأس من الإيمان، أي : أبلغت في الإنذار وألزمت الحجة عليهم، فلله الحجة البالغة.

قوله : ((وفيه تنبيه)) أي في تخصيص الأكل والتمتع بالمشتبهات وأتلهي بالأمل إدماج أيضاً بأن هذه الأشياء ليست من أخلاق المؤمنين^(٢) ، فقوله : ((وهذه هجيري أكثر الناس)) جملة معترضة، قال بعض المشايخ^(٣) : التزين بالدنيا من أخلاق المنافقين، والتمتع بها من أخلاق الكافرين، والتمرغ فيها من أخلاق الهالكين.

قوله : ((وإعذار فيه))، الجوهرى^(٤) : [أعذر أى بالغ في الإنذار، وقيل : يجوز أن تكون الهمزة للسلب.

قوله : ((وهذه هجيري أكثر الناس)) الراغب^(٥) : [الهجر : الكلام المهجور لقبحه، وهجر فلان إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد، يقال : رماه بهاجرات فمه،

(١) الإدماج : هو أن يتضمن كلام سبق لمعنى مدحاً كان أو غيره معنى آخر، وهو أعم من الاستيعاب لشموله المدح وغيره، واختصاص الاستيعاب بالمدح. انظر التعريفات للجرجاني ٣٠.

(٢) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الطور الآية ٤٤ : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يصعقون ﴾، وقوله في سورة إبراهيم الآية ٣٠ : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾، وقوله في سورة المعارج الآية ٤٢ : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾.

(٣) ذمّ الدنيا على الإطلاق ليس بالصواب، وإنما تدم إذا لم تسخر للآخر، وكان صاحبها عبداً لها، كما قال صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار) الحديث. أما من سخرها لآخرته فتكون محمودّة، قال تعالى في سورة القصص الآية ٧٧ : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾

(٤) الجوهرى : إمام اللغة أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، مصنف كتاب الصحاح، وأحق من يضرب به المثل في اللغة. انظر معجم الأدباء ١٥١/٦ - ١٦٥ لياقوت الحموي، وسير أعلام النبلاء ٨٠/١٧ - ٨٢ للحافظ الذهبي . ذكر هذا في كتابه الصحاح ٧٤٠/٢ مادة (هجر).

(٥) ذكره في كتابه المفردات ٥٧٣ مادة (هجر).

أي : بفضائح كلامه، وقولهم : فلان هيجراه كذا، إذا أولع بذكره، وهذى به هذيان المريض المهجر، ولا يكاد يستعمل الهجيري إلا في العادة الذميمة].

قوله : ((التمرغ في الدنيا))، الجوهري^(١) : [مرغته في التراب فتمرغ، أي : معكته^(٢)] وفي تخصيص التمرغ إشارة إلى دأب الحيوان.

قوله : ((أن لا يتوسط الواو))^(٣) يعني : ((القياس أن لا تتوسط بين الصفة والموصوف العاطف لشدة اتصالها به، كما في قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾^(٤) ، لكن لما افترق الحكم (بينهما)^(٥) اختصت هذه بها، فإن لصوق الصفة فيما نحن فيه أشد من لصوقها في قوله : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾ فإن إهلاك قرية من القرى لكون أجلها مقدراً لا ينفك عن قضائه وقدره، بخلاف إهلاكها عن إنذار منذر، فإنه قد ينفك عنه، قال تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبونها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾^(٦).

قوله : ((كما يقال في الحال))، يعني^(٧) : هذه الواو الداخلة بين الصفة والموصوف كالواو الداخلة بين الحال وصاحبها، فكما أن معنى الحالية لا يتغير إذا قلت : جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب، كذلك ههنا. وأيضاً كما

(١) الجوهري ١٣٢٥/٤ مادة (مرغ).

(٢) معكته (فتمعك) في ت.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . ما تسبق من أمة أجلها وما

يستأخرون ﴾ يقول (ز) ﴿ ولها كتاب ﴾ جملة واقعة صفة (لقرية).

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٠٨.

(٥) الحكم (بينهما) اختصت ما بين القوسين في ت ، م.

(٦) سورة الإسراء الآية ١٧.

(٧) لفظ (يعني) س من م.

أن الواو هناك مجرد الربط، فكذلك ههنا، وذلك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا تدخلها الواو لفوات المغايرة، لأن حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه، والخبر ليس موضعاً لدخول الواو، وإنما تدخل مجرد الربط، لا سيما إذا كانت جملة اسمية فإنها أشدّ افتقاراً إلى الربط، فحكم الصفة كذلك، ويؤيده قول أبي البقاء^(١) : [وساغ دخول الواو، ولما كانت صورة الجملة ههنا كصورتها إذا كانت حالاً]، وقال صاحب التقريب^(٢) : في قول المصنف نظر، لأن توسط العاطف بين الصفات معهود لا بين الصفة والموصوف، والحال ليس وزانها وزان الصفة، إذ حقها الواو، وقد تحذف، وإنما لم يجعله حالاً لتكثير ذي الحال، وهو (قرية)، وجاز أن يقال : عمومها يصحّ كونها ذا الحال، كما في المبتدأ، نحو ما أحد خير منك، وهو تبع صاحب المفتاح^(٣) ، حيث قال : [فالوجه عندي هو أن ﴿﴾ ولها كتاب معلوم ﴿﴾ حال (لقرية) لكونها في حكم الموصوفة أي قرية من القرى، لا وصف، وحمله على الوصف سهو لا خطأ، ولا عيب في السهو]، وقد أطل المالك^(٤) في شرح التسهيل في الردّ قياساً ونقلًا، وجعل مصحّح وقوع النكرة ذا الحال كونها منفية، وقال : والمنفي صالح لأن يجعل صاحب حال بما هو صالح لأن يجعل مبتدأ،

→ (١) أبو البقاء ٩٢/١.

(٢) صاحب التقريب يعني به السيرا في المتوفى سنة ٧١٢ هـ، توجد نسخة من تفسيره في تركيا، مدينة

أياصوفيا رقم ٨٨.

(٣) صاحب المفتاح : محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي،

المعروف بخطيف دمشق، من كتبه : المفتاح في شرح التلخيص . ولد سنة ٦٦٦ هـ ومات سنة ٧٣٩ هـ. انظر :

الأعلام للزركلي ١٩٢/٦، وبغية الوعاة للسيوطي ١٥٦/١.

(٤) (المالك) : بدر الدين محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي الأسكندري المالكي النحوي، المعروف

بالدمامي، المولود بالإسكندرية سنة ٧٦٣ هـ، المتوفى بأهنت سنة ٨٣٧ هـ. انظر : الأعلام للزركلي ٥٧/٦،

وحسن المحاضرة للسيوطي ٢٥٨/١.

ومن أمثلة أبي علي^(١) في التذكرة : ما مررت بأحد إلا قائماً إلا أخاك، فجعل الحال من أحد، لاعتماده على النفي. وسنذكر الجواب إن شاء الله في سورة الكهف.

قوله : ((وأنت الأمة أولاً)) يعني : في قوله : ﴿ ما تسبق ﴾ ثم ذكرها آخرأً، أي: في قوله : ﴿ وما يستأخرون ﴾.

قوله : ((المعنيين))^(٢) أي : على سبيل البدل، إما الامتناع أو التحضيض، فإن قوله: لولا علي هلك عمر، ليس فيه سوى التحضيض.

قوله : ((لوما الحياء ... البيت))^(٣) ، عوري أي : خللي ونقصي، ويروي عودي أي : أصلي، والبيت يستشهد به (للوما) التي لامتناع الشيء لوجود غيره.

قوله : ((وقرأ ﴿ تَنَزَّل ﴾))^(٤)، كلهم إلا عاصماً وحمزة^(٥) والكسائي^(٦) ، وتنزل أبوبكر^(٧) ، وتنزل حفص^(٨) وحمزة والكسائي.

(١) أبو علي الفارسي : إمام النحو، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، صاحب التصانيف، من مشايخه الزجاج، وأبو بكر السراج، ومن تلاميذه ابن جني، وعلي بن عيسى الربيعي، وكان فيه اعتزال، ومصنفاته كثيرة، مات ببغداد في ربيع الأول سنة ٣٩٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٧٩/١٦، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ٢٣٢.

(٢) قوله : ((المعنيين)) يثير (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ﴾ الآية ٧، قال : (لو) ركبت مع (لا) و (ما) ((للمعنيين)) معنى امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى التحضيض، وأما (هل) فلم تتركب إلا مع لا، وحدها للتحضيض. قال ابن مقبل : لوما الحياء ... البيت.

(٣) البيت لابن مقبل، وتامه :

**** لوما الحياء ولوما الدين عبتكما **** ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري **

انظر الانتصاف على شواهد الكشاف ٥٧١/٢.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف (ما تُنْزَلُ) بالنون والتشديد، (الملائكة) بالنصب، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (ما تُنْزَلُ) بضم التاء وفتح الزاي (الملائكة) بالرفع، وقرأ الباقر (تَنَزَّلُ) بفتح التاء (الملائكة) بالرفع، انظر المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ص ٢٢٠، وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٨١.

قوله : ((وقيل : الحق : الوحي أو العذاب))^(١) عطف على قوله : ((بالحكمة والمصلحة)) .

قوله : ((لأنه جواب لهم، وجزاء الشرط مقدر)) أما كونه جواباً لهم فظاهر، وأما كونه جزاء لشرط مقدر، فإنهم لما قالوا : هلاً تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك؟ أجيبوا بما ينبي عن قولنا ((إن جاءكم الملائكة وشهدوا بصدقي فلم تؤمنوا)) ما

(٥) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠هـ، ومات سنة ١٥٦هـ، انظر معرفة القراء الكبار ١١/١، وسير أعلام النبلاء ٩٠/٧.

(٦) الكسائي : علي بن حمزة الإمام أبو الحسن الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، ولد سنة ١٢٠هـ ومات سنة ١٨١هـ، وقيل : غير ذلك، انظر معرفة القراء للذهبي ١٢٠/١، وسير أعلام النبلاء ١٣١/٩.

(٧) أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الإمام، أحد الأعلام، مولى واصل الأحذب، واختلف في اسمه على عشرة أقوال، أصحها كنيته، قرأ القرآن على عاصم ثلاث مرات، ولما حضرته الوفاة بكى أمه، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية قد ختمت فيها ثمانى عشرة ألف ختمة. مات سنة ١٧٣هـ، انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١٣٤/١، وسير أعلام النبلاء ٤٣٥/٨.

(٨) حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار، ولد سنة ٩٠هـ ومات سنة ١٩٠هـ، أعلم أصحاب عاصم بقراءته، أقرأ ببغداد، ومكة، والكوفة، قال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان. وروايته متروكة في الحديث، انظر تقريب التهذيب ٧٧، وحجة القراء لابن زنجلة ٥٩.

(١) قوله : ((وقيل الحق الوحي أو العذاب)) يعني (ز) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ﴾ الآية ٨ من سورة الحجر. قوله : ﴿ إلا بالحق ﴾ إلا تنزلاً متلبساً بالحكمة والمصلحة، ولا حكمة في أن تأتكم الملائكة عياناً تشاهدوهم، ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم حينئذ مصدقون عن اضطرار، ومثله قوله تعالى : ﴿ وما خلقتنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ وقيل : ((الحق الوحي أو العذاب)) (إذا) جواب وجزاء ((لأنه جواب لهم)) وجزاء لشرط مقدر، تقديره ((لو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين، وما أخرعناهم)) .

آخر عذابكم)) كما قدر الزجاج^(١) معنى قوله ((إذن أكرمك، جواباً لمن قال : أنا آتيك إن كان الأمر كما ذكرت فإني أكرمك، أو إن جاءتكم ملائكة العذاب)) ما أخرتم)) فقوله : ((ولو نزلنا الملائكة ما كنا منتظرين وما آخر عذابهم)) يحمل على الوجهين المذكورين لكون قوله تعالى : ﴿ ما تنزل الملائكة ﴾ الآية جواباً عن قولهم : ﴿ لوما تأتينا بالملائكة ﴾ الآية، فسره فيما سبق بالوجهين.

قوله : ((على القطع))^(٢) حال من الضمير في فأكد، أو مفعول مطلق من المنزل، أي إنزالاً على القطع، وإفادة القطع من تصدر الجملة (بأن) وتوكيده (بنحن) والتعظيم بضمير الجمع.

قوله : ((بعث به جبريل)) أي : بعث بالقرآن جبريل، فالباء بمعنى مع، ويجوز أن تكون سببية.

قوله : ((قد جعل ذلك دليلاً توجيه الجواب أن الكفرة حين قالوا مستهزئين : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ بمعنى يا أيها المفترى إن الله لم ينزل عليك الذكر، وهذا الذي تزعمه أنه من عند الله ليس منه، بل هو من الجن، وإنك لمجنون، ردّ عليهم بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، يعني : إن الله تعالى هو المنزل على القطع والبت، وأنه هو الذي بعث جبريل إلى محمد صلوات الله عليهما، وبين يديه ومن خلفه رصدة من الملائكة حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين والجن، فما كان من الله ومحفوظاً من الجن، كيف يكون من الجن ؟

(١) الزجاج الإمام النحوي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، مؤلف كتاب معاني القرآن، وله تأليف جمّة، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي، مات سنة ٣١١ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١٣٠/١.

(٢) قول (ز) : ((على القطع)) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الآية ٩ من سورة الحجر، ردّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر ﴾ ولذلك قال : ﴿ إنا نحن ﴾ ، فأكدّ عليهم أنه هو المنزل ((على القطع والبت)).

قوله : ((منزل من عند الله آية آية)) حال من ضمير منزل، أي دلالة وعلامة على كونه معجزة، يعني قوله: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ كالدليل لإثبات المدعى بأنه تعالى لما ردّ بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ قولهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ بمعنى أن المنزل ليس من قبل الجن كما تزعمون، بل من قبل الملك المعظم شأنه، القاهر سلطانه، عقبه بقوله ليكون دليلاً على ذلك المدعى، وإليه الإشارة بقوله : ((لو كان من عند البشر أو يكون غير آية معجزة لتطرق عليه الزيادة والنقصان)) . وقال الإمام (١) : [إن الله حفظه بأن جعله معجزاً مابيناً لكلام البشر، لأنه يعجز الخلق عن الزيادة والنقصان فيه، لأنهم لو راموا ذلك لتغير نظمه، وظهر للخلق أنه من كلام البشر، وليس من خالق القوى والقدر].

قوله : ((الشيعة (٢) : الفرقة إذا اتفقوا على مذهب))، الراغب (٣) : [الشياع الانتشار والتقوية، تقول : شاع الحديث إذا كثر وانشتر، وشاع القوم انتشروا وكثروا، وشيعت النار قوتيتها، والشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه].

قوله : ((أرسلناه فيهم : نبأناه فيهم وجعلناه رسولاً فيما بينهم)) يعني : أن أرسلنا استعمل بقي، والأصل أرسلنا إليهم للإعلام بمزيد التمكن فيهم، فدلّ قوله : (نبأناه فيهم) على معنى أعطينا المعجزة، وقوله : ((جعلناه رسولاً فيما بينهم)) على معنى صيرناه صاحب كتاب وشريعة لأن النبي كما تقرر صاحب المعجزة، والرسول صاحب الكتاب (٤) ، فالآيات تسليّة للرسول صلى الله عليه وسلم من استهزاء القوم.

(١) ذكره في كتابه التفسير الكبير ١٩/١٦٠.

(٢) تفسير قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴾ الآية ١٠ من سورة الحجر. يقول (ز) : ﴿ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴾ في فرقهم وطوائفهم، ((والشيعة : الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة)) .

(٣) الراغب في مفردات القرآن ص ٢٧٠.

(٤) الصحيح أنه ما من نبي ولا رسول إلا كان صاحب معجزة، للحديث الصحيح : (ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) البخاري مع الفتح ٣/٩ كتاب فضائل القرآن، باب الوحي . ومسلم كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم.

قوله : ((ونحوه نسلك الذكر))^(١) يريد أن المشار إليه بقوله : ((ذلك)) في ((كذلك)) خلاصة معنى قوله : ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴾، ووجه التشبيه : التكذيب والاستهزاء، يعني ((مثل ذلك السلك)) مكذباً مستهزئاً به نسله في قلب من هو مجرم مكذب مستهزئ، فقوله : (مكذباً به مستهزئاً حال مقدرة، لأن الذكر ما كان مكذباً حال إلقائه في قلوبهم، بل بعده بزمان، واللام في ﴿المجرمين﴾ للجنس، بدليل قوله : ((كذلك أنزلها باللائم))، قال في الإنصاف^(٢) : [المراد إقامة الحجة على المكذبين بأن الله سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سُوَيْدَاتِهِمْ، كما سلكه في قلوب المؤمنين، فكذب به هؤلاء، وصدق به هؤلاء، كل على علم وفهم ﴾ ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه ﴿٣﴾ ولتقع الحجة على الكفار بعلمهم بوجه الإعجاز، كما فهمها المؤمنون، ولذلك عقبه بقوله : ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ... الآية﴾ أي : لو أظهر لهم أي دليل ظهر من إعجاز أو صعود إلى السماء، وفي قوله ﴿فظلّوا﴾ التي لا تكون إلا في النهار إشعار بوضوح ذلك، وقال القاضي^(٤) : [الضمير في قوله : ﴿كذلك نسله﴾ للاستهزاء، وفيه دليل على أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم، وقيل : للذكر فإن الضمير الآخر في قوله : ﴿لا يؤمنون به﴾ وهو حال من هذا الضمير، والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين، مكذباً غير مؤمن به، أو بيان للجملة المتضمنة له، وهذا الاحتجاج ضعيف، إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في الرجوع إليه، ولا يتعين

(١) تفسير قوله : ﴿كذلك نسله في قلوب المجرمين﴾ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ﴿الآية ١٢ و ١٣ من سورة الحجر﴾ قال (ز) : ﴿أي مثل ذلك السلك﴾ (ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه في قلوبهم، مكذباً مستهزئاً به، غير مقبول كما لو أنزلت بلقيم حاجة، فلم يجيبك إليها، فقلت : ((كذلك أنزلها باللائم)) تعني مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية.

(٢) ٥٧٣/٢ حاشية الزمخشري.

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٢.

(٤) القاضي البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦٦/٣.

أن تكون الجملة حالاً من الضمير لجواز أن تكون حالاً من ﴿المجرمين﴾، ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول].

قوله : ((طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم))^(١) روى الإمام^(٢) عن الزجاج^(٣) أنه قال : [قد خلت سنة الله في الأولين أن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم]. وقال الإمام^(٤) : [هذا أليق بظاهر اللفظ من ذلك]، وقلت : بيانه أن التعريف في ﴿المجرمين﴾ للعهد، والمراد به المكذبون من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم المذكورون بعد قوله : ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين. وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ أي : مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين المكذبين للرسول الماضية، نسلكه في قلوب هؤلاء المكذبين، ثم قرّر ذلك وبينه بقوله : ﴿لا يؤمنون﴾، وذيله بقوله : ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾، والمقام يقتضي التقرير والتأكيد، لأنه تعالى لما وصف الكتاب بقوله : ﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ وبالغ في بيان كماله وإعجازه الدرجة القصيا، ثم حكى عنهم أنهم طعنوا فيه واستهزؤوا بمن نزل عليه بقوله : ﴿يأبها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾، وما عدّوه من المعجزة حيث قالوا : ﴿لوما تأينا بالملائكة إن كانت من الصادقين﴾ وسأله بقوله : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وقوله : ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾، قال كذلك نسلكه في قلوب (هؤلاء)^(٥) المجرمين، فلك أسوة بالرسول الماضية مع أمهم المكذبة، ولست بأوحدٍ في، وقد

(١) تفسر قوله تعالى : ﴿لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين﴾ الآية ١٣. قال (ز) : ((طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم)) حين كذبوا برسولهم، وبالذكر المنزل عليهم، وهو وعيد.

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٦٦/١٩.

(٣) الزجاج ١٧٤/٣.

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٦٦/١٩.

(٥) ما بين القوسين س من م.

خلت سنة الأولين، فيكون على هذا مزيد تسليّة للرسول صلى الله عليه وسلم،
والوعيد^(١) بعيد لأنه لم يسبق لإهلاك الأمم ذكر، وإنما أثر المصنف ذكر الوجه، لأنه
أقرب إلى مذهبه.

قوله : ((يعرجون))^(٢) بالضم السبعة ، وبالكسر شاذ^(٣) ، ﴿وسكرت﴾^(٤)
بالتخفيف ابن كثير^(٥) .

قوله : ((من السكر أو السكر فيه)) فسّر الجوهري^(٦) : [السكران
خلاف الصاحي، وقد سَكِرَ يَسْكُرُ سَكْرًا، والاسم السُّكْرُ بالضم، والسُّكْرُ
بالكسر : العزم، والسكر مصدر سَكَرَتِ النهر أسكره سكرًا إذا سدّدته]،
قيل : إن جعل من السُّكْر بالضم فالتثقيل للتعدية، وإن جعل من السكر

(١) فالزّمخشري، قال : إنه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم، والطّبي استبعد ذلك كما ترى، وقال : إنه
أقرب لمذهبه الاعتزالي، ولم يتضح لي الاعتزال في هذه المسألة.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ . لقالوا إنما سكّرت
أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿ الآيتان ١٤، ١٥ من سورة الحجر.

(٣) قرأ ﴿يعرجون﴾ بكسر الراء شذوذاً، ابن أبي الزناد، والأعمش، وعيسى، وأبو حيوة. انظر شواذ
القرآن ص ٧٠، والبحر المحيط ٤٤٨/٥ وهي لغة هذيل.

(٤) ﴿سُكِرَتْ﴾ بالتخفيف ابن كثير، والباقون ﴿سُكِرَتْ﴾ بالتشديد. انظر كتاب السبعة لابن
مجاهد ٣٦٦، والمبسوط في القراءات العشر لابن مهران أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني المتوفى
سنة ٣٨١، ص ٢٢٠.

(٥) ابن كثير عبد الله أبو معبد الغطار، الداري، الفارسي الأصل، إمام أهل مكة في القراءة، ولد
سنة ٤٥ هـ، ومات ١٢٠ هـ، روى عن عدد من الصحابة، منهم عبد الله بن الزبير، وأبو أيوب
الأنصاري، وأنس بن مالك، وهو قارئ مكة، أخذ عن مجاهد بن جبر، وعبد الله بن السائب، وغيرهم،
انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٥٢، والمبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٩.

(٦) الجوهري في الصحاح ٦٨٧/٢ مادة (سكر).

فالتشقيـل للإسناد إلى الجماعة، وقال ابن جني^(١) : [كما أن السكر يعترض على الماء ويسدّ عليه مذهبه، كذلك حال السكران في وقوف فكره، والإعتراض عليه بما ينقصه ويحيرُه، فلا يجد مذهباً، وينكفي مضطرباً]، الراغب^(٢) : [السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعترى من الغضب والعشق، ولذلك قال الشاعر :

.....سُكران ** سُكْرُ هَوَى وَسُكْرُ مُدَامَةٍ^(٣)

ومنه سكرات الموت ، والسكر حبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السد بين المرء وعقله، والسكر الموضع المسدود، وليلة ساكرة أي : ساكنة، اعتباراً بالسكون العارض من السكر]. قوله : وقال : ((إنما ليدلّ على أنهم يتّون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار))، قال الإمام^(٤) : [إنما للحصر، والحصر ههنا في الأبصار لا في التسكير، فكأنهم قالوا : ما سكرت إلا أبصارنا لا عقولنا، فحن وإن نتخايل في أبصارنا هذه الأشياء، لكن نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه، ثم أضربوا عن الحصر في الأبصار، وقالوا: بل جاوز ذلك عقولنا بسحره.

(١) ابن جني عثمان بن جني الأزدي بالولاء، إذ كان أبوه جني مملوكاً رومياً يونانياً لسليمان بن فهد الأزدي، صاحب الموصل، و(جني) يأسكان الباء وليس منسوباً، معرب كنى، ومعناه بالعربية فاضل كريم نبيل، وكنيته أبو الفتح، كان مولده سنة ٣٢٢هـ مع اختلاف في ذلك. انظر المختص لابن جني ٥/١، والكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤١١.

ذكره في كتابه المختص ٣/٢.

(٢) الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦ مادة (سكر).

(٣) البيت للخليل الدمشقي في أبيات له في يتيمة الدهر ٣٣٣/١، وعجز البيت :

** أني يفيق فتى به سُكران ** سكر هوى وسكر مدامة **

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٦٧/١٩. ذكره ضمناً.

قوله : ((من استرق^(١)) في محل نصب على الاستثناء))، قال أبو البقاء^(٢) : [هو استثناء منقطع، ويجوز أن يكون مجروراً على البدل، أي : إلا من استرق، والمبدل ﴿لكل شيطان رجيم﴾، والتقدير : لا يدخلها شيطان إلا من استرق لدلالة ﴿حفظنا﴾ عليه، وقيل : فيه نظر، لأنه في كلام موجب^(٣) ، وأجيب أن قوله ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ في معنى النفي، كقوله تعالى : ﴿فشربوا منه إلا قليل منهم﴾^(٤)

قوله : ((أو على محل لكم^(٥))) وهو النصب لأنه مفعول به، كأنه قيل : جعلنا لكم معاش ولمن لستم^(٦)، قال صاحب التقريب : وفيه نظر إذا العطف على محل

(١) تفسر قوله تعالى ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ . إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبین ﴿الآيات ١٦، ١٧ من سورة الحجر، يقول (ز) : ﴿من استرق السمع﴾ (في محل نصب على الاستثناء).
(٢) قال أبو البقاء : ﴿إلا من استرق السمع﴾ في موضعه ثلاثة أوجه، : نصب على الاستثناء المنقطع، الثاني : جرّ على البدل، إي : إلا من استرق، والثالث : رفع على الابتداء . ٧٣-٧٢/٢ .
(٣) قاله ابن الأنباري، أبو البركات في كتابه البيان في غريب إعراب القرآن، قال : (من) في موضع نصب على الاستثناء، ولا يجوز أن تكون بدلا من ﴿كل شيطان لأنه استثناء موجب . ٦٦/٢ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٥) تفسر قوله تعالى ﴿وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين﴾ الآية ٢٠ من سورة الحجر، قال (ز) : ﴿ومن لستم له برازقين﴾ عطف على ﴿معاش﴾ ((أو على محل لكم) كأنه قيل : (وجعلنا لكم فيها معاش، وجعلنا من لستم له برازقين، أو وجعلنا لكم معاش ولمن لستم له برازقين).
(٦) قال ابن الأنباري ٦٦/٢ : يجوز في إعراب ﴿من﴾ من قوله : ﴿ومن لستم له برازقين﴾ النصب بالعطف على قوله ﴿معاش﴾، أي : جعلنا لكم فيها المعاش والعبيد. والثاني : أنه منصوب بتقدير فعل، وتقديره (جعلنا لكم فيها معاش) وأعشنا (من لستم له برازقين) فأضمر (أعشنا) لدلالة الكلام عليه .
والثالث : أن يكون منصوباً بالعطف على موضع (لكم) وموضعه النصب (بجعلنا)، ولا يجوز فيه الجرّ بالعطف على الكاف والميم في (لكم) لأنه ضمير الجرور، والضمير الجرور لا يجوز العطف عليه إلا بإعادة الجار، وقد أجازوه الكوفيون.

(لكم) لا يقتضي إعادة اللام، بل كون ﴿من لستم﴾ منصوباً، فلعله على تقدير الجار تصحيحاً للمعنى، ثم نزعها، وقال صاحب التخمير^(١) : [قول النحويين المفعول هو المجرور مع الجار سهو، ألا ترى أن الباء في خرجت بزيد، بمنزلة الهمزة، وتثقيل الحشو في أخرجت وخرجت، فكما أنهما ليسا جزءاً من المفعول^(٢)، كذلك ههنا، ولأن هذا الفعل المتعدي بحرف الجر، يجعل مبنياً للمفعول، ولو لم يكن الجار جزءاً من الفعل لما جاز بناؤه للمفعول لأن الفعل اللازم لا يجعل مبنياً للمفعول، ولأن الجار ههنا قد يعدى به الفعل، فصار معه بمنزلة الفعل المتعدي، وشيء من الفعل المتعدي لا يكون جزءاً من المفعول].

قوله : ((ويخطون)) جملة معترضة، أو حال بحذف المبتدأ.

قوله : ((فضرِب الخزائن مثلاً لا قِداره على كل مقدور))^(٣) يعني : أن أصل الكلام ما من شيء تنتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجادهِ وتكوينهِ فشبه اقتداره على كل شيء، وإيجادهِ بالخرائن المودعة فيها الأشياء المهيأة المعدة، ليؤذن أن مقدوره كأنه حاصل موجود فهو أقوى مما لو قيل : نحن قادرون على إيجادهِ وتكوينهِ، فيكون موقع قوله : ﴿وإن من شيء﴾ الآية كالتذييل^(٤)، للكلام السابق، إذا فسر قوله : ﴿موزون﴾ بأن كل شيء وُزن بميزان الحكمة، وقدر بمقدار يقتضيه. وكالتكميل إذا فسر بغير ذلك، قال القاضي^(٥) : [وقد أكد الآية الاستدلال بجعل

(١) صاحب التخمير : هو صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي، وكتابه التخمير شرح المفصل

في صناعة الإعراب . طبع في دار الغرب، أربع مجلدات. ٢/٢٨٧

(٢) المفعول (وإنما هو جزء من الفعل) كذلك ما بين القوسين في ت ، م .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿وإن من شيء﴾ إلا عندنا خزانته وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴿ الآية ٢١ من

سورة الحجر، قال (ز) : ذكر الخزائن تمثيل، والمعنى : وما من شيء ... الخ.

(٤) التذييل : هو جعل شيء غريب شيء لمناسبة بينهما من غير احتياج، ومثله التذييل . التعريفات

(٥) القاضي البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل ١٦٧/٣.

الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة، مع جواز أن لا يكون كذلك، على كمال قدرته وتناهي حكمته، والتفرد في ألوهيته، والإمتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك [ثم ضرب الخزان مثلاً لاقتداره.

قوله : ((إن الريح لا قح إذا جاءت بخير))^(١) ، الجوهرى^(٢) : [الأصل فيه ملقحة، ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لا قح، كأن الرياح لقت بخير، فإذا أنشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك إليه]، وقال ابن جني : قالوا : ألقت الريح السحاب وهي لا قح، هذا على حذف همزة أفعل، وإنما قياسه ملقح، كأنه خرج بحذف الزيادة تقديراً، وإن لم يخرج إلى اللفظ استعمالاً، كما قالوا : أبقل المكان فهو باقل، وقال أيضاً : [هو من باب الاكتفاء بذكر السبب عن المسبب، فإنها إذا لقت ألقت غيرها] . وقلت : لا يبعد أن يكون مجازاً باعتبار ما كان، فيكون الريح أولاً لا قحة ثم تصير ملقحة، فقليل : لا قحة وأريد ملقحة، كقوله : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾^(٣) . قال أبو البقاء^(٤) : [لقت الريح إذا حملت الماء، ألقت الريح السحاب إذا حملتها الماء، كما تقول : ألقي الأنثى فلقت، وانتصابه على الحال المقدرة].

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ الآية ٢٢ من سورة الحجر، قال (ز) : لواقح فيه قولان : أحدهما ((أن الريح لاقح إذا جاءت بخير)) من إنشاء سحاب ماطر، كما قيل : للني لا تأتي بخير : ريح عقيم. والثاني : أن اللواقح بمعنى الملاقح . ثم قال :

**** ومُخْبِطٌ مَّا تُطِيحُ الطَّوَانِحُ ****

(٢) الجوهرى في صحاحه ٤٠١/١ مادة (لقح).

(٣) سورة النساء الآية ٢، يعني : باعتبار ما كان من اليتيم.

(٤) قاله أبو البقاء في كتابه / إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، ٧٣/٢.

قوله : ((إن اللواقح بمعنى الملاح))، الجوهري^(١) : [الملاح الفحول الواحد ملقح، والملاح أيضاً الإناث في بطونها أولادها الواحدة مُلْقَحَةٌ، بفتح القاف]، وقال أبو البقاء^(٢) : [أصلها ملاح، لأنه يقال : ألّح الريح السحاب، كما يقال : ألّح الفحل الأنثى، أي : أحبلها، وحذفت الميم لظهور المعنى، ومثله الطوائح، الأصل المطاوح، لأنه من أطاح الشيء]، الجوهري^(٣) : [طاح يطوح ويطيح : هلك وسقط] وطوّحه : حَيَّرَه وذهب به ههنا وههنا، وطوّحته الطوائح : قذفته القواذف.

قوله : ((وَمُخْتَبِطٌ مَّا تَطِيحُ الطَّوَائِحُ، صدره : القائل الحارث^(٤)، النهشلي

**** ليك يزيد ضارع لخصومه ****

يرثي أخاه يزيد ليك بُنى مجهولاً، كأنه قيل من يبكيه، فقال : ضارع، أي : ليكه ضارع.

قوله : ((نفى عنهم ^(٥) ما أثبتته لنفسه في قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾)) هذا يؤذن أن قوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ عطف على قوله : ﴿ وَمَا نَزَلَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ عطف جبريل وميكائيل على ملائكته.

(١) الجوهري في صحاحه ٤٠١/١ مادة (لقح).

(٢) أبو البقاء في كتابه إملاء ما من به الرحمن ٧٣/٢.

(٣) الجوهري في صحاحه ٣٨٩/١.

(٤) الحارث بن نهيك النهشلي، قاله : القيسي في إيضاح شواهد الإيضاح ١٦، انظر معجم شواهد النحو الشعرية ٣٢٢، وذكر خلافاً كثيراً في قائل البيت، فقليل إنه لضرار بن نهشل، يرثي أخاه يزيد بن نهشل، كما في الحاشية ل محمد بن عليان المرزوقي.

(٥) قوله : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ . قال (ز) : ((نفى عنهم)) الخ يعني : من عطف البعض على

الكل ((.

قوله : ((واجعله الوارث منا))^(١) عن الترمذي عن ابن عمر أنه قال : (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلسه حتى يدعو بهذه الدعوات لأصحابه) : اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا ... الحديث^(٢) مختصر، وله ابتداء وانتهاء، النهاية^(٣) : [أراد بقاءها وقوتها عند الكبر والخلال القوى النفسانية، فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقيين بعدها، والهاء في واجعله للإمتاع، ولذلك وحده].

قوله : ((من الأولين والآخرين))^(٤)، يبان على النشر، أي : لقد علمنا من استقدم منكم ولادةً وموتاً ومن تأخر منكم ولادةً وموتاً.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ غَنِيٌّ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ . ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين . وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم .

(٢) أخرجه الترمذي ٤٩٣/٥ كتاب الدعوات، باب ٨٠ رقم الحديث ٣٥٠٢، ثم قال : هذا حديث حسن غريب . والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣١٠ باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لفظه رقم الحديث ٤٠١ . والحاكم في المستدرک، وأقره الذهبي ٥٢٨/١ . وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٤٤٨ .

وأول الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : (اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) هذا لفظ الترمذي.

(٣) النهاية ١٧٢/٥ مادة (ورث).

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ قال (ز) : (ولقد علمنا) من استقدم ولادةً وموتاً، ومن تأخر ((من الأولين والآخرين)) أو من خرج من أصلاب الرجال.

قوله : ((وروى أن امرأة حسناء ... الحديث))^(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل
والترمذي وابن ماجه والنسائي عن ابن عباس.

قوله : ((أي : هو وحده القادر على حشرهم، والعالم بحصرهم، مع إفراط
كثرتهم)) فيه إشعار بأنه اختار الوجه الأول في تفسير قوله : ﴿ ولقد علمنا
المستقدمين منكم ﴾ لأن الكثرة التي تفوت الحصر ولا يحصيها إلا الله، إنما يحسن إذا
قلنا : المراد من قوله : ولقد علمنا المستقدمين ... الآية ﴿ مَن استقدم ولادةً وموتاً
ومن تأخر من الأولين والآخرين، ويؤيده السياق، وهو قوله : ﴿ وإنا لنحن نحي
ونميت ﴾، والسياق، وهو قوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال ﴾ ودلّ على
الحصر توسط ضمير الفصل بين اسم إن وخبره^(٢) .

قوله : ((إذا توهمت في صوته مَدًا فهو صليل))^(٣) لما في صليل من حرف مَدّ،
((وإن توهمت فيه ترجيعاً، أي : ترديداً فهو صلصلة، لما في الصلصلة من ترديد
وتكرير)) رعاية لوجه المناسبة بين الاسم والمسمى.

(١) وهو، أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم بعض القوم
لئلا ينظر إليها، وتأخر بعض ليصرها، فنزلت.

أخرجه الترمذي ٢٧٦/٥ رقم ٣١٢٢ كتاب التفسير، باب ١٦ ومن سورة الحجر، والنسائي
١٠١/١ كتاب الصلاة، باب المنفرد خلف الصف. وابن ماجه ٣٣٢/١ كتاب الصلاة، باب الخشوع في
الصلاة برقم ١٠٤٦. وابن حبان برقم ١٧٤٩.

والمستدرک کتاب التفسير ٣٥٣/٢، قال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: روى عن
أبي الجوزاء مرسلًا بدون ذكر ابن عباس، وهو أشبه ٢٧٦/٥. والمسنَد ٣٠٥/١ رقم ٢٧٨٤. والواحدي في
أسباب النزول ٣١٨ - ٣١٩

ورواه ابن كثير في تفسيره ٤/٤٥٠، وقال : هذا حديث فيه نكارة شديدة. وقال عبد الرزاق : إنه
من كلام ابن الجوزاء فقط، وليس فيه لابن عباس ذكر
(٢) هذا بناء على أن الحديث لم يثبت.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل
من نار السموم ﴾ الآية ٢٦-٢٧، يقول (ز) : الصلصال الطين اليابس، الذي يصلصل وهو غير مطبوخ،

قوله : ((المصوّر من سنة الوجه))^(١) ، الجوهري^(٢) : [سنة الوجه : صورته، قال ذو الرمة :

****تريك سنة وجه غير مقرّفة****^(٣) ملّساء ليس بها خال ولا ندب **

والمسنون : المصور.

قوله : ((وحق مسنون بمعنى مصوّر)) أي : يكون صفة لصلصال، لأن الحمأ هو الطين، والطين هو الذي يقبل الصورة فيفرغ الحمأ ليصور منها التمثال ثم ييس، فيصير صلصالاً مصوراً كأنه قيل من حمأ، ويعلم منه ان المسنون إذا كان بمعنى المنصوب، حقه أن يكون صفة لحمأ، لأن الحمأ هو المفرغ المنصوب لا الصلصال. قال أبو البقاء^(٤) : [من حمأ في موضع جرّ صفة لصلصال] أي صلصال كائن من حمأ، ويجوز أن يكون بدلاً من صلصال بإعادة الجار].

قوله : ((من نار السموم)) من نار الحرّ الشديد النافذ في المسام))، قال القاضي^(٥) : [في قوله تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ لا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلاً عن الأُجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري، فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها

وإذا طبخ فهو فخار، قالوا : ((إذا توهمت في صوته مدأ فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة)).
وقيل : هو تضعيف (صل) إذا أنتن

(١) . قوله تعالى : ﴿ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ ﴾ قال (ز) : والحمأ الطين الأسود المتغير (والمسنون) ((المصور من

سنة الوجه))

(٢) الجوهري في صحاحه ٢١٣٩/٥ مادة (سنن).

وقوله تعالى ﴿ مِنْ حَمَأٍ ﴾ قال (ز) : هنة لصلصال، أي خلقه من صلصال كائن من حمأ ((وحق

(مسنون) بمعنى مصور)).

(٣) اللسان ٢٨١/٩ مقرف غير حسن، والبيت في ديوانه ص ٤ . ومقرّفة أي : غير هجينة عفيفة

كرعة.

(٤) أبو البقاء العكبري في كتابه الإملاء ٧٣/٢.

(٥) القاضي البيضاوي في تفسيره الأنوار ١٦٨/٣.

الجزء الأرضي] وقوله : ((من نار باعتبار الغالب كقوله : ﴿ خلقكم من تراب ﴾^(١)))

قوله : ((ما يحيي به فيه))^(٢) المستتر في يحيي والمجرور في (فيه) للبشر وفي (به) لما أي : معنى نفخ الروح، تحصيل شيء في قالب البشر يحيي بذلك الشيء البشر. قال القاضي^(٣) : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ ومعناه جَرِيُّ آثاره في تجاويف أعضائه فحي، وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث في القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلّقه بالبدن نفخاً وإضافة الروح إلى نفسه [للتشريف كقوله : ﴿ ناقة الله ﴾^(٤) و﴿ بيت الله ﴾ . وقال الواحدي^(٥) : [النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم رقيق يحيي به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح، كأنه قد نفخ الروح فيه]، وقلت : رجع أقوالهم إلى أن قوله : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ على منوال قوله تعالى : ﴿ كن فيكون ﴾^(٦) في أن لا قول، ثم بل هو تصوير إيجاد الشيء وتحصيله من غير امتناع

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون . فإذا

سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ الآية ٢٨-٢٩ من سورة الحجر . قال (ز) : ومعنى ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وأحييته.

(٣) القاضي البيضاوي في تفسير الأنوار ١٦٩/٣.

(٤) سورة الشمس الآية ١٣.

(٥) الواحدي ٤٥/٣ تفسير أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفي ٤٦٨ هـ.

(٦) سورة النمل الآية ٤٠ . ولا داعي لهذه الجراءة، فالله أعلم بالكيفية التي حصلت في النفخ.

قوله : ((وقيل : معناه ولكن إبليس أبى))^(١) أي : عطف على قوله : ((واستثنى إبليس من الملائكة))، وأبى حينئذ خبر لكن، وعلى الأول جملة مستأنفة كالتعليل عن امتناعه عن السجود.

قوله : ((لأن اللعن هو الطرد))^(٢) يريد أن الرجيم كناية تلويحية عن كونه ملعوناً لأن الرجيم هو المطرود، لأن من طرد يرحم، والمطرود هو الملعون، لأن من لعن طرد.

قوله : ((في معنى واحد))^(٣) أي : عبرت بها عن معنى انتهاء المدة.

قوله : ((وقيل : إنما سأل الإنظار)) هذا وجه آخر، وفيه بيان اختلاف العبارات، فإن قوله : ((لتلا يموت)) يدل على أن ضرب هذه المدة إلى عند الحشر، وقوله ((إلى آخر أيام التكليف)) يدل على أن المدة قبل الحشر، وقوله أولاً ((إلى يوم الدين من غير أن يعذب)) يدل على أن المدة عند الحساب والجزاء، وهو بعد الحشر.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ الآية ٣١ من سورة الحجر. قال (ز) : ﴿أبى﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول : هلا سجد؟ فقيل : أبى ذلك واستكبر عنه، ((وقيل معناه : ولكن إبليس أبى)).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم﴾ الآية ٢٤ من سورة الحجر. قال (ز) في قوله ﴿رجيم﴾ شيطان من الذين يرحمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله، لأن من يطرد يرحم بالحجارة، ومعناه ملعون، ((لأن اللعن هو الطرد)) من الرحمة والإبعاد عنها.

(٣) تفسير قوله : ﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الآية ٢٥ من سورة الحجر. قال (ز) : ﴿يوم الدين﴾ و﴿يوم يعثون﴾ و﴿يوم الوقت المعلوم﴾ ((في معنى واحد)) ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة ((وقيل : ((إنما سأل الانتظار)) إلى اليوم الذي فيه يعثون ((لتلا يموت)) لأنه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى ذلك وانظر ((إلى آخر أيام التكليف))).

قوله ﴿بَرئ من غيِّه ومن إرادته والرضا به﴾^(١) . قوله : ((من إرادته)) مذهب^(٢) ، والرضا به مذهب أهل السنة.

قوله : ((وقد فرق الفقهاء بينهما))^(٣) أي : بين الإقسام بصفة الله تعالى ، وبين الإقسام بفعله ، فقوله : ((﴿بِعزتك﴾ إقسام بالصفة ، و﴿بما أغويتني﴾ إقسام بالفعل)) . وفي شرح الوافي : [قال العراقيون : الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين^(٤) ، وبصفات الفعل كالرحمة والسخطة والغضب والرضا ليس يمين^(٥) ، وصفة الذات ما لا يجوز أن يوصف بضده ، وصفة الفعل ما يجوز أن يوصف بضده ، فإنه تعالى يرضى بالإيمان ، ولا يرضى بالكفر ، ثم قال الشارح : والمذهب عندنا أن صفات الله لا هو ولا غيره ، وكلها قديمة ، فلا يستقيم الفرق ، والأصح ما قلنا ، لأن الإيمان مبنية على العرف ، لأن اليمين إنما ينعقد

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾ الآية ٣٩ . قول (ز) : ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك ، والله تعالى ((بريء من غيِّه ومن إرادته والرضى به)) .

هذا على مذهب المعتزلة ، أن الله لا يريد الشر ، ولا يخلقه . ومذهب أهل السنة والجماعة : أن كل كائن فهو مخلق . الله تعالى هو وإرادته ، خيراً كان أو شراً ، وإن كان لا يرضى الشر من عبده ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر . وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ الزمر الآية ٧ ، وقوله تعالى في سورة الصافات الآية ٩٦ : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وهذه أدلة واضحة لأهل السنة .

(٢) مذهب يعني مذهب الزمخشري الاعتزالي .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ بما أغويتني ﴾ قال (ز) : الباء للقسم ، و (ما) مصدرية ، وجواب القسم : ﴿ لأزينن ﴾ المعنى أقسم يا غوانك إياي ﴿ لأزينن لهم ﴾ ... الخ ، ونحوه قوله ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ سورة ص الآية ٣٨ في أنه إقسام ، إلا أن أحدهما ((إقسام بصفته ، والثاني إقسام بفعله ، وقد فرق الفقهاء بينهما)) .

(٤) لأنها صفات لا يشاركه غيره فيها ، ولا تزول .

(٥) لأنها صفات قد تطلق على غيره جل وعلا ، فقد يوصف بها المخلوق ، فلا بد من القصد والنية ، فإن قصد الخالف بذلك اسمه أو صفته ، فذلك يمين ، وإن قصد المخلوق فليس يمين ، والله أعلم .

للحمل أو المنع، وهذا إنما يكون بما يعتقد الخالف تعظيمه، وكل مؤمن يعتقد تعظيم الله وصفاته معظم. فصارت حرمة ذاته وصفاته حاملاً^(١). وقال حجة الإسلام^(٢): [اليمين^(٣)] عبارة عن تحقيق ما يحتمل المخالفة بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته. ثم اليمين تنقسم إلى صريح وكناية، بالإضافة إلى أسماء الله تعالى، وهو على أربع مراتب: الأولى أن يذكر اسماً لا يطلق إلا على الله تعالى في معرض التعظيم، كقوله: يا الله والرحمن والخالق والرازق... فهذا صريح. والثانية: أن يذكر اسماً مشتركاً يطلق على الله وعلى غيره كالعليم والخليم والرحيم والجبار والحق... فهو كناية، إنما يصير يمينا بالقصد. والثالثة: أن يذكر ما يقبل التورية، وهو على وجهين: أحدهما: أن يكون من قبيل حق الله وحرمة الله وقدرته وعلمه، إذ قد يراد بها حقوقه من العبادات وحرماته ومقدوره ومعلومه، وثانيهما: أن يكون من قبيل جلال الله وعظمته وكبريائه، ففيه طريقتان: أحدهما: كالحلف بالله، وثانيهما: أنه كالحلف بالقدرة، إذ قد يقال: رأيت جلال الله، أي: آثار صنعته. والرابعة: ما لا يصير يمينا وإن نوى، وهو ما لا تعظيم فيه، نحو الشيء والموجود والمربى. وإن أريد به الله. هذا خلاصة كلامه في الوسيط^(٤). وفيه أن نحو ((يا غوائلك ليس بيمين)).

(١) للحالف على ذلك. والحق أن اليمين تتعقد إذا حلف الخالف بأحد أسماء الله أو صفاته مطلقاً، ولا فرق في ذلك بين أي اسم، أو أي صفة، لأن الكل معظم عند الخالف، إذا كان قاصداً الخلف باسمه أو صفته جلّ وعلا.

(٢) حجة الإسلام الغزالي، بالتخفيف والتشديد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، له نحو مائتي مصنف، في كل الفنون إلا ما شاء الله، وهو معروف. ولد سنة ٤٥٠ هـ، ومات سنة ٥٠٥ هـ، انظر الأعلام للزركلي ٢٢/٧، ووفيات الأعيان ١/٤٦٣، وطبقات الشافعية ١٠١/٤، ومن كتبه الوجيز في الفقه وإحياء علوم الدين.

(٣) انظر كتاب الوجيز لحجة الإسلام الغزالي ٢/٢٢٣، والمجموع للنووي ٢٢/١٨، وروح المعاني للألوسي ٥٠/١٤.

(٤) انظر في كتابه الوجيز ٢/٢٢٣-٢٢٤، وذكر هذا البحث مختصراً.

قوله : ((أو أراد لأجعلن مكان التزين))^(١) يريد أن تعديّة ﴿لأزينن﴾ بـ(في) إما لإرادة الجهة السفالة بالأرض، وهي الدنيا، أو الأرض نفسها، ففاس^(٢) تزين أولاد آدم، وهم في الأرض على تزين أبيهم، وهو في السماء، وقطع بحصوله، فحلف بقوله : ﴿لأزينن﴾ و﴿لأغوينهم﴾ ومن ثم قال المصنف : ((فأنا على تزين أولاده في الأرض أقدر)) . وإما لإرادة حقيقتها والتجوز في استعمال (في) بجعل الأرض مكاناً للتزين، وظرفاً له على التوسع، فلا يخرج منها شيء منه، كقوله تعالى : ﴿ولكم في القصص حياة﴾^(٣) وإليه الإشارة بقوله : ((ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها)) لا في الآخرة.

قوله : ** يجرح في عراقبها نصلى ** وصدرة :^(٤)
 ** وإن تعتذر بالحل من ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقبها نصلى **
 الضمير في تعتذر للناقّة، والباء في بالحل للتشبيّة، يقال : اعتذر به، والمراد بذي ضروعها اللبن : يجرح متعلّ بنفسه، وقد عدى بفي لإجرائه مجرى اللّازم، نحو : فلان يعطي ويمنع، ثم عومل، معاملة (في) تعديته بالجاء للمبالغة، أي : ما وقع الجرح في عراقبها ، وأحده فيها، وبنحوه قوله : ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾^(٥) أي : اجعل الصلاح مظهراً لذريتي.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿في الأرض﴾ من قوله : ﴿لأزينن لهم في الأرض﴾ . قال (ز) : أي : في الدنيا التي هي دار الغرور، كقوله تعالى ﴿أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ سورة الأعراف الآية ١٧٦، أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزين له للأكل من الشجرة، وهو في السماء، فأنا على التزين لأولاده في الأرض أقدر ((أو أراد : لأجعلن مكان التزين)) عندهم الأرض، ولأوقعن تزيني فيها، أي لأزيننها في أعينهم ((ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها)) حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دون الآخرة.

(٢) ففاس (إبليس تزين) ما بين القوسين س من ت ، ب .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٤) هذا البيت لذي الرمة يمدح نفسه. انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف ٥٧٨/٢ .

(٥) سورة الحفاف الآية ١٥ .

قوله : ((أي هذا طريق حقّ (عليّ) أن أراعيه))^(١) بناء على وجوب رعاية الأصلح^(٢) ، قال الإمام^(٣) : [إن الإخلاص طريق عليّ وإليّ، أي : أنه يؤدي إلى كرامتي وثوابي]، ومعناه : هذا صراطٌ من مرّ عليه، فكأنه مرّ على رضواني وكرامتي، كما يقال : طريقك عليّ. وقيل : هذا صراط على تقديره، وهو مستقيم حقّ وصدق . وروى ابن جني^(٤) عن أبي الحسن [أنه قال : هو كقولك : الدلالة اليوم عليّ]، وقال صاحب الفرائد : أي دين الإسلام حقّ عليّ بيانه، فمن اختاره من عبادي ليس لك عليهم سلطان، ومن لم يختَر فلنك عليهم سلطان . وقال القاضي^(٥) : [والإشارة بقوله ﴿هذا﴾ إلى ما تضمنه الاستثناء، وهو تخلص المخلصين من إغوائه، أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إليّ من غير اعوجاج وضلال] .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال هذا صراط علي مستقيم ﴾ الآية ٤١ من سورة الحجر . قول (ز) : ﴿ قال هذا ﴾ أي ((طريق حقّ عليّ أن أراعيه)) .

(٢) مذهب المعتزلة أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، ونفوا أن يكون خالقاً لأفعال العباد لما فيها من القبح.

والجواب عن هذا : أن الله لا يفعل القبيح، فهذا لا خلاف فيه، بل أفعاله كلها حسنة. قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا نزه نفسه عن الظلم، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فهو تعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللاتقة بها، وذلك خير كله، والشرّ وضع الشيء في غير موضعه، فإذا وضع في محله لم يكن شرّاً، فعلم أن الشرّ ليس إليه) انظر شفاء العليل ١٧٩. قال تعالى في سورة طه الآية ١٢٠ ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ وقال في سورة ق الآية ٢٩ ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾.

وأما قولهم : إن العباد هم الخالقون لأفعالهم، لأن منها القبيح، فلو كان الله خالقها لكان فاعلاً للقبيح، فهذا باطل، لأن الله تعالى خالق كل شيء . قال تعالى في سورة الرعد الآية ١٦ : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ وقال في الصافات الآية ٩٦ ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾. وقال في الأنعام الآية ١٠٢ ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾.

(٣) الإمام الفخر الرازي ١٨٩/١٩.

(٤) ابن جني في المحتسب ٣/٢.

(٥) القاضي البيضاوي في كتابه : أسرار التنزيل ١٧٠/٣.

قال الزجاج (١) : ﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾ أي : على إرادتي وأمرى] أي : شأني. وقلت : هذا الذي يقتضيه النظم والعلم عند الله تعالى ، فإن الإشارة بقوله ((هذا)) إلى قول إبليس ﴿ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين﴾ أي : هذا هو الذي حكمت به ، وقدّرت على عبادي ، وهو حق وصدق. كقوله تعالى : ﴿ولكن حقّ القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (٢) وقوله صلوات الله عليه ، على مارواه الترمذي (٣) عن عمرو بن العاص أنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يديه كتابان... الحديث ، ولهذا قرر قوله : بقوله : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ على طريقة القول بالموجب ، وجعل ما جعله مستثنى منه مستثنى ليؤذن بالمقصود الأولى نجاة المخلصين ، كما أن مقصود اللعين أولاً الإغواء ، وفيه أن اللعين استقلّ عباد الله المخلصين عدداً ، حيث جعلهم مستثنى ، وأن الله سبحانه وتعالى استكثرهم ، اعتباراً وعداً ، حيث قلب القضية ، ثم فرق ما لكل واحد من الفريقين بقوله : ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾

(١) الزجاج ١٧٨/٣.

(٢) سورة السجدة الآية ١٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٧/٢. والطبري في تفسيره ٧/٢٥. والترمذي ٣٩١/٤ كتاب القدر ، باب ماجاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار ، الحديث رقم ٣٢٢٧. والبيهقي في تفسيره ١١٧٦. والدر المنثور ٣٣٧/٧. والنسائي في تفسيره ٢٦٥/٢. والحديث صحيح . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨٤٨.

وتقام الحديث : وفي يده كتابان ، فقال : أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا : لا ، يارسول الله ، إلا أن تجربنا ، فقال للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آباؤهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار ، وأسماء آباؤهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، فقال أصحابه : فيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال : سدّدوا وقاربوا ، فإن صاحب أهل الجنة يحتم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أيّ عمل ، وإن صاحب النار يحتم له بعمل أهل النار ، وإن عمل أيّ عمل ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فيهما ، ثم قال : فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير .

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ثم أمر حبيبه بالإنباء عن صفتي رحمته وغضبه بقوله: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وأن عذابي هو العذاب الأليم، وفيه أن جانب الرحمة سابق، حيث ما وصف الثواب بالعظم، كما وصف العذاب بالألم، بل وصف ذاته الأقدس على سبيل التوكيد، وتكرير الضمير وتعريف الخبر وإرداف الغفور بالرحيم، وكذا في قوله: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُوعَدَهُمْ﴾، وإن لم يقل: وإنهم لفي جهنم كما قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ إشارة إلى المعنى، كل هذا يدل على أن المشار إليه ما قررناه، وأن سياق الآيات لبيان جريان المشبه، واستبداد الحكم، لا رعاية المصالح ووجوبها، لأن الكلام في بُدْوَ إنشاء الإنسان.

قوله: ((وقرئ ﴿جزء﴾ بالتخفيف والتثقيب))^(١) (٢) قال القاضي^(٣): [قرأ أبو بكر^(٤) ﴿جزء﴾ بالتثقيب]^(٥).

قوله: ((المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه))^(٦) قال الإمام^(٧): [قال جمهور المعتزلة: المتقون هم الذين اتقوا جميع المعاصي، لأنه اسم مدح، فلا يتناول إلا من يكون كذلك، وقال جمهور الصحابة

(١) تفسير قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّعْلُومٌ﴾ الآية ٤٤ من سورة الحجر.

(٢) قرأ الجمهور ﴿جزء﴾ بالهمز، وقرأ ابن شهاب الزهري أبو بكر محمد بن شهاب (جزء) بتخفيف الزاي، وقرأ ابن القعقاع (جزء) بتشديد الزاي دون همز، وتوجيه ذلك: أنه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الزاي، ثم الوقف عليه بالتشديد، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف. انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣١٧/٨، واختسب لابن جني ٤/٢، والإتحاف ٢٧٥.

(٣) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٠/٣.

(٤) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة ١٢٥ هـ. تقريب التهذيب ٣١٨.

(٥) والصواب بالتخفيف، كما هو مبين في الحاشية رقم (٢).

(٦) تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الآية ٤٥ من سورة الحجر. قال (ز):

((المتقي على الإطلاق ... الخ))

(٧) الإمام الفخر الرازي ١٩١/١٩ وذكره بتمامه، بما في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والتابعين : وهو المنقول عن ابن عباس، المتقون هم الذين اتقوا الشرك بالله، والكفر به، وهذا هو الحق الصحيح، لأن المتقي هو الذي أتى بالتقوى مرة واحدة، كما أن الضارب هو الذي أتى بالضرب مرة [وكما أنه ليس من شرطه صدق الوصف بكونه آتياً بجميع أنواع الضرب، فكذا هنا، ومن ثم ذهب المحققون إلى أن ظاهر الأمر لا يفيد التكرار، فظاهر الآية يقتضي حصول الجنات لكل من اتقى عن شيء واحد، إلا أن الأمة مجتمعة على أن التقوى عن الكفر شرط في حصول هذا الحكم، ولأن الآية وردت عقيب قوله : ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾، فوجب أن يعتبر الإيمان فيه، ولا يزداد قيد آخر، لأن التخصيص خلاف الظاهر، فكلما كان التخصيص أقل كان أوفق^(١)، وقلت : قد سبق أن الناس فرقتان : المخلصون والغاؤون، وأن جهنم مقسومة سبعة أقسام، كما جاء عن المفسرين أن الدركة الأولى للموحدين^(٢) يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، فإذا لا بد من تفسير المتقين في هذا المقام بما يتميزون عن الغاوين، لئلا يختل النظم، وهو تفسير المصنف، وإن لم يقصد به ذلك لقوله : ((المتقى على الإطلاق)) ولأن المتقين هم المخلصون المخصوصون في قوله تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ وإنما إخراج العاصين من النار، فيعلم من نصوص آخر، لا من هذه الآية^(٣) .

(١) ذكر هذا المبحث الجليل الفخر الرازي في تفسيره ١٩١/١٩-١٩٢

(٢) قال الضحاك : الطبقة الأولى فيها أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون .

المرجع السابق.

(٣) منها قوله تعالى في سورة النساء الآية ٤٨ : ﴿إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك

لن يشاء﴾.

وقوله : ((وتغلغل))^(١) ، الجوهري^(٢) : [تغلغل الماء في الشجر إذا تخللها] ،
الراغب^(٣) : [الغلل الماء الجاري بين الشجر، وانغلّ بين الشجر ودخل فيها وتخللها].
قوله : ((الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان))^(٤)، يعني : لما جرى
بينهما يوم الجمل، وهي قصة مشهورة.

قوله : ((وإخواناً)) نصب على الحال)) قال أبو البقاء^(٥) : [هو حال من
الضمير في قوله ﴿جنات﴾ أو من الفاعل في ﴿ادخلوا﴾ مقدرة، أو من الضمير في
﴿آمنين﴾]، وقال القاضي^(٦) : [ويجوز أن يكون حالاً من الضمير المضاف إليه،
والعامل فيها معنى الإضافة، وكذا في قوله ﴿على سرر متقابلين﴾ ويجوز أن يكونا
صفتين لـ ﴿إخواناً﴾ أو حالين من ضميره، لأنه بمعنى متصافين، وأن يكون ﴿متقابلين﴾
حالاً من المستقرّ في على سرر^(٧) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سرر متقابلين ﴾ الآية ٤٧ من
سورة الحجر. قال (ز) : الغلّ الحقد الكامن في القلب، من (انغلّ) في جوفه ((وتغلغل)).

(٢) الجوهري في صحاحه ١٧٨٢/٥ مادة (غلل)

(٣) الراغب ٣٦٣ مادة (غلّ).

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١٤-٢٦ عن علي رضي الله عنه من طريق الحارث
الأعور وغيره، (قال) : كنت جالساً عند علي رضي الله عنه إذ جاء ابن طلحة، فقال له علي رضي الله عنه :
مرحباً بك يا ابن أخي، أما والله أنني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ﴾
فقال له قائل : ((الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان)) واحد فقال لمن هذه الآية لا أم لك، انظر الدر
المثور ٨٥/٥. قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الطبراني في الأوسط، والعقيلي، وابن سعد
من طريق الحارث الأعور، وله طريقة أخرى أخرجه الحاكم، من طريق ربعي بن خراش.

(٥) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٨٥/٢ وهكذا قال ابن الأنباري ٧٠/٢.

(٦) القاضي البيضاوي في كتابه الأنوار ١٧١/٣.

(٧) ذكر هذا الإعراب كلها القاضي أبو السعود في تفسير ٨٠/٥.

قوله : ((وعطف ﴿ نَبِّهِمْ ﴾ على ﴿ نَبِّ عِبَادِي ﴾ ليتخذوا ما أحلّ من العذاب بقوم لوط عبرة))^(١) يعني : لما اشتملت الآية على ذكر العذاب، عطف هذه القصة ليضمّنها معنى العذاب . على سبيل الإستطراد، ويمكن أن يقال : إن الآيات السابقة لما اشتملت على الوعد والعيد، وعقبت بقوله : ﴿ إني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو عذاب الأليم ﴾ على الجمع ليكون تقريراً لما ذكر وتمكيناً له في النفوس، كما ذكرت وفصلت بقصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، ليكون حكاية سلام الملائكة وبشارتهم ياسحاق وذكر الرحمة تفصيلاً لقوله : ﴿ أنا الغفور الرحيم ﴾، وقصة لوط ودمار قومه واستئصال شأفتهم تفصيلاً لقوله : ﴿ وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾.

قوله : ((وكان خوفه لامتناعهم من الأكل))^(٢) ، قال في هود^(٣) : [قيل كانت عادتهم أنه إذا مسّ من يطرفهم طعامهم أمنوه، وإلا خافوه، ويقدر في هذا المقام بعد قولهم : ﴿ سلاماً ﴾ قال سلام ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ﴾^(٤)، وقال ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ إلى آخره، وقد سبق^(٥) في هود تحقيقه.

قوله : ((وقرئ نبشرك)) حمزة^(٦) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴾ الآية ٥١ من سورة الحجر.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون ﴾. قال (ز) : ﴿ وجلون ﴾

خائفون ((وكان خوفه ...)) الخ.

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وأوجس منهم خيفة، قالوا لا تحف ﴾ الآية ٧٠ ، ج ٢/ ٤١٠.

(٤) سورة هود الآية ٦٩.

(٥) الآية ٦٩ - ٧٠.

(٦) قرأ حمزة ﴿ نُبَشِّرُكُمْ ﴾ بفتح النون، وتخفيف الباء، والباقون ﴿ نُبَشِّرُكُمْ ﴾ بالتشديد . انظر إرشاد

المبتدي وتذكرة المنتهي للقلانس ٣٩٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٧٥.

قوله : ((أو أراد أنكم تبشروني))^(١) ، قيل : على الأول الاستفهام للتفخيم ، وعلى هذا للتحقير ، وقلت : الظاهر أنه عليه السلام لما أدخل همزة الإنكار في قوله : ﴿ أبشروني على أن مسني الكبير ﴾ جاء باستفهام آخر ، إما لبيان خرق العادة ، وأنه أمر عجيب ، أو لتقرير ذلك الإنكار ، وأن تلك البشارة ليست ببشارة ، وإليه الإشارة بقوله : ((لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء)) .

قوله : ((وقرئ تبشرون))^(٢) قرأ نافع ﴿ فبم تبشرون ﴾ بكسر النون مخففة ، وابن كثير بكسرها مشددة ، والباقون بفتحها . قال أبو علي في الحجة^(٣) : [أراد فبم تبشروني ، فعلة الفعل إلى المضمرة المنصوب ، لأن المعنى عليه ، فأثبت ما حذفه غيره من الكسرة التي تدل على الياء المفعولية ، وحذف النون الثانية ، لأن التكرير بها وقع ، ولم تحذف الأولى التي هي علامة الرفع] ، والمصنف ذهب إلى أن المحذوف نون الجمع ، وقال الإمام^(٤) : [أما الكسر والتشديد فتقديره (تبشرون) أدغمت نون الجمع في نون الإضافة ، وأما الكسر والتخفيف فعلى حذف نون الجمع استقلاً لاجتماع المثليين] ، وقال [أبو حاتم : حذف نافع الياء مع النون ، وإسقاط الحرفين لا يجوز ،

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أبشروني على أن مسني الكبير فبم تبشرون ﴾ الآية ٥٤ من سورة الحجر . قول (ز) : عند ﴿ فبم تبشرون ﴾ هي ما الاستفهامية ، دخلها معنى التعجب ، كأنه قال : فبأي أعجوبة تبشروني ، ((أو أراد أنكم تبشروني)) بما هو غير متصور في العادة ، فبأي شيء تبشرون ، يعني : لا تبشروني في الحقيقة بشيء ، ((لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء)) الخ .

(٢) انظر السبعة لابن مجاهد ٣٦٧ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٨٢-٣٨٣ ، وتوجيه قراءة ابن كثير ﴿ فبم تبشرون ﴾ بتشديد النون مكسورة ، لأن الأصل (تبشروني) النون الأولى علامة الرفع ، والثانية مع الياء في موضع نصب مفعول ﴿ تبشرون ﴾ ، وإنما دخلت لتقي الفعل من الكسر ، ثم أدغمت النون في النون ، وحذفت الياء ، واستغنى بكسرتها ، لأنها نابت عنها .

أما قراءة نافع ﴿ تبشون ﴾ بكسر النون مع التخفيف ، وأصلها (تبشرون) كما ذكرنا ، فاستثقلت النونان معاً ، فحذفت إحداهما وهي الثانية ، لأن التكرير بها وقع ، ولم تحذف الأولى وهي نون الرفع .

(٣) الحجة ٤٥/٥ .

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٩٧/١٩ .

وأجيب : بأن المحذوف حرف واحد، وهي النون التي هي علامة الرفع، على أن حذف الحرفين سائغ، قال تعالى : ﴿ولا تك﴾ وأما فتح النون فعلى غير الإضافة، والنون علامة الرفع، وهي مفتوحة أبداً.

قوله : ((﴿ومن يقنط﴾^(١) بالحركات الثلاث في النون))^(٢) أبو عمرو والكسائي ويعقوب بالكسر، والباقون بالفتح والضم شاذ، قال ابن جني : وهي قراءة الأشهب^(٣) .

قوله : ((وقرئ ﴿من القنطين﴾)) قال ابن جني^(٤) : [قرأها الأعمش ويحيى وطلحة، وهو من قنط يقنط بكسر النون، والقانطين من قنط بفتحها].

قوله : ((استثناء من الضمير في مجرمين، فيكون متصلاً))^(٥)، قال في الانتصاف : [جعله منقطعاً على الأول أولى وأمكن، لأن الاستثناء : إخراج ما لولاه

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ الآية ٥٦ من سورة الحجر.

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف واليزيدي والحسن والأعمش ﴿يقنط﴾ بكسر النون، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحزرة ﴿يقنط﴾ بفتح النون في كل القرآن ، وكلهم قرءوا ﴿من بعد ما قنطوا﴾ بفتح النون. انظر ابن زنجلة ٣٦٧ وإتحاف فضلاء البشر ٢٧٥.

(٣) الأشهب بن رميلة، ذكره المحتسب ١/١٨٥، والشواذ لابن خالوية ٥.

قوله تعالى : ﴿يقنط﴾ بضم النون قرأه يحيى بن يعمر، والأشهب العقيلي، وأبو عمرو وعيسى، انظر متخصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوين ٧ والمحتسب لابن جني ٥/٢ في شواذ القراءات (٤) ذكرها في كتابه المحتسب في تبين وجه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٥/٢.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . إلا آل لوط إنا نجوهم أجمعين﴾ الآيات ٥٧-٥٩ من سورة الحجر. قال (ز) : فإن قلت : قوله تعالى : ﴿إلا آل لوط﴾ استثناء متصل أو منقطع . قلت : لا يخلو من أن يكون استثناء من ﴿قوم﴾ فيكون منقطعاً، لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، وأن يكون ((استثناء من الضمير في ﴿مجرمين﴾ فيكون متصلاً)) كأنه قيل : إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم ، وبذلك قال : أبو حيان في البحر ٥/٤٦٠ : إلا أنه رجح الإنقطاع لأن آل لوط لم يندرجوا في قوله : ﴿قوم مجرمين﴾ لأن وصف الإجرام منتف عنهم، فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه. وانظر الفخر الرازي ١٩٩/١٩ ذكر القولين أيضاً

لدخل في حكم الأول ، و﴿قوم﴾ نكرة، فعوده إلى الضمير المعرفة متعذر، ولذلك قلّ أن يستثنى من النكرة إلا في سياق النفي، لأنها تعمّ فيتحقق الدخول لولا الاستثناء، فلا يحسن : رأيت قوماً إلا زيداً وحسن ما رأيت أحداً إلا زيداً[وقلت : ليس ما نحن بصدده من قبيل رأيت قوماً إلا زيداً، بل من قبيل رأيت قوماً أساءوا إلا زيداً على أن قوماً في الآية قوم معروفون محصورون، وإن كان منكوراً بدليل قوله تعالى في العنكبوت : ﴿ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظلمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله ﴾^(١)، فلو لم يكن آل لوط داخلين فيما سبق، لم يحسن منه أن يقول : ﴿إن فيها لوطاً﴾، ولو لم يكونوا محصورين لم يقولوا : ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ وههنا لما سأل الخليل عليه السلام عن الرسل ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أجابوا : ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أي قوم معروفين، تعرفهم أنت، ونحن لا يخفى علينا ولا عليك شيء من أحوالهم.

قوله : ((وعلى أنهم أرسلوا)) عطف على محذوف عطف تفسير كأنه قيل : إن آل لوط مخرجون من حكم الإرسال، بناء على ما علم، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة^(٢)، وكذلك تقدير قوله : ((وعلى أن الملائكة)) أي فهم داخلون في الإرسال، بناء على ما عرف، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً.

قوله : ((قد اختلف الحكماء، لأن ﴿إلا آل لوط﴾^(٣) متعلق بأرسلنا ﴿إلا امرأته﴾ قد تعلق بـ﴿منجّوهم﴾^(٤)، قال صاحب التقريب : وقد يتوهم أن الإرسال

(١) سورة العنكبوت الآية ٣٢.

(٢) وعلى هذا يكون الطيبي مرجحاً كون الاستثناء متصلاً، حيث جعل قوله ﴿قوم﴾ كأنها معرفة وليست نكرة، وأن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وهم قوم لوط، وينجوا آل لوط، على أن الاستثناء منفصل، فأرسل الملائكة لقوم لوط لأجل إهلاكهم . انظر الفخر الرازي ١٩٩/١٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ الآية ٦٠ من سورة الحجر . قال (ز) : ﴿إلا امرأته﴾ مم استثنى، وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت : استثنى من الضمير الجرور من قوله ﴿لننجوهم﴾ الخ. ثم قال : فأما في الآية، فقد اختلف الحكماء، لأن ﴿إلا آل لوط﴾ متعلق بـ﴿أرسلنا﴾، أو بـ﴿مجرمين﴾ و ﴿إلا امرأته﴾ تعلق بـ﴿منجّوهم﴾ . انظر النسفي ٢٧٥/٢.

إذا كان بمعنى الإهلاك، فلا اختلاف إذا لتقدير إلا آل لوط لم نهلكهم، فهو بمعنى ﴿منجّوهم﴾. وجوابه : أن الإستثناء من الاستثناء شرطه أيضاً أن لا يتخلل لفظ بين الاستثناءين متعدّد يصلح مستثنى منه، وههنا تخلّل ﴿إنا لمنجّوهم﴾، فلو قال : إلا آل لوط إلا امرأته، لجاز ذلك وقلت : لا سيما إن قوله ﴿إنا لمنجّوهم﴾ على تقدير أن يكون الإستثناء متصلاً جملةً مقطوعةً عما قبلها على تقدير سؤال سائل، فيبعد من البليغ أن يجعل ما في حيزه متعلقاً بما قبله . وقال أبو البقاء^(١) : [والإستثناء إذا جاء بعد الاستثناء كان الإستثناء الثاني مضافاً إلى المبتدأ، كقولك : له عندي عشرة إلا أربعة إلا درهما، فإن الدرهم مستثنى من الأربعة، فهو مضاف إلى العشرة^(٢)، فكأنك قلت : أحد عشر إلا أربعة أو عشرة إلا ثلاثة].

قوله : ((وقرئ ﴿منجّوهم﴾ بالتخفيف والشّقليل^(٣) ، بالتخفيف حمزة والكسائي وأبو بكر^(٤)).

(١) أبو البقاء العكبري ٧٦/٢.

(٢) وكذا قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ١٩٩/٢ وبه قال القاسم بن سلام، وتقدير ذلك : ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾ فاستثناءهم من المجرمين، ﴿إلا امرأته﴾ فاستثناءها من قوم لوط، فصارت مع المجرمين.

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمر، وابن عامر بالتشديد ﴿إنا لمنجّوهم﴾.

(٤) أبو بكر بن عياش الأسدي النهشلي الكوفي الحافظ، ولد سنة ٩٥ ومات سنة ١٩٣هـ، راوي عاصم، وأخذ عنه جماعة منهم الكسائي وخلاد، وكان من أئمة السنة، وذكر عنه النخعي ويحيى بن معين : أنه لم يفرش له فراش خمسين سنة لزهده وكثرة عبادته. انظر الحجة لابن زنجلة ٥٨ وإرشاد المبتدئ للقلانسي ٣٩٨.

إلا أنه لم يقرأ بالتخفيف هنا، وإنما قرأ به في الأنعام هو وابن كثير ﴿منجوك﴾ وكذلك قرأ بالتخفيف خلف ويعقوب، مثل حمزة والكسائي، فالطبي ذكر أبابكر هنا، وهو خطأ، وترك خلف ويعقوب، وهو سهو. انظر القلانسي ٣٩٨ والبسوط في القراءات العشر ٢٢١ والإتحاف ٢٧٥.

قوله : ((ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم))^(١) أي : المعتزلة يقولون : إن معنى قوله : إن الله قدر على العباد، عِلْمٌ بدليل قوله تعالى ﴿حَقَّتْ كلمة العذاب على الكافرين﴾^(٢) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ، وتلك كناية معلوم، لا كناية مقدر ومراد، تعالى الله عن ذلك . والأصل ﴿قَدَرْنَاها من الغابرين﴾ فعلقه عن العمل باللام، ثم جاء بـ﴿إِنْ﴾ . قال القاضي^(٣) : [ويجوز أن يكون ﴿قَدَرْنَا﴾ مجري مجرى قلنا، لأن التقدير بمعنى القضاء قول، وأصله جعل الشيء على مقدار غيره]، وقال صاحب الانتصاف : [هذا من دفائن الزمخشري في الاعتزال في جحد القضاء والقدر، إذ المعتزلة يمنعون تعلق القدرة بالمعاصي، فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة، ثم استدلّ على أن التقدير بمعنى العلم، بتعليق فعله . وفي كلامه شاهد على رده، لأن التضمنين من شأنه أن يبقى المعنى الأصلي مضافاً إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعاً، فالتقدير : كما أفاد العلم الطارئ أفاد الإرادة أيضاً، على أن من الناس من جعل قوله تعالى ﴿قَدَرْنَا إِنها لمن الغابرين﴾ من كلامه تعالى غير مَحْكِي عن الملائكة^(٤)، وهو الظاهر لأن القائل بالأول يحتاج إلى التأويل، كما قال الزمخشري أي ((إنه من باب قول خواص الملك))، لأننا إذا جعلنا ﴿قَدَرْنَا﴾

(١) تفسير قوله ﴿قَدَرْنَا إِنها لمن الغابرين﴾ قال (ز) : فإن قلت : لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله : ﴿قَدَرْنَا إِنها لمن الغابرين﴾ والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟ قلت : لتضمن فعل التقدير معنى العلم ((وكذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم)) وقد ردّ أحمد بن المنير بما فيه كفاية على مذهبه الاعتزالي، فأغنى عن التعليق.

(٢) سورة الزمر الآية ٧١.

(٣) القاضي البيضاوي في الأسرار ١٧٢/٣.

(٤) يقول (ز) : فإن قلت : فلم أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، وهو الله وحده، ولم يقولوا : قدر الله، قلت : لما لهم من القرب والإختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة الملك : دبرنا كذا ... الخ. فإسناده للملائكة يحتاج إلى دليل كما قال الإمام أحمد بن المنير. وانظر حاشية محي الدين زاده على البيضاوي ١٥٩/٣

بمعنى علمنا ﴿إِنهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ فلا غُرُوْ في علم الملائكة ذلك يا خبار الله إِيَّاهُمْ بِهِ،
 إنما يحتاج إلى التأويل من جعل ﴿قَدَرْنَا﴾ بمعنى قضينا، وجعله من قول الملائكة.
 الانتصاف (١) : [القول بأن التضمن يقتضي إرادة الفعلين المضمن والمضمن فيه معاً
 مردوداً، فإنه يجوز أن يؤتى فيه بما يقتضيه أحدهما دون الآخر، فكأنه معمول أحدهما
 خاصة، ألا ترى إلى قوله : قد قتل الله زياداً، عنى ضَمَّن قتلَه، وأي يعنى التي هي
 معمول صرفه لا معمول قتلَه]، وقلت : [هذا خطأ لأن التقدير : قد صرف الله
 زياداً، عن أنكم قتلاً أو قتل مستعار للصرف على سبيل التبعية والقرينة الجار.
 الراغب (٢) : [الغابر الماكث بعد مضي ما معه قال تعالى ﴿إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾
 يعني : قد طال أعمارهم. وقيل : فيمن بقي ولم يسر مع لوط. وقيل : فيمن بقي في
 العذاب، ومنه الغُبْرَةُ : البقية من اللبن في الضرع].

قوله : ((بدليل قوله : ﴿بَلْ جَنَّاتٌ﴾ (٣) يريد أن قوله : ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ
 منكرون﴾ كناية عن أنكم قوم يخاف منكم الشر، لأن قوله : ﴿بَلْ جَنَّاتٌ﴾ بما كانوا
 فيه يمترون كناية عن الفرح والتشفي، لأنه أضرب به عن الخوف، وذلك أن من
 ينكر شيئاً ينفر منه، وإنما ينفر منه إذا توهمه شراً مخوفاً، وكذا قوله : ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ
 يَمْتَرُونَ﴾ كناية عن العذاب، لأنهم كانوا يشكون نزوله، ونزوله عليهم سبباً لتشفي
 لوط عن غيظه، لأنه كان يكابد منهم المشاق، كأنه قال : إنكم قوم يخاف منكم
 الشر، فقالوا : مجاوبين : بل نحن ممن يرجى منا الخير والفرح.

قوله : ((صاحب إلا قليد)) (٤) .

(١) لأحمد بن المنير.

(٢) المفردات للراغب ٣٥٧ مادة (غبر).

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿قَالُوا بَلْ جَنَّاتٌ﴾ بما كانوا فيه يمترون الآية ٦٣ من سورة الحجر. فقوله :

﴿منكرون﴾ أي : تنكرون أنفسكم وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشر، بدليل قوله : ((بَلْ جَنَّاتٌ﴾ بما كانوا
 فيه يمترون)).

(٤) قيل : هو تفسير لأبي الفتح الهمداني، بإسكان الميم، منسوب إلى قبيلة من اليمن.

قوله : ((افتحي الباب)) البيت (١) ، كأنه طال عليه الليل، يخاطب ضجيعته بذلك، أو كان يحب طول الليل للوصال.

قوله : ((شيء صالح من الليل)) أي قطعة طويلة منه، العرب تقول : مضى من عمري شيء، أي : مدة طويلة .

قوله : ((ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيه عن الالتفات)) يعنى : كان يكفي في الهجرة أن يقال : ﴿ فأسر بأهلك ﴾ فما معنى التميم بهذين القيدين؟، وخلاصة الجواب أن تلك النجاة كانت نعمة من الله مطلوبة تستحق الإقامة بواجب الشكر لها، وذلك الشكر لا يتم إلا بفراغ من البال من كل وجه، فأمر باتّباع أدبارهم لئلا يشتغل عن إدامة الشكر، بسبب تعلّق قلبه بمن خلفه، ونهوا عن الالتفات، لئلا ترقّ قلوبهم إذا نظروا إلى ما ينزل على قومهم، فيشتغل قلبه عن إدامة الشكر. الانتصاف (٢) : [اشتملت الآية مع وجازتها على آداب المسافرين في دين ودنياً من أمير ومأمور وتابع ومتبوع].

قوله : ((يقدم سربه)) (٣) ، النهاية (٤) : [السرب بالكسر، والسربة القطيع من الظباء والقطا والخيول ونحوها، ومن النساء على التشبيه بالظباء].

قوله : ((ويفوت به)) فاتني بكذا : سبقني به، وذهب به عني في الأساس (٥) ، والضمير في ((به)) راجع إلى السرب.

قوله : ((ويمضوا قُدماً)) بضمّتين، يقال : ومضى قُدماً : لم ينش، ولم يعرج.

(١) تمامه :

** افتحي الباب وانظري في النجوم ** كم علينا من قطع ليل بهيم **.

(٢) الانتصاف للإمام أحمد بن المنير حاشية للزمخشري ٥٨٤/٢.

(٣) تفسير قوله : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣٥٦/٢ مادة (سرب).

(٥) أساس البلاغة للزمخشري ٤٨٣ مادة (فوت).

قوله : ((تلفت نحو الحي)) البيت (١) ، قال المرزوقي (٢) : يقول : أخذت بسيري لما أبصرت حال نفسي، وتأثير الصبابة فيها، ملتفتاً إلى ما خلفته من الحي، حتى وجدتني وجع الليت، أي صفحة العنق، والأخدع، وهو عرق فيها لطول إصغائي ودوام التفاتي، كل ذلك تحسراً في أثر الفات من أحبابي وديارهم، وتذكر أطيب أوقاتي معهم فيها.

قوله : ((وعدى وامضوا)) إلى ((حيث)) تعدية إلى الظرف المبهم (٣) يعني : ((حيث)) على تقدير النصب على الظرف لا يحتاج إلى (في) ، لأنه مبهم، والظرف المبهم منصوب، والمؤقت حكمه كحكم ما ليس بظرف، فيحتاج إلى (في)، وكذلك الضمير في ((تؤمرونه)) مبهم، نظر إلى تقديره، وهو راجع إلى حيث، ولو كان مؤقناً لقليل : تؤمرون فيه.

قوله : ((يعني يستأصلون عن آخرهم))، الراغب (٤) : [قطع دابرة الإنسان : إفناء نوعه. قال تعالى : ﴿ فَقُطِّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (٥) .

(١) تمامه :

** تلفت نحو الحي حتى وجدتني ** وجفت من الإصغاء ليتاً وأخدعاً **

انظر مشاهد الانتصاف على شواهد الكشف ٥٨٤/٢.

(٢) المرزوقي : أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي، عالم بالأدب من أهل أصبهان، له شرح على ديوان الحماسة لأبي تمام. انظر الأعلام ٢١٢/١، ومعجم الأدباء ٣٤/٥. والبيت المذكور للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الخارث.

(٣) انظر حاشية محي الدين شيخ زادة على البيضاوي، فذكر هذا الوجه ١٦٠/٣ يشير إلى أنه عدى فعل ((وامضوا)) إلى ((حيث)) بدون (في)، وكذلك عدى ((تؤمرون)) إلى ضميره المحذوف، أي : (تؤمرونه) على الإتساع، لأن ((حيث)) من الظروف غير الملازمة للظرفية، ولذا جاءت مفعولاً في قوله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ الأنعام الآية ١٢٤.

(٤) الراغب ١٦٤ مادة (دبر).

(٥) سورة الأنعام الآية ٤٥.

قوله : ((أهل سدوم))^(١) في تهذيب الأزهرى : [سدوم بالذال المعجمة] وفي
الصحاح^(٢) : [بفتح السين والذال غير معجمة، قرية قوم لوط عليه السلام].
قوله : ((أولا تشوُّروا بي))، الجوهرى^(٣) : [شورت الرجل فتشور، أي :
خجلته فتخجل].

قوله : ((وبين المعترض له)) الضمير في (له) عائد إلى اللام لأنها موصولة.
قوله : ((إن كنتم تريدون قضاء الشهوة)) عن المصنف الأوجه، أن يكون
ذلك بناءً على طريقتهم وحالهم في ركوب ما لا يحلّ لهم، كأنه قيل : إن كنتم لا بدّ
راكبين ما لا يحلّ لكم، فعليكم بمحالّ المباشرة التي تعارفها الناس دون المنكر الذي لم
تسبقوا إليه..

قوله : ((وقيل : الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم))^(٤)، قال
صاحب الفرائد : لما أمكن الحمل على ما هو المفهوم من ظاهر الكلام وجب الحمل
عليه، إذ التقدير بغير ضرورة لا يجوز، وإلا لم يبق للنقل اعتبار أصلاً، لأنه ما من نقل
إلا وأمكن التقدير فيه، فوجب الحمل على أنه تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه

(١) سدوم : مدينة من مدائن قوم لوط، كان قاضيها يقال له سدوم، وقيل : سدوم بالذال، معجم
البلدان ٢٠٠/٣.

(٢) الجوهرى في صحاحه ١٩٤٩/٥ مادة (سدوم).

(٣) الجوهرى ٧٠٥/٢ مادة (شور).

ملخص كلام الزمخشري : لا تحزون ولا تذلون يا ذلال ضيفي، من الخزي وهو الإذلال والهوان. وقيل :
ولا تشوُّروا بي من الخزية وهي الخياء، وفي الصحاح : الشوار : فرج المرأة والرجل، ومنه قيل : شوره، أي :
كأنه أبدى عورته، وكان لوطا عليه السلام ينهى عن المنكر، ويحجز بينهم وبين الناس، ولا يقبل التعرض
للمنكر، فأوعروه، وقالوا : ﴿لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾.

(٤) وأنه أقسم بحياته، وما أقسم بحياة أحد قطّ كرامة له، والله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وهو
أكرمها، ولا يجوز لمخلوق أن يقسم بمخلوق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان حالفاً فليحلف
بالله أو ليصمت).

وسلم. وقلت : أراد أن قوله تعالى : ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ جملة معترضة للنفي عليهم، وتماديهم في ارتكاب تلك الفاحشة، لأن في عرض نبي الله لوط أفلاذ كبده على القوم، دليلاً على بلوغ الغاية في الأمر، وأنه بلغ السيل الزبى^(١)، وجاوز الحزام الطُّبِّيْنِ^(٢)، كأنه قيل : يا محمد، بحياتك أقسم إنهم لفي سكرتهم يعمهون، مستمرّون، فاستحضر تلك الحالة في مشاهدتك، وتعجب لها، يدلّك عليه صيغة المضارع، وقال محي السنة : [لعمرك يا محمد وحياتك] عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلوات الله عليه، وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته^(٣) وكذا عن الإمام.

قوله : ((المتبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء))^(٤)، كأنه حدّ المتفرسين، وهو قول مجاهد^(٥)، قال السجاوندي^(٦) : المتوسّم الذي يعلم باطن الشيء

(١) مثل يضرب لما جاوز الحدّ، انظر مجمع الأمثال للمبداني ص ١٥٨ رقم المثل ٤٣٦. والزبى : العالي من الأرض.

(٢) (جاوز الحزام الطُّبِّيْنِ) مثل يضرب عند بلوغ الشدة منتهاها . المرجع السابق ٢٩٥/١.

(٣) أخرجه الطبري ٤٤/١٤، والمطالب العالية ٣٤٧/٣، وسكت عليه البصري.

(٤) قول الزمخشري ((المتبتون...)) تفسر لقوله : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾، أي : المتفرسين التأملين، وحقيقة المتوسمين : النظار المتبتون في نظرهم، حتى يقفوا على حقيقة سمة الشيء، يقال : توسمت في فلان كذا، أي : عرفت وسمه فيه.

(٥) مجاهد بن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الخجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، أخذ عن ابن عباس التفسير وغيره، مات سنة ١٠٤هـ، وعمره ٨٣ سنة، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤، وتذكرة الحفاظ ٨٤/١.

(٦) السجاوندي : محمد بن طيفور الغزنوي، مفسر مقرئ، من تآليفه عيون المعاني في التفسير وعلل القراءات، انظر طبقات المفسرين للداودي ١٥٥/٢، وهو مقرئ نحوي، مات في وسط المائة السادسة، وانظر أيضاً طبقات القراء لابن الجزي ١٥٧/٢.

بِسْمَةِ ظَاهِرِهِ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ^(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾) .

قوله : ((ومطمّر البناء))، الجوهري^(٢) : المطمر الزيج الذي يكون مع البنائين.

قوله : ((والحجر واديهم))، الراغب^(٣) : [سمي ما أحيط به الحجارة حجراً، وبه سمي حجر الكعبة وديار ثمود وعاد].

قوله : ((لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً))^(٤)، يعني : التعريف في المرسلين للإستغراق، فهو هنا كناية، لأن الرسول من أتى بكتاب بعد إظهار المعجزة^(٥)، وكل من لم يصدّق هذا المعنى وردّه فقد أعمّ التكذيب والردّ.

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٨/٥ رقم الحديث ٣١٢٧ كتاب التفسير، باب ١٦، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال أبو عيسى الترمذي : حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم. وانظر كشف الخفاء ٤٢/١.

(٢) الجوهري ٧٢٦/٢. قال : والمطمّر : الزيج الخيط الذي يكون مع البنائين، مادة (طمر).
تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ للإمام مبین ﴿ لبطريق واضح، والإمام : اسم لما يؤتم به، فسمي به الطريق، ومطمّر البناء، واللوح الذي يكتب فيه، لأنها لما يؤتم به.

(٣) الراغب، مادة (حجر) ١٠٨.

والحجر هو الوادي الذي يسكن فيه ثمود، بين المدينة والشام.

(٤) (المرسلين) يعني صالحاً عليه السلام، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب الرسل جميعاً، أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين، كما قيل : الخبيثون في ابن الزبير وأصحابه.

(٥) في التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني : الرسول : هو من أوحى إليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب

من الله ص ٢٣٩.

قوله : ((الحُبَيْبُونَ فِي ابْنِ الزُّبَيْرِ)) قال ابن عبد البر^(١) : كنيته أبو بكر^(٢)، وله كنية أخرى أبو خبيب. الجوهري^(٣) : [الخُبَيْبَةُ : رخاوة الشيء واضطرابه، وخبيب اسم رجل وهو : خبيب بن عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله يكنى بأبي خبيب، والخُبَيْبَانِ : عبد الله بن الزبير وابنه، وقيل : هو وأخوه مصعب، فمن روى الحُبَيْبُونَ على الجمع يريد ثلاثتهم، قال ابن السكيت^(٤) : يريد أبا خبيب ومن كان على رأيه].
قوله : عن جابر^(٥) ... الحديث، رويناه عن البخاري ومسلم عن ابن عمر مع تغيير يسير.

قوله : ((فَإِنَّهُ مَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لَذَلِكَ))، أي^(٦) : للانتقام من الأعداء، وإعطاء الجزاء للأولياء، بيان الحصر هو أن الله سبحانه وتعالى

(١) ابن عبد البر الإمام حافظ المغرب شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الحسان، ولد سنة ٣٦٨هـ، ومات ٤٦٣هـ، من تصانيفه : التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٤، وترتيب المدارك لعياض ٨٠٨/٤.

(٢) ذكر ابن عبد البر أنه يكنى أبا بكر، ويكنى أيضاً أبا خبيب، انظر الاستيعاب مع الإصابة ٣٠٩-٣٠٠/٢ لابن عبد البر، والإصابة لابن حجر.

(٣) الصحاح مادة (خبب) ١١٨/١.

(٤) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، والسكيت لقب أبيه إسحاق، مات سنة ٢٤٣هـ من أئمة اللغة والنحو والأدب، ولا حظ له في علم السنن، من كتبه إصلاح المنطق. انظر سير أعلام النبلاء ١٦/١٢.

(٥) لم أجده من حديث جابر، وهو في صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحاب الحجر : (لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم). أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، رقم ٢٩٨٠. والنسائي في تفسير سورة الحجر ٦٣٣/١. والبخاري مع فتح الباري ٣٨١/٨ كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ رقم ٤٧٠٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ قال : وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم، ((فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك)).

قال : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية...﴾ والحق : هو العدل والإنصاف، وهما إنما يَسْتَمَان بوجود جزاء المحسن والمسيء، وإن الدنيا ليست بدار جزاء، بل هي دار البلاء والتكليف، فلا بدّ من يوم الدين ليصل إلى كل ذي حقّ حقّه، كقوله تعالى : ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزّي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾^(١) ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى، والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾^(٢).

قوله : ((أو أن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم))^(٣) عطف على قوله : ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ الذي خلقك وخلقهم، والوجهان مبنيان على تفسير ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ لأنه كالتعليل له، فالوجه الأول مبني على أن الآية من باب المخالفة، وهي غير منسوخة. والثاني : على أنه من باب المداراة والاصطبار، هذا هو الظاهر، لأنه تعالى لما أتم الاقتصاص تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإرشاداً له إلى الإكتساء بلباس الصبر اقتفاءً بهم^(٤)، أتى بخاتمة جامعة للتسلي، وهي الإنتقام في العاقبة من أعدائه، وإيصال الجزاء إليه لحسناته، وللأمر بالمداراة والصبر على المكابرة، وجعلها تخلصاً إلى مشرع آخر، وهو قوله : ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ الآيات، وفيه حديث الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا، وهو من أعظم أنواع الصبر.

(١) سورة يونس الآية ٤.

(٢) سورة الأحقاف الآية ١.

(٣) ذكر (ز) عند تفسير قوله ﴿الخلاق العليم﴾ : إي : العليم بحالك وحافهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم، وهو يحكم بينكم، ((أو أن ربك هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم)) وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح.

(٤) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الزخرف الآية ٨٩ : ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾، وقوله في سورة البقرة الآية ١٠٩ ﴿ففعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾.

قوله : ((كقولك : قطع الثياب))^(١) ، قيل : فيه نظر، لأن باب التفعيل لا يختصّ بهذه، وشاهده الصيغة الموضوعية، كالنساج والقطاع، لأجل الحرف، وجوابه : أنه قد علم أن باب التفعيل إذا كان مما نقل من أصل إليه أفاد بحسب المقام، إما المبالغة، وإما التكثير، كما سبق في قوله تعالى ﴿ ليس بظلام للعبيد ﴾^(٢)، إذا كان موضوعاً كذلك، نحو ﴿ كلم الله موسى تكليماً ﴾^(٣)، لم يقدر ذلك ﴿ والخلق ﴾ من قبيل الأول .

وقوله : ((وقيل : هي آل حم))^(٤) عطف على قوله ((وهي الطول)) أي : السور المختصة بذكر حم في أوائلها، قال جماعة سور اجتمعن اجتماع القرابات، ولأن آل إنما يستعمل في قرابات من له شأن ورفعة، كما يقال : آل محمد وآل إبراهيم، وقال تعالى : ﴿ مما ترك آل موسى وآل هرون ﴾ أي : موسى وهرون.

قوله : ((مثناة)) وروى : مثناة عن نسخة المصنف أو مثنية، أي : المثاني، واحدها إمّا مثناة أو مثنية، اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية، فإن الآية إما أن تتلى مكررة، أو هي مثنية، كأنها تُتلى على الله بصفاته الحسنى على الإسناد المجازي، أو الإستعارة^(٥)، المكنية.

(١) يشير إلى قول (ز) : يعني لما في مصحف عثمان وأبي ﴿ إن ربك هو الخالق ﴾ وهذه الصيغة تصلح للمبالغة وعدمها، أما صيغة ﴿ الخلاق ﴾ فهي للمبالغة فقط، ((كقولك : قطع الثياب، وقطع الثوب والثياب)) هـ . وهذه القراءة قرأ بها زيد بن علي، والجدري، والأعمش، ومالك بن دينار، وهي التي في مصحف أبي عثمان رضي الله عنهما، انظر البحر المحيط ٤٦٥/٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٥١.

(٣) سورة النساء الآية ١٦٤.

(٤) قول (ز) ((وقيل هي آل حم)) لأنهم اختلفوا في قوله ﴿ سبعاً ﴾ من المثاني، قيل : سبع آيات وهي الفاتحة، أو سبع سور، وهي الطوال، واختلف في السابعة، فقيل : الأنفال وبراءة، لأنهما في حكم سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بينهما بالسملة، وقيل : سورة يونس، ((وقيل : هي آل حم)) . والطوال : البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف.

(٥) الإستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به . ومكنية : وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه . جواهر البلاغة ٣١٣ والبلاغة الواضحة ٧٥-٧٦.

قوله : ((وأما السور))^(١) عطف من حيث المعنى على قوله : ((لأن الفاتحة))
[مما يكرر، والتقدير^(٢) : أما الفاتحة] فكذا ((وأما السور)) فكذا كقوله تعالى
﴿والراسخون في العلم يقولون﴾^(٣) بعد قوله ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ كما سبق
في موضعه.

قوله : ((وللبيان إذا أردت الأسباع)) فلا يجوز على هذا البعضية كما
جازت في صورتين، لأن القرآن في نفسه أسباع، قال الزجاج^(٤) : [دخلت (من)
للتبعض، أي : ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات، يشئ بها على الله تعالى،
وآتيناك القرآن العظيم، ويجوز أن تكون السبع هي المثاني، وأن تكون (من) للصفة،
كقوله تعالى : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾^(٥) أي : فاجتنبوا الأوثان].

قوله : ((ولقد آتيناك ما يقال له : السبع المثاني والقرآن العظيم)) وهو قوله
تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء﴾^(٦) أي كتاباً جامعاً بين هذين
الوصفين.

قوله : ((أصنافاً من الكفار)) تفسير لقوله : ﴿أزواجاً منهم﴾، الراغب^(٧) :
[الزوج يقال لكل من القرينين، من الذكر والأنثى كالحیوانات المتزاوجة، وفي غيرها

(١) قوله تعالى : ﴿من المثاني﴾ يعني (ز) : أنها من التنية، وهي التكرير، لأن الفاتحة مما تتكرر
قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من التناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة ((مشاة، أو مشية))
((وأما السورة أو الأسباع)) فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعيد وغير ذلك.

(٢) الفاتحة [مما يتكرر، والتقدير أما الفاتحة] فكذا ما بين القوسين س من ا ، م.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) ذكره في كتابه معاني القرآن ١٨٤/٣.

(٥) سورة الحج الآية ٣٠.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٤٨.

(٧) الراغب في المفردات ص ٢١٥-٢١٦ مادة (زوج).

كأخفّ والنعل، ولكل ما يقرن بآخر مماثلاً له أو مضاداً، قال تعالى : ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾^(١)، أي : أقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم، قال تعالى : ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾^(٢) أي أشباهاً وأقراناً.

قوله : ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) قلت : هذا لا يصلح للاستشهاد، لما رويناه عن أبي داود عن أبي لبابة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)^(٣) ، قال : فقلت لابن أبي مليكة^(٤) : يا أبا محمد : أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال : يحسنه ما استطاع. النهاية^(٥) : [ويشهد له الحديث الآخر (زينوا القرآن بأصواتكم)^(٦) وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند

(١) سورة الصافات الآية ٢٢.

(٢) سورة طه الآية ١٣١.

(٣) ذكر (ز) : هذا الحديث : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي فعليك أن تستغني بالقرآن عن غيره.

أخرجه البخاري مع فتح الباري ٥٠١/١٣ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وأسرؤا قولكم أو اجهروا به﴾ الآية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن - وزاد غيره - يجهر به) . وأبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة برقم ١٤٦٨ من حديث أبي مليكة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . وأحمد في مسنده ١٧٢/١ ، ١٧٥ ، ١٧٩ . والدارمي في سننه ٥٦٣/٢ . والحاكم في المستدرک ٥٦٩/١ ، ٥٧٠ .

واستدلال الزمخشري بهذا الحديث على الآية المذكورة استدلال في غير محله كما قال الطيبي، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري الآنف الذكر (ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به) فلنظ يجهر به دال على تحسين الصوت دلالة واضحة والله أعلم.

(٤) ابن أبي مليكة : عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة بالتصغير بن عبد الله بن جدعان، يقال : اسم أبي مليكة : زهير التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه من الثالثة، مات ١١٧، التقريب ١٨١، والتهذيب ٣٠٦/٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٣٩١/٣ مادة (غنى).

(٦) قوله صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل برقم ١٤٦٥ من حديث البراء بن عازب. والنسائي كتاب افتتاح الصلاة، باب تزوين القرآن بالصوت ١٧٩/٢ - ١٨٠، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت

العرب غناءً]، قال في الانتصاف^(١) : [حمل كثير من العلماء، الحديث، على الغناء وقالوا : التغني من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور، وأن فعله استغنى خاصة، وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور، ففي الحديث الصحيح: (وأما التي له ستر فرجل ربطها تغنياً)^(٢) وتعففاً، وإنما هو من الغنى المقصور، وهو مصدر تغنى، فدل على جواز استعماله في البناءين جميعاً]. قال الجوهرى^(٣) : [الغناء بالكسر من السماع والمقصور اليسار، أي: استغنى وأغناه الله].

قوله : ((وَعَصَوْهُ))^(٤)، بفتح الصاد، أي : جعلوا القرآن أجزاء قيل : أمر الله أن يكونوا لرسول الله مُعَزِّين فكانوا عليه عزيين، وأن يجعلوا القرآن عظات، فجعلوه عضيين.

قوله : ((وقيل : كانوا يستهزؤون به)) عطف على قوله ((قالوا بعنادهم وعداوتهم)).

بالقرآن رقم ١٣٤٢، ٤٢٦/١. واحد في مسنده ٢٨٣/٤ - ٢٨٥ - ٢٩٦ - ٣٠٤. والدارمي ٥٦٥/٢، والحاكم في المستدرک ٥٧١/١، ٥٧٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٩٤/٣.

(١) ٥٨٨/٢ مع الزمخشري للإمام أحمد. بسم المصنف

(٢) يشير إلى حديث أبي هرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر ... إلى أن قال : ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ... الخ، أخرجه البخاري مع الفتح ٧٢٦/٨، كتاب التفسير، باب قوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ رقم ٤٩٦٢، وكذلك في المناقب رقم ٣٦٤٤، ٣٦٤٦، والاعتصام برقم ٧٣٥٦، والجهاد والسير رقم ٢٨٦٠، والمساقاة برقم ٢٣٧١. ومسلم كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة حديث ٢٤. والموطأ ٤٤٤/٢. كتاب الجهاد، رقم ٣.

(٣) الجوهرى ٢٤٤٩/٦ - ٢٤٥٠ مادة (غنى).

(٤) تفسير قوله ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم، بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل، مخالف لهما فاقسموه إلى حق وباطل. ((وَعَصَوْهُ)) أي : فرقوه.

قوله : ((وهذه تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم)) أجب عن السؤال بوجهين^(١) أحدهما أن يتعلق (كما أنزلنا) بقوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ والمقتسمون اليهود والنصارى، وهم إما اقتسموا القرآن اجزاء استهزاء واقتسموا كتبهم تحريفاً فأقروا ببعض، وكذبوا ببعض، ومكان التسليّة هذا الثاني، وذلك أن قريشاً لما جزءوا القرآن إلى سحر وشعر وأساطير، قيل له صلى الله عليه وسلم : لا تحزن، ولا يكن في صدرك حرج، للقرآن أسوة بالتوراة والإنجيل، وإليه الإشارة بقوله : ((وهذه تسليّة)) بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم بالقرآن بعنادهم وعداوتهم.

قوله : ((ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين))^(٢) منصوباً بـ(نذير) عطف على قوله : ((وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين)) لأنه على ذلك التقدير مجرور صفة للمقتسمين، وعلى الأول النذير مطلق في المنذر والمنذر به ، وعلى هذا المنذر الذين جعلوا القرآن عضين والمنذر به ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾، وإليه الإشارة بقوله : ((أنذر المعضين)) وهو بفتح العين جمع مُعَضٍ اسم فاعل من عضى الشاة إذا جزأها.

قوله : ((على أن يتوا صالحاً، وذلك في قوله تعالى : [قالوا تقاسموا بالله لنبئنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ﴾^(٣))) والقصة المذكورة في تفسير هذه الآية.

(١) في م (بجوابين).

(٢) فيكون منصوباً بالنذير أن أنذر المعضين الذين جعلوا القرآن إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير، مثل ما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، لينقروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم . أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً عليه السلام، كما قص الله عنهم في قوله : ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللّٰهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ الآية ٤٩ من سورة النمل.

(٣) سورة النمل ٤٩.

قوله : ((لما كان ذلك تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم)) أي : لما كان تشبيه إنزال السبع المثاني بإنزال الكتابين على المقتسمين من اليهود والنصارى على ما سبق تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن قوله : ﴿ ولا تمدن ﴾ الآية تسلياً مثلها، فلم يكن اعتراضاً تاماً؟ قال : اعتراض ما هو مددٌ لمعنى التسلي، لأن الجملة المعترضة مؤكدة لمضمون المعترض فيه، وهذا مؤكدٌ للآية، وذلك أن التسلي إنما يصار إليها إذا وجد الحزن والنكابة من الشخص مما لا يلائمه، فكما يحصل ذلك من جهة المسترئين الذين يجعلون القرآن عضي، كذلك يحصل من جهة الالتفات إلى ما متع به الكفار من زهرة الحياة الدنيا، وكما يشغله الأول من أن يقبل بمجامعه على المؤمنين كذلك الثاني، وإليه أشار بقوله : ((ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين، ويمكن أن يدخل ذلك في حيز التشبيه، وأن يقال : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ ونهيناك عن أن تمد عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم، كذلك أنزلنا على أهل الكتاب الكتابين المعظمين، وقلنا لهم : ﴿ لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ فلا تكن مثلهم حيث أخلدوا إلى الأرض، ومالوا إلى حطام الدنيا وزخرفها وحرّفوها فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وهذا الوجه أحسن^(١)، لأن التشبيه تمثيلي، وكلما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل في الحسن، وعلى هذا لا يكون تسلياً، بل يكون من باب الإلهاب والتهيج، كقوله تعالى : ﴿ فلا تكونن من الممترئين ﴾^(٢) ومن المشركين، أو أن يخاطب صلوات الله وسلامه عليه، والمراد أمته. والله أعلم.

قوله : ((عضين أجزاء)) قال الواحدي^(٣) : [عضين جمع عضة مثل عزة وعزين، من عضيت الشيء إذا فرقته، وكل فرقة عضة].

(١) ويدلّ له قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٨٥ ﴿ أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ وقوله في سورة النساء الآية ١٥٠ ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾.

(٢) سورة يونس الآية ٩٤.

(٣) الواحدي في تفسير الوسيط ٥٢/٣.

قوله : ((هي فعله من عضهته)) قال السجاوندي : أو هو عضهته كأصل صفة شفهاه أي الكذب أو البهت أو السحر مشتق من العضاة، لأنه يؤذي ويجرح كالشوك، وجمع سلامته عوض نقصان الواو والهاء، نحو عزيزين وثيين.

قوله : ((وقيل : سألمهم سؤال تقريع))^(١) وعلى الأول، لم يرد به السؤال وإنما هو كناية عن مجرد الوعيد، كما تقول لمن تهدده: إنما تُسأل عما تفعل، أي: نجازيك به.

قوله : ((والصدع في الزجاجاة))^(٢) الراغب^(٣) : [الصدع : الشق في الأجسام، كالزجاجاة والحديد، يقال : صدعته فانصدع، وصدعته فتصدع، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾^(٤)، ومنه استعير صدع الأمر، قال تعالى ﴿فاصدع بما تؤمر﴾^(٥) وكذا استعير منه الصداع، وهو شبه الإنشقاق في الرأس من الوجع، قال تعالى: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾^(٦)، ومنه الصديع للفجر، وصدعت الفلاة : قطعتها، وتصدع القوم : تفرقوا].

قوله : ((مصدر))^(٧) من المبني للمفعول، أي بأمرك، ومثله : ﴿لأنتم أشد رهبة﴾^(٨) أي : مرهوبة. وقوله : ﴿ومن بعد غلبهم﴾^(٩) أي : مغلوبيتهم .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿فوريك لنسألهم أجمعين﴾

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿فاصدع بما يؤمر وأعرض عن المشركين﴾.

(٣) الراغب ٢٧٦ مادة (صدع).

(٤) سورة الروم الآية ٤٣.

(٥) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٦) سورة الواقعة الآية ١٩.

(٧) يعني (ز) قوله : ﴿بما تؤمر﴾ قال : يجوز أن تكون (ما) مصدرية، أي : بأمرك.

(٨) سورة الحشر الآية ١٣.

(٩) سورة الروم الآية ١.

قوله : ((**﴿فسبح﴾** ^(١) فافزع فيما نابك إلى الله)) يريد أن قوله **﴿فسبح﴾** أمر بإزالة ما كان يلحقه من ضيق الصدر، وفي الحقيقة المزيل هو الفزع إلى الله، فوضع التسبيح موضع اللجوء، واللجوء إلى الخلق بالدخول في كنفه، واللحوق إلى خفارته، وإلى الله بالتضرع إليه بالذكر الدائم والخضوع بين يديه بالسجود المتوالي.

قوله : ((يكفيك ويكشف عنك الغم)) جواب الأمر، وهو **﴿فسبح﴾**.

قوله : ((**﴿حتى يأتيك اليقين﴾** أي ما دامت حيًا فلا تُخِلَّ بالعبادة))، قال محي السنة ^(٢) : [هذا معنى قوله : **﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا﴾** ^(٣) ، وقال الإمام ^(٤) : [سمي الموت يقيناً، لأنه أمر متيقن، وقال الراغب ^(٥) : [اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال : علم يقين، ولا يقال : معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الحكم، يقال : استيقن وأيقن]. أما دلالة النظم عليه، فإن في عطف **﴿واعبد﴾** على **﴿فسبح﴾** وترتيبه بالفاء، على قوله : **﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾** بعد الأمر بالإعراض عن المشركين إشعاراً بمشاركة القوم والإقنات من إيمانهم، أي : بذلت جهدك واستفرغت ما في وسعك في الإنذار والتبليغ، فأعرض عنهم، وفوض أمرهم إلى مقتضى قولنا **﴿فسوف يعلمون﴾** كما قال في حم : **﴿وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . فاصفح عنهم وقل سلام**

(١) تفسير قوله تعالى : **﴿فسبح بحمد ربك. وكن من الساجدين﴾**.

(٢) محي السنة البغوي في تفسيره ٣٩٧/٤.

(٣) سورة مريم الآية ٣١.

(٤) الفخر الرازي ٢١٦/١٩.

(٥) الراغب ٥٥٢، مادة (يقن).

ويدل على أن اليقين هو الموت : قوله تعالى في سورة المدثر الآية ٤٣-٤٧ **﴿قالوا لم نك من المصلين.**

ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين﴾ وهو الموت.

فسوف يعلمون^(١) واشتغل بما هو مختص بك من العبادة حتى تختار جوار الرفيق الأعلى، وأما ما رواه السلمي^(٢) عن الواسطي^(٣) : [واعبد ربك لا تلاحظ غيره في الأوقات حتى يأتيك اليقين، فيتحقق عندك أنك لا تحسّ بغير الحق، ولا ترى إلا الحق، ولا يجاذبك إلا الحق] فهو إشارة إلى الإرشاد إلى الخروج في درجات العبودية والترقي إلى مقام رفع الحول والقوة إلا بالله كما ورد في الحديث القدسي^(٤) : (ما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذني أعذته ...

(١) سورة الزخرف الآية ٨٩.

(٢) السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري أبو عبد الرحمن، من علماء التصوفة . قال الذهبي : شيخ الصوفية، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل : كان يضع الأحاديث للصوفية، له تأليف كثيرة : منها حقائق التفسير على طريقة أهل التصوف، ويوجد في مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ٥٢ . انظر الأعلام ٩٩/٦ وميزان الاعتدال ٤٦/٣ . ولد سنة ٣٢٥هـ، ومات سنة ٤١٢هـ.

(٣) الواسطي لعلة خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي أبو محمد، عالم بالحديث من أهل واسط، له تصانيف، استقرّ بغداد. مات سنة ٤٠١ . انظر الأعلام ٣١١/١، والبداية والنهاية ٣٤٤/١١.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٤٠/١١ برقم ٦٥٠٢، كتاب الرقائق، باب التواضع، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته) .

وصحيح ابن حبان ٥٩/٢ وفي سند هذا الحديث خالد بن مخلد، قال فيه أحمد بن حنبل : له مناكير، وقال أبو حاتم : لا يحتج به، قال الذهبي : هذا حديث غريب جداً، لولا هيئة الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد، فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الإسناد، ولا خرجه من عدا البخاري، انظر فتح الباري ٣٤٦/١١.

الحديث) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ لما كان حكماً مرتباً على قوله : ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ وفيه إرشاد إلى إزالة ذلك الضيق الذي هو نتيجة القلق والإضراب لأجل النظر إلى الغير في ضيق عالم الشهادة بالأخذ بالتسبيح والعبادة المؤدي إلى حصول ثلج اليقين، وانسراح الصدر بسبب النظر إلى فسحة عالم الغيب، وأن الكائنات تابعة لمراد الله ومقتضى مشيئته وحكمته استقام إجراء اليقين على حقيقته، إي : اعبد ربك لكي يتحقق لك ذلك، فيزول عنك ذلك^(١) ، وإلى هذا المعنى ينظر قوله : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾^(٢) ، وما روينا عن أبي داود عن حذيفة : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)^(٣) ، وروى السلمي عن بعضهم : [﴿واعبد ربك﴾ انقطاعاً إليه واعتماداً عليه حتى يأتيك اليقين بأن الأمر كله إلى الله، وهو متولي إضلال من ضلّ وهداية من هدى]، وعن الواسطي : ﴿حتى يأتيك اليقين﴾ [أنه لا إله يسوق إليك المكاره ويصرفها عنك إلا الله، ولا يسوق إليك المحاب ويصرفها عنك إلا هو، وبهذا انكشف أن عبادة الله هي العمدة العظمى، والمقصد الأقصى، وبها تنال الدرجات العليا، ولو أن أحداً استغنى عنها لكان أفضل الخلق أولى وأحرى، وكيف لا وما شرف بما شرف به في أشرف مقاماته إلا بتشريف : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾^(٤) ، وروى

(١) قد كرر تعالى في كتابه الأمر بالتسبيح، والصبر على أذى الكفار، فقال في سورة طه الآية ١٣٠

﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ . وقال تعالى في سورة غافر الآية ٥٥ : ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٥ .

(٣) أخرجه أبو داود ٧٨/٢ كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل

الحديث رقم ١٣١٨ . ومسنند أحمد ٢٠٦/١ ، ٣٦٨ ، ٢٨٠ ، ٣٨٨/٥ . والطبري ٩/١ عند قوله :

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ الآية ٤٥ .

(٤) سورة سبحان الآية ١ .

السلمى عن ابن عطاء ، لم يرض الله من نبيه صلى الله عليه وسلم لحظة عين إلا في عبادته. والله أعلم بأسرار كلامه.

سورة النحل مكية، غير ثلاث آيات في آخرها (١) ،

وهي ١٢٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ﴿ أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ ﴾ (٢) أي : ((هو بمنزلة الآتي الواقع))، الراغب (٣) :
[الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه : أَتَىٰ وَأَتَاوِيَّ، وبه شبه
الغريب، فقيل : أَتَاوِيَّ، والإتيان : قد يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال
في الخير والشر، وفي الأعيان والأعراض قال تعالى : ﴿ إِن أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ أي
بالأمر والتدبير، وقال : ﴿ أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾، وقال أيضاً (٤) : والعجلة :
[طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه، وهي من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في
عامة التنزيل، حتى قيل : العجلة من الشيطان، وقوله تعالى : ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي
لَتَرْضَىٰ ﴾ (٥) ، فذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود، وهو
طلب رضى الله، وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَل ﴾ (٦) قال بعضهم : من حملاً
ليس بشيء، بل ذلك تنبيه على أنه لا يَتَعَرَّى من ذلك، وإن كان ذلك إحدى القوى

(١) ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا ... ﴾ الآيات الثلاثة من آية ١٢٦ إلى آخر السورة فمكية. انظر البغوي

(٢) تفسير قوله : ﴿ أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ الآية ١، من سورة النحل.

(٣) الراغب في المفردات ٨ مادة (أتى).

(٤) يعني الراغب في مادة (عجل) ٣٢٣.

وبوضح معنى هذه الآية المتضمن قرب الساعة قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية ١ : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ
حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ وقوله في سورة القمر الآية ١ : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾، وقوله
في سورة الأحزاب الآية ٦٣ : ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ وقوله في سورة النجم الآية ٢٧ -
٢٨ : ﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾.

(٥) سورة طه الآية ٨٤.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٣٧.

التي ركب عليها، وعلى ذلك قال : ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾^(١) والعجالة ما يُعَجَّلُ أكله [كاللُّهْنَةِ^(٢)] : وهي السُّفْلَةُ، وهي ما يتعلَّل به الإنسان قبل إدراك الطعام.
 قوله : ((قرئ ﴿يُسْتَعْجَلُوهُ﴾ بالتاء والياء، بالتاء الفوقانية، وهي المشهورة، وبالياء شاذة^(٣)).

قوله : ((عن أن يكون له شريك))^(٤)، هذا على أن يكون (ما) موصولة، وقوله : ((وأن تكون آلهتهم شركاء)) عطف على سبيل البيان، وقوله : ((عن إشراكهم)) على أن (ما) مصدرية.

قوله : ((لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب، وذلك من الشرك))، فـ((من)) إما ابتدائية، فالمعنى ذلك من أجل الشرك، أو بسببه أو تبعيض، أي : وذلك بعض الشرك، والمعنى على الوجهين^(٥)، أن من استهزأ بوعد الله ووعيده، وكذبه فيما أثبت له العجز والقصور والاحتياج إلى الغير، وأن أحداً عجزه من إنجاز وعده وإمضاء وعيده، قال الإمام^(٦) : [قال الكفار : هب أنا سلمنا لك ما تقول من أنه تعالى حكم بإنزال العذاب علينا إلا أنا نعبد هذه الأصنام فإنها شفعاؤنا عند الله، فتشفع لنا فتخلص من العذاب، فأجاب الله تعالى بقوله : ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾،

(١) سورة الإسراء الآية ١١.

(٢) الصحاح للجوهري ٢١٩٧/٦ مادة (لن).

(٣) ﴿فلا يستعجلوه﴾ بالياء، قرأ بها سعيد بن جبير، وهي شاذة. مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوية ٧٢.

أما قراءة التاء فهي قراءة العامة.

(٤) تفسير قوله : ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾، قال (ز) : تبرأ عز وجل ((عن أن يكون له شريك)) وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم، على أن (ما) موصولة، أو مصدرية، فإن قلت : كيف اتصل هذا باستعجالهم؟ قلت : ((لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب، وذلك من الشرك)).

(٥) في م على الوجهين (هو) أن من استهزأ.

(٦) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢١٨/١٩.

وكذا لخص القاضي^(١)، وقلت : ويمكن أن يقال : إن الخطاب في قوله : ﴿فلا تستعجلوه﴾ عام يدلّ عليه ما رواه لما نزلت ﴿اقتربت الساعة﴾^(٢) إلى قوله : فنزلت ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رءوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة، فنزلت ﴿فلا تستعجلوه﴾ فاطمأنوا، ورواه محي السنة^(٣) بتمامه عن ابن عباس كأنه قيل : قرب وأتى أمر الله فلا تستعجلوه لأن ما هو آت، كما يقال لمن يطلب الإغاثة، وقد قرب حصولها : جاءك الغوث، ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة في قوله ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ نعيّاً على المشركين خاصة إلى غيرهم واستبعاداً لسوء صنيعهم، يعني : ماذا يستعجل منه أولئك البعداء مع هذه العظيمة التي ارتكبوها، كقوله تعالى : ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾^(٤)، فما أبعدهم من قوم، وما أجهلهم من جيل في إشراكهم بالله مع تعاضد الأدلة السمعية والعقلية في قلعة واستعجالهم فيما يُرديهم. وإلى السمعية^(٥) الإشارة بقوله ﴿ينزل الملائكة﴾^(٦) الآية، أي : ينزل الله تعالى ملائكته المقربين ملتبسين بوحيه وكلامه الذي هو بمنزلة الروح للجسد وبمثابة الحياة للقلوب الميتة، ويختار لرسالته والإنذار به الخيرة من عباده، والمصطفين من خلقة ليقموا بالدعوة إلى التوحيد وبالأمر بالتقوى الذي

(١) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١٧٥/٣.

(٢) سورة القمر الآية ١.

(٣) أخرجه الواحدي ٣٢١ والبلغوي في تفسيره، يعني محي السنة ٨/٥ ومعناه أخرجه الطبري

٧٥/١٤. وانظر الدر المنثور ١٠٨/٥ والقرطبي ٦٦/١٠. والحديث موقوف على ابن عباس.

(٤) سورة يونس الآية ٥٠.

(٥) يعني الأدلة السمعية.

(٦) جزء من آية ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ من الآية ٢.

ويدل لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الشورى الآية ٥٢ ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا﴾، وقوله في سورة غافر الآية ١٥ : ﴿رفع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾.

هو ملاك الدين. وإلى العقلية الإشارة بقوله : ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾^(١) و ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ وهما من كِلَا نوعي الدليل الإيماني والأنفسي، وضُم إلى الأول ما ابتدئ به من قوله : ﴿تعالى عما يشركون﴾ تقديرًا، وإلى الثاني قوله : ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ تعريفًا^(٢) ، أي خصيم لربه منكر على خالقه، وصفًا له بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة، ثم شرع في بيان النعم السابعة والآلاء المتابعة إلى آخر السورة، ولذلك سميت بسورة النعم، وفي كل ذلك إشارة للمؤمنين إلى ترك الاستعجال والتأني في الأمور، والاشتغال بالأهم، والأخذ في الاستعداد، وتأهبًا لزيد يوم المعاد، يالزام التوحيد، والذكر الدائم، والاكتساء بلباس التقوى، وتقرير الدلائل للإرشاد، والتذكير بآلاء الله، شاكرين مستعصمين بحبله مستمسكين بالعروة الوثقى. فإن قلت : ما موقع قوله : ﴿ينزل الملائكة﴾؟ قلت : إما حال من واو ﴿يشركون﴾ مقررة لجهة الإشكال، وإما استئناف لبيان الاستبعاد، وكذا قوله : ﴿خلق السموات﴾. فإن قلت : فلم خولف بين العبارتين مستقبلًا وماضيًا مع اتحاد المغزى؟ قلت : للإيذان بالاستمرار في الأول إنزالاً غبّ إنزال وإرسالاً بعد إرسال. والتحقيق في الثاني، والله أعلم.

قوله : ((وقرئ تشركون بالياء والتاء)) حمزة والكسائي بالتاء الفوقانية والباقون بالياء في الموضعين^(٣). قال القاضي^(٤) : [الياء التحتانية على تلوّن الخطاب أو على الخطاب للمؤمنين، أو لهم ولغيرهم].

(١) قوله تعالى : ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾. خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿الآيتان من سورة النحل ٤، ٣.

(٢) تفريعاً في ت.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿تشركون﴾ بالتاء في الموضعين في قوله : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما (تشركون)﴾ وفي قوله : ﴿خلق السموات والأرض بغير الحق سبحانه وتعالى عما (تشركون)﴾. وقرأ الباقر بالياء ﴿يشركون﴾. انظر الحجة لابن زنجلة ٣٨٤-٣٨٥، وإتحاف الفضلاء ٢٧٧.

(٤) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٥/٣.

قوله : ((ينزل الملائكة بالروح)) قرئ بالتخفيف والتشديد، بالتخفيف ابن كثير^(١) وأبو عمرو ((.)).

قوله : ((بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه)) من بيان تلخيصه ينزل الملائكة بالوحي، شبه الوحي تارة بالروح لما فيه من حياة الروح الميتة بالجهل، وأخرى بها لما يتزّين به الدين كما تتزّين الروح بالجسد، ثم أقيم المشبه^(٢) فصار استعارة تحقيقية مصرّحة، والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة إبدال ﴿أن أنذروا﴾ من الروح، قيل : من أمره مخرج الاستعارة إلى التشبيه، كما في قوله تعالى : ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾^(٣) ، قلت : بينهما بون بعيد، لأن نفس الفجر عين المشبه الذي شبه بالخيطين، وليس مطلق الأمر ههنا مشبها بالروح حتى يكون بياناً له، لأنه أمر عام بمعنى الشأن والحال، ولهذا يصح أن يفسر الروح الحيوانيّ به، كقوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾^(٤) أي : من شأنه، ومما استأثر الله بعلمه، وأن يفسر الروح المراد منه الوحي به أي : من شأنه ومما أنزل على أنبيائه نعم، هو مجاز أيضاً لأن الأمر العام إذا أطلق على فرد من أفرادها كان مجازاً، ومن ثمّ قال المصنف في قوله تعالى : ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾^(٥) ، [الروح من أمره الذي هو سبب الحياة من أمره، يريد الوحي الذي هو أمر بالخير، وبعث إليه فاستعار له الروح] انتهى كلامه،

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ينزل الملائكة﴾ بسكون النون وتخفيف الزاي، وقرأها أبو عمرو بالتاء مفتوحة، وفتح الزاي المشددة، مثل قوله ﴿تَنَزَّلُ الملائكة والروح﴾ في سورة القدر، ورفع ﴿الملائكة﴾ ووافقه الحسن، والباقون ﴿يُنْزِلُ الملائكة﴾ بالياء مضمومة وكسر الزاي مشددة ونصب ﴿الملائكة﴾ . انظر الإتحاف ٢٧٧.

وقرأ أبو بكر في رواية الكسائي ﴿تَنَزَّلُ الملائكة﴾ بضم التاء وفتح الزاي ورفع ﴿الملائكة﴾ . انظر الحجة لابن زنجلة ٣٨٥.

(٢) (المشبه به) مقام المشبه في : ت ، ب .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٧

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٥) سورة غافر الآية ١٥ . انظر تفسير الزمخشري عند هذه الآية ﴿يلقي الروح﴾ في غافر ج ٣/٣٦٤

وذكره بتمامه.

فيكون البيان والمبين كلاهما مجازين مترادفين، ولما كان البيان والمبين كشيء واحد جمعهما في قوله : (الروح من أمره) الذي هو سبب الحياة، وأيضاً لو كان تشبيهاً لفهم التشبيه على تقدير الوقف على أمره، والله أعلم.

قوله : ((بأن الشأن أقول لكم))^(١) عن بعضهم إنما زاد في التفسير أقول لأن الأمر لا يقع خبراً للمبتدأ، وهو الشأن. وقلت : يعني أن ضمير الشأن مبتدأ، و ﴿أنذروا﴾ خبره، وهو إنشاء فلا بد من تقدير القول ليصح حمل الإنشائي على المبتدأ، وأما تقديره في الوجه الثاني أي يقول لهم الله : أعلموا الناس، فهو معنى ينزل الملائكة، لأنه حينئذ في تقدير القول، قال القاضي^(٢) : [الآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة، وأن حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو كمال القوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العلمية، وأن النبوة عطائية، والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته، من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة، ولو كان له شريك لقدر على ذلك، فيلزم التمانع].

قوله : ((من خلق البهائم))^(٣) بيان ما يصلحه، وخلق فيه مقحم للتأكيد.

قوله : ((وقرأ ﴾يشركون﴿ بالياء التحتاني حمزة والكسائي))^(٤) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أن أنذروا ﴾ قال (ز) بدل من الروح، أي : يُنْزَلُهم بأن أنذروا، وتقديره : بأنه أنذروا، أي : ((بأن الشأن أقول لكم أنذروا)).

(٢) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٥/٣.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ قال (ز) : ثم دل على وحدانيته، وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لا بد له منه ((من خلق البهائم)).

(٤) تقدم الكلام على القراءة في قوله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة . وحمزة والكسائي يقرأنها بالتاء خلافاً لما قال الطيبي رحمه الله.

قوله : ((﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ فيه معنيان))، يعني : في ترتب ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ على كونه نطفة معنيان أحدهما الإيذان بانتهاء حالتي حقارته (١)، وعظمته، وإفراطه وتفريطه، وثانيهما : الإشعار بتعكيس أمره حيث إنه تعالى نقله من أحسن أحواله إلى أشرفها ليشكر فكفر، كقوله تعالى : ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ (٢) ، وقلت : ﴿هذا المعنى مؤكد لما فسرنا به قوله ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ من قولنا : ما أجهلهم من جيل في إشراكهم بالله، مع تعاضد الأدلة السمعية والعقلية في قلعه.

قوله : ((دلالة على قدرته)) (٣) مفعول له لمقدر، أي : ذكر الله تعالى خلق الإنسان من نطفة وجعله خصيماً مبيناً دلالة على قدرته، وكذا قوله : ((وصفاً للإنسان))، والفرق أن القصد الأولى في سوق الآية على الأول بيان قدرة الله الكاملة، وأنه تعالى لما خلق من الشيء الحقير هذا الخلق الخصيم كقوله تعالى : ﴿لم نخلقكم من ماء مهين ... إلى قوله : فقدردنا فنعم القادرون﴾ (٤) ، وعلى الثاني : القصد إلى بيان وقاحة الإنسان وتعلّيه طوره كقوله تعالى : ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي

(١) ويدل لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الطارق الآية ٥-٧ : ﴿فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب﴾، وذلك تنبيه على حقارة ما خلق منه، ومثله قوله تعالى في سورة المرسلات ﴿لم نخلقكم من ماء مهين ...﴾ الآية ٢٠، وقوله في سورة المعارج الآية ٢٩ ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم . كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾.

(٢) سورة الواقعة الآية ٨٢.

(٣) تفسير قوله : ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾، قال (ز) : فيه معنيان : أحدهما : فإذا هو منطبق بمجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من مني حماد لا حس به ولا حركة ((دلالة على قدرته)). والثاني : فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل : ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ ((وصفاً للإنسان)) بالإفراط في الوقاحة والجهل ... الخ.

(٤) سورة المرسلات الآية ٢٠-٢٣.

العظام وهي رميم ﴿١﴾ ، ويؤيد^(٢) الأول قوله : ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ وقوله : ﴿ والأنعام خلقها لكم ﴾ ، والثاني قوله : ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ تعالى الله عما يشركون ، وكذا قوله : ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ والثاني أوفق لتأليف النظم .

قوله : ((وأكثر ما تقع على الإبل))^(٣) (ما) مصدرية، أي : الأنعام أكثر وقوعها على الإبل .

قوله : ((ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم))^(٤) دلّ على الحصر لام الاختصاص في (ل)كم، وفحوى الخطاب، ولذلك قال : ((يا جنس الإنسان))، ويمكن أن لا يعلق لكم بخلقها، بل يكون خبر (دفع) لتطابق قرينتها وهي ﴿ لكم فيها جمال ﴾، فيحصل الاختصاص من تقديم الخبر، وأما تخصيص ذكر جنس الإنسان فلا فائدة الإلتفات،

(١) سورة يس الآية ٧٧-٧٨ .

(٢) وهذا أبلغ زجر عن التكبر والتعظيم، لأن الإنسان خلق للعبادة كما قال الله تعالى في سورة الذاريات الآية ٥٦ : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ثم فاجأ ربه بالخصومة والتكذيب، كما دلت عليه ﴿ إذا ﴾ الفجائية، ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ... الآية ﴾، وقوله تعالى في سورة مريم الآية ٦٦ : ﴿ ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حياً . أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾، وقوله في سورة الفرقان الآية ٥٤-٥٥ : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً . ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ الآية ٥ من سورة النحل، قال (ز) : الأنعام الأزواج ((وأكثر ما تقع على الإبل)) .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ خلقها لكم ﴾، أي : ((ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان))، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى في هذه السورة الآية ٨٠-٨١ : ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ . وقوله في سورة النحل الآية ٦٦ : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾، وقوله تعالى في سورة غافر الآية ٧٩ : ﴿ والله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾، وقوله تعالى في سورة يس الآية ٧١-٧٣ : ﴿ أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ .

وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وفائدة المكافحة تتميم معنى الإنكار على كفران النعمة الذي يعطيه قوله : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾.

قوله : ((من صوفٍ أو وبرٍ أو شعر))^(١) أي : من الغنم أو الإبل أو المعز، والدفع آلة الدَفء.

قوله : ((ويحتمل أن طعمتكم منها))^(٢) فهو من إطلاق السبب على المسبب، ويجوز أن يقال : ومنها ينتفعون، فيكون المجاز في تأكلون، لأن الكلام مع أرباب المواشي، وعلى الأول المجاز في الأنعام من إطلاق معظم الشيء على كله، وكل ذلك متعسف، لأن التقديم لمراعاة الفواصل، ويكون من عطف الخاص على العام، لأن الأكل أصل الانتفاع.

قوله : ((التفكه))^(٣) ، الأساس^(٤) : [ومن المجاز تفكّه بكذا تلذذ به، وفاكهت القوم مفاكهة طابيتهم].

قوله : ((مَنْ الله تعالى بالتجمل بها))^(٥) ، الراغب^(٦) : [الجمال الحسن الكثير، وذلك ضربان . أحدهما : جمال يختص به الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني : ما يصل به منه إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما روى (إن الله جميل يحب

(١) تفسير ﴿دفع﴾ قال (ز) : والدفع : اسم ما يدفأ به، كما أن الملاء اسم ما يملأ به، وهو الدفء من لباس معمول ((من صوف أو وبر أو شعر)).

(٢) يعني هذه الأنعام من أسباب طعامكم، لأنكم تحرثون بالبقر، فالحب والثمار التي تأكلونها منها، وتكتسبون ياكراء الإبل.

(٣) يعني أن الأنعام هي الأكل في أكل لحومها، أما الأكل من غيرها : يعني : من الدجاج والبط وصيد البحر والبر، فكغير المعتد به، وكالجارى مجرى ((التفكه)).

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ٤٨٠ مادة (فكه).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولکم فیہا جمال حین تریحون وحین تسرحون ﴾ الآية ٦ من سورة النحل،

قال (ز) : ((مَنْ الله بالتجمل بها)) كما مَنْ بالانتفاع بها.

(٦) الراغب الأصبهاني في مفردات القرآن ص ٩٧ مادة (جمل) بتصرف.

الجمال) (١)، تنبيهها أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة، فيجب من يختص بذلك، يقال : جاملت فلاناً وأجملت في كذا، والجمل يقال : للبعير إذ أبزل (٢)، والجامل قطعة من الإبل معها راعيها، وتسمية الجمل بذلك، يجوز أن يكون لما قد أشار إليه بقوله : ﴿ولكم فيها جمال﴾، لأنهم كانوا يعدون ذلك جمالاً لهم.

قوله : ((وسرحوها بالغداة)) (٣)، الراغب (٤) : [السرح : شجر له ثمرة، الواحدة سرحة، وسُرحت الإبل إذا أرسلت أن ترعاه السرح، ثم جعل لكل إرسال في الرعي، قال تعالى : ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ والسارح الراعي، والتسريح الإبل كالطلاق مستعار من تسريح الإبل كالطلاق في كونه مستعار من إطلاق الإبل].

قوله : ((الرغاء والثغاء))، الجوهري (٥) : [الرغاء : صوت ذوات الخف، وقد رغا البعير يرغو رغاء إذا ضجّ] [والثغاء (٦) : صوت الشاة والمعز وما شاكلهما]، وفي قوله : ((وتجاوب فيه الثغاء والرغاء)) معنى قول أبي العلاء :

**** معان من أحببنا مغان ** يجيب الصّاهلات بها القيان ****

قوله : ((وهو من باب التكميل)) ولهذا قال ((وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، ومنه قوله : ﴿لتركبوها وزينة﴾ جمع بين الإنتفاع والزينة، كما جمع بين ستر

(١) جزء من حديث طويل في مسلم ٩٣/١ كتاب الإيمان، باب تحریم الکبر وبیانه، رقم ٩١، والمستدرک ١٨١/٤، ٢٦/١.

(٢) بزل البعير يبزل فطر نابه أي : انشق.

(٣) تفسير قوله : ﴿وحيث تسرحون﴾، يقول (ز) : لأن الرعيان إذا رَوَّحوها بالعشي ((وسرَّحوها بالغداة)) فزيت بإراحتها وتسريحها الأفية ((وتجاوب فيها الثغاء والرغاء)).

(٤) الراغب في المفردات ٢٢٩-٢٣٠ مع اختلاف وتقديم، وتأخير مادة (سرح).

(٥) الصحاح للجوهري ٢٣٥٩/٦ مادة (رغا).

(٦) المرجع السابق ٢٢٩٣/٦ مادة (ثغا).

العورة والزينة في قوله تعالى : ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾^(١) ، لأن الريش الجمال والزينة.

قوله : ((ملأ البطون))^(٢) ، الجوهري^(٣) : [والملاء بالفتح مصدر قولك : ملأت الإناء، فهو مملوء، والملاء بالكسر اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ، فيقال : أعطى ملاءه وملاءئيه،] وضرع حافل أي : ممتلئ لبناً^(٤) .

قوله : ((لم تكونوا بالغيه بها))^(٥) أي : بالأثقال، والباء فيه ظرف لغو للتعدية، وفي بشق الأنفس مستقر، قال أبو البقاء^(٦) : [بشق في موضع الحال من الضمير المرفوع في ﴿بالغيه﴾]، أي : مشقوقاً عليكم، وأما توجيه السؤال كيف ناسب قوله : ﴿لم تكونوا بالغيه﴾ قوله : ﴿وتحمل أثقالكم﴾ لأن المناسب أن يقال : لم تكونوا حاملية، لأن الحمل شيء والبلوغ شيء آخر، وأجاب أن المناسبة بحسب المعنى، وهو على وجوه ثلاثة . أحدها : أن تجعل التنكير في بلدٍ للتفخيم والتنكير، أي : بلد بعيد شاسع، ليناسبه البلوغ ويلزم منه الحديث في نفي الحمل بالطريق الأولى^(٧)، كما قال : فضلاً أن تحملوا على ظهوركم. وثانيها : أن يقدر في ﴿بالغيه﴾ ما يعود إلى الأثقال. وثالثها : أن يحمل على الأجرام. قال في

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦.

(٢) قول (ز) في قوله : ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾، فإن قلت : لم قدمت الإراحة على التسريح؟. قلت : لأن الجمال في الإراحة أظهر ((إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع)).

(٣) الجوهري في صحاحه ٧٢/١ مادة (ملاء).

(٤) الجوهري في صحاحه ١٦٧١/٤ مادة (جفل).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم﴾ الآية ٧ من سورة النحل. قول (ز) : وتحمل إلى بلد بعيد، قد علمتم أنكم لا تبلغوه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة، فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم، ويجوز أن يكون المعنى ((لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس)).

(٦) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٧٨/٢.

(٧) انظر حاشية البيضاوي لحي الدين شيخ زاده، فذكر هذا التوجيه ١٦٨/٣.

الإنتصاف^(١) : [ويمكن أن يقال إنه استغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها، لأن ذلك معلوم من العادة لأن المسافر لا يستغنى عن أثقال يستصحبها، والأول أولى].

قوله : ((﴿والخيل والبغال والحمير﴾ عطف على الأنعام))^(٢) الراغب^(٣) : [الخيال أصله الصورة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرأة، وفي القلب بعد غيبوبة المرئي. ثم يستعمل في صورة كل أمر متصور، وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال، والتخيل تصوير خيال الشيء في النفس، والتخيل تصوير ذلك وخيلت بمعنى ظننت، يقال : اعتباراً بتصور خيال المظنون، يقال : خيلت السماء أبدت خيالاً للمطر، وفلان مخيل بكذا أي خليق، وحقيقته أنه مظهر خيال ذلك، والخيلاء التكبر على تخيل فضلية تراءت للإنسان في نفسه، ومنه الخيل لما قيل : إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة.

قوله : ((وقد احتج على حُرمة أكل خومهن)) قال الإمام^(٤) : [واحتج القائلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية قالوا : منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب، ولو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكر، علموا تحريمه، ولأنه تعالى قال في صفة الأنعام ﴿ومنها تأكلون﴾ والتقديم يفيد الحصر، ثم قرن بعده الخيل مع البغال والحمير، وذكر أنها مخلوقة للركوب والزينة، ولأن قوله ﴿لتركبوها﴾ يقتضي أن يكون تمام المقصود من خلق هذه الأشياء هو الركوب والزينة، ولو حل أكلها، لم يكن تمام المقصود من خلقها الركوب والزينة، وقال : أجاب الواحدي بجواب حسن قال : لو دلت الآية على تحريم أكل هذه الحيوانات،

(١) الإنتصاف للشيخ أحمد بن المنير الخشي للزمخشري. ٥٩٥/٢.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ الآية ٨ من سورة النحل، قال (ز) : قوله تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ عطف على الأنعام و﴿الأنعام﴾ منصوب على الاشتغال، لأن عامله وهو ﴿خلق﴾ اشتغل عنه بالضمير، فنصب بفعل مقدر وجوباً يفسره ﴿خلق﴾ المذكور، على حد قول ابن مالك في الخلاصة :

** فالسابق انصبه بفعل أضمر ** حتماً موافق لما قد أظهره **

(٣) المفردات للراغب ١٦٢ مادة (خيل).

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٢٩/١٩.

لكان هذا التحريم معلوماً في مكة، لأن السورة مكية، ولو كان كذلك، لكان قول عامة المفسرين والمحدثين أن لحوم الحمر الأهلية حرم عام خير غير صحيح، لأن التحريم لما كان حاصلاً قبل يوم خيبر، لم يبق لتخصيصه بذلك اليوم فائدة، ويعضده ما روينا عن الترمذي وأبي داود وابن ماجه عن المقداد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته^(١)) يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا أكل ذي ناب من السباع^(٢) ، والحديث صرح أن الحمار ما حرم بالكتاب، بل بالسنة. وقال محي السنة^(٣) : [واحتج بهذه الآية من حرم لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس، وتلا هذه الآية فقال : هذه للركوب، وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة، وذهب جماعة إلى إباحتها، وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، ومن أباحها قال : ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، واحتجوا بما روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل^(٤)] أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والدارمي وابن ماجه،

(١) (الأريكة) السرير في الحجلة من دونه ستر، ولا يسمى منفرداً أريكة، النهاية في غريب الحديث ٤٠/١ مادة (أراك).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده بهذا اللفظ من حديث المقداد بن معد يكرب الكندي ١٣٠/٤، ١٣١. وأبو داود برقم ٤٦٠٤ كتاب السنة، باب في لزوم السنة. والترمذي برقم ٢٦٦٤. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه ٦/١ برقم ١٢ في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضة، كلهم من طريق المقداد بن معد يكرب، ومن طريق عبيد الله بن أبي رافع يحدث به عن أبيه اسمه أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه الشافعي في الرسالة ٢٩٥ وإسناده صحيح.

(٣) محي السنة البغوي في تفسيره ١٠/٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصيد والذبائح، باب لحوم الخيل ٦٤٨/٩. ومسلم كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل برقم ١٩٤١. وأبو داود في سننه ٣٥١/٣ كتاب الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل برقم ٣٧٨٨، ٣٧٨٩. والنسائي في المجتبى من السنن ٢٠٢/٧ كتاب الصيد والذبائح، باب

والتحقيق هذا، وبيانه أنه سبحانه وتعالى لما نهى المشركين عن استعجال نزول العذاب استهزاء بقوله ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ كأنه ما التفت إلى استهزائهم واخرج الكلام على الأسلوب الحكيم أي : لم تستعجلون بنزول ما يُرْذِيكم ويستأصلكم؟، فهلا تنتفعون بنزول ما ينجيكم، وينجيكم منه، وهو هذا القرآن الذي بمثابة الروح لحياة القلوب الميتة، وهذا الرسول الكريم وبالمؤمنين رءوف رحيم يدعوكم إلى التوحيد والتقوى، ويبصركم الدلائل الدالة على وحدانيته لئلا تشركوا به شيئاً، وينبّهكم على النعم السابقة التي توجب أن تشكروه وتعبدوه من دلائل الآفاق والأنفس وما خلق لكم من الأنعام وغيرها لا تتفادكم بها بالأكل والركوب وجرّ الأثقال والزينة على ما ألفتكم واتخذتم شعاراً لأنفسكم وافترتم بها، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ وأما الجواب عن قولهم: لو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر؟، فقد أشار إليه القاضي^(١) بأن قال : [لا دليل فيه، إذا لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد به غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً]، وأما الجواب عن الحصر بتقديم معمول ﴿يأكلون﴾، فهو النظر إلى رعاية الفواصل لا غير، كما سبق هذا، ولو فهم الصحابة رضوان الله عليهم من هذه الآيات غير ما هي عليه من بيان الإمتنان، لم يكن فعلهم يوم خيبر رشداً، على ما روينا في صحيح البخاري عن البراء بن عازب وعبد الله بن أبي أوفى: (أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فأصابوا حمراً فطبخوها فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، اكفؤا القدور)^(٢). فإن قلت : لم لا يجوز أن يستنبط التحريم على

تحريم أكل لحوم الخيل برقم ٣٠. وابن ماجه ١٠٦٦/٢ كتاب الذبائح، باب لحوم الخيل والبعال برقم ٣١٩٨. والدارمي ١١٩/٢ باب في أكل لحوم الخيل برقم ١٩٩٣. والترمذي في سننه ٢٢٣/٤ كتاب الأطعمة، باب في أكل لحوم البغال برقم ١٧٩٣. والدارقطني ٢٨٧/٤ كتاب الصيد والذبائح والأطعمة ٦٠، ٦١. وأحمد في مسنده ٨٩/٤. وشرح السنة للبغوي ٢٥٤/١١ كلهم من حديث جابر رضي الله عنه.

(١) القاضي البضاوي ١٧٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٨١/٧ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، الحديث رقم ٤٢٢١، ٤٢٢٢ من حديث البراء بن عازب وعبد الله بن أبي أوفى. وكذلك الحديث رقم ٤٢٢٣، ٤٢٢٤ وفي الذبائح ٥٥٢٥ باب تحريم أكل لحم الحمر الأهلية. ومسلم برقم ١٩٣٨ كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم

طريقة إشارة النص؟ قلت : إشارة النص من الدلائل الدقيقة اللطيفة المستخرجة من الأحكام، والكلام مسوق للامتنان، كما سبق. نعم فيه إشارة إلى جل الغرض فيها، ومعظم الانتفاع منها ما ذكر من الركوب والزينة، وأما التحريم فلا، ولا بد من دليل منفصل للتحريم والتحليل، والدليل من جانبنا ولولا أن ورود الآية للامتنان بحسب ما ألفوا واعتادوا لم يذكر الزينة أصلاً، وكيف ذلك وقد ورد النهي عنها على ما روينا عن البخاري ومسلم ومالك وأبي داود والنساء عن أبي هريرة في حديث طويل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخیل ثلاثة : هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله)، وساق الحديث إلى قوله : (ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ثم لم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي لذلك الرجل ستر، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء على أهل الإسلام، فهي على ذلك وزر الحديث^(١)).

قوله : ((ما ذكره في الأنعام)) أي : في شأن الأنعام وهو قوله تعالى : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون﴾.

قوله : ((وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق))^(٢) يعني : يكفي في شرط حذف اللام أن يكون مصدراً وفعلاً لفاعل الفعل المعلن، وفيه دليل على أن المقارنة ليست بشرط قال صاحب التعبير : المقارنة ليست بشرط، بدليل قوله : وزينة قرينة منصوب بمعنى اللام، ولم تكن موجودة وقت الخلق، فالمعنى بالمقارنة أن لا يكون

أكل لحم الحمر الإنسية. والنسائي ٢٣٠/٧ كتاب الصيد، باب أكل لحم الحمر الأهلية. وصحيح ابن حبان ٨٢/٢. وابن ماجه برقم ٣١٩٤ كتاب الذبائح، باب لحوم الحمر الوحشية. وأحمد في مسنده ٢٩١/٤ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١) تقدم تحريجه في سورة الحجر عند قوله تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ... الآية﴾.
(٢) قول (ز) عند قوله ﴿وزينة﴾ فإن قلت : لم انتصب ﴿وزينة﴾ قلت : لأنه مفعول له، وهو معطوف على محل ﴿لتركبوها﴾، فإن قلت : فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد، قلت : لأن الركوب فعل المخاطبين ((وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق)) يعني بسنن واحد، بأن يقول : لتركبوها ولتزينوا بها، والجواب قوله : لأن الركوب فعل المخاطبين ... الخ. انظر رغائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري لعالم الدين الحسن بن محمد ابن الحسين القمي النيسابوري ٤٨/١٤.

متقدماً، ولا بأس بالتأخر، نحو شربت الدواء إصلاحاً للبدن والصلاح متأخر غير واقع عند الشرب وقال السجاوندي في شرح المفصل ولا بد من أن يكون المصدر واقعاً بعد الفعل . وقال صاحب الانتصاف^(١) : [والجواب القوي أن الركوب هو المقصود الأصلي من هذه الأشياء والتزيين تابع، فاقرن المقصود باللام الصريحة لأنه أهم الغرضين، وحذفت من الزينة لأنها تبع]، وكذا عن القاضي^(٢) .

قوله : ((وخلقها زينة لتركبها)) أي : خلق بمعنى جعل وزينة ثاني مفعوليه.

قوله : ((ولذلك أضاف)) يعني : دلت الإضافة.

وقوله : ((ومنها جائر))^(٣) على أن المراد بالسبيل الجنسي، وهو من إضافة الخاص إلى العام، ونحوه خاتم الفضة، سحق الثوب، لأن السبيل إما مستقيم وهو المارد من القصد، وإما معوج وهو الجائر. وقال أبو البقاء^(٤) : [وقصد مصدر، بمعنى إقامة السبيل أو تعديل السبيل، وليس مصدر قصده بمعنى أتيته].

قوله : ((كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك)) وهو من باب طريق سائر ونهر جارٍ.

(١) الإمام أحمد بن المنير، حاشية الكشاف ٣٢٣/٢.

(٢) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٦/٣ والفخر الرازي ٢٣٠/١٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الآية ٩ من سورة النحل . قال (ز) : المراد بالسبيل الجنس، ولذا أضاف إليه القصد، وقال ((ومنها جائر)) والقصد مصدر بمعنى الفاعل، وهو القاصد، يقال : سبيل قصد وقاصد اي مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومن هذا المعنى قول امرئ القيس :

** ومن الطريق جائر وهدى ** قصد السبيل ومنه ذو دخل **

(٤) أبو البقاء ٧٨/٢.

قوله : ((ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة (١) لقليل وعليه جائرها)) قال الإمام (٢) : [أجاب أصحابنا عنه بأن المراد على الله بحسب الفضل والكرم بيان الدين الحق، والمذهب الصحيح، فأما بيان كيفية الإغواء والإضلال فذاك غير واجب] وقلت : ويجوز أن يكون التقدير على الله بيان استقامة الطريق بالآيات والبراهين على سبيل التفضل والكرم، وبيان اعوجاج الطريق، فمنها مستقيم كطريق الإسلام ليهتدوا بها، ومنها جائر كطريق سائر الأمم الضالة ليتجنبوا منها (٣) ، فاختصر على تقدير اللف (٤)، والنشر التقديري، وإضافة طريق الحق دون الجائر إلى الله تعالى على أسلوب قوله تعالى : ﴿أنعمت عليهم غير المعصوب عليهم﴾ (٥) .

وقوله : ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (٦) ويعضد ما ذكرنا من أن على الله تمييز الطريقين وبيان السبيلين تفضلاً قول محي السنة (٧) : [وعلى الله قصد السبيل

(١) الجبرية : طائفة تقول : إن العبد مجبور على الأفعال، ولا دخل للعبد فيها بتاتاً وهم الجهمية، والأشعرية ثبت للعبد كسباً . انظر التعريفات للجرجاني ٨٤ . ومذهب المعتزلة : وجوب الطريق الموصل إلى الحق على الله تعالى، ولا وجوب على الله تعالى عند أهل السنة، بل ذلك فضل منه تعالى، لكن الكريم ينجز الرعد بالخير في صورة الواجب، وهو لا يجب عليه.

(٢) الإمام الفخر الرازي ٢٣٢/١٩.

(٣) ويشهد لهذا المعنى وأنه تعالى بين طريق الحق على السنة رسله في قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٦٥ ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وقوله في سورة الإسراء الآية ١٥ ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً﴾ وقوله تعالى في سورة المائدة الآية ٢٢ : ﴿إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقوله تعالى في سورة الإنسان الآية ٣ : ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ وقوله تعالى في سورة البلد الآية ٨-١٠ : ﴿ألم نجعل له عينين . ولساناً وشفهتين . وهديناه النجدين﴾ وهناك معنى آخر، وهو أن معنى قوله : ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أن طريق الحق التي قصد السبيل إلى الله، أي موصلة إليه، ليست حائدة، ولا جائرة عن الوصول إليه، وإلى مرضاته، ﴿ومنها جائر﴾ أي : ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله، بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٣ : ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وقوله في سورة يس الآية ٦١ ﴿وأن اعيدون هذا صراط مستقيم﴾.

(٤) في م (على طريقة) اللف، وهو الصواب.

(٥) سورة الفاتحة الآية ٦.

(٦) سورة الشعراء الآية ٨٠.

(٧) محي السنة البغوي في تفسيره ١١/٥.

يعني بيان طريق الهدى من الضلالة، فالقصد من السبيل دين الإسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر، قال في الإنتصاف^(١) : [أين يذهب الزمخشري عن تتمتها ﴿ولو شاء هداكم أجمعين﴾، ولو كان بزعم القدرية : لقال فقد هديناكم أجمعين : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾^(٢)، ففسروها بالقسر والإلجاء وحرفوا الكلم عن مواضعه وأما المخالفة بين الأسلوبين، فلإقامة حجة الله على الخلق، وأنه بين السبيل القاصد والجائر، وهدى قوماً اختاروا الهدى، وأضلّ قوماً اختاروا الضلال، وقد علم أن للفعل اعتبارين، فإضافته إلى الله تعالى باعتبار خلقه له وإضافته إلى العبد باعتبار اختياره له^(٣).

قوله : ((جائر جار عن القصد))، الراغب^(٤) : [الجار : من يقرب سكنه منك من الأسماء المتضايقة، ولما استعظم حقّ الجار شرعاً وعقلاً عبّر عن كل من يعظم حقه أو يستعظم حق غيره بالجار . قال تعالى : ﴿والجار ذي القربى﴾^(٥)، ويقال : استجرت فلاناً فأجارني، ﴿وقال إني جار لكم﴾^(٦)، وقال : ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾^(٧)، وباعتبار القرب، قيل : جار عن الطريق، ثم جعل ذلك أصلاً في العدول عن كل حق، فبنى منه الجور. قال تعالى : ﴿ومنها جائر﴾ أي : عادل عن المحجة].

(١) لابن المنير، حاشية الزمخشري ٥٩٦/٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٣) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويشهد لذلك قوله : ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما

كفوراً﴾.

(٤) الراغب في المفردات ١٠٣.

(٥) سورة النساء الآية ٣٦.

(٦) سورة الأنفال الآية ٤٨.

(٧) سورة المؤمنون الآية ٨٨.

قوله : ((والشراب ما يشرب))^(١) عن بعضهم^(٢) : [الشرب تناول كل مائع، ماءً كان أو غيره والشربُ المشاربُ والشراب].

قوله : [وفي حديث عكرمة : لا تأكلوا ثمنُ الشجر]^(٣) يعني : الكلاء، النهاية^(٤) : وفي الحديث (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء)^(٥)، النبات، والعشب سواء رطبة أو يابسة، ومعناه : أن البئر تكون في البادية ويكون قريباً منه الكلاء، فإذا ورد عليها وارد، فغلب على مائها، ومنع من يأتي بعده من الاستقاء منها فهو يمنع الماء، مانع من الكلاء، لأنه متى ورد عليه رجل يابله فأرعاها ذلك الكلاء، ثم لم يسقها قتلها العطش، فالذي يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منه، وقال الزجاج^(٦) : [كل ما نبت من الأرض فهو شجر، قال الراجز^(٧) :

**** نعلفها اللحم إذا عزّ الشجر ** والخيل في إطعامها اللحم ضرر **]**

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ﴾ الآية ١٠ من سورة النحل . وقول (ز) : ((والشراب ما يشرب)) .

(٢) ذكر ذلك الراغب في مفرداته ٢٥٧ مادة (شرب).

(٣) أخرجه أبو عبيد في الأحوال عنه موقوفاً، وزاد نحوه، وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن منبه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا السحت، قالوا : وما السحت؟ . قال : بيع الشجر وثن الخمر وإجارة الأمة المساحقة. تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٥٩٧ المسمى الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف.

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٩٤/٤.

(٥) أخرجه البخاري برقم ٢٣٥٣ كتاب الأشربة، باب من قال : إن صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى. وأيضاً برقم ٦٩٦٢ كتاب الخيل، باب ما يكره من الإحتال. ومسلم برقم ١٥٦٦ كتاب المساقاة، باب تحريم فضل بيع الماء الذي يكون بالفلاة . وأحمد في المسند ٢/٢٤٤، ٢٧٣، ٣٠٩، ٤٨٢ . والبيهقي ١٥١/٦ . والبغوي برقم ١٦٦٨ . وابن ماجه برقم ٢٤٧٨ كتاب الرهون، باب النهي عن بيع فضل الماء ليمنع به الكلاء . والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٣٣٠/١١ . والترمذي برقم ١٢٧٢ كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع فضل الماء.

(٦) الراجز ١٩٢/٣ في كتابه معاني القرآن.

(٧) الراجز غمر بن تولب العكلي، أحد بني عدي بن عوف بن عبد منات بن أذ، وهو عُكَل، كان جواداً شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وعمر طويلاً . انظر طبقات الشعراء للجمحي محمد بن سلام ٦٨-٦٩ . وقبل البيت :

**** إنا أتيناك وقد طال السفر ** نفود خيلاً ضمراً فيها صعر ****

قوله : ((ينبت : بالياء والنون)) وبالنون أبوبكر^(١) .

قوله : ((لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة))^(٢) أي : إنما قيل ﴿من كل﴾ بزيادة (من) التبعية، يدلّ على أن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها.

قوله : ((بعض من كلّها للتذكرة)) أي : إذا رأوا ما في الجنة من الثمرات ذكروا ما في الدنيا ليعلموا التفاوت، كما ذكر في أول البقرة في قوله تعالى : ﴿ وأتوا به متشابها ﴾^(٣) ، ^(٤) .

قوله : ((على، وجعل النجوم مسخرات))^(٥) أي : يجعل ناصب النجوم مضمراً وهو جعل، ومسخرات ثاني مفعوليّه، والجملة معطوفة على جملة قوله : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ﴾، ولا يجوز على هذا أن يعطف على المنصوبات بـ ﴿سخر﴾، وهي ﴿الليل﴾ : والنهار : والشمس : والقمر، لأن

(١) قرأ (ينبت) بالنون أبو بكر، والباقون بياء الغيبة (ينبت) . انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٨٦ والإتحاف ٢٧٧ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن كل الثمرات ﴾ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥ .

(٤) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة الآية ٣٧ : ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾، وقوله في سورة ق الآية ٩ : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد ... الآية ﴾، وقوله في سورة النبا الآية ١٤ : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً . لنخرج به حباً ونباتاً . وجنات ألفافاً ﴾، وقوله في سورة البقرة الآية ٢٢ : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الآية ١٢ من سورة النحل . قال (ز) : قرئت كلها بالنصب عطف ((على : ﴿وجعل النجوم مسخرات﴾)) .

﴿مسخرات بأمره﴾ حينئذ حال من المذكورات^(١) ، وقيل : للفعل، فكان المعنى : سخر هذه الأشياء في حال كونها مسخرات بأمره، فهو خلق نعم، يجوز أن يستعار سخر لكم لقوله : نفعكم، لأن الغرض من تسخيرها النفع، فكأنه قيل : ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقت له.

قوله : ((إنه سخرها أنواعاً من التسخير))، أي : جعل مسخرات مفعولاً مطلقاً على تأويل مسخر بمعنى التسخير، وإنما جمع لإرادة الأنواع.

قوله : ((وقرئ^(٢) ﴿والنجوم مسخرات﴾ بالرفع (بالرفع وما قبله بالنصب ابن عامر ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ بالرفع في الأربعة، وحفص موقع ﴿والنجوم مسخرات﴾ فقط^(٣)) والباقون بالنصب، القاضي^(٤) : [هذا على الإبتداء والخبر، فيكون تعميماً للحكم بعد تخصيص].

قوله : ((لأن الآثار العلوية أظهر دلالة))^(٥) من السفلية، يعني : حين ذكر الآثار السفلية أفرد الآية، وذكر التفكير^(٦) ، وحين ذكر العلوية جمعتها، وذكر العقل، وذلك أن الآثار السفلية مخفية، فتحتاج إلى إمعان النظر، ودقة الفكر، والآثار العلوية تدلّ في بدو العقل، وهي مع ذلك متشعبة، وفيها أنواع من الدلالات.

(١) على قراءة النصب أنها حال مؤكدة لعاملها، والعامل ما في سخر من معنى (نفع) أي : نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء. انظر أبو السعود ١٠٢/٣.

(٢) قرأ ابن عامر : ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ كله بالرفع، وقرأ حفص عن عاصم : ﴿والشمس والقمر﴾ بالنصب، ﴿والنجوم مسخرات﴾ بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب في الجميع. انظر المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٣، والسبعة لابن مجاهد ٣٧٠.

(٣) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٤) القاضي البيضاوي ١٧٧/٣ يعني أن حفصاً قرأ : ﴿والنجوم مسخرات﴾ على الإبتداء والخبر

... الخ.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ قال (ز) : جمع الآية وذكر العقل ((لأن الآثار العلوية أظهر دلالة)) على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

(٦) يعني قوله تعالى : ﴿وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه﴾ إن في ذلك لآية لقوم يذكرهم.

قوله : ((ووصفه بالطراءة، لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله))^(١)،
الراغب^(٢) : [طرياً غصّاً من الطراء والطراوة، يقال : طرّيت كذا فطري، ومنه :
المطراً من الثياب، والإطراء مدح يجدد ذكره : وطراً بالهمزة طلع]، الانتصاف^(٣) :
[وفيه إرشاد إلى أنه لا ينبغي أن يتناول إلا طرياً، فقد قال الأطباء : أكله بعد ذهاب
طراوته من أضرّ ما يكون].

قوله : ((ما بال))^(٤) قيل ((ما)) مبتدأ و ((بال)) خبره، و ((قالوا)) حال من
الفقهاء، لأنه في المعنى فاعل، لأن قولك : ما بالك ما تصنع نحو ما شأنك.

قوله : ((لأنهن إنما يتزين بها من أجلهم، فكأنها زينتهن ولباسهم))^(٥) ،
الانتصاف : [لله در مالك حين جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له من مالها،
وهو مقدار الثلث فحقه فيه بالتجمل]^(٦) ، وفي هذه الآية جعل حظ المرأة من زينتها
للزوج، فجعل لباسها لباسه إذا ركب السفينة.

قوله : ((يحيزومها))^(٧) أي : السفينة، [والحيزوم : وسط الصدر، وما يضم
عليه الحزام]^(٨) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو الذي سخر البحر لئلا تاكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا نفعه ولعلكم تشكرون ﴾ الآية ١٤ من سورة النحل . وقال (ز) في قوله:
﴿ لحماً طرياً ﴾ : هو السمك ((ووصفه بالطراءة ... الخ)) .

(٢) الراغب في مفرداته ٣٠٣ .

(٣) الانتصاف لابن المنير أحمد، حاشية الكشاف ٥٩٨/٢ .

(٤) إعراب لكلام (ز) حيث قال : ((فإن قيل : ما بال الفقهاء ؟ قالوا)) : إذا حلف الرجل لا يأكل
لحماً، فأكل سمكاً لم يحنث، والله تعالى سماه (لحماً) .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ حليهن ﴾ قال (ز) : هي اللؤلؤ والمرجان، والمراد بلبسهم : لبس نساكنهم، لأنهن
من جملةهن ((ولأنهن إنما يتزين بها ... الخ)) .

(٦) قال خليل بن إسحاق المالكي في باب الحجر : (وعلى الزوجة لزوجها ولو عبداً في تبرع زاد على
ثلثها) قال شارحه : ويحجر على الزوجة الحرة الرشيدة لزوجها البالغ الرشيد لحقه في التجمل بمالها الخ .

(٧) تفسير قوله : ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ قال (ز) : ﴿ المخر ﴾ شق الماء ((يحيزومها)) .

(٨) الصحاح للجوهري ١٨٩٩/٥ مادة (حزم) .

قوله : ((المائد الذي يدار به))^(١) أي الشخص الذي يدور رأسه، الأساس : [والدهر بالإنسان دوّاري يَدُورُ بأحواله المختلفة]^(٢)، قال القاضي^(٣) : [قبل^(٤)] أن تخلق فيها الجبال كانت كالكرة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب، فلما خلق عليها الجبال تفاوتت جوانبها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز، فصارت كالأوتاد التي تمنعها من الحركة].

قوله : ((لأن ألقى فيه معنى جعل))^(٥) يعني : لا يقال : ألقى فيها أنهاراً لكن لما تضمن ﴿ألقى﴾ معنى جعل، صحّ عطف ﴿أنهاراً﴾ على ﴿رواسي﴾، قلت : ويجوز ﴿أنهاراً﴾ أن يكون من باب قوله : علّفتها تبناً وماءً بارداً^(٦)، أي : وأجرى فيها أنهاراً.

قوله : ((والمراد بالنجم الجنس))^(٧)، الراغب^(٨) : [أصل النجم الكوكب الطالع، وجمعه نجوم ونجم طلع نجماً ونجوماً، فصار النجم مرة اسماً ومرة مصدراً، ومنه شبه به طلوع النبات والرأي، فقليل : نجم النبت والقرن، ونجم لي رأي نجماً ونجوماً، ونجم فلان على السلطان صار عاصياً، ونجمت المال عليه إذا وزعته، كأنك فرضت أن يدفع عند طلوع كل نجم نصيباً، ثم صار متعارفاً في تقدير دفعه بأي شيء قدرت ذلك].

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تعبد بكم وأنهاراً وسيلاً لعلكم تهتدون﴾ الآية ١٥ من سورة النحل . قال (ز) في قوله : ﴿أن تعبد بكم﴾ : كراهة أن تعبد بكم وتضطرب ((والمائد الذي يدار به)) إذا ركب البحر.

(٢) الأساس : والفلك دوار، والدهر بالإنسان ... الخ ١٩٨ مادة (دور).

(٣) القاضي البيضاوي في الأسرار، قال : إن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال ... الخ ١٧٨/٣.

(٤) في م (إن الأرض) قبل، وهو الصواب.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وألقى﴾ قال (ز) : ((لأن ألقى فيه معنى جعل)).

(٦) وعجزه :

** حتى شئت همالة عيناها ** لم يعرف قائله. وذكره اللسان. مادة (علف).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ الآية ١٦ من سورة النحل. قال (ز) : ﴿وعلامات﴾ هي معالم الطريق، وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك، ((والمراد بالنجوم الجنس)).

(٨) الراغب في مفرداته ٤٨٣ مادة (نجم).

قوله : ((هو الثريا والفرقدان وبنات نعش . الثريا : هي أنجم ستة منتظمة تشبه عنقود الكرم. والفرقدان : نجمان متوقدان من نجوم البنات. والجلدي : نجم عند القطب تعرف به القبلة، المغرب^(١) : [يقال : كوكب القبلة : جَدْيُ الْفَرْقَد، بفتح الجيم وسكون الدال، ومنه قول ابن المبارك^(٢) في تحري القبلة : أهل الكوفة يجعلون الجَدْيَ خلف القفا. والمنجمون يسمونه الجُدْيَ، على التصغير، فرقاً بينه وبين البُرْج].

قوله : ((وقرأ الحسن بضميتين، قال ابن جني^(٣) : [قرأ الحسن وبالنجم، وقرأ يحي وبالنجم بضم النون وسكون الجيم، النجم : جمع نجم ومثله مما كُسِرَ من فَعْل على فُعْلٍ سَقَفٍ وَسُقْفٍ وَرَهْنٍ وَرُهْنٍ، وإن شئت أراد النجوم فقصر الكلمة فحذف واوها، ومثله من المقصور من فُعُول قول أبي بكر في أسدٍ إنه مقصور من أسودٍ فصار أسداً ثم أسكن].

قوله : ((وبالنجم هم يهتدون)) مخرج عن سنن الخطاب)) يعني: أن هذا التركيب مشتمل على خواص فن المعاني بالمسند إليه، أحدها : أن الآيات السابقة من لدن فاتحة السورة إلى ههنا واردة على سنن الخطاب، فما بال هذه أخرجت عن الخطاب إلى الغيبة، وثانيها : فيه تقديم المجرور وهو ﴿وبالنجم﴾ على عامله، وهو ﴿يهتدون﴾، وثالثها : تأكيد التركيب بقوله : ﴿هم﴾ فدلّ تلون الخطاب على امتياز هؤلاء عن السابق ذكرهم. ودلّ تقديم ﴿بالنجم﴾ على اختصاص هؤلاء بالإهداء بالنجم دون غيرها مما يهتدى به، ودلّ التوكيد بإقحام ﴿هم﴾ على اختصاصهم بهذه

(١) المغرب ١/١٣٥ مادة (جدي).

(٢) ابن المبارك عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة الأعلام، روى عن حميد الطويل وغيره، وعنه معمر وسفيان، قال ابن مهدي : الأئمة أربعة : مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وابن المبارك. انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ١١٧، وتاريخ بغداد ١٥٢/١٠.

(٣) قاله ابن جني في كتابه المحتسب في شواذ القراءات، قال : قرأ الحسن ﴿وبالنجم﴾ ٨/٢، ومختصر شواذ القرآن لابن خالوية ٧٢ فقال ذلك أيضاً. وانظر البحر المحيط ٤٨٠/٥. وقرأ النخعي ومجاهد ﴿النجوم﴾ المرجع السابق، وقرأ يحي بن وثاب (النجم) بضم النون وسكون الجيم. انظر المحتسب ٨/٢.

الهداية، دون غيرهم. وأجاب عن تلوين الخطاب بقوله : ((كأنه أراد قريشاً)) وعن التوكيد بقوله : ((كأن لهم اهتداء وبالنجوم في مسائرهم)) وعن التخصيص بقوله : ((وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم)) وقلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ((القي في الأرض سبلاً)) عام في أهل القرى والمدن والبوادي ﴿لعلكم تهتدون﴾ إما أن يتعلق بأول الآية أو بقوله ﴿سبلاً﴾ ويكون ﴿لعل﴾ للتحقيق، وأما الاهتداء بالنجم فمختص بمن هو حاذق في سلوك البحر، والمهامية^(١) البيد التي لا منار لها ولا سبيل، وتقديم ﴿وبالنجم﴾ لأن معناه وبالنجم خصوصاً لا بغيره يهتدون، أو لمراعاة الفواصل وإقحام ﴿هم﴾ لتقوي الحكم، والعدول إلى الغيبة للاقتفات، والإيذان بأن هذا الإهتداء أغرب من الأول، والمعرض عنه أدخل في الكفران، والفاء في فكان الشكر للسببية وكذا في قوله : ((فخصصوا)).

قوله : ((المشاكلة بينه وبين من يخلق))^(٢) يعني جيء بمن الذي هو مختص بأولي العلم للجماذ الذي هو أصنام، لأنها مصحوبة مع ذكر من يخلق، كقوله تعالى : ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾^(٣).

قوله : ((لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا)) يريد أن الآيتين من باب المبالغة والإلزام بالطريق الأولى لا لتصحيح العبودية للأصنام بحصول

(١) المهامة : جمع (مهممة) والبيد : جمع بيداء.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ الآية ١٧ من سورة النحل. قال

(ز) : فإن قلت : ﴿من لا يخلق﴾ أريد به الأصنام، فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم، قلت : فيه أوجه، أحدها : أنهم سموهم آلهة وعبدوها، فأجروها مجرى أولي العلم. والثاني : ((المشاكلة بينه وبين من يخلق)). والثالث : أن يكون المعنى : أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بمن لا علم له. كقوله ﴿ألم أرحل يمشون بها﴾ يعني : أن الآلهة حالهم منحة عن حال من لهم أرجل وأيدٍ وآذان وقلوب، لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة ((لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا)).

(٣) سور الشورى الآية ٤٠.

ما هو مفقود عنها موجود في الناس. الانتصاف^(١) : [الزحشري يجزم على أن العباد يخلقون أفعالهم، فالمراد ظهور التفاوت بين من يخلق ومن لا يخلق منهم كالعاجزين والزمني حتى يثبت أن التفاوت بين ما لا يخلق كالأصنام أولى].

قوله : ((هو إلزام للذين عبدوا الأوثان)) وجه السؤال^(٢) : أن المشركين ما شبهوا الخالق بالأصنام حتى ينكر عليهم بقوله : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾، وإنما شبهوا الأصنام بالخالق، فكان حق الإلزام أن يقال : أفمن لا يخلق كمن يخلق. ووجه الجواب : أن وجه التشبيه إذا قرن بين الطرفين أعني المشبه والمشبه به، ويرجع التشبيه إلى التشابه، فيقال : وجه الخليفة كالقمر، والقمر كوجه الخليفة، والمشركون لما مُعاملوا مع الأصنام بما ينبغي أن يعامل به الإله الحق من تسميتها بالآلهة، والتوجه بالعبادة إليها، فلم يبق عندهم فرق بينها وبينه، تعالى عما يفعل الظالمون علواً كبيراً، حصل التشابه، فقليل ما قيل، أو ذهب إلى التعكيس، لأن من حق المشبه أن يكون أحط من المشبه به فيما وقع فيه الشبه، فإذا قلب انعكس مزيداً للتقريع والتجهيل.

قوله : ((أتبع ذلك))^(٣) أي اتبع قوله : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ ما عدّد أي جميع ما عدّد من أول السورة إلى ههنا من النعم، فقوله : ﴿ ذلك ﴾ مفعول أول، وقوله : ((ما عدّد)) مفعول ثاني، يعني لما عدّد النعم المتكاثرة، وأريد استيفاء جميع أقسامها وأنواعها، وكانت مما لا تنحصر بحسب العادة، ختم بجامع يحتويها كلّها تنبيهاً على أن وراء المذكورة مما لا يعدّ، كقوله تعالى : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾.

(١) الانتصاف ٥٩٩/٢ .

(٢) انظر البيضاوي وحاشيته ١٧٢/٣ فقد بين كلام الطيبي، وكذلك غرائب القرآن، ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ٥٦/١٤ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ إن الله لغفور رحيم ﴿ الآية ١٨ من سورة النحل، قال (ز) : في قوله : ﴿ لا تحصوها ﴾ : لا تضبطوها عدداً، ولا تبلغه طاقتكم، فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر ((أتبع ذلك)) ما عدّد من نعمه، تنبيهاً على أن وراءها ما لا ينحصر.

قوله : ((﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم إلى آخره^(١)) ، فيه إشارة إلى أن التعليل بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للتذليل ، وفي قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ إشعار بوجود تقصير في أداء شكر ما أولاهم من النعم ، وذلك من مفهوم قوله : ﴿وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ يعني : أن إنعام الله لا نهاية لها ، فإذا لا يقدر أحد أن يقوم بحققها ، كما هو حقها ، وهو يقتضي سلب تلك النعمة ، وإنزال النعمة بدلها ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يتجاوز عن التقصير عاجلاً ، رحيم لا يقطع النعمة لكن لا بد أن يجازيكم آجلاً على أعمالكم ، لأنه يعلم ﴿مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾ ، وفيه إشعار بأن تكليف ما لا يطاق جائز ، لكن غير واقع من الله تعالى تكملاً وتفضلاً .

قوله : ((ومعنى : ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أنهم لو كانوا آلهة))^(٢) يعني : كان يكفي أن يقال : هم أموات ، فقرن بقوله : ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ ليكون تعريضاً بالإله الحق في أنه حي لا يموت ، فمن كان بعكسه لا يكون إلهاً .

قوله : ((وفيه دلالة)) أي في قوله : ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ إدماج^(٣) لمعنى أنه لا بد من البعث وأن البعث من لوازم التكليف ، يعنى من شأن المعبود أن يجازي عابده الذي كلفه على عبادته ، وهو في الدنيا مفقود كما نشاهد في ظاهر الحال ، فلا بد من دار الجزاء وبعث الخلق للثواب والعقاب ، ثم إذا كان كذلك ، لا بد للإله من العلم بالكائن الواجب ، فنفى عنهم ذلك العلم لتنتفي إلهيتهم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . إليه مرجعكم جميعاً وعد الله

(١) وآخره يعني حيث تجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ : أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴿الآية ٢٠ ، ٢١ من سورة النحل﴾ . وقال (ز) : ((ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة)) على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات .

(٣) الإدماج في اللغة : اللف ، وإدخال الشيء بالشيء ، وفي الاصطلاح : أن يضمن كلام سيق لمعنى مدحاً كان أو معنى آخر ، وهو أعم من الاستيعاب لشموله المدح وغيره ، واختصاص الاستيعاب بالمدح . التعريفات للجرجاني ٣٠ .

حقاً إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم ... ﴿١﴾

قوله : ((ووجه آخر، هو : أن يكون المعنى)) عطف على قوله (٢) : ((نفى عنهم خصائص الإلهية)) .

قوله : ((وأنهم أموات)) أي : لا بدّ لهم من الموت غير أحياء غير باقية على حياتهم، اعلم أن المؤلف حين أثبت الموت للأصنام، كانت جهادات أول توكيده بقوله تعالى : ﴿ غير أحياء ﴾ بقوله : ((أنه غير جائز عليها الحياة))، تنبيهاً على أنها أقل من الحيوان دون النامي، لجواز إثبات الحياة لها حقيقة ومجازاً، وحين أثبتته للملائكة وجعله مجازاً باعتبار ما يؤول، أكّده بما يناسبه من قوله : ((غير باقية على حياتهم))، كقوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ (٣) .

كقوله : ((يعني أنه قد ثبت بما تقدم)) (٤)، فاعل (ثبت) ضمير يرجع إلى قوله تعالى : ﴿ إلهكم إله واحد ﴾ (٥)، فذلّة (٦)، لما سبق وإعادة للمدعي مجملأ بعد إقامة الحجة عليها مفصلاً، المعنى قد ثبت بالدلائل الدالة على أن الإلهية مختصة بالله، وأنه منفرد بالألوهية، وهو المعبود الحق، وإذا كان كذلك، فمن حقه أن

(١) سورة يونس الآية ٤.

(٢) يعني قول (ز) : في قوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ وقرئ بالباء ﴿ تدعون ﴾ وقرئ بالياء ﴿ يدعون ﴾ على البناء للمفعول ((نفى عنهم خصائص الإلهية)) بنفي كونهم خالقين، وأحياء لا يموتون.

(٣) سورة الزمر الآية ٣٠.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلهكم إله واحد ﴾ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. لا جرم أن الله يعم ما يسرون وما يعلنون ﴿ الآية ٢٢، ٢٣ من سورة النحل. فقول (ز) في قوله : ﴿ إلهكم إله واحد ﴾ : ((يعني أنه قد ثبت بما تقدم)) من إبطال أن تكون الإلهية لغيره، وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوحدة، ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم، وأن قلوبهم منكرة للوحدة، وهم مستكبرون عنها ((وعن الإقرار بها)) .

(٥) واحد (يريد أن قوله ﴿ إلهكم إله واحد ﴾) ما بين القوسين س من أ، م.

(٦) الفذلّة : مجمل ما فصل وخلاصته. وهي محدثة . المعجم الوسيط ٦٧٨/٢.

يختصّ بالعبادة، وأن لا تنكر إلهيته، وهؤلاء عكسوا واستمروا على شركهم وقلوبهم منكراً للوحدانية، فقلوه : ((قد ثبت بما تقدم)) إلى آخر قوله : ((وعن الإقرار بها)) تفسير لقوله تعالى : ﴿ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ فالفاء^(١) في قوله : ((فكان من نتيجة)) هي الفاء في قوله : ﴿ فالذين لا يؤمنون ﴾، ومجاز هذه الفاء، كمجاز اللام في قوله : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾^(٢) .

قلوه : ((وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها)) الراغب^(٣) : [الكِبَرُ والتَّكَبُّرُ والاستكبار والكبرياء متقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة. ويقال : التكبر على وجهين : أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وُصِفَ الله بالتكبر، فهو محمود، يؤيده قوله تعالى : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾^(٤) . وثانيهما : أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً، وذلك في وصف عامة الناس، في قوله تعالى : ﴿ فبئس مشوى

(١) قال الألوسي : إن الفاء في قوله : ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ للسببية، كما في قولك : أحسنت إلى زيد فإنه أحسن إليّ، لأن إصرارهم على الإنكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين القطعية على اختصاص الإلهية به سبحانه وتعالى، فكان من نتيجة ذلك إصرارهم على الإنكار، فإن الكفر بالآخرة وما فيها من البعث والجزاء يؤدي إلى قصر النظر إلى العاجل وعدم الالتفات إلى الدلائل الموجب لإنكارهم والاستكبار عن اتباع الرسل . انظره ١٢١/١٤ .

(٢) سورة القصص الآية ٨ .

(٣) الراغب ٤٢١ مادة (كبر).

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٦ .

المتكبرين ﴿١﴾ . والاستكبار يقال على وجهين : أحدهما : أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي مكان يجب وفي زمان يجب فمحمود، والثاني : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهو مذموم، وعليه قوله تعالى : ﴿أبى واستكبر﴾ (٢) وقال : ﴿الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿إلى فرعون وملأه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ (٤) ، وبه بقوله : ﴿فاستكبروا﴾ على إعجابهم بأنفسهم وتعظيمهم عن الإصغاء إليه، وبه بقوله : ﴿وكانوا مجرمين﴾ أن الذي حملهم عليه هو ما قدموا من جرمهم، وأن ذلك كان دأبهم، والكبرياء الترفع عن الانقياد، وذلك لا يستحقه غير الله، قال تعالى : ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ (٥).

قوله : ((ويجوز أن يعم كل مستكبر)) يعني : أن قوله : ﴿المستكبرين﴾ إما من وضع المظهر موضع ضمير المشركين، ويراد بالاستكبار : الاستكبار عن التوحيد فقط، لقرائن المقام، والمراد منه من عرف الحق أيّاً كان واستكبر، وتعرف بالنعمة فغمط وكفر، فيكون ﴿المستكبرين﴾ مطلقاً، على منوال : فلا يعطي ولا يمنع، ويدخل في هذا العام من سيق له الكلام دخولاً أولياً.

قوله : ((﴿ماذا﴾ منصوب (٦) بـ﴿أنزل﴾ بمعنى : أي شيء أنزل)) قال صاحب الفرائد : الوجه أن يكون مرفوعاً بالإبتداء (٧) بدليل قوله : ﴿أساطير الأولين﴾

(١) سورة النحل الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٣) سورة الأعراف الآية ٤٦.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٣٣.

(٥) سورة الجاثية الآية ٣٧.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين . ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ الآية ٢٤، ٢٥ من سورة النحل. قال (ز) : ﴿ماذا﴾ منصوب بـ﴿أنزل﴾.

(٧) وعلى هذا فتكون (ذا) موصولة، و(ما) مبتدأ، وجملة (أنزل) صلة الموصول، والموصول وصلته خبر المبتدأ، ويحتمل أن يكون مجموعهما اسماً واحداً في محل نصب على أنه مفعول بـ﴿أنزل﴾ كما أشار له في الخلاصة بقوله :

** ومثل ماذا بعد ما استفهام ** أو من إذا لم تلغ في الكلام **

بالرفع، لأن جواب المرفوع مرفوع، وجواب المنصوب منصوب، ولم يقرأ أحد : ﴿أساطير الأولين﴾ بالنصب، وقال صاحب التقریب : [في كلام المصنف^(١) نظر، إذ لا مقتضى للتقدير في أحدهما بما فيه صورة فعل، وهو ما ﴿يدعون﴾ وفي الآخر ﴿بالمنزل﴾، وأيضاً لم خالف بين لفظي الدعوى والإنزال في التقديرين مع أنه حمل الإنزال على السخرية؟ ويمكن أن يجاب عن الأول بأن الرفع أدلّ على ثبات الإنزال من النصب لأنه جملة اسميه، فقال فيه المنزل ﴿أساطير﴾، وفي النصب ما يدعون ﴿أساطير﴾، أو أن أنزل في النصب باق على فعليته فيقتضي في الجواب فعلاً، ولم يمكن مطابقة الجواب السؤال مطلقاً، لأن ﴿أساطير﴾ مرفوع، فأتى بما فيه صورة فعل على الجملة، وهو ما يدعون و﴿أنزل﴾ في الرفع مقدر بمفرد، لأنه خبر أي شيء المنزل، فأتى في الجواب بما يجانسه، فقال : المنزل أساطير الأولين. تم كلامه]. وقلت : مدار المطابقة بين السؤال والجواب على موافقة السائل المجيب ومخالفته كما ذكره المصنف بعيد هذا في قوله : ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾، إنما نصب هذا ورفع الأول للفصل بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، فالجيب بقوله : أساطير الأولين ههنا المشركون قطعاً، وأما السائل فيحتمل أن يكون أيضاً منهم، كما قال : ((وهو كلام بعضهم)) وأن يكون من المسلمين أو الوافدين كما صرح بهما، والجيب في تلك الآية ليس إلا المسلمون، فلذلك طابقوا في الجواب، فههنا على الأول، وهو أن يكون كلام بعضهم لبعض المطابقة اللازمة، فالوجه الرفع، وأن يجاب بقوله : المنزل أساطير، فيرد عليه السؤال الذي ذكره، وأجاب أنه من باب السخرية، وعلى الثاني والثالث

(١) يعني بالمصنف الزمخشري قال : إذا نصبت فمعنى ﴿أساطير الأولين﴾ ما تدعون نزوله أساطير الأولين، وإذا رفعته فالمعنى : المنزل أساطير الأولين.

وعلى التقديرين، فقوله : ﴿أساطير الأولين﴾ بالرفع، ليس بجواب الكفار، وإلا لكان المعنى : الذي أنزل ربنا ﴿أساطير الأولين﴾ والكفار لا يقرون بالإنزال، فهو إذا كلام مستأنف، وذكر في دفع التناقض أنه على السخرية، كقوله : ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾.

قال ابن عطية : ﴿أساطير الأولين﴾ ليس بجواب عن السؤال، لأنهم لم يريدوا أنه نزل شيء، ولا أن تم منزلاً، ولكنهم ابتدءوا الخبر، بأن هذه أساطير الأولين، وإنما الجواب عن السؤال قول المؤمنين في الآية المستقلة : ﴿خير﴾، وقولهم : ﴿أساطير الأولين﴾ إنما هو جواب بالمعنى، فأما على السؤال وبحسبه فلا. ٣٩٨/٨

الموافقة بين السائل والمجيب مفقودة، فيجب الاختلاف، وهو ما قدره، ما تدعون نزوله أساطير الأولين، فلا يرد عليه السؤال، ولهذا قال القاضي^(١) : [وإنما سموه منزلاً على التهكم أو على الفرض، أي : على تقدير أنه منزل، فهو أساطير الأولين، لا بتحقيق فيه]، وتام التحقيق في المسئلة ما ذكره ابن الحاجب^(٢) ، قال : [وذكر، أي : الرمنخشري (فيماذا صنعت) وجهين، وقال : جواب أحدهما بالرفع والآخر بالنصب على ما ذكر، وهذا على سبيل الاختيار، وإلا فالوجهان جائزان في الوجهين، لأنه لو صرح بما يفسر به كل واحد منهما لجاز الوجهان، ثم المناسب في النصب أن يقدر الفعل المذكور فينصب به، وفي الرفع أن يقدر مبتدأ على حسب المعنى، ليطابق الجواب السؤال، وهذا كله إذا كان المجيب موافقاً للسائل في أحد جزئيه فيحذفه ويستغنى بدلالة كلام السائل عليه، مثل قوله : ما كتبت، وهو قد كتب. فيقول : مصحفاً أو شبهه، فأما إذا لم يكن موافقاً له في الفعل تعذر تقديره لإخلاله بالمعنى، إذ يفهم منه الإثبات، وهو غير مرید له، كما إذا قال له، وقد سمع صوتاً ظنّه ضرباً منه، فيقول : من ضربت؟. فيقول له القائل : هو صوت مناد، فالنصب ههنا لا يستقيم لأنه قاصد نفيه في المعنى مثبت لغيره، فهو يفسد المعنى، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾، فلو نصب ههنا لم يستقم، لأنهم ليسوا مقرّين بإنزال من الله، متعلّق بأساطير الأولين، بل منكرين الإنزال من الله مطلقاً، وقولهم : ﴿أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾ : نفي الإنزال، أي : هذا الذي يقول : إنه إنزال هو أساطير الأولين، فيفسد تقدير الفعل على هذا، وقلت : ولهذا الأمر لما جعله من كلام بعضهم لبعض وطابق الجواب السؤال قال : هو على السخرية، ويجوز أن يقال : هو من أسلوب القول بالموجب على التهكم، كأنهم لما سألوا : ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ؟﴾ أجابوا : المنزل أساطير الأولين، أي : هو منزل، لكن أساطير كما قال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمُنْ بَالِ اللَّهِ وَيَوْمُنْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

(١) القاضي البضاوي في أنوار التنزيل ١٧٩/٣.

(٢) ذكره في كتابه الإيضاح في شرح الفصل ٤٩٥/١.

(٣) سورة التوبة الآية ٦١.

قوله : ((لأن المضل والضالّ شريكان))^(١) تعليل لحمل المضل بعض أوزار الضالّ، الذي هو سبب فيه، كأن ما يعمله الضالّ مشترك بينه وبين المضلّ، وهما متحاملان الوزر، وإليه ينظر قوله تعالى : ﴿وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾^(٢) فإن استمتع الناس بالجن دلالتهم إياهم على استيفاء اللذات والتمتع بالشهوات، واستمتع الجن بالإنس اعترافهم بكونهم رؤساء متبوعين، وإليه أشار بقوله : ((هذا يضلّه وهذا يطاوعه))، وأما قوله ((بعض أوزار من ضلّ بضالّهم)) فمبني على أن (من) في قوله : ﴿من أوزار الذين يضلّونهم﴾ تبعيض^(٣)، وأن المضلّ غير حامل كلّ أوزار الضالّ، وهذا غير مخالف لما روينا عن مسلم ومالك وأبي داود والترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)^(٤)، لأن المراد ببعض أوزار من ضلّ الذي بسبب المضلّ فيه، وكذلك الآثام في

(١) تفسير قوله : ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي : قالوا ذلك إضلالاً للناس، وصداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحملوا أوزار ضلالهم ﴿كاملة﴾ ((وبعض أوزار من ضلّ بضالّهم)) وهو وزر الإضلال ((لأن المضلّ والضالّ شريكان)) ((هذا يضلّه وهذا يطاوعه)).

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٨.

(٣) قال القرطبي : ﴿من﴾ لبيان الجنس، فهم يحملون مثل أوزار من أضلّوهم كاملة، وأوضح تعالى هذا المعنى في سورة العنكبوت الآية ١٣ : ﴿وليحملن أثقالهنّ وأثقالاً مع أثقالهنّ وليسألنّ يوم القيامة عما كنّ يفترون﴾. واللام في قوله ﴿ليحملوا﴾ تتعلق بمحذوف دلّ المقام عليه، أي : قدرنا عليهم أن يقولوا في القرآن : ﴿أساطير الأولين﴾ ليحملوا أوزارهم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٧٤ كتاب العلم، باب لزوم السنة، عن يحيى بن أيوب بهذا الإسناد. وأبو داود ٢٠١/٤ كتاب السنة، باب لزوم السنة برقم ٤٦٠٩. والترمذي ٤٢/٥ كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى برقم ٢٦٧٤ وقال : حديث حسن. والموطأ ٢١٨/١ كتاب القرآن، باب العمل في الدعاء برقم ٤٩ مع اختلاف. وابن ماجه ٧٥/١ المقدمة، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة. وأحمد في المسند ٣٩٧/٢. والبيهقي في شرح السنة ٢٣٢/١ برقم ١٠٩. والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣١٨/١ باب ذكر الحكم فيمن دعا إلى هدى. والبيهقي في معالم التنزيل ١٥/٥، وذكر الحديث المذكور.

الحديث، وذهب أبو البقاء^(١) إلى أن (من) زائدة على مذهب الأخفش^(٢).

قوله : ((خرجت من البلد مخافة الشر))^(٣) ويجوز أن يكون اللام للصيرورة، قال القاضي^(٤) : [قالوا ذلك إضلالاً للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة، فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال، فعلى هذا اللام للصيرورة كقوله : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾^(٥) ، ويجوز أن يكون لام الأمر الذي هو الغيبة.

قوله : ((وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلّوه)) أي : إنما نسب البالغ إلى الضلال في قوله : ﴿ الذين يضلونهم ﴾ ، وأضيف الأوزار إليهم في قوله : ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم ﴾ أي : من أوزار الضالين، والحال أنهم غير عالمين بذلك لتقصيرهم، والواحد جعل بغير علم حالاً من الفاعل^(٦) ، حيث قال : إنهم يفعلون ذلك جهلاً منهم بما كانوا يكسبون، ومثل أوزار من تبعهم، ثم ذم صنيعهم فقال : ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾ ، ويمكن أن يجعل حالاً منهما كما قال ابن جني في قوله تعالى : ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾^(٧) تحمله : يجوز أن يكون حالاً من كل واحد منهما، ومنهما معاً، وهذا أنسب لاقتضاء المقام، ثم قول الواحدي : أنسب منهما، لأن التذييل بقوله : ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾ لا يحسن إلا على ذلك التقدير، وكذلك

(١) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٧٩/٢ قال : ﴿ ومن أوزار الذين ﴾ أي : وأوزاراً من أوزار الذين، وقال الأخفش : ﴿ من ﴾ زائدة.

(٢) الأخفش لعله الأخفش الأكبر، عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة، أبو الخطاب من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وأخذ عنه سيويه والكسائي ويونس وأبو عبيدة، مات سنة ١٧٧ هـ. انظر طبقات اللغويين بغية الوعاة، ٧٤/٢.

(٣) متعلق بتفسير قوله : ﴿ ليحملوا أوزارهم ﴾ قال (ز) : ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضاً، كقولك : ((خرجت من البلد مخافة الشر)).

(٤) القاضي البيضاوي ١٧٩/٣.

(٥) سورة القصص الآية ٨.

(٦) انظر تفسير أبي السعود ١٠٧/٣ أي : يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال، أو

حال من المفعول، أي : يضلون من لا يعلم أنهم ضلال.

(٧) سورة مريم الآية ٣٧.

قوله : ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ وتعقيبه بقوله : ﴿ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ ولأن الكلام وارد في ذمّ المشركين الذين اقتسموا مداخل مكة يضلّون الوافدين والمسلمين^(١) ، فنجب المبالغة في ذمهم وتجهيلهم.

قوله : ((منصوبات))^(٢) قال المصنف : المنصوبة الحيلة، يقال : سوى فلان منصوبه، وفي الأصل صفة للشبكة أو الحباله، فجرت مجرى الأسماء كالدابة والعجوز، وفي الكلام حذف، أي : هذا تمثيل حالهم في أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا، فجعل الله هلاكهم فيها، كحال قوم بنوا إلى آخره، وهو استعارة تمثيلية^(٣) ، لأن التشبيه إنما وقع في الحال والأمر المنتزعة، وعلى هذا كان من الواجب فيه مراعاة مفردات المعاني من الجانبين، وعلى ما قرره أخل في المشبه به معنى في المشبه، لأن من بنى بنياناً وعمده بالأساطين، لا يعتمد فيه المكر كمن يسوي المنصوبات . نعم لو قدر بأن بنى بنياناً ويسوي فيه شبه المنصوبات بلطائف الحيل، ويتخذ مادته ليكيدها بها عدوه فينقلب عليه من حيث لا يشعر، ويسلم العدو، ونحو بناء عمرود الصرح، كما ذكر

(١) قال مقاتل والفراء : هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجاجها، يقولون لمن سلكها : لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعى النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا : ساحر، وربما قالوا : شاعر، وربما قالوا : كاهن، وسُموا المقتسمين، لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماهم الله شرّ ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : صدق أولئك . انظر القرطبي ٥٨/١٠، والنكت والعيون تفسير الماوردي ١٧٢/٣، والدر المنثور ٥٨/٥.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿ الآية ٢٦ من سورة النحل. قال (ز) : القواعد : أساطين البناء التي تعتمده، وقيل : الأساس، وهذا تمثيل، يعني : أنهم سوّوا ((منصوبات)) ليمكروا بها الله ورسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات.

(٣) وهذه استعارة، لأن الإتيان هنا : لإيراد به الحضور من غيبة، ولا القرب من بعد، وإنما ذلك، كقول القائل : أتيت من جهة فلان، أي جاءني المكروه من قبله، وأتي فلان من مأمنه، أي : ورد عليه الخوف من طريق الأمن، والضّر من مكان النفع . انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ١٢٣.

والإستعارة التمثيلية تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

لصح، ولعله قصد ذلك، ولذلك استشهد بها، وفي ذكر لفظة فوق مع الاستغناء عنه ظاهراً، لأن خروار السقف لا يكون إلا من فوق، مزيد لتقرير التهويل.

قوله : ((فأتى البنيان)) أي خرب، الأساس^(١) : [أتى عليهم الدهر أفناهم].

قوله : ((بنى الصرح)) الجوهري^(٢) : [الصرح القصر وكل بناء عال].

قوله : ((﴿من القواعد﴾ من جهة القواعد)) يشير إلى أن ﴿من﴾ ابتدائية، أي: نشأ تخريب بنيانهم من القواعد مبالغة^(٣) في الهدم، لأن المتعارف في التخريب الأخذ من السقف إلى أن ينتهي إلى القواعد، وكان أمرهم على العكس، وإليه الإشارة بقوله : ((بأن ضععت فسقط عليهم السقف))^(٤) ، الجوهري^(٥) : [ضععه: أي: هدمه حتى الأرض، وتضععت أركانه : أي : اتضعت].

قوله : ((هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة))^(٦) ، أي : العذاب الكامل، وهو الخزي والمهوان، لدلالة (ثم) على التفاوت بين العذابين، وفيه أيضاً معنى التراخي في الزمان، كما هو موضوع (ثم)، فيجب أن يعتبر فيها معنى الكناية، وهو مطلق للعبد لا المجاز، لئلا يجتمع إرادة الحقيقة والمجاز معاً.

(١) أساس البلاغة للزمخشري ص ١١ مادة (أتى).

(٢) الصحاح للجوهري ٣٨١/١ مادة (صرح).

(٣) وهذا الذي فعل بهؤلاء الكفار الذين هم غرود وقومه، فعل مثله أيضاً بغيرهم من الكفار، فأبطل ما كانوا يفعلون ويدبرون، كما في سورة الأعراف الآية ١٣٧ : ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ وقوله في سورة الحشر الآية ٢ : ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.

(٤) تفسير قوله : ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم ... الآية﴾ قال (ز): كحال قوم بنوا بيانا وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين ((بأن ضععت فنقط عليهم السقف.

(٥) الجوهري في صحاحه ١٢٥٠/٣ مادة (ضععت).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ الآية ٢٧ من سورة النحل. كما في قوله تعالى في سورة آل عمران الآية ١٩٢ : ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ... الآية﴾، وقوله في سورة التوبة الآية ٦٣ : ﴿فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم﴾ وقوله في سورة فصلت الآية ١٦ : ﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾.

قوله : ((حكاية لإضافتهم))^(١) بالرفع خبر ﴿شركائي﴾ على الحكاية، هو الصحيح، والنسخة الشائعة بالنصب، والمعنى على الأول : هذا القول حكاية لإضافتهم، يعني كانوا يقولون : هؤلاء شركاء الله، فحكى الله الإضافة على ما كانوا يضيفونه. وعلى الثاني : قال الله تعالى شركائي على الإضافة، حكاية، فهو إما حال أو مفعول له.

قوله : ((تشاقون فيهم تعادون)) الراغب^(٢) : [الشقاق المخالفة، وكونك في شقّ غير شقّ صاحبك أو من شقّ العصا بينك وبينه، قال تعالى : ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾^(٣) أي : صار في شق غير شق أوليائه، نحو : ﴿ومن يحادد الله﴾^(٤) ، ويقال : المال بينهما شق الشعرة وشق الأبلّة^(٥) ، أي : مقسوم كقسمتهما.

قوله : ((وقرئ ﴿تشاقون﴾ بكسر النون))^(٦) قرأها نافع، يقولون ذلك أي : ﴿إن الحزري اليوم والسوء على الكافرين﴾.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الحزري اليوم والسوء على الكافرين﴾ الآية ٢٧ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿شركائي﴾ : على الإضافة إلى نفسه ((حكاية لإضافتهم)) ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم. ومثل هذه الآية كثير في القرآن كقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٢ : ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وقوله في سورة الشعراء الآية ٩٣ : ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾ وقوله في سورة غافر الآية ٧٤ : ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا ... الآية﴾.

(٢) الراغب في مفرداته ٢٦٤ مادة (شق).

(٣) سورة الأنفال الآية ١٣.

(٤) سورة التوبة الآية ٦٣.

(٥) الأبلمة : الخوصة إذا أخذت فشقت طولاً انقسمت بنصفين، وهي مثلثة الهمزة واللام . النهاية ١٧/١ واللسان مادة (بلم).

(٦) قرأ نافع وحده ﴿تشاقون﴾ مكسورة النون خفيفة، والباقون بفتح النون . كتاب السبعة لابن مجاهد ٣٧١-٣٧٢، والحجة لابن زنجلة ٣٨٨.

قوله : ((من أمهم))^(١) (من) ابتدائية، أي : من جهة أمهم، كما في ﴿من القواعد﴾، أي قال الأنبياء : من جهة أمهم المكذبة : ﴿إن الحزي اليوم والسوء على الكافرين﴾ شامة بهم.

قوله : ((وقرئ يتوفاهم))^(٢) قرأ حمزة في الموضعين بالياء التحتاني والباقون بالتاء.

قوله : ((وقرئ ﴿الذين تتوفاهم﴾ يادغام التاء في التاء))^(٣) قرأها البزي^(٤) .

قوله : ((وأخبتوا))^(٥) الجوهري^(٦) : [الإخبات الخشوع، يقال : أخبت لله، أي: تواضع]، وأصل الإلقاء في الأجسام فاستعمل في إظهارهم الانقياد إشعاراً بغاية خضوعهم استكانتهم، وأنها كالشيء الملقى بين يدي الغالب القاهر.

(١) تفسير قوله : ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ أي : هم الأنبياء والعلماء ((من أمهم)) الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ... الخ.

(٢) قرأ حمزة وخلف : ﴿الذين يتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ والذي بعده : ﴿الذين يتوفاهم الملائكة طيبين﴾ بالياء في الحرفين، وقرأ الباقون : ﴿الذين يتوفاهم الملائكة﴾ بالتاء في الحرفين. المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٤ . واتحاف فضلاء البشر ٢٧٨ .

(٣) قرأها يادغام تاء المضارعة في التاء بعدها، وفي مصحف عبد الله بن مسعود بتاء واحدة في

الموضعين . البحر المحيط ٤٨٦/٥ .

(٤) البزي : هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المؤذن المكي، يكنى أبا الحسن . توفي بمكة سنة

١٥٠ هـ. انظر البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ٨ . وسير أعلام النبلاء ١٢/٥٠ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿فألقوا السلم﴾ قال (ز) : فسلموا ((وأخبتوا)) وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه

في الدنيا من الشقاق والكفر.

(٦) الجوهري في صحاحه ٢٤٧/١ مادة (خبت).

قوله : ((وهذا أيضاً من السماتة، وكذلك : ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾))^(١) فالسماتة الأولى قولهم : ﴿ إن الحزى اليوم والسوء على الكافرين . الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ ، أي : الذين يموتون على الشرك لقوله : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾^(٢) فلما ألقوا السلم أي : ذلوا وخضعوا قائلين : ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ رد عليهم أولوا العلم : بل كنتم تعملون السوء ﴿ إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ تحقيقاً لذلك الرد وتعليلاً له على وجه استتبع إيجاب العقاب وشماتة الأعداء، وإليه الإشارة بقوله : ((فهو يجازيكم عليه)) فلما ألزموهم بذلك عقبوه بقوله : ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾ تميمياً للسماتة، وقال محي السنة^(٣) : [قوله : ﴿ إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ من قول الملائكة]، وقال : صاحب المرشد : إن جعلت ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ في موضع جر صفة للكافرين، لم يكن الوقف على الكافرين حسناً ولا كافياً، وإن جعلته في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف كان الوقف على الكافرين تاماً^(٤) ، والوقف على ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ في هذا الوجه أصح، وعلى ذلك الوجه صالح ليس بكاف ولا حسن.

قوله : ((لم نصب هذا، أي : ﴿ خيراً ﴾ ورفع الأول))^(٥) أي : ﴿ أساطير الأولين ﴾ في قوله : ﴿ ماذا أنزل ربكم ﴾.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ قال (ز) : فهو يجازيكم عليه ((وهذا أيضاً من السماتة ... الخ.

(٢) سورة لقمان الآية ١٣.

(٣) البغوي في معالم التنزيل ١٧/٥.

(٤) ذكر ذلك الأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم في كتابه منار الهدى في الوقف والإبتداء ٢١٤ قال : الوقف على ﴿ الكافرين ﴾ تام، إن جعل ﴿ الذين ﴾ مبتدأ خبره ﴿ فآلقوا السم ﴾ وزيدت الفاء في الخبر، أو جعل خبر مبتدأ محذوف، وكاف إن نصب على الذم، وليس بوقف إن جعل صفة لـ ﴿ الكافرين ﴾ أو بدل مما قبله، أو بياناً له، و ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ جائز إن جعل ما بعده مستأنفاً، وليس بوقف إن جعل خبر ﴿ الذين ﴾ أو عطف على ﴿ الذين تتوفاهم ﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ الآية ٣٠ من سورة النحل. قال (ز) : ﴿ خيراً ﴾ أنزل خيراً ((فإن

قوله : ((لم يتلعثموا)) أبو زيد^(١) : [تلعثم الرجل في الأمر إذا تَمَكَّث فيه]^(٢) .

قوله : ((بَيَّنَّا)) صفة مصدر محذوف أي : طباقاً بَيَّنَّا .

قوله : ((مفعولاً)) حال مترادف، أي : مفعول له أي : نصب هذا فصلاً بين الجوابين مفعولاً للإنزال .

قوله : ((بدل من ﴿خيراً﴾ حكاية خبر إن لقوله، وقوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ .

قوله : ((أي : قالوا : هذا القول، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاية يريد أن جواب المتقين عن قولهم : ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ كأن أنزل ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ في هذه الدنيا حسنة ﴿إلى آخره، فقدم تعالى عليه ﴿خيراً﴾ وجعله توطئة لقولهم، ثم حكى قولهم : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إلى آخره . قال القاضي^(٣) : [فعلى هذا قوله : ﴿خيراً﴾ مفعول قالوا] .

قوله : ((ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ)) عطف على قوله : ((بدل))، فعلى هذا هو من كلام الله تعالى يمدح القائلين ويعدهم على ما أحسنوا فيه من القول، وجاء به تاماً في جميع ما أحسنوا ليدخل هذا القول فيه أيضاً للذين أحسنوا مظهر وُضِعَ مَوْضِعَ المضمَر للإشعار بأنهم مستأهلون بأن يحسن إليهم دنياً وعقبى .

قوله : ((لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم))^(٤)، يعني يجب تفسير طيبين بظاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي للتقابل، أما الكفر فإن قوله : ﴿الذين تتوفاهم﴾ إما

قلت : لم نصب هذا ورفع الأول ((يعني : ﴿أساطير الأولين﴾ . قلت : فصلاً بين جواب المقر، وجواب الجاحد، يعني : أن هؤلاء لما سئلوا ((لم يتلعثموا)) وأطبقوا الجواب على السؤال ((بيناً)) مكشوفاً ((مفعولاً)) للإنزال .

(١) أبوزيد : لعلة أحمد بن سهل البلخي أبو زيد، قال ياقوت الحموي : كان فاضلاً قيماً بجميع العلوم القديمة والحديثة يسلك في مصنفاته طريق الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه، له كثير من المصنفات في شتى العلوم، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٣١١/١ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري ٢٠٣٠/٥ مادة (لعثم) ذكره بلفظه .

(٣) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٨٠/٣ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿طيبين﴾، قال (ز) : ظاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي ((لأنه في مقابلة ﴿ظالمي أنفسهم﴾)).

مجرور صفة للكافرين أو مرفوع خبر مبتداً محذوف، والجملة بيان للكافرين، كما سبق، وأما المعاصي فإن قوله: ﴿ظالمى أنفسهم﴾ مجاب بقولهم: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾، فظهر من هذا أن قوله: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ عطف على قوله: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ على التقابل، فينبغي أن يراعى مضامين القصتين (يعني يطابق) (١) ولذلك ختمت الأولى بقوله: ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾، والثانية: بقوله: ﴿ادخلوا الجنة﴾، ولما كان دأب (٢) المؤمنين وارداً على سبيل الإستطراد للتقابل، وفرغ منه، عاد إلى نوع آخر من حديث الكفار، أعنى قوله: ﴿ينظرون﴾ والله علم.

قوله: ((أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب)) (٣) يعني المشار إليه بقوله ذلك في ﴿كذلك﴾ ما دلّ عليه الآيات السابقة من الشرك والتكذيب، فعلى هذا لا يحسن ترتب قوله ﴿فأصابهم سيئات ما علموا﴾ على قوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ حسنة لو كان المشار إليه ما دلّ عليه قوله: ﴿هل ينظرون﴾ لأنه نوع آخر من قبائحهم كما سبق، أي: ما لهم استمروا على الكفر والاستهزاء، ولم يؤمنوا مع هذه البيانات الشافية والدلالات الواضحة هل ينظرون إلا مجيء الآيات الملجئة حين ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ (٤)، ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ فيكون قوله: ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ معترضاً بين السبب والمسبب قوله: ((أو هو كقوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة﴾ (٥) يعني قوله: ﴿فأصابهم سيئات ما

(١) ما بين القوسين س من م ، ت.

(٢) (ذكر) المؤمنين في ب ، ت بدل (دأب) . والصواب (ذكر).

(٣) تفسير قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ الآية ٣٣ من سورة النحل . قال (ز) : في تفسير قوله ﴿كذلك﴾ ((أي : مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب)).

(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٨ .

(٥) سورة الشورى الآية ٤٠ .

عملوا ﴿ دل على أن ما أصابهم سيئة، وليس به، فيجب أن يقدر مضاف أو يجعل من باب المشاكلة (١) .

قوله : ((هذا من جملة ما عدّد)) (٢) يعني قوله : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ معطوف من حيث المعنى على ما سبق من أول السورة من أصناف كفرهم وعنادهم وشركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم، أما إنكار البعث واستعجاله فيفهم من قوله : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ . وأما شركهم : فهو ما يلزم من استعجالهم العذاب على ما سبق، وأما إنكار وحدانيته : فهو ما دل عليه ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ ، وأما الحجج السابقة، على هذا الإنكار، فهي من قوله : ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ ومن قوله : ﴿ خلق السموات ﴾ وخلق الإنسان والأنعام والخيول والبغال، ومن قوله : ﴿ أنزل من السماء ماء ﴾ وقوله : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار وسخر لكم البحر ﴾ ومن قوله : ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ وأما تكذيبهم الرسول، فمن قوله : ﴿ قالوا أساطير الأولين ﴾ ، وأما استكبارهم عن قبول الحق، فمن قوله : ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ ، وفيه إنكار البعث، وخلاصته أن هذه السورة من مفتحتها إلى هذا المقام، واردة في بيان تعداد أصناف قبائح المشركين، وما قد تخلل بينها من ذكر أجنبي، فللتأكيد للإلزام الحجة وبيان العناد والاستكبار،

(١) المشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، ومن ذلك ما حكى عن أبي الرقعة: أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصبح في يوم بارد، وقالوا له : ماذا تريد أن نصنع لك من الطعام، وكان فقيراً ليس له كسوة تقيه البرد، فكتب إليهم يقول :

**** أصحابنا قصدوا الصبح بسحرة ** وأتى رسولهم إلي خصيصاً ****

**** قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبعه ** قلت اطبخوا لي جبة وقيصاً ****

أي خيطوا لي جبة وقيصاً، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحة طبخ الطعام . انظر جواهر

البلاغة ٣٧٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ الآية ٣٥ من سورة النحل. قول (ز) : ((هذا من جملة ما عدّد)) من أصناف كفرهم وعنادهم ... الخ.

هذا كلام عال وبيان شاف لكن قوله : ((وهذا مذهب المجبرة بعينة)) (١) جاء عقيبه خارجاً عن سنن الحق ومحض فيه التعصب، فحرم ذلك النظم السري، وذلك أنه تعالى لما عدّد كفرهم وشركهم وتكذيبهم إلى غير ذلك على ما سبق، أتى بقوله : ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ ولما ذكر ما يدلّ على إفحامهم، وأن الحجة قد لزمتهم، ولم يبق لهم متشبه إلا التعليل بالمشيئة، وهو قلوهم : ﴿ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴾، كما استقصينا القول فيه في الأنعام (٢)، أعاد قوله : ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ ليريك أن أحوال هؤلاء المشركين وأقوالهم لم تتجاوز عن أفعال الأمم الخالية، ولا عن أقوالهم حذو القذة بالقذة (٣)، ثم بين أن الرسل سلفاً وخلفاً ما قصّروا في الإنذار والتبليغ بقوله : ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ ثم عقب المجمل بالتفصيل بقوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ﴾ (٤)، تسلياً للرسول صلى الله عليه وسلم وتحريضاً للقوم على الاعتبار، وأن ينظروا إلى وخامة (٥) عاقبة المكذبين

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ﴾ الآية ٣٥ من سورة النحل. قال أحمد بن المنير في الانتصاف ما نصه : [وقالوا لو شاء الله لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينة] يعني : أهل السنة، وليس كما قال، بل قاله المشركون استهزاء، وأهل السنة اعتقاداً، كما أفاده النسفي ٢٨٦/٣ وكل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، شراً كان أو خيراً، وكل أمر يقضاه تعالى وقدره، شراً كان أو خيراً، وهو الخالق لأفعال العباد، وإن كانت بكسبهم واختيارهم، خلافاً للمعتزلة في جميع ذلك كما أطلال به فيما سيأتي هنا انتصاراً للمعتزلة [٦٠٤/٣].

(٢) لعله عند قوله تعالى في الأنعام الآية ٣٥ : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ... الآية ﴾.

(٣) (القذة بالقذة) القذة بالضم : ريش السهم. القاموس ٣٥٧/١ مادة (القذة). والنهاية في غريب الحديث ٢٨/٤ قال : [القذة : ريش السهم، واحدها قذة، يضرب مثلاً للشئين يستويان ولا يتفاوتان].

(٤) ومعنى هذه الآية ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ هو معنى لا إله إلا الله، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية ٢٥ : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ هذا على سبيل العموم. وأما على سبيل الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٥٩ : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة ﴾ وهكذا قال هود لقومه : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ وصالح لقومه : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾، وشعباً لقومه : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة ﴾ كلهم قالوا.

(٥) الوخامة : الشئ الذي لا فائدة فيه، يقال : أرض وخيمة وموهجة لا ينتجع كلاًها . القاموس

(١٨٥/٤ مادة (الوخم))

وسوء خاتمته، وأن لا تذهب نفسه عليهم حسرات، ومن ثم خاطبه صلوات الله عليه بقوله : ﴿ إِن تَحْرَصْ عَلَى هِدَاهِمَ ﴾ فَأَتَى يَدِخُلُ فِي الْكَلَامِ حَدِيثٌ إِنِّي لَا أَقْدَرُ الشَّرَّ وَلَا أَنْشَأُوهُ.

قوله : ((وَرَكَوْهُ)) الجوهرى^(١) : [وَرَكَ فلان ذنبه على غيره، أي : قرفه^(٢) به].

قوله : ((وَلَقَدْ أَمَدَّ إِبْطَالَ قَدْرِ السَّوِّ)) يعني أبطل الله تعالى في قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا ﴾ إلى آخره، نسبة أفعال السوء إلى قدر الله تعالى، ثم أَمَدَّ ذلك الإبطال بقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ ، الأنتصاف^(٣) : [وجه استدلاله بها أن الله قَسَمَ العباد قسمين، والأمر والنهي يرجعان إلى المشيئة، بناء على زعمهم في إنكار كلام النفس]. فعنده أن الله شاء أن تعبدوه وشاء أن يحببوا الطاغوت، ولم يشأ إشراكهم^(٤) ، ومبنى استدلاله على إنكار كلام النفس، والعجب غفلته عن قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ ، كما قال في الأنعام : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٥) ، وتقدم هناك ما فيه كفاية.

(١) الجوهرى في صحاحه ١٦١٤/٤ مادة (ورك).

(٢) (قرفه) يقال : قرفت الرجل أي : عبته، ويقال : هو يقرف بكذا أي يرمي به ويتهم فهو مقروف.

الجوهرى ١٤١٥/٤ مادة (قرف).

(٣) الانتصاف ٦٠٤/٣. وقد أجاد وأفاد في الرد على المعتزلة، مما أغنى عن الرد عليهم.

(٤) يوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٤٨ : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ... الآية ﴾ فذكر في هذه الآية أنهم سيقولون، وذكر في سورة النحل هذه، أنهم قالوا ذلك بالفعل، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ... الآية ﴾ وقال في الزخرف الآية ٢٠ : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ... الآية ﴾ ومرادهم أن الله لما كان قادراً على منعهم من الإشراك ولم يمنعهم منه، أن ذلك دليل على رضاه بشركهم، ولذلك كذبهم في سورة الأنعام بقوله : ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ وكذبهم في الزخرف بقوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ وقال في الزمر الآية ٧ : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ انظر أضواء البيان ٢٤٧/٢-٢٤٨.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٤٩.

قوله : ((في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه، حيث أفعل ما أفعل بالأشرار)) (١) يريد أن النظر في أحوال الأشرار من الهلاك والدمار، يدل على أني ما قدرت الشر فيهم ولا قضيته عليهم لأنني لو فعلت ذلك، ثم عاقبتهم به لم أكن عادلاً لكنهم إنما استحقوا ذلك لأنهم هم الذين فعلوا ما استحقوا به الهلاك، وعلم من قبل أن ما ذكره خارج عن مقتضى المقام.

قوله : ((وقرئ ﴿لا يهدي﴾)) (٢) على ما لم يسم فاعله، الكوفيون (٣) : ﴿لا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال. والباقون بضم الياء وفتح الدال، قال أبو البقاء (٤) : [في قراءة الضم وجهان : أحدهما : أن ﴿من يضل﴾ مبتدأ و﴿لا يهدي﴾ خبره. والثاني : أن ﴿لا يهدي من يضل﴾ بأسره خبر ﴿إن﴾، كقولك : إن زيداً لا يضرب أبوه] يعني : أن التركيب سبي، ومعناه : أن زيداً بمكان من الشرف والكرامة بحيث استحق أن يكرم أبوه ولا يهان بالضرب، ونظيره في المعنى خولان (٥)، فانكح ثم ما في التنزيل مع ذلك التقدير واقع جزاء للشرط ولم يكن يصلح جزاء إلا بتأويل الإعلام والإخبار، وقد تقرر أن مثل هذا الأسلوب إنما يرد للتقريع، أو التنبيه على أمر خطير خفي على السامع، ولا سيما في جعل اسم إن الاسم الجامع للأسماء الحسنى، كأنه قيل : ﴿إن تحرص﴾ أنت وكل مخلوق على هداية من أراد الله إضلاله، فاعلم وتنبه أنك قد حاولت مزاولة أمر لا يرام، ومحال لا يستطاع، هذا معنى قوله : ((لا تقدر

(١) تفسير قوله : ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ قال (ز) : يعني فانظروا ما فعلت بالمكذبين

حتى لا تبقى لكم شبهة ((في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار)).

قلت : هذا على مذهب المعتزلة، ومذهب أهل السنة هو ما قدمنا من أن الله يفعل ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، وكل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن شراً كان أو خيراً، وكل شيء بقضائه وقدره.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿إن تحرص على هذاهم فإن الله لا يهدي من يضل﴾ الآية ٣٧ من سورة

النحل.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر : ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾

بضم الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم وحمة والكسائي وخلف : ﴿فإن الله لا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر

الدال. انظر المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٤، وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) في كتابه الإملاء ٨١/٢

(٥) يشير إلى البيت، وقد تقدم.

أنت ولا أحد على هدايته)) ووجدت لبعض الفضلاء على الحاشية هذه كلمة حق، وقد أخرجها الله تعالى من فمه بلا اختيار منه.

قوله: ((﴿وما لهم من ناصرين﴾ دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان)) كأنه قيل: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ فاعلم أن الله لا يهدي من يخذله، وما له من ناصر ينصره، وقلت: ليس تأويل ﴿من يضل﴾ بالخذلان أولى من تأويل ﴿من ناصرين﴾ بالهادين، أي: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ فاعلم أن الله لا يهدي من يضلّه وما له من هاد قط، لا أنت ولا غيرك^(١)، وهذا أولى، لأن أول الكلام في الهداية لا في النصرة والخذلان، وأما الختم بعد النصرة فللمبالغة في عدم توخي الهداية والخيبة فيه وعدم الإعتداء.

قوله: ((ويجوز أن يكون ﴿لا يهدي﴾ بمعنى لا يهتدي))، الجوهري^(٢): [هدى واهتدى بمعنى] قوله: ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾، قال الفراء^(٣): [يريد لا يهدي من يضلّه، قوله: ((هداه الله فهدي)) أي هدى مطاوع هداه، كما أن اهتدى مطاوعه، وهي معاضدة لمن قرأ ﴿لَا تَهْدِي﴾، أي: لا هادي موجود لمن يضلّه فإذا لم يكن هاديه موجوداً فلا يُهدى أبداً.

(١) وهذا المعنى جاء في القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى في سورة القصص الآية ٥٦: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وقوله في سورة المائدة الآية ٤١: ﴿ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وقوله في سورة الأعراف الآية ١٨٦: ﴿من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وقوله في سورة الأنعام الآية ١٢٥: ﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾.

(٢) الصحاح للجوهري ٢٥٣٣/٦ مادة (هدى).

(٣) انظر كتابه معاني القرآن ٩٩/٢.

والفراء يحمي بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، أبو زكرياء، صاحب الكسائي، كان ثقة وكان إماماً في النحو، أميراً فيه وفي اللغة، ووكل به المأمون ولديه يعلمهما النحو. انظر سير اعلام النبلاء ١١٨/١٠ وتاريخ بغداد ١٤٦/١٤.

قوله : ((وهي معاضدة للأولى)) أي : قراءة من قرأ ﴿ لا يَهْدِي ﴾^(١) بمعنى لا يهتدي.

قوله : ((كَفَرَتَان)) الجوهرى^(٢) : [الكَفَرُ : بالفتح التغطية، قال ابن السكيت : [ومنه سمي الكافر، لأنه يستر نعم الله تعالى عليه، وفي التخصيص فائدة، وهي أن الكفار يحاولون تغطية ما هو في غاية الظهور والجلاء، والأولى أن يعطف الجملة كما هي على جملة الشرط والجزاء، كأنه تعالى يخبر عن مبالغة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هدايتهم، وعن تناهي ضلالهم مفوضاً ترتب إحدى الجملتين على الأخرى إلى فهم السامع.

قوله : ((أو أنه وعد واجب))^(٣) أي : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أنه وعد واجب على الله، لأنهم يقولون : لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا غيره)) وفيه تعريض بأهل السنة^(٤)، قال صاحب الفرائد : [لا دلالة في الآية على ما قال، لكن المعنى : لا يعلمون كمال قدرته، وبالعكس حكمته في بعثه بعد إمامته . وقلت : الذي دلّ عليه السياق أن معناه : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك الوعد الحق والقول الصادق لقوله : ﴿ وعداً عليه حقاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إليه مرجعكم جميعاً وعداً الله حقاً إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات

(١) ﴿ لا يَهْدِي ﴾ قرأه فرقة منهم عبد الله بفتح الياء وكسر الهاء والذال مشددة، قاله ابن عطية، وأصله (يهتدي) فأدغم التاء في الدال مثل (يختصم) (يختصم) . انظر البحر المحيط ٤٩٠/٥ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤١٤/٨ . وتشهد له القراءة المتواترة ﴿ آمن لا يَهْدِي ﴾ في سورة يونس.

(٢) الجوهرى ٨٠٧/٢ مادة (كفر)

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ الآية ٣٨ من سورة النحل . قال (ز) : في تفسير ﴿ بلى ﴾ إثبات لما بعد النفي، أي : بلى يعثهم، ووعد الله مصدر مؤكد لما دل عليه ﴿ بلى ﴾ لأن ثبت موعد من الله.

(٤) أهل السنة لا يوجبون على الله شيئاً، وهو متعصب للمعتزلة الذين يوجبون الصلاح والأصلح على الله، تعالى الله عن ذلك، وأهل السنة يقولون إن الله إذا وعد لا يخلف فضلاً منه، ولكن لا يوجب عليه خلقه شيئاً تعالى الله عن ذلك.

بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم ﴿١﴾ فالمقدّر الوعد الواجب بحسب إنه تعالى لا يخلف الميعاد، لا أن العبد يوجب عليه بسبب ﴿٢﴾ عمله . وإما جزاء من الثواب والعقاب، فهو تابع ﴿٣﴾ للبعث أو ﴿٤﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿٥﴾ أنه تعالى يبعثهم، أي : بمسئلة البعث، التي مبناها على كونه تعالى عالم بكل المعلومات، قادر على كل المقدورات، كالفلاسفة وأضرابهم ﴿٦﴾، خذلهم الله، ويؤيد أن الكلام في البعث قوله : ﴿٧﴾ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ﴿٨﴾ أي : في البعث ﴿٩﴾ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴿١٠﴾ أي : في قولهم : ﴿١١﴾ لا يبعث الله من يموت ﴿١٢﴾، وكذا قوله : ﴿١٣﴾ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿١٤﴾ لأن فيه إثبات القدرة الكاملة والإرادة الشاملة، وإليه الإشارة بقوله : ((والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شقّ المقدورات ؟)) ﴿١٥﴾ .

قوله : ((لأن مراداً)) ﴿١٦﴾ نكرة واللام متصل بمثل أي أي مراد يكون.

وقوله : ((وأن وجوده عند إرادته غير متوقف)) عطف تفسيري، على أن مراداً لا يمتنع عليه.

(١) سورة يونس الآية ٤ .

(٢) في م (بحيث) وهو الصواب.

(٣) فهو (مانع) للبعث في ت.

(٤) متعلق بقوله : ﴿٥﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿٦﴾ كالفلاسفة وأضرابهم. والله أعلم.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿٦﴾ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿٧﴾ الآية ٤٠ من سورة النحل. أي : ((والمعنى أن إيجاد ... الخ))

(٦) تفسير (ز) لقوله : ﴿٧﴾ كن فيكون ﴿٨﴾ من (كان) التامة التي بمعنى الحدوث والوجود، أي : إذا أردنا وجود شيء، فليس إلا أن نقول له : أحدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل (لأن مراداً) لا يمتنع عليه ((وأن وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف)) .

ومثل هذه الآية في الرد على الكفار المنكري البعث، الذين قالوا : ﴿٩﴾ من يحيى العظام وهي رميم ﴿١٠﴾ وقوله : ﴿١١﴾ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿١٢﴾ يس الآية ٨٢ ، ولا يحتاج لتكرير الأمر، فتكفي منه جل وعلى (كن) مرة واحدة (كما قال تعالى في سورة القمر الآية ٥٠ : ﴿١٣﴾ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴿١٤﴾).

قوله : ((في شِقِّ المقدورات)) فيه توهين لأمر البعث، الأساس^(١) : [قعد في شق من الدار في ناحية منها، وخذ من شق الثياب من عُرضها ولا تَحْتَر].

قوله : ((وقرئ ﴿فيكون﴾)) ابن عامر والكسائي بالنصب والباقون بالرفع^(٢)، قال الزجاج^(٣) : [الرفع على، فهو يكون أي ما أراد الله فهو يكون، والنصب إما على أن تقول : أي يقول، فتكون، أو على أنه جواب ﴿كن﴾. و﴿قولنا﴾ رفع بالإبتداء، وخبره أن يقول معناه : ماذا أراد الله فهو كائن على كل حال، ولو أراد خلق الدنيا والسموات والأرض في قدر لمح البصر لقدر، لكن العباد خوطبوا بما يعقلون، فأعلمهم الله بسهولة خلق الأشياء، فعلم أنه متى أراد الشيء كان، وليس أن الشيء قبل أن يخلق موجود] وقال أبو علي : ﴿كن﴾ وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد هنا الأمر وإنما هو والله أعلم : الإخبار عن كون الشيء وحدوثه، وإلى هذا ذهب أبو العباس^(٤)، ويجيء تمام بحثه في يس.

قوله : ((فكيف))^(٥) متعلقه محذوف، تقديره : لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه، فكيف وقد خلق، أي : لا يطيع الله لخوف النار فيكون طاعته لأغراض وعلل، والعارف من يطيع الله الله، ومعنى (لو) في الحديث ليس لامتناع الشيء لامتناع غيره، بل لمجرد الفرض والتقدير.

(١) أساس البلاغة للزمخشري ٣٣٤.

(٢) ذكره المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٤ والحجة لابن زنجلة ٣٨٨.

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٨/٣.

(٤) أبو العباس المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، إمام العربية في بغداد، أحد أئمة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٦ هـ ببغداد. انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٦٩/١ وتاريخ بغداد ٣٨٠/٣.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ الآية ٤١ من سورة النحل. وقول (ز) : ((فكيف في الله وحقه)) جاء في معرض هجرة صهيب رضي الله عنه في تفسير قوله : ﴿والذين هاجروا في الله﴾ لأن صهيباً قال للمشركين لما منعوه من الهجرة، أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، فافتدى منهم بماله، وهاجر، فقال له عمر رضي الله عنه : (نعم الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه) وهو ثناء عظيم، يريد : لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه، ((فكيف)) أي : فكيف لا يطيعه وقد خلقها لمن عصى.

قوله : ((في الله : في حقه)) أي : الذين هاجروا مخلصين لوجه الله لا لأمر آخر دنيوي، كقوله صلوات الله عليه : (فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) رواه الشيخان^(١) وغيرهما.

قوله : ((لتنزلهم في الدنيا منزلة حسنة))^(٢) يريد أن التَّوْبَةُ في المكان بمعنى إعطاء المنزلة، فيجوز أن يستعمل في التمكين في الأرض، نحو : ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾^(٣) ولذلك قال : وهي ((الغلبة على أهل مكة - إلى قوله - وعلى أهل المشرق والمغرب)) ولا يبعد أن يقال : إن هذا هو الوعد المذكور في قوله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾^(٤) والله أعلم.

قوله : ((والذين صبروا)) وارِدٌ على ((هم الذين صبروا)) أي الذين صبروا وارِدٌ على (هم الذين صبروا) أو أعنى كلاهما لإرادة المدح.

قوله : ((قالت قريش : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً))^(٥) هذا التقرير يقتضيه قوله : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً﴾ من جهة ما وإلا، لأنهما إنما يتلقى بهما المخطئ المصّر على خطابه المبالغ في إنكاره.

قوله : ((لأن أصله ضربت زيدا بالسوط))^(٦) يعني إلا من حيث اللفظ لغو، والإستثناء على خلاف المشهور، عن بعضهم، التقدير لم يوجد منه ضرب أصلاً لا

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان والنذور، باب النية في الإيمان وأيضاً بدء الوحي ١/١ رقم ١. ومسلم كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنية ... الخ ٣/١٥١٥، كتاب الإمارة برقم ١٩٠٧.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿لنبؤنهم في الدنيا حسنة﴾ قال (ز) : لنبؤنهم في الدنيا منزلة حسنة ... الخ. وقيل : ((لتنزلهم في الدنيا منزلة حسنة)) وهي الغلبة على أهل مكة ... الخ.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٠.

(٤) سورة النور الآية ٥٥.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ الآية ٤٣ من سورة النحل.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يفكرون﴾ الآية ٤٤ من سورة النحل. قول (ز) : فإن قلت : بم تخلق قوله ﴿بالبينات﴾؟ قلت : له متعلقات

بالسوط ولا غيره. وقال أبو البقاء^(١) : [في تعلق ﴿بالبينات﴾ بـ ﴿أرسلنا﴾ بمعنى : أرسلناهم بالبينات ضعف، لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إذا تم الكلام على ﴿إلا﴾ وما يليها، إلا أنه جاء في قول الشاعر :

**** نُبِتُّهُمْ عَذَّبُوا بالنار جَارَتَهُمْ ** ولا يُعَذَّب إلا الله بالنار ****^(٢)

وقال صاحب المفتاح^(٣) : [لك أن تقول : ما ضرب إلا عمراً زيداً، وما ضرب إلا زيداً عمراً، فتقدم وتؤخر، إلا أن هذا التقديم والتأخير لما استلزم قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف، قلّ دوره في الاستعمال].

قوله : ((والأول))^(٤) قال : في الأولين والأول نظراً إلى أنه لا إضمار فيه.

قوله : ((وأما بـ ﴿لا تعملون﴾)) على أن الشرط في معنى التبيكيت والإلزام، لأن ﴿إن﴾ استعملت في أمر مقطوع معلوم، وذلك أن الكلام مع قریش كما قال : ((قالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً)) فقيل : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ . بالبينات والزبر، وقد علم وحقق أن قریشاً لم يكونوا عالمين بالبينات والزبر، فتعليقه بالسؤال يفيد التبيكيت والإلزام، يعني لا ارتياب في أنكم غير عالمين بها، ولستم أيضاً مما تسألون عنهم، لأنكم تعلمون أنهم لا يجيبونكم إلا بما ذكرنا، من أنا ما أرسلنا من قبله إلا رجالاً يوحى إليهم، فلم يبق لكم طريق سوى التسليم والإذعان، وعليه قوله : ((إن كنتُ

شئى، فإما أن يتعلق بـ ﴿ما أرسلنا﴾ داخلًا تحت حكم الاستثناء مع ﴿رجالاً﴾ أي : وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات، كقولك، ما ضربت إلا زيداً بالسوط ((لأن أصله ضربت زيداً بالسوط)) . انظر البحر المحیط ٤٩٤/٥ والكشاف ٦٠٧/٢، ٦٠٨.

(١) في كتابه الإملاء ٨١/٢.

(٢) لم أقف على قائل البيت، وذكره الفراء في معاني القرآن ١٠١/٢، وأبو البقاء ٨١/٢.

(٣) صاحب المفتاح : محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، شارح التلخيص تقدم.

(٤) يعني أن قوله : ﴿بالبينات﴾ متعلق بما أرسلنا داخلًا تحت حكم الاستثناء مع رجالاً، أي : وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات، أي : والأول على كلام واحد.

عملت ذلك فأعطني حقي))^(١) ، وصاحب المفتاح، أخرج هذا المثال في معرض النفى، حيث قال : [ومنه ما قد يقول العامل عند القاضي بالعمالة إذا امتد التسويف وأخذ يترجم عن الحرمان : إن كنت لم أعمل فقولوا : اقطع الطمع، نزلهم أن يحرموه منزلة من لا يعتقد أنه عمل مُجهلاً.

قوله : ((فسألوا أهل الذكر)) اعتراض على الوجوه المتقدمة، يعني في هذا الوجه، ليس باعترض وليس بجواب للشرط لتقدمه عليه لكنه دالّ عليه.

قوله : ((وهم أهل مكة وما مكروا به))^(٢) أي : الضمير في (مكروا) لأهل مكة، والمراد بالمكر : ما مكروا به في دار الندوة، الراغب^(٣) : [المكر : صرف الغير عما يقصده بحيلة].

قوله : ((وهو خلاف قوله : ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾)) ومن حيث يشعرونه.

قوله : ((من قولك : تخوفته وتخونته))^(٤) الراغب^(٥) : [تخوفناهم : تنقصناهم تنقصاً اقتضاه الخوف منه، والتخوف ظهور الخوف من الإنسان، قال الله عز وجل :

(١) هذا على أن قوله تعالى : ﴿ بالبينات ﴾ متعلق بقوله : ﴿ لا تعلمون ﴾ على أن الشرط في معنى التبيكيت والإلزام، كقول الأجير : ((إن كنت عملت لك فأعطني حقي))، ويوضح استغراب وإنكار الكفار إرسال الرسل من البشر، وقالوا : الله أعظم من أن يرسل بشراً لأنه لو كان مرسلأً أحداً حقاً لأرسل ملائكة، كما بينه تعالى في آيات كثيرة، قال تعالى في سورة يونس الآية ٢ : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾، وقوله في سورة ق الآية ٢ : ﴿ بل عجبوا أن جاءهم نذير منهم ﴾ الآية ، وقوله في سورة المؤمنون الآية ٢٤ : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ الآية ٤٥ من سورة النحل. قول (ز) : في تفسير ﴿ مكروا السيئات ﴾ أي : المكرات السيئات، ((وهم أهل مكة وما مكروا به)) أعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) الراغب في مفرداته ٤٧١ مادة (مكر).

(٤) تفسير قوله : ﴿ على تخوف ﴾ قال (ز) : أي متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم، فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله : من حيث لا يشعرون. وقيل : هو من قولك : تخوفه، وتخونته إذا تنقصته، قال الفراء : تخوفته بالخاء : تنقصته ١٠١/٢.

(٥) الراغب في مفرداته ١٦٢ مادة (خوف).

﴿أو يأخذهم على تخوف﴾، قوله : ** تخوف الرجل منها .. ** البيت (١) ، تامكاً : أي سناماً مشرفاً، الأساس (٢) : [صُوفٌ قَرْدٌ مُلْتَصِقٌ مُتَلَبِّدٌ]، الجوهري (٣) : [سحاب قَرْدٌ يركب بعضه بعضاً]، والنبع شجر يتخذ منه القسي، والسفن : بالتحريك المبرّد، يصف ناقة أثر الرجل في سنامها، وتنقص، كما ينقص المبرّد من العود.

قوله : ((بديوانكم)) (٤)، المغرب (٥) : [الديوان : الجريدة، من دَوَّنَ الكتب إذا جمعها، لأنها قطع من القراطيس مجموعة. ويروى أن عمر رضي الله عنه أول من دَوَّنَ الدواوين، أي : رتب الجرائد للولاة والقضاة].

قوله : ((لا يضل)) مجزوم، لأنه جواب لقوله عليكم، وهو بمعنى الأمر، وفي اللباب (٦) : [عليكم بديوانكم لا تضلوا].

قوله : ((قرئ : ﴿أولم تروا﴾ و ﴿تنفيذا﴾ بالتاء)) (٧)، الفوقاني حمزة والكسائي، والباقون بالياء. أبو عمرو و ﴿تنفيذا﴾ بالتاء الفوقاني، والباقون بالياء.

(١) تمامه :

** تخوف الرجل منها تامكاً قَرْداً ** كما تخوف عود النبعة السفن **

وهو لأبي كبير الهذلي، وقيل : لزهير، وقيل : لابن مقبل كما في اللسان، وقيل : لذي الرمة .

(٢) الأساس للزمخشري ٥٠٠ مادة (قرد).

(٣) الجوهري في صحاحه ٥٢٣/٢ مادة (قرد).

(٤) يشير إلى كلام عمر رضي الله حين سأل عن معنى التخوف في قوله : ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ فقام شيخ من هذيل، فقال له : التخوف، التنقص. فقال له عمر : وهل تعرف العرب ذلك؟ فأنشده البيت السابق، فقال عمر رضي الله عنه عليكم ((بديوانكم لا يضل))؟

(٥) المغرب ٢٩٩/١ مادة (دون).

(٦) اللباب في شرح الكتاب للميداني.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يفئوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ الآية ٤٨ من سورة النحل.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿أولم تروا إلى ما خلق الله من شيء﴾ بالتاء وكذلك في العنكبوت الآية ١٩ : ﴿أولم تروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ والباقون بالياء ﴿أولم يروا﴾ في الموضعين.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿تنفيذاً ظلاله﴾ بالتاء، والباقون بالياء . انظر المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٤ . والحجة لابن زنجلة ٣٩٠ ، ٣٩١ .

قوله : ((﴿ وَسُجِّدَ ﴾ حال من الظلال)) ﴿ وهم داخرون ﴾ حال من الضمير في ﴿ ظلّاله ﴾، والمعنى : ظلّاهم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتفق الباطن مع الظاهر، فإن قلت : لم جعل الحال الثانية حالاً من الضمير في ﴿ ظلّاله ﴾ ولم يجعل من الضمير المرفوع المحذوف العائد إلى الموصول؟ قلت : لأنه حال مؤكدة، فإذا جعلت الظلال ساجدة، يلزم منه المبالغة في سجود الأجرام بالطريق الأولى، وهو معنى الدخور، فيقع الحال تأكيداً كما في قوله : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ (١) ولا يفيد الأول هذا المعنى، وفيه إدماج لمعنى تسخير الأجرام العلوية، لأن الظل إنما يحصل من حركات الكواكب والشمس، ولما بين ذلك، وأراد أن يبين الاختصاص بأنها تسجد لله لا لغيره، قال : ﴿ والله يسجد ﴾ قال القاضي (٢) : [قوله : ﴿ سجداً لله وهم داخرون ﴾ هما حالان من الضمير في ﴿ ظلّاله ﴾، والمراد من السجود الإستسلام سواء كان بالطبع والإختيار، يقال : سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب، والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها منقاداً كما قدّر لها من التفتي، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد، والأجرام في أنفسها أيضاً صاغرة منقاداً لأفعال الله فيها]. قال أبو البقاء (٣) : [﴿ سجداً ﴾ حال من الظلال ﴿ وهم داخرون ﴾ حال من الضمير في ﴿ سجداً ﴾، ويجوز أن يكون حالاً ثانية معطوفة].

قوله : ((وجمع بالواو، لأن الدخور من أوصاف العقلاء)) (٤)، وذلك أن من لا يعقل إذا وصف بصفة العقلاء أجرى مجرى العقلاء في الاستعمال، وإذا حكم على العقلاء، وغير العقلاء (تغلب العقلاء) (٥)، على غيرهم.

(١) سورة التوبة الآية ٢٥.

(٢) القاضي البيضاوي ١٨٣/٣.

(٣) أبو البقاء ٨٢/٢.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهم داخرون ﴾.

(٥) ما بين القوسين س من أ، ب والصواب إثباته.

قوله : ((استعارة)) خبر مبتدأ محذوف إيمان الظلال وشمائل الظلال في قوله تعالى : ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبى الشيء .
قوله : ((من التفيؤ)) بيان ما سخرها له تنفيهاً تتفعّل من الفيء ، يقال : فاء يفيء فيئاً ، إذا رجع .

قوله : ((الخلق الذي يقال له الروح))^(١) فعلى هذا الروح غير الملائكة ، وقال فيه الروح جبريل أو أفرده عنهم لشرفه لقوله تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح ﴾^(٢) وقيل : خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة .

قوله : ((والملائكة خصوصاً من بين الساجدين)) يريد أنه تعالى لما عم من يتأتى منه السجود في قوله : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض ﴾ ، ثم خص من بينهم هذا الجنس من المكلفين في قوله : ﴿ والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ دلّ على أنهم أولى وأقدم في هذا النوع من العبادة ، ثم تمّمه بقوله : ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ .

قوله : ((وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا))^(٣) الانتصاف : [استدل بالآية من أجاز استعمال المشترك في معيّنه وفي حقيقته ومجازه شمولاً ، والزمخشري ينكره في مواضع من كتابه فحمله على القدر المشترك وجعله متواطئاً ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز ، ويطلبه أن الآية آية سجدة ، وفيه دليل على أن المراد من السجود المذكور على ما هو منسوب إلى المكلف من الفعل المتعارف شرعاً فيبطل القول بالقدر المشترك ، قلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ يسجد ﴾ وارداً على عموم المجاز الذي يكون كل من الحقيقة والمجاز فرداً من أفرادها ، والمكلف إنما

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ . قال (ز) : ويراد بما في السماوات ((الخلق الذي يقال له الروح)) .

(٢) سورة القدر الآية ٤ .

(٣) قال (ز) : المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم ، وسجود غيرهم ، انقياده لإرادة الله ، وأنها غير متمتعة عليها ((وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد ، فلم يختلفا)) ولذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد ، وهو قوله : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ﴾ .

يسجد لمقتضى ما يناسبه، الراغب^(١) : [السجود أصله التّطامن والتّذل، وجعل ذلك عبارة عن التّذل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان (وغيره وذلك ضربان : اختياري: وليس ذلك إلا للإنسان وبه)^(٢)، يستحق الثواب، قال الله تعالى : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾^(٣) . وتسخيري : وهو للإنسان وغيره، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ... الآية ﴾^(٤)، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وهو قوله تعالى : ﴿ والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ ينطوى على النوعين^(٥) .

قوله : ((﴿ يخافون ﴾ يجوز أن يكون حالاً))^(٦) وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيداً له، الانتصاف^(٧) : [الثاني أصح، لأن الحال تعطي انتقالاً وتوهم تقييداً، والواقع عدم استكبارهم مطلقاً غير مقيد بحال].

قوله : ((إن علقته بـ ﴿ يخافون ﴾))^(٨) أي : جعلته متصلاً به وتتمة لمعناه، ولم ترد به تعلق المعمول بالعامل، فعلى هذا ﴿ من فوقهم ﴾ متعلق بمعلق ﴿ يخافون ﴾ يدل عليه جعل المصنف ((أن يرسل)) بدلاً من الضمير في يخافونه، ويمكن أن يقدر : ويخافون عذاب ربهم كائناً من فوقهم.

(١) الراغب في مفرداته ٢٢٣ مادة (سجد).

(٢) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٣) سورة النجم الآية ٦٢.

(٤) سورة الرعد الآية ١٥.

(٥) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الحج الآية ١٨ : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ... الآية ﴾.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ ويشعلون ما يؤمرون ﴿ الآية ٥٠ من سورة النحل.

(٧) ٤١٠/٢ مع الكشف . والدر المصون للسمين ٢٣٤/٤.

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ من فوقهم ﴾. قال (ز) : ((إن علقته بـ ﴿ يخافون ﴾)) فمعناه يخافونه.

قوله : ((دال على شيئين، على الجنسية والعدد))^(١) ، وفيه أن العدد عار عن الدلالة على ماهية المعدود، فيجوز أن يكون بياناً لأحد مفهومييه.

قوله : ((والذي يساق إليه الحديث هو العدد)) خبر ﴿إِنْ﴾ والذي يساق إليه الحديث تفسير لقوله : ((المعنى به وشُقَّعَ جواب إذا)).

قوله : ((لو قلت : إنما هو إله، ولم تؤكد به بواحد، لم يحسن، وخيّل أنك تثبت الإلهية لا الوجدانية)) قال صاحب التقريب : [فيه نظر، إذ إله يطلق على الجنس مجرداً عن العدد، فجاء فيه التخييل. وأما ﴿إِلَهَيْنِ﴾ فلا يتخيّل فيه غير الثنية، مع أنه المبحث، وفي حاشية التقريب : [وفي الأصل نظر، لأن نحو إله وضع للجنسية والوحدة لا يجي التخييل أيضاً إذا جرد عن الواحد، وإن وضع للجنسية المطلقة لم يكن شقّع بالواحد تأكيداً، إذ التأكيد تقوية ما فهم من الأول، والمقدر عدم دلالة على الوحدة، وقلت : إن المصنف لما بين دلالة الوضع أولاً، وأن مثل رجل ورجلين معدودان فيهما دلالة على العدد، بني عليه معنى التأكيد، واستدل باستواء مؤدى اللفظين، أعني ثلاثة رجال ورجلان فيما يقصد منهما من إرادة المعدود مع العدد، فلو لم يحمل شفعه بالواحد على التأكيد وبيان الغرض، لكان زائداً، فوجب المصير إلى التأكيد تقوية ما فهم، لأن التأكيد إنما يصار إليه لاحتمال ما عسى أن يتوهم السامع خلاف المقصود، وكل لفظ أخلي عن التأكيد لا يمنع الاحتمال، وقد نص الزجاج^(٢) : [أن ﴿اثنين﴾ تأكيد لقوله ﴿إِلَهَيْنِ﴾ كما أن الواحد في قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، وقال الإمام^(٣) : [إن ﴿إِلَهَيْنِ﴾ لفظ واحد يدل على أمرين : ثبوت الإله، وثبوت التعدد، فإذا قيل : ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ﴾ لم يعرف منه أن النهي وقع

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ﴾ إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴿الآية ٥١ من سورة النحل﴾، قال (ز) : الاسم الخامل لمعنى الأفراد والثنية ((دال على شيئين، على الجنسية والعدد)) المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما ((والذي يساق إليه الحديث، هو العدد)) شقّع بما يؤكد، فدلّ على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت : ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لم يحسن، وخيّل أنك تثبت الإلهية لا الوجدانية.

(٢) في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٢٠٤/٣.

(٣) الإمام الفخر الرازي ٤٨/٢٠.

عن إثبات الإله أو عن إثبات التعدد أو عن مجموعهما [فلما شفع بقوله : ﴿ اثنين ﴾ ثبت النهي عن إثبات التعدد فقط، وكذا عن صاحب المفتاح، وأما بيان النظم فإن قوله : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ... الآية ﴾ معطوف على قوله : ﴿ ما خلق الله من شيء ﴾ على منوار قوله : ** متقلداً سيفاً أو رمحاً ** أي : أولم ينظروا إلى ما خلق الله من الدلائل المنصوبة الشاهدة على وحدانية الله تعالى، وأنه لا معبود سواه، أولم يسمعوا إلى ما قال وأوحاه الله في الكتب المنزلة، من بيان التوحيد، ونفي الشركاء.

قوله : ((شفع بما يؤكده)) لا ينافي قول صاحب المفتاح، ففسر ﴿ إلهين ﴾ باثنين، و ﴿ إله ﴾ بواحد، بياناً لما هو الأصل في الغرض، فإن التأكيد أيضاً بيان وجه، ألا ترى إلى قول المصنف : قبيل هذا في قوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ هو بيان لقوله : ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ وتأكيد له، لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته. قوله : ((وجاز لأن الغائب)) (١) أي : وجاز النقل، لأن الغائب في قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ هو بعينه المتكلم في قوله : ﴿ فأياي فارهبون ﴾ لأن شريطة الالتفات هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث إلى الأخرى، لمفهوم واحد.

قوله : ((وهو أبلغ في الترهيب من قوله : فأياه فارهبون)) لما أنك تجدد في الانتقال من الغيبة إلى المواجهة فإراً من نفس المخاطب ما لا تجد إذا استمرت على لفظ الغيبة.

قوله : ((ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم)) أي : هذا الانتقال والاختلاف أبلغ من أن يجاء على سنن واحد، وهو أن يجيء على لفظ الغيبة كما يقال : إنما هو إله واحد فأياه فارهبوه، وأن يجيء ما قبله على لفظ التكلم، كما يقال : إنما أنا إله واحد فأياي فارهبون. قال صاحب الفرائد : [فائدة الالتفات أن يعلم أن ذلك الواحد هو المتكلم، لا غيره، لأنه لما أفاد قوله : ﴿ لا تتخذوا إلهين

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فأياي فارهبون ﴾ . قال (ز) : نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم ((وجاز، لأن الغائب)) هو المتكلم، وهو من طريق الالتفات ((وهو أبلغ في الترهيب من قوله : (وإياي فارهبون))).

اثنين ﴿ وأفاد قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ الأمر باتخاذ الواحد، وجب أن يبين أن ذلك الواحد هو المتكلم فعبر عن ذلك بقوله : ﴿ فأياي فارهبون ﴾. وقلت : وتحريره أن قوله تعالى : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ إلى آخر الآيات، مفرغ في قالب واحد لأن أصل الكلام : لا تشرکوا بي شيئاً في العبادة، لأن المعبود واحد، فانظروا بنظر الانصاف أنه من هو؟ فإذا أذاكم النظر إلى ذلك المعبود أنا، فخصّوني بالرهبة، مثله في الانتقال والتخصيص قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (١)، بعد قوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ وإجراء الصفات عليه تعالى. ثم عطف قوله : ﴿ وله ما في السموات والأرض ﴾ على قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ بعد ما رتب عليه التقوى ليؤذن بأن عظمة الإلهية، كما تقتضي الخوف كذلك المالكية، فعلق به قوله : ﴿ أفغير الله تتقون ﴾، ثم وبّخهم وأنكر عليهم بعد الشرك كفرانهم نعم الله تعالى بقوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ ثم استبعده بقوله : ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾، قال ابن الحاجب : الآية جيء بها لإخبار قوم استقرت بهم نعم جهلوا معطيها أو شكّوا فيه أو فعلوا ما يؤدي إلى أن يكونوا شاكّين فاستقرارها مجهولة أو مشكوكة سبب للإخبار بكونها من الله تعالى.

قوله : ((أو وله الجزاء دائماً)) (٢)، عطف على قوله ((الدين)) الطاعة والواصب : الواجب الثابت، والدين إذا فسّر بالطاعة، والواصب يجوز أن يكون بمعنى الواجب، فيكون المعنى : الطاعة واجبة لله تعالى، لأن كل نعمة منه، وأن يكون بمعنى الكلفة والمشقة، ويكون المعنى : وله الطاعة التي فيها كلفة ومشقة، ابتلاء للعباد ليطمئن المخلص من غيره، وإذا فسّر بالجزاء كقوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ (٣)، فالواجب بمعنى الثابت فقط، والمعنى : وله الجزاء دائماً ثابتاً، والضمير في قوله :

(١) سورة الفاتحة الآية ٤.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ﴾ الآية ٥٢ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير ﴿ واصباً ﴾ : الواصب : الواجب الثابت، ويجوز أن يكون من (الوَصَب) أي : وله الدين ذا كلفة ومشقة، أو ((وهل الجزاء ثابتاً دائماً)) سرمداً لا يزول، يعني الثواب والعقاب.

(٣) سورة الفاتحة الآية ٣.

((ولذلك سُمِّي)) ﴿الدين﴾ المفسر بالطاعة . الراغب^(١) : [الوصب : السقم الدائم، وقد وَصِبَ فهو وَصِيبٌ، وأَوْصَبْتُهُ كَذَا فهو يَتَوَصَّبُ، نحو : يتَوَجَّعُ، قال تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾^(٢) وقوله ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ متوَعِّدٌ لِمَنْ اتَّخَذَ إِلَهِينَ، وتنبية أن جزاء من فعل ذلك لازم شديد، ومعنى الواصب : الدائم، أي : حق الإنسان أن يطيعه دائماً في جميع أحواله].

قوله : ((يراوح من صلوات))^(٣) البيت، يصف راهباً المراوحة في العملين أن يعمل هذا مرة وهذا مرة.

قوله : ((فما معنى قوله : ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ﴾))^(٤)، أتى في السؤال بالفاء للإيدان بالإنكار على الكلام السابق، يعني مقتضى قوله : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ الإخبار عن قوم استقرت بهم نعم جهلوا معطيها، وقد ذكرت أن قوله : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ ردّ لطعن قريش في رسالته صلوات الله عليه. وقولهم : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، وذكرت ثانياً أن قوله : ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ نازلة فيهم، وهي متصلة بتلك الآية بمعنى : أفأمن منكروا الرسالة الباذلون جهدهم في المكر بإبطائها أن يخسف بهم وكَيْت وكَيْت، وقوله : ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله﴾ عطف على قوله : ﴿أفأمن الذين مكروا﴾ وقوله : ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ عطف على ﴿أولم يروا﴾ على منوال قوله :

(١) الراغب في مفرداته ٥٢٤ مادة (وصب).

(٢) سورة الصافات الآية ٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ الآية ٥٣ من سورة النحل. قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿تجأرون﴾ أي : فما تتضرعون إلا إليه، والجوار رفع الصوت والاستغاثة. قال الأعشى يصف راهباً :

** يراوح من صلوات الملائك طَوْرًا سجوداً وطوراً جَوْرًا **

انظر مشاهد الإنصاف ٦١١/٢.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم يربهم يشركون﴾ الآية ٥٤ من سورة النحل. قال (ز) : ((ما معنى قوله : ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ﴾)). قلت : يجوز أن يكون الخطاب في قوله : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ عاماً، ويريد بالفريق الكثرة ... الخ.

**** متقلداً سيفاً ورمحاً **** (١)، أي : أولم يروا إلى دلائله الدالة على القدرة القاهرة المسخرة لكل شيء، وأولم يسمعوا بآياته الشافية في إثبات التوحيد، وأن له الملك الواسع، والدين الواصب، ليعرفوا أن لا بد من رسول ليقرر لهم تلك الدلائل، ويبلغ إليهم ذلك القول البليغ، ويمهد لهم ذلك الدين الواصب، وأن يضع الشريعة المستقيمة ليوضح منهاج الطريقة القويمة، وخصوصاً توبيخ هؤلاء أولاً على ما هم فيه من الإشراك بقوله : ﴿ أفغير الله تتقون ﴾، وثانياً على كفرانهم نعمة الله بقوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾، وثالثاً على تعكيسهم الأمر بقوله : ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون . ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾، وإذا كان كذلك فكيف يدخل في المعنى ذكر فريق وكأن بعضاً من أولئك الموبخين ما أشركوا، وأجاب بأنه يجوز أن يكون الخطاب ﴿ بكم ﴾ عاماً ويراد بالفريق أولئك المشركون، على أن الناس كلهم فعلوا ما يؤدي إلى أن يُستجهلوا أو يُنسبوا إلى الكفران خصوصاً هؤلاء المشركين ضمّوا مع الجاهل والكفران ما هو أعظم منها، من أنهم إذا مسهم الضر تضرّعوا إلى الله، ثم إذا كشف الله عنهم ذلك الضر ليؤحدوه بدّلوا بالإشراك، وأن يكون الخطاب خاصاً في أولئك المشركين، ثم ﴿ من ﴾ (٢)، إما بيان، والمعنى على التجريد (٣)، وإليه الإشارة بقوله : ((وهم أنتم)) (٤)، أو تبعيض على أن المراد لم يصدر منه ذلك الإشراك الخاص فهو المقتصد (٥)، المتوسط الذي خفض من علوانه في الكفر، فظهر من هذا البيان أن

(١) يشير إلى قول الشاعر :

**** ياليت زوجك قد غدا ** متقلداً سيفاً ورمحاً ****

أي وحاملاً رمحاً. انظر اللسان ٣٦٦/٣ مادة (قلد).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ من نعمة ﴾.

(٣) التجريد : أن ينتزع من أمر موصوف بصفة أمر آخر مثله في تلك الصفة للمبالغة في كمال تلك

الصفة في ذلك الأمر المنتزع منه . انظر التعريفات للجرجاني ٧٣.

(٤) وهذه عادة الكفار، إذا مسهم الضر تضرّعوا لله، وإذا كشف الضر عنهم رجعوا لكفرهم، كما

قال تعالى في سورة الإسراء الآية ٦٧ : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾، وقوله في الأنعام الآية ٦٤ : ﴿ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴾.

(٥) على حد قوله تعالى في سورة لقمان الآية ٣٢ : ﴿ فلما نجاكم إلى البر فمنهم مقتصد ﴾.

﴿ ثم ﴾ في قوله : ﴿ ثم إذا مسكم الضر ﴾ للتراخي في المرتبة. والثانية : على حقيقتها. وأما قطع قوله : ﴿ ليكفروا بما آتيناكم ﴾ فلأنه جملة طلبية^(١)، واردة، كالطبع على جملة الكلام، وكالتخلص إلى نوع آخر من قبائح المشركين، ولذلك عدل من الخطاب إلى الغيبة إيذاناً بالإيأس عن إيمانهم، ونعياً عليهم بسوء الخاتمة، وبأن يقال لهم : دوموا على كفركم فسوف تعلمون وخامة عاقبة أمركم، والله در فاء فائقة، جلبت هذه المعاني الرائقة، رحم الله واضعها في هذا المقام، والله أعلم.

قوله : ((تخلية ووعيد))^(٢)، بشر لقوله : ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ يعني : خليناكم وأمهلناكم وتمتعكم بالدنيا ولذاتها، وعن قريب يظهر لكم سوء مغتبه ووخامة عاقبته . قال أبو البقاء^(٣) : [الجمهور : ﴿ فتمتعوا ﴾ على أنه أمر، ويقرأ بالياء، وهو معطوف على ﴿ ليكفروا ﴾ ثم رجع إلى الخطاب فقال : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ وقرئ بالياء أيضاً]

قوله : ((من الأمر الوارد في معنى الخذلان)) والتخلية، وهو كقوله تعالى : ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً ﴾^(٤) .

قوله : ((وقيل الضمير في : ﴿ لا تعلمون ﴾ للآلهة))^(٥)، يعني لما نفوا عنها ما يصح أن ينفي عن ذوي العلم أجروها مجرى أولى العلم، وعلى الأول : الضمير^(٦) للمشركين، ومفعول ﴿ لا يعلمون ﴾ ضمير ((ما)) المعبر عن الأصنام، وعلى الثاني

(١) الجملة الطلبية : هي الجملة الدالة على الأمر أو النهي أو الدعاء أو النداء أو التمني أو الإستهام.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناكم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ النحل الآية ٥٥. قال (ز) : تخلية ووعيد.

(٣) في كتابه إملأ ما من به الرحمن ٨٢/٢.

(٤) سورة الزمر الآية ٨ . وقوله : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ وقوله : ﴿ ذرهم يخوضوا ويلعبوا ﴾ الآية

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالّوا لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ الآية ٥٦ من سورة النحل. قول (ز) : ((وقيل الضمير في ﴿ لا يعلمون ﴾ للآلهة)) أي : لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر .

(٦) يعني قوله تعالى : ﴿ لما لا يعلمون ﴾ أي : المشركون لا يعلمون آهتهم ويعتقدون نفعها وضرها، وليس كذلك، وحقيقتها أنها جهاد لا ينفع ولا يضر، فهم اذا جاهلون بها.

مفعول ﴿ لا يعلمون ﴾ غير منوي، ولذلك قال : ((لأشياء غير موصوفة بالعلم))
وقوله : ((لا تشعر، أجعلوا لها نصيباً))^(١)، صفة أخرى لأشياء، وعلى هذا الراجع
إلى الموصول ضمير الفاعل في ﴿ لا يعلمون ﴾.

قوله : ((الرفع على الإبتداء، والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات، أي
: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور))^(٢)، نقل الإمام عن الفراء^(٣) أنه قال :
[المختار الرفع لأنه لو كان نصباً لقال : لأنفسهم ما يشتهون، لأنك تقول : جعلت
لنفسك كذا وكذا]^(٤)، وقال الزجاج^(٥) : [لا يجوز النصب لأن العرب تقول : جعل
لنفسه ما يشتهي، ولا تقول : جعل له ما يشتهي، وهو يعني نفسه]، وقال أبو
البقاء^(٦) : [وضعف قوم هذا الوجه، وقالوا : لو كان كذلك لقال : ولأنفسهم، وفيه

(١) أي جعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا ؟ كما قال تعالى في سورة الأنعام ١٣٦ :
﴿ وجعلوا لله ما ذرأ من الحنث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاننا فما كان لشركانهم فلا
يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ الآية ٥٧ من سورة النحل.
وقول (ز) : في قوله ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ : يعني البنين، ويجوز في ﴿ ما يشتهون ﴾ ((الرفع على الابتداء
... الخ)).

(٣) الفراء : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أو بني منقر، أبو زكرياء،
المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال : الفراء أمير المؤمنين في
النحو، ومن كلام ثعلب : لولا الفراء ما كانت اللغة، وعهد إليه المأمون بتربية ولديه. ولد سنة ١٤٤ ومات
٢٠٧ في طريقه إلى مكة، كان كثير العلوم. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢٢٨، وغاية النهاية
٣٧١/٢، وتهذيب التهذيب ٢١٢/١١.

(٤) انظر كتابه معاني القرآن ١٠٥/٢ - ١٠٦.

(٥) انظر كتابه معاني القرآن وإعرابه ٢٠٦/٣.

(٦) انظر كتابه الإملاء ٨٢/٢. يعني أنهم ضعفوا كون (ما) في موضع نصب، عطفاً على نصيباً، أي :

ويجعلون ما يشتهون هم.

نظر. وقال القاضي^(١) : [يجوز النصب عطفاً على البنات، على أن الجعل لمعنى الاختيار، وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لِشَيْءٍ واحد، لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف].

قوله : ((ويجوز أن يجيء ﴿ ظَلَّ ﴾)) بمعناه^(٢) ، الجوهري^(٣) : [ظَلَلْتُ أَعْمَلُ كَذَا بالكسر ظلولاً إذا عملته بالنهار دون الليل]، قال صاحب الإنتصاف : [وكذا الإحتمال في قوله : ﴿ فظلّوا فيه يعرجون ﴾^(٤)، إما صاروا وإما أن يراد نهاراً لقصد المبالغة في الوضوح].

قوله : ((فيظلّ نهاره، نهاده بالنصب والرفع، بالنصب ظرف، وبالرفع على الإسناد المجازي ، نحو نهاره صائم.

قوله : ((مُرَبِّدَ الوجه)) الجوهري^(٥) : [تَرَبَّدَ وجه فلان، أي : تغير من الغضب، وتَرَبَّدَ أيضاً : تعَبَسَ].

قوله : ((من الكآبة)) سوء الحال والانكسار من الحزن.

قوله : ((وهو الغني عن العالمين))^(٦) مقابل لقوله : ((وهي الحاجة إلى الأولاد))^(٧) ، وقوله : ((والنزاهة عن صفات المخلوقين)) في مقابل : ((ووأدهنّ

(١) القاضي البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل ١٨٤/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ النحل الآية ٥٨.

قال (ز) في تفسير ﴿ ظل ﴾ بمعنى صار، كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ((يجوز أن يجيء ﴿ ظل ﴾)) بمعناه لأن أكثر المواضع يتفق بالليل، فيظل نهاده مغتماً ((مُرَبِّدَ الوجه)) من الكآبة والحياء من الناس.

(٣) الجوهري في صحاحه ١٧٥٦/٥ مادة (الظل).

(٤) سورة الحجر الآية ١٤.

(٥) الجوهري في صحاحه ٤٧٢/٢ مادة (ربد).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾

النحل الآية ٦٠ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ : ((وهو الغني عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين)).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ مثل السوء ﴾ ، ((وهي الحاجة إلى الأولاد)).

خشية الإملاق))، وقوله : ((وهو الجواد الكريم)) في مقابل : ((وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ)) وكل ذلك نتيجة قوله : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه وهم ما يشتهون ﴾، وقوله : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ... - إلى قوله - ساء ما يحكمون ﴾.

قوله : ((فقال : بلى والله حتى إن الجباري لتموت في وكرها))^(١) النهاية^(٢) : [وفي حديث أنس : إن الجباري تموت هزلاً بذنب بني آدم . يعني أن الله تعالى يحبس القطر بشؤم ذنوبهم، إنما خصّها بالذكر لأنها أبعد الطير نجعة، فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء، وبين البصرة وبين منابتها أيام]، وقلت : بلى : إيجاب لما بعد النفي، والنفي هنا مستفاد من دليل الحصر، كأنه قيل : يضرّ نفسه، ولا يتعدى الضرر إلى غيره، فأجاب : بلى والله يتعدى الضرر إلى غيره حتى الجباري، فظهر أن حتى غاية تتعدى المقدر.

قوله : ((أو من دابة ظالمة)) عطف على قوله : ((من دابة قط))^(٣) فعلى الأول التنكير فيها للجنس، وعلى هذا للنوع.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ﴾ الآية ٦١ من سورة النحل. قول (ز) : ((بلى والله)) أول الكلام : وعن أبي هريرة أنه سمع رجلاً يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال : ((بلى والله حتى إن الجباري لتموت في وكرها بظلم الظالم)).

(٢) النهاية ٣٢٨/١، والطبري ١٢٦/١٤، وابن كثير في تفسيره ٤٩٧/٤ من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما والبيهقي في شعب الإيمان التاسع والأربعين، وفيه محمد بن جابر التمامي، وهو متروك. انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦١٣/٢.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في سورة فاطر الآية ٤٥ : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ... الآية ﴾، وقوله في سورة الكهف الآية ٥٨ : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ... الآية ﴾، وقوله هنا : ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾، لأنه جلّ وعلا يمهّل ولا يهمل، كما قال تعالى في سورة إبراهيم الآية ٤٢ : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾، وقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٥٣ : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ... الآية ﴾.

(٣) يعني ﴿ ما ترك عليها ﴾ أي : على الأرض ﴿ من دابة ﴾ قط، ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين.

قوله : ((إذا قال الله : هاتوا)) (١) أي : قال للحفظة : هاتوا .

قوله : ((ومن الاستخفاف برسلهم)) أي : برسل المشركين الذين كانوا يرسلونهم .

قوله : ((﴿ مفراطون ﴾ قرئ مفتوح الراء)) (٢) نافع ﴿ مفراطون ﴾ بكسر الراء . والباقون بفتحها مخففاً ، والمشدد شاذ ، والمفتوح بمعنى : مُقَدَّمُونَ (٣) ، يريد مخففاً ومشدداً .

قوله : ((أو يجعل : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾)) (٤) عطف على قوله : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ حكاية الحال الماضية ، بناء على أن هذا الكلام إما أن يقال : في الآخرة أو في الدنيا . أما الأول : فعلى وجهين : أحدهما : أن يراد باليوم : يوم الآخرة استحضاراً لما جرى على الكفرة في الدنيا من مُتَوَلَّى أمورهم ، الذي هو الشيطان ، وما زين لهم من (٥) سوء أعمالهم ، وسَوَّلَ لهم من (٦) المعاصي والكفر ، كأن السامع حينئذ يستحضر يوم الدنيا ، وتلك الحالة فيتعجب منها . وثانيهما : أن يراد باليوم حينئذ

(١) تفسير قوله : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفركون ﴾ النحل الآية ٦٣ . قال (ز) عند تفسير قوله : ﴿ أن لهم الحسنى ﴾ : وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار ، كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى : ((هاتوا ما دفع للسلطين وأعاونهم ، فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة ، وإذا قيل : هاتوا ما دفع إليّ ، فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له ، أما تستحي من ذلك الموقف ؟ .

(٢) ﴿ وأنهم مُفْطَرُونَ ﴾ قرأ نافع وقيية عن الكسائي ساكنة الفاء ، خفيفة الراء مكسورة . وقرأ الباقيون : ﴿ مُفْطَرُونَ ﴾ مفتوحة الراء ، خفيفة . وروى عن الأعرج : ﴿ مُفْطَرُونَ ﴾ بفتح الراء وتشديده ، شاذة . المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٤ ، وحجة القراءات ٣٩١ .

وقرأ بالشاذ أيضاً أبو جعفر المدني . شواذ القراءات لابن خالويه ٧٣ ، والبحر المحيط ٥٠٦/٥ .

(٣) يعني مقدّمون إلى النار والعياذ بالله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزین لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم وهم عذاب أليم ﴾ .

(٥) هم (من) سوء أعمالهم . ما بين القوسين في م .

(٦) هم (من) المعاصي . ما بين القوسين في م .

الزمان الممتد في الدنيا، فالتعريف في اليوم للعهد، والمعني بالولي : القرين، أي : فهو قرينهم في الدنيا، وليس في هذا الوجه ذلك الاستحضار، بل مجرد الإخبار . وأما الثاني : فعلى أن إخبار الله عن الكائن بمنزلة الواقع الثابت، فيستحضر الآن ما يجري عليهم في القيامة، وهذا على عكس الوجه الأول. والولي حينئذ بمعنى الناصر، وإثبات النصرة على سبيل التهكم، وإليه أشار بقوله : ((نفيًا للناصر لهم على أبلغ الوجوه))^(١) ، ومثله قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾^(٢) والغرض استحضار صورة الظالمين موقوفون عند ربهم متقاولين تلك المقالة.

قوله : ((ويجوز أن يرجع الضمير)) يعني في قوله : ﴿ وليهم ﴾ ، وهو عطف على قوله : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ حكاية الحالة الماضية، لأن الضمير على الأول، لكل من والاه الشيطان، المعني الشيطان قبل قريش، زَيْن للأمم الماضية من الكفار أعمامهم فهو الآن ولي هؤلاء الخلف، لأنهم متصلون بهم في الدين، كقوله تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾^(٣) وقلت : هذا هو الوجه، وعليه النظم الفائق، لأن في تصدّر القَسَمَةِ بقول : تا الله بعد إنكارهم الرسالة، وتعداد قبائحهم الإشعار بأنها كالتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الأمم الخالية مع الرسل السالفة لم تزل على هذه الوتيرة، تلك أسوة بتلك الأنبياء، وقومك خلف لتلك الأمم، فلا تَهْتَمَّ بذلك، فإن ربك ينتقم لك منهم بالقتل والدمار في الدنيا، وبعذاب النار في العقبى، واشتغل أنت عنهم بتبليغ ما أنزل عليك من الكتاب الفاصل بين الحق والباطل، الهادي إلى الصراك المستقيم، والرحمة للمؤمنين، وبتقرير أنواع الدلائل المنصوبة على الوحدانية، وبالتنبيه على إقامته الشكر على نعم الله المتظاهرة، وهذا التقرير يؤاخي التقرير في فاتحة هذه السورة الكريمة، والله أعلم.

(١) تفسير لقوله تعالى : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ قال (ز) : حكاية للحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في

النار، أي : فهو ناصرهم اليوم، لا ناصر لهم غيره، ((نفيًا للناصر لهم على أبلغ الوجوه)).

(٢) سورة سبأ الآية ٣١.

(٣) سورة التوبة الآية ٦٧.

قوله : ((وإنما ينتصب مفعولاً له))^(١) .

قوله : ((مفعولاً له)) تمييز، والفاعل ((ما)) في ((ما كان)) .

قوله : ((وأشياء من التحريم))^(٢) عطف على قوله : ((البعث)) .

قوله : ((ثوب أكياش))^(٣) وفي الحاشية : الأكياش^(٤) ضرب من الثياب تغزل

مرتين .

قوله : ((في كل عام نعم... البيت))^(٥) وبعده ** هيهات هيهات لما يرجونه **

** أربابه نوكي، فلا يحمونه ** ولا يلاقون طعناً دونه **

يروى أفي كل عام ذكر الضمير في يحمونه . الرجوع إلى نعم، لأنه اسم مفرد بمعنى الجمع، يخاطب لصوصاً، يقول لهم : يحوون كل عام نعماً لقوم ألقحوه، وأنتم منتجون في حيكم .

قوله : ((نسقيكم)) بالفتح والضم^(٦) بالضم كلهم إلا نافعاً وابن عامر وأبابكر، قال الزجاج^(٧) : [سقيته وأسقيته بمعنى . وقال سيويو والخليل : سقيته

(١) تفسر قوله تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ الآية ٦٤ من سورة النحل . قول (ز) في تعليل دخول لام (لتبين) قال : لأنه فِعْلُ المخاطب، لا فعل المنزل، ((وإنما ينتصب مفعولاً له، ما كان فِعْلُ فاعل الفعل المَعْلَل)) .

(٢) تفسر لقوله تعالى : ﴿ لبيّن لهم الذي يختلفون فيه ﴾ قال (ز) : والذي اختلفوا فيه البعث، لأنه كان فيهم من يؤمن به، ومنهم عبد المطلب ((وأشياء من التحريم)) والتحليل والإنكار والإقرار .

(٣) تفسر قوله تعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ الآية ٦٦ النحل . قال (ز) : ذكر سيويو الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كفولهم : ((ثوب أكياش)) ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً، يعني قوله : ﴿ في بطونه ﴾ .

(٤) القاموس ٢/٢٨٧ : الثوب الأكياش الذي أعيد غزله، مثل الخز والصوف، أو هو الرديء .

(٥) البيت لصبي من بني أسد، اسمه : قيس بن الحصين الحارثي . وقامه :

** أكل عام نعم تحوونه ** يلقيه قوم وتنجونه **

** أربابه نوكي فلا يحمونه ** ولا يلاقون طعناً دونه **

** أنعم الأبناء تحسبونه ** هيهات هيهات لما ترجونه **

انظر الإنصاف لابن المنير، حاشية الزمخشري ٢/٦١٥ .

(٦) قرأ نافع وابن عامر وأبوبكر عن عاصم ويعقوب ﴿ نَسْقِيكُمْ ﴾ بفتح النون، والباقون بالضم .

المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٥ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠٨-٢٠٩ .

كقولك: ناولته فشرب، وأسقيته: جعلت له سقياً، وكذلك قول لبيد^(١)، يحتمل المذهبين:

**** سقى قومي بني مجد وأسقى ** نميراً والقبائل من هلال ****

وهذا البيت وضعه النحويون على أن سقى وأسقى بمعنى، وهو يحتمل التفسير الثاني^[٢]، وقيل: لا يريد الشاعر يسقى قومه: أن يروي عطاشهم، يريد رزقهم الله سقياً لبلادهم يخصبون منها، وبعد أن يسأل لقومه ما يروي العطاش ولغيرهم ما يخصبون، ومعنى ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ بالضم: جعلناه في كثرته وإدامته كالسقى، فهو كقوله: أسقيته نهراً، الجوهري^(٢): [سقيته لشفته، وأسقيته لماشيته وأرضه، والاسم السَّقْي بالكسر، والجمع الأسقية].

قوله: ((قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها)) ... إلى آخره. وقيل: الأطباء يزعمون على خلافه، قال الأمام^(٣): [المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهي من الأشياء الموكولة الحاصلة في الكرش، وهذا اللبن متولد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولاً ثم مما كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً، فصفاه الله تعالى عن تلك الأجزاء الكثيفة الغليظة فإذا تناول الحيوان الغذاء ووصل إلى معدته أو إلى كرشه فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه، فما كان صافياً انجذب إلى الكبد، وما كان كثيفاً نزل إلى الأمعاء، والحاصل في الكبد ينهضم ثانياً ويصير دماً، ثم الدم يدخل في الأوردة، وهي العروق الثابتة من الكبد، وهناك يحصل الهضم الثالث، وبين الكبد والضروع عروق فينصب الدم منها إلى الضرع، وفيه لحم غددية رخوة أبيض،

(١) لبيد بن ربيعة العامري، والبيت في ديوانه ١/١٢٨. ورواه أبو عبيدة في مجازه ١/٣٥٠.

(٢) الجوهري ٦/٢٣٧٩ مادة (سقى).

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٠/٦٥.

فينقلب الدم فيه إلى اللبن، وذلك تقدير العزيز العليم]. قال القاضي^(١) بعد ما ذكر نحواً من هذا : ومن تدبر صنع الله في إحداث الأخلاط والألبان وإعداد مقارها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها، كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته، وعلى هذا الأقرب أن يكون ﴿من بين فرث ودم﴾ حالاً من ﴿لبناً خالصاً﴾ ولا يكون ظرفاً لغواً.

قوله : ((لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء)) روي : مكان بالرفع. وقيل : (بين) اسم لا ظرف وانتصابه على الحكاية، وليس أن يعامل هذا النصب، وإنما هو عامل نصب آخر مقدر، والتقدير : لأن محل الفرث والدم مكان الإسقاء أو أن التوسط والمتخلل بين الفرث والدم مكان الإسقاء، وفيه نظر، لأنه حينئذ ظرف لا اسم، والظاهر أن التقدير : أن وسط الفرث والدم مكان الإسقاء كقراءة من قرأ : ﴿لقد تقطع بينكم﴾^(٢) بالرفع^(٣).

قوله : ((أو تعلق بتخذون))^(٤) أي : قوله : ﴿ومن ثمرات النخيل﴾ وقلت : البيان والكشف أولى لمقابلته قوله : ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ وهو بيان لقوله : ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ ولذلك جعل ﴿من ثمرات﴾ متعلقاً بالخذوف لا بهذا الظاهر، لكونه غير صالح للبيان. قال أبو البقاء^(٥) : [وقيل : التقدير :

(١) القاضي البيضاوي ١٨٥/٣.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(٣) ففي هذه الآية الكريمة أن الأنعام عبرة دالة على تفرد من خلقها وأخلص لبنها من بين فرث ودم، بأنه هو وحده المستحق لأن يعبد ويطاع ولا يعصى، وأوضحه في آيات أخرى كقوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ٢١ : ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾ وقوله في سورة يس الآية ٧١ : ﴿أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴿الآية ٦٧ النحل. قول (ز) في تفسير قوله : ﴿تتخذون منه سكراً﴾ بيان وكشف عن كنه الإسقاء ((أو تعلق بتخذون)) .

(٥) في كتابه إملأ ما من به الرحمن ٨٣/٢.

وتتخذون من ثمرات النخيل سكرًا، وأعاد ﴿من﴾ لما قدّم وأخر وذكر الضمير، لأنه عاد على شيء المحذوف، أو على معنى الثمرات، وهو الثمر أو على النخل، أي : من ثمر النخل، أو على الجنس أو على البعض أو على المذكور.

قوله : ((زيد في الدار فيها)) (١) قال في الأنبياء أورد سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر تأكيداً : عليك زيد حريص عليك وغير ذلك. قوله :

** ((بكفّي كان من أرمي البشر)) (٢) ** وقيله :

** مالك مني غير سهم وحجر ** وغير كبداء شديدة الوتر **

** جادت بكفّي كان من أرمي البشر **

كبد القوس : مقبضها، والضمير في جادت راجع إلى كبداء، صارت جيدة قوله: بكفي كان، أي : بكفّي رجل كان من أرمي البشر.

قوله : ((فإلى م يرجع الضمير في منه؟)) (٣) في السؤال إنكار بشهادة الفاء، يعني : إذا جعلت ﴿من ثمرات﴾ من باب : زيد في الدار فيها، كان الضمير في منه غير مدخول ﴿من﴾ والثمرات مؤنثة، وأجاب بأنها في تأويل العصير. قوله : ((إلى الأهل المحذوف)) أي : في قوله تعالى : ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾ أي : ومن عصير ثمرات النخيل.

قوله : ((وجاءونا بهم سكر ...)) البيت (٤) ، الضمير في جاءونا للجنس، سكر غضب وسفه، أراد بصحوهم : علمهم بعجزهم عن مقاومتنا، (سكر) مبتدأ، و (بهم) خبر مقدم عليه، و(علينا) متعلق بـ(سكر)، والجملة حال، فأجلى بمعنى جلّى أي : انكشف، قيل : استشهد بالبيت على أن السكر مصدر في الأصل.

(١) يعني أن قوله : ﴿ومن ثمرات النخيل ... الآية﴾ يتعلق بـ ﴿تتخذون﴾، وكرر لفظ (من) للتأكيد، كقولك : (زيد في الدار، فيها). فكرر الظرف للتوكيد، أي : كان في الدار، فيها كان، أو مستقر . والله أعلم.

(٢) يشير إلى قول الراجز ولم أقف عليه. انظر مشاهد الإنصاف ٦١٦/٢

(٣) يشير إلى كلام (ز) : فإن قلت : ((فإلى م يرجع الضمير في منه)) إذا جعلته ظرفاً متكرراً ؟ قلت : إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، كما رجع في قوله : ﴿أو هم قائلون﴾ الأعراف الآية ٤.

(٤) يشير إلى قول الشاعر الذي استشهد به الزمخشري ٣٩٥/٢ وأيضاً ٦١٧/٢ :

** وجاءونا بهم سكرٌ علينا ** فأجلى اليوم والسكران صاحي **

قوله : ((وفيه وجهان))^(١) أي : في الجمع بين السكر والرزق الحسن، مَنْ عليهم قبل النسخ بتمكينهم على أن يتخذوا منه السكر والرزق الحسن كسائر ما عدّد عليهم من النعم لقوله : ((لأنهم كانوا يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر)) ثم نسخ السكر.

قوله : ((أن يجمع بين العتاب والمّنة)) يعني : خلقنا لكم ثمرات النخيل والأعناب، بأن تجعلوها ذريعة إلى الطاعات، فجعلتم بعضها مادة المعاصي، ولهذا قيد إحدى القرينتين بقوله : ﴿ حسنًا ﴾.

قوله : ((وهو حلال عند أبي حنيفة))^(٢) رضي الله عنه إلى حد السكر، ويحتج بهذه الآية، وعن محي السنة^(٣) : [وأولى الأقاويل قول من قال : إنها منسوخة] لأنها نازلة قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد، وقلت : في الآية نفسها دلالة على قبح تناولها تعريضاً، وذلك من عطف قوله : ﴿ ورزقاً حسنًا ﴾ عليه، وقد فسر بالخلّ والربّ.

قوله : ((الخمر حرام لعينها فيحرم قليلها وكثيرها))^(٤)

قوله : ((والسكر من كل شراب)) أي : السكر أيضاً حرام من كل شراب فلا يحرم شربه إلا إذا انتهى إلى حدّ السكر فيحرم.

قوله : ((تناولته الدعارة))^(٥) الأساس^(٦) : [رجل داعر : خبيث فاجر وفيه دعارة] فهو على حذف المضاف، أي : طَعَمَهُ أصحاب الدعارة، فقبح في المروءة التشبه بهم.

(١) ((وفيه وجهان)) أحدهما : أن تكون منسوخة.

(٢) قال (ز) : وقيل : السكر النبيذ، وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد، ((وهو حلال عند أبي حنيفة)).

(٣) محي السنة يعني : أبا محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره ٢٨/٥-٢٩.

(٤) حديث أخرجه النسائي ٣٢١/٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : (حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها، والسكر من كل شراب) وذكره ابن حجر في تخرّيج أحاديث الكشاف، وقال أيضاً : رواه العقيلي من وجه آخر عن علي مرفوعاً، وفيه محمد بن الفرات الكوفي، وهو منكر الحديث ٦١٧/٢.

(٥) يشير إلى ما قاله شيخ الزمخشري الجبائي، وقد ألف في تحليل النبيذ كتباً، ولما كبرت سنه، قيل له : لو شربت منه، يعني النبيذ ما تقوى به، فقال : ((تناولته الدعارة فسَمَحَ في المروءة)).

(٦) الأساس البلاغة للزمخشري ص ١٨٨ مادة (سمح).

قوله : ((أي تنقلت ^(١) أي : جعلت أعراضهم نُقْلاً . وقيل : هو أي سكرأ في البيت .

قوله : ((إذا أبترك)) ^(٢) قيل : أبترك فلان في عرض فلان إذا اعتمد في ذمّه .
الأساس ^(٣) : [وابترك الفرس في عدوه اعتمد فيه واجتهد] .

قوله : ((ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً)) ^(٤) عطف على قوله : ((أن يجمع بين العتاب والمنة)) ، فعلى هذا العطف من باب البيان والتفسير .

قوله : ((والإفنيقتها)) ^(٥) أي : حسن صنعها ، وعن بعضهم أي : إن لم يقل يعلمها وإدراكها ، لم يصح ، لأن نيقتها دليل ظاهر على علمها ، فأقام سبب الجواب مقام الجواب ، أو يقال (إن) شرطية ، ولذلك دخلت الفاء في الجزاء ، أي : وإن لم تصدقني على ما ذكرت فنيقتها ولطفها وإصابتها دلائل بيّنة على أن الله تعالى أودعها علماً ، أما نيقتها في صنعتها فهي ما ترى في بنائها البيوت المسدسة من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض ، فإنها لو كانت مربعة بقيت فرج ضائعة عند دخولها فيها ، ولو كانت مستديرة بقيت الفرج بين البيوت ضائعة ، وأما فطنتها كما

(١) يشير إلى قول الشاعر ، ولم أفق عليه . وانظر الكشاف ٦١٧/٢ :

**** جعلت أعراض الكرام سَكَاراً ****

((أي تنقلت)) بأعراضهم ((أي جعلت أعراضهم نُقْلاً)) والنقل بالضم ما ينتقل به على الشراب .

انظر الصحاح للجوهري ١٨٣٤/٥ .

(٢) يقول (ز) : قيل السكر من الخمر ((وأنه إذا أبترك)) في أعراض الناس فكأنه تخمر بها .

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ٣٧ مادة (برك) .

(٤) كأنه قيل : تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما

يعرشون ﴾ النحل الآية ٦٨ . قال (ز) عند قوله : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ... ﴾ الآية : الإيحاء إلى النحل

إلهامها ، والقذف في قلوبها ، وتعليمها على وجه هو أعلم به ، لا سبيل إلى الوقوف عليه ((والإفنيقتها)) في

صنعها ولطفها في تدبير أمرها ... الخ . ومعنى الإفنيقتها : أي : أناقته وحسنه .

أعطى أولى العلم، فهي ما ذكره الإمام (١) : ﴿إِنْ لَهَا مَقْدَمًا كَالرَّئِيسِ يَكُونُ أَعْظَمَ جُثَّةٍ مِنْهَا، نَافِذَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا، وَأَنْهَا إِذَا نَفَرَتْ عَنْ أَوْكَارِهَا، ذَهَبَتْ بِأَجْمَعِهَا، ثُمَّ إِذَا أَرِيدَ عَوْدُهَا ضَرَبُوا لَهَا آلَاتَ الْمَلَاهِي وَالْمَوْسِيقَى، وَبِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْأَلْحَانِ تَرُدُّ إِلَى أَوْكَارِهَا﴾.

قوله : ((مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ إِحَاطَةٌ بِالثَّمَرَاتِ)) (٢) مبتدأ أو خبر، أي : هذا اللفظ مفيد للإحاطة العرفية، كقوله تعالى : ﴿أَوْتِيتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٣) .

قوله : ((تَجْرُسُهَا النَّحْلُ)) (٤) الجوهرى (٥) : [الجرس : الصوت الخفي، ويقال : سمعت جرس الطير، إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله].

قوله : ((مِنْ أَجْوَافِكَ وَمَنَافِذِ مَا كُلُّكَ)) (٦) فيه إشارة إلى الخلاف أن العسل هل يخرج من بطونها أو من منافذ ماكلها كالأفواه، قال القاضي (٧) : [واحتج بالآية من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلاً ثم تقيء ادخاراً للشتاء، ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادخاراً، فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل، فسر البطون بالأفواه]، وكذا عن الإمام (٨) : [وقال يسمى كل تجويف داخل البدن بطناً، ألا تراهم يقولون : بطون الدماغ]، والذي يدل على أنها تحاول بما تفعل الادخار، أن صاحبها بعد ما يشताल (٩) منه يترك لغذائها بقية في بيوتها.

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٧٠/٢٠.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل الآية ٦٩.

(٣) سورة النمل الآية ٢٣.

(٤) تفسير قوله : ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ إِحَاطَةٌ بِالثَّمَرَاتِ الَّتِي ((تَجْرُسُهَا النَّحْلُ)) .

(٥) الجوهرى في صحاحه ٩١١/٣-٩١٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ﴾ أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي : في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلاً ((مِنْ أَجْوَافِكَ... الخ

(٧) القاضي البضاوي في تفسيره الأنوار ١٨٦/٣.

(٨) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٧٣-٧٢/٢٠.

(٩) اللسان : اشتال بمعنى شال، وأشال الحجر وشاله : رفعه. ٣٧٦/١١ مادة (شول).

قوله : ((أو أراد بقوله : ﴿ ثم كلي ﴾ (ثم اقصدي) ^(١) عطف على قوله : ((كلي من كل ثمرة تشتهيها)) وهو على أسلوب قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ ^(٢) وعلى الأول : أي على غير هذا الأسلوب، الفاء جواب شرط محذوف. وعلى الثاني : سلوك السبيل على الحقيقة قطعاً، وعلى الأول تحتل المجاز أيضاً، وهو على وجهين : أحدهما المراد استعمال الصنعة الغريبة في العمل، ومنه سلوك العارف، ومن ثم قال : الطرق التي ألهمك، وثانيهما : استعمال المأكول في أجوافها ومسالكها التي تحيل فيها النور المرء عسلاً. ومنه سلكت الخيط في الإبرة . وأما الحقيقة : فهو قوله : فاسلكي إلى بيوتك راجعة ﴿ سُبُل ربك ﴾ . والفرق بين هذا الوجه وبين قوله : ثم اقصدي، أن السلوك على هذا من مراعيها إلى البيوت راجعة، وعلى ذلك : من بيوتها إلى مراعيها قاصدة. الانتصاف ^(٣) وكَل الأكل إلى شهوتها فلم يحجر عليها، كما حجر في البيوت، لأن مصلحة الأكل حاملة على الإطلاق . وأما البيوت، فلا يحصل مصلحتها في كل موضع، ولذلك دخلت (ثم) لتفاوت الأمر في الحجر في البيوت، والإطلاق في الأكل، كما تقول : راع الحلال فيما تأكله، ثم كل مما شئت. وقلت : إنما عدل من خطابها إلى الغيبة في قوله : ﴿ يخرج من بطونها ﴾ للتخلص إلى امتنان الناس، لأن المقصود من خلق النحل وإلهامه : انتفاعهم به .

قوله : ((وَأَنْتَ ﴿ ذُلَّلَ ﴾)) جمع الخبر، والمبتدأ مفرد، لأن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فاسلكي سبل ربك ﴾ لجنس النحل بدليل قوله : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ وقوله : ((وتأنثه على المعنى)) . الجوهري ^(٤) : [النحل والنحلة الذبّ يقع على الذكر والأنثى]، ونظيره قوله تعالى : ﴿ يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه . فأما من أوتي كتابه ... الآية ﴾ ^(٥) ، ويجوز أن يكون الخطاب لكل

(١) ما بين القوسين س من م.

(٢) سورة النحل الآية ٩٨.

(٣) هكذا في كل النسخ، وليس بواضح، ولعلها : الانصراف.

(٤) الجوهري في صحاحه ١٨٢٦/٥ مادة (نحل).

(٥) سورة الانشقاق الآية ٦.

واحدة واحدة منها فجمع الخير (للمبالغة في الدّلة كما) (١) جمع الوصف في قوله تعالى : ﴿ شهاباً رصباً ﴾ (٢) وقوله : ((معاً جياً)) والأول أوجه.

قوله : ((إن رجلاً جاء إليه فقال : إن أخي ... الحديث ، رواه البخاري (٣) ومسلم والترمذي عن أبي سعيد، مع تغيير فيه، وليس في آخره كما أنشط من عقال. النهاية (٤) : [أنشط، أي : حلّ] يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها وأنشطتها وأنشطتها إذا أحللتها، وكثير ما يجيء كأنما نشط من عقال، وليس بصحيح لما ذكرنا قوله : ((وكذب بطن أخيك)) النهاية (٥) : [الكذب ههنا مجاز حيث هو ضد الصدق، والكذب يختص بالأقوال، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كذباً، لأن الله تعالى قال : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ يريد أنه من المقابلة والمساكلة، فلما قال : صدق الله، حسن أن يقول : كذب بطن أخيك.

قوله : ((وعن عبد الله بن مسعود : العسل شفاء (٦) . الحديث رواه ابن ماجه عن عبد الله مرفوعاً، ورواه رزين أيضاً.

(١) ما بين القوسين س من ت ، ب.

(٢) سورة الجن الآية ٩.

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ١٣٩/١٠ كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ . ومسلم ١٧٣٦/٤ كتاب السلام، باب التدوي بسقي العسل من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه : قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : إن أخي استطلق بطنه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقه عسلاً، فسقاه، ثم جاءه فقال : إنني سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات. ثم جاء الرابعة فقال : اسقه عسلاً، فقال : لقد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرأ.

والترمذي ٣٥٦/٤ كتاب الطب، باب ما جاء في التدوي بالعسل.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٥٧/٥ مادة (نشط).

(٥) النهاية ١٥٩/٤ مادة (كذب).

(٦) يشير إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : عليكم بالشفاءين، العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور. أخرجه ابن ماجه برقم ٣٤٥٢ . والحاكم في المستدرک ٣٠٠/٤ من حديث أبي إسحاق عن الأحوصي وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره ابن حجر في تخریج أحاديث الكشاف وفي فتح الباري ١٧٠/١٠ بلفظ : عليكم بالشفاءين العسل والقرآن. وذكر وقفه ورفع، ورجاله رجال الصحيح. والكامل لابن عدي ١٠٦٥/٣.

قوله : ((أنه قال عند المهدي^(١) : هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور، ثالث خلفاء بني العباس، كان أبو جعفر المنصور خليفة وعمه أبو العباس السفاح خليفة، وأخوه موسى الهادي، وابنه هارون الرشيد وإخوته وأولاده كلهم خلفاء^(٢) .

قوله : ((ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة))^(٣) يعني قوله : ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ كناية عن النسيان، لأن الناسي يعلم الشيء ثم ينساه، فلا يعلمه بعد ما علمه، وهذه صفة الأطفال. قال تعالى : ﴿ ومن نعمه ننكسه في الخلق ﴾^(٤) والعلم بمعنى الإدراك والتعقل، المعنى : لا يترقى في إدراك عقله الأول، لأن الشاب في الترقى، والشيخ في التوقف والنقصان، وعلى هذا إذا أجرى العلم على معناه، كما في الوجه الأخير، وإنما خص الزيادة به، لأن العلم يزداد بالترداد. قال الشيخ الشاطبي^(٥) :

**** وخير جليس لا يمل حديثه ** وترداده يزداد فيه تجملاً ****

(١) يشير إلى ما ذكره (ز) هنا : قال : ومن بدع تأويلات الرافضة، أن المراد بالنحل عليّ بن (أبي طالب) وقومه، وعن بعضهم ((أنه قال عند المهدي)) إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل : جعل الله طعامك وشرايك مما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي، وحدث به المنصور، فانتخذه أضحوكه.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣١٧ - ٣٤٢.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ الآية ٧٠ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ : ((ليصير إلى حالة ... الخ))

(٤) سورة يس الآية ٦٨.

(٥) الشاطبي : القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، إمام القراء، كان ضريباً، ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر، وهو صاحب حرز الأمان، القصيدة المشهورة في القراءات، تعرف بالشاطبية، وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة، والرعيني نسبة إلى ذي رعين أحد أقبال اليمن . ولد سنة ٥٣٨ ومات ٥٩٠. وفيات الأعيان ٤٢٢/١، ونفح الطيب ٣٣٩/١، وغاية النهاية ٢٠/٢، وهذا البيت من قصيدته (حزر الأمان) وقبله :

**** وإن كتاب الله أوثق شافع ** وأغني غناء واهباً متفضلاً ****

قوله : ((كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه))^(١) الحديث من رواية البخاري ومسلم، قال المعرور بن سويد : رأيت أبا ذر وعليه حلة، وعلى غلامه حلة مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه ساء رجلاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية، قلت : على ساعتى هذه من كبر السن، فقال : نعم (هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم)^(٢) .

قوله : ((فجعل ذلك)) أي عدم المساواة أو الرد بفضل ما رزقوهم عليه، المعنى : الله الذي فضل بعضكم على بعض في الرزق، فشكر ذلك أن تواسوا إخوانكم فيه، فما بالكم لا تواسون أو لا تردون رزقكم عليهم فتستروا في الرزق، فسر الآية بوجوه : أحدها : بين فيه حكم حسن الملكة كما سبق . وثانيها : أن يكون تمثيلاً، والممثل به ما تعورف بين الناس من أحوال السادات مع المماليك، فذكره لتربيخ المشركين. وثالثها : بين أن جميع النعم التي عدّها من أول السورة، واصله من الله تعالى إلى العبيد سواء كانوا أحراراً أو مماليك، لئلا يمين أحد على أحد، فإن قلت : لا يجوز أن يكون تمثيلاً لخلو الكلام عن القرينة الداعية إلى التمثيل. قلت : يمكن أن تجعل القرينة كون الآية تخلصاً إلى نوع آخر من بيان قبائح الكفار وكفرانهم نعم الله المتواترة، وهو قوله : ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ إلى قوله : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾، والتنبيه على القرينة قوله : ﴿ أفبنعمة الله يحجدون ﴾. قوله : ((وقرئ : ﴿ يحجدون ﴾ بالياء والتاء الفوقانية أبو بكر^(٣) . والباقون

بالياء.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يحجدون ﴾ الآية ٧١ من سورة النحل
(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٨٤/١ كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، وله أطراف. ومسلم ١٢٨٢/٣ كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه. وأبو داود برقم ٥١٥٨ . والترمذي ٣٥٣/١ . وابن ماجه برقم ٣٦٩٠ . وأحمد ١٥٨/٥ .
(٣) قرأ عاصم في رواية أبي بكر : ﴿ أفبنعمة الله تحجدون ﴾ بالتاء والباقون بالياء. انظر ابن مهران

قوله : ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة))^(١) الراغب^(٢) : [الحافد : المتحرك المتبرّع بالخدمة، أقارب كانوا أو أجناب؟ قال المفسرون : هم الأسباط ونحوهم، وذلك أن خدمتهم أصدق، وفلان محفود : أي : مخدوم، وسيف محتفد، أي : سريع القطع. قال الأصمعي^(٣) : أصل الحفد مقارنة الخطو].

قوله : ((حفد الولائد ... البيت))^(٤) ، الإمام، يقول : إن الإماء يسرعن بينهن، وأزمنة الجمال أسلمت بأكفهن، يريد أنهن متنعّمت مخدومات ذوات الإماء والأجمال.

قوله : ((وقيل : المعنى : وجعل لكم حفدة، أي : خدماً)) عطف على قوله : ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة)) فعلى الأول الحفدة عام فيمن يسرع في الطاعة والخدمة من القرائب، وعلى هذا : في معنى الخدم نفسه، وعلى الوجه الأخير يكون العطف من باب قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾^(٥).

قوله : ((إلا أنموذج منها))^(٦) المغرب^(٧) : [النموذج : بالفتح، والأنموذج : بالضم، تعريب نمُوذَة].

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتُ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ النحل الآية ٧٢ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ حَفَدَةً ﴾ : والحفدة جمع حافد ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة)) والخدمة.

(٢) الراغب ١٢٣ مادة (حفد).

(٣) الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، من قيس عيلان البصري اللغوي الأخباري، أحد الأعلام، يقال : اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب، ولد سنة بضع وعشرين ومائة، حدث عن ابن عون وسليمان التيمي، وعنه أبو عبيد ويحيى بن معين، مات سنة ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٤١٠/١٠ والأنساب ٢٩٣/١٠.

(٤) وقامه :

** حفد الولائد بينهن وأسلمت بأكفهن أزمنة الأجمال **

والبيت لجميل بن عبد الله بن معمر العذري، الشاعر المعروف . انظر سير أعلام النبلاء ١٨١/٤ .
الكشاف ٦٢٠/٢ .

(٥) سورة الأنفال الآية ٤٩ .

(٦) تفسير قوله : ﴿ من الطيبات ﴾ . قال (ز) : يريد بعضها، لأن كل الطيبات في الجنة، وما طيبات الدنيا ((إلا أنموذج منها)) .

(٧) المغرب في ترتيب العرب ٣٢٨/٢ مادة (نمذج).

قوله : ((﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وهو ما يعتقدون))^(١) إلى آخره، فيه إنكار وتوبيخ على ما آمنوا وعلى ما كفروا، وفي التركيب الأول تقديم، فيفسد التخصيص، وتكرير فيؤذن بالتأكيد والتحقيق، لأن الفاء تستدعي فعلاً يعطف المذكور عليه، أي : كفروا بالحق فآمنوا بالباطل، وإلى التخصيص الإشارة بقوله : ((فليس لهم إيمان إلا به))، وإلى التحقيق بقوله : ((كأنه شيء معلوم مستيقن)) .

والتركيب الثاني أيضاً كذلك التأكيد من بناء يكفرون على هم، وإلى التخصيص الإشارة بقوله : ((ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتميز هم كافرون بها)) لأنهم إذا كفروا نعمة الله مع وجود ما يوجب الشكر من جلائها وظهورها، وأنها كالحسوس المشاهد، فكأنهم أنكروا أنها نعمة، أو أنها من الله، وإليه الإشارة بقوله : ((منكرون لها كما ينكر المحال، وإلى التأكيد الإشارة بقوله : ((هم يكفرون بها ومنكرون لها)) وقوله : ((نعمة الله)) مبتدأ، وقوله : ((هم كافرون بها)) خبره وفيه ضرب من التأكيد.

قوله : ((ونعمة الله ما أحلّ لهم))^(٢) قيل : ((ما)) مصدرية، أي إحلال الله موصولة، أي : أحله الله، والأولى الثاني، لأنه مقابل لقوله : ((الباطل ما يسوّل لهم الشيطان، وهي موصولة، لأن (من) في قوله : ((من تحريم البحيرة)) بيان لها^(٣) .

(١) وهو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمانة ((فليس لهم إيمان إلا به، كأنه شيء معلوم مستيقن)) .

(٢) تفسير قوله : ﴿وبنعمت الله﴾ . قال (ز) : ((ونعمة الله ما أحلّ لهم)) .

(٣) قد منّ الله جل وعلا على بني آدم أعظم منه بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم، وهذا من أعظم المنن، وفي نفس الوقت من أعظم الآيات الدالة على أنه جل وعلا هو المستحق أن يعبد وحده، وهذه الآية دالة على ذلك، وكذلك قوله تعالى في سورة الروم الآية ٢١ : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ . ولكن الكافرين نعم الله جحدوا ذلك وكفروا به. ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون﴾ .

قوله : ((تأكيداً لئلا يملك))^(١) أي : (شيئاً) مفعول مطلق، ولذلك بينه بقوله :
((من الملك)) بكسر الميم، كما تقول : ضربت نوعاً من الضرب^(٢) .

قوله : ((بعد ما قيل : ((لا يملك)) على اللفظ إشارة إلى خلاف ذكرناه عن ابن جني . قال صاحب الإنتصاف فيما سبق إن العود إلى المعنى بعد الجمل على اللفظ أنكره بعضهم، لما يلزم من الإجمال بعد البيان، وهو خلاف البلاغة، وهو مردود لمجئته في أفصح الكلام.

قوله : ((ما معنى قوله : ﴿ ولا يستطيعون ﴾))^(٣) وجه السؤال أن مفعول ﴿ لا يستطيعون ﴾ محذوف، وهو الضمير الراجع إلى الرزق، بدليل سياق الكلام عليه، فيلزم عطف الشيء على نفسه. وأجاب^(٤) : ((ليس في ﴿ لا يستطيعون ﴾)) أي : لا نسلم اشتماله على الراجع، بل هو مطلق من باب فلان يعطي ويمنع، فيكون فلا يستطيعون تذييلاً للكلام السابق، ثم قال : ((إلا أن يقدر))^(٥) أي : ولئن سلم اشتماله على الراجع فيكون من باب التأكيد، نحو قوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ﴾ النحل الآية ٧٣. قول (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ شيئاً ﴾ : أي لا يملك أن يرزق شيئاً، مفعول رزقاً وإن أردت المرزوق كان (شيئاً) بدل من رزقاً بمعنى قليلاً، ويجوز أن يكون ((تأكيداً لئلا يملك)) أي لا يملك شيئاً من الملك، ما ناب عن المطلق، بمعنى لا يملك ملكاً.

(٢) ويفهم من هذه الآية الكريمة : أنه لا يصح أن يعبد إلا من يرزق الخلق، لأن أكلهم رزقه وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكل عاقل، وهذا المعنى المفهوم من هذه الآية بينه بقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ١٧ : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾، وقوله في سورة فاطر الآية ٣ : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ... الآية ﴾ وقوله في سورة الذاريات الآية ٥٧ : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ... الآية ﴾.

(٣) إيضاح السؤال (ما معنى قوله : ولا يستطيعون) بعد قوله : (لا يملك) وهل هما إلا شيء

واحد.

(٤) وأجاب، يعني : الزمخشري : ((ليس في ﴿ لا يستطيعون ﴾)) تقدير راجع، وإنما المعنى : لا

يملكون أن يرزقوا، والاستطاعة منفية عنهم أصلاً، لأنهم أموات.

(٥) قول (ز) : ((إلا أن يقدر)) الراجع، ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد.

أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿١﴾ أو من باب الترقى، فإن قوله تعالى : ﴿ لا يملك لهم رزقاً ﴾ دلّ على نفي ملك الرزق عنهم مطلقاً، وقوله : ﴿ لا يستطيعون ﴾ على نفي استطاعة أن يكونوا مالكين، وإليه الإشارة بقوله : ((لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه)) ولا يتأتى ذلك فيهم. ويجوز أن يكون تميمًا.

قوله : ((وجراًكم عليه)) (٢) الجوهرى (٣) : [الجرأة : الشجاعة، وتقول : جرأتك على فلان حتى أجرات عليه].

قوله : ((ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله)) عطف على قوله : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ تمثيل، وعلى التمثيل لا قول ثمة، ولا مثل، ولا ضرب، لأن الفاء في : ﴿ فلا تضربوا ﴾ رتب النهي على قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ... الآية ﴾ كأن حالهم في مزاوله عبادة الأصنام المستلزم بالتشبيه حالها بحال المعبود الحق في استحقاق العبادة، حال من يحاول انتزاع أمور متعددة غير حقيقة بين المشبه والمشبّه به (ليلحقه به) (٤)، وقيمه مقام تشبيه، وإليه الإشارة بقوله : ((لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً بحال)) وقوله : ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ تعليل للنهي، كأنه قيل : لا تشركوا بالله شيئاً وأنتم قوم جهلة، ولذلك صدر منكم هذه الغفلة . وإليه الإشارة بقوله : ((فذاك هو الذي جرّكم (٥) إليه)) . وقوله : ﴿ إن الله يعلم ﴾ اعتراض وارد على الوعيد والتهديد، وهو المراد من قوله : ((إن الله يعلم كنه ما تعملون وهو معاقبكم عليه)) . وعلى الثاني : النهي وارد على مثل ضربوه، وتشبيه انتحلوه، وقوله : ﴿ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ برمته تعليل، أي : ضرب الأمثال من العلوم الدقيقة يستدعي (٦) لطف إدراك وخبرة لا سيما في ذات الله عز وجل، فلا

(١) سورة التحريم الآية ٦.

(٢) تفسر قوله تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ النحل الآية ٧٤.

تفسير (ز) لقوله : ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ كنهه وكنه عقابه، فذاك هو الذي جرّكم إليه، ((وجراًكم عليه)) . فهو تعليل للنهي عن الشرك.

(٣) الجوهرى في صحاحه ٤٠/١ مادة (جرأ).

(٤) ما بين القوسين س من أ ، ب.

(٥) في م ، ب : (جرأكم)، وهو الصواب.

(٦) في م : (التي تستدعي) وهو الصواب.

يقدر على الشروع فيه إلا الله والراسخون في العلم. ومن ثم عقبه بقوله : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ﴾^(١) وأشار المصنف إليه بقوله : ((ثم علمهم كيف تضرب وأما بيان اتصاله على الوجه الأول، فإنه تعالى لما نهاهم عن ضرب المثل الفعلي، وهو الإشراف بالله المستلزم له، عقبه بما يكشف لذي البصيرة عن حالهم في تلك الفعلة، وحال من يخالفهم فيها من قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ... الآية ﴾.

قوله : ((واختلفوا في العبد هل يصح له ملك؟ والمذهب الظاهر أنه لا يصح له)) الانتصاف^(٢) : [مالك رحمه الله يرى أنه يملك، والآية تعضده، أي : مملوكاً ليس بمن ملكة سيده فمَلَك بل هو على الأصل المعهود في المما ليك، عاجز، فلو لم يتصور له ملك، لكان قوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ تكراراً، أو قوله : ((احترازاً من المكاتب، بعيداً من فصاحة القرآن إذ لو لم يملك من العبيد إلا مكاتب لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ كالألغاز الذي لا يعهد مثله في القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة . وأنكر إمام الحرمين^(٣) حمل قوله صلى الله عليه وسلم : (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها) على المكاتب، لبعده القصد إليها على شذوذها. وأما الاحتراز به عن المأذون له فينبني على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف أو الملك، وبعده الأول عن مطابقة قوله : ﴿ ومن رزقناه منا رزقاً حسناً ﴾ ولقائل أن يقول : إن قوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ صفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل، أي : إنما ضربت المثل به، لأن حقيقته اللازمة له المعروفة به أنه لا يقدر على شيء، ومنه :

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ الآية ٧٥ من سورة النحل.

(٢) الانتصاف لأحمد بن النير المالكى ٦٢٢/٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، ولد في جوين سنة ٤١٩ هـ، وصفه بعض من ترجم له فقال : في الفقه فقه الشافعي، وفي الأدب أدب الأصمعي، وفي الوعظ الحسن البصري. انظر وفيات الأعيان ٢٨٧/١ والسبكي ٢٤٩/٣، والأعلام للزركلي ١٦٠/٤.

﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾^(١) وكل مدعو مع الله لا برهان به، إنما المراد به أنه من لوازم دعائه مع الله إلهاً، ولنا أن نقول في دفعه : الأصل في الصفة والحال التخصيص والتقييد، وما ورد بخلاف ذلك فهو خلاف الأصل. وقال الإمام^(٢) : [احتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد لا يملك شيئاً^(٣) ، فإن قالوا : ظاهر الآية يدل على أن عبداً من العبيد لا يقدر على شيء، فلم قلت : إن كل عبد كذلك؟. فنقول : الذي يدل عليه وجهان : الأول : أنه ثبت في أصول الفقه أن الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علّة لذلك الحكم، وكونه عبداً وصف مشعر بالذل والمقهورية، وقوله : ﴿لا يقدر على شيء﴾ حكم مذكور عقبيه، فهذا يقتضي أن العلة لعدم القدرة على الشيء، هو كونه عبداً، وبهذا الطريق ثبت العموم. والثاني : أنه تعالى قال بعده : ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً﴾ فميز هذا القسم الثاني عن القسم الأول، وهو العبد بهذه الصفة، وهو أنه يرزقه رزقاً فوجب ألا يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الإمتياز بين القسم الثاني وبين القسم الأول، ولو ملك العبد لكان الله قد آتاه رزقاً حسناً، لأن الملك الحلال رزق حسن، سواء كان قليلاً أو كثيراً [وقلت : لا شك أن قوله : ((ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ مقابل لقوله : ﴿عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾، والمقصود من ذكرهما الحجر والمنع والإطلاق والتوسعة، لأن التمثيل في الأصنام والملك العلام. فلا بد من تصور العجز التام، فإذا أجريناه على ما قال : لزم

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٧.

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٨٤/٢٠.

(٣) وقد اختلف هل العبد يملك؟ فقال أبو حنيفة والشافعي : لا يمكن، واستدلوا بهذه الآية، وأن قوله : ﴿عبداً مملوكاً﴾ نكرة عامة في سائر العبيد، وأيضاً أنه شبه بالأصنام من حيث أنها لا تملك.

وقال مالك : إنه يملك إلا أنه ناقص الملك، لأن للسيد أن ينزع منه ما يملكه. انظر القرطبي ١٠/١٤٧،

والأحكام للجصاص ٣/١٨٦، والأحكام لابن العربي ٣/١١٦٥.

واستدل مالك بقوله صلى الله عليه وسلم : (من باع عبداً وله مال فماله للبائع إلا أن يشترطه

المبتاع) فأضاف صلى الله عليه وسلم المال إلى العبد، وملكه إياه، وجعله في البيع تبعاً له.

التصرف المخذور، والحاصل^(١) أن إتيان صفتان لمزيد التصوير والكشف على^(٢) حالة العجز لا للتمييز والتفصيلة، ألا ترى كيف ترقى في التمثيل الثاني، وزاد البكم والكَلَّ، وعدم الإنجاح في المهمات ليدل على كمال ذلك المعنى . وكذا في جانب المشبه به، فإنه ترقى من تصرفه كيف شاء إلى كونه آمراً بالعدل، ومن كونه مرزوقاً إلى كونه مهدياً إلى صراط مستقيم.

قوله : ((هل يستوي هو ومن هو سليم الخواس)) يعني لا بد من المقابل بين العدل وما سبق، ولا يأمر بالعدل إلا من يكون موصوفاً بصفات الكمال، وتخصيص المذكورات للتقابل.

قوله : ((أينما أوجه ألق سعداً))^(٣) يضرب لمن يتلقى الشر أية سلك، وعن بعض : أصله أن أضبط كان سيد قومه فأصابه منهم جفوة فارتحل عنهم إلى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل صنيع قومه، فقال : (أينما أوجه ألق سعداً)، وسعد كان شريراً.

قوله : ((ونحو قوله : ﴿ يستعجلونك ﴾))^(٤) أي : نحوه في استعجال الله تعالى ما يستقرب المدة فيما هو بعيد عند الناس، قوله تعالى : ﴿ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾^(٥) أي ألف سنة عندكم بعيد، وعند الله مقدار يوم على عرفكم وعاداتكم.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ النحل الآية ٧٦.

(٢) (عن حالة في م ، ت.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ أينما يوجههم الآية ﴾ . قال (ز) : قرئ أينما يتوجه من قولهم : ((أينما أوجه ألق سعداً)) (والأضبط) بن قريع سيد قومه ... الخ . الأمثال للميداني ٨٨/١ . رقم المثل ٢١٨ ، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٤٤٩ رقم المثل ١٩٠٩ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴾ الآية ٧٧ من سورة النحل . والآية في سورة العنكبوت الآية ٥٣ .
(٥) سورة الحج الآية ٤٧ .

قوله : ((وأوحاه)) أي أسرع، الأساس^(١) : [استوحيته : استعجلته]،
النهاية^(٢) : [في الحديث (٣) : (إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كانت شراً فانتبه، وإن
كان خيراً فتوجه) أي : أسرع إليه، والهاء للسكت.

قوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة إشارة
إلى أنه كالتعليل لإثبات أمر الساعة وسهولة تأتيها. ولما كان البعث والحشر موقوف
على مسئلي العلم والقدرة، عطف جملة ﴿ أمر الساعة ﴾ على جملة ﴿ غيب
السموات والأرض ﴾ عطف جبريل على الملائكة، ثم علّله بقوله : ﴿ إن الله على
كل شيء قدير ﴾ فكما عطف ذلك عقب قوله : ﴿ والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم ﴾ قوله : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ وأتى بالواو إيذاناً بأن مقدور
الله لا نهاية له، والمذكور بعض منها. وإليه أشار بقوله : ((دل على قدرته بما
بعده)).

قوله : ((قرئ ﴿ أمهاتكم ﴾ بضم الهمزة))^(٤)، كلهم إلا حمزة والكسائي .

قوله : ((** أمهتي خندف وإلياس أبي **)) قبله ، لقصي بن كلاب^(٥) :

** إني لدى الحرب رخي اللبب ** معترزم الصولة عالي النسب **

يقال : فلان في لبب رخي، أي : في حال واسعة (الاعتزام) لزوم القصد.

(١) أساس البلاغة للزمخشري ٦٦٨ مادة (وحى).

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٦٣/٥ مادة (وحا).

(٣) كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٤ باب التحضيض على طاعة الله عز وجل.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ الآية ٧٨ النحل. قرأ

حمزة والكسائي : ﴿ أمهاتكم ﴾ بكسر الهمزة هنا وفي النور والزمر والنجم، إلا أن حمزة يكسر الميم. وقرأ
الباقون بضم الهمزة وفتح الميم فيهن، انظر ارشاد المبدي وتذكرة المنتهي للفلاس ٤٠٣، والكشف ٣٨٠/١،

والإتحاف ١٨٧.

(٥) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره، ورئيسهم، أول ملك في كنانة،

وهو الأب الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم، ويكنيه هذا فخراً، واسمه الأصلي زيد، وسمي قصياً لأن أمه
تزوجت برجل من بني عذرة، فانتقل بها إلى أطراف الشام، فسمى قصياً لبعده من دار قومه، طبقات ابن سعد

٣٦/١ والطبري ١٨١/٢، والروض الأنف ٨٤/١.

قوله ﴿وَمَا رَكَّبَ فِيكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا آلَاتٍ لِإِزَالَةِ الْجَهْلِ﴾ ((الحصر مستفاد من فحوى الكلام وانصبابه في قالب جوامع الكلم، وهو أنه تعالى ما خلق الخلق إلا ليعبد، ويعرف لقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) فأخبر تعالى أنه أخرجهم من ظلمات الرحم إلى فضاء عالم التكليف، وهم غير عالمين لما خلقوا له، كما قال : غير عالمين شيئاً من حق المنعم، فخلق لهم السمع ليسمعوا آياته البينات، وبصراً لينظروا إلى الدلائل الدالة على وجوده، وفؤاداً ليتفكروا في الآيات وحكمته، فيجعلوها وسيلة إلى ما خلقوا له من الشكر والعبادة، كما قال : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فظهر أن هذه آلات ما خلقت إلا لاختلاف العلم والعمل به، فمن جعلها آلات لغير ذلك فقد أبطل حكمة الله في خلقها، وانخرط في سلك ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾^(٢) ، قال القاضي^(٣) : [لا يعلمون شيئاً جُهِلاً مستصحبين جهل الجمادية] وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴿أداة تتعلمون بها فتحسّون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها، ثم تتنبّهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرير الإحساس، حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لكي تعرفوا ما أنعم عليكم طوراً بعد طور فتشكرونها] وفي هذا التقرير إشعار بأن قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تعليل للجهل لا للإخراج، فيفيد معنى الحصر الذي قرره المصنف^(٤) ، كأنه قيل : خلقكم وأنتم كالجماد، ثم جعل لكم أدوات ليتميزوا عنه.

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٣) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١٨٨/٣.

(٤) ومثل هذه الآيات قوله تعالى في سورة السجدة الآية ٩ : ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾.

قوله : ((جرت مجرى جموع الكثرة والقلّة))^(١) أي : هي مشرّكة تستعمل تارة في القلّة وأخرى في الكثرة، واستعملت هنا في الكثرة، لأن الخطاب في ﴿أخرجكم﴾ عام.

قوله : ((ما يمسكهن ﴾ في قبضهنّ وبسطنهنّ ووقوعهنّ إلا الله))^(٢) لقوله تعالى : ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهنّ إلا الرحمن﴾، قال القاضي^(٣) : ﴿إن ثقل جسدها يقتضي سقوطها، ولا علاقة فوفها، ولا دعامة تحتها تمسكها﴾، وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيها.

قوله : ((من بيوتكم التي تسكنونها))^(٤) الراغب^(٥) : [أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم قد يقال بغير اعتبار الليل فيه، وجمعه أبيات وبيوت، والبيوت بالمسكن أخص، والأبيات بالشّعْر، وشبّه به بيت الشعْر، وصار البيت متعارفاً في آل النبي صلى الله عليه وسلم، (سلمان منا أهل البيت)^(٦) أن مولى القوم يصحّ نسبته إليهم، كما قال^(٧) : مولى القوم منهم، وابنه من أنفسهم.

(١) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿الأفئدة﴾ : والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلّة التي ((جرت مجرى جموع الكثرة والقلّة)) إذ لم يرد في السماع غيرها.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهنّ إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ النحل الآية ٧٩.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ١٨٨/٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾ النحل الآية ٨٠.

(٥) الراغب في مفرداته ٦٤ مادة (بيت).

(٦) أخرجه الحاكم ٥٩٨/٣ . وقال الذهبي : سنده ضعيف. والطبراني في الكبير ٢٦١/٦ موقوفاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والطبري ٨٥/٢١ . وطبقات ابن سعد ٥٩، ١/٤ . ومجمع الزوائد ١٣٠/٦ وفيه : كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤٨/٣، ٤٤٠/٤ . والدارمي ٢٤٤/٢ . والطبراني في الكبير ١٩٧/١٢ . وتلخيص الخبير ٢١٤/٤.

قوله : ((خفيفة المحمل)) الراغب^(١) : [الخفيف بإزاء الثقيل : ويقال ذلك باعتبار المضايقة بالوزن، وقياس أحد الشئين إلى الآخر، يقول : درهم خفيف ودرهم ثقيل، وباعتبار مضايقة الزمان، نحو فرس خفيف وفرس ثقيل، إذا عدا أحدهما أكثر في زمان واحد] . وقد مرّ مبسوطاً في سورة التوبة.

قوله : ((على أن اليوم بمعنى الوقت))^(٢) أي الزمان الممتد، لأن عاداتهم إما الإقامة أو الظعن كقوله تعالى : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾^(٣) وإليه الإشارة بقوله : ((في أوقات السفر والحضر جميعاً)) الانتصاف : [الوجه الأول أولى، إذ ظهور المنّة في خفتها في السفر أتم، أما المقيم فلا عليه من ثقلها].

قوله : ((وقرئ : ﴿ يوم ظعنكم ﴾ بالسكون))^(٤) ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

قوله : ((وقيل : ما يبقى من الحرّ يقي من البرد))^(٥) الانتصاف^(٦) : [الوجه الأول أولى لأنه قدم المنّة بالظلال الواقية من الضحى بقوله : ﴿ مما خلق ظلالاً ﴾ فالأهم إذن وقاية الحرّ، وليس كل ما يبقى الحرّ يقي البرد ككشفوف القمصان، بل لو لبس إنسان لبوس الحرّ في البرد أو عكس لعُدّ من الثقلاء].

(١) الراغب ١٥٢ مادة (خف).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم ظعنكم ويوم أقامتكم ﴾ قال (ز) : أي : يوم ترحلون، ((على أن اليوم بمعنى الوقت)).

(٣) سورة مريم الآية ٦٢.

(٤) قرأ : ﴿ يوم ظعنكم ﴾ بفتح العين، أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ يوم ظعنكم ﴾ بسكون العين . انظر المبسوط لابن مهران في القراءات العشر ٢٢٥، والنشر ١٤٦/٣، والإتحاف ٢٧٩.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سراويل تقيكم الحرّ وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ النحل الآية ٨١. قال (ز) في تفسير : ﴿ تقيكم الحرّ ﴾ لم يذكر البرد، لأن الوقاية من الحرّ أهم عندهم، وقُلّما يهتمهم البرد لكونه يسيراً محتملاً ((وقيل : ما يبقى من الحرّ يقي من البرد)) فدلّ ذكر الحر على البرد..

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٦٤٥/٢.

قوله : ((تَسْلِمُونَ)) أي : تنظرون ((١)) أي : الإسلام ههنا بمعنى الاستسلام والانقياد، وضع موضع سببه، وهو ينظرون ويتفكرون، المعنى : مُنَحُوا كذا وكذا من النعم الظاهرة والباطنة ليتفكروا وينظروا ويعرفوا المنعم فينقادوا له، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ (٢)، لأن من تولى أبى الإنقياد، ثم ترقى إلى بيان عنادهم وأنهم يعرفون المنعم المولى، ثم ينكرونها.

قوله : ((فذكر سبب العذر، وهو البلاغ، ليدل على المسبب)) يعني : كان من الظاهر أن يقال : فإن لم ينقادوا لله تعالى بعد تذكيرك إياهم آيات الله، والآية تمهّد عذرك، لأنك قد أدّيت ما عليك من الواجب، فوضع موضع المذكور. قوله : ﴿ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ وضعاً للسبب موضع المسبب، ففي العدول الإشعار بالزام الحجة واستهال العقاب، وفي الظاهر تمهيد للعذر.

قوله : ((لا يقال لهم : ارضوا ربكم)) (٣) لأن الاستعتاب : طلب إزالة العتاب، وعتاب الله عبارة عن سخطه وعدم رضاه، أي : لا يطلب منهم إزالة سخط الله عنهم (٤).

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ ﴾ . قال (ز) : أي تنظرون في نعمه الفاضلة فتؤمنون به، وتقادون له. وقرئ : ﴿ تَسْلِمُونَ ﴾ من السلامة، أي : تشكرون، فتسلمون من العذاب، أو تسلم قلوبكم من الشرك.

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٠.

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى الآية ٤٨ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ وقوله في سورة النور الآية ٥٤ : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ . وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ النحل الآية ٨٥ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ ﴾ : ولا هم يسترضون، أي : ((لا يقال لهم : ارضوا ربكم)) لأن الآخرة ليست بدار عمل.

(٤) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة المرسلات الآية ٣٦ : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾، وقوله في سورة التحريم الآية ٧ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله : ((أنهم يَمُنُّون)) أي : يبتلون. الجوهري (١) : [مَنَوته ومنيته، أي : ابتليته].

قوله : ((وكذلك إذا رأوا العذاب)) (٢) قيل : يريد إذا رأوا العذاب أيضاً منصوب بمحذوف، ويقال : إن وجه الشبه يقتضي أيضاً تأخير المحذوف في التقدير، أي : يوم يُبعث وقعوا فيما وقعوا فيه، وكذلك إذا رأوا العذاب وقعوا فيما وقعوا أيضاً، وإليه أشار بقوله : ((بغتهم)) وكذا في تركيبه، أعني : إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم، فلا يخفف، إيدان بأن قوله : ((للذين ظلموا)) مظهر وضع موضع المضرر للإشعار بأن العذاب إنما لم يخفف عنهم، لأنهم ظلموا، وأن الفاء في : ﴿ فلا يخفف ﴾ فصيحة، وليست بجواب ((إذا))، والجزاء المقدر، هو قوله : ((بغتهم وثقل عليهم)) والشاهد على المقدر قوله : ﴿ بل تأتيهم بغة فتذهبهم فلا يستطيعون ردّها ﴾ (٣) وقوله : ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ مثله في الآية المستشهد (بها) (٤).

قوله : ((لما كانوا غير راضين)) (٥) يعني : المراد بالشركاء في قوله : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾، وهم كل من عبد من دون الله من الملائكة

(١) الجوهري في صحاحه ٢٤٩٨/٦ مادة (منا).

(٢) قال (ز) في تفسير : ﴿ ويوم نبعث ﴾ وانتصاب (يوم) بمحذوف تقديره : واذكر يوم نبعث، أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه ((وكذلك إذا رأوا العذاب)) بغتهم وثقل عليهم.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٤٠.

(٤) بها في م.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فآلقوا إليهم القول إنكم لكاذبون . وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ النحل الآية ٨٧.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ندعوا ﴾ بمعنى : نعبد. فإن قلت : لم قالوا : ﴿ إنكم لكاذبون ﴾ وكانوا يعبدونهم على الصحة؟ قلت : ((لما كانوا غير راضين)) بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، والدليل عليه قول الملائكة : ﴿ كانوا يعبدون الجن ﴾ يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم، وعليه فلا إشكال، أما الملائكة فقد قال الله عنهم : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ سورة سبأ الآية

والمسيح وعزير والجن والشياطين كما سبق آنفاً، إذ المقام يقتضي العموم لقوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ ومن هو مثل الملائكة، فكذبوهم لما أنهم كانوا غير راضين بعبادتهم . وثانيهما التكذيب راجع إلى تسميتهم شركاء . وقولهم : ﴿ هؤلاء شركاؤنا ﴾ وعلى الأول إلى فعلهم وعبادتهم لهم، وإنما قلنا : مثل الملائكة لاستشهادته بقوله : ﴿ كانوا يعبدون الجن ﴾ .

قوله : ((جاز أن يكونوا كاذبين))^(١) أي : الشياطين قالوا للمشركين : إنكم لكاذبون فيما تقولون علينا، فالشياطين كاذبون في هذا التكذيب، لأنهم في الدنيا زينوا وسؤلوا ووسوسوا وما قصروا فيه : ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾^(٢) كما قال : ﴿ إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾^(٣) وكذب في هذا القول، وهذا لا يصح في قول الملائكة^(٤) .

قوله : ((حمتها))^(٥) الجوهرى^(٦) : [حمة العقرب : سمها وضربها، وأصلها حمؤ وحمى، والهاء عوض] .

(١) قال (ز) : وإن أريد بالشركاء في قوله : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا ﴾ ((جاز أن يكونوا كاذبين)) في قولهم . وعليه فلا إشكال، لأن المراد بالشركاء خصوص الجن، ومن هو راض بالعبادة من دون الله فقط، لا الملائكة، ومريم، وعيسى، ونحوهم .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٢ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

(٤) وقد أوضح الله تعالى معنى هذه الآية في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة الأحقاف الآية ٥ : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وقوله تعالى في سورة مريم الآية ٨٢ : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ وقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٢٥ : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ زدناهم عذاباً فوق العذاب ... الآية ﴾ : قيل : في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ((حمتها)) أربعين خريفاً .

(٦) الجوهرى في صحاحه ٢٣٢٠/٦ مادة (حمى)

قوله : ((وقيل : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ (١))) (٢) عطف على قوله : ((أمر فيه باتباع الرسول وطاعته، يعني : أحيل البيان على السنة بوجهين حيث أمر فيه، أي : في قوله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ (٣) وحيث قيل في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ .

قوله : ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)) (٤) مثله في جامع الأصول، رواه رزين العبدري عن ابن المسيب، وفي رواية أخبار الشهاب (أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى) (٥) ، وذكره الصنعاني في قسم الحسان.

قوله : ((العدل هو الواجب)) (٦) فيه إيماء إلى مذهبه (٧) ، فكفى عنى الواجب بالعدل، لأن الواجب ملزوم العدل، لأن الله تعالى جعل ما فرض على عباده واقعاً تحت طاقتهم، أي : لا يكلفهم فوق طاقتهم، لئلا يكون جوراً، ومن ثم سموا أنفسهم

(١) سورة النجم الآية ٣ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجننا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴿ النحل الآية ٨٩ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾ : المعنى : أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((وقيل : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾))، وحثاً على الإجماع في قوله : ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ . سورة النساء الآية ١١٥ .

(٣) سورة المائدة الآية ٩٢ .

(٤) أخرجه الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف في أحاديث الكشاف ٦٢٨/٢ ، وتلخيص الجيز لابن حجر ١٩٠/٤ ، وميزان الاعتدال له أيضاً برقم ١٥١٢ ولسان الميزان ٤٨٨/٢ ، وجميع طرقه ضعيفة، فهو حديث لا يحتج به، كما قال ابن حجر رحمه الله، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٨/١ وقال : إنه موضوع، وقال : قال ابن عبد البر لا تقوم به حجة.

(٥) في مسند الشهاب ٢٧٥/٢ . وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : حديث موضوع ٤٣٩/١ برقم ٤٣٨ . وفيه جعفر بن عبد الواحد . قال الدراقطني : كان يضع الحديث.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ النحل الآية ٩٠ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ : ((العدل هو الواجب)) .

(٧) يعني مذهب المعتزلة في العدل، والمراد به عندهم أن أفعاله تعالى كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح، وأن العقل هو الحاكم بالحسن والقبح . مرأى التكليف بالإنشاد في تفسيره .

بالعدلية. هذا تخصيص من غير دليل^(١)، سيما المقام يقتضي العموم، ولهذا قال ابن مسعود^(٢) : أجمع آية في القرآن هذه الآية، وقال القاضي^(٣) : [لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، ولعل إيرادها عقيب قوله : ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ للتنبيه عليه]، وقال الإمام^(٤) : [إنما يحسن تفسير اللفظ بمعنى إذا حصل بينهما مناسبة، وإلا كان فاسداً، وبناءً على مجرد التحكم، فإن الله تعالى أمر بالعدل والإحسان، فالعدل عبارة على المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وذلك أمر واجب في جميع ما يصح فيه هذا المعنى، والواجبات إما في الاعتقاد، وإما في الأعمال، أو في الأخلاق، فالعدل في الاعتقاد

أما في التوحيد فيجب أن يعتقد أن الإله موصوف بصفات الكمال، فهذا وسط بين التعطيل والتشبيه . وإما في الأفعال : فيجب أن يعتقد أن العبد يصدر عنه الفعل كسباً بواسطة داعية وقدرة يخلقها الله تعالى، لأنه وسط بين الجبر والقدر . أما الأعمال : فالعدل فيها أن يأتي بالطاعات على الطريق السوي.

قال الله تعالى : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(٥)، روي عن البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أيها الناس : خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله تعالى ما يملّ حتى تملوا)^(٦)، عن داود عن سهل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد عليكم)^(٧)

(١) قال أحمد بن النير رحمه الله ٦٢٨/٢ : وهذه وليجة من الإعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق، لأنه ظلم وجور، وذلك على الله محال. والحق والسنة أن كل قضاء الله عدل، وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ .

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره ٤٩٤/٨ عن ابن مسعود، والقاضي البيضاوي ١٩٠/٣ .

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٠/٣ .

(٤) الإمام الفخر الرزاي في تفسيره الكبير ١٠١/٢٠ - ١٠٢ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٦) أخرجه البخاري مع الفتح ٣١٤/١٠ كتاب اللباس، باب الجلوس على الخصر ونحوه، من

حديث عائشة . ومسلم ٥٤٠/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل

(٨) ﴿سُئِلَ عَنْهُ أَسْجُدُ أَوْ لَا أَسْجُدُ ٥/٢٠٩﴾ كتاب الأدب، باب في الطر كهم، راجع الفوائد ٢٦/٢٦

قوله : ((فقال : والله لا زدت فيها ولا نقصت، وفي رواية البخاري ومسلم : لا أزيد على هذا ولا أنقص)) (٥) .

قوله : ((استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم ...)) (٧) الحديث من رواية مالك وأحمد بن حنبل وابن ماجه عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى عليه

وسلم : (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) النهاية^(١) : [استقيموا في كل شيء حتى لا تملّوا، ولن تطيقوا الإستقامة، من قوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾^(٢) أي : تطيقوا عده وضبطه.

قوله : ((فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل))^(٣) هذا متصل بقوله : ولذلك قال : هو تعليل لقوله : ((ولا بد من أن يقع تفريط فيجبره الندب، أي : ولأجل أن لا بد من أن يقع في الواجب التفريط عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفلاح بشرط الصدق، ولم يجزم القول فيه، وأتى يأن التي للشك، وقال أيضاً : (استقيموا ولن تحصوا) أي : لن تطيقوا، وحيّ بأن التي للتوكيد، وإذا كان الأمر على هذا فلا بد مما يجبر به هذا التفريط وليس ذلك إلا النوافل، لما روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (أول ما يحاسب به العبد صلاته، فإن كان أتمها كتبت له تامة، فإن لم يكن أتمها قال الله تعالى : انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع، فتكملوا بها فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك)^(٤) ورواه أبو داود عن أنس بن حكيم.

قوله : ((والمنكر ما تنكره العقول))^(٥) الانتصاف^(٦) : [هذا اعتزال، والمنكر ما أنكره الشرع] الربغ^(٧) : المنكر [كل فعل تحكم العقول السليمة بقبحه أو تتوقف في

(١) النهاية في غريب الحديث ١٢٥/٤.

(٢) سورة المزمل الآية ٢٠.

(٣) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ والإحسان ﴾ ((فما ينبغي أن يترك ... الخ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠٣/٤ ، ٣٧٧، ٧٢/٥ ، ٥٢٥/٢ ، ٦٥/٤ . وابن ماجه ٤٥٨/١ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة برقم ١٤٢٦ . ومصنف ابن أبي شيبة ١٢٤/١٤ ، ١٣٣، كتاب الأوائل . والنسائي ٢٣٣/١ كتاب الصلاة، باب الخاسبة على الصلاة . والدارمي ٣٦١/١ كتاب الصلاة، باب أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة برقم ١٣٥٥ . وأبو داود ٥٤٠/١ كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : كل صلاة لا يتمها صاحبها تَمَ من تطوعه . من حديث أنس بن حكيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ المنكر ﴾ قال (ز) : ((والمنكر ما تنكره العقول)).

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٦٢٩/٢ والزنجشيري لا يدع مذهبه في الاعتزال في مسألة التحسين

والتقبيح بالعقل.

(٧) الربغ ١٥٥ مادة (نكر)

استقبحه، فتحكم بقبحه الشريعة، وإلى ذلك قصد بقوله تعالى : ﴿الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴾^(١) [وقال في قوله تعالى : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فحث^(٢) على فعل الخير، وندب عن الشر، وذلك بعضه بالشرع الذي شرعه لنا وخصه بالعقل الذي ركبناه فينا، والنهي حينئذ أعم من حيث اللفظ والمعنى، فكما في قوله : ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾^(٣) لأنه لم يعن أن يقول لنفسه : لا نفعل، بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عما نزعته إليه، وهمت به، وكذا النهي عن المنكر يكون تارة باليد وتارة باللسان وتارة بالقلب. وأما اللفظ فكما تقول : أجبته كذا، وأصل النهي : الزجر عن الشيء، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره.

قوله : ((﴿والبغي﴾ طلب التطاول بالظلم)) الانتصاف^(٤) : [البغي أصله الطلب، ومنه : ﴿ابتغاء مرضات الله﴾^(٥) ، وإطلاقه في العرف مخصوص بالظلم. قوله : ((وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين^(٦) ذكر صاحب الكامل في التاريخ^(٧) : [كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى إن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك وكتب إلى العمال في الآفاق بتركه، وكان سبب محبته علياً أنه قال : كنت بالمدينة أتعلم العلم، وكنت ألزم عبد الله بن

(١) سورة التوبة الآية ١١٢.

(٢) في ب ، ت (حث) بدون فاء.

(٣) سورة النازعات الآية ٤٠.

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٢٩/٢.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٠٧.

(٦) يشير إلى أن أمراء بني أمية كانوا يلعنون علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبة الجمعة، ولما ولي عمر بن عبد العزيز أمر بترك ذلك اللعن وإبداله بهذه الآية : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان... الآية﴾.

(٧) ذكر ذلك الكامل لابن عدي في التاريخ ١٥٤/٤ بعنوان "ذكر ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام".

عتبة بن مسعود^(١) رضي الله عنه، فبلغه عني شيء من ذلك، فأتيته يوماً وهو يصلي، فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه، فلما فرغ التفت إليّ، وقال : متى علمت أن الله تعالى غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟. قلت : لم أسمع بذلك، قال : فما الذي بلغني عنك في عليّ؟. فقلت : معذرة إلى الله وإليك، وتركت ما كنت عليه. وكان أبي إذا خطب فنال من عليّ تلجلج في كلامه، فقلت : يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت إلى ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً. قال : أوفطنت ذلك؟. قلت : نعم . فقال : يا بني، إن الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم لفرقوا عنا إلى أولاده، فلما ولي الخلافة لم تكن عنده الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، فترك ذلك، وكتب بتركه، وقرأ عوضه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... الْآيَةِ﴾ فجعل هذا الفعل عند الناس محلاً عظيماً، وأكثروا مدحه، فمنه قول كثير^(٢) :

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| * وليت فلم تشتم علياً ولم تخف | برياً ولم تتبع مقالة مجرم * |
| * تكلمت بالحق المبين وإنما | تبين آيات الهدى بالتكلم * |
| * وصدقت معروف الذي قلت بالذي | فعلت فأضحى راضياً كل مسلم * |
| * ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغته | من الأود البادي ثقاف المقوم * |

فقال عمر : رحمه الله حين أنشده هذا الشعر أفلحنا إذن.

قوله : ((وعاد من عادته))^(٣). ذكر ابن عبد البر^(٤) في الاستيعاب، قال : روى بريدة وأبو هرير وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم، كل واحد منهم عن النبي

(١) عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، ابن أخي عبد الله بن مسعود، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، من كبار الثانية، مات بعد السبعين ومائة، وثقه العجلي، تقريب التهذيب ١٨١.
(٢) كثير عزة أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني، امتدح عبد الملك والكبار، قال الزبير بن بكار : كان شيعياً، يقول بتناسخ الأرواح، وهو عاشق عزة . مات سنة ١٠٥ هـ. وفيات الأعيان ١٠٦/٤، وسير أعلام النبلاء ١٥٢/٥.

(٣) جزء من حديث غدير خم الوارد في فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الآتي.

(٤) ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ وأديب، يقال له : حافظ المغرب، له تأليف كثيرة نفيسة منها : الاستيعاب . هذا

صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم غدیر خم^(١) : (من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)^(٢) وبعضهم لا يزيد على : (من كنت مولاه فعليّ مولاه). ورواه أحمد بن حنبل عن البراء وحده.

قوله : ((وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون. وروى الإمام^(٣) في تفسيره [عن ابن عباس أن عثمان بن مظعون الجمحي قال : ما أسلمت أولاً إلا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتقرر الإسلام في قلبي، فحضرت ذات يوم، فبينما هو يحدثني إذ رأيت بصره شخص إلى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك، فسألته فقال : بينا أنا أحدثك إذ جبريل نزل عن يميني فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ... إِلَى آخِرِهِ﴾ فقال عثمان : فرقع الإيمان في قلبي، وأتيت أبا طالب فأخبرته، فقال : يا معشر قريش : اتبعوا ابن أخي ترشدوا فلكن كان صادقاً أو كاذباً فإنه ما يأمركم إلا بمكارم الأخلاق^(٤)]، ونحوه رأيت بخط مولاي المرحوم بهاء الدين القاشي^(٥) رحمه الله.

الذي ذكره الطيبي وغيره . ولد سنة ٣٦٨ هـ ت ٤٦٣ هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٤٨/٢ والمغرب في حلي المغرب ٤٠٧/٢ والديباج ٣٥٧.

(١) غدیر خم : موضع بين مكة والمدينة حرسهما الله، بينه وبينه الجحفة ميلان، والغدير : فيل من الغدر، وذلك أن الإنسان يمر به وفيه ماء، فربما جاء ثانياً طمعا في الماء، فإذا به ييس. معجم البلدان ١٨٨/٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١١٨/١ ، ٣٧٠/٤ ، ٣٦٦/٥ ، ٤١٩ . والترمذي ٦٣٣/٥ كتاب المناقب والحاكم ١١٦/٣ ، والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٣٧٦/١٥ من حديث زيد بن أرقم وغيرهم. والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٦٣٠/٢ لابن حجر والاستيعاب مع الإصابة ٣٦/٣ . (٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٠٠/٢٠ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣١٨/١ . والبخاري في الأدب المفرد . وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، كذا ذكر السيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٥ . وابن كثير في تفسيره ٥١٥/٤ . وقال : إسناده جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل.

(٥) لم أقف له على ترجمة

والظاهر لي أن هذه القصة لا تصح، لأن عثمان بن مظعون كان من أشد الناس عبادة، وتقدم إسلامه، وأن إيمانه كان قوياً مبدأً ومنتهى والله أعلم ، ولم أر غير الفخر الرازي ذكر هذا.

قوله : ((عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم))^(١) وإنما أسند إلى الله، لأن عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الله لقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾^(٢) وهو مستشهد لفظاً ومعنى، لأنه في أهل بيعة الرضوان، وإنما خصه ببيعة الرضوان، لأن قوله : ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ في قريش يعني : أوفوا بما عاهدتم الله، ولا تنقضوه مخافة الأعداء من قريش، وتوفر عددهم وعددهم، وإنما جعلكم مستضعفين، وأعداءكم أقوياء لتمييز الثابت منكم والناقص على عقيبه، وإليه أشار بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الآية عطف الخاص على العام اهتماماً بوفاء العهد والثابت عليه، ولذلك عقبه بالتمثيلين، وجيء بقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه.

قوله : ((بعد توكيدها ﴾)) أي : بعد توثيقها، الراغب^(٣) : [وكدت القول والفعل وأكدته بمعنى أحكمته . والسير الذي يشد به القربوس يسمى التأكيد، ولا يقال توكيد، قال الخليل : أكدت في عقد الإيمان أجود، ووكدت في القول أجود، تقول : إذا عقدت فأكد، وإذا حلفت فوكد . ووكد وكده إذا قصد قصده وتخلق بخلقه].

(١) تفسر قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ النحل الآية ٩١.

(٢) سورة الفتح الآية ١٠.

(٣) الراغب في مفرداته ٥٣١ مادة (وكد).

قوله : ((انحت على غزلها))^(١) الأساس^(٢) : [أنحى عليه بالسوط : أقبل عليه].

قوله : ((انكاثاً : جمع نكت)) الأساس^(٣) : [نكت الحبل، ومن انجاز نكت العهد والبيعة]، الراغب^(٤) : [نكت الأكسية والغزل قريب من النقض، واستعير لنقض العهد، والنكت كالنقض، والنكيثة كالنقيضة، وكل خصلة ينكت فيها القوم، يقال لها : نكيثة] قال أبو البقاء^(٥) : [أنكاثاً : جمع نكت، بمعنى : المنكوث، أي : المنقوض، و نصب على الحال من (غزلها)، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على المعنى، لأن معنى نكتت : صيرت] وفي الحاشية : أنكاثاً نصب على المصدر^(٦) ، لأن معنى نكتت : نقضت، وعلى ما في الكتاب : هو مفعول به لفعل محذوف، لقوله : فجعلته أنكثاً، وهذا أولى الوجوه، وأدخل في معنى التمثيل لأن التركيب من باب : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ... ﴾^(٧) ولذلك قد أنحت على غزلها، وجاء بالفاء في ((فجعلته)) فجمع بين القصد والفعل، والتشبيه التمثيلي كلما كان أكثر تفصيلاً وأوفر تصويراً كان أحسن، ولذلك أوتر الجمع في : ﴿ أنكاثاً ﴾ على الأفراد لتنويع النكوث، وأقيم الوصف في قوله : ﴿ كالتى وأبرمته فجعلته (أنكاثاً).

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يلوكم الله به ولبيّن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ النحل الآية ٩٢ . قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا ﴾ في نقض الأيمان كالمرأة التى ((انحت على غزلها)) بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثاً).

(٢) الأساس، يعني : أساس البلاغة للزمخشري ٦٢٤ (نحو).

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ٦٥٤ مادة (نكت).

(٤) الراغب في مفرداته ٥٠٤ مادة (نكت).

(٥) أبو البقاء في إملانه ٨٥/٢.

(٦) قاله ابن الأنباري في البيان في إعراب القرآن ٨٣/٢ . قال : ﴿ أنكاثاً ﴾ منصوب على المصدر،

والعامل فيه : ﴿ نقضت ﴾ لأنه بمعنى نكتت نكثاً. وكذا ذكر الزجاج ٢١٧/٣ . وقال أبو البقاء ٨٥/٢ :

﴿ أنكاثاً ﴾ انتصب على الحال من ﴿ غزلها ﴾ ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً.

(٧) سورة المائدة الآية ٦.

نقضت ﴿منزلة الموصوف ليشعر بأن الناقضة جامعة لمعان، فوجب انحطاط شأنها من كونها خرقاء عاجزة عجوزاً إلى غير ذلك، وهذا التمثيل بجملته تأكيد لقوله : ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ وهو إما استعارة مكنية^(١) بأن تكون الاستعارة في الأيمان، والنقض القرينة، وتوكيدها الترشيح، أو تمثيلية^(٢)، والتمثيلان أعني : لا تنقضوا ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها﴾، وأراد أن على الأمر بوفاء العهد، أعني : وأوفوا بالعهد على الطرد^(٣)، والعكس لأن منطوق الأمر بإيفاء العهد يؤكد لمفهوم النهي عن النقض وبالعكس، فظهر أن الغرض من التشبيه إبراز حال ناقض العهد، وأنه خارج من جملة الرجال الكملة والعقلاء المراجيح، داخل في زمرة النساء، بل في أدونها حالاً وأنقصها عقلاً.

قوله : ((صَنارة)) الجوهرى^(٤) : [الصنارة رأس المغزل].

قوله : ((دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ أي : مفسدة ودَغْلًا، الراغب^(٥) : [الدخل كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة، كالِدَغْل، وعن الدعوة في النسب، يقال : دُخِلَ دَخْلًا، ويقال : دخل فلان فهو مدخول، لكناية عن بَلَّه في عقله، وفساد في أصله، ومنه قيل : شجرة مدخولة].

(١) الاستعارة من انجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. ومكنية : وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه.
(٢) والاستعارة التمثيلية : تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

(٣) الطرد : ما يوجب الحكم لوجود العلة، وهو التلازم في الثبوت . والعكس عدم الحكم لعدم العلة .
التعريفات للجرجاني ١٨٣، ١٩٨.

(٤) الجوهرى في صحاحه ٧١٦/٢ مادة (صنر).

يشير إلى قول (ز) أن التى تنقض غزلها هي (ريطة) بنت سعد بن تيم، وكانت خرقاء، اتخذت مِغْزَلاً قدر ذراع، ((وصنارة)) مثل إصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن.

(٥) الراغب في مفرداته ١٦٦-١٦٧.

قوله : ((ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهما عملاً يسألون عنه)) (١) المضطر اسم فاعل (٢) . وقلت : إثبات العمل لهم على طريق الكسب، لا يدفع السؤال . قال الإمام (٣) : [اعلم أنه تعالى لما كلف القوم بالوفاء بالعهد وتحريم نقضه أتبعه ببيان أنه تعالى قادر على أن يجمعهم على هذا الوفاء بالعهد على سائر أبواب الإيمان، ولكنه تعالى بحكم إلهيته يضل من يشاء، ويهدي من يشاء] يريد أن قوله : ﴿ لو شاء الله ... الآية ﴾ دخلت معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، أعني قوله : ﴿ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ وقوله : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ تأكيد لمعنى الإبتلاء، وأنه بحكم الإلهية يختبر القليل الضعيف القديم بالقوي الكثير ذي الشوكة كما أشار إليه بقوله : ((هي أزيد عدداً وأوفر مالاً)) إلى آخره، كما أنه بحكم الإلهية يُضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقوله : ﴿ وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ مقابل لقوله : ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ .

قوله : ((أن ينقضوا ما بايعوا)) (٤) متعلق بقوله : ((زين لهم الشيطان)) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ النحل الآية ٩٣ .

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ : ((ولو كان هو المضطر إلى الضلال، والاهتداء لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه)) .

(٢) قال أحمد بن المنير راداً على الرنخشري القول بجبر العبد، وأنه لا خيار له في أفعاله، كما هو مذهب المعتزلة قال : وبما يدل على أن الله لم يَبْنِ الأمر على الإجبار، وإنما بناء على الاختيار قوله تعالى : ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ ولو كان هو المضطر للهداية والضلال كما أثبت لهم ما يسألون عنه، ثم قال : أما أهل السنة الذين يسميهم الرنخشري مجبرة، فهم من الإجبار بمعزل، لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختياراً وأفعالاً، وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده، فيجعلون قدرته هي الموجدة والمؤثرة، وقدرة العبد مقارنة فحسب تمييزاً بين الاختياري والقسري، وتقوم بها حجة الله على عبده . والله أعلم ٦٦٣/٢

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٠٩/٢٠ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

النحل الآية ٩٥ .

قال (ز) : كان القوم ممن أسلموا بمكة ((زين لهم الشيطان)) جزعهم مما رأوا من غلبة قريش وإيدائهم لهم، وكانوا يعدوهم إن رجعوا عن مبايعة محمد صلى الله عليه وسلم ((وأن ينقضوا ما بايعوه عليه)) فبتهم الله تعالى .

قوله : ((﴿ لنجزين ﴾ بالنون والياء))^(١) بالنون ابن كثير وعاصم.

قوله : ((ليعم الموعد النوعين جميعاً))^(٢) قال صاحب الفرائد : [لو لم يذكر الأنثى لكانت داخلة في الحكم بطريق التغليب، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ دخلت النساء في الخطاب بطريق التغليب، ولما كان المراد من (مَنْ) العموم والإستيعاب لحصول التسوية بينهما في الحكم، لا بطريق التغليب بين قوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ وقال الإمام^(٣) : [إنه تعالى لما رغب المؤمنين في الصبر على ما التزموه من فعل الواجبات والمندوبات دون المباحات بقوله : ﴿ لنجزين الذين صبروا ﴾ ثم رغبهم في الإيمان بكل ما كان من شرائع الإسلام بقوله : ﴿ من عمل صالحاً ﴾ أتبع ذلك بقوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ تقريراً للوعد وإزالة لوهم التخصيص كرمافضلاً.

قوله : ((لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾))^(٤)، إيذاناً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة. قال القاضي^(٥) : [وفيه دليل على أن المصلي يستعين في كل ركعة لأن الحكم المترتب^(٦) على شرط يتكرر

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما عندكم ينقد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل الآية ٩٦. قال (ز) في قوله تعالى : ((﴿ لنجزين ﴾ بالنون والياء)).

قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم : ﴿ ولنجزين ﴾ بالنون، وقرأ الباقر : ﴿ لنجزين ﴾ بالياء . انظر المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٦ ، والنشر ١٤٦/٣ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل الآية ٩٧ .

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ على التبيين ((ليعم الموعد النوعين جميعاً)) يعني الذكر والأنثى.

(٣) الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١١١/٢٠ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ النحل الآية ٩٨ .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٠/٣ .

(٦) المرتب في ب ، ت وهو الصواب

بتكرره قياساً^(١) قلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ متصل بالفاء بما سبق من قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ وذلك أنه تعالى لما منّ عليه صلوات الله عليه يأنزال كتاب جامع لصفات الكتاب وأنه تبيان لكل شيء، ونبه على كونه تبياناً لكل شيء بالكلمة الجامعة، وهي قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية ﴾، وعطف عليه : ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ وأكد ذلك التأكيد، قال بعد ذلك : ﴿ فإذا قرأت ... ﴾ أي إذا شرعت في قراءة هذا الكتاب الشريف الجامع الذي نبّهت على بعض ما اشتمل عليه، ونازعك فيه الشيطان بهمزه ونفخه ونفثه فاستعذ بالله، والمقصود : إرشاد الأمة، ويظهر بهذا فائدة وضع القرآن موضع المضمّر، لأن القرآن : الجمع والضّم^(٢) ، ولهذا قلنا : الكتاب الشريف الجامع، وينتظم معه قوله : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ فإن ذلك من منشأ النزاع الذي يورده حزب الشيطان، ويقول : لو كان من عند الله لما تطرق إليه النسخ والتبديل والله أعلم.

قوله : ((كقوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾^(٣))) قال صاحب الفرائد : [المستشهد^(٤)] ليس من قبيل ما نحن فيه، لأن هناك ترك للظاهر بدليل، وهنا بغير دليل. قلت : دليله إجماع الفقهاء^(٥) ، وسنده ما رواه أبو داود وابن ماجه عن جبير بن

(١) قال أهل الأصول : إذا علق الأمر على شرط، فالظاهر أنه يكون بحسب ما يدل عليه ذلك الشرط لغة، فإن كان يفيد التكرار، تكرر ، وإلا فلا. مثال ما يفيد التكرار : (كلما جاءك زيد فأعطه درهما) . ومثال ما لا يفيد التكرار : (إن جاءك زيد فأعطه درهما). فهذا لا يفيد التكرار، ومنه هذه الآية . والله أعلم.

(٢) في لسان العرب : قرأت الشيء قرآناً، جمعته وضممت بعضه إلى بعض ١٢٨/١ مادة (قرأ).

(٣) سورة المائدة الآية ٦.

(٤) في م المستشهد (به) وهو الصواب

(٥) الإجماع غير واقع، فمالك رحمه الله لا يرى التعوذ ولا البسملة في صلاة الفرض. قال خليل بن إسحاق في مختصره : (وكرها بفرض) أي : البسملة والتعوذ، قال الدسوقي شارح خليل بن إسحاق : (وكرها) أي : للإمام وغيره سراً وجهراً في الفاتحة، وغيرها ابن عبد البر : وهذا هو المشهور عند مالك، ومحصل مذهبه عند أصحابه . انظر الدسوقي ٢٥١/١ . وعلى هذا فحديث أبي داود المذكور يحمل على النافلة لا الفرض

مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد تكبير الصلاة : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نفخه ونفثه وهمزه) (١) .

قوله : ((وتبديل الآية مكان الآية هو النسخ)) (٢) يعني : أنه تعالى عبّر عن النسخ بهذه العبارة. قال الإمام (٣) : [التبديل : رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، وتبديل الآية رفعها بآية أخرى مكانها وهو نسخها بآية سواها]، وقلت : فيكون التبديل مضمناً معنى الوضع، أي : وضعنا آية مكان آية تبديلاً . وقال القاضي (٤) : [وإذا بدلنا آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة].

قوله : ((وهذا معنى قوله : ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ قال الإمام (٥) : ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ اعتراض دخل بين الشرط وجزائه، أي : هو أعلم بما ينزل من النسخ والمنسوخ والتغليظ والتخفيف لمصالح العباد، وهذا توبيخ للكفار على قولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ أي : إذا كان هو أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمداً إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ، وقوله : ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ معناه : لا يعلمون حقيقة القرآن، وقائدة النسخ والتبديل، كما أن الطبيب الحاذق يأمر المريض بشربة، ثم بعد ذلك ينهاه عنها ويأمر بضد تلك الشربة].

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٦/١ كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء . وابن ماجه برقم (٨٠٧) وابن الجارود برقم (٩٦) والحاكم في المستدرک ٢٣٥/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه . والطيالسي برقم (٩٤٧) . والبيهقي ٣٥/٢ . وأحمد في المسند ٨٥/٤ . كلهم من حديث جبير بن مطعم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن طريق ابن مسعود رضي الله عنه . أخرجه أحمد في مسنده ٤٠٤/١ . وابن ماجه رقم (٨٠٨) والحاكم ٢٠٧/١ . والبيهقي ٣٦/٢ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ﴾ قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴿ النحل الآية ١٠١ . قال (ز) : ((وتبديل الآية مكان الآية هو النسخ)) .

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١١٦/٢٠ .

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩١/٣ .

(٥) الفخر الرازي ١١٦/٢٠ .

قوله : ((إن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن))، وقد سبق الكلام عليه في سورة البقرة (١) .

قوله : ((حكم لهم بثبات القدم)) (٢)، جزاء لقوله : ((إذا قالوا فيه، وحتى داخله على الجملة الشرطية))، وهي غاية لمقدر هو تعليل لقوله : ﴿ نزلّه ﴾ في الحقيقة . وقوله: ﴿ إن الله حكيم ﴾ متعلق بقالوا، أي : قالوا فيه ذلك، بناء على معتقدهم أن الله حكيم. وقيل : متعلق بثبات القدم، وفيه ضعف. المعنى : ﴿ نزلّه روح القدس من ربك ﴾ ملتبساً بالحق، ليلو المؤمنين بالنسخ فيجتهدوا ويعلموا أنه لمصالح العباد حتى إذا قالوا فيه: هو الحق من ربنا، حكم لهم بثبات القدم، ويمكن أن يقال : إن من عرف أن الله تعالى أنزل كلامه المجيد على سيد المرسلين بواسطة الروح المقدسة، علم أن ذلك لا يكون إلا نور وهدى، وإن لم يقف على حقيقة المراد، حتى إذا قال : هو الحق من ربنا، وآمن به ووكل علمه إلى الله تعالى، سواء كان من قسم المتشابه، أو تبديل آية مكان آية، فحينئذ حكم له بثبات القدم والرسوخ في العلم، كقوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ (٣) ويعضد هذا التأويل مجيء قوله : ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ عقيب هذا ، أي : هدى وبشرى للذين ينقادون لحكم ربهم ويستسلمون لما ورد من جنبه الأقدس، لا كالأرائين ﴿ الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ وكالذين يطعنون في النسخ، هذا موافق لما ذهب إليه القاضي في المنهاج (٤) في الناسخ والمنسوخ : [أن حكمه أن يتبع المصالح فيتغير بتغيرها، وإلا فله كيف يشاء.

قوله : ((وفيه تعريض)) أي : في إثبات الثبوت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض بمحصول أضدادها في المشركين والزائغين، وذلك أن قوله : ﴿ قل نزلّه روح

(١) عند قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ البقرة الآية ١٠٦ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل نزلّه روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى

للمسلمين ﴾ النحل الآية ١٠٢ . قال (ز) في تفسير : ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ : ليلوهم بالنسخ، حتى إذا قالوا فيه : هو الحق من ربنا، والحكمة : ((حكم لهم بثبات القدم)) وصحة اليقين.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧ .

(٤) المنهاج في الأصول للبيضاوي

القدس ... الآية ﴿ جواب عن قول المشركين : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ وهو قريب من باب الأسلوب الحكيم^(١) ، فإنهم أرادوا بقولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ : إن هذا ليس من كلام الله تعالى ، لأن الله تعالى لا يسخر من أحد ، يأمرهم اليوم بشيء وينهاهم غداً عنه ، بل هو من تلقاء نفسك ، فأجيبوا بأن هذا من الله ، فزيد في التصوير بأن قيل : ﴿ نزل روح القدس ﴾ ثم زيد قوله : ﴿ بالحق ﴾ لينبّه على الدفع عن الطعن بالطف الوجوه ، أي : تنزيله ملتبس بالحق والحكمة ومصالح الخلق ، ثم النعي على قبح أفعالهم بأن قيل : ﴿ ليثبت الذين آمنوا ... إلى آخره ﴾ تعريضاً بأن أضرار هذه الخصال حاصل فيهم ، وأنهم متزلزلون ضالّون موبخون مُنذَرُونَ بالخزي والنكال واللعن في الدنيا والآخرة ، وأن أعداءهم على خلاف ذلك ليزيد في غيظهم وحقّيقهم ، ما أحسن هذا البيان ، لله درّه .

قوله : ((فقل لأحدهما))^(٢) يعني : قيل لأحد هذين العبدین : أتعلّمه أنت ؟ . فقال : بل هو يعلمني . وقيل : هذا المجيب هو سلمان الفارسي ، وهو غير صحيح ، لأن سلمان أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، والآية مكية .

قوله : ((ثم استعير لكل إمالة عن استقامة))^(٣) الراغب^(٤) : [الإلحاد : ضربان : إلحاد إلى الشرك بالله ، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب ، فالأول ينافي الإيمان ويبطله ، والثاني

(١) الأسلوب الحكيم : هو عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم . انظر التعريفات للجرجاني ٣٩ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ النحل الآية ١٠٣ .

قال (ز) في تفسير : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ : وذكر أن جبراً ويساراً عبدان كانا يصنعان السيوف بمكة ، وقرآن التوراة والإنجيل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ وقف عليهما يسمع ما يقرآن ، فقالوا : يعلمانه ، ((فقل لأحدهما))

(٣) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ يلحدون ﴾ ألحد القبر ولحده ، وهو مُلحد وملحد ، إذا أمال حفره عن الاستقامة ، فحفر في شق منه ، ((ثم استعير لكل إمالة عن استقامة)) فقالوا : ألحد فلان في قوله ، وألحد في دينه .

(٤) الراغب في مفرداته ٤٤٨ مادة (لحد) .

يُوهن عراه ولا يبطله، وقال : ﴿الذين يلحدون في أسمائه﴾ والإلحاد في أسمائه على وجهين : أحدهما : أن يوصف بما لا يصح وصفه به . والثاني : أن يتأول أوصافه بما لا يليق به[.

قوله : ((ومنه الملحد)) لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها . قال الشهرستاني^(١) في كتاب الملل والنحل : [وفرق الباطنية أوردتهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات إما خارجة عن الفرق وإما داخلية فيها، وبالجملية هم قوم مخالفون، اثنين وسبعين فرقة^(٢) ، ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنّفوا كتبهم على ذلك المنهاج، وسُمّوا باطنية، لأنهم يقولون : لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، ولهم ألقاب كثيرة، فبالعراق : يُسمّون الباطنية والقرامطة^(٣) والمزدكية^(٤) ، وبخراسان : التعليمية والملحدة، وهم يقولون : نحن إسماعيلية^(٥) ، لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وبهذا الشخص، وقال الإسماعيلية امتازت عن الموسوية^(٦) والإثنا عشرية^(٧) بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر].

قوله : ((وقرئ ﴿يلحدون﴾)) قرأها حمزة^(٨) .

قوله : ((مستأنفة، جواب لقولهم : فإنه تعالى لما قال : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ ورجعه إنه مُفتر، وأن ما جاء به ليس من عند الله، أتجه لقائل أن

(١) الملل والنحل ٢٠١/١ مع تقديم وتأخير . وانظر أيضاً ج ١/١٩٩ .

(٢) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٣٢ .

(٣) القرامطة : فرقة من الباطنية، أتباع حمدان القرمطي، من أشد الفرق الضالة مخالفة طريق الحق.

(٤) المزدكية : فرقة من فرق المجوس، أتباع (مزدك) بن نامدان. الإعتقادات للرازي ٨٩ .

(٥) الإسماعيلية : من فرق الشيعة والروافض، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر . المرجع السابق ٥٤ .

(٦) الموسوية : من فرق الشيعة أيضاً، أتباع موسى بن جعفر، ولم ينقلوا الإمامة لأحد بعده. المرجع السابق

(٧) الإثني عشرية : فرقة من الشيعة، هي اليوم أكثرهم انتشاراً.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿يلحدون﴾ بفتح الياء والحاء. وقرأ الباقون ﴿يلحدون﴾ بضم الياء

وكسر الخاء. المبسوط في القراءات العشر ٢٢٦ والإتحاف ٢٨٠ .

يقول : فماذا أجاب الله عن ذلك . فقيل : قال : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ﴾ .

قوله : ((ومثله قوله : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ ^(١) ، وجه التشبيه : هو ان قولهم : ﴿ لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ﴾ ^(٢) لقوله : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ في إثبات الشيء على خلاف ما ينبغي أن يكون عليه، ومرجعهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفْتَرٍ، وأن ما جاء به ليس من عند الله، بل من قبل غيره، ألا ترى كيف عقبه بقوله : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ ؟، وخلاصة الردّين تجهيل القوم، وعدم تمييزهم بين الحق الصراح والباطل المحض، وأن كلامهم من الجزاف الذي يرمى من غير فكر وروية ^(٣) ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ﴾ كأنه قيل : إن النبوة ليست بالمال والحسب، وإنما هي بفضائل نفسانية يختص بها من يشاء من عباده، فيجتي لرسالته من علم أنه يصلح لها، فكيف تؤتونها وأنتم لستم بمكانها، بل تستحقون أن يفعل بكم كل هوان وخزي ونكال بقولكم : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ ، لأن المتعلم إنما يستفيد من المعلم ما هو أعلم به، وأقدم منه، وما أتى به صلوات الله عليه كلام عربي مبين، أي : بليغ فصيح بلغ غايته في البلاغة والفصاحة، حيث عجزتم عن الإتيان بسورة مثله، فكيف يؤخذ من عجمي ألكن جاهل .

قوله : ((لا يهديهم الله ﴾ لا يلطف بهم)) ^(٤) ^(٥) وعند أهل السنة على الحقيقة .

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٣ .

(٣) وقد أوضح تعالى هذا المعنى الذي قاله الكفار في قوله تعالى سورة الفرقان الآية ٥ : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ وقوله في سورة المدثر الآية ٢٤ : ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ﴾ وقوله في سورة الأنفال الآية ٣١ : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ﴾ ولهم عذاب أليم .

﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ النحل الآية ١٠٥ .

(٥) هذا تفسير فيه اعتزال، قال الألوسي ٢٣٥/١٤ : وكونه تفسيراً للمعتزلة، يعني قول الزمخشري : (لا



يلطف بهم) مناسباً لأصوهم، فيه نظر .

قوله : ((أولئك ﴿ إشارة إلى قريش)) اعلم أن المشار إليه بقوله : ﴿ أولئك ﴾ إما قوله : ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ لأنه المذكور أو قريش، لأن سياق الكلام فيهم، لأنهم هم الذين قالوا : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾، وقالوا : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ فعلى الأول عام في قريش وغيرهم، وحينئذ يكون التعريف في ﴿ الكاذبون ﴾ للجنس، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ هم الكاذبون ﴾ على الحقيقة الكاملون في الكذب، فيدخل في هذا العام قريش دخولا أولاً، يعني : المفترى مطلقاً من لا يؤمن بالله ولا بآياته، وهو الكامل فيه، لأن تكذيب آيات الله لا شيء أعظم منه. وأما الثاني فعلى وجهين : أحدهما : ﴿ الكاذبون ﴾ مطلق فلا يقدر في أي شيء كذبوا، وهو (١) أيضاً على وجهين : إما أن يكون قوله : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾ عاماً، والكلام وارد على الإستدراج، المعنى : اعلموا أن المفترى منا ومنكم الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا بعقابه، فلا يبالي بالكذب، وقد ظهر أنكم الموصوفون بذلك، فيلزم أنكم الكاذبون، ودلّ على هذا الاستلزام الفاء في قوله : فهم الكاذبون. وإما أن يراد بالذين لا يؤمنون قريش وكان من حق الظاهر لم يؤمنوا، فعُدل إلى : ﴿ لا يؤمنون ﴾ لإفادة الاستمرار، أي المفترى من استمر على الكفر ولم يتوقع منه تجديد الإيمان، فيستمر على الكذب ويصير دأبه وعادته، لأن الرادع عن الكذب المروءة، ومن لا إيمان له لا مروءة له، وإليه الإشارة بقوله : ((أولئك هم الذين عادتهم الكذب)) لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين . وثانيهما : ﴿ الكاذبون ﴾ مقيد بحسب اقتضاء المقام (وهو المراد من قوله : ﴿ أولئك هم الكاذبون ﴾ في قولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ .

قوله : ((من كفر ﴾ بدل من : ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ ، فإن قلت : كيف يصح البدل، (وأن قوله (٢) : ﴿ إنما يفترى الكذب ﴾ ردّ لقول قريش : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ وهم ما كفروا بعد الإيمان . قلت : كلما كان الرد أبلغ كان في الإفحام أدخل،

والهداية هدايتان : هداية إرشاد، وهي التي يعملها الأنبياء واتباعهم، وهداية توفيق، ولا يملكها إلا الله،

كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ .

(١) في م : وهي.

(٢) ما بين القوسين س من : أ

وإنما عدل من ظاهر قوله : (بل أنتم مفترّون) إلى قوله : ﴿إنما يفترّ الكذب﴾ (الذين لا يؤمنون) ﴿ليكون إشعار بأن بين الإيمان وبين الكذب منافاة﴾ ، والكذب من شيمة من عدم الإيمان، تعريضاً^(١) بهم، وبعثاً على التفكير في أن الكاذب منه ومنهم من هو ثم إذا ذهب إلى إبدال : ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾^(٢) منه على أن المراد : من كان متمكناً من الإيمان، ثم أعرض للعناد والتمرد كقوله : ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾^(٣) بلغ الغاية القصيا في المطلوب أيضاً، جعل ذلك سلماً وتخلصاً إلى ما فعلوا بأولئك السادة من المثلة، والصدّة عن الدين، فإنه أشنع وأقبح.

قوله : ((﴿شرح بالكفر صدرأ﴾ أي : طاب به نفساً))^(٤) بيّن بهذا قال^(٥) معناه، وإعرابه : أما المعنى : فلأن الشرح هو الكشف، تقول : شرحت الغامض إذا فسّرتّه، فإن الغامض مما يضيق به الصدر ولا تطيب به النفس. وأما الإعراب : فلأن ﴿نفساً﴾ منصوب على التمييز، كذا ﴿صدرأ﴾ وفي اللباب^(٦) ، أي : شرح صدره فصرف الفعل إلى المضاف فانتصب على التمييز، فكأنه قال : شرحه صدرأ، أي : قلبه على اختيار. الراغب^(٧) : [أصل الشرح : بسط اللحم ونحوه، يقال : شرحت اللحم ونحوه، وشرّحته، ومنه شرح الصدر، أي : بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾^(٨) وشيخ المشكل من الكلام : بسطه وإظهار معانيه].

قوله : ((ويجوز أن يكون بدلا من المبتدأ عطف على قوله : ﴿ومن كفر﴾ بدل [من الذين لا يؤمنون بآيات الله ...] ﴾

(١) ما بين القوسين س من : أ ، م.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرأ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴿ النحل الآية ١٠٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٤) تفسير قوله : ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرأ﴾ .

(٥) نسخة أ : (قال) . و ب : (قال) . والصواب ما في ب .

(٦) اللباب في شرح الكتاب للميداني ت ٥١٨ بتحقيق محمود أمين النواوي . مكتبة الرياض الحديثة.

(٧) الراغب في مفرداته ٢٥٨ . مادة (شرح).

(٨) سورة الشرح الآية ١ .

قوله : ((وقد جوزوا أن يكون ﴿ من كفر بالله ﴾ شرطاً مبتدأ، وهو قول أبي علي الجبائي^(١) ، أي : من كفر استحق الغضب والعقاب إلا من أكره.

قوله : ((وروى أن ناساً من أهل مكة فتنوا ... إلى آخره))، ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب^(٢) : [عن أبي عمر كان عمار وأمه سُمَيَّةُ ممن عَذَّبَ في الله ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه وأطمأن قلبه بالإيمان فنزلت الآية^(٣) ، وهذا مما اجتمع عليه أهل التفسير] وروى النسائي عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من الصحابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ملئ عمار إيماناً إلى مُشاشِهِ)^(٤) . المُشاش : بالضم، جمع مشاشة، وهي رؤوس العظام اللينة.

قوله : ((منهم عمار مبتدأ وخبر وأبواه^(٥))) مع ما بعده معطوف على عمار، وقوله : ((عذبوا)) جملة مستأنفة، فكأنه قيل : ما فعل بهم؟ فقيل : عذبوا، ونظيره قوله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾^(٦)، إلا أن صدقوا صفة لرجال، هذا على أن عماراً ممن عذب على ما روي في الاستيعاب، فقوله : ((فأما سمية وأما عمار)) تفصيل لقوله : ((عذبوا)) وقيل : (إن أبواه) مبتدأ والخبر : (عذبوا)، وإن عماراً ما عذب على ما عليه ظاهر كلام المصنف.

قوله : ((وإعزازاً للإسلام)) لأن المخالف إذا رأى أن المسلم يبذل ماله وروحه دون دينه أيقن أن مثل هذا الدين لا يكون إلا حقاً ينصره قوله تعالى : ﴿ وقالت طائفة

(١) أبو علي الجبائي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية، نسبته إلى جثي (من قرى البصرة) . انظر وفيات الأعيان ٤٨٠/١، والبداية والنهاية ١١/١٢٥، والإعلام للزركلي ٢٥٦/٦.

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب مع الإصابة ٤٧٧/٢.

(٣) ذكره الواحد في أسباب النزول ٣٢٦، والطبري ١٢٢/١٤، والقرطبي ١٨٠/١٠، والبغوي

٤٦/٥.

(٤) أخرجه النسائي ١١١/٨ كتاباً بالإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان . وابن ماجه ٥٢/١ المقدمة ١١ فضل

عمار بن ياسر.

(٥) أبواه : ياسر وسمية رضي الله عنهم.

(٦) سورة الخزاب الآية ٢٣.

من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴿١﴾ (يشكون في دينهم، يقولون فارجعوا وهم أهل كتاب) (٢)، وعلم إلا لأمر قد تبين لهم. يؤيده ما روي في صحيح البخاري ومسلم (٣)، عن أبي سفيان أن هرقل سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له؟ قال : قلت : لا. وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب ... الحديث.

قوله : ((واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم)) جعل سبب وعيد من شرح بالكفر صدراً، وهم الذين ارتدوا بعد ما دخلوا في الإسلام شيئين : أحدهما : استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، وفيه إشارة إلى فضل ما فعل أبو عمار على عمار (٤) . وثانيهما : خذلان الله بكفرهم، وإنما علل الخذلان بالكفر، لأن قوله : ﴿ لا يهدي القوم الكافرين ﴾ من وضع المظهر معضع المضمحل للعلية، ثم آذن بأنهم أحقاء بأن يطبع على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم لذلك الوصفين بقوله : ﴿ أولئك الذين طبع الله ﴾ وتمم بقوله : ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾، واللام للجنس، ليفيد ما قال : أولئك هم الكاملون في الغفلة، أي : تصور حقيقة الغافلين، فهم لا يعدون تلك الحقيقة، ومن ثم قال الذين لا أجد أغفل منهم، ثم لما أراد أن يبين البون بين الفريقين والبعد بين المرتبتين، أعني : الثابتين على الإسلام، والناكسين عنه، قيل : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ... الآية ﴾ وإليه الإشارة بقوله : ((دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك)) (٥)، وقوبل تلك التوكيدات السابقة بمجرد اللام في قوله : ﴿ للذين هاجروا ﴾ حيث أوقعه خبراً لأن، على ما قال : إنه لهم لا عليهم، بمعنى أنه : وليهم وناصرهم لا عدوهم

(١) سورة آل عمران الآية ٧٢.

(٢) ما بين القوسين س من ب ، م.

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ٣١/١ كتاب بدء الوحي، باب ٦ من حديث أبي سفيان لهرقل . ومسلم

في صحيحه ١٣٩٣/٣ كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل

(٤) وثانيهما (استحقاق) خذلان . ما بين القوسين في ت. وهو الصواب.

(٥) تفسير قوله : ﴿ ثم إن ربك ﴾ قال (ز) : ((دلالة)) الخ.

وخاذلهم، يدل على المقابلة تفسير المؤلف قوله : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ بقوله : واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، ووضع المظهر موضع المضمرة في المتقابلين، لأن قوله : ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا ﴾ وضع موضع الراجع إلى قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ففي الآيات جمع مع التقسيم والتفريق، فالجمع : قوله : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ ﴾ والتقسيم : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ ﴾ ولكن من شرح بالكفر صدراً . والتفريق : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي ﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ والله أعلم بمراده من كلامه . ونحن إنما ساعدنا تفسيره ﴿ لَا يَهْدِي ﴾ بالخذلان، وتعليقه بالكفر، ليقابله قوله : ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ إلى قوله ﴿ لَغُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لأن الغفران مقابل للخذلان، لأننا نثبت للعبد أيضاً قدرة تميز بين الفعل الاختياري والقسري لتقوم حجة الله على عباده، وعلم من مفهوم كلامه أن قوله : ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ خبر (إن)، والمقدر نحو ناصرٌ ووليٌّ للذين هاجروا، لقرينة قوله : خذلان الله بكفرهم، لأنه مقابل له، كما سبق. وقال أبو البقاء (١) : [خبر (إن) ﴿ لَغُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ و(إن) الثانية واسمها تكرير للتوكيد، ومثله في هذه السورة (٢) : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ... ﴾ الآية] وقيل : خبره محذوف، لأن خبر الثانية أغنى عن ذلك (٣).

قوله : ((وقرئ ﴿ فَتَنَّا ﴾)) (٤)، على البناء للفاعل، قرأها ابن عامر.

قوله : ((كالحضرمي)) (٥) قوله وأشباهه، بيان للفاعل في عذبوا، فإن الحضرمي كما سبق في الكشف عذب عبده جبراً وأكرهه على الكفر ثم أسلم الحضرمي .

(١) أبو البقاء في إملائه ٨٦/٢.

(٢) النحل الآية ١١٩

(٣) قاله أبو البقاء ٨٦/٢.

(٤) قرأ ابن عامر وحده : ﴿ فَتَنَّا ﴾ بفتح الفاء والتاء مبني للفاعل، وقرأ الباقون : ﴿ فَتَنَّا ﴾ مبني

للمفعول بضم الفاء وكسر التاء، انظر المبسوط لابن مهران ٢٢٦، والنشر ١٤٧/٣، والإتحاف ٢٨٠.

(٥) عامر بن الحضرمي : عذب عبده جبراً ثم أسلم عامر بعد ذلك وهاجراً معاً.

قوله : ((من بعدها، من بعد هذه الأفعال، وهي الهجرة والجهاد والصبر)) بناء على (إن) الثانية ليست بتكرير، وعلى قول أبي البقاء : التقدير ﴿ إن ربك ﴾ من بعد الفتنة والجهاد والصبر.

قوله : ((﴿ يوم يأتي ﴾ منصوب برحيم أو يا ضممار اذكر))^(١) والأول أدخل في تأليف النظم، ليقابل قوله : ﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾^(٢) .

قوله : ((فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته))^(٣) ^(٤) قال صاحب الفرائد : [المغايرة شرط بين المضاف والمضاف إليه لامتناع النسبة بدون المنتسبين، فلذلك قالوا : يمتنع إضافة الشيء إلى نفسه إلا أن المغايرة قبل الإضافة كافية، وهي محققة ههنا، لأن من مطلق النفس لا يلزم نفسك (ومن نفسك)^(٥)، يلزم النفس، فلما أضيف ما لا يلزم أن يكون نفسك إلى نفسك صحت الإضافة، وإن اتحدتا بعد الإضافة، فلهذا أجاز عين الشيء، ونفس الشيء، وكل الشيء^(٦)، ونحوها، ولما لم تكن المغايرة قبل الإضافة في الأسد والليث. والحبس والمنع لم يجز أسد الليث وحبس المنع، وإنما قلنا : إن الاتحاد بعد الإضافة لا يخلّ بالإضافة، لأن الاتحاد يحصل بالاختصاص، والاختصاص يحصل بالإضافة فيكون الاتحاد أثر الإضافة، فكيف يكون مانعاً للإضافة؟. وقلت : قول المصنف، فالنفس

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ النحل الآية ١١١. قال (ز) : ((﴿ يوم يأتي ﴾ منصوب ... الخ.

(٢) سورة النحل الآية ١٠٩.

(٣) تفسير قوله : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾

(٤) قال ابن عطية في تفسيره انحرر الوجيز في تفسير قوله : ﴿ يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ : ﴿نفس﴾ الأولى هي النفس المعروفة، والثانية هي بمعنى الذات. كما تقول : نفس الشيء وعينه أي ذاته ٥٢٢/٨.

(٥) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٦) وإنما جازت إضافة النفس إلى النفس، ومن شرط المتضايقين أن يكونا متغايرين، أن المراد بالنفس الأولى، وهي قوله : ﴿ يوم يأتي كل نفس ﴾ الإنسان، وبالثانية يعني قوله : ﴿ تجادل عن نفسها ﴾ ذاته، فكأنه قال : يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته، أي : يعتذر عنها، لا يهمه شأن غيره . والله أعلم.

الأولى هي الجملة، والثانية عينها، معناه : أن اعتبار الماهية غير اعتبار الجملة، فإن الجملة يقع فيها اعتبار الماهية مع اعتبار أفرادها.

قوله : ((أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً))^(١) ضَمَّنَ ﴿ضرب﴾ معنى (جعل) ليصح المعنى، لأن معنى ضَرْبُ المثل : اعتماده وصنعه، من ضَرْبِ اللبن والخاتم، كأنه جعل القرية الموصوفة بما يليها مفعولاً أولاً، و ((مثلاً)) مفعولاً ثانياً^(٢)، وقريب منه ذكر مكّي في قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾^(٣) قال : [أصح ما يعطي القياس والنظر في (مثل)^(٤) (وأصحاب) أنهما مفعولان لا ضَرْب، دليله قوله تعالى : ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء﴾^(٥) فلا اختلاف أن ﴿مثل الحياة﴾ ابتداء و ﴿كماء﴾ خبره. وقال في موضوع آخر : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء﴾^(٦) فدخل (اضرب) على الابتداء والخبر فعمل فيهما، فقد تعدى (اضرب)^(٧) الذي هو لتمثيل الأمثال إلى مفعولين، بلاخلاف في هذا، فوجب أن يجرى في غير هذا الموضع على ذلك [والفاء في قوله (ف) يجوز أن يراد قرية تفصيلية^(٨)]. والفاء في (ف) ضربها الله مثلاً متعلق بقوله : ((أن يكون في قرى الأولين قرية)).

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿واضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ النحل الآية ١١٢ . قال (ز) في معنى قوله : ﴿واضرب الله مثلاً قرية﴾ : ((أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلاً)) لكل قوم أنعم عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا.

(٢) التقدير : ضرب الله القرية الآمنة مطمئنة مثلاً، فالقرية وما بعدها من أو صاف، مفعول أول، و(مثلاً) مفعول ثان.

(٣) سورة يس الآية ١٣.

(٤) الصواب (مثلاً) على الحكاية.

(٥) سورة يونس الآية ٣٤.

(٦) سورة الكهف الآية ٤٥.

(٧) اضرب (أي) الذي في ب.

(٨) تفسير لقوله تعالى : ﴿واضرب الله مثلاً قرية﴾ أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم عليهم فأبطروا النعمة ((فيجوز أن تراد قرية)) مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضرِبها الله مثلاً لأهل مكة).

قوله : ((إنها أيام طعم ونعم))^(١) وفي رواية لمسلم أنه صلوات الله عليه أمر خادمه أن ينادي أيام التشريق إنها أيام أكل وشرب^(٢) .

قوله : ((الإذاقة، واللباس استعارتان)) خلاصة السؤال أنه سأل عن بيان استعارة ﴿أذاقها﴾ واستعارة ﴿لباس الجوع﴾، وعن نسبة إحداهما إلى الأخرى، فإنه تعالى أوقع إحدى الاستعارتين مفعولاً للأخرى.

قوله : ((أما الإذاقة)) يريد أن الإذاقة بعدما كانت مستعارة للإدراك والإصابة، صارت حقيقة في الإصابة بسبب كثرة استعمالها وشيوعها فيها، ثم انتهض لبيان الجواب عن الاستعارة الأولى على سبيل الاستئناف، بأن قال^(٣) : شبه ما يدرك، أي : شبه ما يدرك الإنسان من أثر الضرر بما يحسّ من طعم المرّ والبشع، ثم أدخل المشبه في جنس ما يدرك من الطعم، ثم أطلق ما يدرك بالفعل على اسم ما يحسّ بالقم، هذا تقرير أصل الاستعارة، وأنها مسوقة لمثل هذا التشبيه، لا بيان أنها استعارة تبعية، لأن قوله : ((ما يدرك من أثر الضرر بفتح الراء اسم مفعول، وهو مثل الفعل في امتناع إيقاع الاستعارة

(١) تفسيره لقوله تعالى : ﴿كثرت بأنعم الله﴾ والأنعم : جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتناء، كدفع وأدرع، أو جمع نعم، كبؤس وأبؤس) وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمعنى : ((إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا)) قال ابن حجر في الكافي الشاف لأحاديث الكشاف : لم أجده هكذا .

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٠/٢ كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق. والنسائي ٢٦٧/٢ . والدارمي ٣٨/٢ باب النهي عن صيام أيام التشريق . وابن ماجه ٥٤٨/١ . وأبو داود ٨٠٤/٢ كتاب الصيام، باب صيام أيام التشريق . وأحمد ٤٦٠/٣ ، ٢٢٩/٢ . وغيرهم.

(٣) حاصل هذه الاستعارة في قوله تعالى : ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ أن حقيقة الذوق إنما يكون في المطاعم والشارب، لا في الكسا والملابس، وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم، والبلاء الشامل لهم، وقد عرف في لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة، أو أخذ بجريرة ذق غيب فعلك واجن ثرة جهلك، وإن كانت عقوبته ليست من جنس ما يُحسّ بالطعم ويدرك بالذوق، فكأنه تعالى لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة، حسن أن يقول تعالى : فأذاقهم ذلك، أي : أوجد لهم مرارته، كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ووخامة الطعم الكريه، وإنما قال تعالى : ﴿لباس الجوع والخوف﴾ ولم يقل طعم الجوع والخوف، لأن المراد بذلك - والله أعلم - وصف تلك الحال بالشمول لهم والإشتغال عليهم، كاشتغال الملابس على الجلود، لأن ما يظهر منهم من مضيض الجوع وأليم الخوف من سوء الحال، وشحوب الألوان، وخوالة الأجاسم، كاللباس الشامل لهم، والظاهر عليهم. انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ١٢٨

فيه لامتناع وقوعه موصوفاً، ولو أريد تقرير التبعية لقليل شبهت إصابة العذاب وحقوقه بهم بإذاقهم^(١) إلى الطعم البشع المر، ثم سرت^(٢) الاستعارة من الإضافة^(٣) إلى أذاق، فيكون استعارة مصرحة تبعية، لأن المشبه المتروك أمر عقلي، وإنما اضطر إلى هذا التأويل، لأن الإستعارة وقعت في لباس الجوع، وقد فرع عليها ﴿أذاقها﴾، وهو لا يناسبها ترشيحاً ولا تجريداً فيجعل بمعنى الإصابة ليكون تجريداً. الراغب^(٤) : [الذوق وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، وإنما يكثر منه يقال له : الأكل، واختير في التنزيل لفظ الذوق في العذاب لأن ذلك وإن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعم الأمرين، وكثر استعماله في العذاب نحو ﴿ليذوقوا العذاب﴾^(٥) ، وقد جاء في الرحمة نحو ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾^(٦) ويعبر به عن الاختبار، فيقال : أذقته كذا فذاق . ويقال : فلان ذاق كذا، وأنا أكلته، أي : خبرته أكثر مما خبر [وقال^(٧) : [الطعم تناول الغذاء، ويسمى ما يتناول (منه) طعم وطعام، ورجل طاعم : حسن الحال] . وقوله تعالى : ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ فاستعمال الذوق مع اللباس من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار، أي : فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف. وقيل : إن ذلك على تقدير كلامين، كأنه قيل : أذاقها الجوع والخوف وألبسها لباسهما.

قوله : ((وأما اللباس)) هذا هو الجواب عن بيان الاستعارة الثانية، أي : شبه ما يغشى الإنسان ويتلبس به من أثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي، والجامع كونهما مشتملين على الإنسان وغاشيين له، ثم أطلق اسم اللباس على ما يغشى الإنسان من

(١) في ب (إذافة الطعم).

(٢) في ب (شربت).

(٣) في ب ، م (الإذافة) وهو الصواب.

(٤) الراغب في مفرداته ١٨٢ مادة (ذوق).

(٥) سورة النساء الآية ٥٦.

(٦) سورة هود الآية ٩.

(٧) القائل الراغب أيضاً . مادة (طعم). ١٨٣

أثرهما، وجعل إضافته إليهما قرينة ما نعمة عن إرادة الحقيقة، فهي استعارة مصرحة أصلية تحقيقية، لكن المشبه المتروك عقلياً.

قوله : ((وأما إيقاع)) هو الجواب عن نسبة إحدى الاستعارتين إلى الأخرى، وتقديره أن نسبة الاستعارة الأولى إلى الثانية بعد ما جعلت حقيقة في الإصابة والإدراك بسبب كثرة الاستعمال نسبة تفريع شيء على أصل، ولما كانت الإضافة التي هي بمعنى الإصابة صفة ملائمة لغشيان الجوع والخوف، والمشبه^(١) باللباس جعلت تجريداً لها، وهذا هو المراد من قوله : ((فلأنه لما وقع عبارة عن ما يغشى منهما)) فكأنه قيل : فأذاقهم أي : أصابهم ما غشاهم.

قوله : ((ولهم في نحو هذا)) أي : العرب في نحو تفريع أذاقها على لباس الجوع طريقان : طريق التجريد، وهو أن يفرع على الاستعارة بعد تمامها صفة ملائمة للمستعار له كما نحن بصورده . وطريق الترشيح، وهي أن يفرع عليها صفة ملائمة للمستعار منه كما في المثال الآتي . قوله :

** ((غمر الرداء إذا تبسم ... البيت^(٢))

(غمرَ) المراد أي : كثير العطاء، يقال : غلق الرهن إذا استحققه المرتهن، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط. قال زهير^(٣) :

** وفارقتك برهن لا فكاك له ** يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا **

(١) الخوف (و) المشبه . ما بين القوسين س م ت.

(٢) البيت لكثير : وقامه :

** غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ** غلقت لضحكته رقاب المال **

انظر الزمخشري ٦٣٩/٢ .

(٣) زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح المزني بن مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، ومن أئمة الأدب، منهم من يفضلّه على الشعراء كافة، نشأ في بيت شعر، فكان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة، وابنائه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. مات سنة ثلاث عشرة . الشعر والشعراء (٤٤) ، والأغاني ٢٨٨/١٠ - ٣٢٤ . انظر اللسان ٢٩٢/١٠ مادة (غلق).

أي : ارتهنت قلبه فذهبت به. يقول : إذا ضحك ضحكة أيقن السائل أنه بذلك التبسم استغلق رقاب ماله ويعطي بلا خلاف.

قوله : ((ووصفه بالغمر الذي هو وصف للمعروف)) أي : فرع على المستعار له، لأن الغمر مناسب للمعروف لا على المستعار، لأن الغمر غير مناسب للرداء . وقلت : وفيه عدول عن الظاهر، لأن الغمر ليس صفة حقيقية للنوال والمعروف، بل هو وصف للبحر المستعار أولاً للمعروف، يقال : غمره الماء يغمره غمراً، أي : علاه، والغمر الماء الكثير، فهو ههنا تجريداً للاستعارة بعد أن كان ترشيحاً، وهذا المثال المستشهد به يشبه استعماله استعمال الآية في أن التجريد ليس تجريداً محضاً.

قوله : ((ينظروا فيه إلى المستعار))^(١) أي : المستعار منه.

قوله : ((ينازعني ردائي)) البيتين^(٢) ، الاعتجار : لفّ العمامة من غير إدارة تحت الحنك. الجوهري^(٣) : [الاعتجار : لفّ العمامة على الرأس . قال الراجز^(٤) :

**** جاءت به معتجراً بيرده ****

يقول^(٥) : يجاذبي سيفي عبد عمر، ويريد أن يأخذه مني، فقلت : رويدك، فلي النصف الأعلى منه الذي هو في يميني، وخذ أنت النصف الأخير منه، فلفّ على رأسك. ومثله قول الآخر^(٦) :

(١) متعلق بكلامه السابق، أعني : قوله : ((وهم في نحو هذا)) يعني العرب طريقان ... الخ. وهذه هي الطريقة الثانية، وهي : ((أن ينظروا فيه)) الخ.

(٢) والبيتان هما :

**** يُنازعني ردائي عبدُ عمروٍ ** رويدك يا أخا عمرو بن بكر ****

**** لي الشطر الذي ملكت يميني ** وذونك فاعتجر منه بشطر ****

انظر الكشف ٦٣٩/٢.

(٣) الجوهري في صحاحه ٧٣٧/٢ مادة (عجر).

(٤) الراجز : هو دُكين يمدح عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراق، وكان راكباً على بغلة حسناء. المعلق

على الجوهري أحمد عبد الغفور العطار ٧٣٧/٢ واللسان مادة (عجر).

(٥) وتام الرجز :

**** جاءت به مُعتجراً يُرده ** سَفواء تُردي بِنَسِيج وَخده ****

(٦) لم أقف على قائله.

**** تُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافُنَا شَرَّ قِسْمَةٍ **** ففينا غواشيها وفيهم صدروها ******

قوله : ((ضافي الردى)) أي : سابعة.

قوله : ((وما أوتيت به من كفرها))^(١) أي : (أهلكك)^(٢) الضمير في (به) للموصول، يقال : أتى عليهم الدهر، أي : أهلكهم وأفناهم، وأصله من إتيان العدو.

قوله : ((وصل بذلك بالفاء في قوله (فكلوا) صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة)) بيان لربط الآيات من لدن مفتح السورة، ولقد أسلفنا أن هذه السورة في بيان سوء أفعال قريش وقبائحهم، وفي تذكارتهم ما خول الله لهم من أنواع النعم، وفي إنذارهم بنقم الله، وما حلّ بمن سبق من الأمم الخالية، ولما عدّد عليهم النعم المتكاثرة من ذكر الأنعام وفوائدها وثمرات النخيل ومنافع ما يصل إليهم من النحل، وأنذرهم بأنواع من النذر، ثم نعى عليهم ما كانوا يفترون على الله من اتخاذ البنات^(٣)، وقال : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنی ﴾^(٤)، وأراد أن يذكر نوعاً آخر من أفعالهم وهو تحليلهم بأهوائهم ما حرّمه الله من أكل الميتة^(٥) والدم ولحم الخنزير، وتحريمهم ما أحلّه الله من البحائر والسوائب والوصائل والحوائم، وقولهم :

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ النحل الآية ١١٤-١١٥ .

قال (ز) : لما وعظهم بما ذكر من حال القرية ((وما أوتيت به من كفرها)) وسوء صنيعها، ((وصل بذلك بالفاء في قوله : ﴿ فكلوا ﴾)) لصدهم عن أفعال الجاهلية ... الخ.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٣) كما قال تعالى عنهم في هذه السورة الآية ٥٧ : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ وقوله تعالى في سورة الصافات الآية ١٥١ : ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ وقال تعالى عنهم في سورة مريم الآية ٨٩ : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إذا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ... الآيات ﴾ .

(٤) سورة النحل الآية ٦٢ .

(٥) يشير إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية ١٥ من سورة النحل. وكذلك سورة المائدة الآية ١٠٣-١٠٤ : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ .

﴿ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ (١)، عقَّب ذلك ضَرْبَ المثل بقوله : ﴿ ضرب الله مثلاً قرية ... الآية ﴾ ليكون كالتخلص إلى قوله : ﴿ فكلوا ﴾ فردف بقوله : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾ (٢)، ويدل عليه تكرير قوله : ﴿ تصف ألسنتكم الكذب ﴾ فظهر من هذا التقرير أن المأمور به هو ما عدَّد الله من أول السورة من المأكول والمشروب . أما المأكول فمنها قوله : ﴿ والأنعام خلقها لكم ... إلى ... ومنها تأكلون ﴾ (٣) ، ومنها قوله : ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ﴾ (٤) ، ومنها قوله : ﴿ وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ﴾ (٥)، وأما المشروب : فمنها قوله : ﴿ أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ﴾ (٦) ومنها قوله : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ﴾ (٧) ومنها : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ﴾ (٨) ومنها : ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ (٩) والله أعلم.

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٩ .

(٢) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٠ : ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ وقوله في سورة يونس الآية ٥٩ : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آذن لكم أم على الله تفترون ﴾ وقوله في سورة الأنعام الآية ١٤٠ : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ... الآية ﴾

(٣) الآية ٥ .

(٤) الآية ١١ .

(٥) الآية ١٤ .

(٦) الآية ١٠ .

(٧) الآية ٦٦ .

(٨) الآية ٦٧ .

(٩) الآية ٦٩ .

قوله : ((أو إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله))^(١) يعني : جاءت الشرطية مؤكدة للكلام، فإما أن تُحمل العبادة على الطاعة ليطابق الأمر، وهو : ﴿ فكلوا ﴾. أو أن يجري^(٢) على حقيقتها، لكن على الزعم الكاذب.

قوله : ((وانتصاب الكذب))^(٣) بـ ﴿ لا تقولوا ﴾ وهو يحتمل أن يكون مفعولاً به، وأن يكون مفعولاً مطلقاً، وقد مضى عن ابن الحاجب أن مثل هذا ينبغي على أن القول يتعدى أو لا يتعدى، ففيه قولان : فإن تعدى فهو مفعول به^(٤)، وإلا فمفعول مطلق.

قوله : ((ويجوز أن يتعلق))^(٥) أي : هذا حلال وهذا حرام^(٦) (بتصف) على إرادة القول، فالفاء في : (فتقول) في الكتاب كالفاء في قوله : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾^(٧).

قوله : ((ولك أن تنصب الكذب بتصف)) عطف على قوله : ((وانتصاب الكذب بـ ﴿ لا تقولوا ﴾ و ﴿ ما ﴾ مصدرية، واللام بمعنى لأجل، وعلى الأول موصولة، واللام صلة لقوله : ﴿ لا تقولوا ﴾.

قوله : ((جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه))^(٨) قال الإمام^(٩) والقاضي^(١٠) :
[كأن ماهية الكذب وحقيقته مجهولة، وكلامهم يكشف عن حقيقة الكذب ويوضح

(١) تفسير (ز) قوله تعالى : ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ قال : يعني تطيعون ((أو إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله)) بعبادة الآفة، لأنها شفاعاؤكم ... الخ.

(٢) (وأن يجري) في ب ، ت ، م.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ النحل الآية ١١٦-١١٧.

(٤) أي مفعول لقوله : ﴿ تقولوا ﴾ الكذب ﴿ وقيل: الكذب ﴾ مفعول لقوله : ﴿ تصف ﴾.

(٥) إعرابه لقوله تعالى : ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ قال (ز): بدل من ﴿ الكذب ﴾ ((ويجوز أن يتعلق))

بتصف على إرادة القول، أي : ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم ﴿ فتقول ﴾ هذا حلال وهذا حرام.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) سورة البقرة الآية ٥٤.

(٨) هذا إجابته عن سؤال طرحه، أجاب عنه : (فإن قلت : ما معنى وصف ألسنتهم الكذب ؟ . قلت :

هو من فصيح الكلام وبلغه، أي : ((جعل قولهم : كأنه عين الكذب ومحضه)).

(٩) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٣٢/٢٠.

(١٠) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٤/٣.

ماهيته] أراد أن قوله : تصف بمعنى توضح وتبين، لأن بعض الصفات بمنزلة الكاشف عن المحدود، والتعريف في الكذب للجنس، فكأن ألسنتهم إذا أخذت في النطق وصفت ذلك الجنس وكشفت عن حقيقته، وعليه قول أبي العلاء^(١) :

**** سرى برق المعرفة بعدوهن ** فبات برامة يصف الكلالا ****

هذا وأما ما عليه ظاهر كلام المصنف، فهو أن أصل الكلام : لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام، لأجل قولكم الكذب، قال قول وصف بالكذب في قوله : ((لأجل قول تنطق به ألسنتكم)) ليؤذن بأن ذلك تفوّة، وتقول من غير تحقيق، كقوله : ﴿ ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾^(٢) وإليه الإشارة بقوله : ((لا لأجل حجة وبينة))، ثم زيد في المبالغة بأن قيل : تصف ألسنتكم الكذب ليعلم أن قولهم لكثرة اتصافه بالكذب، صار بمنزلة الواصف له، فإذا نظقت ألسنتهم بالكذب، فقد حلت الكذب بحليته . ونحوه في المبالغة، نهاره صائم وليله قائم، فوصف اليوم الذي يصوم فيه هذا الشخص بصفته لكثرة صدور هذا الفعل فيه، وكذلك وجهها^(٣)، كان موصوفاً بالجمال الفائق، ثم صار حقيقة الجمال ومنبعه، بحيث هو الذي يصف الجمال، كقول القائل^(٤) :

**** أضحت يمينك من جود مصورة ** لا بل يمينك منها صورة الجود ****

(١) أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان يرجع نسبه إلى حمير بن سبأ (نسب للمعرة) وهي بلده، ولد سنة ٣٦٣، وكان ضريباً، كان مترهداً فلسفياً قنعاً متعففاً، كان إماماً في الأدب واللغة والشعر، صاحب التصانيف، والمتهم في نخلته كان يتوقد ذكاء . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١٨ وتاريخ بغداد ٤/٢٤٠.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤ .

(٣) وصف الألسنة للكذب تعبير عربي مبين للمبالغة، جعلت الألسنة لاستساغتها الكذب وجريانه عليها، وتردده فيما تنطق به دائماً، كأنها تصفه وتحمده للسامع، ومن ذلك قولهم : وجهها يصف الجمال، وعينها نصف السحر . انظر إعراب القرآن وبيانه لحي الدين الدرويش ٣٨١/٥

(٤) لم أقف على قائله، ويوجد البيت في روح المعاني ١٤/٢٤٧.

فالأسلوب من الإسناد المجازي. أو تقول : إن وجهها يصف الجمال بلسان الحال على الاستعارة المكنية بأن تقول : إنما بي من الشكل والغنج^(١) والدلال والملاحه، هو الجمال بعينه، وقريب منه : **وبي ظبي إنس كمل الله حسنه، وقال : لا يضار الخلائق عودي^(٢) . وعن بعضهم يعني وجهه يذكر ويظهر شيئاً فيه الجمال، وهو الملاحه التي هي سبب (الجمال)^(٣) .

قوله : ((صفة لما المصدرية))^(٤)، وهي حرف، والحروف لا توصف، والمراد وصف (ما) مع مدخولها، وهو وصف ألسنتكم، ويعلم منه أن (ما) مع ما بعدها معرفة، لأنها شبيهة بأن المصدرية، وهي مع ما بعدها معرفة . قال أبو البقاء^(٥) : [في قوله تعالى : ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ﴾ الجمهور على فتح اللام على أن اسم كان ما بعد (إلا) وهو أقوى من أن يجعل خبراً، والأول اسماً لوجهين : أحدهما : أن ﴿ أن قالوا ﴾ يشبه المضمر في أنه لا يضمر فهو أعرف] وذهب هنا إلى أن الكذب بدل من (ما) سواء جعلتها مصدرية أو بمعنى الذي^(٦) ، وكذا عن ابن جني^(٧) .

قوله : ((بدم كذب ﴾^(٨) قال أي : ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب.

(١) (الغنج) الدلال وملاحه العينين . المعجم الوسيط ٢/٦٦٤ . مادة (الغنج) قال الشاعر :

** استجهلته المهاري في أزمتها ** وراجحات التلى مغنوجة عين **

وقوله : (التلى) الأعجاز أي : كبيرة الأعجاز . البلاغة للزمخشري ٤٥٧ مادة (غنج)

(٢) لم يتضح لي مقصوده.

(٣) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٤) تابع لإعراب قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾.

(٥) انظر أبو البقاء في إملائة ١/١٥٣ . سورة آل عمران الآية ١٤٧ .

(٦) وقال أبو البركات بن الأنباري ٢/٨٤ : ﴿ ما ﴾ مع الفعل بعدها في تأويل مصدر، و﴿ الكذب ﴾

يقراً بالنصب والجذر، فمن قرأه بالنصب كان مفعول ﴿ تصف ﴾ ومن قرأه بالجذر كان مجروراً على البدل من ﴿ ما ﴾.

(٧) ابن جني في المحتسب ٢/١٢ قال : أما ﴿ الكذب ﴾ بالجذر بدل من ﴿ ما ﴾، وهي قراءة الأعرج وابن

يعمر والحسن بخلاف، وابن أبي إسحاق وعمرو ونعيم بن ميسرة، وقرأ ﴿ الكذب ﴾ يعقوب، وقرأ ﴿ الكذب ﴾

مسلمة بن محارب، و ﴿ الكذب ﴾ القراءة العامة.

(٨) سورة يوسف الآية ١٨ .

قوله : ((أو هو جمع الكذاب)) قال أبو البقاء^(١) : [ويقرأ بضم الكاف والذال وفتح الباء، وهو جمع كَذَابٍ، بالتخفيف، مثل كتاب وكتب، وهو مصدر. وهي معنى قراءة من قرأ بفتح الكاف والباء وكسر الذال، وهو منصوب بـ ﴿تَصِفُ﴾ وما مصدرية].

قوله : ((ذكره ابن جني. وعن بعضهم ابن جني^(٢) ، بسكون الياء. وليست بياء النسب، وهو في الأصل كنى فعرب وبني بالسكون، وكذا وجدت بخطه مولاي بهاء الدين القاشي^(٣) رحمه الله.

قوله : ((من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض))^(٤)، فيكون للعاقبة والصيرورة.

قوله : ((يعني في سورة الأنعام))^(٥) أي : قوله : ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ... الآية﴾^(٦)، وأتصال هذه بما قبلها كاتصالها به، ويجيء بيان الربط إن شاء الله.

قوله : ((وليس من الله بمستنكر ... البيت^(٧) يروى لله، يعني : أن الله تعالى قادر على أن يجمع في واحد ما في الناس من معاني الفضل والكمال.

(١) أبو البقاء في إملائه ٨٦/٢ قال : يقرأ بفتح الكاف والباء وكسر الذال، وهو منصوب بـ ﴿تصف﴾ و ﴿ما﴾ مصدرية، وقيل، هي بمعنى الذي، والعائد محذوف و ﴿الكذب﴾ بدل منه، وقيل : هو منصوب بإضمار أعني ((ويقرأ بضم الكاف ... الخ))

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) لم أقف على ترجمة له.

(٤) تفسير لقوله تعالى : ﴿لفتروا﴾ قال (ز) : واللام في ﴿لتعلموا﴾ ((من التعليل الذي لا يتضمن

معنى الغرض)).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا

أنفسهم يظلمون﴾ النحل الآية ١١٨. قال (ز) في قوله : ﴿ما قصصنا عليك﴾ ((يعني في سورة الأنعام)).

(٦) سورة الأنعام الآية ١٤٦.

(٧) البيت لأبي نواس يستعطف هارون الرشيد على الفضل البرمكي حين توعده بالقتل، وقبله :

** قولاً لهارون إمام الهدى ** عند احتفال المجلس الحاشد **

قوله : ((معنى مأموم)) أي مقصود يؤمه الناس يقصدونه ليأخذوا منه الخبر.
الجوهري : الأُمُّ، بالفتح : القصد، وأُمِّه وتَأَمَّه . يقال : أُمِّه إذا قصدَه [١].

قوله : ((أو بمعنى مؤتم به . الجوهري [٢] : أُمِّت القوم في الصلاة إمامة، وائتمَّ به، أي : اقتدى به)).

قوله : ((كالرُحْلة والنُّجْبة)) الجوهري [٣] : الرُّحْلة بالضم : الوجه الذي يريدُه، يقال : أُنْتَم رُحَلَتِي، أي : الذين أرتحل إليهم [والإنتخاب : الاختيار، والنُّجْبة [٤]، مثل النُّجْبة، يقال : جاءني في نُجْبٍ من أصحابه، أي : خيارهم.

قوله : ((وروى الشعبي عن فروة بن نوفل)) [٥] الحديث بتمامه روى قريباً منه ابن عبد البر في الاستيعاب [٦].

قوله : ((ولو كان سالماً حياً لاستخلفته)) وفي الكامل لابن الأثير أن عمر رضي الله عنه قيل له : لو استخلفته قال : لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته . وقلت لربِّي إن

**** انت على ما بك من فطرة ** فلت مثل الفضل بالواجد ****

**** وليس على الله بمستنكر ** أن يجمع العالم في واحد ****

وذكر هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الآيات ١٢٠-١٢٢ النحل. انظر الكشاف ٦٤٢/٢.

(١) ما بين القوسين س من أ ، ب.

(٢) الجوهري في صحاحه ١٨٦٥/٥ مادة (أُمِّم)

(٣) الجوهري في صحاحه ١٧٠٦/٤ - ١٧٠٧ مادة (رحل)

(٤) قال الجوهري في صحاحه ٢٢٣/١ : (النُّجْبة) مثل النُّجْبة، واجمع نُجْبٌ مثل رُطْبَةٍ ورُطْبٍ، يقال :

جاء في نُجْبٍ أصحابه، أي خيارهم.

(٥) تفسيره لقوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ((وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن

مسعود رضي الله عنه قال : (إن معاذاً كان أمة قانتاً لله، فقلت : غلطت، إنما هو إبراهيم، فقال : الأمة : الذي يعلم الخير، والقانت : المطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك.

أخرجه الطبراني في الكبير ٧٠/١٠ برقم ٩٩٤٦ وبرقم ٩٩٤٣ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٤ . وابن جرير في

تفسيره ١٩١/١٤ . والحاكم في المستدرک ٢٧١/٣ وسكت عليه الذهبي، وفي الحاكم أيضاً في التفسير قريب منه ٣٥٨/٢.

(٦) ذكر في الاستيعاب لابن عبد البر مع الإصابة ٣٦١/٣ قريب منه.

سألني : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالماً مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته . وقلت لربي إن سألني : سمعت نبيك يقول : إن سالماً شديد الحب لله . ولم يذكر فيه حديث معاذ . وهذا مؤول لما ذكر في الاستيعاب^(١) عن عمر أنه قال : [لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى، وذلك بعد أن طعن، وهذا عندي أنه كان يصدر فيها عن رأيهِ] يريد أنه لم يكن ممن يستحق الخلافة، لأن الأئمة من قريش، وسالم كان مولى.

قوله : ((أبو عبيدة أمين هذه الأمة)) روي عن البخاري ومسلم والترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٢) : (إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح).

قوله : ((وهو ذلك المعنى)) أي : قول عمر رضي الله عنه : ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون^(٣) ، ذلك المعنى الذي قاله ابن مسعود، وهو الأمة الذي يعلم الخير.

قوله : ((القانت القائم بما أمره الله)) . الراغب^(٤) : [القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع، وفُسِّرَ بكل واحد منهما في قوله : ﴿وقوموا لله قانتين﴾^(٥) وقوله تعالى : ﴿كل له قانتون﴾^(٦) قيل : خاضعون، وقيل : طائعون، وقيل : ساكنون، ولم يعن به [كل السكوت، وإنما أعني به ما قال صلى الله عليه وسلم : (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الأدميين، وإنما هي قرآن وتسبيح)^(٧) وعلى هذا سئل أي الصلاة

(١) الاستيعاب لابن عبد البر مع الإصابة ٧١/٢.

(٢) البخاري مع الفتح ٩٢/٧-٩٣ كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه . ومسلم ١٨٨١/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه . والترمذي ٦٢٣/٥ كتاب المناقب، باب مناقب معاذ وزيد بن ثابت وأبي وأبو عبيدة بن الجراح برقم ٣٧٩٠

(٣) لم أقف عليه، ويرجع لحديث عبد الله بن مسعود آنفاً.

(٤) الراغب في مفرداته ٤١٣.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٨.

(٦) سورة البقرة الآية ١١٦.

(٧) أخرجه مسلم برقم ٥٣٧ وأبو داود برقم ٩٣٠ والنسائي ١٧٩/١ والدارمي ٣٥٣/١ وأحمد

٤٤٧/٥ ، ٤٤٨ وإرواء الغليل ١١١/٢ وشرح السنة للبغوي ٢٣٧/٣-٢٣٨.

أفضل؟ فقال : طول القنوت، أي : الاشتغال بالعبادة ورفض كل ما سواه، وقال تعالى : ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ (١) .

قوله : ((الآن وجبت مؤاكلتكم شكراً لله تعالى)) (٢) يعني : إنما يصح الشكر في المؤاكلة إذا كان فيها التكلف والمشقة، ولا شك أن المؤاكلة مع المجذوم مما ينفر منه الناس وتنفر منه النفس.

قوله : ((اجتباه اختصه)) قال الراغب (٣) : [جبت الماء في الحوض جمعه، والاجتباء الجمع على سبيل الاصطفاء، واجتباء العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي، يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء ومن يقاربهم من الصديقين والشهداء، قال تعالى : ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (٤)] .

قوله : ((هي تنويه الله بذكره)) (٥) وهو من إضافة المصدر إلى الفاعل، ناهٍ تنويه إذا ارتفع، ونوّهته تنويهاً إذا رفعته، ونوّهت باسمه إذا رفعت بذكره.

قوله : ((في ﴿ثم﴾ هذه ما فيها)) (٦) إبهامية نحوها في قوله : ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ (٧) وفيها تكرير للظرف نحو قولهم : فيك زيد راغب، فيك، أي : حصل من إتيان (ثم) التي تعطي معنى التراخي في علو الرتبة مجازاً، تعظيم منزلة رسول الله صلى

(١) ما بين القوسين ساقط من أ، م غلطاً، لأنه في الراغب كما بينا.

(٢) ذكر (ز) هذه القصة، عند قوله تعالى : ﴿شاكراً لأنعمه﴾ قال : روى أن (إبراهيم) كان لا يتغذى إلا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفاً، فأخّر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام، فخيّلوا له أن بهم جذاماً، فقال : ((الآن وجبت مؤاكلتكم شكراً لله تعالى)) على أنه عافاني وابتلاككم.

(٣) الراغب في مفرداته ٨٧ مادة (جبي)

(٤) سورة الشورى الآية ١٣.

(٥) تفسيره لقوله تعالى : ﴿وآتيناه في الدنيا حينة﴾ قال (ز) : ﴿حسنة﴾ عن قتادة : ((هي تنويه الله

بذكره)) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ التحل الآية ١٢٣.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ثم أوحينا إليك﴾ : في ﴿ثم﴾ هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله.

(٧) سورة طه الآية ٧٨

الله عليه وسلم وإيذان أن شرف ما أوتي خليل الله أتباع رسول الله ملته، يعني : لما أمر حبيب الله باتباع ملة خليل الله حصلت لخليل الله منزلة عالية، لا يدانيها ما وصف به من ابتداء قوله : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ إلى هنا، قال صاحب الانتصاف (١) : [كأنه قال : وههنا ما هو أعلى من ذلك قدراً ورتبةً، وهو أن سيد البشر متبع لملة إبراهيم مأمور باتباعه بالوحي، ففي ذلك تعظيم لهما جميعاً، ولكن نصيب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا التعظيم أوفر وأكبر].

قوله : ((وبال السبت)) (٢) وبال ترك تعظيم السبت. قال محي السنة (٣) : [قيل : معناه : إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه، أي : خالفوا فيه، وقيل : معناه : ما فرض الله تعظيم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه].

قوله : ((والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب المثل للقرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً، وغير ما ذكر)) (٤)، عطف على أنعم الله، أي : كفرت بأنعم الله وبغير أنعم الله، ويأباه بيان غير ما ذكر بقوله : ((وهو الإنذار من سخط الله)) إلى آخره. لأن مثل هذا الإنذار من أجل النعم. ويمكن أن يقال : إنه عطف على قوله : في ضرب القرية من حيث المعنى يريد المعنى في ذكر هذه الآية نحو المعنى المذكور في قوله : ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ... الآية﴾ وهو الاعتبار، وإيتاء النعمة والأمن والاطمئنان وكفرانها. ثم استصالحها في الدنيا. ونحو غير ما ذكر فيه، وهو أن أهل هذه القرية أنذرتهم أنبياءهم بأن يعظموا أمر السبت ولا يتعرضوا لسخط الله بهتك حرمة، فخالفوه وخلعوا ربة الطاعة عن أعناقهم، فيجب أن يقدر فيها هذا المعنى لكون

(١) صاحب الانتصاف مع الكشاف ٦٤٣/٢ مع تصحيح بعض العبارات.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنْ رَبُّكَ لِيَجْزِيَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ النحل الآية ١٢٤.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿السَّبْتُ﴾ والمعنى : إنما جعل السبت ((وبال السبت)) وهو المسح ^{عن} على الذين اختلفوا فيه.

(٣) محي السنة هو الإمام البغوي في تفسيره ٥١/٥.

(٤) تابع لتفسير قوله : ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه ... الخ.

الآيتين واردتين في الفريقين من المشركين واليهود، وبعد ما نعى عليهما تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه، وبعد ما أنذروا وكفروا بنعم الله وادّعوا أنهم متبعون ملة إبراهيم، فكذبوا بقوله : إن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً وشاكراً، وهؤلاء مشركون يعبدون من دون الله. واليهود يكفرون بنعمه، ولم يكن متابِعاً له إلا هذا النبي كما قال : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﴾ (١) .

قوله : ((فما معنى الحكم بينهم)) (٢) يعني : إنما يحسن إطلاق الاختلاف والحكم بين الفريقين إذا وقع التنازع بينهم، بأن كان بعضهم محلّين، وبعضهم محرمين. وأما إذا كانوا جميعاً محلّين تارة، ومحرمين أخرى، فلا يقع التنازع والاختلاف، فما معنى قوله تعالى : ﴿ ليحكم بينهم ﴾ ؟. ووجه الجواب أن الاختلاف كما يقع بين المتنازعين، يقع أيضاً بين فعلين وإن لم يقع التنازع بين القوم.

قوله : ((ووجه آخر، وهو أن موسى عليه السلام أمرهم)) إلى آخره. هذا الوجه رواه الإمام (٣) : [عن ابن عباس، وقال : معنى اختلفوا على نبيهم حيث أمرهم بالجمعة فاختلفوا السبت، لأن اختلافهم في السبت كان اختلافهم على نبيهم في ذلك اليوم]، وينصر هذا التأويل، ما رواه البخاري (٤)، ومسلم وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، يعني : الجمعة، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غدٍ) رواه الإمام أحمد عنه، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة آل عمران الآية ٦٨.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن ربك يحكم بينهم ﴾ قال (ز) : فإن قلت : ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلّين أو محرمين؟

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٣٧/٢٠.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٥٤/٢ كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة من حديث أبي هريرة. ومسلم في صحيحه ٥٨٥/٢ كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. والنسائي ٨٥/٣ كتاب الجمعة، باب إيجاب الجمعة. ولم أجده في ابن ماجه . وأحمد في مسنده ٢/٢٤٩، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٧٣، ٥٠٢، ٥٠٤.

قال (١): (ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة، هداًنا الله له، وأضل الناس عنه، فالناس لنا فيه تبع، اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، إن فيه لساعة لا يوافقها مؤمن يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه). وقال الإمام (٢): إنه تعالى أمر محمداً صلوات الله عليه بمتابعة إبراهيم عليه السلام (٣)، وهذه المتابعة إنما تحصل إذا قلنا: إن إبراهيم عليه السلام قد اختار يوم الجمعة. وعند هذا للسائل أن يسأل: فلم اختار اليهود السبت؟ فأجيب: ﴿إنما جعل السبت على الدين اختلفوا فيه﴾.

قوله: ((ومعنى ﴿جعل السبت﴾: فرض عليهم تعظيمه)) فعلى هذا ضمن جعل فرض، فما وجب باستعانة ﴿على﴾، وعلى الوجه الأول قدر مضافاً لتعلق الجاربه، وهو قوله: ((جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه)).

قوله: ((إن ربك هو أعلم بهم)) (٤)، إلى آخره، وضع المضممر موضع قوله: ﴿من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ ثم فصله بفحو القرينتين، ليؤذن بأن المدعو في قوله: ﴿إلى سبيل ربك﴾ عام، وكذلك الجادل في قوله: ﴿وجادلهم﴾ كأنه تعالى يسأله صلوات الله عليه وسلم على إذهاب نفسه خسرات على عدم إيمان القوم، أي:

(١) أحمد في مسنده ٥١٩/٢.

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٥١/٥.

(٣) ويدل لهذا المعنى، وهو متابعة النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم عليه السلام قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٩١: ﴿قل إني هداًني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ وقال تعالى في سورة الحج الآية ٧٨: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم... الآية﴾ وقوله في سورة الممتحنة الآية ٤: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم... الآية﴾.

(٤) تفسير قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ النحل الآية ٢٢٥.

قال (ز) في تفسير قوله: ((﴿إن ربك هو أعلم بهم﴾))، فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل، والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

ما عليك إلا الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة على طريق اللين^(١). وأما الهداية والإيمان فلا عليك. وأشار إلى التسلية بالإيأس في قوله : ((وكأنك تضرب منه في حديد بارد)) وإنما قدم في التنزيل ذكر الضالين، لأن الكلام فيهم، وبه تقع التسلية، وآخره المصنف بناء على قضية النظم ظاهراً، ثم إنه صلوات الله عليه لما جدّ في الإبلاغ، وبالغ فيه وفي مجادلتهم حرصاً منه على إيمانهم، وظناً منه أنه المسيطر على الكل، والقادر على إيجاد الهداية فيهم، أمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والمجادلة باللين والرفق، وعلل الأمرين بقوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾^(٢) وكرر العلم، أي : ما عليك إلا البلاغ بالحكمة والمجادلة باللين، فمن علم الله فيه خيراً كفاه ذلك البلاغ، ومن علم أنه لا خير فيه، لا تجديده تلك المبالغة.

قوله : ((كأنك تضرب منه في حديد بارد)) (من) في قوله : ((منه)) تجريد، قال الميداني^(٣) : [هذا مثل يضرب لمن طمع في غير مطمع. قال الشاعر^(٤) :

**** فإذا تساعدت النفوس على الهوى ** فاخلق يضرب في حديد بارد ****

(من) في قوله (منه) تجريدية، لأنه جرد منه مثل الحديد البارد، وفي حديد كفى في قوله تعالى : ﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ .

قوله : ((سمى الفعل الأول))^(٥) أي : ﴿فَعَاقِبُوا﴾ باسم الثاني، وهو ﴿كَمَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ﴾، وهو من باب المشاكلة، سماء المزاجية لغة، وإنما المزاجية بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول الشاعر^(٦) :

(١) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤٦ : ﴿وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... الآية﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون في سورة طه الآية ٤٤ : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وهكذا يجب الداعية إلى الله عز وجل، وهكذا سبيل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢) وكرر جل وعلا مثل هذه الآية لعلهم بمن ضل من عباده، ومن اهتدى منهم. قال في سورة النجم الآية ٣٠ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ وقال في الأنعام الآية ١١٧ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

(٣) ٦٣٨ / ١ / ٢ / ٣ / ٤ / ٥ / ٦ / ٧ / ٨ / ٩ / ١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٥ / ١٦ / ١٧ / ١٨ / ١٩ / ٢٠ / ٢١ / ٢٢ / ٢٣ / ٢٤ / ٢٥ / ٢٦ / ٢٧ / ٢٨ / ٢٩ / ٣٠ / ٣١ / ٣٢ / ٣٣ / ٣٤ / ٣٥ / ٣٦ / ٣٧ / ٣٨ / ٣٩ / ٤٠ / ٤١ / ٤٢ / ٤٣ / ٤٤ / ٤٥ / ٤٦ / ٤٧ / ٤٨ / ٤٩ / ٥٠ / ٥١ / ٥٢ / ٥٣ / ٥٤ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ / ٥٨ / ٥٩ / ٦٠ / ٦١ / ٦٢ / ٦٣ / ٦٤ / ٦٥ / ٦٦ / ٦٧ / ٦٨ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٢ / ٧٣ / ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٧ / ٧٨ / ٧٩ / ٨٠ / ٨١ / ٨٢ / ٨٣ / ٨٤ / ٨٥ / ٨٦ / ٨٧ / ٨٨ / ٨٩ / ٩٠ / ٩١ / ٩٢ / ٩٣ / ٩٤ / ٩٥ / ٩٦ / ٩٧ / ٩٨ / ٩٩ / ١٠٠

(٤) لم أقف على قائله.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ بمثل ما عوقبتم به ولكن صبرتم فهو خير للصابرين ﴿النحل الآية ١٢٦﴾. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا... الآية﴾ : ((سمى الفعل الأول باسم الثاني)) للمزاجية، والمعنى : إن صنع بكم صنع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله.

(٦) لم أقف على قائله.

**** إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى ** أصابَ خَسْبٌ إلي الواشي فلجّ به الهجر **.**

قوله : ((إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله)) قال القاضي^(١) : [لما أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة وبَيَّن له طرقها أشار إليه وإلى من يتابعه بترك المخالفة، ومراعاة العدل مع من يناصبهم، فإن الدعوة لا تنفك عنه، من حيث إنها تتضمن رفع العادات وترك الشهوات والقدح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال].

قوله : ((حنظلة بن الراهب^(٢) . وفي الإستيعاب^(٣) : هو حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري، أبو عامر، يعرف بالراهب في الجاهلية، قدم مع قريش يوم أحد محارباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق. مات بالروم كافراً. وأما ابنه حنظلة فهو المعروف بغسيل الملائكة، قتل يوم أحد شهيداً. قالت امرأته : حنظلة أجنب وغسلت إحدى شقي رأسه، فلما سمع الهَيْعَةَ^(٤) [خرج، فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت الملائكة تغسله].

قوله : ((فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله))^(٥) الراغب^(٦) : [الصبر : الإمساك في ضيق، يقال : صَبَرْتُ الدابة، حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً خلقتَه خِلْفَةً

(٦)

(١) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٥/٣.

(٢) متعلق بما قال (ز) : روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد... الخ ((إلا حنظلة بن الراهب)).

(٣) الإستيعاب مع الإصابة ٢٨٠/١.

(٤) الهَيْعَةُ الصوت الذي تنزع منه وتخافه من عدو. النهاية ٢٨٨/٥.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَن صَبِرْتُمْ لَمْوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ قال (ز) : ﴿ لَمْوَ ﴾ إلى غيرهم، وهو مصدر ﴿ صَبِرْتُمْ ﴾، ويراد بالصَّابِرِينَ المخاطبون، أي : ولئن صبرتم لصبركم خير لكم ((فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله)) عليهم بأنهم صابرون على الشدائد. ((أوصفهم بالصفة)) التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة.

(٦) الراغب في مفرداته ٢٧٣ مادة (صبر).

لا خروج له منها، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو كلاهما، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقفه، فإن كان حبس النفس لمصيبة، سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مُضْجِرة، سمي ربح الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، ويضاده المَذْلُ، وقد سمي الله تعالى كل ذلك صبراً، ونَبِهَ عليه بقوله : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ [يقال (١) : رجل مَذِلٌّ، أي : باذل لما عنده من مال أو سرّ].

قوله : ((أو وصفهم بالصفة)) عطف على قوله : ثناء عليهم من الله، يعني : وضع الصابرين موضع ضمير المخاطبين مجازاً، لأنهم عند الخطاب ما كانوا صابرين فسماهم الله به، إما لمجرد المدح والثناء، لأن الصبر من أعظم أوصاف المتقين، وإما لاكتسابهم بلباس الصبر، جُعِلُوا صَابِرِينَ ترغيباً على الصبر، وعلى أن يراد بالصابرين الحبس لا يكون من وضع المظهر موضع المضمّر، فلا يكون مجازاً، بل يكون من باب الكناية، فيدخل في هذا العام المخاطبون دخولاً أولاً.

قوله : ((كأنه قيل :)) وللصبر خير للصابرين)) حاصل الوجوه أن معنى التركيب أن الصبر عن المعاقبة وترك المقابلة (٢) خير من استيفائها، كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى ﴾ (٣) ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٤) .

(١) الأساس للزمخشري : مَذِلٌ بما له، ومَذِلٌ بصره. ٥٨٧ مادة (مذل).

(٢) في ب المعاقبة.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

(٤) سورة الشورى الآية ٤٠.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٤٥ : ﴿ ... وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ... ﴾ الآية ﴿ وَقَوْلُهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى آيَةَ ٤١ : ﴿ وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ... ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَنْ صَبْرٌ وَغَفْرٌ إِنْ ذَلِكَ لَمْ عَزِمِ الْأُمُورُ.﴾

قوله : ((فمَعَزَم عليه))^(١) بالصبر، الأساس^(٢) : [عزمت عليك لما فعلت كذا بمعنى أقسمت] أي : وكَدَّ عليه أمر الصبر بأن أمره وحده بالصبر، بعد ما حَثَّهم عليه بالتركيب القسَمي، لأن اللام في ﴿لئن صبرتم﴾ موطئة للقسم، وفيه معنى الأمر، ثم بين بأداة الحصر أن الصبر عليه سهل لكونه بتوفيق الله وتسديده.

قوله : ((وما فعل بهم الكافرون)) أي : من المثلة^(٣) .

قوله : ((ولا يضيق صدرك))^(٤) وهو من باب لا أرْتيك ههنا، أي : ولا تكن بحيث يضيق صدرك إذا نابك منهم مكروه، أي : لا تبأشر القلق والضجر، وذلك مستفاد من نهْي كَيُنَوِّتَه في ضيق والعدول من ﴿ولا يضيق صدرك﴾ .

قوله : ((والضيق تخفيف الضيق)) قال أبو البقاء^(٥) : [ضيق بفتح الضاد فيه وجهان : أحدهما : أنه مصدر ضاق مثل سار سيراً. والثاني : هو مخفف من الضيق، أي : في أمر ضيق، مثل سيد وميت] .

تمت السورة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . والله أعلم

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ النحل الآية ١٢٧-١٢٨ .

تفسير (ز) لقوله : ﴿واصبر﴾ أنت يا محمد صلى الله عليه وسلم ((فعزم عليه بالصبر)) .

(٢) الأساس ٤١٩ مادة (عزم)

(٣) يشير إلى ما فعله كفار قريش بحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه، وقد مثل به المشركون، فرآه بقر بطنه، واصطلم أنفه، فقال صلى الله عليه وسلم : لئن أظفرنِّي الله بهم لأمثلن بسبعين مكانه، فنزلت : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... إلى قوله : واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ فصبر ولم يمثل بأحد. أسباب النزول للواحدي ٣٢٧ .

(٤) تفسير قوله : ﴿ولا تك في ضيق﴾ أي ((ولا يضيق صدرك)) من مكرهم.

(٥) أبو البقاء في إملائه ٨٧/٢ .

سورة بنى إسرائيل مكية، وهى مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ((سبحان))^(١) عَلَّمَ للتسبيح كعثمان، الراغب^(٢) : [السبح المرّ السريع فى الماء، أو فى الهواء ، يقال : سَبَّحَ سَبْحاً وَسَبَّاحَةً ، واستعير لمرّ النجوم فى الفلك ، نحو ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾^(٣) ولمجرى الفرس نحو ﴿ والسابحات سبحا ﴾^(٤) ولسرعة الذهاب فى العمل ﴿ وإن لك فى النهار سبحا طويلا ﴾^(٥) والتسبيح تنزيه الله تعالى ، وأصله المرّ السريع فى عبادة الله ، وجعل ذلك فى فعل الخير ، كما جعل الإبعاد فى الشر فقليل : أبعد الله ، ثم جعل التسبيح عاما فى العبادات قولا كان أو فعلا أو نية ، قال تعالى : ﴿ فلولوا أنه كان من المسبحين ﴾^(٦) وقال : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾^(٧) ، وسبحان أصله مصدر كغفران [، قال أبو البقاء^(٨) : [سبحان اسم واقع موقع المصدر وقد اشتق منه سَبَّحْتُ ، والتسبيح ، ولا يكاد يستعمل إلا مضافا ، لأن الإضافة تبين مَنْ المعظم ، فإذا أفرد عن الإضافة كان اسما علما للتسبيح لا ينصرف للتعريف ، والألف والنون فى آخره مثل عثمان] . وقال ابن الحاجب : والدليل على أن سبحان علم للتسبيح قول الشاعر^(٩) :

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ﴾ الآية

(١) من سورة الاسراء .

(٢) الراغب فى مفرداته ٢٢١ مادة (سيج) .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٣٣ .

(٤) سورة النازعات الآية ٣ .

(٥) سورة المزمل الآية ٧ .

(٦) سورة الصافات الآية ١٤٣ .

(٧) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٨) أبو البقاء فى إملائه ٢٩/١ عند قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٣٢ ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا ﴾

(٩) الشاعر أعشى بنى ثعلبة ، فقوله : (سبحان أى براءة من علقمة) واسمه "ربيعة بن يحيى بن

معاوية" من بنى تغلب ، شاعر اشتهر فى العصر الأموي ، كان يمدح "الوليد بن عبد الملك" . أنظر : الأعلام

**** قد قلت لما جاءني فخره ** سبحان مَنْ علقمة الفاخر ****

ولولا أنه علم لوجب صرفه ، لأن الألف والنون في غير الصفات إنما ينع مع العلمية : ولا يستعمل علماً إلا شاذاً ، وأكثر استعماله مضافاً فليس بعلم لأن الأعلام لا تضاف . والتسبيح مصدر سَبَّح أي قال : سبحان الله ، ومدلول سبحان تنزيه لا لفظ ، لكن ورد التسبيح بمعنى التنزيه .

قوله ((ودل على التنزيه البليغ)) وذلك في جلب هذا المصدر في أصل التركيب للتوكيد ، وهو أُسَبِّح تسبيحاً ، ثم أُسَبِّح سبحان ، ثم في حذف العامل وإقامته مقام الدلالة على أن المطلوب بالذات المصدر ، والفعل تابع فيفيد الإخبار بسرعة وجود التنزيه . وأما قوله ((التنزيه البليغ)) من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله مما يأباه مقام الإسراء إباء العيوف الورود وهو مزيفٌ ، بل معناه التعجب ، كما قال في النور^(١) [الأصل في ذلك أن يسبَّح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه] .

قوله : ((أراد بقوله ﴿ لَيْلًا ﴾^(٢) بلفظ التكرير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل . قال صاحب الفرائد : قوله [أراد بقوله ﴿ لَيْلًا ﴾ بلفظ التكرير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل . قال صاحب الفرائد : قوله : ((أراد بقوله لَيْلًا)) بلفظ التكرير ، تقليل المدة مسلّم ، وأما قوله في بعض الليل فغير مسلّم ، لأن (لَيْلًا) يحتمل الكل ، فلا يلزم البعض فالبعضية بحسب العدد لا بحسب الجزء ، ولأنه لو لم يذكر (لَيْلًا) بعد الإسراء لم يعلم مقدار الإسراء ، لأنه يمكن^(٣)

للزركلي ١٧/٣ ، والبيت في ديوانه ١٤٣ ، ومقاييس اللغة ١٢٥/٣ ، وغير ذلك ، ومحل الشاهد من البيت : أن (سبحان) ملازمة للإضافة ، وورودها غير مضافة قليل ، مثل هذا البيت .

(١) انظر سورة النور الآية ١٦ ج ٢٢٠/٣ .

(٢) تفسير قوله (لَيْلًا) قال ز : فإن قلت : الإسراء لا يكون إلا بالليل ، فما معنى ذكر الليل ؟ قلت

((أراد بقوله (لَيْلًا) بلفظ التكرير .. الخ .

(٣) لأنه أمكن في ب ، ت .

أنه أسرى به ليالي ، كقوله تعالى : ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ ﴾ (١) ومن قال : إن ذكره للتأكيد ليس بشئ لأنه لا بدّ من ذكره وقراءة عبداً لله وحذيفة (٢) لو كانت بدون لام التعريف أعنى بعض ليل كانت شاهدةً لذلك ، لأن بعض الليل يمكن أن يكون المراد به بعض الليالي ، فيكون الذى أسرى به ليلاً من الليالي ، وأجيب بأن الاسم الحامل لمعنى التنكير محتمل ، لأن يكون للإفراد شخصاً أو نوعاً ، ويحتمل أن يكون للتعظيم والتهويل أو التكثر أو التقليل فهو إذاً كاللفظ المشترك ، وإنما يتبين معناه بقيام قرينة مبيّنة ، فقوله ﴿ ليلاً ﴾ يحتمل أحد هذه المعاني ، وإنما يتعين بمقيد . ولا خلاف أن الإسرائ لم يكن أكثر من ليلة فجئ بليل ، وقلّ ليدلّ على أنها كانت فى بعض من تلك الليلة المعلومّة ، على أن تصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب البليغ ، مناد بمحدث أمر خارق للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها إلا الله عزّ وجل ، وهي كما قال : أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وكذا دلالة قراءة عبداً لله وحذيفة (٣) ، وما ذهب إليه أن بعض الليل يمكن أن يكون المراد به بعض الليالي بعيد جداً ، ولا يخفى على أحد أن قوله ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ (٤) ليس المراد ما قاله . وقال فى الانتصاف (٥) [وقد جرى ذكر الليل فى موضع لا يليق به الجواب الذى ذكره الزمخشري وهو قوله : ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ (٦)] والظاهر أن ذكر الليل لتصوير السرى بصورته ، أو لأن السرى دلّ على أمرين السير وكونه ليلاً فأفرد أحدهما بالذكر تقوية له فى ذهن المخاطب مثله قوله تعالى : ﴿ لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ (٧) فإن الاسم الحامل للشبهة دالّ عليها وعلى الجنسية ،

(١) هذه القراءة ذكرها أبو حيان فى البحر المحيط ٥/٦ .

(٢) (سبحان الذى أسرى بعبده من الليل) أى بعض الليل ، أنظر البحر المحيط ٥/٦ ، والطبرى

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٤٦/٢ .

(٥) سورة هود الآية ٨١ ، والحجر الآية ٦٥ .

(٦) سورة النحل الآية ٥١ .

فأكد الشبهة لأنها مقصودة بالإبطال كما مرّ . وأجيب بأن بين المقامين بؤن بعيد ، لأنه ما وقع النزاع في أن عروجه صلوات الله عليه كان ليلاً أو نهاراً ، كما وقع في اتخاذ الإله ، والعدد في تلك الآية ، وإنما هو بيان إبداء أمر غريب خارق للعادات (١) وأما قوله ﴿ بقطع من الليل ﴾ فهو له لا عليه ، لأنه أتى بالليل هناك ونكر ليضمّن المعنى المقصود في الإيراد (من) التبعض . وجيء بقوله ﴿ من الليل ﴾ هنا ليبين أن البعض ما هو ، فهذا منصوص (٢) فيه البعضية ، وذلك مضمن (٣) . والحاصل أن إعادة الشيء لإناطة أمر زائد أسلوب من الأساليب) وأقول والعلم عند الله : ويمكن أن يراد بالتنكير التعظيم والتفخيم (٤) ، والمقام يقتضيه ، ألا ترى كيف افتتحت السورة بالكلمة المنبئة عنه ؟ ثم وصف المسري به بالعبودية ، ثم أردف تعظيم المكانين بالحرام وبالبركة لما حوله تعظيم الزمان ، ثم تعظيم الآيات بإضافتها إلى صيغة التعظيم وجمعها ليشمل جميع أنواع الآيات ، وكل ذلك شاهد صدق على ما نحن بصدده ، والمعنى ما أعظم شأن من أسرى بمن حقق له مقام العبودية وصحح استهاله للعناية السرمدية (ليلاً) أي ليل له شأن جليل ، ليل دنا الحبيب من المحبوب ، وفاز في مقام الشهود بالمطلوب ﴿ فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ (٥) فحينئذ ينطبق عليه التعليل بقوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ أي السميع بأحوال ذلك العبد والبصير لأفعاله العالم بكونها مهذبة خالصة من شوائب الهوى ، مقرونة بالصدق والصفاء . مستأهلة للقربة والزلفى ، ولا بعد أن يرجع الضمير إلى العبد (٦) كما نقل أبو البقاء (٧) عن بعضهم [قال إنه السميع لكلامنا

(١) ما بين القوسين س من ت ، والصواب ما أثبتناه في النسخ الأخرى .

(٢) في ب (منصوب) فيه البعضية ، والصواب غيره .

(٣) ذكر الطبري ٢/٩ أن قوله ﴿ ليلاً ﴾ أي من الليل .

(٤) ذكر القولين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان ٣/٣٦٢ .

(٥) سورة النجم الآيات من ٨ - ١١ .

(٦) تفسر قوله تعالى ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ .

(٧) أبو البقاء في إملائه ٨٧/٢ قال في مرد الضمير في قوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ (إنه) لله

تعالى ، وقيل : للنبي صلى الله عليه وسلم ((أي أنه السميع لكلامنا البصير لذاتنا)) .

والبصير لذاتنا] ، وأما توسط ضمير الفعل فللإشعار باختصاصه بهذه الكرامة وحده ، ولهذا عَقِبَ بقوله : ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ ، لأنه جاء مستطرداً لحديث الإسراء وسماع الكلام ومنح القربة والزلزلى ، والجامع أن موسى عليه السلام إنما أعطي التوراة عند مسيره إلى الطّور ، وهو بمنزلة معراجة عليه السلام ، لأنه هنالك شرف بالكلام ، ومنح التكليم ، وطلب الرؤية . وسيجيء في سورة النجم إن شاء الله الكلام في إثبات الرؤية لسيدنا صلوات الله عليه . وأقوال الصحابة ... (١) والعلماء مستوفى . ولعل السر في مجيء الضمير مجملاً (٢) محتملاً للأمرين ، الإشارة إلى المطلوب ، وأنه صلوات الله عليه وسلم إنما رأى ربّ العزة وسمع كلامه به . روينا في صحيح البخاري (٣) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها

(١) الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعين رأسه ، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه بعينه ، فالمراد به الرؤية بالقلب كما في صحيح مسلم أنه رآه بفؤاده مرتين ، كما في مسلم ١٥٨/١ كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء من حديث ابن عباس قال : رآه بفؤاده مرتين ، الحديث رقم ٢٨٥ . وحديث ابن أبي شيبة في مسلم عن ابن عباس أنه رآه بقلبه ، الحديث رقم ٢٨٤ . ولحديث أبي ذر رضي الله عنه كما في مسلم ١٦/١ كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراد ، وقوله : رأيت نورا . قال أبو ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال : نور أنى أراد ، الحديث رقم ٢٩١ ، ٢٩٢ . ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرْفَعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور (وفي رواية أبي بكر : النار) ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، الحديث رقم ٢٩٣ كتاب الإيمان ، ١٦١/١ . وانظر : أضواء البيان ٣/٣٦٣ قال : التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه لم يره بعينه ، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ولا يصح في رؤية البصر شيء ، ومن قالها فقد أغرب ، فإنه لا يصح فيها شيء عن الصحابة رضي الله عنهم . وانظر : تفسير السمعاني رحمه الله عند قوله ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ النجم الآية ١١ ، وتعلقنا عليه ٢/٢٢٠ . (٢) في قوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ .

(٣) تقدم تخريجه عند تفسير قوله تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ الآية ٩٨ من سورة الحجر .

ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، وإن استعاذني أعدته ، الحديث) ، وفي حقائق السلمي (١) قال ابن عطاء : [ظهر مكان القربة وموقف الدنو عن أن يكون فيه تأثير لمخلوق بمحال ، فسار بنفسه ، وسرى بروحه ، وسير بسرّه ، فلا السر عليم ما فيه الروح ، ولا الروح عليم ما يشاهد السر ، ولا النفس عندها شيء من خبرهما ، وما هما فيه ، وكل واقف مع حدّه ، مشاهد للحقّ مُتلقياً عنه بلا واسطة ولا بقاء بشريّة ، بل حقّ تحقّق بعبدّه ، فحقّقه وأقامه حيث لا مقام وأوحى إليه ما أوحى جلّ ربنا وتعالى . وقال : قال رجل لجعفر (٢) بن محمد : صِف لي المعراج ، قال : كيف أصف لك مقاماً لم يسمع فيه جبريل مع عِظَم محلّه ، وقال النصر (٣) أبادي : أسقط العلل والاعتراضات بقوله ﴿أسرى﴾ ولم يقل : سرى ، لأن القدرة تحمل كل شيء . وقال بعضهم : قيل ﴿لنريه من آياتنا﴾ فغمض عينه عن الآيات شغلا منه بالحقّ ، ولم يلتفت إلى شيء من الآيات والكرامات ، فقليل له : ﴿وإنك لعلی خلق عظيم﴾ (٤) ، حيث لم يشغلك مالنا عنّا ، انتهى ما في الحقائق (٥) .]

قوله ((فقليل هو المسجد الحرام)) بعينه ، وهو الظاهر لما روينا عن البخاري (٦) ومسلم والترمذي والنسائي عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة

(١) تقدمت ترجمته ، ولا يخفى أنه من غلاة الصوفية ، فقد قال كلاما فيه ما فيه من الغلو وادعاء شيء لا دليل عليه ولا يحمله اللفظ القرآني ، ولم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين أبو عبد الله الملقب بالصادق ، لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، كان من أجلاء علماء التابعين ، أخذ عنه مالك بن أنس وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى ، الأعلام ١٢٦/٢ ، ووفيات الأعيان ١٠٥/١ ، ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٤٨ .

(٣) النصر أبادي لم أقف على ترجمته .

(٤) سورة القلم الآية ٣ .

(٥) وفي الحقائق ما هو بعيد عن الحقائق . والله أعلم .

(٦) تفسير قوله ﴿من المسجد الحرام﴾ قال ز : واختلف في المكان الذي أسرى منه ((فقليل : هو المسجد الحرام)) في الحجر عند البيت .

(٧) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٠٢/٦ كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وأطرافه الحديث رقم ٣٣٩٣ ، ٣٤٣٠ ، ٣٨٨٧ . ومسلم ١٥٠/١ كتاب الإيمان ، باب الإسرائء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات . والترمذي ٤١٢/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة ألم نشرح . والنسائي ٢١٧/١ كتاب الصلاة ، باب فرض الصلاة ، وذكر اختلاف الناقلين كلهم من حديث قتادة عن أنس ابن مالك ، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهم .

أن نبي الله حدثهم عن ليلة أسري به قال : بينا أنا في الحطيم ، وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال : بين النائم واليقظان إذ أتاني آتٍ ، وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم ^(١) عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فُرج سقف بيتي وأنا بمكة .

قوله ((قال : وإن كذبوني)) ^(٢) أي أنا أخبرهم وإن كذبوني .

قوله ((هلم فحدّثهم)) ، أي قال هلم : فجاؤوا واستمعوا لحديثه فحدّثهم ، فالفاء فصيحة .

قوله ((تعجباً وإنكاراً)) ^(٣) يشير لقوله ((مصفّق و واضع)) من غير ترتيب ، وتقديره فلما سمعوا هذا الكلام افرقوا فرقتين من غير ريب ، فبعضهم مصفّق منكر ، وبعضهم واضع يده على رأسه متعجباً .

قوله ((مَن سافر إلى ما ثمّ)) ^(٤) ثمّ عبارة عن المسجد الأقصى وما كنّا به عن المواضع التي حول المسجد الأقصى .

قوله ((فاستعتوه المسجد)) ، روينا في صحيح البخاري ^(٥) عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كذّبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله تعالى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر فيه .

قوله ((جمل أورك)) ^(٦) قال الأصمعي : [الأورق من الإبل الذي في لونه

(١) البخاري مع الفتح ٣٧٤/٦ كتاب الأنبياء ، باب ذكر إدريس عليه السلام ومسلم في صحيحه ١٤٨/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء .

(٢) يشير (ز) إلى ما قصه النبي صلى الله عليه وسلم على أم هانئ من الإسراء ، وقولها له : أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم ، قال : ((وإن كذبوني)) .

(٣) يشير إلى قول أبي جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي ((هلم)) فحدّثهم ، فمن بين مصفّق و واضع يده على رأسه ((تعجباً وإنكاراً)) .

(٤) يشير إلى أن بعضهم قد سافر إلى بيت المقدس ويعرفه ، فطلبوا منه أن يصفه لهم .

(٥) البخاري مع الفتح ١٩٦/٧ كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث الإسراء . وانظر الحديث رقم ٤٧١٠ . وأحمد في مسنده ٣٧٧/٣ .

(٦) يشير إلى قولهم له : أخبرنا عن غيرنا ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ، وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ((يقدمها جمل أورك)) .

بياض إلى سواد (١)] .

قوله ((وكان العروج به من بيت المقدس . روى البخارى ومسلم (٢) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد أتيت بالبراق إلى قوله : فركبته حتى أتيت بيت المقدس إلى قوله : ثم عرج بنا إلى السماء الحديث .

قوله ((وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك قال الشيخ محي الدين (٣) في شرح صحيح مسلم : قد لخص القاضي عياض رحمه الله في الإسراء جملاً حسنة نفيسة فقال : [اختلف الناس في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : إنما كان جميع ذلك في المنام (٤) . والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه صلى الله عليه وسلم أسرى بجسده (٥) والآثار تدل عليه لمن طالعها ولا يعدل عن ظواهرها لإبدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل] وقال محي السنه (٦) فى المعالم [والاكثر على أنه صلوات الله عليه أسرى بجسده فى اليقظة وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك] وقلت : وروينا عن البخارى و الترمذى (٧) عن ابن عباس فى قوله ((وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا

(١) الصحاح للجوهري ١٥٦٥/٤ قال الأصمعي : الأورق من الإبل إلخ مادة (ورق)
(٢) أخرجه مسلم ١٤٥/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء
إلخ وأحمد في مسنده ، ١٤٨/٣ والبخارى ٦٦/٥ باب المعراج

(٣) انظر : شرح صحيح مسلم للنووى ٤/٢ والشفة للقاضى عياض ٢٤٦/١
(٤) وإلى هذا القول ذهب معاوية بن أبى سفيان وعائشة رضى الله عنهما . انظر القرطبى ٢٠٨/١٠ والشفة للقاضى عياض ٢٤٥/١

(٥) ومن قال بذلك ابن عباس وجابر وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبو هريرة ، ومالك بن صعصعة وابن مسعود والضحاك ، وسعيد بن حبير وقتادة ، وسعيد بن المسيب وابن شهاب وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين . انظر الشفة للقاضى عياض ٢٤٦/١ وأنه بالجسد والروح معاً وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح انظر القرطبى ٢٠٨/ ١٠ والشفة للقاضى عياض ٢٤٦/١

(٦) البغوى فى تفسير ٥٨/٥
(٧) أخرجه البخارى مع الفتح ٣٩٨/٨ كتاب التفسير، باب (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) الآية ،
والترمذى ٢٨٢/٥ كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس)

فتنة للناس (١)) ، قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ، و في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس (٢) قال : (شىء أريه النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة رآه بعينه حين ذهب إلى البيت) ولأنه قد أنكرته قريش و ارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه (٣) وإنما ينكر إذا كانت في اليقظة فإن الرؤيا لا ينكر منها ما هو أبعد من ذلك على أن الحق أن المعراج مرتان ، مرة بالنوم و أخرى باليقظة ، قال محي السنة (٤) «رؤيا أراه الله تعالى قبل الوحي بدليل قول من قال: فا ستقيظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان».

قوله ((هي من طرق البلاغة)) وذلك أن قوله ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾ (٥) يدل على مسيره من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فهو بالغية أنسب وقوله ﴿الذى باركنا حوله﴾ دلّ على إنزال البركات، وتعظيم شأن المنزل ، فهو بالحكاية على التفخيم أخرى وقوله (ليريه) بالياء إعادة إلى مقام السرّ والغيوبة من هذا العالم ، فالغية بها أليق . وقوله ﴿من آياتنا﴾ عود إلى التعظيم على ما سبق . وقوله ﴿إنه هو السميع البصير﴾ بشارة إلى مقام اختصاصه بالمنح والزلفى وغيبة شهوده في عين بي يسمع وبي يُبصر ، فالعود إلى الغيبة أولى .

قوله ((أن لا يتخذوا)) قرأ بالياء أبو عمرو (٦) والباقون بالتاء الفوقانية.

(١) سورة بني إسرائيل الآية ٦٠

(٢) أحمد في سنده ، ٣٧٠/١

(٣) القرطبي ٢٠٩/١٠ والبعوى ٥/ ٦٥

(٤) محي السنة البعوى في تفسيره ، ٦٥/٥

(٥) يشير إلى قراءة الحسن (ليريه) قال(ز):ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم،فقتيل:(أسرى) ثم (باركنا) ثم (ليريه) على قراءة الحسن ، ثم (من آياتنا) ثم (إنه هو) وهى طريقة الالتفات (التي هى من طرق البلاغة))

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ الإسراء الآية ٣،٢ .

قال أبو البقاء (١) : [أما تقدير الياء التَّحتانية ، فهو ﴿ جعلناه هدى ﴾ لئلا يتخذوا ﴿ وآتيناه موسى الكتاب ﴾ (٢) لئلا يتخذوا] ، وأما تقدير التاء ففيه وجهان ، (أن) بمعنى أي ، وهي مفسرة لما تضمنه الكتاب من الأمر والنهي ، وثانيهما (أن لا) زائدة (٣) والتقدير مخافة أن يتخذوا ، وقد رجع في هذا من الغيبة إلى الخطاب .

قوله ((أي ولا تجعلوهم أرباباً)) (٤) يريد أن في اختصاص هذا الوصف ، وهو كونهم ذرية المحمولين مع نوح وترتب حكم النهي عن الإشراك عليه إشعاراً بأنهم لا يصلحون لأن يكونوا أرباباً من دون الله لأنهم عاجزون محصورون في ذات ألواح ودُسر ، فكيف يصح أن تتخذوا وكلاء من دون الله (٥) ؟

قوله ((ولا يشركوا بي)) عطف تفسير لقوله ﴿ لا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ .

قوله ((لأن نوحاً كان عبداً شكوراً)) أي أنه كان مَوْحِداً ، لأن الشاكر من يقوم بجملة وشرائره (٦) في خدمة النعم ، قال :

** أفادتكم النعماء مني ثلاثة ** يدي ولساني والضمير المحجبا ** (٧)

فإذا توهم أدنى شركة فيه لم يكن شاكراً حقيقة لاسيما والشكور من ابنية المبالغة (٨)

(١) أبو البقاء في إملانه ٨٧ / ٢ .

(٢) (أو آتيناه) في ب ، ت ، م .

(٣) وبهذا التوجيه وجه ابن زنجلة في كتابه الحجة ٣٩٦ ، قال : ويجوز أن تكون (أن) زائدة ، وتضمر القول. المعنى ﴿ وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ ، وقلنا هم ﴿ لا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ .

ذرية من حملنا مع نوح ﴿ الآية

(٤) يعني ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهما السلام ، وقد اتخذوهم أرباباً .

(٥) (وكيلاً) في ب ، م .

(٦) (الشرائر) الأثقال ، الواحدة شُرْشُرَةٌ ، يقال : ألقى عليه شرائره ، أي نفسه حرصاً ومحبة .

الصاحح للجوهري ٦٩٦ / ٢ مادة (شرر) .

(٧) لم أقف على قائله .

(٨) قال في الخلاصة :

** فعَالٌ أو مِفْعَالٌ أو فِعْلٌ ** في كثرة عن فاعل بديل **

قوله ((ما جعلوه أسوتكم))^(١) الراغب^(٢) [الأسوة والإسوة كالقُدوة والقُدوة ، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً ، وإن ساراً وإن ضاراً ، ولهذا قال تعالى ﴿أسوة حسنة﴾^(٣) فوصفها بالحسنة] .

قوله ((وقرئ ﴾ ذرية من حملنا ﴾^(٤) بالرفع بدلاً من واو (يتخذوا) ، قال أبو البقاء^(٥) : [هذا على القراءة بالياء ، لأنهم غيب] ، قال صاحب التخمير^(٦) : [إنما لم يجز إبدال المظهر من المضمير المتكلم والمخاطب ، لأن ضمير المتكلم والمخاطب لا يكون لغير الواحد ، بخلاف ضمير الغيبة والإبدال للتبيين ، فيختص بموضع فيه احتمال ، فلذا جاز مررت به زيد ، ولم يجز مررت بي المسكين ، ولا عليك الكريم . فإن قلت : فما تقول في قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله﴾^(٧) فقد أبدل فيه الغائب من المخاطب ، قلت : لأن الخطاب ليس لقوم بأعيانهم ، فنزلوا منزلة الغائب ، لأن المعنى لو كان للناس فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله] ، وذكر الركني^(٨) : أن الكوفيين والأخفش أجازوا إبدال المظهر من المضمير الحاضر مطلقاً ، تمسكاً بقوله تعالى ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم﴾^(٩) ، فإن (الذين) بدل من (كم) ،

(١) قال (ز) : فإن قلت : قوله ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ ما وجه ملاءمته لما قبله ؟ ، قلت : كأنه قيل : ﴿لاتتخذوا من دوني وكلاء﴾ ولا تشركوا بي ، لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً ، وأنتم ذرية من آمن به وعمل معه ((فاجعلوه أسوتكم)) كما جعلوه آباؤكم أسوتهم .
(٢) الراغب في مفرداته ٧١ / مادة (أسا) .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١

(٤) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٧٤ قراءة مجاهد شاذة .

(٥) أبو البقاء في إملائه ٨٨ / ٢ .

(٦) صاحب التخمير هو صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي . والتخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب . ولد القاسم المذكور سنة ٥٥٥ هـ ، ومات سنة ٦١٧ هـ ، وذكر هذا الحكم في كتابه التخمير ١٢٠ / ٢ ، وانظر المفصل للزمخشري ١٤٩ .
(٧) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(٨) الركني لم أقف على ترجمته .
(٩) سورة الأنعام الآية ١٢ .

قال : وإنما ساغ لأن (الذين) بدل من البعض وإنما غير بدل الكل ، فيجوز لفقدان المانع ، وهو أن يكون المقصود بالنسبة أقلّ دلالة فإن بدل البعض والاشتمال ليس مدلولهما مدلول الأول فيجوز اشتريتك نصفك ، وأعجبني علمك ، ومنه قول الشاعر (١) :

** ذريني إن أمرك لن يطاعا ** وما ألفتني حلمي مضاعا **

وههنا مفهوم قوله ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ أبين دلالة من مفهوم الضمير في (تتخذوا) المعبر عن بني إسرائيل .

قوله ((ويجوز أن يكون تعليلاً (٢))) مبني على أن ذرية منصوب على الاختصاص والمدح ، يعني إنما خصصناكم بهذا الخطاب ، لأنكم أولاد آباء مكرمين ، كقوله تعالى ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ (٣) ، قال القاضي (٤) : [فيه إيماء بأن إنجاءه ومن معه كان بركة شكره ، وحث للذرية على الاقتداء به] وقلت : اعتبر اختصاص الحمل بالذكر وأدمج هذا المعنى فيه .

قوله ((على سبيل الاستطراد)) فعلى هذا لا يكون تعليلاً .

قوله ((وحيًا مقضيًا (٥) أي مقطرعاً)) الراغب (٦) : [القضاء فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً ، وكلّ منهما على وجهين ، إلهي وبشري ، فمن القول الإلهي

(١) الشاعر عدي بن زيد بن الحمار بمعجمة مضمومة ، هكذا في الأغاني ٩٧/٢ ، التميمي النصاراني جاهلي من فحول الشعراء . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢٢٥/١ ، ومعاهد التنصيص ١٣٩ ، والبيت في ديوانه ٣٥ وفي خزانة الأدب ٣٦٨/٢ .

(٢) قول (ز) : ((ويجوز أن يكون تعليلاً)) يعني قوله تعالى ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ أي لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح (في السفينة) فهم متصلون به .

(٣) سورة الكهف الآية ٨٢ .

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ، ١٩٦/٣ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٤ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ وأوحينا إليهم ((وحيًا مقضيًا)) أي مقطرعاً مبتوتاً بأنهم مفسدون في الأرض .

(٦) الراغب في مفرداته ٤٠٦ .

﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزئياً . ومن الفعل الإلهي ﴿ فقضاهن سبع سماوات في يومين ﴾ (١) لأنه إشارة إلى إيجاده الابداعي والفراغ منه [.

قوله ((وقرئ)) (لَتُفْسِدَنَّ) على البناء للمفعول و (لَتَفْسِدَنَّ) بفتح التاء من فسد ، قال أبو البقاء (٢) : [المعنى على الأول يفسدكم غيركم ، وعلى الثاني لتفسد أموركم] .

قوله ((وأكثر ما يقال عباد الله)) قال ابن جني (٣) : [أكثر اللغة أن يستعمل العبيد للناس والعباد لله تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ (٤) ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ (٥) ، وهو كثير ، وقال ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٦)] .

قوله ((سَنَحَارِبُ)) نصب عطف بيان (لعباداً) ، ويروى بالرفع أي هم وقوله ((سَنَحَارِبُ وجنوده)) (٨) .

قوله ((معناه خلينا)) يعني معنى تسليط الكفرة على ذلك

(١) سورة فصلت الآية ١٢ .

(٢) أبو البقاء في إملائه ٨٨/٢ ، وانظر المختص لابن الجني ١٤/٢ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ﴾ الإسراء الآية (٥) . قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ عباداً لنا ﴾ وقرئ عبيداً لنا ((وأكثر ما يقال : عباد الله)) وعبيد الناس .

(٤) ابن جني في كتابه المختص في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١٤/٢ .

(٥) سورة الحجر الآية ٤٢ .

(٦) سورة الزمر الآية ١٦ .

(٧) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٨) (سنحارب) : كان ملك بابل ، ويختصر هو ابن بنته ، وكان من كتابه ، (وسنحارب) هذا قال ابن كثير في البداية والنهاية ٣٢/٢ إنه قصد بيت المقدس وفيه بنو إسرائيل بستمائة ألف راية ، وفزع الناس منه فرعاً عظيماً شديداً إلخ .

(٩) هذا جوابه لإشكاله : حيث قال : فإن قلت : كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك وسلطهم عليهم؟ قلت : معناه ((خلينا بينهم وبين ما فعلوا)) ولم نمنعهم ((على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه)) .

أي قتل العلماء وإحراق التوراة وتخريب المسجد والسَّبْي الانتصاف (١) السؤال يتوجه على القدريّة ، وأمّا السنيّ فيقول : ﴿ لا يسئل عما يفعل ﴾ (٢) .

قوله ((على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم)) ، يعني أن البعث مجاز على أن الحقيقة جائزة (٣) أيضاً لأن الله تعالى أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه ، لأنهم ظلموا بقتل زكريّا ويحيى ، وقصد قتل عيسى عليه السلام ، فهو كقوله تعالى ﴿ وكذلك نوّلي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ (٤) .

قوله ((وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم)) يعني مثل هذا الإسناد جائز بل مندوب إليه ، يقولون في الدعاء على الكفرة اللهم زلزل أقدامهم ونكس أعلامهم ، وخالف بين كلمتهم ، وهو من قوله تعالى ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ (٥) ، وكلمتهم : دعوتهم إلى الكفر واتفاقهم عليه .

قوله ((وأسند الجوس (٦))) إلى آخره ، مراده أنه تعالى أسند إلى نفسه ما يصحّ أن يسند إليه من بعث الكفرة عليهم ، لأجل فسادهم ، وأسند ما لا يصحّ أن يسند إليه إلى الكفرة من تخريب المسجد وإحراق التوراة . فيقال له : لو لا بعثه وتمكينه إياهم كيف قدرُوا على ذلك ؟ ، فهو كإعطاء سيفٍ باتِرٍ ظالماً يقطع الطريق ويسبي الحريم ، فوقع فيما فرّ منه .

(١) الانتصاف لأحمد بن المنير مع الزمخشري ٦٤٩/٢ ، وهذا مبني على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده ، وهو مذهب المعتزلة ، وعند أهل السنة كل كائن فهو فعله ومراده ، ولو شراً .

(٢) ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٣) بل هي الصواب ، ولا ينبغي أن يصار إلى انجاز هنا .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٩ .

(٥) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ قال (ز) : وأسند الجوس وهو التردّد خلال الديار بالفساد إليهم ، فتحريق المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم .

قوله ((وقرأ طلحة فحاسوا (١))) ، قال ابن جني (٢) : [قال أبو زيد أو غيره ، قلت له : إنما هو فحاسوا بالجيم ، قال : جاسوا وحاسوا واحد ، وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية ولذلك نظائر (٣)] .

قوله ((وقرئ (فجوّسوا) في الموضح حوّسوا بالحاء غير المعجمة مشدّد الواو . الراغب (٤) : [فحاسوا خلال الديار ، أي توسطوها وتردّدوا بينها ، ويقارب ذلك جاسوا وداسوا ، وقيل : الجوس طلب ذلك الشيء باستقصاء] ، والخلل فرجة بين الشيئين ، وجمعه خلال (٥) نحو خلال الديار والسحاب والرماد ، قال تعالى ﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ (٦) ، وعن بعضهم : خلل إما مفردة جمعه خلال ، كجبل ، وإما بمعنى الخلال ، والخلال حينئذ مفرد .

قوله ((واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم (٧))) ، قال القاضي (٨) : [وذلك بأن ألقى الله في قلب بهمن بن أسفنديار لما ورث ملك كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم ، فردّ أسراهم إلى الشام وملّك دانيال عليهم ، فاستولوا على من كان فيها من أتباع (بُخْتُ نَصْر)] والله أعلم بحقيقة ذلك .

(١) قرأ طلحة وأبو السمال (فحاسوا) بالحاء المهملة ، وقرأ أيضاً (فجوّسوا) على وزن تكسروا ، أبو السمال . انظر شواذ القرآن لابن خالويه ٧٥ والبحر المحيط ١٠/٦ .

(٢) ابن جني في كتابه المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ١٥/٢ .

(٣) وهذا لا يجوز ، لأن القراءة سنة متبعة لا يتخير فيها بدون رواية . وانظر المحتسب ج ٢٩٦/١ ففيه زيادة بيان لهذا المأخذ على أن القراءة لا يتخير فيها .

(٤) الراغب في مفرداته ١٠٣ ، مادة (جاس) .

(٥) الصحاح للجوهري ١٦٨٧/٤ ، مادة (خلل) .

(٦) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٧) تفسر قوله تعالى ﴿ ثم رددنا لكم الكرة ﴾ قال (ز) : أي الدولة ، وعلى الذين بعثوا عليكم حين بُعثتم ورجعتم عن الفساد والغلو . قيل : هي قتل . يختصر ((واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم)) وأموالهم ورجوع الملك إليهم .

(٨) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٧/٣ .

قوله ((لدلالة ذكره ^(١))) أولاً ، يعني جواب (إذا) قوله ((بعثناهم)) بدليل قوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم ﴾ فعلى هذا قوله ﴿ وليدخلوا ﴾ عطف على ﴿ ليسووا ﴾ لاتفاقهما . فإن قلت : لا ارتياب أن قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ﴾ عطف على قوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما ﴾ وهما تفصيل لقوله ﴿ لتفسدن في الأرض مرتين ﴾ وكان من حق الظاهر أن يترك القرينة الثانية عن الفاء إلى الواو ، فما وجهه ؟ ، قلت : والله أعلم إن مدخول الفاء وإن كان قسيماً لقوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما ﴾ لكن تخلل بين المعطوفين .

قوله ((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)) فجره إلى نفسه ، كأنه قيل : (وإن أسأتم فلها) وقد حصل منكم الإساءة ، والإفساد مرة أخرى ، وهما السبب في مجيء الوعد ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ . ألا ترى كيف وصل قوله : ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ بما ذيل به هذا الوعد الآخرة ، وهو قوله ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ أى إن تبتم .

قوله ((وقرأ (ليسوء) أبوبكر وابن عامر وحزمة بالياء ونصب الهمزة على التوحيد ^(٢) ، والكسائي بالنون ونصب الهمزة على الجمع ، والباقون بالياء وهمزة مضمومة بين واوين على الجمع)) ، قال أبو البقاء ^(٣) : [التقدير على الجمع ليسوء العباد أو النَّفِيرَ . ويقرأ ليسوء بغير واو أي ليسوء البعث أو المبعوث أو النفير أو الله تعالى] .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأ ما علوا تتبرأ ﴾ الإسراء الآية ٧ . قال (ز) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ : ((حذف لدلالة ذكره أولاً عليه والذي حذف هو قوله : ﴿ بعثناهم ﴾)) .

(٢) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وحفص عن عاصم (ليسوءوا) بالياء وضم الهمزة وإشباعها . وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحزمة وخلف (لیسوء) بالياء وفتح الهمزة ، وقرأ الكسائي وحده (لیسوء) بالنون وفتح الهمزة المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٨٢ .

(٣) أبو البقاء في إملاته ٨٨/٢ .

قوله ((لنسوء)) بالنون الخفيفة . قال ابن جني ^(١) : [قرأ أبي بن كعب (ليسوءاً) بالتثوين . فطريق القول عليه أن يكون أراد ألفاً فحذفها أي فليسوءاً وُجُوهَكُمْ ، على لفظ الأمر ، كما تقول : إذا سألتني فلأعطك كأنك تأمر نفسك ، ومعناه فلأعطيتك ، والألمان بعده للأمر أيضاً ، وهما ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأ ﴾ ، ويقوي ذلك أنه لم يأت إذا جواباً فيما بعد ، فالتقدير (فليسوءاً وُجُوهَكُمْ) أي فليسوءن وجوهكم] وهذا يدل على أن في ليسوءن ألفاً مقدرة .

قوله ((وضرب الإتاوة عليهم ^(٢))) أي الخراج ، فإن قلت : ما وجه استقامة هذا الوجه وهو تسليط الأكاسرة عليهم ، وقد مضى مع قوله ﴿ وإن عدم عدنا ﴾ وهو الاستقبال ؟ ، قلت : استقامته من حيث إن هذه المذكرات كلها كانت مثبتة في التوراة مقضية عليهم ، لقوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ ، والكتاب التوراة كما نص عليه المصنف .

قوله ((المرمول ^(٣))) ، الجوهري ^(٤) : [رملت . الحصر أي سقفته ، بمعنى نسجته و أرملته مثله] .

قوله ((لما في إبهام ^(٥)) الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه)) فإنك إذا ضربت عن ذكر إحدى هذه المقدرات صفحاً بقي اللفظ مجملاً صلح أن يتناول كلاً منها وما شا كلها فإذا قيدتها بواحدة منها اختص بها فكأنك قلت : يهدي لمالا

(١) ابن جني في كتابه المحتسب ١٥/٢ .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ الإسراء الآية (٨) .

(٣) قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ حصيراً ﴾ محباً ، يقال : للسجن محصر وحصر ، وعن الحسن : بساطاً ، كما يسط الحصر ((المرمول)) أي المنسوج .

(٤) الجوهري في صحاحه ١٧١٣/٤ ، مادة (رمل) .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ الإسراء الآية ٩-١٠ .

يدخل تحت الوصف و الحصر كما ذكر في الكتاب ، ومما لم يذكر ، كقولك : جاء بعد اللّيا و التي قوله ((ويشتّر بالتخفيف)) حمزة و الكسائي (١) .

قوله ((وإنما (٢) حدث أصحاب المنزل بين المنزلتين بعد ذلك)) قيل : هذا من أبي حذيفة واصل بن عطاء (٣) . وقلت : هذا من جملة البدع المنهي عنها في قوله صلى الله عليه وسلم خير المهدي هدى محمد و شرّ الأمور محدثاتها و كل بدعة ضلالة أخرجه مسلم و الترمذي (٤) عن جابر .

قوله ((ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين (٥))) يعني هو عطف على قوله ﴿ يَهْدِي ﴾ أي ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون ، هذا أوجه من الأول وأحسن التاماً كأنه قيل : بشير للمؤمنين ونذير للكافرين . ويمكن أن يكون معطوفاً من حيث المعنى على قوله ﴿ ويشتّر المؤمنين ﴾ أي يشتّر المؤمنين وينذر الكافرين . وأما اتصال الآية بما قبلها ، فقد قال الإمام (٦) : [إنه قال : لما شرح ما فعله في حق عباده المخلصين ، وهو الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيتاء التوراة لموسى عليه السلام وما فعله في حق العصاة

(١) قرأ حمزة و الكسائي (يَشْتَر) بفتح الباء و سكون الباء الموحدة وحسم الشين مخففة أنظر الإتحاف ٢٨٢ وانظر آل عمران الآية ٣٩ ﴿ إن الله يمشرك ﴾ .

(٢) يشير إلى مذهب المعتزلة ، وهو أن الفسق عندهم يزيل الإيمان بعكس أهل السنة والجماعة .
(٣) واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي البصري الغزالي ، ولأوه لبني حبة . ولد سنة ثمانين بالمدينة المنورة ، وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال ، طرده الحسن البصري عن مجلسه ، لما قال : الفاسق لا مؤمن و لا كافر ، فانضم إليه عمرو واعتزلا حلقة الحسن فسموا المعتزلة . وكان خطيباً مفوها . سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥ و معجم الأدباء ٢٤٣/١٩ .

(٤) أخره مسلم في صحيحه ٥٩٢/٢ كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة من حديث جابر والنسائي ١٨٨/٣ كتاب الصلاة ، باب كيف الخطبة . وابن ماجه ١٦ / ١ المقدمة ، باب اجتناب البدع والجلد . وأحمد في المسند ٣١٠/٣ ، ٣١٩ . والدرامي ٨٠/١ في المقدمة رقم ٢٠٦ ولم أقف عليه في الترمذي ، ولا أحد أعزاه له غير الطيبي رحمه الله .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ أن لهم أجراً كبيراً ﴾ قال (ز) : على معنى : أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين : بشوابهم وبعقاب أعدائهم . ((ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين)) لا يؤمنون معذبون .

(٦) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٦٠/٢٠ .

والمتمردين ، وهو تسليط أنواع البلاء عليهم ، كان ذلك تنبيهاً على أن طاعة الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته توجب كل بلية وغرامة ، لا جرم قال : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ثم عطف عليه ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ الآية الجامع دليلاً السمع والعقل ، أو نعمتي الدين والدنيا ، وأما اتصال قوله ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ﴾ فهو أنه تعالى لما وصف القرآن حتى بلغ به الدرجة القصيا في الهداية أتى بذكر من أفرط في كفران هذه البغية الأسنى والنعمة العظمى ، قائلاً ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ (١) ، فظهر أن الذي ذهب إليه ابن عباس (٢) هو النضر بن الحارث (٣) هو المذهب .

قوله ((كما يدعوهم لهم)) (٤) أى يدعوهم لله لاجل نفسه وماله وأهله ، ففى الضمير تغليب . قال وجه النظم : أن الإنسان بعد إنزال الله عليه هذا القرآن واختصاصه بهذه النعمة الجسيمة والمكرمة العظيمة قد يعدل عن التمسك بشرائعه ، ويقدم على مالا فائدة فيه .

قوله ((دعاءه)) الأساس (٥) [دعوت فلانا وبفلان ناديته وصيحت به] .
قوله ((لا يستحق)) (٦) أى لا يستحقها يعنى اللعنة ((من أهلى)) بيان (من)
ورحمة مفعول ثانى (ليجعل) .

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢ .

(٢) قال (ز) : وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هو النضر بن الحارث . قال : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية ، فأجيب له ، فضربت عنقه صبراً .

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، قتل صبراً من أسارى بدر.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً ﴾ الاسراء الآية

(١١) قال (ز) أى ويدعوا الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله ((كما يدعوهم لهم بالخير))

(٥) الأساس ١٨٩ مادة (دعور)

(٦) يشير إلى قول ((ز)) أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً فأقبل يسئ بالليل ، فقالت له : مالك تن ؟ فشكا ألم (القد) فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب ، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم (اللهم اقطع يديها) فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة ، وأن يقطع الله يديها ، فقال صلى الله عليه وسلم (إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائى على من ((لا يستحق)) من أهلى رحمة ، لأننى بشر أغضب كما يغضب البشر فلتسرد سودة يديها . قال ابن حجر لم أجده من هذه الجهة وقد أخرجه الواقدي فى المغازى من رواية ذكوان عن عائشة رضى الله

قوله ((لأننى بشر أغضبُ كما يغضب البشر)) وروينا عن البخارى ومسلم^(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم (إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة) وزاد أحمد تقرّبه بها يوم القيامة .

قوله ((فضربت عنقه صبراً))^(٢) يقال : قتل فلان صبراً إذا حبس على القتل حتى قتل وقد مضت قصة النضر .

قوله ((محوّ الضوء مطموسه))^(٣) الراغب^(٤) [المحو إزالة الأثر ، ومنه قيل للشّمال محوة ، لأنها تمحو السحاب والأثر قال الله تعالى ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت ﴾^(٥)]

قوله ((فترى به الأشياء))^(٦) جواب لقوله ((لم يخلق له شعاعاً)) كقولك : ما تأتينا فتحدّثنا .

قوله ((وقد حقّقنا القول فيه في سورة النمل))^(٧) والمذكور فيها هو أنه كان

عنها وأن عائشة هي صاحبة القصة مع الأسير انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر مع الكشاف ٦٥١/٢ والزبلى في تخريج أحاديث الكشاف ٢٦٠ - ٢٦١

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٢٠٠٧/٤ كتاب البر والصلة والآداب ، باب من لعنه النبى صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه ، وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجر ورحمة ، وأحمد فى مسنده ، ٢/٤٣٣ ، ٣١٧ ، ٣٩٠ ، ٤٤٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، (٣) ٣٣ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، (٦) ٤٥ كلهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، والدرامى ٥٢/٢ كتاب الرقاق ، باب فى قول النبى صلى الله عليه وسلم أيما رجل لعنته ولم أجده فى البخارى

(٢) يعنى (النصر بن الحارث) كما سبق تفسير قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فضلناه تفصيلاً) الاسراء الآية (١٢)

(٣) تفسير (ز) لقوله (فمحونا آية الليل) قال : يريد الشمس والقمر ، فمحونا آية الليل أى جعلنا الليل ((محوّ الضوء مطموسه مظلماً)) لا يستبان فيه شئ

(٤) الراغب فى مفرداته ٤٦٤ مادة (محو) .

(٥) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٦) قال (ز) أو محونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعاً كشعاع الشمس فترى به

الأشياء.

(٧) عند قوله تعالى ﴿ قالوا اطيرنا بك وعن معك ﴾ الآية (٤٧) من سورة النمل .

الرجل يخرج مسافراً فيمرّ بطائر فيزجره قال فإن مرّ سايحاً^(١) تيمّن ، وإن مرّ بارحاً^(٢) تشاءم ، فلمّا نسبوا الخير والشرّ إلى الطائر ، استعير لما كان سببهما من قَدَرِ الله وقسمته ، ومن عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة و النعمة ، ومنه قالوا : طائر الله لا طائر ك ، أي قَدَر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشرّ لا طائر ك الذي تتشاءم به وتتيّمّن .

✱ قوله ((والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغلّ لا ينفك عنه^(٣))) ، قال الإمام^(٤) : [إنّما خصّ العنق من بين سائر الأعضاء ، لأن الذي يكون عليه إمّا أن يكون خيراً يزيّنه ، أو شراً يشينه ، وما يزيّن يكون كالطوق والحلي ، وما يشين فهو كالغلّ] واعلم أن هذا من أدلّ الدلائل على أن كلّ ما قدّره الله تعالى للإنسان وحكّم به في سابق علمه واجب الوقوع ممتنع العدم ، لأن قوله ﴿ ألزمناه ﴾ صريح في أن ذلك الإلزام الذي لا ينفك عنه صدر منه تعالى ، وأن كلّ ما حكم الله تعالى به في الأزل لابدّ أن يظهر أثره في الأبد ، ويؤيده ما روينا عن أبي داود والترمذي^(٥) عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب ، فقال : ياربّ وما أكتب ؟ ، قال : اكتب مقادير كلّ شيء حتى تقوم الساعة) .

قوله ((يلقاه^(٦) ، بالتشديد)) ابن عامر ، والباقون مخفّفاً والياء مفتوحة ، قيل : هو من لقيت الكتاب ، فإذا ضعفت ، قلت : لقانيه زيد ، فيتعلّى إلى مفعولين ،

(١) (السائح) ما ولّك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرها ممّا يمرّ من ميا سرك إلى ميامنك .

(٢) (والبارح) ما ولّك مياسره ، بأن يمرّ من ميامنك إلى مياسرك . انظر الصحاح للجوهري ٣٧٦/١ ، مادة (سنج) و ٣٥٦/١ ، مادة (برح) .

(٣) تفسير (ز) لقوله تعالى ﴿ ألزمناه طائره ﴾ ، يعني ((أن عمله لازم له)) إلخ .

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٦٨/٢٠ .

(٥) أخرجه أبو داود ٧٦/٤ كتاب السنة ، باب في القدر . والترمذي ٤٢٤/٥ كتاب التفسير ، من

سورة القلم . وأحمد في مسنده ٣١٧/٥ . والبيهقي في سننه ٢٠٤/١٠ . والطبراني في الكبير ٤٣٣/١١ .

(٦) قرأ أبو جعفر وابن عامر ﴿ كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ بضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف . وقرأ

الباقون ﴿ يلقاه ﴾ بفتح الياء وسكون اللام . المبسوط لابن مهران ٢٢٧ ، والإتحاف ٢٨٢ .

فإذا بنى للمفعول قام أحدهما مقام الفاعل وعليه قوله تعالى ﴿ وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ .

قوله ((بمعنى الكافي)) أي الحسيب تميز بمعنى الكافي الأساس^(١) [احتسبت بكذا اكتفيت به وأحتسبني كفاني] وعلاقة المجاز أن الكافي كما يكفي الشخص فما أهمه كذلك الشاهد يكفي المدعي ما أهمه .

قوله ((كضرب القداح)) الجوهرى^(٢) [الضريب الذي يضرب بالقداح وهو الموكل بها] والقدح بالكسر السهم قبل أن يُراش^(٣) ويركب نصله ، وقدح الميسر أيضا والجمع قداح] .

قوله ((و كأنه قيل : كفى بنفسك رجلا حسيبا)) يعني جرد من النفس رجلا شاهداً وهو ، هي^(٤) .

قوله ((يا ابن آدم^(٥) أنصفك و الله من جعلك حسيب نفسك)) وفي شرح السنة قال الحسن^(٦) في قوله تعالى : ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ لكل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله ، فإذا مات طويت ، وقلدها وإذا بعث نشرت له ، وقيل له : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ يا ابن آدم أنصفك من جعلك حسيب نفسك] .

(١) الأساس ٥٢ ، مادة (حسب) .

(٢) الجوهرى في صحاحه ١/١٦٩ ، مادة (ضرب) (وقدح) ١/٣٩٤ .

(٣) الجوهرى في صحاحه ٣/١٠٠٨ (رشت) السهم إذا ألزقت فيه الريش فهو مريش .

(٤) و (هو) أي الرجل ، و (هي) أي النفس .

(٥) يقول (ز) و كان الحسن إذا قرأها ، يعني هذه الآية قال : يابن آدم إلخ ...

(٦) الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، مولى الأنصار ، وأمه (خيرة)

مولاة (أم سلمة) ، ولد لستين بقينا من خلافة عمر رضي الله عنه ، ونشأ بوادي القرى ، وكان فصيحا ورعا زاهداً ، لا يسبق في وعظه ، ولا يدانى في مبلغ تأثيره على قلوب سامعيه ، توفي سنة ١١٠ . تهذيب

التهذيب ٢/٢٦٣ . وذكر البغوي في تفسيره كلام الحسن البصري هذا ٥/٨٢ .

قوله ((الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل ^(١))) ثم قوله بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر الانتصاف [هذا مذهب باطل اعتزالي ،

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنا مضلّ عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ الإسراء الآية ١٦ . قال (ز) عند تفسيره لقوله ﴿ نبعث رسولا ﴾ فنلزمهم الحجة . فإن قلت : ((الحجة لازمة لهم)) ، وهذا المذهب الاعتزالي والأشعري أيضاً ، وهو أن أول واجب على المكلف النظر في مخلوقات الله ، وهي التي تقوم بها الحجة على العبد ، وهي التي بها يعرف الله تعالى ، ولذا قال الزمخشري هنا : ((الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله ، وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه ، واستجابهم العذاب ، لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك ، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصلح إلا بعد الإيمان . وكلام الزمخشري هذا يفهم منه أن الإيمان بالله لا يتم إلا بالنظر والتفكير ، والحجة تقوم على الخلق بالنظر والتفكير في مخلوقات الله لا بالرسل ، وأن الرسل بعثوا لأئمتهم ، لأجل التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة ، لئلا يقولوا كنا غافلين عن النظر والتفكير فلو لا بعثت إلينا رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل . هذا مذهب المعتزلة الفاسد . وقال أحمد المقري في نظمه المسمى إضاءة الدجنة :

** أول واجب على المكلف	** إعماله للنظر المؤلف
** كي يستفيد من هدي الدليل	** معرفة المصور الجليل
** وتطمئن نفسه لما سلم	** من ورطة الجهل وللحق علم

إلى أن قال :

** فبان أن النظر الموصلاً ** أول واجب كما قد أصلاً

وعبر القرآن يردّ هذا المذهب الفاسد ، وأن الحجة لا تقوم على أحد من الخلق إلا بالرسل ، وأن الله لا يعذب أحداً من خلقه لافي الدنيا ولا في الآخرة حتى يبعث إليه رسولا ينذره ويحذره فيعصى ذلك الرسول ويستمرّ على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار ، قال تعالى في سورة النساء الآية ١٦٥ : ﴿ ولولا أن ننبئكم بالأخبار سراً لأفناءكم كلاً ﴾ وقال تعالى في سورة القصص الآية ٤٧ : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلنا رسولا إلىنا لفقدنا النجاة ﴾ وقال في سورة المؤمنون الآية ١٩ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الله وأطيعوا ربكم وأطيعوا الرسول وأطيعوا أصحابه ولولا ذلك لأفادى الله رسوله وللمؤمنين ولولا ذلك لأفادى الله رسوله وللمؤمنين ﴾ وقال تعالى في سورة الملك الآية ٨ : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ﴾ وقال تعالى في الزمر الآية ٧١ : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ وقال تعالى في سورة غافر الآية ٤٩ : ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا

ومذهب أهل السنة أنه لا حكم قبل الشرع ولا تكاليف إلا به ، ولا تجب الحجة إلا بالبعثة ، والآية دالة عليه ، فلا معنى لتحريفها . وقال محي السنة (١) : [وفي الآية دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل] وكذا عن الواحدي (٢) ، وقلت : يؤيده قوله تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٣) لأن البشارة والندارة إنما يكونان بالجنة والنار ، والعقل لا مجال له في إثباتهما . واعلم أن قوله تعالى ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ تأكيد لمعنى تلك الآية ، وأن كل مكلف مرهون بعمله ، وعمله كالقلادة في عنقه غير منفك عنه لا يفارقه ولا يتعدى إلى غيره (٤) ثم جاء ﴿ ولا تنزر وازرة وزر أخرى ﴾ تقريراً لهذا المعنى ، ومفهوم ذلك كله أنه تعالى يبين للمكلف ما عليه

فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ ، ونحو هذا كثير ، انظر أضواء البيان ٢/٤٢٩-٤٣١ . وما كتبت يتضح أن قول الزمخشري عند قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ فيلزمهم الحجة فإن قلت : الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله ، وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه ، واستجابهم العذاب لإغفائهم النظر فيما معيهم وكفرهم لذلك ، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف . والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان . قلت : يعني الزمخشري : بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة ، لئلا يقولوا : كنا غافلين ، فلولا بعثت إلينا رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل أ.هـ) فالعذاب لا يستحق عند الزمخشري إلا بترك النظر ، وأهل السنة والجماعة لا يستحق العذاب عندهم إلا لمن عصى الرسل ولم يتبع إنذارهم وإعذارهم ، كما هو واضح من الآيات التي أوردناها آنفاً مع العلم أن النظر في آيات الله الكونية مأثور به مطلوب من كل مؤمن كما قال تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ ونحوها ، وهو كثير في القرآن الأمر به ، فالإيمان بمخلوقات الله الدالة على وجوده لا تكفي وحدها ، وأنه لا بد من تصديق الرسل ، والحجة لا تقوم على الخلق إلا باتباعهم فيما جاءوا به من سائر التكاليف .

(١) محي السنة البغوي ٨٢/٥ .

(٢) الواحدي ١٠١/٣ .

(٣) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٤) وهذا المعنى الذي ذكر في هذه الآية من أن كل إنسان يجني ثمره عمله خيراً أو شراً ، جاء في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة فصلت الآية ٤٦ ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ وقوله تعالى في سورة الروم الآية ٤٤ ﴿ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون ﴾ وقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٠٤ ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ وقوله تعالى في سورة يونس .

وما له وما يحتاج إليه وما خلق لأجله إزالة للإعذار ثم أتى بقوله ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ تذييلاً لها وتقريراً لإزالة الإعذار .

قوله ((﴿ وإذا أردنا ﴾ وإذا أردنا وقت إهلاك قوم ^(١))) جعل الإرادة التي هي السبب في الإهلاك تابعة للذو الوقت . قال القاضي ^(٢) : [إذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق ، أمرنا بتنعيمها بالطاعة ^(٣) على لسان رسول بعثناه إليهم ، أو إذا دنا وقته المقدر ، كقولهم : إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدةً] .

قوله ((لأن حذف مالا دليل عليه غير جائز ^(٤))) يعني إذا كان لفعل متعلق غير مذكور ، فإن وجد في اللفظ ما يدل على ذلك المقدر ، وكان مناسباً له ، قيد المطلق به ، كقولك : أمرته فقام ، فإن قوله : فقام دل على أن المأمور به القيام ، وعلى هذا أمرناهم ففسقوا معناه أمرناهم بالفسق ففسقوا ، كما قدر ، وعلى هذا القياس يقال : في قولهم : أمرته بالعصيان فعصاني ، ولكنه لا يستقيم ، لأن الأمر والعصيان متقابلان من حيث التضاد ، وإليه الإشارة بقوله : ((ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به)) ، فإذا نزل في اللفظ ما يقيد به المطلق فيترك على إطلاقه ويجعل

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ النحل الآية (١٦) .

(٢) القاضي البضاوي في أنواره ، ١٩٨/٣ .

(٣) الظاهر أن الأمر هنا في قوله ﴿ أمرنا ﴾ هو الأمر الذي هو ضد النهي ، وأن متعلق الأمر محذوف لظهوره ، والمعنى ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ بطاعة الله وتوحيده ﴿ ففسقوا ﴾ أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم وعصوه وكذبوا رسله ﴿ فحق عليها القول ﴾ أي وجب عليها الوعيد . ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٢٨ ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ قاله ابن جرير ، وقيل : الأمر هنا الأمر الكوني القدري ، أي قدرنا عليهم ذلك وسخرناهم له ، كما في قوله في سورة القمر الآية ٥٠ ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ . وقيل : الأمر هنا بمعنى أكثرنا ، أي أكثرنا مترفيها ففسقوا فيها ، وهي لغة فصيحة ، انظر أضواء البيان ٤٤٢/٢ .

(٤) هذا إجابة لتساؤله ، أعني (ز) ، حيث قال : إن قلت : هلاً زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا ؟ قلت : ((لأن حذف مالا دليل عليه غير جائز ، إلخ)) .

تمثيلاً ، كما قال . فكانهم مأمورون بذلك . قال الإمام (١) : [ولقائل أن يقول : كما أن قوله : أمرته فعصاني ، يدلّ على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له ، فكذلك أمرته ففسق يدلّ على أن المأمور به شيء غير الفسق عبارة عن الإتيان بضدّ المأمور به ، فكونه فسقاً ينافي كونه مأموراً به . وهذا الكلام في غاية الظهور ، فلا أدري لم أصرّ صاحب الكشف على قوله !]

وقلت : هذا هو الحقّ لقوله تعالى ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٢) وتفسير المصنّف الفاسق ، هو الخارج عن أمر الله ، والمعنى أمرناهم على لسان الرسول بالأعمال الصالحة وهم خالفوا الأمر وأقدموا على الفسق ، فالآية من باب الطباق المعنوي (٣) ، قال صاحب الانتصاف (٤) : [قول الزمخشري حسن إلّا قوله : أنعم عليهم ليتكروا ، والحقّ أنهم خولوا النعمة وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا مخالفة للأمر لا للإرادة] .

قوله ((وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثرتنا ، قال ابن جنّي (٥) : [وكان أبو علي يستحسن قول الكسائي في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا ﴾ (٦) أي كثيراً من قوله تعالى ﴿ أَمَرْنَا مَتَرَفِيهَا ﴾ ومن قولهم : أمر الشيء ، إذا كثر ، ومنه قوله ((خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة (٧))) ، السكة : الطريقة المصطفة من النخل ، مأبورة :

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٧٤/٢٠ .

(٢) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٣) الطباق : الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام ، وهو نوعان : طباق الإيجاب ، وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً . وطباق السلب ، وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً . ويسمى أيضاً المطابقة والتضادّ . انظر التلخيص ٣٤٨ .

(٤) الانتصاف مع الزمخشري ٦٥٥/٢ .

(٥) المحتسب لابن جنّي ١٦/٢ .

(٦) سورة الكهف الآية ٧١ .

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ، ٤٦٨/٣ ، والطبراني في معجمه الكبير ١٠٧/٧ ، وتخرج أحاديث

الكشاف لابن حجر ٦٥٥/٢ ، ومجمع الزوائد ٢٥٨/٥ ، وانظر النهاية ١٣/١ ، والزيلعي ٢٦١/٢ .

مُلَقَّحَةً ، مأمورة : مُكَثِّرَةُ النَّسْلِ ، والأصل مُؤَمَّرَةٌ ، لأنه من أَمَرَهَا الله ، لكن أتبعها قوله مأبورة للسجع ، وأما قوله ﴿أمرنا مترفياً﴾ فممنقول من أمر القوم ، أي كثروا ، كَعَلِمَ و عِلِمْتُهُ وَسَلِمَ وَسَلَمْتُهُ . وروي عن المصنف أنه قال : ما عول من زعم أن أمرته بمعنى كثرته ، إلا على قوله ومهرة مأمورة ، وما هو إلا من الأمر الذي هو نقيض النهي ، وهو مجاز أيضاً كما في الآية ، لأن الله تعالى قال لها : كوني كثيرة النتائج ، فكانت ، فهي إذن مأمورة على ما تهبه .

قوله ((كثير به)) ، الجوهري (٣) : [التبار : الهلاك] .

قوله ((آمرنا من أمر)) الجوهري (٣) : [آمرته بالمدّ وأمرته لغتان بمعنى كثرته] .

قوله ((وآمرنا بمعنى آمرنا)) قال أبو البقاء (٤) : [ويقرأ بالتشديد والقصر أي جعلناهم أمراء ، وقيل : هو بمعنى الممدودة ، لأنه تارة يعدى بالهمزة وأخرى بالتضعيف ، واللازم منه أمر القوم ، أي كثروا .

قوله ((أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير)) (٥) وذلك من ترتب قوله ﴿كم أهلكنا﴾ على قوله تعالى ﴿خبيراً بصيراً﴾ أي خبيراً بذنوب العباد وبصيراً بها ، لما يعلم أن الذنوب نتائجها الكفر والكفران وتكذيب آيات الله . وقتل الأنبياء وغير ذلك ، قال الله تعالى ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا﴾ ، فصَحَّ قوله ((إن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير . والذي يدل على فظاعة شأنها قوله ﴿وكفى بربك﴾ .

(٢) الجوهري في صحاحه ، ٦٠٠/٢ ، مادة (تبر) .

(٣) الجوهري في صحاحه ٥٨١/٢ ، مادة (أمر) .

(٤) أبو البقاء في إملانه ٨٩/٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ ، الإسراء الآية ١٧ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ : ((على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير)) وأنه عالم بها ومعاقب عليها .

قوله ((من كانت العاجلة همّه ولم يرد غيرها^(١))) يدلّ على القيد معنى الإرادة، فإن الإرادة هي عقد القلب بالشيء وخلوص همّه فيه ، فإنما قال : كما لكفرة ((والفسقة))^(٢)، لأن الآية قوبلت^(٣) بها . قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن الكافر ينكر الأجل ، و الفاسق وإن لم ينكر فإنه^(٤) منهمك في الشهوات ، فكأنه معرض عن الآخرة، وفيه إيماء^(٥) إلى مذهبه^(٦) .

قوله ((فإن أو تى^(٧) فيها)) النهاية^(٨) [و في الحديث من توضأ للجمعة فيها و الباء متعلقة بفعل مضمراى فبهذه الخصلة و الفَعْلَةُ يعني الوضوء ينال الفضل] .

قوله ((لأن الضمير يرجع إلى (مَنْ) أي الضمير و الجور في قوله يرجع إلى (مَنْ) في قوله (مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ) و هو يقتضي العموم لان مريدى العاجلة لا حصر فيهم . وأما المعجل له فمحصورون .

قوله ((فلا فرق^(٩)) إذن بين القراءتين أي قراءة يشاء بالياء ، و الضميرين .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ الإسراء ، الآية ١٨-١٩ .

(٢) قال (ز) : من كانت العاجلة همّه ، ولم يرد غيرها كما لكفرة وأكثر الفسقة .

(٣) (و الما بلة) : أن يؤتي بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب ، مثل الآيتين هنا .

(٤) في ب (لكنه) بدل (فإنه) .

(٥) (الإيماء) الإشارة .

(٦) وهو أن الفاسق بين المنزلتين ، لا هو مؤمن ولا هو كافر .

(٧) قال (ز) المؤمن التقى قد اختار مراده وهو غنى الآخرة ، فما يبالي أوتى حظاً من الدنيا أو لم يؤت

((فإن أوتى فيها)) و إلا ربما كان الفقر خيراً له و أعون على مراده .

(٨) النهاية في غريب الحديث ٨٣/٥ .

(٩) يشر إلى قول (ز) : إن قوله ﴿يَسْعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ قرئ ﴿يَسْعَىٰ﴾ وقيل الضمير لله تعالى ((فلا فرق إذا بين

القراءتين)) في المعنى .

و القراءة المشهورة بالنون في كون المشيئة لله تعالى ، فدل النون على التعظيم ، والياء على التجريد ، كأنه قيل : ﴿ عجلنا له ما يشاء ﴾ (١) . من له المشيئة المطلقة وبيده أزيمة كل لأمر يفعل بمشيئته ما أراد لا يمنعه مانع .

قوله ((الدهماء)) الجوهرى (٢) [الدهم العدد الكثير] و دهماء الناس جماعتهم .

قوله ((يريد به الله)) ذلك الضمير للعبد و المشار إليه ما يشاء من الدنيا والجملة صفه لواحد .

قوله ((فمن كانت هجرته إلى الله الحديث مشهور أخرجه الأئمة (٣) وهو من باب قولهم : من أدرك الضمان فقد أدرك .

قوله ((مدحورا مطرودا)) الراغب (٤) [الدحر الطرد و الإبعاد ، يقال دحره دحورا قال تعالى ﴿ فيلقي في جهنم ملوما مدحوراً ﴾ (٥) وقال ﴿ ويقذفون من كل جانب دحورا ﴾ (٦) ولم يذكر الدحر في الصحاح .

(١) ما بين القوسين س من ب ، ا .

(٢) الجوهرى في صحاحه ١٩٢٤/٥ مادة (دهم)

(٣) قال (ز) في قوله تعالى ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ قيل : هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة ، كالمنافق والمراءى و المهاجر للدنيا ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((فمن كانت هجرته إلى الله)) ، أخرجه البخاري مع الفتح ٩/١ كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسلم في صحيحه ١٥١٥/٣ كتاب الإمامة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية إلخ ..) ، وأبو داود ٢٣٠/٢ كتاب الطلاق ، باب في ما عنى به الطلاق و النيات ، و الترمذي ١١/٣-١٢ كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء من يقاتل رياء وللدنيا ، و النسائي ٥٨/١ كتاب الطهارة ، باب في النية للوضوء ، و ابن ماجه ١٤١٣/٢ كتاب الزهد ، باب النية .

(٤) الراغب في مفرداته ١٦٥ مادة (دحر) .

(٥) سورة الإسراء الآية ٣٩ .

(٦) سورة الصافات الآية ٩ .

قوله ((ويتجافى عن (١) دار الغرور مُقْتَبَسٌ)) مما روى المفسرون (٢) أنه صلى الله عليه وسلم سئل ما علامة شرح الصدر قال : التجافى عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود .

قوله ((و السعي فيما كلف من الفعل و الترك)) استفاده من إقران الإيمان (٣) بالسعي ليكون على وزان قوله ﴿ الذين آمنوا و عملوا الصالحات ﴾ (٤) والظاهر أن المراد من قوله ﴿ وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾ السعي المختص بها وما ينسب (٥) إليها وعرف أن ذلك السعي ما هو ، وهو قمع الهوى وترك زينة الدنيا ومراقبة الأحوال بين يدي المولى ، كما قال تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (٦) ، وفي الألفاظ النبوية (ومن أراد الآخرة وترك زينة الدنيا) (٧) ، ولما كانت هذه الخصلة واسطة القلادة ، جعلت مقدمتها الإزادة ، وقاعدتها الاستقامة على الإيمان ، وبنى الجواب عليها . وقيل : ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ ، الراغب (٨) : [السعي المشي السريع ، وهو

(١) يشير إلى قول (ز) : في قوله تعالى ﴿ وسعى لها سعيها ﴾ قال : اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكوراً ، إرادة الآخرة ، بأن يعتقد بها همه ((ويتجافى عن دار الغرور)) إلخ ...
(٢) ذكره ، ابن كثير في تفسيره ، ٣ / ٣٢٨ و القرطبي ٢ / ١٠٤ ، ٧ / ٨١ و الدر المنثور ٣ / ٤٤ ، ٥ / ٣٢٥ و يدل له قوله تعالى في الزمر الآية ٢٢ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ الآية .

(٣) في ب (افتقار) الإيمان و هو الصواب .

(٤) سورة العصر الآية ٢ .

(٥) وما يناسب في (ب) .

(٦) سورة النازعات الآية ٤٠ .

(٧) جزء من حديث طويل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (استحيوا من الله حقّ الحياء ، قال : قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حقّ الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليتذكر الموت والبلى) (ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا) فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حقّ الحياء . أخرجه الترمذي ٤ / ٥٥٠ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٢٤ ، ثم قال : إنما نعرفه من هذا الوجه ، وأحمد في مسنده ، ١ / ٣٨٧ ، والطبراني في الكبير ، ١٠ / ١٨٨ .

(٨) الراغب في مفرداته ٢٣٣ ، مادة (سعى) .

دون العدو ، ويستعمل للجِدِّ في الأمر خيراً كان أو شراً . قال تعالى ﴿ وسعى في خرابها ﴾ (١) ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴿ (٢) ، وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة قال الشاعر (٣) :

** إن أجْزَ علقمة بن سعدٍ سَعْيُهُ ** لا أجْزُهُ بَيْلاءِ يومٍ واحدٍ **

وقال تعالى ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ أي أدرك ما سعى في طلبه وخصَّ السعي بالمساعاة بطلب المكرمة والسعاية بأخذ الصدقة وبكسب المكاتب ليعتق رقبتَه وبالنميمة والمساعاة بالفجور [.

قوله ((الآنف (٤))) الجوهرى (٥) : [الاستئناف الابتداء وكذلك الائتناف] .

قوله ((لأنها ثواب وأعواض وتفضل ، وكلها متقاربة)) (٦) ، الضمير في (أنها) مبهم يفسره ما بعده لقوله تعالى ﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا ﴾ (٧) ، قال هذا ضمير (٨) لا يعلم ما يعني به إلا ما يتلوه من بيانه إلى قوله : لأن الخير يدل عليها . ويجوز أن يكون المضاف محذوفاً ، أي أفعال الآخرة يعني أفعال الله في الآخرة مع العبد ثواب وأعواض وتفضل . وفي بعض الحواشي الوارد على أصولهم (٩) أفعال الله تعالى اليوم لا تخلو من صلاح وأصلح ولطف . وأفعاله غداً على سبيل الجزاء إما

(١) سورة البقرة الآية ١١٤ .

(٢) سورة النجم الآية ٣٩ .

(٣) البيت لفدكي بن أعبد ، وهو في البيان والتبيين للجاحظ ٢٣٣/٣ واللسان مادة (لم) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ الآية ٢٠ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ نُمدُّ ﴾ أي نزيدهم عن عطائنا ((ونجعل الآنف)) منه مردداً للسالف ، لا نقطعه .

(٥) الجوهرى في صحاحه ١٣٣٣/٤ ، مادة (أنف) .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ الآية ٢١ ، قال (ز) : جعلناهم متفاوتين في الفضل ، وفي الآخرة التفاوت أكبر ((لأنها ثواب وأعواض)) إلخ .

(٧) سورة الأنعام الآية ٢٩ .

(٨) في ب (خبر) بدل ضمير .

(٩) يعني أصول المعتزلة .

ثواب أو عوض أو تفضّل ، فالصلاح ضدّ الفساد . وكلّ ما عرى عن الفساد سمي صلاحاً ، وهو الفعل المتوجّه إلى الخير من قوام العالم ، وبقاء النوع عاجلاً ، والمؤدي إلى السعادة السرمدية آجلاً والأصلح ، وهو إذا كان صلاحاً أو خيراً ، وكان أحدهما أقرب إلى الخير المطلق فهو الأصلح ، واللفظ : هو وجه التيسير إلى الخير ، وهو الفعل الذي علم الربّ تعالى أن العبد يطيع عنده ، وليس في مقدور الله (١) لطف وفعل لو فعله لأمن الكفار . ثم الثواب هو الجزاء على أعمال الخير ، والعوض هو البذل عن الفائت كالسلامة التي هي بدل الألم ، والنعم التي هي في مقابلة البلاء والمحن والرزايا والفتن ، والتفضّل هو إيصال منفعة خالصة إلى الغير من غير استحقاق ، يستحقّ أي الله بذلك حمداً وثناءً ومدحاً وتعظيماً ، ووصف بأنه محسن مجمل ، وإن لم يفعله لم يستحقّ بذلك ملاماً وذمّاً .

قوله ((وروى أن قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه)) . وروى ابن عبد البر في الاستيعاب (٢) [عن الحسن حضر الناس بباب عمر رضي الله عنه ، وفيهم سهيل بن عمرو القرشي و كان أحد الأشراف في الجاهلية ، و أبو سفيان بن حرب و أولئك الشيوخ من قريش فأذن لصهيب وبلال و أهل بذر ، و كان يحبهم ، و كان قد أوصى بهم ، فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم قط إنه ليؤذن هؤلاء العبيد و نحن جلوس لا يلتفت إلينا فقال سهيل : و كان أعقلهم أيها القوم إني والله قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم دعي القوم و دعيتم و أسرعوا فأبطأتم أما والله مما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم موتاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه] و روى أيضاً (٣) أن الحارث بن هشام وسهلاً هذا دخلاً على عمر رضي الله عنهم مجلساً و هو بينهما فجعل المهاجرون الأولون يأتون فيقول : ههنا يا سهيل ههنا يا حارث فينحيهما عنه ، وجعل الأنصار يأتون فينحيهما حتّى صاروا في آخر الناس ، فلمّا خرجا قال الحارث :

(١) لم يتضح لي ما يعني به ، وهو غير مستقيم ، وواضح فيه الاعتزال .

(٢) الاستيعاب مع الإصابة ١١٠/٢ .

(٣) الاستيعاب مع الإصابة ١١١/٢ .

لسهيل ألم تر ما صنع بنا ؟ فقال سهيل : إنه الرجل لالوم عليه ، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا دعوي القوم فأسرعوا و دعينا فأبطأنا [تمامه ذكر في التوبة .

قوله ((جامعا على نفسك الذم و ما يتبعه من الهلاك من إهلك)) (١) يعني أن المشرك قد ذمه الله تعالى و من ذمه يهلك ، و ما يتبعه تفسير الذم . و الخذلان عطف على الذم ، و إنما دلّ على الجمع إيقاع (مذموما مخذولاً) خبرا بعد خبر لقوله (فتتعد) قال القاضي (٢) : [ومفهومه أن الموحّد يكون ممدوحاً منصوراً] .

قوله ((و قضى ربك)) (٣) ، و أمر أمراً مقطوعاً به)) ضمن قضى ، معنى الأمر ليكون جامعاً للمعنيين ، الأمر و القضاء الذي هو القطع ، و لذلك كان (أن) في قوله (أن لا تعبدوا) مفسرة ، و كأن النّهي في معنى الأمر أي اعبدوا ، ليناسب (٤) عطف (و أحسنوا) عليه و سبق في الأنعام عند قوله ﴿ لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و لا تقتلوا أولادكم .. ﴾ (٥) الآية ما يقرب من هذا العطف .

قوله ((أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً)) هذا على أن تكون (أن) موصولة لا مفسره ففيه لف و نشر (٦) .

قوله ((و هو فيمن قرأ يبلغان)) حمزة و الكسائي (٧) (إما يبلغان) بكسر النون و الألف قبلها ، والباقون بفتحها من غير ألف . قال أبو البقاء (٨) : ألف يبلغان

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتتعد مذموماً مخذولاً ﴾ الإسراء الآية ٢٢ .

(٢) القاضي البيضاوي ١٩٩/٣ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما و قل لهما قولاً كريماً ، و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ الإسراء الآية ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) (لتناسب) في ب .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

(٦) اللف و النشر : هو أن تلفّ شيئين ، ثم تأتي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يردّ إلى كل واحد منهما ماله ، تارة يأتي به مرتباً ، وتارة معكوساً ، و تارة مشوشاً . التعريفات للجرجاني ٢٤٧ .

(٧) قرأ حمزة و الكسائي و خلف (إما يبلغان عندك الكبر) بالألف و كسر النون مشددة و الباقون

﴿ إما يبلغن ﴾ بغير ألف و فتح النون مشددة أنظر المسبوط لابن مهران ٢٢٨ و الإتحاف ٢٨٢ .

(٨) أبو البقاء في إملاته ٩٠/٢ .

بالتشديد فاعل ﴿أحدهما أو كلاهما﴾ بدل منه ، وقال أبو علي : هو توكيد . ويجوز أن يكون ﴿أحدهما﴾ مرفوعاً لفعل محذوف ، أي إن بلغ أحدهما أو كلاهما . وفائدته التوكيد أيضاً . ويجوز أن تكون الألف حرفاً للثنية والفاعل ﴿أحدهما﴾ [قوله ((لو قيل^(١)))] إما يبلغان كلاهما ، كان ﴿كلاهما﴾ توكيداً (لا بدلاً) لأنه مثل قولك : جاءني الزيدان كلاهما ، فإن كلاهما توكيد باتفاق لأنه يدل على مادلّ عليه الزيدان ، فكذا يفهم من كلاهما ما يفهم من ضمير الأبوين . قال صاحب التقريب [وفيه نظر إذ جاز كونه تأكيداً . وقوله ((لو أريد توكيد الثنية ل قيل : كلاهما فحسب)) ممنوع ، وأنه إنما يلزم لو أريد التأكيد فحسب من غير تقدّم ذكر أحدهما ، وكأنه قال : إما يبلغان أحدهما أو يبلغان كلاهما ، والأول بدلّ ، والثاني تأكيد وقلت : كلام المصنّف مبنيّ على أن كلاهما عطف على أحدهما ، لا على التقديرين فإنه يعود^(٢) إلى عطف الجملة على الجملة ، والمقصود أحد الأمرين لا إفادة الشمول والإحاطة في أحدهما دون الآخر . وأيضاً لو أريد الشمول لم يقل أحدهما لكونه منافياً للشمول والإحاطة فإنه لدفع التجوز في إرادة الوحدة . وقال صاحب الفرائد : [لما كان أحدهما لم يصلح أن يكون توكيداً للثنية وهو ضمير يبلغان . وجب أن يكون بدلاً . والبدل في حكم تكرير العامل ، فلزم أن يكون التقدير : يبلغ أحدهما ، ولما كان ﴿كلاهما﴾ عطف على ﴿أحدهما﴾ انقطع عن الضمير فلم يمكن أن يكون مؤكداً له ، لأنه فاعل فعل آخر ، والمؤكد لافعل له إلا الفعل المذكور] .

قوله ((وقرئ^(٣) أف^(٤))) بالحركات الثلاث نافع وحفص بالتثنية وكسر

(١) قال (ز) : فإن قلت : ((لو قيل : إما يبلغان إلخ قلت : لأنه معطوف على مالا يصح أن يكون توكيداً للثنتين فانتظم في حكمه ، فوجب أن يكون مثله .

(٢) في ب (على)

(٣) قرأ أبو جعفر ، ونافع وحفص عن عاصم ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ منونة مكسورة الفاء وكذلك في الأنبياء الآية ٦٧ والأحقاف الآية ١٧ . وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿ أف ﴾ بفتح الفاء في جميعها . وقرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحزمة والكسائي وخلف ﴿ أف ﴾ مكسورة الفاء غير منونة . انظر الميسوط لابن مهران ٢٢٨ والإتحاف ٢٨٣

الفاء وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين وقال ابن جني (١) : [قرأ أبو الشمال (٢) أَفٌ] مضمومة غير منونة ، وقرأ ابن عباس أَفٌ خفيفة وقال هرون النحوي (٣) ويقرأ أَفٌ بالتنوين ، ولو قرئت أَفًا لجاز ، ولكن ليس في الكتاب أَلِفٌ . وقال ابن جني فيها ثمانى لغات أَفٍ وَأَفٍ وَأَفٌ وَأَفًا وَأَفٌ وَأَفٌ وَأَفَى مَمَالٌ وَأَفٌ خفيفة ساكنة [وأما قوله ((والتشديد كشم)) فمعناه أنه على وزنه . وقال أبو البقاء (٤) : [فمن كسر بناءه على الأصل لأنه اسم فعل ومعناه التضجر والكراهة أى لا تقل لهما كُفًا أو اترُكَا . وقيل : هى اسم للجملية الخبرية أى كرهت أو ضجرت من مداراتكما ومن فَتَحَ طَلَبَ التخفيف مثل رب ، ومن ضم أتبع ومن نَوَّنَ أراد التكثير ومن لم ينون أراد التعريف ، ومن خَفَفَ الفاء حَذَفَ أحد المثلين تخفيفا] وقال ابن جني (٥) : [وكان القياس إذا خَفَفْتَ أن يسكن آخرها ، لأنه لم يلتق فيها ساكنان فتحرك لكنهم اتقوا الحركة مع التخفيف أمانة ودلالة على أنها قد كانت مثقلة مفتوحة] الراغب (٦) : [أصل الأَفَ كل مستقْدَرٍ من وسخ وقلامه ظفرو ونحوهما ويقال ذلك لكل مستخف به استقذاراً له نحو ﴿ أَفٍ لَكُمْ ولما تعبدون من دون الله ﴾ (٧) وقد أَفَفْتُ لكذا ، إذا قلت ذلك استقذاراً له ، و منه قيل للضجر من استقذار شيء : أَفَفَ فلان] .

قوله ((هو أن يكبرا ويعجزا)) (٨) يعنى معنى (عندك) ههنا كناية عن العجز و عن كونهما كلاً على ولدهما .

(١) ابن جنى في كتابه المختص ١٨ / ٢

(٢) أبو الشمال في النسخين أ ، ب وهو خطأ والصواب أبو الشمال بالسين . انظر المختص ١٨ / ٢ . وأبو الشمال هو العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذة عن العامة، واسمه قعب . انظر القاموس ٣٩٧ / ٣ وطبقات القراء لابن الجوزي ٢٧ / ٢ والتعليق على المختص لابن جنى ٥٤ / ١

(٣) هرون بن موسى بن شريك القارئى النحوى أبو عبد الله التغلبى ، يعرف بالأخفش، من أهل دمشق ولد سنة ٢٠١ وقرأ بقراآت كثيرة ، وروايات غريبة ، فيما بالقراآت السبع ، والتفسير والنحو انظر طبقات المفسرين للداودى ٣٤٨ / ٢ ومعجم الأدباء ٢٣٥ / ٧ وطبقات القراء لابن الجوزى ٣٤٧ / ٢ وانظر مختصر شواذ القراآت لابن خالیه ٧٦ .

(٤) أبو البقاء في إملاته ٩٠ / ٢ .

(٥) ابن جنى في المختص ١٨ / ٢ مادة (أف) .

(٦) الراغب في مفرداته ١٩ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٦٧ .

(٨) تفسير (ز) لقوله تعالى ﴿ عندك ﴾ .

قوله ((الدعار (١)) الجوهر (٢)) : [الدعارة الفسق و الخبث يقال : هو خبيث دَاعِرٌ بَيْنَ الدَّعَارَةِ] .

قوله ((نَحْلَنِي أَبُو بَكْرٍ كَذَا (٣)) تمامه : ما ذكر في النسائي من حديث أبي بكر رضي الله عنه : و إني كنت نَحْلَتُكَ جَاد (٤) عشرين و سقا الغابة (٥) .

قوله ((وقرىء (جناح الذَّلِّ (٦) و الذَّلُّ بالضم و الكسر بالضم السبعة والكسر قرأه ابن عباس و عروة بن الزبير قال ابن جني (٧) : [الذَّلُّ بالكسر في الدابة ضد الصعوبة و بالضم للإنسان ، و هو ضِدُّ العِزِّ كأنهم إنما فَرَّقُوا لأن ما يلحق الإنسان أكثر قدرا مما يلحق الدابة فاختاروا الضمة لقوتها للإنسان ، و الكسرة لضعفها للدابة و لا يستنكر مثل هذا و لا تب (٨) عنه فإنه من عَرَفَ أنس ، و من جهل استوحش] و في قول المصنف جناحك الذليل أو الذلول لحة من هذا المعني .

قوله ((جعل لبيد (٩) للشمال يداً و للعزة زماماً مبالغة)) ، يعني في قوله :

(١) تفسير (ز) لقوله تعالى ﴿وَقُلْ لِّمَا قَوْلَا كَرِيمًا﴾ هو أن يقول هما : يا أبتاه يا أمتاه كما قال إبراهيم لأبيه : (يا أبت) مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما، فإنه من الجفاء و سوء الأدب ((و عادة الدعار)).

(٢) الجوهر في صحاحه ٦٥٨/٢ مادة (دعر) .

(٣) يشير إلى قول (ز) لا بأس (بذكر اسم الأب) في غير وجهه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها ((نحلي أبو بكر كذا)) و الحديث أخرجه مالك في الموطأ ٧٥٢/٢ كتاب الأقضية ، باب ما يجوز من النحل ، (أي العطاء) .

(٤) (الجاد) بمعنى الجلود أي نَحْلُ يجذ منه ما يبلغ عشرين وسقا من التمر ، والوسق مكيال معروف النهاية ٢٤٤ / ١ .

(٥) (الغابة) موضع شمال المدينة ويبعد عنها بریدا قرب أحد شمالا من وادي الخليل ، المعجم الجغرافي

٢٢٣

(٦) ذكر هذه القراءة ابن جني في كتابه المختص ١٨/٢ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) نبا الشيء ينبو أي تجافى و تباعد ، و نبا البصر عن الشيء ارتفع الجوهر ٢٥٠٠/٥ .

(٩) لبيد بن ربيعة مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية من عالية نجد ، أدرك الإسلام و وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، و يعد من الصحابة ، ترك الشعر لما سمع القرآن وبلاغته، و لم يقل بعد إسلامه إلا بيتا أو بيتين ، و هو أحد أصحاب المعلقات و كان كريما جوادا . مات سنة إحدى و أربعين . الشعر و الشعراء ١٢٣ و الإصابة ٣٢٤/٣ .

**** وغداة ريح قد كَشَفَتْ وَقَرَّةً **** إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ******

شَبَّه الشمال بالإنسان ، ثم خيل أنها إنسان بعينه ، ثم أضيف إليه على سبيل الاستعارة التخيلية (١) ما يلزم الإنسان عند التصرف وهو اليد قائلاً بيد الشمال وحكم الزمام مع القرة حكم اليد مع الشمال ، كذا ههنا شَبَّه الذَّلَّ بالطائر ثم أثبت له ما يلزم الطائر عند انحطاطه وانخفاضه من الجناح . وعلى الأول خفض الجناح كناية عن التواضع ، وكان في الأصل استعارة تمثيلية شَبَّه ما يتصور من الإنسان في حال التواضع من الانخفاض ، بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجَوِّ ، ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن مجرد التواضع ، ثم أضيف إلى الذَّلَّ تميمًا لإرادة التواضع (٢) ، الراغب (٣) ، [الجناح جناح الطائر ، يقال : جناح الطائر ، إذا كسر جناحه ، وسمي جانباً الشيء جناحيه ، كجناحي العسكر والسفينة والوادي . وقال تعالى ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ أي جانبك ، وقوله : ﴿ إليك جناحك ﴾ عبارة عن اليد لِكَوْنِ الجناح كاليد . وقوله ﴿ واخفض لهما جناح الذَّلَّ ﴾ استعارة ، وذلك أن الذَّلَّ ضربان ، ضرب يضع الإنسان ، وضرب يرفعه ، وقُصِدَ في هذا المكان إلى ما يرفعه ، فكأنه قيل : استعمل الذَّلَّ الذي يرفعه عند الله تعالى من أجل اكتسابك الرحمة أو من أجل رحمتك لهما . وَجَنَحَ الليل ، إذا أظلم بظلامه ، والجَنَحُ

(١) الاستعارة التخيلية : هي إضافة لازم المشبَّه به إلى المشبَّه ، التعريفات ٣٦' .

(٢) وانظر حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البضاوي فما فيها أوضح ٢١٩/٣ .

(٣) الراغب في مفرداته ١٠٠ ، مادة (جناح) .

(٤) ويقول شيخنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله رحمة واسعة في كتابه المسمى (منع جواز المجاز في المنزَّل للتعبد والإعجاز) ، ومعلوم أنه رحمه الله لا يقول بالمجاز في القرآن ، قال : ما نصَّه عند قوله تعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذَّلَّ ﴾ أن الجناح هنا مستعمل في حقيقته ، لأن الجناح يطلق لغة حقيقة على يد الإنسان وعضده وإبطه ، قال تعالى ﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب ﴾ والخفض مستعمل في معناه الحقيقي الذي هو ضدُّ الرفع ، لأن مريد البطش يرفع جناحيه ، ومظهر الذَّلَّ والتواضع يخفض جناحيه ، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما ، والتواضع لهما ، كما قال لبيبة صلى الله عليه وسلم ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ إلى أن قال : فيكون المعنى : واخفض لهما الجناح الدليل من الرحمة ، أو الذلول على قراءة الذَّلَّ بالكسر ، انظر أضواء البيان ٣٨٥/٦ ، وفيه زيادة بيان تركناها خوف الإطالة .

قطعة من الليل مظلمة ، وجنحت السفينة إذا مالت إلى أحد جانبيها ، وسمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحا ، ثم سمي كل إثم جناحا ، وجوانح الصدر الأضلاع المتصلة رؤوسها في وسط الزور ، الواحدة جانحة ، وذلك لما فيها من الميل [.

قوله ((مبالغة في التذلل والتواضع لهما)) أي للوالدين .

قوله ((﴿ من الرحمة ﴾ من فرط رحمتك لهما)) ، جعل (من) في ﴿ من الرحمة ﴾ ابتدائية لا بيانية ، إذ لو بين الجناح بها لرجعت الاستعارة إلى التشبيه التجريدي ، كقوله تعالى ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ (١) ، قال أبو البقاء (٢) : [من أجل رفك بهما ف (من) متعلقة بـ (اخفض) ، ويجوز أن تكون حالا من جناح] وقال صاحب الفرائد : [التواضع والتذلل ربما يكونان لأمر آخر لا للرحمة والعطف ، فقوله ﴿ من الرحمة ﴾ معناه من أجل الرحمة ، يعني ينبغي أن لا يكون ذلك التذلل للخوف أو لأمر آخر] .

قوله ((وادع الله بأن يرحمهما رحمة الباقية ، واجعل ذلك جزاء لرحمتها عليك في صغرك وتربيتهما لك)) هذا المعنى يعطيه معنى (٣) كاف التشبيه . قال أبو البقاء (٤) : [(كما) نعت مصدر محذوف ، أي برحمة مثل رحمتها لي] ، وقال القاضي (٥) : [ارحمهما رحمة مثل رحمتها علي وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري وفاءً بوعدك للراحمين] ، وقلت : (ما) في (كما) مصدرية ، والوقت فيه مقدر ، أي ارحمهما في وقت أخوج ما يكونان إلى الرحمة من جميع الأوقات ، كوقت رحمتها علي وأنا في حالة الصغر كَلِّحْ علي وضم (٦) وليس ذلك إلا في القيامة ، والرحمة هي

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٢) أبو البقاء في إملانه ٩٠/٢ .

(٣) (معنى) س من ب .

(٤) أبو البقاء في إملانه ٩٠/٢ .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢٠٠/٣ .

(٦) قوله (كلحم علي وضم) كناية عن شدة الضعف وقلة الحيلة ، مثل لحم علي وضم ، والوضم

كل شيء يجعل عليه اللحم من خشب أو غيره ، يوقى به من الأرض . الصحاح للجوهري ٢٠٥٣/٥ .

الجنة ، ولهذا قال : رحمته الباقية . هذا هو التحقيق . ونقل صاحب اللباب عن بعضهم (١) : [إن الكاف في (كما) ريباني ، لتأكيد الوجود] . وذكر الشارح في توجيهه أنه ليس الكاف فيه للقرآن في الوقوع ، كما في قولك : كما حضر زيد قائم عمر ، ولأن التربية من الوالدين واقعة والرحمة لهما مطلوب الوقوع لأنها مذكورة بصيغة الأمر في ﴿ رَبِّ اَرْحَمْهُمَا ﴾ ، فالكاف ليس للمقاربة في الوقوع ، بل لتأكيد وجود الرحمة أي أوجد رحمتهم إيجاباً مؤكداً محققاً كما أوجد الوالدان التربية (٢) إيجاباً محققاً في الزمان الماضي .

قوله ((فقال كل ذلك واصل إليه (٣))) يعني لا تسأل عن الصدقة وحدها ، فإن كلاً مما تُعَوِّف من الميراث واصل إليه .

قوله ((لأمركم به في الأبوين)) أي المأمور به الاستغفار . وفي الآية المأمور به الاسترحام لقوله ﴿ قُلْ رَبِّ اَرْحَمْهُمَا ﴾ لأن الاسترحام بمعنى الاستغفار .

قوله ((ولا شيء أنفع من الاستغفار (٤))) يؤيده ما روينا عن أبي داود وابن ماجه (٥) عن أبي أسيد الساعدي قال : (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال : هل بقي من برّ والدي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟

(١) صاحب اللباب في شرح الكتاب للميداني أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٥١٨ هـ ، واللباب طبع بتحقيق وضبط محمود أمين النواوي .

(٢) وقد أمر الله جلّ وعلا في غير ما آية من كتابه ببرّ الوالدين والرحمة والرأفة بهما ، وقرنه بعبادته تأكيداً عليهما ، فقال في سورة النساء الآية ٣٦ ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ وقال في سورة البقرة الآية ٨٣ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ وقال في سورة لقمان الآية ١٤ ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ ، وحثّ الله جلّ وعلا على برّ الوالدين والإحسان عليهما ، وإن كانا كافرين ، قال تعالى في سورة العنكبوت الآية ٨ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَناً وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ وقال في سورة لقمان الآية ١٥ ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ .

(٣) يشير (ز) إلى قول ابن عيينة حين سئل عن الصدقة عن الميت فقال : ((كل ذلك واصل إليه)) .

(٤) قال (ز) ولا شيء أنفع له من الاستغفار ، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين .

(٥) أخرجه أبوداود ٣٥٢/٥ كتاب الأدب ، باب في برّ الوالدين برقم ٥١٤٢ ، وابن ماجه في

الأدب ، باب صِلْ مَنْ كَانَ أَبُوكَ يَصِلُ ، برقم ٣٦٦٤ .

قال : نعم ، الصلاة عليهما (١) والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقيهما) .

قوله ((رضى الله في رضى الوالدين (٢))) عن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد) أخرجه الترمذي .

قوله ((وروي يَفْعَلُ الْبَارَ (٣))) ، إن روي بضم اللام يكون خبراً في معنى الطلب ، كقوله تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتِ يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ (٤) ، وإن روي بكسرهما ، يكون من قبيل محمد تفد نفسك كل نفس ، أي لتفد .

قوله ((أنت ومالك لأبيك (٥))) روى أبو داود عن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال : يا رسول الله إن لي مالا وولداً ، وإن والدي يحتاج مالي ، قال : (أنت ومالك لأبيك) ، النهاية (٦) : [يحتاج مالي أي يستأصله ، ويأتي عليه أخذاً وإنفاقاً ، والاجتياح من الجائحة ، وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها] .

(١) الصلاة عليهما ، المراد الدعاء لهما .

(٢) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم ((رضى الله في رضى الوالدين)) ، أخرجه الترمذي ٢٧٤/٤ كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الفضل في رضى الوالدين رقم ١٨٩٩ ، وشرح السنة للبغوي ١٢/١٣ ، وابن حبان في الإحسان ١٧٢/٢ ، والحاكم في المستدرک ١٥٥/٤ وصححه ، وابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٦٥٨/٢ ، والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف أيضاً ٢٦٤/٢ .

(٣) روي يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ، ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل ، فلن يدخل الجنة ، أخرجه ابن حجر في أحاديث الكشاف ٦٥٩/٢ وقال : أخرجه الثعلبي ، قال : وفي سنده كذاب .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(٥) أخرجه أبو داود ٨٠١/٣ كتاب البيوع والإيجارات ، باب في الرجل يأكل من مال ولده ، وابن ماجه برقم ٢٢٩١ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٢٣٠/٢ ، وأحمد في مسنده ٢١٤/٢ ، وهو صحيح ، انظر ارواء الغليل ٣٢٣/٣ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣١١/١ .

قوله ((ولو طلقة ^(١))) النهاية ^(٢)] وفي حديث ابن عمر أن رجلا حجَّ بأَمِّه فحملها على عاتقه فسأله هل قضى حقها؟ قال : لا ، و لا طلقة واحدا . الطلقة وَجَعُ الولادة . و الطلقة المرة الواحدة] .

✽ قوله ((لا تدع ^(٣))) الذعر الفزع .

قوله ((و لو زفرة واحدة)) الأساس ^(٤) ، على ظهره زَفَرَ من الأزفار حِمْلٌ ثقيل يزفر منه وقد زَفَرَه يَزْفِرُه حملة .

قوله ((إن من أبرِّ البرِّ الحديث ^(٥))) من رواية مسلم و الترمذي و ابي داود عن ابن عمر ، و قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أبرِّ البرِّ صلة الرجل أهل وِدَّ أبيه بعد أن تَوَلَّى) .

(١) يشير إلى قول (ز) أن النبي صلى الله عليه وسلم شكَا إليه رجل سوء خلق أمه ، فقال : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها و أظمأت نهارها ؟ قال : لقد جازيتها . قال : ما فعلت ؟ قال : حبججت بها على عاتقي . قال : ما جزيتها ((و لو طلقة)) . لم أفف على من خرجه . و هكذا قال الخافض ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٦٥٨/٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٣٥/٣ - ١٣٦ .

(٣) قول (ز) ((لا تدع)) يشير إلى قول عبد الله بن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ، ويقول :

** إِنِّي لَهَا مَطِيَّةٌ ((لا تُدْعَرُ)) ** إذا الرِّكَّابُ نَفَرَتْ لا تنفر **

** مَا حَمَلْتُ وَأَرْضَعْتُني أَكْثَرَ ** الله رَبِّي ذُو الْجَلَالِ الْأَكْبَرِ **

تظنني جازيتها يا ابن عمر ، قال : لا و لو زفرة واحدة . قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف قال : أخرجه ابن المبارك في البرِّ و الصلة ، و البيهقي في الشعب و البخاري في الأدب المفرد ٦٢/١ باب جزاء الوالد بن .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ٢٧١ مادة (زفر) .

(٥) أخرجه مسلم ١٩٧٩/٤ كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب فضل صلة أصدقاء الأب و شرح السنة للبغوي ٣٣/١٣ باب بر أم الرضاع . و أبو داود ٣٥٣/٥ كتاب الأدب ، باب في برِّ الوالدين رقم ٥١٤٣ . و الترمذي ٢٧٦/٤ كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد رقم ١٩٠٣ . و أحمد في مسنده ، ٨٨/٢ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١١ .

قوله ((من قصد البر)) (١) بيان لما في ضمنا تركم ، وإنما خصه ببر الوالدين ، وهو عام لما سبق من التوصية بهما . وفصل قوله : ﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَم ﴾ عما [قبله للاستيناف (٢) على سبيل التعليل ، أى أحسنوا إليهما ، لأن ربكم أعلم بما في نفوسكم] من قصد البر فلا تقصروا فيه ، وأبدلوا جهدكم وطاقتكم ، فإنه يجازيكم على إحسانكم ، ثم أتجه لهم أن يقولوا : نحن بشر ربما تفرط (٣) منا فرطات وسبق هنات من غير اختيار منا في بعض الأوقات ، فكيف يكون حالنا ؟ ، فقل (إن تكونوا صالحين) أى قاصدين الصلاح فإن الله غفور بكم . ولما كان قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَابِينَ غَفُورًا ﴾ جزاء لقوله ﴿ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾ ولم يستقم بظاهره أن يكون مسبباً عنه ، لأن الغفران يستدعى (٤) الذنب لا جرم قدرما يقتضيه المقام من قوله : ((ثم فرطت (٥) منكم)) إلى قوله ((ثم تبتم إلى الله واستغفرتم منها)) . قوله ((هنة)) (٦) الجوهرى (٧) [في فلان هنات أى خصلات شر ولا يقال ذلك في الخير] .

قوله ((هي البادرة)) (٨) الجوهرى (٩) [هي الحلة] الراغب (١٠) [يعبر عن

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَم ﴾ بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ﴿ الإسراء الآية ٢٥ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ بما في نفوسكم ﴾ أى بما في ضمنا تركم ((من قصد البر)) إلى الوالدين

(٢) ما بين القوسين س من ب

(٣) (تفرط) الجوهرى ١١٤٨ / ٣ فرط في الأمر يفرط فرطاً أى قصر فيه ، وفرط عليه أى عجل

وعدا

(٤) (يستدعى عن الذنب) ب

(٥) يقول (ز) فى تفسير قوله تعالى ﴿ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾ أى قاصدين الصلاح والبر ((ثم فرطت منكم فى حال الغضب ، وعند حرج الصدر ، وما لا يخلو منه البشر ، أو حمية الإسلام هنة تؤدى إلى أذاهم)) ثم أنتم إلى الله واستغفرتم منها ، فإن الله غفور رحيم ((

(٦) الجوهرى فى صحاحه ٢٥٣٧ / ٦ ، مادة (هـو)

(٧) تفسير (ز) لقوله ﴿ لِلأَوَابِينَ ﴾ أى للتوابين . وعن سعيد بن جبیر ((هى فى البادرة)) تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير .

(٨) الجوهرى فى صحاحه ٥٨٧ / ٢ ، مادة (بدر) .

(٩) الراغب فى مفرداته ٣٨ ، مادة (بدر) .

الخطأ الذى يقع عن حِدَّة بادرٍ ، يقال : كانت من فلان بواذر فى هذا الأمر [.
قوله ((للأوابين)) التوابين ، الراغب (١) : [الأوب ضرب من الرجوع ولا
يقال إلا فى الحيوان الذى له إرادة و الرجوع عام ، والأواب كالتواب وهو الراجع
إلى الله تعالى من المعاصي و فعل الطاعات ، ومنه قيل : للتوبة أوبة] .

قوله ((كلما أذنب)) (٢) صفة للرجل لإرادة الحقيقة منه .

قوله ((ويجوز أن يكون هذا عاما)) عطف على قوله ((فرطت أى فرطت
هنة تؤدى إلى أذاهما)) وفرت بقوله ((هى البادرة)) تكون من الرجل إلى أبيه .
قوله ((وصى بغير (٣) الوالدين)) الأساس (٤) : [وصيتك بفلان أن تبره ،
ووصى الشئ بالشئ ووصله له] .

قوله ((وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين)) بعد قوله وصى بغير الوالدين من
الأقارب يوهم التناقض ، وكذلك قوله ((وإن كانوا مياسير فحقهم صلتهم بالمودة
مخالف لقوله)) وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوى القربى من الحق هو تعهدهم
بالمال)) ويمكن أن يقال إن ذا القربى مطلق شائع فيمن يوجد فيه معنى القرابة من
الوالدين والولد و غيرهم ، فقيّد بغير الوالدين ، بعطف هذه التوصية على التوصية
بالوالدين ، وهو المراد بقوله ((وصى بغير الوالدين)) بعد التوصية بهما . وأما قوله
((وأن تؤتوا حقهم)) فعطف على مجموع قوله بغير الوالدين من الأقارب بعد
التوصية بهما [وأما قوله ((وحقهم)) (٥) فالضمير فيه راجع إلى الأبوين وبذى
القربى ، ولذلك حقه مطلق شائع] فيما يجب فيه مراعاة حق الأقرباء من النفقة ،

(١) الراغب فى مفرداته ٣٠ ، مادة (أوب)

(٢) قال (ز) : وعن سعيد بن المسيب : الأواب الرجل ((كلما أذنب)) بادر بالتوبة .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين

كانوا إخوان الشياطين و كان الشيطان لربه كفورا ﴿ ٢٦/٢٧ ﴾ ، قال (ز) فى قوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى
حقه ﴾ ((وصى بغير الوالدين)) من الأقارب .

(٤) الأساس للزمخشري ٦٧٩ ، مادة (وصى) .

(٥) ما بين القوسين س من أ ، م .

والزكاة والمودة وحسن المعاشرة ، فيقيد أيضاً بالزكاة لعطف ﴿ و المسكين وابن السبيل ﴾ على ذي القربى ، وهو الذى عنى بقوله ((وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل)) إلى آخره قال الإمام (١) : [آت ذا القربى مجمل و ليس فيه أن ذلك الحق ما هو ؟] . و عند الشافعي (٢) رضي الله عنه لا يجب الإنفاق إلا على الوالد والولد بقدر الحاجة ، واتفقوا على أن من لم يكن من المحارم كأبناء العم ، لا حق لهم إلا المودة وحسن المعاشرة . وأما المسكين و ابن السبيل فقد تقدم حكمها فى سورة التوبة وقلت : ويمكن أن يترك ذا القربى وحقه على إطلاقهما ويحمل ﴿ وآت ﴾ على عموم المجاز لتكون الآية من الجوامع ، فيدخل فيه الإنفاق على الوالدين و برهما فيها دخولا أولياً والله أعلم .

(١) الإمام الفخر الرازي ١٩٣/ ٢٠ .

(٢) ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن النفقة لا تجب إلا على الوالدين والأولاد إذ كان المنفوق عليه منهما معسراً ، أما من كان موسراً منهما فلا تجب النفقة له ، بشرط أن يكون فاضلاً عن نفقته ، ونفقة زوجته وولده بالنسبة للولد ، ولا يشترط الإسلام فى كل منها . ولا العجز عن الكسب . والحنابلة مثل الشافعية ، إلا أنهم يشترطون أن يكون المنفق وارثاً للمنفق بفرض أو تعصيب إن كانا من غير عمود النسب . أما عمود النسب فإنها تجب ولو لم يرث . والمالكية مثل الشافعية ، إلا أنهم يشترطون الحرية وعدم القدرة على الكسب والولد لا يجبر على الكسب للانفاق على الوالدين . وكذلك الآباء . والحنفية قالوا : نفقة الآباء واجبة على أبنائهم وإن علوا ، بشرط الإعسار ، ولا يلزم الأب بالتكسب ، كما يلزم الابن ، وتقدم الأم فى حال عجز الابن عن الأبوين . انظر كتاب المذاهب الأربعة ٤/ ٥٩١ ، ٥٩٢ . والمغني لابن قدامة ١١ / ٣٧٢ ، ٣٧٧ . وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/ ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

قوله ((و فقراء عاجزين)) عطف على محارم ، و أن ينفق عليهم خبر حَقَّهم .
قوله ((و إن كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم فحقَّهم الجملة معطوفة على
قوله و حقَّهم إذا كانوا محارم إلى آخره .

قوله ((أراد بذى القربي أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم)) قال
الإمام (١) : [و آت خطاب مع من فيه قولان : أحدهما أنه خطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم فأمر أن يؤتى أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفياء (٢) و الغنيمة ،
و أوجب عليه أيضاً إخراج حق المساكين و أبناء السبيل من هذين المالين . و ثانيهما :
أنه خطاب للكلّ للدلالة عطفه على قوله ﴿ و قضى ربك ألا تعبدوا ﴾ .

قوله ((التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي (٣))) الراغب (٤) [و أصله إلقاء
البذر و طرحه فاستعير لكل مضيع لماله ، فتبذير البذر تضييع في الظاهر لمن لم يعرف
مآل ما يلقيه قال تعالى ﴿ لا تبذر تبذيرا ﴾] .

قوله ((مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد و هو يتوضأ (٥))) الحديث
مخرج في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهم .
قوله ((أمثالهم في الشرارة ، يريد أن (إخوان) في قوله ﴿ إخوان
الشياطين ﴾ إمّا محمول على (معنى (٦)) التشبيه ، كما جاء في الحديث كأخي

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٩٣/٢٠ .

(٢) (الفياء) ما رده الله تعالى على المسلمين من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال ، إمّا باجلاء أو
بالمصالحة ، قال تعالى ﴿ و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب ﴾ الآية ٦ من
سورة الحشر . و قيل للغنيمة التي لا تلحق فيها مشقة فيء . الراغب ٣٨٩ و التعريفات للجرجاني ١٧٠ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ قال (ز) : التبذير تفريق المال إلخ ..
على وجه الإسراف .

(٤) الراغب في مفرداته ، ٤٠ مادة (بذر) .

(٥) و تمامه (فقال : ما هذا السرف يا سعد ؟ قال : أوفي الوضوء إسراف ؟ قال : نعم ، و إن كنت
على نهر جار) و يعني بسعد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . أخرجه أحمد في سننه ، ٢٢١/٢ ، ابن
ماجه برقم ٤٢٥ و إرواء الغليل ١٧١/١ و تلخيص الجبير لابن حجر ١٠١/١ و قال ضعيف في إسناده ابن
لهيعة و انظر تخریج أحاديث الكشاف ٦٦١/٢ لابن حجر . و الزيلعي أيضا ٢٦٩/٢ .

(٦) (معنى) س من ب .

السرار (١) أي كمثلته ، و هو المراد من قوله ((أمثالهم (٢))) و لما كان هذا التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل قال : لأنه شرّ من الشياطين ، و إما مجاز كما في الأساس (٣) [بين السماحة و الشجاعة تأخ و لقيته بأخي الشرّ أي بخير] فهو بمعنى الصديق ، و ذلك في الدنيا ، لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم . أو بمعنى القرين ، و ذلك في النار و هذا وارد على الوعيد و التهديد و الوجهان على الذمّ و التقييح . قوله ((لأنه لا شرّ من الشيطان)) عن بعضهم الأولى لا شرّاً لأن من صلة شرّاً فيكون مشابهاً للمضاف ، نحو لا خيراً من زيد عندنا .

قوله ((فما ينبغي ان يطاع)) يعني قوله (و كان الشيطان لربه كفورا) تذييل للكلام و لذلك أجراه مجرى التعليل .

قوله ((أي ابتغ رحمة الله (٤))) فسر المفعول له بالأمر ليؤذن بأنه داخل في خير الجزاء ، عطف على (قل) من حيث المعنى ، فيكون مأموراً بإنشاء القول اللين و إنشاء طلب الرحمة .

قوله ((ويجوز أن يكون معنى ﴿ وإما تعرضن عنهم ﴾ وإن لم تنفعهم)) عطف على ((وإن أعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياءً من الرد)) ، وقوله (((كناية بالإعراض عن ذلك)) خبر ((أن يكون)) والإعراض عن الأوّل مجرى على صراحته لقوله ((أعرض عن السائل وسكت حياء)) ، ثم

(١) السرار بكر السين المسارة ، أي كصاحب السرار ، يعني المسارة بخفض الصوت النهاية ٣٦٠/٢ ، و هذا الأثر أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب التفسير ، الحجرات ٤٦٢/٢ و سكت عنه الذهبي ، و ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢١٩ و ابن كثير ٣٦٤/٧ و سببه أنه لما نزل قوله تعالى في سورة الحجرات الآية ٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ﴾ الآية ، قال أبو بكر رضي الله عنه : (والله لا أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلا كأخي السرار .

(٢) ((أمثالهم)) يعني أمثال الشياطين .

(٣) الأساس للزمخشري ١٣ مادة (أخو) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾ الإسراء الآية ٢٨ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ﴾ أي ((ابتغ رحمة الله)) التي ترجوها برحمتك عليهم .

قوله ((ابتغاء)) على الأول : إما أن يتعلق بقوله ﴿ فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾ ، والإضافة إلى المفعول لقوله ((ابتغ رحمة الله)) ، وإما أن يتعلق بالإعراض ، وعلى أن يكون كناية يختصّ تعلّقه بالشرط ، ويكون الابتغاء موضوعاً موضع عدم الاستطاعة وضعاً للمسبّب موضع السبّب .

قوله ((خصاصتهم ^(١))) ، الأساس ^(٢) : [أصابته خصاصة خِلّة ((واختصّ الرجل ، اختلّ ، أي افتقر ، وسدّدتُ خصاصة فلان ، جبرت فقره] .

قوله ((ولا يريد الإعراض)) بالنصب عطف على ((أن يكون)) .
قوله ((فهو مفعول)) ، أي ميسوراً ، والمعنى قل لهم قولاً لينا ، وعِذْهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا . ويجوز أن يراد بالقول الميسور الدعاء لهم باليسر ، أي يذكر فيه معنى اليسر وما أشبهه مثل : أغناكم الله ^(٣) ورزقنا الله وإياكم ، فعلى هذا يكون مصدراً ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ قولاً ميسوراً ﴾ ، وهو اليسر .

قوله ((تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف)) مثل حال من يمنع لشحّه بحال من يَدُهُ مَغْلُولَةٌ إِلَى عُنُقِهِ ، فلا يقدر على شيء من التصرف ، وحال من يسرف بحال من بسط كفّه كلّ البسط فلا يثبت شيء في كفّه ، ثم استعمل ألفاظ الممثل به في الممثل .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وإما تعرضن عنهم ﴾ قال (ز) : وإن لم تنفعهم ولم ترفع ((خصاصتهم)) لعدم الاستطاعة ((ولا يريد الاعراض)) .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ١٦٤ ، قال : ومن انجاز أصلبته خصاصة إلخ ، مادة (خصص) .

(٣) قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٦٣ ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ الآية

، وقد أحسن من قال :

** إِلَّا تَكُنْ وَرَقًا يَوْمًا أَجُودُ بِهَا ** للسائلين فإني لئن العود **

** لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ مِنْ خُلُقِي ** إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنُ مُرْدُودِي **

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتتعد ملوماً

محسوراً ﴾ ، قال (ز) : ((هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف)) وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير .

قوله ((وعند نفسك إذا احتجت (١))) ، معطوف على قوله ((عند الله)) ، أي هو ملوم عند الله لأنه غير راض عنه ، وملوم عند الناس ، الفقير يلومه ويقول : أعطى فلاناً وحرمني ، والغني يقول : ما تحسن تدبير المعيشة ، وملوم عند نفسه إذا احتاج ندم على ما فعل ، والحاصل ، أن ﴿ ملوما ﴾ قطع عن متعلقه ليعلم التقدير ، الراغب (٢) : [اللوم عدل (٣) الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم ، قال تعالى : ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾ (٤) ، فإنه ذكر اللوم تنبيهاً على أنه إذا لم يلاموا لم يفعل بهم ما فوق اللوم ، ورجل لومة : يلوم الناس ، ولومة : يلومه الناس ، واللائمة : الأمر يلام عليه الإنسان] .

(قوله (٥)) ((منقطعاً بك (٦))) انقطع بالمسافر على بناء المفعول إذا أعطيت دابته أو نفذ زاده ، [فانقطع به السفر دون طيته (٧) ، فهو منقطع به] مثله في الأساس (٨) .

قوله ((وحسره)) ، الجوهري (٩) : [حَسَرَ البعير يَحْسُرُ حسوراً : أعيا ، وحسرتُهُ أنا حسراً ، يتعدى ولا يتعدى] .
قوله ((إنه أبلغ منه)) يقال : بلغ منه المرض ، أي أثر تأثيراً ثانياً .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ فتعد ملوما ﴾ ، قال (ز) : فتصير ملوما عند الله وعند الناس ، لأن الاسراف مذموم ((وعند نفسك إذا احتجت)) فندمت على ما فعلت .

(٢) الراغب في مفرداته ٤٥٦ ، مادة (لوم) .

(٣) (العدل) الملامة ، وقد عدلته ، من باب نصر ، والاسم العدل ، بالتحريك . الصحاح

للجوهري ١٧٦٢/٥ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٦ .

(٥) (قوله) س من النسخين أ ، ب ، وهو خطأ فيهما .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ محسوراً ﴾ ، قال (ز) : ((منقطعاً بك)) لا شيء عندك ((من حسره))

((إذا بلغ منه وحسره بالسألة)) .

(٧) (الطية) بالكسر ، قطع المسافة . القاموس ٣٥٨/٤ ، مادة (طوى) .

(٨) الأساس ٥١٤ ، للزنجشري ، أعني ما بين المعكوفين موجود فيه .

(٩) الجوهري ٦٢٩/٢ ، مادة (حسر) .

قوله ((من ساعة إلى ساعة (١))) قيل من متعلق بمحذوف أي أخرّ سؤالك من ساعة ليس لنا فيها درع إلى ساعة يظهر لنا درع . و درع المرأة قميصها ، و يمكن أن يتعلّق بقوله : يظهر قلت : يمكن أن يقال : إنه لما طلب الدرع قال صلى الله عليه وسلم : مطلوبك لا يحضرنا الآن ، لكن نترقبه و نرجو حصوله و ظهوره من ساعة (إلى ساعة) (٢) و ينطبق على هذا معنى قوله تعالى ﴿ و إنا تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾ و بهذا اقتدى الفضل حين أجاب عن سؤال السائل أكره أن أقول : نعم (٣) ، فأكون ضامناً ، أولاً (٤) ، فأكون مؤيساً ، ولكن ننظر فيسهل الله .

قوله ((وقيل أعطى الأقوع بن حابس)) الحديث من رواية مسلم عن رافع بن خديج قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب يوم حنين (٥) و صفوان بن أمية و عيينة بن حصن و الأقرع بن حابس و علقمة بن علامة كل إنسان منهم مائة من الإبل . و أعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس الأبيات الثلاثة المذكورة (٦) . و فيه فما كان بدر ((ولا حابس)) و من تخفض

(١) يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال : إن أمي تستكسك دُرْعاً ((فقال : من ساعة إلى ساعة)) يظهر فعد إلينا إلخ ... و هذا الحديث لم أقف عليه .

(٢) ما بين القوسين س من (١) و الصواب ما في ب لظهور المعنى .

(٣) لم أقف على هذا الكلام الجميل و لا على قائله .

(٤) أولاً يعني أقول : لا .

(٥) حنين تصغير حنّ ، و ادمن أودية مكة المكرمة يقع شرقها بقراة ثلاثين كيلا و يسمى اليوم وادي الشرائع ، و أعلاه الصدر ، يعني صدر حنين ، و ماؤه يصب في المغمس ، فيذهب في سيل وادي غرنه ، و إذا كنت خارجاً من مكة إلى الطائف على طريق اليمامة لقيت الشرائع ، و هي عين و قرية نسب الوادي إليها ، و قد أجرت زبيدة عينها إلى مكة . ثم انقطعت . انظر معجم المعالم للجغرافية ١٠٧ .

(٦) ** أنجعل نهبي و نهب العبيد ** بين عيينة و الأقرع **

** و ما كان حصن و لا حابس ** يفوقان جدتي في مجمع **

** و ما كنت دون امرئ منهما ** و من تخضع اليوم لا يرفع ** .

اليوم بدل تضع قال فأتّم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة . ورواية ابن عبد البر (١) [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذهبوا فاقطعوا عني لسانه فأعطوه حتى رضي [النهاية (٢)] العبيد بضم العين وفتح الباء الموحدة اسم فرس العباس بن مرداس السّلمي .] و معنى اقطعوا عني لسانه : أعطوه حتى يسكت فَكَنَى بالقطع عن السكوت (٣) ، و منه أتاه رجل فقال : إني شاعر فقال يا بلال (اقطع لسانه) (٤) فأعطاه أربعين درهماً . قال الخطابي (٥) : [يشبه أن يكون هذا ممن له مال في بيت المال ، كابن السبيل وغيره ، فتعرض له بالشعر فأعطاه لحقه أو حاجته لا لشعره] .

(١) ابن عبد البر في الاستيعاب مع الإصابة ١٠١/٣ في ترجمة العباس بن مرداس من رواية رافع بن

خديج رضي الله عنهم . و برواية :

** فما كان حصن ولا حابس ** يفوقان مرداس في مجمع ** .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٨٣/٤ مادة (قطع) و مسلم في صحيحه ٧٣٧/٢ برقم ١٠٦٠ .

(٣) و منه أي الكناية بالقطع عن الإعطاء ، قوله صلى الله عليه وسلم لبلال ، المرجع السابق .

(٤) رواه البيهقي في سننه الكبرى ، ٢٤١/١٠ . وانظر كشف الخفاء ١٨٢/١ .

(٥) الخطابي الإمام المحدث حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب

التصانيف ، من ولد زيد بن الخطاب ، و وهم من سباه أحمد ، كما قال الذهبي . ولد سنة بضع عشرة وثلاث

مائة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ ، ومعجم البلدان ٤١٥/١ ، ووفيات الأعيان ٢١٤/٢ .

قوله ((يرهقه من الإضافة (١))) أي يغشاه ، النهاية (٢) : [أرهقني فلان إثماً حتى رَهَقْتُهُ ، أي حَمَلَنِي إِثْمًا حتى حَمَلْتَهُ لَهُ] ، جعل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ تعليلاً لقوله ﴿ وَإِنَّمَا تَعْرَضُونَ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ يعني : إن أعرضت عن العفاة لفقد رزق من ربك ترجوا أن يفتح لك ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا ﴾ ولا تهتم بذلك ، فإن ذلك ليس لهوان منك عليه ، ولكن بيد الله مقاليد الرزق ، وهو يقبض ويبسط كيف يشاء ، وحكمته تابعة لمشيئته ، لا بالعكس كما قال ، ففَوْضَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ ، فيكون قوله ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ معترضة تأكيد المعنى ما يقتضيه حكمة الله من القبض والبسط ، وأمرًا بالتأسي بسنة الله ، كما هو في الوجه الثالث ، وهو أن يراد بالنهاي عن البسط والقبض الأمر بالاقتصاد ، وعلى الوجهين الآخرين ، تعليل للأمر بالاقتصاد ، وعلى الوجه الثاني التعليل مخالف لما ينبغي أن يفعله العبد ، يعني البسط المفرط والقبض المفرط مختص بالله . فاقصد أنت واترك ما هو مختص بالله تعالى ، وعلى الثالث موافق له ، يعني أنكم إذا تحققتم فيما بسط الله وقبض وأمعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا ، فاقصدوا واستنوا بسنته .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الإسراء الآية ٣٠ ، قال (ز) : ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان ((يرهقه من الإضافة)) بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ، ولا لبخل به عليك ، ولكن لأن مشيئته في بسط الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة .

(٢) النهاية ٢/٢٨٣ ، مادة (رهق) .

قوله : ((﴿ وَخِطَاءٌ ﴾ ^(١) بالكسر والمد)) ^(٢) قال أبو علي ^(٣) : (قرأها ابن كثير) ويحتمل أن يكون مصدر ﴿ خاطاء ﴾ وإن لم يسمع . قال أبو عبيد ^(٤) : (هو من قولهم) ^(٥) ^(٦) :

** تخاطأت النبل أحشاءه **

يدل على خاطاً، لأن تفاعل مطاوع فاعل (وقرأ ابن عامر : ﴿ خَطَأٌ ﴾ بفتح الخاء والطاء من غير مد) ^(٧) وقرأ الباقر : ﴿ خِطَأٌ ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء وقصرها . قوله : ((أن تَغْصِبَ على غيرك أمرَ أته)) ^(٨) الأساس ^(٩) : [غَصِبَ على عقله، واغْتَصِبَتْ فلانة نفسها جُومِعَتْ مقهورة] .

قوله : ((إلا بأحدى ثلاث)) يريد الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) ^(١) إلا بأحدى ثلاث :

(١) قرأ أبو جعفر وابن عامر عن طريق ابن ذكوان وهشام في رواية : ﴿ إن قتلهم كان خطاً كبيراً ﴾ بفتح الخاء والطاء غير ممدود . وقرأ ابن كثير وابن محيصن ﴿ خِطَاءٌ ﴾ بكسر الخاء وفتح الطاء ممدوداً مصدر (خاطأ) يخاطئ (خطأ) يخاطئ، كقاتل يقاتل قتلاً . وقرأ الباقر : ﴿ خِطْنًا ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء، من غير مد، مصدر (خطئ) خطأ، إذا لم يتعمد، كأنهم إثمًا . الإتحاف ٢٨٣ والمبسوط ٢٢٨ والنشر ٣٠٧/٢ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٣١ .

(٣) أبو علي الحسين بن أحمد بن عبد القادر الفارسي . انظر الحجة لأبي علي ٩٦/٥ .

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث، والأدب والفقه، من أهل هراة، تولى القضاء بطرطوس ثماني عشرة سنة، مات ٢٢٤ هـ له مصنفات كثيرة . انظر تذكرة الحفاظ ٥/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٨ وابن خلكان ٤١٨/١ وكتابه مجازات القرآن ٣٧٦/١ .

(٥) (هو من قولهم) س من أ، والصواب ما في غيره، كما هو في الحجة ٩٦/٥ .

(٦) يشير إلى قول أوفي بن مطر المازني كما في الصحاح للجوهري ٤٨/١ مادة (خطأ) والحجة ٩٦/٥ :

** تخاطأت النبل أحشاءه ** وأخر يومى فلم يُعْجَلْ **

(٧) ما بين القوسين س من ب، والصواب ما في أ .

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقناً وساء سبيلاً ﴾ الإسراء الآية ٣٢ . قال

(ز) في قوله تعالى : ﴿ وساء سبيلاً ﴾ وبئس طريقاً طريقه ((وهو أن تغصب على غيرك أمراته)) أو أخته أو بنته من غير سب .

(٩) أساس البلاغة ٤٥١ مادة (غصب) .

النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة) أخرجه الشيخان
والترمذي وأبو داود والنسائي^(٢) .

قوله : ((حتى قال مهلهل^(٣) حين قتل بجير بن الحارث^(٤)) قصته سبقت في البقرة
عند قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٥) مستقصى .

قوله : ((بؤِشِشُع)) الأساس^(٦) : [باء فلان بفلان : صار كفوّاً له، وأبأتُ فلاناً
بفلان قتله به] يعني : قُم مقام شسعه^(٧) فإنك لست كفوّاً له]

قوله : ((** كل قتيل في كليب غرة **))^(٨)

الغرة من يفدي به في قتل الجنين عبداً كأن أو أمة، المعنى : كل قتيل يقتل فداء
لكليب كلاً فداء لأنه لا يساويه.

(١) ما بين القوسين س من ب والصواب ما في غيره .

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٠١/١٢ كتاب الديات، باب قوله تعالى : ﴿ أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ .
ومسلم ١٣٠٢/٣ كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم . وأبو داود برقم ٤٣٥٢ . والنسائي ١٦٥/٢ .
والترمذي ١٢/٤ رقم (١٤٠٢) .

(٣) مهلهل امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر، وقيل : اسمه عدى، وسمي مهلهلاً،
لأنه أول من هلhel الشعر أي أرقه، يقال : أول من قصّد القصيد وهو خال امرئ القيس بن حجر، وأخو كليب
الذي هاج بمقتله حرب البسوس بين بكر وتغلب بن وائل المعروفة . خزانة الأدب ١٦٢/٨ والعقد الفريد
٤٧٨/٥ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ
سلطاناً ... الآية ﴾ الإسراء .

(٥) البقرة الآية ١٧٩ .

(٦) الأساس ٥٣ مادة (بؤأ) .

(٧) (الشع) السير الذي يصلح به النعل، يقال : شمع النعل جعل لها شموعاً . الأساس ٣٢٩ .

(٨) ** كل قتيل في كليب غره ** حتى ينال القتل آل مرّه **

قوله : ((﴿ فلا يسرف ﴾ بالرفع)) قال ابن جني^(١) : [رفع هذا على لفظ الخبر، بمعنى الأمر كقولهم : يرحم الله زيداً] ويجوز أن يكون معناه دون الأمر، أي : ينبغي أن لا يسرف، وعليه قوله^(٢) :

**** على الحكم المأتي يوماً إذا قضى ** قضيته ألا يجور ويقصد ***

فرفعه على الاستئناف، ومعناه أن يقصد.

قوله : ((و عن مجاهد^(٣) أن الضمير للقائل الأول ، عطف على قوله الضمير للولي المعنى : لا يسرف القاتل في القتل بأن يقتل من لا يحق قتله فيقتل، فيكون قد أسرف في القتل، حيث كان سبباً لهلاك نفسه، وهلاك غيره، وفي الارتداد سلامة نفسه وسلامة نفس الغير، ففيه لحة من معنى قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وعلى هذا الضمير في قوله : ﴿ إنه كان منصوراً ﴾ للمقتول، أي : لا يسرف القاتل المبتدئ، لأن من قُتل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتص له، وليه أو السلطان.

قوله : ((وقرئ : ﴿ فلا تسرف ﴾^(٤))) على خطاب الولي حمزة والكسائي والباقون بالياء.

قوله : ((﴿ إن العهد كان مسئولاً ﴾^(٥))) أي مطلوباً، يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به)) الانتصاف^(٦) : [هذا التأويل أرجح، ويحذف الجار والمجرور الذي هو

(١) المختص لابن جني ٢٠/٢.

(٢) البيت لأبي اللحام التغلبي شاعر جاهلي، واسمه حريث . الكتاب لسيبويه ٤٣١/١ والخزانة ٦١٣/٣.

(٣) مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، أحد الأعلام، ولد سنة إحدى وعشرين، ومات وهو ساجد بمكة سنة أربع ومائة . تهذيب التهذيب ٤٢/١٠.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ تسرف ﴾ بالتاء على الخطاب للإنسان أو القاتل ابتداء بالقتل العدوان، أو القاتل استيفاء، أو ولي القتل بعد أخذ الدية، أو يقتل غير القاتل كعادة الجاهلية، والباقون : ﴿ يسرف ﴾ بالياء على الغيبة، حملاً على الإنسان أو الولي . الإتحاف ٢٨٣ والمبسوط ٢٢٨.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد

كان مسؤولاً ﴾ الإسراء الآية ٣٤. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ إن العهد كان مسؤولاً ﴾ : ((أي مطلوباً ... الخ)).

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٦٦٥/٢.

(عنه) تخفيفاً كما جاء في قوله : ﴿ كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ ويعضد سؤال العهد على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها عمّن وصلها وقطعها في الحديث الصحيح^(١) ، وقلت : الثاني أبلغ عند أرباب البلاغة وفرسان الطراد، وكان ترك (عنه) هنا دون الآية المستشهد به دليلاً عليه والحديث المذكور، وسؤال الموءودة^(٢) معاضدين له.

قوله : ((ويجوز أن يراد على تقدير السؤال على التبيكيت، بأن يقال : لم نكث العهد ؟ فعلى الأول ليس في الكلام توبيخ، وعلى الثاني : توبيخ على سبيل التعريض. وعلى الثالث : توبيخ على التصريح.

قوله : ((وقرئ : ﴿ بالقسطاس ﴾^(٣) حفص وحمزة والكسائي^(٤) بالقسطاس هنا وفي الشعراء بكسر القاف . والباقون بضمها . الراغب^(٥) : [القسطاس يعبر به عن العدالة، كما يعبر بالميزان عنها قال تعالى : ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾^(٦)].

قوله : ((القافة))^(٧) النهاية^(٨) : [القائف الذي يتبع الآثار ويعرف شبه الرجل بأخيه أو أبيه، والجمع القافة].

(١) يعني حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ... الخ البخاري مع الفتح ١٠/٣٤٩، ١٣/٣٩٢. ومسلم برقم ٢٥٥٤.

(٢) يشير إلى قوله تعالى في سورة التكوين الآية ٨ : ﴿ وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت ﴾.

(٣) قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر القاف هنا وفي الشعراء، وكذا الأعمش، والباقون بالضم، وهما لغتان، الضم لغة الحجاز، والكسر لغة غيرهم . الإنحاف ٢٨٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلمت وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ الآية ٣٥.

(٥) الراغب في مفرداته ٤٠٣ مادة (قسط).

(٦) سورة الإسراء الآية ٣٥.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ الآية ٣٦. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولا تقف ﴾ أي : ولا تتبع، وقرئ : ﴿ ولا تقف ﴾، يقال : قفا

أثره وقافه، ومنه ((القافة)).

(٨) النهاية في غريب الحديث ٩٤/٤ مادة (قفا).

قوله : ((شَبِيَّةٌ بِالْعَصِيْبِيَّةِ)) الجوهرى^(١) : [هي البَهِيَّةُ، وهي الإفك والبهتان].

قوله : ((رَدْعَةُ الْخَبَالِ)) الحديث من رواية أبي داود عن يحيى بن راشد (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدْعَةَ الْخَبَالِ، حتى يخرج مما قال)^(٢) النهاية^(٣) : [ومنه حديث حسان بن عطية : (من قفا مؤمناً بما ليس فيه وقفه الله في رَدْعَةِ الْخَبَالِ)^(٤)، جاء في تفسيرها إنها عصارة أهل النار، والرَّدْعَةُ بسكون الدال وفتحها : طين ووحل كثير، وفي الحديث : إن الخبال عصارة أهل النار، وهو في الأصل الفساد، وقوله : ((حتى يخرج مما قال)) أي : يخرج من عهدة قوله، يريد والله أعلم : أنه يحمل عليه من ذنوب المغتاب فيعذب في النار على مقداره، ثم يخرج منها.

قوله : ((ومثل الدُّمَى))^(٥) البيت . الدُمَى جمع دِمْيَةٍ، وهي : الصُّنْمُ والصورة المنقوشة، والشَّمَمُ ارتفاع الأنف، وشَمَّ العرانيين كناية عن التكبر لا يُشْنَعْنَ، أي : لا يظهرن التَّقَافِيَا، أي : التقاذف، الأساس^(٦) : [يقال : ومالك تقفو صاحبك؟، أي : تقفه وإياك والقفو، وما هجا فلان ولا قفا] يصف جماعة من النساء بالجمال والتكبر والحياء، وصون لسانهن عن القذف، مثله قول حسان في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

**** حصان رزان ما يَزُنْ بريبة ** وتصبح غرثي من لحوم الغوافل ****

قوله : ((ولا أُرْمِي))^(٧) البيت، الخواصن : النساء العفائف، قَفِينَا أصله قفين.

(١) الجوهرى في صحاحه ٢٢٤١/٦ مادة (عضه).

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣/٤ كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على معصية من غير أن يعلم أمرها . وأحمد في

مسنده ٧٠/٢ . والبيهقي ٨٢/٦، ٣٣٢٨ . وحلية الأولياء ١٨٩/٨ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥٩/٤ مادة (قفا).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٨٢/٢ وهو جزء من حديث . وفيه : (ومن قفا مؤمناً أو مؤمنة حبسه الله في

ردعة الخبال، عصارة أهل النار).

(٥) **** ومثل الدُّمَى شَمَّ اشرانين ساكن ** بهنَ الحياء لا يشعنَ التقافيا ****

والبيت للناطقة الجعدي

(٦) الأساس ٥١٨ مادة (قَفَو).

(٧) **** ولا أُرْمِي البريء بغير ذنب ** ولا أقفو الخواصن إن قفينا ****

القاتل لهذا البيت : الكميت بن زيد الأسدي.

قوله : ((** والعيش بعد أولئك الأيام **))^(١) أوله : ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى**.

ذمّ أمر، أي : العيشة الطيبة ما مضى بمنزلة اللوى، وما سوى ذلك مذموم في جنبه.

والغرض من الإستشهاد أن لفظة : أولاء ليست بمخصوصة بالعقلاء، بل تقع على جملة الرجال والنساء والحيوان والجماد والأعراض، قال الكواشي^(٢) : [أولئك غالب لمن يعقل] وقال القاضي^(٣) : [أي : كل هذه الأعضاء فأجارها مجرى العقلاء، لما كانت مسؤلة عن أحوالها شاهدة على صاحبها، هذا وإن (أولاء) وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع، لذا وهو يعم القليلين جاء لغيرهم].

قوله : (((فمسئول) مسند إلى الجار والمجرور))^(٤) قال أبو البقاء^(٥) : [ما ذكره

الرمحشري غلط لأن الجار والمجرور يقام مقام الفاعل إذا تقدم الفعل، أو ما يقوم مقامه، وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك فيه، لأن الاسم إذا تقدم على الفعل صار مبتدأ وحرف الجر إذا كان لازماً لا يكون مبتدأ، ونظيره قولك : بزيد انطلق، ويدلّك على ذلك أنك لو ثبت لم تقل : بالزبدان انطلقا، ولكن تصحيح المسئلة أن يجعل الضمير في مسئول للمصدر فيكون (عنه) في موضع نصب كما يقدر في قولك : بزيد انطلق، وقال صاحب التقريب : وإنما جاز تقديمه مع أنه فاعل لمُحاً لأصالة ظرفيته لا لعروض فاعليته، ولأن الفاعل لا يتقدم للتباسه بالمبتدأ ولا التباس ههنا، ولأنه ليس بفاعل على حقيقة، وجاز أن

(١) البيت لجريز بن عطية

** لولا مراقبة العيون أريننا ** مُقَلّ المها وسوالف الآرام **

** هل ينهيك أن قتلن مرقشاً ** أو ما فعلن بعروة بن حزام **

** ذم المنازل بعد منزلة اللوى ** والعيش بعد أولئك الأيام **

(٢) الكواشي أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلّي، موفق الدين

أبو العباس الكواشي، عالم بالتفسير، ومن فقهاء الشافعية، من أهل الموصل، من كتبه تبصرة المتذكر خ في التفسير، ولد سنة ٥٩٠ ومات ٦٨٠ . انظر النجوم الزاهرة ٣٤٨/٧ والأعلام للزركلي ٢٧٤/١.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٢/٣.

(٤) قال (ز) في تفسير (عنه) في قوله : ﴿ كان عنه مسئولا ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية، أي : كل واحد

منها، كان مسئولا عنه ((فمسئول مسند إلى الجار والمجرور)).

(٥) أبو البقاء في إملاته ٩١/٢.

يكون فاعله ضمير كلّ لحذف المضاف، أي : كان مسؤولاً صاحبها عنه. وجاز أن تكون مرفوعة المصدر، وهو السؤال . سأل ابن جني أبا علي عن قولهم : فيك يرغب، فقال : فيك لا يرتفع بما بعده، فأين المرفوع ؟. فقال : المصدر، أي : فيك يرغب الراغب، وفيك ظرف لا فاعل، وفي شرح ابن المعطي^(١) في الألفية : إن كان مفعول المجهول جاراً ومجروراً فلا يتقدم على الفعل، لأنه لو تقدّم اشتغل الفعل بضميره، ولا يمكن جعله مبتدأ لأجل حرف الجر. ومنهم من أجاز محتجاً بهذه الآية، لأن ما لم يسم فاعله مفعول في المعنى.

قوله : ((وقرئ : ﴿ والفَوَادُ ﴾ قال ابن جني^(٢) : [قرأها الجراح^(٣)] ﴾ والبصر والفَوَادُ ﴾ وأنكر أبو حاتم فتح الفاء، ولم يذكر هو ولا ابن مجاهد الهمز ولا تركه، وقد يجوز ترك الهمز مع فتح الفاء، كأنه قال : ﴿ الفَوَادُ ﴾ بضمها والهمز ثم خففت، فخلّصت في اللفظ واوا، وفتحت الفاء على ما في ذلك فبقيت واواً].

(١) ابن المعطي العلامة شيخ النحويين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي، ولد سنة ٥٦٤ ومات ٦٢٨ بمصر . سير الأعلام ٣٢٤/٢٢ . ووفيات الأعيان ١٩٧/٦ .
(٢) ابن جني ف المحتسب ٢١/٢ .

(٣) الجراح مقدم الجيوش فارس الكتاب، أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي، ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز. وكان بطلاً شجاعاً مهيباً طوالاً عابداً قارئاً كبير القدر، روى عن ابن سيرين . سير أعلام النبلاء ١٨٩/٥ وتاريخ خليفة ٣١٠ والتاريخ الكبير للبخاري ٢٢٦/٢ . وانظر شواذ القراءات لابن خالويه ٧٦ فذكر قراءة الجراح هذه.

وقد نهى الله تعالى في هذه الآية وفي غيرها عن ^{تولي} الإنسان ما ليس له بعلم، ويشمل ذلك قوله : رأيت ولم ير، وسمعت ولم يسمع، وعلمت ولم يعلم، قال الله تعالى في سورة البقرة الآية ١٦٩ : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقوله في سورة الأعراف الآية ٣٣ : ﴿ إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقوله في سورة الحجرات الآية ١٢ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن أثم ﴾ وقوله : في سورة التوبة الآية ٦١ : ﴿ قل آذن لكم أم على الله تفترون ﴾.

قوله : ((وقرئ : ﴿ مَرِحاً ﴾ وهي شاذة^(١) ، الراغب^(٢) : [المرح : شدة الفرح والتوسع فيه، وَمَرَحَى كلمة تعجب]، قال أبو البقاء^(٣) : [مَرِحاً بكسر الراء حال وبفتحة مصدر في موضع الحال أو مفعول له]^(٤) وفي كلام المصنف تسامح، لأنه قال^(٥) : وفضل الأخفش^(٦) المصدر على اسم الفاعل بعدما أول المصدر بقوله : ذا مرح وبعد القراءة الدالة على أنه اسم فاعل، وإنما يكون المصدر مفيداً للمبالغة، إذا ترك على حاله، نحو رجل عدل.

قوله : ((لن يجعل فيها خرقاً))^(٧) بدوسك الراغب^(٨) : [الخرق قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تفكير وتدبر قال تعالى : ﴿ أَخْرَقْتُهَا لتغرق أهلها ﴾^(٩) وهو ضد الخلق، لأنه فعل الشيء بتقدير ورفق والخرق بغير تقدير، قال تعالى : ﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾^(١٠) أي : حكموا بذلك على سبيل الخرق وباعتبار القطع قيل : خرق الثوب وتخرقه، وباعتبار ترك التقدير، قيل : رجل أخرق وخرق وامرأة خرقاء، ومنه

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تمس في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ الإسراء الآية ٣٧-٣٨.

وقرئ ﴿ مَرِحاً ﴾ بكسر الراء، قرأها يحيى بن يعمر شواذ القراءة لابن خالوية ٧٦.

(٢) الراغب في مفرداته ٤٦٥ مادة (مَرَح).

(٣) أبو البقاء في إملائه ٩١/٢.

(٤) على حد قوله في الخلاصة لابن مالك :

**** ومصدر منكراً جالاً يقع بكثرة كبعثة زيد طلع ****

(٥) يعني (ز) حيث قال : ((وقرئ : ﴿ مَرِحاً ﴾)) وفضل الأخفش المصدر ... إلخ.

(٦) الأخفش لعله الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة أبو الخطاب من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يفعلون ذلك قبله، كان ديناور عاتقة، أخذ عنه سيويه والكسائي، وأبو عبيد، وغيرهم، مات سنة ١٧٧هـ، طبقات اللغوية بغية الوعاة ٧٤/٢.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ لن تحرق الأرض ﴾ قال (ز) : ((لن تجعل فيها خرقاً بدوسك)) لها وشدة وطأتك.

(٨) الراغب في مفرداته ١٤٦ مادة (خرق).

(٩) سورة الكهف الآية ٧١.

(١٠) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

الحديث : (ما دخل الخرق في أمر إلا شانه)^(١) ومن الخرق استعيرت المخرقة، وهو إظهار الخرق توصلًا إلى حيلة والمخراق شيء يلعبُ به، كأنه يخرق لإظهار الشيء بخلافه].

قوله : ((وهو تهكم بالمختال))^(٢) الانتصاف^(٣) : [لقد حَسَّ الله عوام زماننا من هذه المشية المنهي عنها، ووقع فيها قراؤنا وفقهاؤنا حفظَ أحدهم مسئلتين وجلس بين يديه طالبان، أو نال طرفاً من رياسة مشى خيلاء، وودَّ لو حكَّ بيا فُرخه^(٤) السماء، يمرون بهذه الآية، وهم عنها معرضون، وماذا يفيد أن يقرأ القرآن، أو يُقرأ عليه، وقلبه عن تدبره على مراحل].

قوله : ((وقرئ : ﴿ سَنَةٌ ﴾^(٥) الكوفيون وابن عامر كان ﴿ سَيِّئَةٌ ﴾ بضم الهمزة والهاء على التذكير، والباقون بفتحها مع التنوين على التأنيث. قال أبو البقاء^(٦) : [سيئة يقرأ بالتأنيث والنصب، أي : كُلَّ ما ذكر من المناهي وذكر : ﴿ مَكْرُوهًا ﴾ على لفظ ﴿ كُلَّ ﴾، أو لأن التأنيث غير حقيقي. ويقرأ بالرفع أي : سيء ما ذكر].

(١) ذكره صاحب كشف الخفاء ٢٦٧/١-٢٦٨ وعزاه للعسكري. وانظر المسند ٢٠٦/٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ قال (ز) : أي : بتطاولك ((وهو تهكم بالمختال)).

(٣) الانتصاف مع الكشاف ٦٦٧/٢.

(٤) (اليافوخ) ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره. اللسان ٦٧/٣ مادة (يفخ) وانظر (أفخ) ٥/٣ . وزاد

وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل، وهو كناية عن التعاطف والتكبر . انظر الأساس ٧١٣.

وقد نهى الله عن هذه المشية، قال تعالى في سورة لقمان الآية ١٨ : ﴿ وَلَا تَصْعَقْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي

الأرض مِرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَخْتَالٍ فَخُورٍ . واقصد في مشيك ... الآية ﴾ وقال تعالى في سورة الفرقان الآية

٦٣ : ﴿ وَعِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ... الآية ﴾ وقد أحسن من قال :

** وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضَعًا ** فكم تحتها قوم هم منك أرفع **

** وَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَجِرٍّ وَمَنْعَةٍ ** فكم مات من قوم هم منك أرفع **

(٥) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : ﴿ كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً ﴾ منونة منصوبة. وقرأ

ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي وخلف : ﴿ كَانَ سَيِّئَةً ﴾ بضم الهمزة والمهمزة. المبسوط لابن مهران ٢٢٨

والإتحاف ٢٨٣ . وقال مع إشباع ضمة الهاء على الإضافة والتذكير اسم كان، و ﴿ مَكْرُوهًا ﴾ خبرها، ووافقهم

في هذه القراءة الحسن والأعمش.

(٦) أبو البقاء في إملائه ٩٢/٢.

قوله : ((كل ذلك إحاطة بما نُهي عنه خاصّة، لا بجميع الخصال المعدودة))^(١) قال صاحب الفرائد : [يمكن أن يقال : الإحاطة بالجميع، إلا أن المراد فيما يكون حسناً ما يقابله كنقض العهد، وهو كقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾^(٢) ثم قال : ﴿ أَلَا تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾.

قوله : ((ذلك إشارة إلى ما تقدم))^(٣) وقال القاضي^(٤) : [كل ذلك إشارة إلى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾].
قوله : ((كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه))^(٥) أي : هي مما لا تنسخ ولا تحمل على وجه من وجوه التأويل التي يدخل فيها الفساد كالمتشابه.

قوله : ((وهي عشر آيات في التوراة)) بعد قوله : هذه الثماني عشرة آية فيه إشكال ولعل المراد بالآيات في التنزيل الكلام المميز بالفواصل والآيات العشر في التوراة، المعاني المستقلة. وبالخصال الخمسة والعشرين كل خصلة مأمور بها، ومنهي عنها وروينا عن الترمذي^(٦) والنسائي عن صفوان أن يهوديين أتيا رسول الله صلى الله

(١) قال (ز) في توجه قراءة ﴿سَيِّئَةٌ﴾ قلت : ((كل ذلك إحاطة بما نُهي عنه خاصة، لا بجميع الخصال المعدودة)).

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(٣) تفسر قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي

جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ﴾ الإسراء الآية ٣٩

قال (ز) : ((﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما تقدم)) من قوله : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُقَدِّعُ مَذْمُوماً مَخْذُولاً ﴾ إلى هذه الغاية.

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٢/٣.

(٥) تفسر قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ قال (ز) : وسماه حكمة ((لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه)).

(٦) أخرجه الترمذي ٧٣/٥ كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل برقم ٢٧٣٣ و ٣١٤٥

وصححه. والنسائي ١١١/٧ باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ سورة الإسراء الآية ١٠١. والحاكم في المستدرک ٩/١ كتاب الإيمان. وصححه الذهبي.

عليه وسلم فسألا عن تسع آيات بينات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ... الحديث).

قوله : ((ما أغنت عن الفلاسفة خذلهم الله أسفار الحكم))^(١) [قيل : وُجِدَ بخط المصنف رحمه الله : [كان في زمن بني حَكِيمُ صَنَّفَ في الحكم ثلثمائة وستين تصنيفاً، فأوحى الله تعالى إلى بني زمانه : إنك قد ملأت الدنيا نباتاً، وإن الله لم يقبل من نباتك شيئاً. كذا ذكره حجة الإسلام رحمه الله في كتابه الإحياء]^(٢) والنباق بالباء الموحدة كثرة الكلام قال الشهرستاني في الملل والنحل^(٣) : [الفلسفة باليونانية محبة الحكمة، والفيلسوف : هو فيلاسوفا، وفيلا : هو المحب. وسوف : هو الحكمة]. أما قوله : ((أضل من النعم)) فمقتبس من قوله تعالى : ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾^(٤) .

قوله : ((يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله النبات))^(٥) وهو من باب إطلاق الحال على المحل، لأنه تعالى لما كرّر هذا الإبطال في هذا القرآن الكريم، سمي الإبطال باسم القرآن بهذه الملابس أو أوقفنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير، يريد أنه من باب : يَجْرَحُ في عراقبها نصلي^(٦) .

(١) ذكر (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ قال : ((إن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه، وإن بذّ فيها الحكماء، حكّ بيا فوخه السماء)) وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم)).

(٢) قال في اللسان ٣٥١/١٠ : هو ينيق في الكلام ويتبطله يستخرجه.

(٣) الملل والنحل ٣٦٣/٢.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٧٩

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا وما يزيدهم إلا نفوراً﴾ الإسراء ٤١. قال

(ز) : ((يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله النبات)) لأنه لما صرفه، وكرّر ذكره.

(٦) شطر بيت لذي الرمة، وأوله :

** وإن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقبها نصلي **

وتقدم الإستشهاد به في الحجر الآية ٣٩ : ﴿قال رب بما أغوتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم

أجمعين﴾.

قوله : ((﴿ لِيَذْكُرُوا ﴾ وقرئ مخففا ومشددا))^(١) حمزة والكسائي مخففا يأسكان الذال وضم الكاف. والباقون بفتحها مشددا، فالمعنى على التشديد : التدبر كقوله تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾^(٢) ، وعلى التخفيف : معنى قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه ﴾^(٣) ، وفي هذا بعثٌ على النظر فيه والتدبر.

قوله : ((ليتعظوا ويعتبروا ويتدبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم)) إنما فسر : ﴿ لِيَذْكُرُوا ﴾ بذلك لطابق قوله : ﴿ فما يزيدهم إلا نفورا ﴾ فإن النفور يقابل الإطمئنان، ووضع ما يحتج به عليهم موضع الرجوع إلى المشار إليه بقوله : هذا المعنى كأنه قيل : كررناه ليطمئنوا إليه، كما قال : وقلة طمأنينة إليه، وفيه تعكيس، أي : كررنا عليهم هذا المعنى ليطمئنوا فعكسوا وزادوا نفورا.

قوله : ((وقرئ ﴿ كما يقولون ﴾ بالياء والتاء)) ابن كثير وحفص بالياء التحتانية والباقون بالتاء.

قوله : ((و ﴿ إذا ﴾ دالة على أن ما بعدها جواب وجزاء، مضى بيانه في سورة يوسف عليه السلام . قال صاحب الفرائد : [إن في ذكر ﴿ إذا ﴾ هنا مع الاستغناء عنها لقيام ما بعدها جواباً وجزاءً لما قبلها فائدة، وهي أن ﴿ إذا ﴾ مشعرة بأن الجزاء لا

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ لِيَذْكُرُوا ﴾ ساكنة الذال خفيفة الكاف مضمومة، وكذلك في سورة الفرقان الآية ٥٠ مثله . وقرأ الباقر : ﴿ لِيَذْكُرُوا ﴾ بفتح الذال والكاف وتشديدهما. المبسوط لابن مهران ٢٢٩. والإتحاف ٢٨٣.

(٢) سورة ص الآية ٢٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٦٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا يتغوا إلى ذي العرض سبيلاً . سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٤٢-٤٣.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر بن عاصم : ﴿ كما تقولون ﴾ بالتاء، و ﴿ سبحانه عما يقولون ﴾ بالياء، و ﴿ يسبح له ﴾ أيضاً بالياء.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب : ﴿ كما تقولون ﴾ بالتاء، و ﴿ عما يقولون ﴾ بالياء، و ﴿ تسبح ﴾ بالتاء.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف كله بالياء . المبسوط لابن مهران ٢٢٩ وابن مجاهد ٣٨١.

يكون إلا المذكور، فإن قولك لصاحبك : إنك ما أعطيتني فيجيبك : لو أتيتني إذا لأعطيتك، فهم منه أن الإعطاء مخصوص بإتيانه غير مَرْجُوٍّ دونه، فلو لم يذكر لم يفهم الاختصاص.

قوله : ((إلى من له الملك والربوبية))^(١) وضع الملك والربوبية موضع العرش على الكناية، كما سيجيء في طه في قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾^(٢) .

قوله : ((كقوله : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾^(٣) وحاصله يرجع إلى دليل التمانع ، كما سيجيء في سورة الأنبياء، أي : معنى ﴿ لا بتغوا ﴾ لتَقَرَّبُوا إلى ذي العرش، قال صاحب الفرائد : [من تقرب إلى الغير وطلب الوسيلة لم يصلح لأن يطلق عليه لفظ الإله، ومعنى كونهم آلهة مناف لذلك المعنى، على هذا لو كان معه آلهة لم يكونوا آلهة، بل عباد محتاجون إليه، فيلزم عدم الشيء على تقدير وجوده، ويمكن أن يجاب، لما كان عدم الشيء على تقدير وجوده محالاً، وهو لازم للتقدير، وهو كون الآلهة معه، فكان محالاً.

قوله : ((فإن لم يفقهوا التسبيح))^(٤) أي : جعلوا في أن نظرهم لم يثمر التوحيد، كأنهم نظروا ولم يفقهوا، وتحريره أن المشركين لما نظروا إلى ملكوت السموات والأرض وعلموا أن الله خالقه، ومع هذا الإقرار عما جعلوا معه آلهة، وكأنهم بالحقيقة ما فقهوا، وهو على هذا تجريد لاستعارة التسبيح للدلالة . ويمكن أن يجري على الترشيح لها على أن معنى قوله : ﴿ لا يفقهون تسبيحهم ﴾ لا تفقهون نُطقهم به، كقوله تعالى : ﴿ وجد

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ قال (ز) : لطلبوا ((إلى من له الملك والربوبية سبيلاً)) بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض.

(٢) الآية ٥.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

ومثلها قوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ٩١ : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلف ولعلاً بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ تسبح له السوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٤.

من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴿١﴾ كأنه قيل : الكائنات تنطق بلسانها بتنزيه ذات الباري عز شأنه وجل سلطانه عن الشريك، والمشركون صمٌّ لا يسمعون ذلك، والأصل ودلّت ذات الموجودات على توحيد صانعها، وهم لا يعقلون ذلك. قال صاحب الانتصاف (٢) : [إن كان الخطاب للمشركين فما تصنع بقوله : ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾، وإنما يخاطب بالحلم والمغفرة للمؤمنين، والظاهر أن الخطاب للمؤمنين. وأما عدم فقها لتسييح الجمادات، فكناية عن عدم العمل بمقتضى تسييحها، ولو تَفَطَّن الإنسان أن النملة والبعوضة وكلّ ذرة في الكون تنزه الله تعالى وتشهد لجلال كبريائه وقهره، لشغله عن قوته، فضلاً عن فضول الكلام والغيبة. والظاهر أن الآية وردت على الغالب من أحوال الغافلين، وإن كانوا مؤمنين، فالحمد لله الذي كان حليماً غفوراً، وقلت (٣) : أخطأ في جعل الخطاب للمؤمنين، لأن معنى النزاهة والبراءة في قوله : ﴿سبحانه﴾ ومعنى العُلُوّ والكبرياء في قوله تعالى : ﴿عما يقولون علواً كبيراً﴾ راجع إلى ما وصفوه من اتخاذ الملائكة بناتاً في قوله : ﴿واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ ومن اتخذ الآلهة شركاء في قوله : ﴿لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ وأن مجيء قوله : ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ لتأكيد التنزيه وتذليله، فكيف يقال : الخطاب للمؤمنين . وأما معنى قوله : ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ فعلى التعجب، فكأنه قيل : ما أحلمه وأشد غفرانه، حيث يعلم من هؤلاء المعاندة ذلك، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وإليه أشار بقوله : ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم وجهلكم بالتسييح وشرككم. ويؤيده قوله تعالى : ﴿قل أنزلني الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾ قال المصنف رحمه الله تعالى : نبّه

(١) سورة الكهف الآية ٩٣.

(٢) صاحب الانتصاف الإمام أحمد بن المير الإسكندري التابع لاعترايات الكشاف ٦٦٩/٢ وأول الكلام :

قال أحمد : ولقال أن يقول : فما يصنع بقوله تعالى : ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم وإشراكهم ... الخ.

(٣) قلت : يعني بها نفسه، أي : الطيبي.

على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه، أن يُصَبَّ عليهم العذاب صَبًّا، ولكن صرف ذلك عنهم ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يُمهِّل ولا يعاجل.

قوله : ((التسييح المجازي حاصل في الجميع، فوجب الحمل عليه))^(٢) الانتصاف^(٣) : [تقدم منه منع هذا عند سجدة النحل^(٤) ، لكن ذكر هناك^(٥) أنه يشملهما الانقياد بطريق التواطؤ ، وههنا جعله مجازاً، ومن الجائز أنه أراد ثمة التواطؤ مع المجاز، وكما يتفق التواطؤ مع الحقيقة، فقد يتفق مع المجاز، هذه الآية . وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾^(٦) ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾^(٧) يقتضي أن يكون تسييحاً على الحقيقة، وسجوداً له على وجه لا يفقه، بدلالة قوله : ﴿وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، ودلالة قوله : ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ بعد ذكر السموات والأرض، ولا يصح أن يكون تقديره : يسبح له من في السموات ويسجد له من في الأرض، لأن هذا مما نفقعه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله : ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ والأشياء كلها تسبح له، ويسجد بعضها بالتسخير، وبعضها بالإختيار، ولا خلاف أن السموات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث إن أحوالها تدل على حكمة الله، وإنما الخلاف في السموات والأرض هل تسبح بالإختيار ؟، والآية تقتضي ذلك بما ذكرت، والله أعلم.

(٢) قال (ز) : قلت : ((التسييح المجازي حاصل في الجميع في وجوب الحمل عليه)) وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز.

(٣) الإنتصاف مع الكشاف ٦٧٠/٢.

(٤) الآية ٤٩ : ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

(٥) الشكاف ٩/٢ ٦٠٩-٩١٠.

(٦) سورة الرعد الآية ١٥.

(٧) سورة النحل الآية ٤٩.

قوله : ((سيل مُفْعَم))^(١) بفتح العين، يعني جعل اسم المفعول بمعنى الفاعل، فإن الحجاب هو الساتر، والمستور ما واره نحو سيل مُفْعَم، فإن السيل مُفْعَم والوادي مُفْعَم، فعكس مبالغة، فهو من الإسناد المجازي^(٢) .

قوله : ((فيه معنى المنع من الفقه))^(٣) يعني أن يفقهوه، إما مفعول له على تقدير مضاف، أو مفعول به على تأويل الجملة، بمعنى المنع، كقوله تعالى : ﴿ فشربوا منه إلا قليلاً منهم ﴾^(٤)، فإنه في معنى لم يطيعوه. قال القاضي^(٥) : [ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكره ما يمنع عن فهم المعنى] بقوله : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ وعلى إدراك اللفظ^(٦) بقوله : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾.

قوله : ((و ﴿ وَحَدَّه ﴾^(٧) من باب رَجَعَ عَوْدَهُ على بدئه)) أي : أنه مصدر ساذ مسد الحال، كأنه قال : عائداً على بدئه، فإن الأصل رَجَعَ عائداً على بدئه، ثم أقيم يعودُ مقام عائداً، ثم عَوْدَهُ مقام يعودُ.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٥ .

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ حجاباً مستوراً ﴾ : ذا ستر، كقوله ((سيل مُفْعَم)) ذو إفعام.

(٢) الإسناد المجازي : هو الذي يسند إلى سببه أو زمانه أو مكانه أو مصدره.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ قال (ز) : ((فيه معنى المنع من الفقه))،

فكأنه قيل : ومنعناهم أن يفقهوه.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣ .

وقد بين الله تعالى في آيات أخرى سبب الحيلولة بين القلوب وبين الانتفاع بالقرآن، وأن سبب ذلك هو الكفر كما قال تعالى في سورة النساء الآية ١٥٥ : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ١٠ : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ٧٦ : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ وقوله في سورة الصف الآية ٥ : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾.

(٦) في أ ، ب ، م (وعلى إدراك اللفظ) ولعل الصواب : (وعن إدراك اللفظ) كما في ت.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾.

قوله : ((وافعله جَهْدَكَ)) الجُهد بالضم الطاقة، وبالفتح من قولك : اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا الأمر، أي : أبلغ غايتك، فهو أيضاً مصدر أقيم مقام الحال.

قوله : ((أصله يَحْدُ وَحْدَهُ)) يعني : أصل الآية : ﴿ ذَكَرْتَ رَبَّكَ ﴾ يَحْدُ وَحْدَهُ ، بمعنى : واحداً وحده ، ثم حذف (يحد) وأقيم المصدر مقامه .

قوله : ((والنفور مصدر)) (١) قال أبو البقاء (٢) : [نفوراً جمع نافر، ويجوز أن يكون مصدراً كالقعود، فإن بثت جعلته حالاً (٣) ، وإن جئت جعلته (٤) مصدراً لـ ﴿وَلَوْ﴾ لأنه بمعنى : (نفروا) (٥) .

قوله : ((و ﴿ به ﴾ في موضع الحال (٦) ، أي : يستمعون ملتبسين بالهزة ، قال أبو البقاء (٧) : [قيل : الباء بمعنى اللام ، وقيل : هي على بابها ، أي : يستمعون بقلوبهم أم بظاهر أسماعهم]. وقال القاضي (٨) : ﴿ يستمعون به ﴾ أي : بسببه ، ولأجله من الهزة بك وبالقرآن] وهو مأخوذ من قول المصنف أولاً : ﴿ بما يستمعون به ﴾ من الهزة بك وبالقرآن ، ولا بد من تقرير الهزة ، لأن قوله : ﴿ نحن أعلم ﴾ وعيد وتهديد على ما كانوا

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ اَعْلٰى اَدْبَارِهِمْ نَفَوْراً ﴾ .

(٢) أية البقاء في إملائه ٩٢/٢.

(٣) فيكون حالا أي : ﴿ ولوا على أديبارهم ﴾ في حال كونهم نافرين من ذكر الله وحده.

(٤) ما بين القوسين س من (أ) فقط.

(٥) ويكون : ما ناب عن المطلق من قوله : ﴿ وَلَوْ ﴾ لأن التولية عن ذكره وحده بمعنى النشور عنه، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في سورة الزمر الآية ٤٥ : ﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ وقوله تعالى في سورة غافر الآية ١٢ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَدُّعْتُمْ فَاحْكُم بِلَاغِكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذا يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٧ .

(٧) أبو البقاء في إملائه ٩٢/٢.

(٨) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣

عليه عند سماعهم بالقرآن من الهزء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن على ما قال :
((كان يقوم عن يمينه إذا قرأ ... الى آخره)) (١) .

قوله : ((إذ يقول ﴿ بدل من ﴿ إذ هم ﴾ وقال أبو البقاء (٢) : [(هو) بدل من
(إذ) الأولى] اعلم أن ﴿ إذ يستمعون ﴾ ظرف لقوله : ﴿ أعلم ﴾ ، و ﴿ بما يستمعون ﴾
به ﴿ متعلق به ﴾ ، وإذ هم نجوى ﴾ عطف على الظرف ، على أن يقدر له ما يلزمه مما
قرن بالمعطوف عليه ليستقيم المعنى ، فالتقدير : نحن أعلم بما به يستمعون وبما به يحتاجون
وقت استماعهم ووقت تناجيهم ، وإنما قدّم المصنف (٣) الظرف على المفعول به في قوله :
﴿ أعلم ﴾ بوقت استماعهم بما به يستمعون ليؤذن بأن : ﴿ إذ يستمعون ﴾ متعلق
﴿ بأعلم ﴾ لا بـ ﴿ يستمعون به ﴾ لأن تعلق ﴿ إذ ﴾ به يوهم فساد المعنى من حيث
المفهوم ، ثم المناسب أن يكون قوله : ﴿ إذ يقول الظالمون ﴾ بدلا من المعطوف ، لا
المعطوف عليه ، لأن قولهم : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾ كان خطاباً منهم مع
أصحابهم على الحديث . وأما الاستماع عن النبي صلى الله عليه وسلم كان على سبيل
الهزء فبينهما تناف . قال القاضي (٤) : [﴿ إذ يقول ﴾ بدل من ﴿ إذ هم نجوى ﴾ على
وضع ﴿ الظالمون ﴾ موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم كان ظلماً] وليان أن
تناجيهم هو قوله : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾ .

قوله : ((من السّحر ، وهي الرّئة)) (٥) المعنى : هو بشر مثلكم ، في كونه ذا رئة ،
قال القاضي (٦) : [المعنى : إن تتبعون إلا رجلا يتنفس ، ويأكل ويشرب ، كقوله تعالى :
﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴾ (٧) أي : ليس بمملك ، والمناسب أن يراد به الوجه

(١) قال (ز) كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلا من عبد الدار ، ورجلان منهم عن يساره فيصفقون
و يصفرون ويخلطون بالأشعار

(٢) أبو البقاء في إملائه ٩٢/٢ .

(٣) (المصنف) س من ب .

(٤) القاضي لبيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ مسحوراً ﴾ قال (ز) : سحر فجن ، وقيل : هو ((من السّحر وهو الرئة)) .

(٦) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣ .

(٧) سورة الفرقان الآية ٧ .

الأول، أي سَجَرَ فَجَنَ ليلائهم قوله : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ كما قال :
 مثْلوك بالشاعر والساحر والمجنون. الراغب (١) : [السَّحَرُ : طرف الحلقوم والرئة، وقيل :
 انتفخ سحره، وبغير سحير، عظيم السحر، والسُّحارة ما ينتزع من السَّحَر عند الذبح،
 فيرمى به، وجعل بناؤه بناء النقاية والسُّقَاطَة. وقيل : منه اشتق السُّحَر، وهو إصابة
 السَّحَر، والسَّحَرُ يقال على معان : الأول : الخداع، وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله
 المشبعة من صرف الأبصار عما يفعله خفة يد، وما يفعله النمام، يقول : مُزْخَرْفٍ عَائِقٍ
 للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ يخيّل إليه من
 سحرهم أنها تسعى ﴾ (٣) وبهذا النظر سَمَوْا موسى عليه السلام ساحراً، وقالوا : ﴿ يا
 أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾ (٤) . والثاني : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من
 التَّقَرُّب إليه، كقوله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك
 أثيم ﴾ (٥) وعليه دلّ قوله تعالى : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ (٦) .
 والثالث : ما عليه الأَغْتَامُ (٧) ، وهو اسم لفعل يَزْعُمُونَ أنه من قوّته يغيّر الصور
 والطبائع، فيجعل الإنسان حمّاراً ولا حقيقة لذلك عند المحصّلين، وقد تُصَوَّر من السحر
 تارة دقة فعله حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة، وسَمَوْا الغداء سِحْراً من حيث إنه
 يدقُّ وَيَلطَّفُ تأثيره، قال تعالى : ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ (٨) اي مصروفون عن

(١) الراغب في مفرداته ٢٢٥-٢٢٦

(٢) سورة الأعراف الآية ١١٦.

(٣) سورة طه الآية ٦٦.

(٤) سورة الزخرف الآية ٤٩.

(٥) سورة الشعراء الآية ١٢١-١٢٢.

(٦) سورة البقرة الآية ١٠٢.

(٧) الأَغْتَام : جمع غتمة، عجمية في المنطق، يقال : رجل أغتم لا يفصح شيئاً، ويقال لثقل الروح : غتمي.

انظر التعليق على كتاب المفردات للراغب ٤٠١.

(٨) سورة الحجر الآية ١٥.

معرفتنا بالسحر، وعليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴾^(١) قيل : ممن جعل له سحر تنبيهاً أنه محتاج إلى الغذاء كقوله تعالى : ﴿ مَا لَٰذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾^(٢) ونَبَّه على أنه بشر كما قال : ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾^(٣) وقيل : معناه : ممن جعل له سحر يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتي به ويدّعيه، وعلى الوجين حمل قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾^(٥) . وعلى الثاني : دلّ قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٦) .

قوله : ((﴿ فَضَلُّوا ﴾ في جميع ذلك ضلال من يطلب))^(٧) إشارة إلى أن قوله : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ تمثيلٌ مثل حال هؤلاء في تحيرهم وضلالهم فيما يصنع.

قوله : ((فَرَدَّ قَوْلَهُ : ﴿ كُونُوا ﴾ على قولهم : ﴿ كُنَّا ﴾))^(٨) أي : أطلقه جواباً على طريقة المشاكلة^(٩) ، المعنى أورد هذا القول على قولهم : وقذف بالحق على باطلهم، فإنهم لما استبعدوا أن يبعثوا خلقاً جديداً بعد كونهم عظاماً قيل لهم : ﴿ كُونُوا ﴾ الآن أبعد شيء من الحياة، فإنكم ستبعثون، والأمر للتسخير، وإنما فسره بقوله : ﴿ لَوْ كُنْتُمْ لَيَعْلَمَنَّ أَن الْمُرَادَ بِالْعِبَارَةِ الْفَرْضَ وَالتَّقْدِيرَ، إِذْ لَوْ أَرِيدَ بِهِ حَقِيقَةُ التَّسْخِيرِ لَصَارُوا حِجَارَةً ﴾

(١) سورة الشعراء الآية ١٥٣.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧.

(٣) سورة الشعراء الآية ١٥٤.

(٤) سورة الإسراء الآية ٤٧.

(٥) سورة الإسراء الآية ١٠١.

(٦) سورة سبأ الآية ٤٣.

(٧) تفسر قوله تعالى : ﴿ فَضَلُّوا ﴾ قال (ز) : ((فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب)) في النية طريقاً يسلكه فلا يقدر عليه، فهو متحيرٌ في أمره لا يدري ما يصنع.

(٨) تفسر قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا أَوْ خَلْقًا مَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَسْغُضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ الإسراء الآية ٤٩-٥١.

(٩) (المشاكلة) : هي ذكر الشيء بلفظ مصاحبه لوقوعه معه نحو قوله (جزاء سيئة سيئة مثلها) الشورى

الآية ٤٢ البان للطبي ٣٤٧.

من غير ريب وانقلبوا حديدًا من غير مكث، فقول المصنف : لكان قادراً على أن يردكم إلى حال الحياة لا يطابق ظاهراً قوله : ﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾ لأن الكلام أولاً في حصول البعث لا القادر على البعث، ولذلك سألوا ثانياً عن الباعث بقولهم : ﴿ من يعيدنا ﴾ فأجيبوا بقوله : ﴿ الذي فطركم أول مرة ﴾ فإنه من الأجوبة الدامغة، فلذلك انغضوا^(١) رؤسهم قائلين : ﴿ متى هو ﴾ وقيل : ما يكبر في صدورهم الموت^(٢) ، وهو مروى عن ابن عباس، ومعناه : لو كنتم نفس الموت لأحياكم على المبالغة، كما يقال : لو كنت عين الحياة لأماكك الله، وإلا فالموت عرض لا ينقلب الجسم إليه، ولا هو ينقلب إلى ضده الذي هو الحياة.

قوله : ((والمعنى : يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين))^(٣) إشارة إلى أن قوله : ﴿ يدعوكم فتستجيون ﴾ تمثيل على منوال قوله : (كن) فيكون في أن لا دُعَاءَ ثُمَّ قَالَ القاضي^(٤) : [استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما، وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة.

قوله : ((تلين لين المسموح))^(٥) أي : المنقاد، يقال : أَسْمَحْتُ قُرُونَتَهُ، أي : ذَلَّتْ نفسه وتابعت. الأساس^(٦) : [أَسْمَحْتُ قُرُونَتَهُ إِذَا تَبِعَتْهُ نَفْسُهُ وَأَطَاعَتْهُ].

قوله : ((لين المسموح)) فيه تمثيل مع رائحة التهكم.

(١) (نغض) الإنغاض : تحريك الرأس نحو الغير كالمتعجب منه . الراغب ٥٠٠ والصاحح للجوهري

١١٠٨/٣

(٢) رواه الطبري ٩٨/٩ عن ابن عباس، وابن عمر.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾ الإسراء الآية ٥٢.

قال (ز) : والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز ((والمعنى : ويوم ميعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين)) لا تمتنعوا.

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣.

(٥) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ بحمده ﴾ : حال منهم، أي : حاملين، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث،

كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه، فَيَأْتِي ويمتنع : تركبه وأنت حامد شاكر، قال : وتفسر : قسراً حتى إنك ((تلين لين المسموح)) الراغب فيه الحامد عليه.

(٦) الأساس للزمخشري ٣٠٧ مادة (سمح).

قوله : ((يقولوا للمشركين الكلمة ﴿ التي هي أحسن ﴾)) (١) والذي يدل على أن المراد منه المشركون أنه تعلي لما أمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه في أن لا يخاشين المشركين في الرد عليهم ويعادهم بالتي هي أحسن في الأجوبة الثلاثة في أمر البعث، أمره بأن يعلم المؤمنين سلوك هذه الطريقة، وأن يستنوا بسنته، وذلك أنهم لما أنكروا البعث إنكاراً بليغاً بقولهم : ﴿ أنذا كنا عظاماً ورُفَاتاً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أمره بأن يجيبهم بقوله : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً ﴾ أي : لا بد من البعث للجزاء الموعود، ولا مجال للاستبعاد، إذ لو صرتم أبعد شيء من الحياة فإنكم مبعوثون له، لقوله تعالى : ﴿ إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين ... إلى آخره ﴾ (٢) . وعند ذلك لا بد أن يقولوا : هب أنه كذلك فمن الذي يقدر على هذا الأمر العظيم، فأمر بأن يجيبهم بقوله : هو الذي شاهدتم منه أعظم من هذا، وهو إخراجكم من العدم إلى الوجود. ثم إنهم إذا قالوا مستهزئين : سلمنا ذلك فمتى إرساؤها؟. فقل لهم : ﴿ علمها عند ربي ﴾ ولعل مجيئها قد قرب، لكن أمارتها : ﴿ حين يدعوكم فتستجيبون ﴾ له. وأما حسن هذه الأجوبة وسلوك طريقة اللين فيها فإنهم ما أوردوا تلك الأسئلة للاسترشاد، بل للعناد والاستهزاء البليغ والانحراف عن الطريق المستقيم، لكن أخرجت الأجوبة على منوال الجلة والطريق السوي، وعدم المبالاة بالاستهزاء أو الإنكار.

قوله : ((المشارّة)) (٣) المفاعلة من الشر. الجوهري (٤) : [المشارّة : المخاصمة].

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقول التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً . ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ الآية ٥٣ - ٥٤.

(٢) سورة يونس الآية ٤.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ قال (ز) : يلقي بينهم الفساد، ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم ((المشارّة)) والمشاقة.

(٤) الجوهري في صحاحه ٦٩٥/٢ مادة (شر).

قوله ((وترك المحاقّة)) الجوهرى (١) : [حاقّه إذا خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق، فإذا غلبه قيل : حقه].

قوله : ((والمكاشفة)) هي من كاشفه بالعداوة، أي : باذاه بها.

قوله : ((﴿ وكيلاً ﴾ أي : ربّا موكولاً إليك أمرهم)) (٢) إلى قوله : ((فدارهم ومرار أصحابك بالمدارة)) إشارة إلى نظم الآيات، وفي سلوكه صعوبة، وهو قد رمز إليه رمزاً خفياً لا يكاد يدرك في بدء الفكرة . فقوله تعالى : ﴿ ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم ﴾ مقول لقوله : ﴿ يقول التي هي أحسن ﴾ توطئة وتمهيد . وقوله : ﴿ إن الشيطان لكم ... الآية ﴾ اعتراض بين المفسر والمفسر . وقوله : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ كالتذييل لمجموع مجادلته مع المشركين، وأمره المؤمنين بها من لدن قوله : ﴿ وقالوا أنذا كنا عظاما ﴾ إلى ها هنا . وقوله : ﴿ وربك أعلم بمن في السموات والأرض ﴾ (٣) كما قال : ردّ على المشركين في إنكارهم استبعاد أمر النبوة بعد الردّ على استبعادهم البعث بقولهم : ﴿ وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً ﴾ وذلك أنه تعالى لما استجهلهم بقوله : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ وأراد قولهم : إنك شاعر وساحر ومجنون، وحكى عنهم مجادلاتهم، أتى بنوع آخر من الكلام الدالّ على ردّهم استبعادهم نبوة محمد صلوات الله عليه، وأنه كيف يكون يتيماً أبي طالب نبياً، وأن يكون العراة الجوّغ أصحابه، فقليل له : إن كانوا لا يعلمون كيفية نبوتك، وتقدّم أصحابك في الدين، فاعلم أن ربك عالم بأحوال من في السموات والأرض بمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم من الفضل، ولذلك تفاوتت مراتب الأنبياء، فبعضهم أفضل من بعض، ألا ترى كيف اصطفيناك من بينهم وجعلناك خاتماً لهم، وجعلنا أمتك خير الأمم، وهذه المنقبة ثابتة لك في الكتب السالفة، منها الزبور، قال الله تعالى : ﴿ ولقد

(١) الجوهرى في صحاحه ١٤٦١/٤ مادة (حقق).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض

وآتينا داود زبوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٥.

كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴿١﴾ ومثله قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ ﴿٢﴾ .

قوله : ((وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه)) ﴿٣﴾ عطف على قوله : ((وقيل للمؤمنين يقولوا للمشركين)) فعلى هذا ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ لا يكون تفسيراً ﴿ للتي هي أحسن ﴾ (ويكون معناه نحو ما قال : يهديكم الله، يرحمكم الله).

قوله : ((٤)) وقيل الكلمة التي هي أحسن : أن يقولوا : يهديكم الله، فعلى هذا قوله : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ يكون تعليلاً للأمر بقوله : ﴿ قل ﴾ أي : قل لهم أن يجاملوا في القول ولا يُخاشِنُوا ولا يبالغوا في الجدال لئلا ينفّر المشركين بنزغه ويلبسهم ﴿٥﴾ جلد النمر ولا يورث المؤمنين الخيلاء، لأن المجادلة الباطلة مما تفسد ذات البين، فيكون قوله : ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ خطاباً للمؤمنين ليتركوا المراء، ويؤيده قوله : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ يعني إذا لم تكن أنت وكيلاً على المشركين فالمؤمنون أخرى به.

قوله : ((٦)) ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ دلالة على وجه تفضيله ﴿٦﴾ إلى قوله : وإن أمته خير الأمم، ووجه الدلالة أنه تعالى عطف ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ على قوله : ﴿ فضلنا ﴾ على طريق الوجود والحصول وعول التعليل إلى ذهن البليغ، كأنه تعالى قال : نحن أجهلنا بيان تفضيل بعضهم على بعض، ونحن فضلناه بأن بيّنا ذلك فيما أعطينا عبدنا داود من الزبور، وفيه أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، وإلى التعليل الإشارة بقوله : لأن ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام، ونحوه في التعويل إلى الذهن ما

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(٣) قاله الواحدي في أسباب النزول ٣٣٣، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه عمر فأمره الله بالعفو،

وذكره الماوردي ٢٤٩/٣ وأخبر الوجيز لابن عطية ١١٤/٩ والقرطبي ٢٧٦/١٠.

(٤) ما بين القوسين س من ب.

(٥) كناية عن الغضب وما يترتب عليه من النفور وقيح الكلام والطيش.

(٦) يعني تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم.

رُوى أن المنصور^(١) وعد المهدي^(٢) ، بجائزة ونسي، وحجا معاً، ومراً في المدينة بيت عاتكة، فقال : يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص^(٣) :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل **^(٤)

فأنكر عليه ذلك، فلما رجع أمر القصيدة التي فيها هذا المصراع^(٥) على قلبه فإذا فيها:

** وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ** مذق اللسان^(٦) يقول ما لا يفعل **

فذكر المواعيد وأنجز له واعتذر إليه، ويسمى هذا الأسلوب بالتلميح^(٧) .

(١) المنصور : أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمه سلامة البربرية، ولد سنة ٩٥، روى عن أبيه، وعن عطاء بن يسار، وعنه ولده المهدي، يبيع بالخلافة بعهد من أخيه، وكان فحل بني العباس، هبة وشجاعة ورأياً وجبروتاً، عالماً أديباً. تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٠٣ .

وذكر نحو القصة في ٣١٣. قال : وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال : مما يؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل المدينة، فقال للربيع : اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس، فجاءه رجل، فجعل يعرفه الدور، إلا أنه لا يتدب به يسأله المنصور، فلما فارقه أمر له بألف درهم، فطالب الرجل الربيع بها، فقال : ما قال لي شيئاً، وسركب فذكره، فركب مرة أخرى، فجعل يعرفه، ولا يرى موضعاً للكلام، فلما أراد أن يفارقه، قال الرجل مبتدئاً : وهذه يا أمير المؤمنين دار عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

** يا بيت عاتكة الذي أتعزل ** حَذَرَ الْعِدِي وَبِكَ الْفَوَادُ مُوَكَّل **

فأنكر المنصور ابتداءه، فأمر القصيدة على قلبه، فإذا فيها :

** وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ** مذق اللسان يقول ما لا يفعل **

فضحك، وقال : ويلك يا ربيع، أعطه ألف درهم . انظر الأغاني فيه القصيدة ٩٦/٢١ .

(٢) وذكر الألويسي القصة هذه ٩٥/١٥ .

(٣) الأحوص : عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة، شاعر هجاء، من طبقة جميل بن معمر، ومعاصراً لجرير والفرزدق، كان من سكان المدينة، وفد على عبد الملك في الشام، فأكرمه، ثم بلغه عنه ما ساءه من سريره، فردّه إلى المدينة، وأمر بجلده، ونفيه إلى جزيرة (ذُهلَك) بين اليمن والحبشة، مات سنة ١٠٥هـ. الأعلام للزكلي ١١٦/٤ والأغاني ٤٠/٤ .

(٤) انظر ديوان الأحوص ١٦٦ .

(٥) المصراع : أحد شطري البيت، الأول يسمى : صدر، والثاني يسمى : عجزاً.

(٦) مذق اللسان، أي : لسانه مخلوط غير خالص، أصله من مذق اللبن خلطه بالماء، ومنه قولهم : فلان

يَمَذُقُ الوَدَّ إذا لم يخلصه، فهو مذاق . الصحاح للجوهري ١٥٥٣/٤ مادة (مذق).

(٧) (التلميح) هو أن يشار في فحو الكلام إلى قصة أو شعر من غير أن تذكر صريحاً . التعريفات

للجرجاني ٦٦ .

قوله : ((كالعباس وعباس))^(١) قال أبو البقاء^(٢) : [إنه علم يقال : زبور والزبور، كما يقال : عباس والعباس، أو هو نكرة، أي : كتاباً من جملة الكتب]، وقال القاضي^(٣) : [الزبور في الأصل فَعُولٌ للمفعول، كالحلوب، أو المصدر كالقبول، ويؤيده قراءة حمزة بالضم، فهو كالعباس والفضل].

قوله : ((أو ضمن يتغون الوسيلة معنى يحرصون))^(٤)، معنى الجملة كما هي بمعنى يحرصون . قال صاحب التقريب : [أي موصولة، وهو بدل من واو يتغون، أي آلتهم أولئك يتغى من هو أقرب منهم الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب ﴿أو أيهم﴾ استفهام، وضمّن يتغون الوسيلة معنى يحرصون، أي : يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالطاعة وزيادة الخير، فعلى الأول : يطلب من هو أقرب الوسيلة، وعلى الثاني :

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ قال (ز) : قلت : يجوز أن يكون الزبور، وزبور ((كالعباس وعباس)) كما قال ابن مالك في الخلاصة :

**** وبعض الأعلام عليه دخلا ** للمح ما قد كان عنه نقلاً ****
**** كالفضل والحارث والنعمان ** فذكر ذا وحذفه سيان ****

(٢) أبو البقاء في إملائه ٩٣/٢ .

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٥/٣ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿قل ادع الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ الإسراء الآية ٥٦-٥٧ .

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿أيهم﴾ : بدل من واو يتغون، وأي موصولة، أي : يتغى من هو أقرب منهم، وأزلف الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب ((أو ضمن يتغون الوسيلة معنى يحرصون)) فكأنه قيل : يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله، وذلك بالطاعات ... الخ.

وفي معنى هذه الآية الدالة على أن المعبودين من دون الله لا ينفعون عابديهم بأي نفع من جلب نفع أو دفع ضرر. من ذلك قوله تعالى في سورة سبأ الآية ٢٢ : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ وقوله في الزمر الآية ٣٨ : ﴿أفأرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ... الآية﴾

يطلب آلهتهم أن يكونوا أقرب إلى الله بما هو وسيلة . وقال أبو البقاء^(١) : ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ مبتدأ و ﴿ أقرب ﴾ خبره، وهو استفهام، والجملة في موضع نصب بـ ﴿ يدعون ﴾، ويجوز أن يكون ﴿ أيهم ﴾ بمعنى الذي، وهو بدل من الضمير في ﴿ يدعون ﴾ [، واعلم أن لهم في مثل هذا مذهبين : أحدهما : أن ﴿ أيهم ﴾ استفهام، وهو مذهب الخليل. وثانيهما : هي موصولة، وصدر الصلة محذوف، وإليه ذهب سيويه، وسيجيء تمام تقريره في قوله تعالى : ﴿ ثم لنزغن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾^(٢) فالوجه الأول في الكشف محمول على مذهب سيويه، ولذلك صرح بذكر صدر الصلة. وقال : ينبغي من هو أقرب. والثاني على مذهب الخليل حيث قال : يحرصون أيهم، ولا بد من تقدير متعلق بـ يحرصون، كقوله تعالى : ﴿ حريص عليكم ﴾^(٣) إن تحرص على هداهم^(٤) . ومن تأويل الإنشائي لتصحيح استقامته أقرب إلى الله بسببه من الطاعة وازدياد الخير، ففي الآية تقديم وتأخير لأن قوله : ﴿ إلى ربهم ﴾ حينئذ متعلق بـ ﴿ أقرب ﴾، كما قدر في قوله يحرصون أيهم أقرب إلى الله، وأما قول أبي البقاء^(٥) : [والجملة في موضع نصب بيدعون] فتقديره أن آلهتهم أولئك يدعون إلى الله، الذين يقال فيهم أيهم أقرب إلى الله، لأنهم الذين يتفعون بالدعوة، كقوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون ﴾^(٦) ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾^(٧) ﴿ هدى للمتقين ﴾^(٨) ويجوز أن

(١) أبو البقاء ٩٣/٢.

(٢) سورة مريم الآية ٦٩.

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٤) سورة النحل الآية ٣٧.

(٥) أبو البقاء ٩٣/٢.

(٦) سورة الأنعام الآية ٥١.

(٧) سورة عبس الآية ٤٥.

(٨) سورة البقرة الآية ٢.

وسبب نزول هذه الآية : قال ابن مسعود رضي الله عنه : نزلت في قوم من العرب من خزاعة أو غيرهم كانوا يعبدون الجن، فأسلم الجنون وبقي الكفار يعبدونهم، فأنزل الله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم

يقدر أوئلك يدعون إلى الهدى، وإلى ما يقال فيه : أنهم أقرب إلى الله بسببه من العبادة والطاعة يبتغون إلى ربهم الوسيلة بتلك الدعوة، فقدم اهتماماً. والله أعلم.

قوله : ((كما غيرهم، أي : كغيرهم)) و (ما) كافة، أي : كما هو غيرهم.

قوله : ((بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب))^(١)، هذا العموم يعطيه معنى التعليل، والعموم الذي في إطلاق قوله : ﴿محذوراً﴾.

قوله : ((والجبال بالصواعق))^(٢) وفي الحاشية : الجبال من الري إلى بغداد.

قوله : ((استعير المنع لترك إرسال الآيات))^(٣)، لأن أصل المعنى : وما تركنا إرسال الآيات التي اقترحتها قريش، إلا لأجل علمنا السابق، والتقدير الماضي، وهو تأخير أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة، ولما كان الصارف وهو العلم والتقدير قوياً، استعير المنع للترك، وذلك أن المنع حقيقة هو صرف الغير عن فعل يفعله، وذلك في حق الفاعل المختار محال، فوجب الحمل على المجاز.

الوسيلة أيهم أقرب ... الآية ﴿ . وقال ابن عباس رضي الله عنه : نزلت في الذين كانوا يعبدون عزيلاً والمسيح وأمه. انظر لباب القول في أسباب النزول للسيوطي ٦/٢ مع الجلالين.

وأخرجه البخاري مع الفتح ٣٩٧/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ قل ادع الذين زعمتم من دونه ... الآية ﴾ رقم ٤٧١٤. وأيضاً الحديث رقم ٤٧١٥ ص ٣٩٨.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ قال (ز) : حقيقة ((بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب)) ونبي مرسل، فضلاً عن غيرهم.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٨.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ أو معذبوها ﴾ : بالقتل وأنواع العذاب، وقيل : الهلاك للصالح، والعذاب للطاغية، وعن مقاتل : وجدت في كتب الضحاک بن مزاحم في تفسيرها. أما مكة فتخربها الحبشة، والمدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، ((والجبال بالصواعق)) والرواجف . ولا يعول على هذا.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ الإسراء الآية ٥١.

قوله : ((أن من اقترح))^(١) أن مع اسمها وخبرها خبر ((عادة الله)) وخبر إن : أن يعاجل.

قوله : ((وأنها لو أرسلت)) عطف على قوله : أن كذب بها الذين هم أمثالهم، على منوال أعجبنى زيد وكرمه.

قوله : ((وقرئ : ﴿ مَبْصُرَةٌ ﴾))^(٢) بفتح الميم . قال أبو البقاء^(٣) : [أي : تبصرة].

قوله : ((لا نرسلها ﴿ إلا تخويفاً ﴾ من نزول العذاب العاجل))^(٤) الراغب^(٥) : [الآيات ههنا قيل : إشارة إلى الجراد والقمل ونحوهما من الآيات التي أرسلت إلى الأمم المتقدمة، فنبه أن ذلك إنما يفعل بمن يفعله تخويفاً، وذلك أحسن المنازل للمأمورين، فإن الإنسان يتحرى فعل الخير لأحد ثلاثة أشياء : إما أن يتحرّاه لرغبة أو لرهبة، وهو أدنى منزلة. وإما أن يتحرّاه لمحمدة، وإما أن يتحرّاه للفضيلة، وهو أن يكون ذلك الشيء في نفسه فاضلاً، وذلك أشرف المنازل فلما كانت هذه الأمة خير أمة رفعهم عن هذه المنزلة، ونبه أنه لا يعمّهم بالعذاب، وإن كانت الجهلة منهم كانوا يقولون : ﴿ أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليهم ﴾^(٦) وقيل : الآيات إشارة إلى الأدلة، ونبه أنه يتبصّر معهم على الأدلة ويصانون عن العذاب الذي يستعجلونه].

(١) قال (ز) : وما متّعنا إرسال الآيات، إلا تكذيب الأولين، وعادة الله في الأولين من الأمم، أن من اقترح منهم آية، فأجيب إليها ثم لم يؤمن بها أن يعاجل بعذاب الاستئصال، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيباً ألك، وقالوا هذا سحر مبين.

(٢) قرأ قتادة بفتح الميم والصاد (مفعلة) من البصر أي : محل إبطار . البحر المحيط ٥٣/٦.

(٣) أبو البقاء في إملائة ٩٣/٢.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾.

(٥) الراغب في مفرداته ٣٣ مادة (آي).

(٦) سورة الأنفال الآية ٣٢ . ويعني بالجهلة منهم : النصر بن الحارث، القائل ذلك.

قوله : ((وهو يومئ إلى الأرض، ويقول هذا مصرع فلان))^(١) روى مسلم^(٢) وأبو داود عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ههنا وههنا . قال : فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ماط، أي : بعد وذهب .

قوله : ((ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، الجوهري^(٣) : [العريش : ما يستظل به] . روينا في صحيح البخاري^(٤) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر : (اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد اليوم، فأخذ أبوبكر بيده، فقال : حسبك) .

قوله : ((فتسامعت))^(٥) هو متصل بقوله : ((ولعل الله)) وما عطف عليه من قوله : ((وحين تراجع الفريقان)) بدليل قوله من أمر بدر وما أرى في منامه، والمعطوف والمعطوف عليه تفسيران لقوله تعالى : ﴿ إن ربك أحاط بالناس ﴾ ولقوله : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾ وجعلوها سخرية عامل حين سمعوا، وهو تأويل لقوله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ وأما قوله : حين تراجع، فظرف لقوله : ((يدعو ويقول)) كما أن قوله : ((حين ورد ماء بدر ظرف يقول)) : أي كان يدعو ويقول

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٦٠ .

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ : أي : أحاط بقريش، يعني بشرناك بوقعة بدر وفيها أنه صلى الله عليه وسلم كان ((يومئ إلى الأرض ويقول : هذا مصرع فلان)) .

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٠٣/٢ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميست من الجنة والنار عليه وفي الجهاد برقم ١٧٧٩ ... الخ . وأبو داود ١٣١/٣ كتاب الجهاد، باب في الأسير ينال منه ويضرب ويقرّر . والنسائي ١٠٩/٤ . وأحمد في مسنده ٢١٩/٣، ٢٥٨ . ومصنف ابن أبي شيبة ٣٧٨/١٠٤ .

(٣) الجوهري في صحاحه ١٠١٠/٣ مادة (عرش) .

(٤) البخاري مع الفتح (٦١٩/٨) كتاب التفسير، باب قوله : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . وأحمد في

مسنده ٣٢٩/١ .

(٥) لما ذكر الحديث : اللهم إني أسألك عهدك ... الخ . قال : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ((ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه، ثم قال : ((فتسامعت قريش)) بما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حين تراجع الفريقان : اللهم إني أسألك، وقد كان يقول حين ورد ماء بدر، والله لكأني أنظر، وإنما جمع المعنيين في قرآن واحد وأفرز (الثالث) لاتحاد قصتهما واختلاف الثالث فقلوه : ((وحيين)) سمعوا عطف على جملة قوله : ((حين تراجع الفريقان مع ما عطف عليه وهو قوله : ((ولعل الله)) ثم إنه لخص المعاني الثلاثة في قوله : والمعنى أن الآيات إنما نرسل بها تخويفاً للعباد ... إلى آخره،

قوله : ((﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ^(١) من قال ذلك)) (من) فاعل (قدروا). الانتصاف ^(٢) : [العمدة في ذلك أن النار لا تؤثر إحراقاً إلا أن الله تعالى أجرى العادة أن يخلق الإحراق عقيب ملاقاتها بعض الأجسام ^(٣)].

قوله : ((وما أنكروا)) ^(٤) قيل (ما) يجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول مطلق، أي : أي إنكار أنكروا ؟ وما استفهامية إنكارية . ويجوز أن تكون شرطية، والجزاء قوله : ((فهذا وَبَرُّ السَّمْنَدَلِ على طريق الإخبار والإنكار لقوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة

(١) سورة الزمر الآية ٦٧ قال : (ز) : ولما سمعوا بأنه ذكر مصارعهم استهزءوا به، كما استهزءوا لما سمعوا قوله تعالى : ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأليم ﴾ فأورد قوله تعالى : ((﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾)) .
(٢) الانتصاف مع الكشاف ٦٧٥/٢ .

(٣) فالله تعالى هو الخالق للتأثير، فالنار صارت برداً وسلاماً لإبراهيم عليه السلام، لأنه أراد ذلك وشاء،

فانتفى تأثيرها بذاتها . قال أحمد المقرئ في هذا الباب :

** ونفي تأثير عن الأسباب ** يعلم من برهان هذا الباب **
** كالماء للري وكالسكين ** في القطع وفي النار كالتسخين **
** وقدرة العبد وغير ذلك ** فالكل خلق للقدير المالك **
** وما له في صنعه من مثل ** وليس للعبد اختراع فعل **
** نعم له كسب به يكلف ** شرعاً ولا تأثير منه يؤلف **
** ولتحذر التسنج على منوال ** ما خالف المذكور من أقوال **
** والله عن أفعاله لا يسأل ** والقدري لم يقل ما يعقل **

(٤) قال (ز) : إن قريشاً ((ما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار، فهذا وبر (السَّمْنَدَلِ)

وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا أتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ، وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار.

فمن الله ﴿١﴾ والمعنى متصل بقوله : ((ثم أقرب من ذلك)) أي : أقرب مما ذكرنا أنه خلق في كل شجرة ناراً فلا تحرقها، وهم يشاهدونها، فأَيَّ إنكار أنكروا هذا ؟.

قوله : ((في كل شجرة ناراً)) وفي المثل (٢) : [(في كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ) شَبَّهُهُمَا بَمَنْ يَكْثُرُ الْعَطَاءُ طَلِباً لِلْمَجْدِ، لِأَنَّهُمَا يَسْرِعَانِ الْوَرَى، خِلَافَ سَائِرِ الْأَشْجَارِ].

قوله : ((وَخُوفُوا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ)) (٣) عطف على قوله : ((وقد خُوفُوا بِعَذَابِ الدُّنْيَا)) . والفاء في : ((فما أثر فيهم)) هي الفاء في قوله تعالى : ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ والتخويف بعذاب الدنيا حصل من شيئين : من الوحي بإحاطة الناس، ومن الرؤيا التي أراها في مصارع القوم، والتخويف بعذاب الآخرة حصل من إنزال شجرة الزقوم في القرآن، ولذلك جعل المصنف عطف قوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ على ﴿إِذْ قُلْنَا﴾ بمنزلة شيء واحد، وأتى بالفاء، حيث قال : ((فما كان ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك ﴾ إلا فتنة ﴾)) .

قوله : ((فكيف يجاب قوم)) بالجيم والباء، وفي أكثر النسخ : يخاف، بالخاء والفاء (٤) ، وفيه إيماء إلى اتصال قوله تعالى : ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا﴾ بقوله : ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ يعني : ما تركنا إرسال تلك الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهاباً وإحياء الموتى وغيرها إلا لنزول عذاب الاستئصال، وقد عزمنا تأخير أمرهم . ثم قال : ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي : وما نزل بآيات

(١) سورة النحل الآية ٥٣ .

(٢) الأمثال للميداني ٤٧/٢ رقم المثل ٢٧٥٢، يقال : مَجَدَّتِ الْإِبِلُ تَمَجُّدًا مُجَوِّدًا إِذَا نَالَتْ مِنَ الْحَلَى قَرِيبًا مِنَ الشَّبَعِ، واستمجد المرخ والعفار، أي : استكثرا واخذوا من النار ما هو حسبهما. ((شَبَّهَا بَمَنْ يَكْثُرُ الْعَطَاءُ طَلِباً لِلْمَجْدِ، لِأَنَّهُمَا يَسْرِعَانِ الْوَرَى.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿إِلَّا فَتْنَةً﴾ قال (ز) : فتنة لهم حيث اتخذوه سخرياً ((وَخُوفُوا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ)) وشجرة الزقوم، فما أثر فيهم.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ قال (ز) : ((فكيف يخاف)) قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات.

القرآن إلا تخويفاً وإنذاراً مما نزل بالأولين كعاد وثمود وفرعون من الاستئصال بسبب اقتراحهم على أنبيائهم لينزجروا ويعتبروا، وتخويفاً مما حلّ بهؤلاء يوم بدر، وما يحلّ بهم يوم القيامة من أكل الشجرة الملعونة ليعظوا، فما يزيدهم كلّ ذلك إلا طغياناً، فإذا كان الأمر على هذا فكيف يجابوا إلى ما اقترحوا بإرسال الآيات، فوضع موضع ضمير يجابوا قوم هذه حالهم، إيذاناً بأنهم قوم معاندة مكابرة، أو يقال : كيف يجابون بإرسال ما يقترحون من الآيات ؟. وأنها كالطليعة المقدمة لعذاب الآجل، وقد خوفوا هذه التخويفات فما اتّعظوا ؟. والله أعلم.

قوله : ((ومن قال كان في اليقظة فسرّ الرؤيا بالرؤية))^(١) يعني على الأصل، قال المصنف في سورة يوسف^(٢) : [والرؤيا بمعنى الرؤية، إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة. وفرّق بينهما بحرفي التأنيث، كما قيل القُرْبَة والقُرْبَى] ومثله استعمال الوعد والوعيد. وروينا عن البخاري^(٣) وأحمد بن حنبل والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ قال : (هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إل بيت المقدس).

قوله : ((وقيل : إنما سماها رؤيا على قول المكذبين، يعني على زعمهم والتهكم بهم، ويمكن أن يكون ههنا من باب المشاكلة^(٤)).

(١) من تفسير قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ قال (ز) : وقيل : الرؤيا هي الإسراء، وبه تعلق من يقول

: كان الإسراء في المنام ((ومن قال : كان في اليقظة فسرّ الرؤيا بالرؤية))

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ الآية ٥.

(٣) البخاري مع الفتح ٣٩٨/٨ كتاب التفسير، باب : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾.

والترمذي ٢٨٢/٥ كتاب التفسير، باب : ومن سورة بني إسرائيل . وأحمد في مسنده الفتح الرباني ١٨/١٩٣.

(٤) المشاكلة: هي ذكر الشيء بلفظ مضاجه لوقوعه معه ، كقوله تعالى في الشورى الآية ٢٤ (وجراء سينة سينة مظهرها).

قوله : ((كما سَمَى أشياء بأسمائها عند الكفرة))^(١) سَمَى أصنامهم بالآلهة والشركاء في الآيتين، وأنفسهم بالعزیز الكريم في الآخرة على زعمهم وكما هو عندهم تهكمًا^(٢) .

قوله : ((فراغ)) الجوهری^(٣) : [راغ إلى كذا، أي : مال إليه سرًا ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾^(٤) أي : أقبل . قال الفراء : [مال عليهم].

قوله : ((رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره))^(٥) الحكم هو ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وولده الذين ملكوا بعد معاوية يزيد بن معاوية بن

(١) قال (ز) : وقيل : إنما سماها رؤيا على قول المكذبين، حيث قالوا له : لعلها رؤيا رأيتها وخیال خیل

إليك استبعاداً منهم ((كما سَمَى أشياء بأسمائها عند الكفرة)) .

(٢) التهكم : الاستهزاء والتكبر القاموس ١٩١/٤ مادة (التهكم) .

(٣) الجوهری في صحاحه ١٣٢٠/٤ مادة (روغ) .

(٤) سورة الصافات الآية ٩٣ .

(٥) قال (ز) : وقيل : إنه ((رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره)) كما يتداول الصبيان الكرة .

انظر تراجم خلفاء بني أمية في تاريخ الخلفاء للسيوطي . والأعلام للزركلي :

- ١- معاوية بن أبي سفيان، أسلم يوم الفتح، بقي في الخلافة عشرين سنة لا يتنازع فيها. مات سنة ٦٠.
- ٢- يزيد بن معاوية، ولد سنة ٢٦، ولي الخلافة سنة ٦٠هـ، ومات سنة ٦٤.
- ٣- عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٢٦، ولي الخلافة سنة ٦٥، ومات سنة ٨٦.
- ٤- الوليد بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٤٨، ولي الخلافة سنة ٨٦، ومات سنة ٩٦.
- ٥- سليمان بن عبد الملك، ولد سنة ٥٤ ومات ٩٩، ولي الخلافة سنة ٩٦، مدة خلافته سنتان وثمانية أشهر.
- ٦- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم العادل، ولد سنة ٦١، ومات سنة ١٠١، دامت خلافته سنتان ونصف.
- ٧- يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٧١، ومات ١٠٥، دامت خلافته أربع سنين وشهراً.
- ٨- هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٧١، ومات سنة ١٢٥، بويح بالخلافة سنة ١٠٥. دامت خلافته سنتان.

- ٩- الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ولد سنة ٨٨، ومات سنة ١٢٥، ولي الخلافة ١٢٥، ودامت سنة وثلاثة أشهر.
- ١٠- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، مات سنة ١٣٢، ولي الخلافة سنة ١٢٦، كان ضعيفاً مكث في الخلافة ٧٠ يوماً.

- ١١- مروان بن محمد بن مروان، ولد سنة ٧٢، ومات سنة ١٣٢ دامت خلافته خمس سنين وشهر . . وهو آخر خلفاء بني أمية.

أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أولهم مروان بن الحكم، ثم عبد الملك ابنه، ثم ابنه الوليد، ثم أخوه سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وآخرهم مروان بن محمد بن الحكم.

قوله : ((لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة))^(١) أي : أي موضع من القرآن وجدت فيه لعنة الكافرين، فهي ملعونة هناك، لأن المراد بالشجرة الملعونة أن طاعمها ملعون، لأن الشجرة لا ذنب لها.

قوله : ((وسألت بعضهم)) عن صحة نقل المعنى فقلت : هل تسمى العرب كل طعام مكروه ملعوناً؟ قال : نعم . وزاد في الجواب : إن الطعام الملعون هو المذموم الذي لا خير فيه.

قوله : ((القشب المحقوق))^(٢) الفائق^(٣) : [القشب : القدر، والقشِبُ : الذي خالطه قدر، قيل : القشب أيضاً السم، والجمع أقشاب، وقشبه أيضاً إذا ذكره بسوء].
قوله : ((المحقوق)) محقه يحقه محقاً، أي : أبطله ومحاه، والكشوث^(٤) نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.

قوله : ((وقيل : هي الشيطان)) أي : الشجرة الملعونة . الانتصاف^(٥) : [يبعده قوله : ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾^(٦) وقوله : ﴿فإنهم لا ياكلون منها﴾^(٧)].

(١) تفسير قوله : ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ قال (ز) : فإن قلت : أين لعنت شجرة الزقوم في

القرآن؟ قلت : ((لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة)) والظلمة.

(٢) تفسير قوله : ﴿والشجرة الملعونة﴾ قال (ز) : تقول العرب لكل طعام مكروه ضار : ملعون، والطعام

الملعون ((القشب المحقوق)).

(٣) الفائق للزخشي ١٩٨/٣ مادة (قشب) والجوهري ٢٠١/١.

(٤) الصحاح للجوهري ٢٩٠/١ : الكشوث : نبت الخ. يشير (ز) إلى قول ابن عباس، أن الشجرة

الملعونة هي الكُشوث التي تلتوي بالشئ يجعل في الشراب، وهو نبت.

(٥) الانتصاف مع الكشاف ٦٧٦/٢.

(٦) سورة الصافات الآية ٦٥.

(٧) سورة الصافات الآية ٦٦.

قوله : ((أو من الراجع))^(١) والفرق أنه إذا كان حالاً من الموصول يكون قيداً لأُسْجُدُ، وإذا كان حالاً من الراجع، كان قيداً لـ(خَلَقْتَ) فيختلف التقديران، والأول أبليغ، لأنه من باب المجاز باعتبار ما كان، أي : أسجد للطّين، والطّين لا يُسْجَدُ له. والمعنى : على الثاني : أسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً، أي : أصله طين.

قوله : ((لم كرمته عليّ وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك))^(٢) أي : السؤال عن العلة، ويمكن أن يقال : إن اللّعين لمّا أنكر أن يسجد له تحقيراً لشأنه، وجعل طيناً مشاهداً ترقى منه إلى أبليغ، أي : أخبرني عن هذا المشاهد المحسوس المكوّن من الطّين والصّلصال كالفخار المجلول بالشهوات، أي : كيف يرتفع عليّ وأنا أقهره بالوساوس، وأجعله مطواعاً لي، سيما ذريته، فأستأصلهم إغواء، ومن ثمّ أتى بالجملة المؤكدة بلام القسم في قوله : ﴿لئن أخترتن﴾ ﴿لأحتكن ذريته﴾ ولفظة (هذا) مثلها في قولها^(٣) :

**** تقول ووقت نحرها بيمينها ** أبغلي هذا بالرحى المتقاعس ****

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أءسجد لمن خلقت طيناً. قال أأرى أنك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخترتن إلى يوم القيام لأحتكن ذريته إلا قليلاً. قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً. واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾ الإسراء الآية ٦١-٦٥.

قال (ز) في تفسير وإعراب قوله : ﴿طيناً﴾ حال إما من الموصول، وهو ﴿مَنْ﴾ والعامل فيه ﴿أسجد﴾ على تقدير ﴿أسجد﴾ له، وهو طين، أي : أصله طين ((أو من الراجع إليه)) من الصلة على تقدير : أسجد لمن كان في وقت خلقه ﴿طيناً﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿هذا الذي كرمت عليّ﴾ قال (ز) : أي فضله ((لم كرمته عليّ وأنا خير منه

... الخ))

(٣) لم أقف على قائلة البيت.

ويؤيده قول الإمام^(١) : [هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام، والذي مع صلته الخبر، أي : أخبرني : أهذا الذي كرمته عليّ ؟ وذلك على وجه الاستصغار، وإنما حذف الاستفهام، لأن حصوله في قوله : ﴿أرأيتك﴾ أغنى عن تكراره].

قوله : ((وهو من الحنك))^(٢) الراغب^(٣) : [الحنك : حنك الإنسان والدابة، وقيل لمنقار الغراب : حَنَكٌ، لكونه كالحنك من الإنسان، وقيل : أسودٌ مثلُ حنك الغراب، وحَلَكِ الغراب، فَحَنَكُهُ : منقاره، وحَلَكُهُ : سواد ريشه. وقوله تعالى : ﴿لأحتكن ذريته إلا قليلاً﴾ يجوز أن يكون من حَنَكُ الدابة أصبت حنكها باللجام والرّسن، فيكون نحو قولك : لألجمن فلاناً ولأرْسِنَهُ، ويجوز أن يكون من قولهم : احتك الجراد الأرض، أي : استولى بحنكه عليها، فأكلها واستأصلها، فيكون المعنى : استولى عليهم استيلاءه على ذلك، وفلانٌ حَنَكُهُ الدهر كقولك : نجره وفرع سنّه وافتَرَهُ، ونحو ذلك من الإستعارات في التجربة].

قوله : ((والظاهر أنه قال ذلك))^(٤)، أي : لئن أخرتني، يعني : أن قوله : لئن أخرتني، إلى آخره، داخل في حيز القول، فيكون صدور هذا القول بعد الإباء عن السّجود ومكان الوسوسة الجنة، وهو متخلف عن هذا بزمان، أي : هذا القول مردود.

قوله : ((كما قال موسى عليه السلام للسامري))^(٥)، يعني : كما رتب موسى عليه السلام على قوله : ﴿فاذهب﴾ قوله : ﴿فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾^(٦)، للثّذان بأن المراد من الأمر الخذلان، لتعقبه بالعقاب، كذلك ها هنا،

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٣/٢١.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿لأحتكن ذريته﴾ قال (ز) : لأستأصلهم بالإغواء، من : احتك الجراد الأرض إذا جرّد ما عليها أكلاً ((وهو من الحنك)).

(٣) الراغب في مفرداته ١٣٤ مادة (حنك).

(٤) يعني : قول إبليس : ﴿لأحتكن ذريته﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم﴾ قال (ز) : ((كما قال موسى عليه السلام للسامري : ﴿فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾.

(٦) سورة طه الآية ٩٧.

فَقُولَهُ : وَعَقِبَهُ، عَطَفَ عَلَى مُحذُوفٍ، وَهُوَ مُعَلَّلٌ لِقَوْلِهِ : خَذَلَانَا أَوْ تَخْلِيَةً، وَفِي قَوْلِهِ : ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ﴾ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ : تَذَكُّرٌ لَهُ جُزْءٌ، أَيُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ : امضْ لِشَأْنِكَ خَذَلَانَا وَتَخْلِيَةً، وَعَقِبَهُ بِذِكْرِ مَا جَرَّهُ سُوءُ اخْتِيَارِهِ، حَتَّى يُقَالَ فِي حَقِّهِ : ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾.

قَوْلُهُ : ((لَأَنَّ الْجُزْءَ مُوصُوفٌ بِالْمَوْفُورِ))^(١) هَذَا تَصْحِيحٌ وَقَوَعُ الْجُزْءِ حَالًا، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٢) وَقِيلَ : التَّقْدِيرُ^(٣) ذَوِي جُزْءٍ مَوْفُورٌ، فَيَكُونُ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي تَجَاوُزٍ، وَهُوَ مَعْنَى جُزَاؤُكُمْ، وَإِلَّا فَالْعَامِلُ مَفْقُودٌ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ، كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ حَاتِمٌ جَوْدًا. قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ^(٤) : [هُوَ حَالٌ مُوَطَّئَةٌ . وَقِيلَ : هُوَ تَمَيِّزٌ].

قَوْلُهُ : ((فَرُّ لَصَاحِبِكَ عَرْضُهُ))^(٥) مِثْلُهُ فِي قَوْلِ زَهِيرٍ :

**** وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ ** يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يَشْتُمُ ****

قَالَ الزُّوزَنِيُّ : وَقَرَّتْ الشَّيْءُ وَفَرَةً وَوَفَرًا : أَكْثَرَتْهُ وَوَقَرَّتْهُ وَفُورًا، تَقُولُ : وَمَنْ يَجْعَلُ مَعْرُوفَهُ ذَاتًا عَنْ عَرْضِهِ وَجَعَلَ إِحْسَانَهُ وَاقِيًا عَرْضَهُ وَقَرَّ مَكَارِمَهُ. الرَّاغِبُ^(٦) : [الْوَفَرُ : الْمَالُ التَّامُ. يُقَالُ : وَقَرْتُ كَذَا : تَمَّمْتُهُ، أَفْرُهُ وَفَرًا وَوَفُورًا وَفَرَةً وَوَقَرَّتْهُ عَلَى التَّكْثِيرِ، وَالْوَفَرَةُ : الشَّعْرُ الْوَافِرُ، وَمَزَادَةٌ وَفَرَاءٌ، وَسِقَاءٌ أَوْفَرٌ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ أَدِيمِهَا شَيْءٌ، وَرَأَيْتُ فَلَانًا ذَا وَفَارَةٍ، أَيُ : تَامَ الْمَرْوَةُ وَالْعَقْلُ].

(١) تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جُزْءًا مَوْفُورًا﴾ أَيُ : تَجَاوُزًا.

(٢) سُورَةُ يُوسُفَ الْآيَةُ ٢.

(٣) (الْمَعْنَى) فِي ب ، ت . بَدَلَ (التَّقْدِيرِ)

(٤) أَبُو الْبَقَاءِ فِي إِمْلَانِهِ ٩٤/٢.

(٥) تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿مَوْفُورًا﴾ قَالَ (ز) : الْمَوْفَرُ، يُقَالُ : ((فَرُّ لَصَاحِبِ عَرْضِهِ فُرَةً)).

(٦) الرَّاغِبُ فِي مَفْرَدَاتِهِ ٥٢٨ وَالصَّحَاحُ لِلْجَوْهَرِيِّ ٨٤٧/٢ مَادَّةُ (وَفَر).

قوله : ((والفَرْ الخفيف))^(١) الراغب^(٢) : [قال تعالى : ﴿ واستفزز من استطعت منهم ﴾ أي : أزعجَ وفَرَّني فلان أزعجني والفَرْ وَلَدُ البقرة، سمي به لما تُصوَّر فيه من الخفة، كما سمي عجلاً لما فيه من العجلة].

قوله : ((من الجلبة وهي الصياح))^(٣) الراغب^(٤) : [أجلبت عليه صحت عليه بقَهْر].

قوله : ((يا خيل الله اركبي)) النهاية^(٥) : [أي : يا أصحاب خيل الله].

قوله : ((وقرئ : ﴿ وَرَجِلَكَ ﴾)) قال ابن جني^(٦) : [رويناها عن قطرب عن أبي عبد الرحمن وقال الرَّجُلُ الرجال، وعليه قرآءة عكرمة وقتادة : ﴿ ورجالك ﴾ ويقال : رجلٌ جمع راجل، كتاجر وتجر، وهذا عند سيويه اسم للجمع غير مكسر بمنزلة الباقر الراغب^(٧) : [الرَّجُلُ يختص بالذكر من الناس، ويقال : رَجُلَةٌ للمرأة إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها، وفلان أَرْجَلُ الرجلين، واشتقَّ من الرَّجُلِ رَجِلٌ، وراجل للماشي بالرَّجْلِ بين الرُّجْلَةِ، فجمع الراجِلِ رِجَالَةٌ وَرَجُلٌ نحو رَكَب، ورجال نحو رِكاب لجمع الراكب، ويقال رَجُلٌ راجل أي : قويٌّ على المشي، وجمعه رجال نحو قوله : ﴿ فرجالاً أو ركبانا ﴾^(٨) وكذا رَجِيلٌ وَرَجْلَةٌ. والأرجل الأبيض الرجل من الفرس، والعظيمُ الرَّجُلُ، واستعير الرَّجُلُ للقطعة من الجراد ولزمان الإنسان، يقال : كان ذلك على رِجْلِ فلان، كقولك : على رأس فلان، وترَجَّلَ الرجل نزل عن دابته، وترَجَّلَ النهار

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واستفزز ﴾ قال (ز) : استفزه استخفه ((والفَرْ الخفيف)) .

(٢) الرغبة في مفرداته ٣٧٩ مادة (فز).

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأجلب عليهم ﴾ .

(٤) الراغب في مفرداته ٩٥ مادة (جلب).

(٥) النهاية ٩٤/٢ (خيل).

وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤١٣/٧ كتاب المغازي، باب مرجع النبي. صلى الله عليه وسلم من الأحزاب من مرسل قتادة، وبوب له أبو داود ٥٥/٣ كتاب الجهاد . وتخريج أحاديث الكشاف للزليعي ٢٧٤/٢ . وأيضاً في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦٧٧/٢ .

(٦) ابن جني في المحتسب ٢١/٢-٢٢ .

(٧) الراغب في مفرداته ١٨٩ .

(٨) سورة البقرة الآية ٢٣٩ .

انحطت الشمس عن الحيطان، كأنها تَرَجَّلَتْ، ورجَّل شعره، كأنه أنزله إلى حيث الرجل، والمِرْجَلُ : القدر المنسوب، وأرْجَلْتُ الفَصِيلَ : أرسلته مع أمه، كأنما جعلت له بذلك رِجْلًا.

قوله : ((حدث^(١) أي حسن الحديث، والنَّدس الفطن

قوله : ((ورد مورد التمثيل))^(٢) وهو على وجهين : أحدهما : التمثيل المحض بأن مُثِّلَتْ حال الشيطان في تسلُّطه وإغوائه من غير تصوُّر استفزاز وصوت وخيل ورجل بحاله مغوار مقدرة فيها هذه المذكورات، فاستعمل في تلك الحال ما يستعمل في هذه نحوه قوله تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾^(٣) وثانيهما : التمثيل غير المحض، وذلك بأن يتصور له استفزاز وصوت ورجل وخيل مجازي، كما قال بدعائه : إلى الشر، ورجله كل راكب وماش من أهل العبث.

قوله : ((بمغوار)) الجوهرى^(٤) : [رجل مغوار ومغاور أي : مقاتل، وقوم مغاوير، وخيل مغيرة].

قوله : ((وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكبائر))^(٥) الانتصاف^(٦) : [وعد الله بالمغفرة وعلقها بالمشيئة من غير توبة، وجعلها الزمخشري من وعد الشيطان، ولذلك جعل وعد الصادق المصدوق بالشفاعة من مواعيد الشيطان، وأقل عقوبته في ذلك حرمانها].

(١) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ورجلك ﴾ قال : وقرئ ﴿ رَجْلِكَ ﴾ قال : وجعلك الرجل بضم الجيم، فيكون مثل ((حَدَّثٌ وَحَدَّثٌ، وَنَدَسٌ وَنَدَسٌ)) قال الجوهرى ٢٧٩/١ : رجل حَدَّثٌ وَحَدَّثٌ بضم الدال وكسرها أي حسن الحديث. وقال أيضاً في ج ٩٨٢/٣ : رجل نَدَسٌ وَنَدَسٌ أي فُهِمٌ، وفطن . والأساس للزمخشري ٦٢٥ مادة (ندس).

(٢) قال (ز) : فإن قلت : ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله ؟. قلت : هو كلام ((ورد مورد التمثيل)) مُثِّلَتْ حاله في تسلُّطه ... الخ

(٣) سورة الزمر الآية ٦٧

(٤) الجوهرى في صحاحه ٧٧٥/٢ مادة (غَوَز).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُم ﴾ قال (ز) : أي المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة ((وتسويف التوبة ... الخ))

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٦٧٨/٢ ولم يتضح لي وجه رده على الزمخشري.

قوله : ((ونحوه ﴿إلا عبادك﴾)) أي نحو قوله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا﴾ .

قوله : ((﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾)) لأن من كفاه مالِكُ اللّعين والقادر عليه وكيلاً ، لا يكون إلا عبداً مكرماً مختصاً .

قوله : ((هو على تقدير^(١) الكلام))^(٢) على الاستثناء المنقطع أى على الوجه الأخير ، ويفهم أنه على الأول والثاني متصل ، أما على الأول (فَضَلَ) مضمّنٌ لمعنى (ذهب) وفاعله الذِّكْرُ أى ذهب عن أوهامكم ذِكْرُ كُلِّ من تدعونه إلا ذِكْرُ الله ، يدلّ عليه قوله : ((لا يذكرون سواه)) ، وعلى الثاني (ضَلَّ) مجرى على حقيقته ، ولذلك قال : أولم يَهْتَدِ لِنِقَادِكُمْ .

قوله : ((فما معنى ذكر الجانب))^(٣) ، ذلّت الفاء في السؤال على السببيه، يعنى ذكرت أن جانب البرّ مفعول به ، (كالأرض) في قوله ﴿فخسفنا به وبدارهُ الأرض﴾^(٤) ، فما معنى زيادة الجانب في هذه الآية ، وأجاب عنه أن الزيادة ذلّت على أن الكلام في هذا المقام في الجانب ، وأن جانبي البرّ والبحر سيان تحت قهره وسلطانه سبحانه وتعالى ، وذلك أنهم قطعوا أن الهلاك مختصّ بجانب البحر وأن جانب البرّ مكان الأمنِ وَمَنْزِلَ الرَّفَاقِيَةِ ومهبط البطر والأشر ، دلّ على ذلك فعلهم

(١) (ما بين القوسين س من ب) .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾ قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ضلّ من تدعون﴾ من الآلهة عن إغاثتكم، ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحده ((على الاستثناء المنقطع)) .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرّ أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً أم أمنتم أن يبعثكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ الإسراء الآية ٦٨ - ٦٩ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿أن يخسف بكم جانب البرّ﴾ قال (بكم) حال ، والمعنى أن يخسف جانب البرّ أي يقلبه وأنتم عليه ، فإن قلت : ((فما معنى ذكر الجانب)) ؟ ، قلت : معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء .

(٤) سورة القصص الآية ٨١ .

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

قوله : ((أَنْ يُقَوِّيَ دُوعَايَكُمْ وَيُوقِرَ حَوَائِجَكُمْ)) (٢) ، إعلَامُ بَأْنِ (أُم) فِي قوله : ﴿ أُمُّ أَمْنْتُمْ ﴾ منقطة والهمزة فيها للإنكار والتوبيخ ، ويؤيده تقدير ((نَجَّوْتُمْ)) بعد الهمزة ، وعطف (أَمْنْتُمْ) عليه في القرنية الأولى ، يعني هَبُوا أَنْكُمْ تَخَلَّصْتُمْ مِنَ الْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ ، فكيف تتخلصون من الخسف في البر؟ ، ثم أضرب عنه أي دَعُوا الْخُسْفَ ، بل كيف تأمنون أن الله يقوي دُوعَايَكُمْ فتورث البُخْلُ الخالع والحرص الهالِع فتعودون إلى مَانَجُوتُمْ منه فيغرقكم به . وفي تذييل (٣) كل من الآيتين معنى الترفي ، ذيلت الأولى بقوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ أي من يتوكل بصرف ذلك عنكم . والثانية بقوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ أي مطالبا يطالبنا بما فعلنا دَرَكًا لِلثَّارِ ، لأن طلب الثَّارِ بعد الهلاك والتوكل قبله .

قوله : ((فَأَعْرَضْتُمْ فَيَنْتَقِمُ مِنْكُمْ ، بَأْنِ يَرْسِلُ)) الفاء في فَأَعْرَضْتُمْ عاطفة عقيب ﴿ نَجَّاكُمْ ﴾ ﴿ فَأَعْرَضْتُمْ ﴾ وفي ينتقم مؤذنة ، بَأْنِ الفاء في قوله تعالى ﴿ فَيَرْسِلُ ﴾ فصيحة (٤) مقتضية لتقرير فينتقم ، لأن مُجَرَّدَ إِعَادَتِهِمْ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ مُوجِبًا لِإِرْسَالِ مَا يَغْرُقُهُمْ ، بل سبب ذلك إرادة الانتقام من الإعراض السابق بواسطة الريح القاصف .

قوله : ((﴿ فَيَغْرُقُكُمْ ﴾ وَقُرِئَ بِالتَّاء)) (٥) ، ابن كثير وأبو عمرو بالنون ، والباقون بالياء التحتانية وبالتاء شاذة ، وعلى هذا ﴿ نَعِيدُكُمْ ﴾ .

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

(٢) تفسير قوله ﴿ أُمُّ أَمْنْتُمْ ﴾ ، قال (ز) : أي أُمُّ أَمْنْتُمْ ((أَنْ يُقَوِّيَ دُوعَايَكُمْ ، وَيُوقِرَ حَوَائِجَكُمْ)) إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه ((فَأَعْرَضْتُمْ فَيَنْتَقِمُ مِنْكُمْ بَأْنِ يَرْسِلُ)) .
(٣) (التذييل) هو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد

(٤) الفاء الفصيحة : هي العاطفة على الجواب المحذوف . أنظر إعراب القرآن لحي الدين درويش ٩٥/٦ .

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أفأمنتهم أن نخسف بكم جانب البر أو نرسل عليكم) وقوله ﴿ أُمُّ أَمْنْتُمْ أَنْ نَعِيدُكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَنَرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَنَغْرُقُكُمْ ﴾ كله بالنون . وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿ فَنَغْرُقُكُمْ ﴾ بالتاء فقط ، والباقون بالياء . المبسوط لابن مهران ٢٢٩ والإتحاف ٣٨٥ .

قوله : ((** كما لا ذ الغريم من التبع **))^(١)، لا ذ : أي التجأ . الأساس^(٢) :
[ما وجدت لي على فلان تبعا أي متابعا ناصراً لي عليه] .

قوله : ((وهذا نحو قوله : ﴿ ولا يخاف ﴾ عقباها ﴾)) ، أي لا يخاف الله
عاقبتها وتبعها ، كما يخاف كلّ معاقب من الملوك فيبقى بعض الابقاء .

قوله : ((وحسب بني آدم تفضيلاً))^(٣) ، يعني دلّ قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا
بني آدم ﴾ على كرامتهم ، ويكفيهم من هذه الكرامة أن يكونوا دون الملائكة فيها
ونازلين عن منزلة الذين هم المشهورون الكاملون وبقرّب من الله معروفون ، أو يكونوا
مفضلين على غيرهم ، كما تقول يكفيك من الشرف أن تكون ثاني الأمير في المنزلة .

قوله : ((وهم هم)) وقوله : ((ومنزلتهم منزلتهم)) ، مثل قول أبي النجم^(٤) :

** أنا أبو النجم و شعري شعري **

أي أنا ذلك المشهور الموصوف بالكمال وشعري هو الموصوف بالبلاغة .

قوله : ((وتكثيره مع التعظيم ذكْرُهُمْ)) ، أي تكثير الله ذكرهم مع التعظيم
في كتابه ، مع التعظيم : حال من الفاعل والمفعول . قال صاحب التقريب :
[ولقد تشنع ها هنا حتى أفحش ، فيقول : بتفضيل الملّك أحد قول أهل

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ تبعا ﴾ ، قال (ز) : التبع المطالب . والبيت للشماخ يصف عقبا :

** يلوذ نعالِب الشرقين منها ** كما لا ذ الغريم من التبع **. انظر مشاهد الانصاف ٢/٦٨٠

(٢) الأساس للزخشرى ٥٩ ، مادة (تبع) .

(٣) سورة الشمس الآية ١٥ .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ الإسراء الآية ٧٠ ، قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ وفصلناهم
على كثير ممن خلقنا ﴾ هو ما سوى الملائكة ((وحسب بني آدم تفضيلاً)) أن يرفع عليهم الملائكة ((وهم هم
ومنزلتهم عند الله منزلتهم)) .

(٥) أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي من بني بكر بن وائل ، من أكابر الرّجّاز ، نبغ في العصر
الأموي مات سنة ١٣٠ هـ ، انظر الأغاني ١٠ / ١٥٠ ، وخزانة الأدب ١ / ٤٩ . والبيت كاملاً هو في
معاهد النّصيص ١ / ٢٦ :

** أنا أبو النجم و شعري شعري ** لله دري ما يجن صدر **

السنة (١) ومذهب ابن عباس و اختيار الزجاج و أيضا غايته التمسك بالمفهوم ، و هو أن يحضض الكثير ، بل على أن القليل ، ولا يلزم منه مذهبه ، و هو تفضيل القليل ، فقد يستويان ثم ليتجمل أن يراد بكثير ممن خلقنا الملائكة إذهب كثير من العقلاء المخلوقين ، فيكون بين آدم فضل منهم . و على الجملة فذلك التشيع شنيع .
قوله : ((ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها و يتمتعون)) (٢)

(١) شنع الزمخشري على أهل السنة في تفضيلهم الآدميين على الملائكة ، و في هذه المسألة خلاف بين علماء أهل السنة و الجماعة ، كما نظم ذلك المقرئ في إضاءته قال :

** و الأنبياء أفضل فاملائكة	** يتلون في فضل علوا أرائكه
** و قيل بلعكس و بعض فضلا	** في ذاك تفضيلاً له قد أصلاً
** و انعقد الإجماع أن المصطفى	** أفضل خلق الله و اختلف انتهى
** و ما نحى الكشاف في التكوير	** خلاف إجماع ذوى التنوير
** فاحذر لمنعه سماعه	** و اتبع السنة و الجماعة

و انظر القرطبي ١ / ٢٨٩ عند قوله تعالى ﴿ قال يا آدم انبئهم بأسمائهم ﴾ الآية ٣٣ وذكر ادلة القولين فاستدل على فضل الملائكة بقوله تعالى ﴿ عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون ﴾ سورة الأنبياء الآية ٢٧ و قوله تعالى في سورة التحريم الآية ٦ ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ﴾ و قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٧٢ ﴿ لن يستكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ﴾ و قوله تعالى في سورة الإنعام الآية ٥٠ ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنني ملك ﴾ و في البخاري مع الفتح يقول الله (من ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه) ١٣ / ٣٨٤ برقم ٧٤٠٥ و الترمذي ٥ / ٥٤٢ برقم ٣٦٠٣ واحتج من فضل بني آدم بقوله تعالى في سورة البينة الآية ٧ ﴿ إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ و قوله صلى الله عليه و سلم (و إن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم الحديث) أخرجه أبو داود ٥٧ / ٤ كتاب العلم و الترمذي ٥ / ٤٧ كتاب العلم و أحمد ٤ / ٢٣٩ و بما جاء في حديث من أن الله يباهي بأهل عرفات الملائكة ، و لا يباهي إلا بالأفضل و قال بعض العلماء : و لا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة ، و لا القطع بأن الملائكة خير منهم . ذكر البغوي في تفسيره هذا الخلاف و قال : والأولى أن يقال : عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ، و خواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة . قال الله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ ٥ / ١٠٩ سورة البينة الآية ٧ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٣٨٢ و ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف و عزاه للطبراني و رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية . و قال : هذا حديث لا يصح .

الحديث ، نحوه رواه محي السنة في المصاييح (١) ، و في المعالم (٢) وروى [شيخي في المعتمد ، و البيهقي في شعب الإيمان (٣)] عن جابر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لما خلق الله آدم و ذريته قالت الملائكة : يا رب خلقتهم يأكلون و يشربون و ينكحون و يركبون فاجعل لهم الدنيا و لنا الآخرة . قال الله تعالى : لا أجعل من خلقتهم بيدي و نفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن فكان . و أما الحديث الآخر فقد رواه ابن ماجه (٤) عن أبي هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته) .

قوله : ((فسروا كثيراً بمعنى جميع)) (٥) ، قال محي السنة (٦) : [وظاهر الآية أنه فضّلهم على كثير من خلقه ، لا على الكل ، وقال قوم : فضّلوا على جميع الخلق و على الملائكة كلّهم ، وقد يوضع الأكثر موضع الكل كما قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾ إلى قوله : ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ (٧)] ، وفسّر المصنف في قوله : ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ﴾ (٨) الأكثر بالجميع .

(١) أخرجه محي السنة البغوي في مصاييح السنة ٣١/٤ كتاب أحوال القيامة و بدء الخلق باب بدء الخلق و ذكر الأنبياء برقم ٤٤٥٩ من حديث جابر رضي الله عنه و مشكات المصباح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ١٥٩٧/٣ و سكت عنه الألباني و الدليمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤٢١/٣ و الدر المنثور للسيوطي ١٩٣/٤ .

(٢) معالم التنزيل للبغوي ١٠٩/٥ .

(٣) ما بين القوسين س من (١) ، و ت .

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٣٠٢/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ، لضعف يزيد بن سفيان أبي المهزم . ومشكاة المصاييح ١٥٩٧/٣ ، وضعفه الألباني . وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٢٨٨/٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وفضلناهم على كثير ﴾ ، قال (ز) : ردّاً على أهل السنة في تفضيلهم مؤمني بني آدم على الملائكة ((ومن ارتكابهم أنهم فسروا ﴿ كثيراً ﴾ بمعنى جميع)) في هذه الآية ، وخذلوا حتى سلبوا الذوق .

(٦) محي السنة ، البغوي في تفسيره ١٠٨/٥ .

(٧) سورة الشعراء الآية ٢٢١-٢٢٢ .

(٨) سورة يونس الآية ٣٦ .

قوله : ((سلبوا الذوق)) ، أراد بالذوق ما تجده نفس الفطن الذكي من التفاوت بين اللفظين ، ووَضِعُ جميع موضع كثير ، فإن هذا التركيب من باب تعليق الحكم [ياحدى صفتي الذات للدلالة على نفي الحكم عما عداه ، ومعناه أنه حصل في المخلوقات مالا يكون الإنسان أفضل منه ، وهم الملائكة ^(١)] ، وهذا تقدير الإمام ^(٢) ، وإلاّ فأى فائدة في العدول من لفظ الكلّ والجميع إليه . ونحوه ما روي عن أبي عبيدة وهو من علماء العربية أنه قال في مثل قولهم : الميت اليهودي لا يبصر أنه يتبادر منه إلى الفهم أن الميت المسلم يبصر ، ولذلك يتعجب ويضحك منه كل أحد ، وإلاّ لم يكن لذلك الضحك والتعجب وجه . ولعلّ إحالته إلى الذوق تعريض بأصحابه الذين منعوا القول بالمفهوم . فنقول : الظاهر أن المفضل عليه كثير ، و ﴿ من خلقنا ﴾ بيان له ، وفي الحقيقة بالعكس على ما سبق في قوله تعالى : ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ﴾ ^(٣) ، قال : [عامل ﴿ مظلماً ﴾ ^(٤)] أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله : ﴿ قطعاً ﴾ ، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة ، وحقّقه شيخني المغفور أمين الدين الشرفشاهي ^(٥) بأن قال : إن نسبة ﴿ أغشيت ﴾ إلى ﴿ قطعاً ﴾ إنما هي باعتبار ذاتها المبهمة المفسرة بالليل ، لا باعتبار مفهوم القطع في نفسها ، وإنما ذكرت لبيان مقدار ما أغشيت به ، وهو الليل ، كما إذا قيل : اشتريت أرطالاً من الزيت ، فإن المشتري الزيت والأرطال مبينة لمقدار ما اشترى ، وها هنا المفضل عليه من ﴿ خلقنا ﴾ و ﴿ كثير ﴾ مبيّن لمقدار كميته ، وعليه قولك : رأيت أسداً منك على التجريد ، فإن المرئي المخاطب ، والأسد لبيان كيفية حال المرئي من الجرأة والشجاعة ، ولا شك أن ﴿ من خلقنا ﴾ متناول لمن

(١) ما بين القوسين س من ب .

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره عند هذه الآية ١٢/٢١ .

(٣) سورة يونس الآية ٣٧ .

(٤) ما بين القوسين س من ب .

(٥) لم أقف له على ترجمة .

يعقل من المخلوقات ، وهو منحصر في الملائكة والثقلين ، وخرج منه بنو آدم ، لأن الشيء لا يفضل على نفسه ، فيبقى الملائكة والجن ، فظهر أن فائدة استجلاب الوصف ليس إلا لبيان كمية الفضل عليه الذي يقتضيه مقام مدح الفضل ، فلا يحمل على المفهوم ، على نحو : في سائمة الغنم زكاة ، إذ لا فائدة فيه للوصف سوى التخصيص ، وأما كون المقام مقام مدح فإن الآية أخرجت مخرج القسيمة ، وكرر فيها ما ينبىء عن غاية المدح من ذكر الكرامة والتفضيل وتسخير الأشياء على الترقى ، كأنه قيل : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ بكرامة أبيهم ، ثم سخرنا لهم الأشياء ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ ثم فضلناهم تفضيلاً أي تفضيل ، ولهذا عقب بها قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ﴾ وهو لبيان كرامة أبيهم يجعل سجود الملائكة المقربين بعد ذكرهم فيه ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ (١) ، ومن ثم طرد اللعين حيث قاس الفضل بالعقل وامتنع عن السجود (٢) الذي يدلّ على فضله وكرامته ، وما توسّطت بينهما من الآيات كالاستطراد (٣) والاعتراض يدلّ عليه الاتفاق بين قوله : ﴿ وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات ﴾ ، وقوله : ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله ﴾ (٤) ، كما بين هذه الكرامة بالسجود ، ويعضّده الحديث المروي عن جابر كما مرّ ، هذا على أن يكون ﴿ من ﴾ بياناً ، وإذا جعل تبعيضاً كان ﴿ ممن خلقنا ﴾ بدلاً ، أي فضلناهم على بعض المخلوقين ، وذكر البعض في هذا المقام يدلّ على تعظيم الفضل عليه ، كما سبق في قوله تعالى : ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ (٥) ، وأي مدح لبني آدم وإثبات للفضل والكرامة

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سجود في ب ت .

(٣) الاستطراد : سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض .

انظر التعريفات للجرجاني ٣٥ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٦٦ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

بالجملة القسمية ، إذ جعلوا مفضلين على الشياطين والجنّ على أن صفة الكثرة ، إذا جعلت مُخَصَّصَةً لإخراج البعض كانت بالملائكة أولى من الجنّ والشياطين ، لأنهم هم الموصوفون بالكثرة ، وإليه ينظر قول صاحب التقريب . ثم يحتمل أن يراد بـ ﴿ كثير ﴾ ممن خلقنا الملائكة ، إذ هم كثير من العقلاء المخلوقين . روينا عن الترمذي (١) عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلّا ومَلَكٌ واضع جبهته لله ساجداً) الحديث ، وذكر شيخنا شيخ الإسلام في كتاب الرشف أنه ورد أن البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (٢) . وورد أن كلّ قطرة تنزل من السحاب إلى الأرض يصحبها ثلاثة أملاك (٣) فظهر أن ليس المراد من قولنا : فضلوا على الجميع (٤) أنه وضع الكثير موضع الجميع في التلاوة ليلزم البشاعة التي ذكرها ، بل الجميع لازم المعنى ، وأما قوله : ((أشجى خلّوقهم)) فلعلّ مراده أنهم إنما فروا من دلالة المفهوم وفسّروا الكثير بالجميع لئلا يلزم فضل الملائكة عليهم ، لكن لزمتهم من هذا ما هو أقطع منه ، وهو فضل الحدّادين والحيّاكين ، بل الكافرين على النفوس الطاهرة الزكية . وأجيب عنه أنه كما لا يلزم من قولنا : الرجال أفضل من النساء فضل كلّ فرد على كل

(١) أخرجه الترمذي ٤٨١/٤ - ٤٨٢ كتاب الزهد ، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله ، رقم ٢٣١٢ ، وقال : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجه ١٤٠٢/٢ كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء رقم ٤١٩٠ ، وأحمد في مسنده ، ١٧٢/٥ .

(٢) ذكر ذلك الطبري ١٦/٢٧ ، ولكنه أوقفه على علي رضي الله عنه . والبغوي ٣٨٥/٧ ، وقال الميثمي في مجمع الزوائد ١١٤/٧ : رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، وفيه بشر أبو حذيفة ، وهو متروك ، بنحوه في مسنده ٤١٧/١١ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) يشير إلى قول (ز) : وفضلناهم على جميع من خلقنا ، على أن معنى قولهم : على جميع من خلقنا ((أشجى خلّوقهم)) وأقذى لعيونهم ، ولكن لا يشعرون إلخ . لتفسير قوله تعالى ﴿ وفضلناهم على كثير ﴾ بأن كثير بمعنى جميع ، ومعنى (أشجى) قال الجوهر في صحاحه ٢٣٨٩/٧ : (الشجى) ما يثبت في الخلق من عظم وغيره .

فرد ، كذلك لا يلزم ذلك . وفي حديث أبي هريرة : المؤمن أكرم على الله من بعض الملائكة (١) ، إشارة على تفضيل الآية . و حديث جابر و هو ما قيل خواص الإنسان مثل الأنبياء أفضل من خواصهم ، و بعض عوام الإنسان [من المؤمنين (٢)] أفضل من عوامهم و الله اعلم .

قوله : ((السخيمة)) أي الضغينة والمُؤجدة في النفس . قاله الجوهري (٣) .

قوله : ((قرىء يدعوا باليا والنون)) (٤) ، بالنون السبعة وبالياء شاذ (٥) .

قوله : ((وقرأ الحسن يُدْعُوا أي بضم الياء وفتح العين)) ، قال ابن جني (٦) : [هذا على لغة من أبدل الألف في الوصل واوا ، نحو (أَفْعَوْ وَحَبَلَوْ) ذكر ذلك سيويه وأكثر هذا القلب إنما هو في الوقف ، لأن الوقف من مواضع التغيير ، وهو أيضا يحكي عن حاله في الوقف . ومنهم من يبدلها ياء] .

قوله : ((ولم نؤت بالنون قلة مُبالاة بها لأنها غير ضمير)) قال صاحب التقریب : [وفيه نظر ، لأنها علامة الرفع ولا موجب لحذفها] .

قوله : ((ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم)) (٧) ، وروى محي السنة (٨) عن محمد بن كعب يامامهم الإمام جمع أم كَخَفٌ و خَفافٌ ، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها لأجل عيسى عليه السلام . والثاني لشرف الحسن والحسين . والثالث

(١) تقدم تخريجه آنفا .

(٢) ما بين القوسين س من (١) و الصواب ما في ب .

(٣) الجوهري في صحاحه ١٩٤٨/٥ مادة (سخم) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ يوم ندعوا كل أناس يامامهم فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرءون كتابهم و لا يظلمون فتيلا ﴾ الإسراء الآية ٧١ قال (ز) ((قرىء ندعوا بالنون)) .

(٥) قرأ بالنون السبعة ، و بالياء شاذ الحسن و السجستاني ، و قتادة . شواذ القراءة لابن خالوية ٧٧

(٦) ابن جني في المحتسب ٢٢/٢ و ما بين القوسين س من (١) ب من كلام ابن جني .

(٧) تفسير قوله ﴿ يامامهم ﴾ قال (ز) يامامهم بمن انضموا به من نبي أو مقدم في الدين إلخ ... ثم

قال : ((ومن بدع التفسير أن الإمام جمع أم)) و أن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم .

(٨) محي السنة البغوي في تفسيره ، ١١٠/٥ و قاله الزمخشري أيضا هنا .

لئلا يفتضح أولاد الرنا ، الانتصاف (١) : [وأما بدع لفظية فإن جمع الأم المعروف أمهات و أمراعية عيسى بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمهات ، فيوهم أن خلق عيسى من غير أب غَضّ من منصبه ، وهو عكس الحقيقة ، بل ذلك ذكر له وشرف . قوله : ((ما يأخذ المطالب)) (٢) ، وهو بفتح اللام وفاعل يأخذ ضمير يرجع إلى (ما) و (من) في من الحياء بيان (ما) الثانية و الباء في بالنداء سببية متعلقة بيأخذ ، وأمام التنكيل ظرف يأخذ المعنى بأخذهم الخجل والانخزال وحبسة اللسان أخذ مثل أخذ من طولب بجناياته ومساويه وأوقف بين يدي جبار من الجبابة فيأخذه الحياء والخجل والحبسة بسبب [النداء على جناياته (٣)] وبسبب اعترافه بمساويه ، والحال أنه مشاهد لتهيء أسباب نكاله و هلاكه .

قوله : ((ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)) (٤) ، الراغب (٥) : [الفتل المفتول ، وسمى ما يكون في شقّ النواة فتيلاً ، لكونه على هيئته وقيل هو ما تفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ ، ويضرب به المثل من الشيء الحقير] .

قوله : ((ومن ثم قرأ أبو عمرو)) (٦) ، الأول مُمَالاً ، والثاني مفخماً قال الزجاج (٧) : فهو في الآخرة أعمى [وهذا من عمى القلب أي هو في الآخرة أشدّ

(١) الانتصاف مع الكشاف ٦٨٢/٢ ولفظه ، ولقد استبدع بدعاً لفظاً ومعنى فإن جمع الأم المعروف إمهات إلخ .. ولا يخفى ما في هذا الجمع من البعد .

(٢) قال (ز) عند قوله ﴿ فَاُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ فإن قلت : لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأن أصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم . قلت : بلى ولكن إذا أطلعوا على ما في كتابهم ((أخذهم ما يأخذ المطالب)) بالنداء على جنايته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والإنقام منه ، من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتعنت والعجز عن إقامة حروف الكلام إلخ

(٣) ما بين القوسين س من ب .

(٤) تفسير قوله ﴿ ولا يظلمون فتيلاً ﴾ قال (ز) : ((ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)) .

(٥) الراغب في مفرداته ٣٧١ مادة (فتل) .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾ الإسراء الآية ٧١ قال في تفسير ((أعمى)) وقد جوزوا أن يكون (أعمى) الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو (أعمى) الأولى ممالاً ، و(أعمى) الثانية مفخماً ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر ٢٨٥ و أمال (أعمى) معنا هنا أبوبكر و حمزة و الكسائي وخلف ، لأنهما من ذوات الباء ، و قللهما الأزرق بخلفه و قرأ أبو عمرو ويعقوب بإمالة الأولى محضة لكونه ليس أفعل تفعيل فالفه متطرفة لفظاً و تقديراً ، و الأطراف محل التغيير غالباً ، و فتحا الثاني لأنه للتفضيل ، ولذا عطف عليه (وأضل) ، فالفه في حكم المتوسطة ، لأن من الجارة للمفعول كما للمفوضة بها ، وهي شديدة الاتصال بأفعل .

(٧) الزجاج في تفسير معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٣ .

عمى [وقال أبو علي في الحجة (١) : [وأما قراءة أبي عمر وأعمى (٢) الأولى مُمَالاً والثاني مُفَحَّمًا ، فهو يجوز أن لا يجعل الثاني عبارة عن العيوب في الجارحة ولكنه جعله من باب أَبْلَغَ من فلان فجاز أن يكون فيه أفعَل من كذا ، وإن لم يجز أن يقال ذلك في المصاب ببصره ، فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة ، لأن آخرها هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة في الأواخر ، وقد حذف من أفعَل الذي هو للتفضيل ، الجار والمجرور ، وهما مرادان فى المعنى مع الحذف كقوله تعالى : ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ أي أخفى من السر كذلك قوله : أعمى أي أعمى منه في الدنيا (٣) ، ومعنى العمى في الآخرة أنه لا يهتدى إلى طريق الثواب ، ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله : ﴿ وأضل سبيلاً ﴾ فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعَل ، كذلك المعطوف عليه ، ومعنى ﴿ أضل سبيلاً ﴾ فى الآخرة أن ضلاله في الدنيا قد كان يمكن الخروج منه ، وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ، قال صاحب الإنتصاف (٤) : [هذه الآية قسمة لقوله : ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه ﴾ (٥) فهو يتبصره و يقرؤه ، ومن كان فى الدنيا أعمى غير متبصر ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة غير متبصر في كتابه ، بل أعمى عنه أو أشدّ عمى على اختلاف التأويل ، فعلى هذا يكون قول المصنّف : ((لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم متوجّهاً)) وقال القاضي (٦) : [و تعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتي كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يجبس ألسنتهم عن القراءة ، و لذلك لم يذكرهم مع أن قوله : ﴿ من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ﴾ أيضاً مشعر بذلك ، فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب .

(١) أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ١١٢/٥ ذكره بالمعنى .

(٢) سورة طه الآية ٧ .

(٣) الظاهر أن المراد بالأعمى في هذه الآية عمى البصيرة ، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الحج الآية

٤٦ ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ .

(٤) الإنتصاف مع الكشف ٢ / ٦٨٣

(٥) سورة الإسراء الآية ٧١

(٦) القاضي البيضاوي فى أنوار ، ٣ / ٢٠٨

قوله : ((لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي)) (١) ، النهاية (٢) في الحديث [أن وفد ثقيف اشترطوا أن لا يحسروا ولا يعسروا ولا يحبسوا اي لا يؤخذ عشر أموالهم . وقيل : أرادوا به الصدقة الواجبة وإنما فسح لهم في تركها ، لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم وإنما تجب بتمام الحول ، وسئل جابر عن اشتراط ثقيف أن لا صدقة عليهم ، ولا جهاد ، فقال : علم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا] وقال : يجوز أن يسمى آخذ ما يجب على المسلمين من ربع العشر عاشراً لإضافة ما يأخذه الى العشر ونصف العشر ، كيف وهو يأخذ العشر جميعه وهو زكاة ما سقته السماء ؟

قوله : ((ولا يحشروا)) ، النهاية : [ولا يحسروا أي لا يندبون إلى المغازي ولا تضرب عليهم البعوث] .

قوله : ((ولا يجبي)) ، النهاية (٣) : [أصل التجبية أن يقوم الإنسان قيام الراكع ، وقيل : هو أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم ، وقيل : هو السجود ، والمراد لا يصلون ، ولفظ الحديث يدل على الركوع لقوله في جوابهم : لا خير في دين ليس فيه ركوع ، فيسمى الصلاة ركوعاً ، لأنه بعضها] .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفزي علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً ولو لا أن تبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تبدلك علينا نصيراً ﴾ الإسراء الآية ٧٣ - ٧٤ ، قال (ز) : روي أن ثقيفا قالت للنبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب) لا نعشر : ولا نحشر ، ولا نجبي في صلاتنا إلخ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣ / ٢٣٩ ، مادة (عشر) . و اختلفوا في سبب نزولها ، وذكر هذا السبب البغوي ١٥ / ١١١ عن وفد ثقيف . وقال الحافظ بن حجر في الكاف الشافعي على تخريج الكشاف (لم أجده) وذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند ، والواحد في أسباب النزول ٣٣٥ ، وانظر الطبري ١٥ / ٨٨ ، والقرطبي ١٠ / ٢٩٩ ، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢ / ٢٧٩ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ١ / ٢٣٨ .

قوله : ((لَسْنَا نَكْلَمُ بِإِيَّاكَ)) (١) ، بالياء تحتها نقطتان ، ويروى أَبَاكَ بالباء الموحدة أي لَسْنَا نَكْلَمُ أَبَاكَ حتى تتعصب له ، ولعل وجه فصل الضمير المنصوب للإبهام ، والتبيين تأكيداً ، ولذلك قالوا : إِنَّمَا نَكْلَمُ مُحَمَّدًا .

قوله : ((أَيِ يَخْدَعُوكَ فَاتْنِ)) (٢) ، إشارة إلى أن قوله ليفتوك مضمن معنى الخداع ومعدي تعديّة .

قوله : ((مَا أَدَارُوهُ عَلَيْهِ)) (٣) ، أي على الافتراء والتقوّل ، والضمير في (عليه) (ما) والمنصوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . و (ما) عبارة عن الافتراء والتقوّل ، أي أَدَارُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِفْتِرَاءِ ، الأساس (٤) : [ومن انجاز أدركته على هذا الأمر ، حاولت منه أن يفعله ، وأدركته عنه حاولت منه أن يتركه] .

(١) يشير (ز) إلى قول عمر رضى الله عنه ، حينما قالت ثقيف إنهم لا يعشرون ولا يحشرون ، فقالوا ولا يحبون ، والكا تب ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام عمر رضى الله عنه فسل سيفه وقال : أسعرت قلب نبينا ... فقالوا ((لَسْنَا نَكْلَمُ بِإِيَّاكَ ، إِنَّمَا نَكْلَمُ مُحَمَّدًا)) .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكَ ﴾ ، قال (ز) : (إن) مخففة من الثقيلة ، والمعنى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك ((أَيِ يَخْدَعُوكَ فَاتْنِ)) .

(٣) تفسير قوله : ﴿ تَفْزَى ﴾ قال (ز) : لتقول علينا ما لم نقل ، يعني ((مَا أَرَادُوهُ عَلَيْهِ مِنْ تَبْدِيلِ الْوَعْدِ وَعِيدًا)) إلخ ...

(٤) الأساس للزمخشري ١٩٨ ، مادة (دور) ، وقد حاول الكفار معه صلى الله عليه وسلم أن يتبعهم ، ويأتي بشيء من تلقاء نفسه ولكنه امتنع غاية الإمتناع . وقال : إنه لا يمكنه إلا اتباع ما أوحى الله إليه كما قال تعالى في سورة يونس الآية ١٥ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقْرَانٌ غَيْرُ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴾ فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يتقول على الله ولذا قال تعالى عنه في سورة سأل سائل الآية ٤٤-٤٧ : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَاهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ الآية .

قوله : ((إذا)) (١) ، لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقناك)) وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما همّ بإجابتهم مع قوة الدّاعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه .

قوله : ((ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا ، الفرق بين هذا الوجه والوجه الأول (٢) بعد إجراء الضعف على المضاعفة أن عذاب الممات في الأول عذاب القبر ، وعذاب الحياة في الآخرة ، وهنا المراد بعذاب الممات عذاب القبر ، وبُعذاب الحياة، عذاب الحياة الدنيا)) ، قال القاضي (٣) : [أي غَذَبْنَاكَ ضَعْفَ مَا نَعَذِّبُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ بِمِثْلِ هَذَا الْفِعْلِ غَيْرِكَ ، لِأَنَّهُ خَطَأُ الْخَطِيرِ أَخْطَرُ (٤) .] وقيل : الضعف من أسماء العذاب [، الراغب :] الضَّعْفُ من الألفاظ (٥) المضاعفة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر كالنصف والزوج ، وهو تركب زوجين متساويين ، ويختصّ بالعدد ، فإذا قيل : أَضْعَفْتُ الشَّيْءَ وَضَعْفَتُهُ وَضَاعَفَتُهُ ضَمَمْتُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ فَصَاعِدًا ، قال بعضهم : ضاعفت أبلغ من ضَعَفْتُ ، ولهذا قرأ أكثرهم (يضاعف) وقال تعالى : ﴿ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (٦) فالمضاعفة على قضية هذا القول تَقْتَضِي أن يكون عشر أمثالها . وقيل : ضَعَفْتُ بالتخفيف ضعفا فهو مضعوف ، فالضَّعْفُ مصدر والضَّعْفُ اسم كالشيء والشيء فضعف الشيء هو الذي يثنيه ، ومتى أضيف إلى عدد اقتضى ذلك العدد ، ومثله ، نحو أن يقال : ضِعْفُ العشرة ، فذلك عشرون بلا خلاف ، وإذا قيل أعطه ضِعْفِي واحد ، فإن ذلك اقتضى الواحد ومثليه ، وذلك ثلاثة ، لأن معناه الواحد والذان يَزَاوِجَانِهِ ، هذا إذا كان الضعف

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَدْتُمْ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا ﴾ .

(٢) الوجه الأول هو قوله : أذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين إلخ

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢٠٨/٣ .

(٤) مراده بالخطر : العظيم الشأن كالأنبياء والأمثـل من الناس ، ويدل له قوله تعالى في

سورة الأحزاب الآية ٣٠ : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَدٍ مَنَكُنَّ يُفَاحِشُهُ مِثْنَةٌ يَضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ الآية ولقد أجاد من قال :

** وكبائر الرجل الصغير صفائر ** وصغائر الرجل الكبير كبائر **

(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٠ .

مضافاً فأمّا إذا لم يكن مضافاً ، فقلت الضعفين ، فإن ذلك يجري مجرى الزوجين :
 لأن كلاّ منهما يزواج الآخر فيقتضي ذلك اثنين لأن كلاّ منهما يضاعف الآخر ، فلا
 يخرجان عن الاثنين بخلاف ما إذا أضيف الضعفان إلى واحد فيثلاثهما ، نحو ضعفتي
 الواحد قال تعالى : ﴿ أولئك لهم جزاء الضعف ﴾ (١) .

قوله : ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها)) (٢) ، إلى قوله : ((دليل بين على أن
 القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ، ومن ثم استعظم مشائخ العدل (٣) نسبة
 الجبرة القبائح إلى الله تعالى)) ، الانتصاف (٤) : [أما قليل الكيدودة فيحمل على
 كون الله تعالى يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون ، فعلم تعالى أن الركون الذي
 كان يحصل لو كان قليلاً فهو عظيم ، وهو خبر عن الواقع في علمه ، فلا يليق حمله
 على المبالغة فإنها لا تليق في الأخبار ، فإنه لو كان الواقع كَيُروْدَةٌ رُكُونٌ كثير ، كان
 خلفه خلفاً في الخير ، والذنب يعظم بحسب فاعله . وأما تعظيم مشائخ المعتزلة نسبة
 القبائح إلى الله فقد استعظموا عظيماً ، ولكن جهلوا في اعتقادهم القبح وصفاً ذاتياً
 للقبيح ، وكلّ ما استقبّحوه من العبد استقبّحوه من الله تعالى ، والقبيح عندنا ما نهى
 الله عنه ، والله عزّ وجلّ أن يفعله ، لا يسأل عما يفعل ، فالملك يستقبح من عبده أن
 يجلس على كرسي الملك ، ولا يُقْبَح ذلك منه . ولقد كان لمشائخه شغل بما لزمهم
 من الإشراك عن هذا ، لكن زُيِّن لهم سوء اعتقادهم فأروه حسناً في أول كلامه نظروا
 في قول المصنف أعني ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها إشكال لأن ﴿ شيئاً قليلاً ﴾

(١) سورة سبأ الآية ٣٧ .

(٢) متعلق بتفسير قوله (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) قال (ز) : ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها

مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين)) دليل بين على أن القبيح إلخ

(٣) مشائخ العدل يعني بهم المعتزلة ، ويريد بالجبرة أهل السنة ، حيث قالوا : إن الخير والشر كليهما

من عند الله بخلقه وإرادته ، ولو كان من فعل العبد ظاهراً .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٨٥/٢ ، وقد أجاد وأفاد في الردّ على الزمخشري وحزبه مما أغنى عن

التعليق على الزمخشري .

مصدر (تركن) ظاهراً ، فيلزم التقليل فيه لا في الكيدودة)) ، ويمكن أن يقال : إن كاد لما كانت لمقاربة الخبر في الوجود فجعلت القلة التي في الخبر فيها مجازاً .

قوله : ((إلا زماناً قليلاً)) (١) ، اعلم أن إخراج الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجوها من التأويل بحسب تفسير الأرض ، فإذا فسّرت بأرض مكة فالتأويل على وجهين ، أحدهما : أن قليلاً صفة موصوف محذوف ، فقد حصل الإخراج وعدم لبّثهم وهلاكهم بعده حقيقة ، وهو المراد من قوله ((فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجهم بقليل)) ، وأن قليلاً يعني العدم ، كقوله تعالى : ﴿ قليلاً ما تؤمنون ﴾ (٢) ، وإليه الإشارة بقوله : ((لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم)) ، لكن لم يحصل الإخراج لاحقيقة ولا مجازاً ، فلم يحصل الاستئصال أيضاً ، وإذا فسّرت بأرض المدينة يعود معنى القليل على التقديرين .

قوله : ((لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم)) ، قال الميداني (٣) : [أصل المثل : (جاءوا على بكرة أبيهم) ، قال أبو عبيد : أي جاؤا جميعاً لم يتخلف منهم أحد ، وليس هناك بكرة في الحقيقة ، والبكرة تأنيث البكر ، وهو الفتى من الإبل ، وقيل : البكرة ههنا التي يستقى عليها ، أي جاؤا بعضهم على أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد لم ينقطع . والبكرة إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد ، فشبه اجتماع القوم في المجيء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم] .

قوله : ((أما الشائعة)) (٤) ، يعني القراءة المشهورة ، وهي ﴿ لا يلبثون ﴾ بإثبات النون مرفوع عطف على ﴿ ليستفزونك ﴾ خبر كاد ، وهو مرفوع نحو ، كاد

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً * سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستتنا تحويلاً ﴾ الإسراء الآية ٧٦-٧٧ . قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً ﴾ ، أي ((إلا زماناً قليلاً)) .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٢ .

(٣) الميداني في مجمع الأمثال ٣١٤/١ ، برقم ٩٤١ .

(٤) القراءات في قوله تعالى ﴿ لا يلبثون ﴾ ، قال (ز) : وقريء ﴿ لا يلبثون ﴾ ، وفي قراءة أبي : لا يلبثوا ، على إعمال (إذا) ، فإن قلت : ما وجه القراءتين ؟ ، قلت : ((أما الشائعة)) إلخ .

زيد يخرج ، وفي المفصل^(١) : [خبرها^(٢)] مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً متأولاً باسم الفاعل [. قال ابن الحاجب^(٣) : [إنما شرط أن يكون فعلاً مضارعاً للتببيه على أنه المقصود بالقرب] ، فعلى هذا (إذا) واقعة في أثناء الكلام ، لا جواب لها ، لأن (إذا) لا تعمل إذا كان مُعْتَمِداً ما بعدها على ما قبلها ، قال أبو البقاء^(٤) : [وإثبات النون إلغاء (إذا) ، لأن الواو العاطفة تصير الجملة مُخْتَلِطَةً بما قبلها ، فتكون إذا حَشَواً] .

قوله : ((الجملة برأسها إلى قوله عطف على جملة قوله ﴿ وإن كادوا ليستفزونك ﴾))^(٥) ، قال نور الدين الحكيم^(٦) : [فيه نظر ، لأنه على هذا التقدير لا يتحقق معنى قول سيويه^(٧) : [إذا جواب وجزاء] . قلت : لا يمكن أن يفهم كونه جواباً وجزءاً من حيث المعنى ، نحو وإذا كان كذلك إذا لا يلبثوا .
قوله : ((وقرئ خلافك))^(٨) ، قال القاضي^(٩) : [قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة] .

-
- (١) المفصل للزمخشري في النحو والصرف ، وشرحه موفق الدين ابن يعيش النحوي في عشرة أجزاء في مجلدين كبيرين . وذكر الزمخشري في المفصل هذا الكلام في جـ ١١٩/٧ .
(٢) في ب خبر (كاد) ، وفي المفصل (خبرها) .
(٣) ابن الحاجب النحوي في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ٩١/٢ ، مطبعة العاني ببغداد ، تحقيق : د/موسى بناي العلي .
(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٥/٢ .
(٥) وأما قراءة أبي في قوله تعالى ﴿ وإذا لا يلبثون ﴾ بإسقاط النون شاذة كما في شواذ القراءات لابن خالويه ٧٧ . قال (ز) : وأما قراءة أبي ففيها ((الجملة برأسها التي هي ﴿ إذا لا يلبثوا ﴾ عطف إلخ .
(٦) نور الدين الحكيم ، لم أقف له على ترجمة .
(٧) سيويه عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين ، أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب ، أصله من البيضاء من أرض فارس ، نشأ بالبصرة ، أخذ عن الخليل وغيره ، لم تطل حياته ، مات بالبصرة ، وقيل : بشيراز سنة ثمانين ومائة . المعارف لابن قتيبة ٥٤٤ ، وبغية الوعاة ، ٢٢٩/٢ .
(٨) قوله تعالى ﴿ وإذا لا يلبثون خلافك ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ﴿ وإذا لا يلبثون خَلَفَكَ ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام . وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب ﴿ خِلَافَكَ ﴾ بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألف . المبسوط لابن مهران ٢٣٠ .
(٩) القاضي البيضاوي ٢٠٩/٣ .

قوله : ((عَفَتِ الدِّيارُ خِلَافَهُمْ ** البيت)) (١) ، (عفت) : اندرست ، (خلافهم) : بَعْدَهُمْ ، (الشواطِب) : النساء اللواتي يشتَقِقْنَ الجريد ليعمل منه الخَصْرُ و (الشَطْب) : سَعف النخل ، [الأخضر يصف دروس ديار الأحباب بعدهم ، وأنها غير منكوسة ، كأنما بُسِطَ فيها سَعف النخل (٢)] .

قوله : ((دلكت الشمس : غربت)) (٣) ، الراغب (٤) : [دلوك الشمس ميلها للغروب ، وهو من قولهم : دَلَكْتُ الشمس : دفعتها بالراح ، ومنه : دَلَكْتُ الشيء في الراحة ، ودَلَكْتُ الرجل : إذا ماطلته ، والدلوك : ما دلكته من طيب ، والدليك : طعام يتخذ من زبد وتمر] .

قوله : ((وهي حجة على ابن علي (٥) والأصم (٦) أن القراءة ليست بركن في صلاة الفجر)) ، قال القاضي (٧) : [واستدل به على وجوب القراءة فيها ، ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها ، نعم لو فسرنا بالقراءة في صلاة الفجر ، دل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصاً ، وفي غيرها قياساً ، والجواب عن الأول أنه لو لم تكن ركناً لم يجز إطلاقه عليها كالركوع والسجود والقيام ، لأنه من

(١) تمامه :

** عَفَتِ الدِّيارُ خِلَافَهُمْ فَكَانَ مَا بَسَطَ الشَّواطِبُ بَيْنَهُنَّ خَصِيراً **

وهو للحارث بن خالد المخزومي . انظر مشاهد الانصاف ٢/٦٨٦

(٢) ما بين القوسين س من ب .

(٣) تفسر قوله تعالى ﴿ اقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴿ تفسر (ز) لقوله تعالى : ﴿ دلوك الشمس ﴾ .

(٤) الراغب في مفرداته ١٧١ ، مادة (دلوك) .

(٥) (ابن علي) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الإمام الحافظ ، أبو بشر الأسدي مولا هم البصري الكوفي الأصل المشهور بابن علي ، وهي أمه ، ولد سنة مات الحسن البصري ١١٠ ، أخذ عنه حميد الطويل ، وعنه ابن جريج وغيره ، مات سنة ١٩٣ . سير أعلام النبلاء ٩/١٠٧ ، وتهذيب التهذيب ١/٢٧٥ .

(٦) (الأصم) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان ، الإمام المحدث مسند العصر أبو العباس النيسابوري ، سمع منه الآباء والأبناء والأحفاد ، من أكثر الناس رحلة في طلب العلم ، ولد سنة ٢٤٧ ، ومات سنة ٣٤٦ . سير أعلام النبلاء ١٥/٤٥٢ ، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠ .

(٧) القاضي البيضاوي ٣/٢٠٩ .

باب إطلاق معظم الشيء على كله ، والمندوب ليس كذلك . وقال أبو البقاء (١) :
[وقرآن الفجر فيه وجهان ، أحدهما معطوف على الصلاة ، أي و أقم صلاة الفجر ،
وعليه قوله : سميت صلاة الفجر قرآناً ، لأنها ركن . وثانيهما : هو على الإغراء ،
أي عليك قرآن الفجر أو الزم] ، وعليه قوله ((ويجوز أن يكون ﴿ وقرآن الفجر ﴾
حتماً على طول القراءة في صلاة الفجر)) كأنه قيل : الزم قراءة القرآن في صلاة
الفجر ، أي القرآن المنسوب إلى الفجر .

قوله : ((فهو آخر ديوان الليل ، وأول ديوان النهار)) (٢) . روى الإمام أحمد
ابن حنبل في مسنده (٣) عن أبي هريرة في صلاة الفجر وصلاة العصر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : يجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكة
النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، فيصعد ملائكة النهار وتثبت ملائكة الليل ،
فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي ؟ ، فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم
يصلون . وفي رواية البخاري ومسلم (٤) قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، ثم قال
أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ .
قوله : ((مكثوراً عليها)) (٥) ، أي مغلوباً عليها بالكثرة . الجوهرى (٦) :
[عن ابن السكيت (٧) : فلان مكثور عليه : إذا نفد ما عنده وكثرت عليه الحقوق] .
قوله : ((ونحوه التأثم والتحرّج)) أي ترك الإثم والحرّج .

-
- (١) أبو البقاء في إملاته ٩٥/٢ .
(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ مشهوداً ﴾ ، قال (ز) : يشهده ملائكة الليل والنهار ، وينزل هؤلاء ويصعد
هؤلاء ((فهو في آخر ديوان الليل ، وأول ديوان النهار)) إلخ .
(٣) أحمد بن حنبل في مسنده ، ٣٤٤/٢ .
(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٩٩/٨ كتاب التفسير ، باب إن قرآن الفجر كان مشهوداً ، ومسلم
٤٣٩/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الصبح والعصر والحفاظة عليهما ، بدون ذكر الآية .
(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وقرآن الفجر ﴾ ، قال (ز) : حتماً على طول القراءة في صلاة الفجر ، لكونها
((مكثوراً عليها)) ليسمع الناس القرآن ، فيكثر الثواب .
(٦) الجوهرى ٨٠٣/٢ ، مادة (كثر) .
(٧) ابن السكيت : يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت ، كان عالماً بنحو الكوفيين وعلم
القرآن واللغة والشعر راوية ، ثقة ، له تصانيف كثيرة في النحو وغيره . بغية الوعاة ٣٤٩/٢ ، وطبقات
القراء لابن الجزري ٣٨٩/٢ .

قوله : ((وضع نافلة موضع تهجد)) (١) ، أي نافلة مفعول مطلق ، من حيث المعنى ، وفائدة العدول ما ذكر أن التهجد زيد لك على الصلاة المفروضة فريضة عليك خاصة .

قوله : ((فيقيمك مقاماً محموداً)) (٢) ، قال أبو البقاء (٣) : [هو على هذا نصب على المصدر] .

قوله : ((ليس أحد إلا تحت لوائك)) ، وفي حديث أبي سعيد عن الترمذي (٤) : (وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي) ، وأما الحديث بطوله فمشهور من رواية أهل هذه الصناعة (٥) .

قوله : ((مدخل ومُخرج بالضم)) (٦) ، القراءة الشائعة ، والفتح شاذ . قال الزجاج (٧) : [فمن قرأ بضم الميم فهو مصدر أدخلته مدخلاً ، ومن فتح ، فهو على أدخلته فدخل مدخل صدق] ، وإنما ترك المصنف تقدير الضم لأنه ظاهر لا يحتاج إلى تقدير فعل مطابق للمصدر كما في الفتح .

قوله : ((إدخالاً مرضياً على طهارة)) (٨) ، معنى الإضافة في ﴿ مدخل صدق ومخرج صدق ﴾ نحو الإضافة في رجل صدق ورجل سوء ، والصدق إنما هو من

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ ، قال (ز) : عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ((وضع نافلة موضع تهجد)) لأن التهجد عبادة زائدة ، فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ مقاماً محموداً ﴾ ، قال (ز) : نصب على الظرف ، أي عسى أن يبعثك يوم القيامة ((فيقيمك المقام المحمود)) أي المقام الذي يحمد القائم فيه .

(٣) أبو البقاء في إملاته ٩٥ / ٢ .

(٤) الترمذي ٥٥٨ / ٥ كتاب المناقب ، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم ٣٦١٥ .

(٥) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٧٣ / ١٣ كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء ، ومسلم ١٨٣ / ١ - ١٨٤ كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ وكل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ الإسراء الآية ٨٠ ، قال (ز) : ((قريء مدخل ومُخرج بالضم والفتح)) قراءة الفتح (مدخل ومُخرج) شاذة ، وهي قراءة الحسن ، والضم قراءة العامة . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٦ .

(٧) الزجاج ٢٥٧ / ٣ .

(٨) قال (ز) في تفسير ﴿ مدخل صدق ﴾ : أي أدخلني القبر مدخل صدق ((إدخالاً مرضياً على طهارة)) وطيب من السيئات .

أوصاف ذوي العلم ، فإذا وصف غيره كان دالاً على أن ذلك الشيء مرضيٌّ محمود في بابه . قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (٣) : [وصف الزوج من النبات بالكرم ، والكرم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه . ولما عَقَبَ هذه الآية قوله ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ وجب ولا فخر ، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائِي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، قال : فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فِرْعَاتٍ ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربِّكَ . فيقول : إني أذنبت ... وساق الحديث (٣) إلى قوله فأخَّرَ ساجداً فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ ، فيقال لي : ارفع رأسك ، وسل تعطه واشفع تشفع وقل يُسْمَعُ لِقَوْلِكَ ، وهو المقام المحمود الذي قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ ، وأما المنقبة الدنيوية فَمُفْتَحُهَا الأَمْرُ بالهجرة إلى دار النصر ، وقوله : ﴿ وقل ربَّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ إشارة إلى ذلك . وروينا في شرح السنة (٤) عن ابن عباس والحسن وقتادة : (ادْخُلْنِي : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه ﴿ وقل ربَّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ . ألا ترى كيف ذِيلَ الإخراج والإدخال بما ينبىء عن استئزال النصر من الجَنَابِ الفردانية ، والحضرة الصمدانية من قوله : ﴿ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ ﴿ لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَيَبْطُلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٥) . ومن ثَمَّ قيل له : ﴿ قل جاء الحقَّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ . وحين أراد الله أن يشرح غزارة علمه رمز إليه بقوله ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ يعني أنه صلوات الله عليه يغترف علمه من البحر

(٢) سورة الشعراء الآية ٧ ، وذكر ذلك الزنجشري ٢٩٩/٣ .

(٣) أخرج هذا الحديث الترمذي ٢٨٨/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل ، رقم

٣١٤٨ ، وأحمد ٢٨١/١ .

(٤) وفي تفسير البغوي ١٢٢/٥ عن ابن عباس والحسن وقتادة ، وساقه . والتزمذي ٢٨٤/٥ كتاب

التفسير ، باب ١٨ عن ابن عباس وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأسباب النزول للواحد ٣٣٧ .

(٥) سورة الأنفال الآية ٨ .

الذي تنفذ الأبحر السبعة دون نفاذه (٣) ، ولما كان السؤال عن الروح امتحاناً من المعاندين لعلمه أورده في السنن . ألا ترى كيف كافحهم بنزارة علمهم بقوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ وبغزارة علمه على سبيل النصفة والاستدراج بقوله : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ ، روينا عن الإمام أحمد والترمذي (٤) عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح . فسألوه . فأنزل الله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ الآية . قال أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، فأنزلت (٥) ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ﴾ الآية ، فإن قلت : فما وجه اتصال قوله ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان ﴾ الآيتين بالكلام ؟ ، قلت : هو اعتراض لمعنى الزيادة والنقصان . جاء مستطرداً في أثناء الكلام لأن السياق دلّ على كون القرآن رحمة وسبباً لمزيد المؤمنين ، وما ينالون به الاتصال والقرب والرفق عند الله ، وخساراً وبُعداً للقوم الظالمين . وقد تقرّر أن ذلك السؤال كان امتحاناً من الظلمة وتضمّن الإشعار بنزارة علمهم وغزارة علمه صلوات الله عليه ، فلذلك كان مؤكداً للمعنيين وينصره قوله : ﴿ قل كلّ يعمل على شاكلته ﴾ .

(٢) كما قال تعالى في سورة الكهف الآية ١٠٩ : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ ، وقال في سورة لقمان الآية ٢٧ : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ الآية .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بشرح الفتح الرباني ١٨/١٩٦ ، والترمذي ٢٨٤/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣١٤١ ، وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٤٦ ، وانظر القرطبي ١١/٦٨ ، والبغوي ٥/٢١٢ ، وزاد

المسير ٥/٢٠١ .

قوله : ((فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى)) (١) ، الراغب : [إن الله تعالى جعل لنا طبيّنَ بدنِيّاً ودينِيّاً ، وكلّ منهما إمّا إعادة للصحة أو حفظ لها ، والطبّ البدني الذي تعاد به الصحة ، العقاقير والأدوية الذي تحفظ به الصحة الغذاء والأطعمة . و أمّا الطب الديني ، فالذي تعود به الصحة صقل العقل واستعماله في تدبير الدلالات وتعرف المعجزات ومعرفة النبوات ، والقرآن مشحونٌ به ، والذي تحفظ به الصحة تدبّر الكتاب المنزل وتتبع سنن النبي المرسل والعمل بمقتضاهما ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ ، وقلت : لمّح في قوله ((تعود به الصحة)) إلى قوله صلوات الله عليه : (كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ...) الحديث (٢) . وروينا عن الدارمي (٣) عن قتادة : (ما جالس القرآن أحد فقام إلا بزيادة أو نقصان) . ثم قرأ : ﴿ ونزل من القرآن ﴾ الآية . وعن الدارمي أيضاً (٤) ، قال أبو موسى : (إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم ذكراً وكائن لكم نوراً وكائن عليكم وزراً اتبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن ، فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة ومن أتبعه القرآن يُنْزَخُ في قفاه فيقذفه في جهنم . يقال زخّه أى دفعه في وهدة (٥) ، ولما فرغ من بيان علمه شرع في بيان معجزته صلوات الله عليه ، وأنه مما لم يؤت أحد من الأنبياء قال ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾ الآية وجعل ما يتصل به من قوله . ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن ﴾ الآية تخلصاً إلى

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ الآية ٨٢ من الإسراء ، قال (ز) : أي كلّ شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين ، يزدادون به إيماناً ويستصلحون به دينهم ((فموقعه منهم)) إلخ .

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٦/٣ كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، وأبو داود ٨٦/٥ كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين ، ومسنّد أحمد ٢٣٣/٢ ، والموطأ ٢٤١/١ كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز . وغيرهم . ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة فصلت الآية ٤٤ : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ الآية .

(٣) الدارمي ٥٣٠/٢ كتاب فضائل القرآن ، باب في تعاهد القرآن عن قتادة قال : .. وساقه .

(٤) الدارمي ٥٢٦/٢ كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن عن أبي موسى وساقه .

(٥) (الوهدة) المنسل من الأرض ، يقال : بتنا في وهدة ، وتوهّد تسفل الأساس ٦٩١ .

ذكر حديث . قومه ، بقوله : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك ﴾ الآية ولهذا أخره عن سائر أنواع الإفضال والإكرام والله أعلم . ولما احتوى القرآن علما ومعجزة قال صلى الله عليه وسلم (ما من نبي من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (١) .

قوله : ((من يتوكل علينا باسترداده)) (٢) ، أى يصير وكيلا علينا والتوكل والموكل بمعنى قوله ((ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به)) يريد أن الاستثناء منقطع والمستدرك قوله ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا ﴾ وعلى الأول الاستثناء متصل والمستثنى منه (وكيلا) وقال أبو البقاء (٣) : [إلا رحمة . مفعول له أي حفظناه عليك للرحمة ، ويجوز أن يكون مصدرا أي لكن رحمتك رحمة] .

قوله : ((كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا ؟)) (٤) ، روي عن الإمام أحمد ابن حنبل والترمذي وابن ماجه والدرامي عن زياد بن لبيد قال ذكر النبي صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٣/٩ / كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل من حديث أبي هريرة ، ومسلم في صحيحه ١٣٤/١ كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا ﴾ الإسراء الآية ٨٧ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ثم لا تجد لك به ﴾ : أي ((من يتوكل علينا باسترداده)) وإعادته محفوظاً .

(٣) أبو البقاء في إملاته ٩٦/٢ .

(٤) يشير إلى قول ابن مسعود : ((وإن هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء فقال رجل ((كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا)) الخ .

أخرجه الترمذي ٣١/٥ كتاب العلم ، باب ما جاء في ذهاب العلم وأحمد في مسنده ، ٢١٩/٤ وابن ماجه ١٣٤٤/٢ كتاب الفتن ، باب ذهاب القرآن والعلم واللفظ لابن ماجه ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/١٠ إسناده صحيح ورجاله ثقات إلا أنه منقطع وأشار له الدرامي ٨٩/١ في المقدمة باب في ذهاب العلم من حديث عبد الرحمن بن يزيد عن أبي أمامة .

ولم أقف عليه في شرح السنه ، وفي الدر المنثور للسيوطي ٣٣٤/٥-٣٣٥ ما يقرب منه عن ابن مسعود وأخرجه البغوي في تفسيره ، ١٢٧/٥ وقال ابن حجر في الفتح ١٦/١٣ وعند الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (وليتزعن القرآن من بين أظهركم يسرى عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال

وسلم شيئاً فقال : ذلك عند أوان ذهاب العلم . فقلت : يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرؤه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال : (ثكلتك أمك يا زياد : إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعلمون بشيء مما فيهما ، وفي شرح السنة عن عبد الله بن عمرو : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دويّ حول العرش كدويّ النحل . يقول الرب : ما لك ، فيقول : يارب أتلي ولا يعمل بي . وفيه أيضاً عن ابن مسعود (لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن ثم يفيضون في الشعر) .

قوله : ((لأن الشرط وقع ما ضياً)) (١) ، تعليل لجواز وقوع لا يأتون جواباً للشرط ، يعني لو لم تكن اللام في (لئن) لجاز لا يأتون مع وجود النون أن تقع جواباً للشرط لأن قوله ﴿اجتمعت﴾ ماض فلما لم تعمل الأداة في الجزء الأول لا تعمل في الثاني . قوله : ((** يقول لا غائب مالي ولا حرمٌ **)) ، أوله :
 ** وإن أتاه خليل يوم مسغبة **

المسغبة المجاعة وروى مسألة البيت لزهير (٢) يمدح هرم ابن سنان (٣) يقول : إذا أتاه فقير وقد رفع إليه حاجته ، لم يتشاغل بنوع تعلل . وعني بالمال الإبل .

فلا يبقى في الأرض منه شيء) ، وسنده صحيح ، لكنه موقوف على ابن مسعود إلا أنه يعارضه الحديث المتفق عليه (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً) .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ الإسراء الآية ٨٨ ، قال (ز) في قوله : ﴿ لا يأتون ﴾ جواب قسم محذوف . ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جواباً للشرط ((لأن الشرط وقع ما ضياً)) أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لعجزوا . والبيت المذكور شاهد لكلامه .

(٢) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح الزنبي بن مضر ، حكيم الشعراء في الجاهلية ، ومنهم من يفضلته على كافة الشعراء ، نشأ في بيت شعر ، كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً ، وأخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين . مات سنة ١٣ . الشعر والشعراء (٤٤) والأغاني ٣٢٤/١٠ .

(٣) هرم بن سنان بن أبي حارثة المري ، من أجواد العرب في الجاهلية ، يضرب به المثل وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى ، اشتهر هو وابن عمه الحارث بن عوف أبي حارثة بدخولهما في الإصلاح بين عبس وذبيان فيما وقع بينهما من حرب . الأغاني ١٤١/٩ - ١٤٣ والأمثال للميداني ١٢٧/١ .

قوله : ((من النوايب)) (١) ، والنوايب الأحداث الأغمار . قال صاحب التقريب : [واستدلّ صاحب الكشف بإعجازه على حدوثه ، ولو كان قديماً لم يكن مقدوراً ، فلا يكون معجزاً كالحال ، وجوابه : منع الملازمة ، إذ مصحح المقدورية هو الامكان وهو حاصل لا الحدوث . وأيضاً المعجز لفظه ولا يقال بقدمه والقديم كلام النفس (٢) ، ولا يقال بإعجازه وأيضاً سلمنا أن القديم لا يقدر البشر على عينه لكن لم لا يقدر على مثله . قال صاحب الانتصاف : [القديم مدلول العبارات وهو صفة

(١) قال (ز) عند قوله ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ : وأنه معجز يعني القرآن ((والعجب من النوايب)) ، ومن زعمهم أن القرآن قديم ، مع اعترافهم أنه معجز ، وإنما يكون العجز ، حيث تكون القدرة .. إلخ .
(٢) حاصل ما ذكره الزمخشري ، وأحمد بن المنير ، وصاحب التقريب الذي ذكره الطيبي (أن القرآن هو مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن ، ويطلق أيضاً على أدلتها ، وهي هذه الكلمات الفصيحة والآي الكريمة قرآن ، وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول) .

ومذهب أهل السنة والجماعة هو : أن القرآن العظيم المكتوب في المصاحف الذي أوله سورة الفاتحة ، وآخره سورة الناس هو كلام الله تعالى بالفاظه ومعانيه ، كما قال تعالى في سورة براءة الآية ٦ : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ فصرّح بأن هذا الذي يسمعه هذا المشرك المستجير هو كلام الله ، فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاريء . فالخاصل أن القرآن المحفوظ في الصدور المقروء بالألسنة المكتوب في المصاحف هو كلام الله بالفاظه ومعانيه ، تكلم به الله تعالى ، فسمعه جبريل منه ، وتكلم به جبريل فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمعه منه أمته وحفظته عنه . ومن فرق بين لفظه ومعناه فقد أخطأ . وقد عرفه علامة زمانه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي رحمه الله في كتابه مراقبي السعود فقال :

**** لفظ منزل على محمد ** لأجل الإعجاز وللتعبد ****

فصرّح بأن القرآن لفظ ، مشتمل على تلك المعاني العظيمة المعجزة ، لا مجرد المعنى القائم بالذات المجرد عن الألفاظ والحروف . انظر مذكرة أصول الفقه لشيخنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ٥٤-٥٥ ، وانظر الطحاوي ٩-١١ و ١٨٠ . وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ، ٧٧/٨ : (قال : قال العلماء في قوله تعالى ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ فيه دليل على أن كلام الله عز وجل مسموع عند قراءة القاريء ، قاله الشيخ أبو الحسن والقاضي أبو بكر وأبو العباس القلانسي وابن مجاهد وأبو إسحاق الإسفرائيني وغيرهم لقوله تعالى ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ ، فنصّ على أن كلامه مسموع عند قراءة القاريء لكلامه . ويدلّ عليه إجماع المسلمين على أن القاريء إذا قرأ فاتحة الكتاب أو سورة قالوا : سمعنا كلام الله . انتهى منه بلفظه .

قديمة قائمة بذات الله تعالى ويسمى قرآنا وكلمات اختصاص الوصف بما يناسب المقام ، وكان ما ذكره ، وإليه أشار بقوله : ((يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث)) (١) ، وعلى هذا يجري جميع الوجوه المذكورة من تقدير وصف الإدخال والإخراج في كلّ مقام بحسب ما يناسبه .

قوله : ((فأجيب دعوته)) ، الفاء فصيحة يعني أمره الله تعالى بالدعاء فامتثل أمره ودعا فاستجيب دعوته .

قوله : ((وقيل هو عام في كلّ ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان)) ، هذا أقرب لسياق الكلام وسياقه . أما السياق ، فكما قال : ((يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث)) ، وأما السياق ، فعطف ﴿ قُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي ﴾ على ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ وعطف ﴿ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ على ﴿ ادْخُلْنِي ﴾ ، وكلّ ذلك يقتضي غير واحدة من الحالات والأمكنة . [قوله ((فأجيب دعوته)) (٢) يعني أمره الله تعالى بالدعاء فامتثل أمره ودعا فأجيب دعوته] (٣) .

قوله : ((يَدْخُلُونَ)) (٤) ، الجوهري (٥) : [الدفیف : الدبيب ، وهو السير اللين] .

(١) يعني (ز) في قوله تعالى ﴿ أخرجني مخرج صدق ﴾ أي عند البعث إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط ((يدلّ عليه ذكره على أثر البعث)) .

(٢) ما بين القوسين س من أ ، ت ، م .

(٣) تفسير قوله ﴿ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ وقُلْ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ الإسراء الآية ٨١ .

قال (ز) : كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، صنم كلّ قوم بحاله . فشكا البيت إلى الله عزّ وجلّ ، فقال : أي ربّ حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك ؟ ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى البيت : إني سأحدث لك نوبة جديدة فأملأك خدوداً سجداً ((يَدْخُلُونَ)) إليك دفيف النور يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية .

(٥) الجوهري في صحاحه ١٣٦٠/٤ ، مادة (دفف) .

قوله : ((مختصرتك))^(١) ، الجوهرى^(٢) : [المِخْصَرَةُ كالسوط ، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها] ، روى الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي^(٣) عن ابن مسعود . دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما بعود في يده ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ . وفي مسند الإمام أحمد ابن حنبل^(٤) عن علي رضي الله عنه قال : كان على الكعبة أصنام ، فذهبت لأهل النبي صلى الله عليه وسلم فلم أستطع ، فحملني فجعلت أقطعها ، ولو شئت لثلث السماء .

قوله : ((كان مُضْمَجِلًا))^(٥) ، الراغب^(٦) : [زهقت نفسه من الأسف على الشيء ، قال عز وجل : ﴿ وترهق أنفسهم وهم كافرون ﴾^(٧)] .
قوله : ((ونزل))^(٨) قرأ بالتخفيف أبو عمرو .

(١) قال (ز) : ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح ، قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ ((مختصرتك)) ثم ألقها ، فجعل يأتي صنماً صنماً ، وهو يكتث المِخْصَرَةُ في عينيه ، ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾ .

(٢) الجوهرى في صحاحه ٦٤٦/٢ ، مادة (خصر) .

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٠٠/٨ كتاب التفسير ، باب ﴿ وكل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ رقم ٤٧٢٠ ، وكتاب المظالم رقم ٢٤٧٨ ، والمغازي ٤٢٨٧ . وأحمد في مسنده ، ٣٧٧/١ . ومسلم كتاب الجهاد والسير ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، رقم ١٧٨١ . والترمذي كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣١٣٨ .

(٤) مسند أحمد بشرح الفتح الرباني ، ٢٢٤/٢٠ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ كان زهوقاً ﴾ ، قال (ز) : ((كان مُضْمَجِلًا)) غير ثابت في كل وقت .

(٦) الراغب في مفرداته ٢١٥ ، مادة (زهق) .

(٧) سورة التوبة الآية ٥٥ .

(٨) تفسير قوله تعالى ﴿ ونزل ﴾ من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴿ الإسراء الآية ٨٢ قرأ (نزل ، و (حتى نزل) بالتخفيف فيهما أبو عمرو ويعقوب . إتخاف فضلاء البشر . ٢٨٦

قوله : ((من للتبين ^(١) كقوله ﴿ من الأوثان ﴾ ^(٢))) يعني من القرآن بيان لمفعول نزل ، وهو (ما هو شفاء) وحال منه ، كما أن ﴿ من الأوثان ﴾ في قوله : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ حال من الرجس وبيانه وعلى أن يكون تبعيضاً يكون ﴿ من القرآن ﴾ مفعولاً به و ﴿ ما هو شفاء ﴾ بدلاً منه ، ولذلك قال : ((كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء)) أى كل حصّة ونصيب وبعض .

قوله : ((أوأراد الاستكبار)) ^(٣) ، يريد قوله نأى بجانبه ، إما أن يكون كناية عن الإعراض لأن من يلوي عن الشيء عطفه ويولّى ظهره فقد حاول الإعراض عنه ، فيكون تأكيداً لمعنى (أعرض) ودخلت الواو بين المؤكد والمؤكد ، وإما أن يكون كناية عن الاستكبار لأن ذلك من عادة المتكبرين فيكون تكميلاً لكون مفهومه غير مفهوم الإعراض ، فقد جمعوا بين الهيئتين .

قوله : ((وقرى ونآء بجانبه)) ^(٤) ، قرأها ابن ذكوان ^(٥) ، الراغب ^(٦) : [نآء بجانبه ينوء و ينآء أي ينهض قال تعالى : ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ﴾ ^(٧)] و يقال : نآء بجانبه ينأى نأياً ، مثل نعى أعرض . قال أبو عبيدة : تباعد ، وقرىء نأى بجانبه أي تباعد ، ومنه النؤى لحفيرة حول الحباء تباعد الماء عنه . و قيل نأى بجانبه مثل نعى أي أعرض ، و قال أبو عبيد : نآء بجانبه ، نهض به عبارة عن التكبر كقولك : شخ بأنفه وازور بجانبه ، و انتأى افتعل منه و المنتأى الموضع البعيد [.

(١) تفسير قوله ﴿ من القرآن ﴾ قال (ز) : ((من للتبين ، كقوله : ﴿ من الأوثان ﴾)) أو للتبعيض .

(٢) سورة الحج الآية ٣٠ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤسأ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾ الآية ٨٣-٨٤ ، قال (ز) : في تفسير ﴿ نأى بجانبه ﴾ والنأى بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ((وأراد الاستكبار)) لأن ذلك من عادة المستكبرين .

(٤) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان (نآء) ممدوداً مهموزاً بوزن (نآء) ، وفي فصلت كذلك من نآء ينوء : نهض ، والباقون بتقديم الهمزة على حرف العلة على وزن فَعَلَ ، من النأى وهو البعد . الإتحاف ٢٨٦ .

(٥) ابن ذكوان عبد الله بن أحمد بشير بن ذكوان القرشي الفهري أبو عمرو ، من كبار القراء لم يكن في عصره أقرأ منه . ولد سنة ١٧٣ ومات سنة ٢٤٢ بدمشق ، تهذيب التهذيب ١٤٠/٥ .

(٦) الراغب في مفرداته ٥١٠ ، مادة (نآء) .

(٧) سورة القصص الآية ٧٦

قوله : ((و طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة)) (١) ، إشارة إلى اتصال هذه الآية بقوله : ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ ، الراغب (٢) : [على شاكلته ، أي سجيته التي قيّدته ، من شكلت الذّابة ، و ذلك أن سلطان السّجّية على الإنسان قاهر حسبما بينت في (الذريعة إلى مكارم الشريعة) (٣) وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم : [كلّ ميسر ((لما خلق له)) ، والأشكلة الحاجة التي تقيّد الإنسان] ، وقلت : الحديث هو ما رويناه عن البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبي داود وابن ماجه (٤) عن علي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة . قالوا يا رسول الله : أفلا نتكل على كتابنا ؟ ، فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل السعادة و أما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل الشقاء ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ الآية .

قوله : ((من أمر الله)) (٥) ، أي لما استأثر بعمله يعني من أمر ربي لا من أمري فلا أقول لكم ماهي ؟ ، والأمر بمعنى الشأن ، أي معرفة الروح من شأن الله لا من شأن غيره ، ولذلك طابقه قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ . قال

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ كل يعمل على شاكلته ﴾ ، قال (ز) : أي على مذهبه ((و طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة)) ، من قولهم : طريق ذو شواكل .

(٢) الراغب في مفرداته ٢٦٦ ، (مادة) شكل .

(٣) الذريعة إلى مكارم (الشريعة) طبع مطبعة : الوطن بالقاهر سنة ١٨٨٩ م ، قيل : إن الغزالي كان يحمله دائما في رحلاته لما فيه من فوائد ، انظر المقدمة للراغب ص ٣ .

(٤) البخاري مع الفتح ٨ / ٧٠٨ كتاب التفسير ، باب فأما من أعطى واتقى ، وفي غير هذا المحل أيضا ، ومسلم برقم ٢٦٤٧ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه و كتابه و أجله و رزقه ، وأبو داود ٥ / ٣٤ كتاب السنة ، باب في القدر ، برقم ٤٦٩٤ ، وأحمد في مسنده ، ١ / ١٢٨ ، والترمذي ٤ / ٣٨٨ كتاب القدر ، باب ما جاء في الشقاء و السعادة ، برقم ٢١٣٦ ، والتفسير ، رقم ٣٣٤٤ ، وابن ماجه ١ / ٣٠ المقدمة ، باب في القدر ، رقم ٧٨ ، والنسائي في تفسيره ، ٢ / ٥٢٨ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ الآية ٨٥ ، قال (ز) : سألوه عن حقيقة الروح ، فأخبر أنه ((من أمر الله)) أي لما استأثر بعمله .

الإمام (١) : [المختار : أنهم سألوه عن الروح وأنه صلوات الله عليه أجاب عنه بأحسن الوجوه] بقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ يعني أنه موجود محدث بأمر الله ، وتكوينه وتأثيره أفاده الحياة للجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه ، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة ، ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها ، ويؤيده قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ، وقال القاضي (٢) : [يجوز أن يكون السؤال عن قدمه وحدوثه] ، فأجيب : أنه وجد بأمره وحدث بتكوينه .

قوله : ﴿ وما أوتيتم ﴾ ، الخطاب عام . قال القاضي (٣) : [يعني قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ أنكم] ستفيدونه بتوسط حواسكم ، فإن اكتساب العقل للعلوم النظرية مستفاد من إحساس الجزئيات ، ولذلك قيل : من فقد حساً فقد علماً ، ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحواله المعرفة لذاته ، وهو إشارة إلى أن الروح لما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلبس به ، فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب ﴿ وما رب العالمين ﴾ (٤) بذكره بعض صفاته [تم كلامه . فإن قلت : ما موقع هذا السؤال في هذا المقام ؟ ، قلت والعلم عند الله : الروح والعلم توَّمان وموهبتان عظيمتان لاسيما الوحي ، ولذلك قرن بقوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ وعقبه بقوله : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ وعقب به ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ﴾ وقد تقدّم مراراً وأطواراً أن فواتح السور بمقتضى براعة الاستهلال مؤذنة باشتمال السور على ما تضمنت الفاتحة من المعنى ، ولما افتتحت هذه السورة الكريمة بالكرامة السنية والموهبة الرفيعة لسيدنا صلوات الله عليه وهي بيان مقام الدنوّ والزلفى واستجلب ذلك حديث الكليم عليه السلام وبني إسرائيل ،

(١) الإمام افخر الرازي في تفسيره ٣٧/٢١ .

(٢) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١٠/٣ .

(٣) القاضي البيضاوي ٢١٠/٣ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٣ .

ثم حديث الكفار من هذه الأمة ، وأريد العود إلى البدء ، وتعداد كرائم وموانح أخرى ابتدئ بما يناسب الإسراء من إقامة الصلوات مقرونة بذكر أوقاتها ، فقل : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ إلى قوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ ، ومن ثم قال صلوات الله عليه : (وجعلت قرّة عيني في الصلاة) (١) ، وأخرى : (أن تعبد الله كأنك تراه) (٢) . وتارة : (أرحنا يا بلال) (٣) ، وجعل ذلك ذريعة إلى ذكر منقبتين جليلتين أخروية ، وهي مقام الشفاعة . وقيل : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ، روي عن الترمذي (٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود ، فقال : هو الشفاعة . وعن الدارمي (٥) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل له : ما المقام المحمود ؟ ، قال : ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه ، ويحياكم بكم حفاة عراة غرلاً ، فيكون أول من يُكسى إبراهيم ، فيؤتى برئطتين (٦) من رباط الجنة ، ثم أكسى على أثره ، ثم أقوم عن يمين الله مقاما يغبطني الأولون والآخرون ، وعن الترمذي (٧) عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ،

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ١٣٨/٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ ، والمستدرک ١٦٠/٢ ، والنسائي ٦١/٧ كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء . وتلخيص الجبير ١١٦/٣ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ١١٤/١ كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان . ومسلم ٣٧/١ كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان !خ .

(٣) أحمد في مسنده ، ٣٦٤/٥ ، ٣٧١ ، وأبو داود ٢٦٢/٥ كتاب الأدب ، باب في صلاة العمة

(٤) والتزمذي ٢٨٣/٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ .

(٥) أخرجه الدارمي ٤١٩/٢ كتاب الرقائق ، باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى . وأحمد في مسنده ، ٣٩٨/١ ، وفيه الصعق بن حزن : صدوق يهم ، وعثمان بن عمير : ضعيف ، واختلط في آخر عمره ، وكان يدلس ، وكان يغلو في التشيع . انظر تهذيب التهذيب ١٤٥/٧ ، وتقريب التهذيب ١٣/٢ ، وميزان الاعتدال ٥٠/٣ .

(٦) الربطة : قيل : هي كلّ ملاءة ليست بلفقين . وقيل : كلّ ثوب رقيق لثين . النهاية ٢٨٩/٢ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل ، باب فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق . والتزمذي ٢٨٨/٥ كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ ، برقم ٣١٤٨ ، ٣٦١٥ . وأحمد في مسنده ، ٢٨١/١ ، ٢٠٣ ، وشرح السنة ٢٠٤/١٣ .

بيدي لواء الحمد . أيضاً والمعجز الدليل لا المدلول ، لكن أهل السنة ^(١) يتحرّزون من إطلاق المخلوق لوجهين : لإيهامه ، ولأن السلف الصالح كفّوا عنه ، وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية من إيهام غيره ، فلا يصحّ إلزام الزمخشري ، وقلت : الوجه الأخير لصاحب التقريب هو الوجه ، لما قرّره المصنف في قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ ، فإن قلت : ما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل ؟ ، قلت : معناه بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلوّ الصفة في حسن النظم ومن ثم لم تكن سائر الكتب السماوية معجزة ، وإن كان مثل القرآن في ذلك المعنى .

قوله : ((وقرئ تَفْجُرُ بالتخفيف)) ^(٢) ، الكوفيون بفتح التاء وضمّ الجيم مخفّفاً ، والباقون بضمّ التاء وكسر الجيم مشدّداً .

قوله : ((من شأنها أن تنبع بالماء لا يقطع)) ، القاضي ^(٣) : [ينبوع عين لا ينضب مأوها] كأن البناء دل على المبالغة .

قوله : ((عبّ الماء)) ، أي زخّر من العباب . الجوهرى ^(٤) : [العباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه] .

قوله : ((كما زعمت)) ، يعنون قول الله تعالى ﴿ إِن نَّشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقُطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ وكان ذلك عناداً وتمرداً ، بدليل قوله :

(١) يعني بأهل السنة هنا الأشاعرة ، ومذهبهم في هذا يخالف مذهب أهل السنة والجماعة كما بينا آنفاً ، والعجب من قوله : (وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية من إيهام غيره) ! .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعُتَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خَلَالَهَا فَتُفَجِّرَ أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زَخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرَقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُل سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنتَ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ الإسراء الآية ٩٠-٩٣ . قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والأعمش عن أبي بكر في رواية محمد بن غالب وحده : ﴿ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا ﴾ بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم ، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي ويعقوب وخلف : ﴿ حَتَّى تَفْجُرَ ﴾ بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة . المبسوط لابن مهران ٢٣٠ .

(٣) القاضي البيضاوي ٢١١/٣ .

(٤) الجوهرى في صحاحه ١٧٥ ، مادة (عب) .

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾^(١) ، قال : لو أسقطناه عليهم لقالوا : سحاب مركوم ، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب .

قوله : ((قُرِءَ ﴿ كِسْفًا ﴾))^(٢) بسكون السين نافع وعاصم . وابن عامر ﴿ كِسْفًا ﴾ بفتح السين ، والباقون بإسكانها .

قوله : ((أو مقابلاً))^(٣) ، عطف على قوله : كفيلاً ، يعني إذا كان قبلاً بمعنى كفيلاً كان التقدير : أو يأتي بالله قبلاً وبالملائكة قبلاً ، وإذا كان بمعنى مقابلاً يعود المعنى تأتي بالله مقابلاً وبالملائكة مقابليْن واستشهد للأول بقوله : ﴿ أو نرى ربنا ﴾ بناء على مذهبه^(٤) ، لأن النظر إلى الشيء يقتضي المقابلة ، وللثاني : ﴿ لو لا أنزل علينا الملائكة ﴾ ، وقوله : أو جماعة ، احتمال آخر بمعنى قوله : ﴿ والملائكة قبلاً ﴾ ، الجوهري^(٥) : [القبيل : الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى] وعلى هذا يجوز أن يكون قبلاً حالاً من الله والملائكة معاً ، قال أبو البقاء^(٦) : [قبلاً حال من الملائكة أو من الله والملائكة] .

قوله : ((﴿ من زخرف ﴾ ، من ذهب)) ، الراغب^(٧) : [الزخرف الزينة المزوّقة ، ومنه قيل للذهب : زخرف ، وقال : ﴿ أخذت الأرض زخرفها ﴾^(٨) ،

(١) سورة الطور الآية ٤٤ .

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر : ﴿ كِسْفًا ﴾ بفتح السين وكذلك في الروم آية ٤٨ . وسائر القرآن ﴿ كِسْفًا ﴾ ساكنة السين . وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ها هنا وفي الروم : ﴿ كِسْفًا ﴾ بفتح السين فيهما . وسائر القرآن ﴿ كِسْفًا ﴾ ساكنة السين . المبسوط لابن مهران ٢٣٠ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قبلاً ﴾ ، قال (ز) : كفيلاً بما تقول شاهداً بصحته .

(٤) يعني مذهب المعتزلة في منعهم رؤية الله يوم القيامة ، والسنة ثابتة بأن المؤمنين يرون ربهم لا يضافون في رؤيته في الحديث المتفق عليه : (إنكم سترون ربكم) ، والمعتزلة ينكرون ذلك .

(٥) الجوهري في صحاحه ١١٩٨/٣ ، مادة (جمع) ، ذكر ما يقرب منه .

(٦) أبو البقاء في إملائه ٩٦ / ٢ .

(٧) الراغب في مفرداته ٢١٢ .

(٨) سورة يونس الآية ٢٤ .

وقال تعالى : ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ ، أي ذهب مزوق . وقال تعالى :
﴿ زخرفاً من القول غروراً ﴾ ^(١) ، أي المزوقات من الكلام] .
قوله : ((وقريء : ﴿ قال سبحان ربّي ﴾)) ^(٢) ، ابن كثير وابن عامر قال
بالألف ، والباقون بغير ألف .

قوله : ((تتخيرونها على)) ^(٣) ، قيل : أي يتخيرون الرسل الماضية بأن
يقولوا : إنهم رسل مع كونهم بشرا كأنهم مختارون على بهذه الصفة . وقال
القاضي ^(٤) : [قوله : ﴿ سبحان ربّي ﴾ يجوز أن يكون تنزيها لله من أن يأتي أو
يتحكم عليه] أحد ، أي هل كنت إلا بشراً رسولا كسائر الرسل ؟ ، وكانوا لا
يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم ، ولم يكن أمر الآيات إليهم أن يتحكموا على
الله حتى يتخيرونها ، على هذا هو الجواب المجمل . وأما التفصيل : فقد ذكر في
آيات أخرى ، كقوله : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ﴾ ^(٥) ، ﴿ ولو فتحنا
عليهم باباً ﴾ ^(٦) .

قوله : ((والمعنى له أجوب)) ^(٧) ، قال صاحب التقريب : [لإفادة الحال
بالمنطوق ، ما هو المقصود أي بعث الله رسولا حال كونه بشراً لا ملكاً ، ولنزلنا
عليهم رسولا حال كونه ملكاً لا بشراً ، وهو عين المقصود ، ولو جعلنا (رسولا)

(١) سورة الأنعام الآية ١١٢ .

(٢) تفسير قوله : ﴿ قل سبحان ربّي ﴾ ، قال (ز) : ((قريء قال سبحان ربّي)) ، قرأ ابن كثير و
ابن عامر (قال) بصيغة الماضي إخباراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والباقون (قل) بصيغة الأمر من
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . الاتحاف ٢٨٦ .

(٣) قال (ز) : ليس أمر الآيات إلى ، إنما هو إلى الله تعالى ، فما با لكم ((تتخيرونها على)) .

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣ / ٢١١ .

(٥) سورة الأنعام الآية ٧ .

(٦) سورة الحجر الآية ١٤ .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً
رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا ﴾ الآية ٩٥ ، قال
(ز) : هل يجوز أن يكون (بشرا) (وملكاً) منصوبين على الحال من (رسولا) ؟ ، قلت : وجه حسن
((والمعنى له أجوب)) .

صفة ، أفاد بالمفهوم ما ليس بمقصود ، بل ما ليس بمستقيم ، إذ يدلّ تقييد الصفة بالمفهوم ، أبعث بشراً مرسلأ ؟ ، لا بشراً غير مرسل ، ولنزلنا عليهم ملكاً مرسلأ لا ملكاً غير مرسل ، وهما غير مقصودين ، بل غير مستقيمين [. وقلت : ويمكن أن يقال والله أعلم : إنما كان المعنى له أجوبة ، لأنه إذا كان رسولا ذا حال يكون في التركيب تقديم وتأخير ، وإزالة عن الأصل فيجتمع النفي والإثبات في السؤال والجواب ، ويقع الكلام في ثبوت الحال ونفيها بعد تحقق صاحبها ، فيكون المنكر في قولهم : ﴿ أبعث الله بشراً رسولاً ﴾ بعثة البشر للرسالة بعد إقرارهم أن الرسالة ثابتة ، كقولهم : ﴿ لو لا أنزل عليه ملك ﴾ (١) ﴿ لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ (٢) ، ويكون الجواب بقوله : ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ ، كالقول بالموجب (٣) ، أي : نعم إنما يجب إرسال الملك دون البشر ، أي لو كان في الأرض ملائكة قارين لأن الجنس إلى الجنس أميل ، وهو به أنس ، ولذلك منّ عليهم بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ (٤) ، وفي قوله : ((ثم قرّر ذلك بأنه لو كان في الأرض ملائكة)) إلى آخره ، لمحة من القول الموجب ، ولو كان رسولا وصفاً لبشر ولملك لكانا قارين في مكانهما ، وما أفاد النفي والإثبات في السؤال والجواب ، ولم

(١) سورة الأنعام الآية ٩ .

(٢) سورة فصلت الآية ١٤ .

(٣) وضابط القول بالموجب بفتح الجيم : تسليم المعارض دليل الخصم مع بقاء النزاع في الحكم ، وذلك يجعل الدليل الذي سلمه الخصم ليس هو محلّ النزاع ، كقوله تعالى : ﴿ ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ﴾ سورة المنافقين الآية ٨ ، فعبد الله بن أبيّ في هذه الآية استدّل على أنه يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة ، بأن الأعزّ قادر على إخراج الأذلّ ، والله سلّم له هذا الدليل ، مبينا أنه لا يجدي ، لأنه هو الأذلّ ، حيث قال تعالى : ﴿ والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ . انظر مذكرة شيخنا محمد الأمين ٣٠٨ ، قال السيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي في نظمه في البلاغة المسمى نور الأقاح معرفاً القول بالموجب في علم البديع :

** ثم من البديع ما قد اشتهر	** بالقول بالموجب عند ذي النظر
** وقور وصف في كلام قد كنى	** به عن الذي له حكم بنى
** فيثبت الوصف لغير ما ثبت	** له الذي عن شأن ذا الحكم سكت

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

يحسن هذا الحسن ، ألا ترى إلى قول صاحب المفتاح (١) قال في سورة المؤمنين ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ﴾ (٢) : فذكر بعده المرفوع وما تبعه المنصوب ، وهو موضعه ، وقال في النمل ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ (٣) : فقدّم لكونه فيما أهم ، وإنما خالفنا المصنف في قولنا ، لأن الجنس إلى الجنس أميل لئلا يلزمنا الاعتزال الذي عنه بقوله : ((وأما الإنس فما هم بهذه المثابة)) (٤) ، ولذلك عدل القاضي (٥) إلى قوله : [﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾] لتمكّنهم من الاجتماع به والتلقي منه ، والإنس عامتهم عمّة عن إدراك الملك والتلقّف منه ، فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس] .

قوله : ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم)) (٦) ، روينا عن الترمذي (٧) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ، صنفاً مشاةً ، وصنفاً ركباناً ، وصنفاً على وجوههم ، قيل : يا رسول الله وكيف يحشون ؟) الحديث .

(١) صاحب المفتاح محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ، شارح التلخيص ، تقدّمت ترجمته .

(٢) سورة المؤمنين الآية ٨٣ .

(٣) الآية ٦٨ من سورة النحل .

(٤) يشير الطبي إلى اعتزال الزمخشري في تفضيله الملائكة على الآدميين مطلقاً ، قال (ز) : ((أما الإنس فما هم بهذه المثابة)) ، إنما يُرسل الملك إلى مختار منهم للنبوّة ، فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١١/٣ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ماؤاهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا إذا كنّا عظاماً ورفاتا إنّنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ الإسراء الآية ٩٧-٩٨ . قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ : وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يحشرون على وجوههم ؟ ، قال : ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم)) قادر على أن يمشيهم على وجوههم .

(٧) أخرجه الترمذي ، ٢٨٥/٥ كتاب التفسير ، باب ١٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، برقم ٣١٤٢ . وأحمد في مسنده ، ٣٦٣/٢ ، وله شاهد في البخاري مع الفتح ، ٣٧٧/١١ كتاب الرقائق ، باب الحشر .

قوله : ((ويجوز أن يحشروا)) ، عطف من حيث المعنى على قوله : ((كما كانوا في الدنيا)) (١) ، فعلى عمياً وبكماً وصُمّاً على الجواز ، والحشر الثاني بمعنى الجمع والسوق ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى ﴾ (٢) ، والأول بمعنى البعث وحشر الناس يوم القيامة .

قوله : ((مؤفى الحواس)) (٣) ، الجوهري (٤) : [الآفة العاهة ، وقد أيفَ الزرع على ما لم يسم فاعله ، أي أصابته آفة ، فهو مؤوف مثل معوف] .

قوله : ((على قوله ﴿ أولم يروا ﴾)) (٥) ، أي وجعل لهم عطف على ﴿ أولم يروا ﴾ ، يعني لا يجوز أن يعطف على (خَلَقَ) ويدخل في حيز صلة الموصول للفصل بخبر إن ، وهو ﴿ قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ولا ﴿ على أن يخلق ﴾ لفظاً ومعنى لأنه لا يحسن إيقاع القدرة على الآجل ، فينبغي أن يكون عطفاً على ﴿ أولم يروا ﴾ ، وأما قوله : ﴿ وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ﴾ فليس تقديراً لتصحيح معنى العطف إذا لا يلتزم أن يقال : ﴿ أولم يروا ﴾ وجعل لهم ، بل هو ابتداء تفسير بشهادة قوله : ((وهو الموت أو القيامة)) (٦) ، فإذا التقدير قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السماوات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم . كقوله تعالى : ﴿ أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي في الصغر والقمة (٧) . وأن من جعل لهم أجلاً لا ريب فيه ، وهو القيامة ، لابد أن يأتي به ، كقوله

(١) تفسير قوله : ﴿ عمياً وبكماً وصُمّاً ﴾ ، قال (ز) : ((كما كانوا في الدنيا)) .

(٢) سورة طه الآية ٥٩ .

(٣) قال (ز) : ويجوز أن يحشروا ((مؤفى الحواس)) من الموقف إلى النار بعد الحساب .

(٤) الجوهري في صحاحه ١٣٣٣/٤ ، مادة (أوف) .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً ﴾ الإسراء الآية ٩٩ . قال (ز) : فإن قلت : علام عطف قوله ﴿ وجعل لهم أجلاً ﴾ ؟ ، قلت : ((على قوله أولم يروا)) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ﴾ ، قال (ز) : ((وهو الموت أو القيامة)) ، فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحوداً .

(٧) (القمّة) في الصحاح للجوهري ٦٦/١ ، مادة (قمأ) ، قال : قَمُو الرجل بالضم قَمَاءً وقَمَاءَةً صار قميئاً ، وهو الصغير الدليل ، وأقمأته صغره وذللته ، فهو قميء .

تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا﴾ (١) . فظهر أن المراد بقوله عطف على قوله : ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ أنه عطف على التقدير ، وأن يضمّر في الكلام ما يتمّ به المعنى ، ويؤيده قول الإمام (٢) : [لما بين الله تعالى بالدليل المذكور أن البعث والقيامة أمر يمكن الوجود في نفسه أردفه بأن لوقوعه ودخوله في الوجود وقتاً عند الله تعالى] ، والنظم يساعد هذا التقدير الذي قدرناه وتخصيص ما خصصناه من أن المراد بالأجل القيامة لا غير لورود الآية بعد إنكار ما أنكروه في قولهم : ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٣) .

قوله : ((لو حقّها أن تدخل على الأفعال)) (٤) ، قال ابن الحاجب (٥) ، في الشرح : [لا بد أن يليها الفعل لأنها حرف شرط ، والشرط إنما يعقل بالفعل فالتزم وقوع الفعل لفظاً أو تقديراً] . قال صاحب المفتاح (٦) : [وأما كلمة (لو) فحين كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره ، على القطع امتنعت ، حملنا ها على الثبوت ولزم أن يكونا فِعْلَتَيْنِ والفعل ماض] .

قوله : ((فأما ما يقتضيه علم البيان فهو : (أن أنتم تملكون) ، فيه دلالة على الإختصاص)) . وقال صاحب الفرائد : لما كان التقدير ، لو كان تملكون يملكون وهذا لا يفيد الاختصاص ، وجب أن لا يفيد هذا أيضاً ، لأنه غير مخالف في تأدية المعنى لذلك ، لأن (أنتم) وضع موضع الضمير المتصل ، فالفعل مراد والتكرار حاصل على التقديرين ، نفى أن يقال : إن أنتم تملكون على صورة الجملة الاسمية

(١) سورة الحج الآية ٧ .

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ٦٢/٢١ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٩ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ . الإسراء الآية ١٠٠ ، قال (ز) : في قوله تعالى ﴿لَوْ﴾ حقها أن تدخل على الأفعال ، دون الأسماء ، فلا بد من فعل بعدها في ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ وتقديره ، لو تملكون ، تملكون .

(٥) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ٢٥٨/٢ .

(٦) محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ، تقدمت ترجمته . انظر مبحث (لو) في بغية

الإيضاح لتلخيص المفتاح ١٩٧/١ ، وشرح التلخيص ٦٨/٢ .

بدون معناها ، فالاختصاص من لوازم معنى الاسمية لا من صورتها ، ويمكن أن يقال في الجواب : الأصل تملكون بدون التكرار ، فكرر ليفيد التأكيد ، فلما ترك الفعل الأول أو أضمر إبقاء فاعله ، وهو في المعنى غير ضمير الثاني المتصل ، علم بأن الاهتمام بذكر فاعل هذه الجملة أكثر من ذكر فعلها ، فكان تقديمها للفاعل على الفعل من حيث المعنى والثاني بمنزلة المكرر للتأكيد فأفاد الاختصاص (١) . وقلت : نظر أصحاب المعاني في أمثال هذا التركيب إلى اللفظ ألا ترى إلى قول صاحب المفتاح : [ترك يودوا إلى الماضي المؤذن بالتحقيق نظرا إلى لفظه ، فكذا ههنا النظر إلى صورة ﴿ أنتم تملكون ﴾ لا إلى أصله ، وهو مثل : أنا سعت في حاجتك ، في وجه إفادة الاختصاص وإلى هذا الإشارة بقوله : ((برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر)) .

قوله : ((لو ذات سوار لطمتني)) (٢) ، قال الميداني (٣) : [لو لطمتني ذات سوار ، لأن (لو) طالبة للفعل داخله عليه ، والمعنى : لو ظلمني من كان كفؤاً لي هان عليّ ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وقيل : أراد لو لطمتني حرّة فجعل السوار علامة للحرية ، لأن العرب قلما تلبس الإماء السوار فهو يقول : لو كانت اللاطمة حرة لكان أخفّ عليّ] .

قوله : ((* * ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي * *)) (٤) .

تمامه : * * جعلت لهم فوق العرائن ميسماً * *

(١) حاصل هذه المسألة : أن المقرر في علم العربية أن (لو) لا تدخل إلا على الأفعال ، فيقدر لها في الآية فعل محذوف . والضمير المرفوع بعد (لو) أصله فاعل الفعل المحذوف ، فلما حذف الفعل فصل الضمير ، لأن الأصل ﴿ قل لو تملكون ﴾ ، فحذف الفعل فبقيت الواو فجعلت ضميراً منفصلاً : هو (أنتم) . انظر أضواء البيان ٥٧٤/٣ .

(٢) القائل حاتم . انظر الكشف ٦٩٦/٢ .

(٣) ذكره الميداني في الباب الثالث والعشرون ٨١ / ٣ ، رقم ٣٢٢٧ .

(٤) البيت للمتلمس ، وبعده :

﴿ * * وَلَوْ غَيْرَ أَخَوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي * * جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَائِنِ مَيْسَمًا * *
* * وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ * * بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى عَلَيْهِ تَقْدِمًا * * .

العرابين : الأنوف . والميسم العلامة يقول : لو كان الظلم والنقيصة جاءتني من غير أخوالي لَوَسَمْتُهُمْ بِسَمَةِ الذَّلِّ لِيَشْتَهَرُوا بِهَا ، ولم يمكنهم إخفاؤها .

قوله : ((قَتُورًا) ضيقًا بخيلاً)) الراغب (١) : [القتر تقليل النفقة ، وهو يازاء الإسراف ، وكلاهما مذمومان . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢) ، ورجل قتور ومُقْتِر . وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ تنبيه على ما جبل عليه الإنسان من البخل ، وقد قَتَرَتِ الشَّيْءَ وَأَقْتَرَتْه وَقَتَرَتْهُ أَي قَلَّتْهُ ، ومقتر فقير ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ ﴾ (٣) ، وأصل ذلك من القَتَار والقَتَر ، وهو الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما ، فكأن المُقْتِرَ والمُقْتَر هو الذي يتناول من الشيء قَتَارَهُ] .

قوله : ((لا . لأن معناه لبخلتم)) (٤) ، وفيه وجهان ، أحدهما أن يكون مضمناً معنى البخل ، والبخل لا يتعدى بنفسه ، وثانيهما أن يجعل مفعوله منسياً كقولهم : فلان يعطي ويمنع ، فيكون كناية عن البخل ، ذكره صاحب الفرائد .

قوله : ((فذكر اللسان)) (٥) ، وهو انحلال العقدة والطمس ، وهو قلب أموال القبط حجارة ، يعني كما أن الحسن ذكر مكان الحجر والبحر والطور فيما ذكره أولاً من الآيات التسع الطوفان والسنين ونقص الثمرات ، ووضع محمد مكان البحر والطور اللسان والطمس ، قال الواحدي (٦) : قال المفسرون : صارت أموالهم

(١) الراغب في مفرداته ٣٩٢ ، مادة (قتر) .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٦ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قَتُورًا ﴾ ضيقًا بخيلاً ، فإن قلت : هل يقدر (لأمسكتم) مفعول ؟ ، قلت : ((لا ، لأن معناه لبخلتم)) من قولك للبخیل : ممسك .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاذْهَبْ بِهَا عَلَى قَوْمِكَ فَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ وَإِنَّ لَآئِنِكَ يَا مُوسَى مُسْحُورًا ﴾ الإسراء الآية ١٠١ ، قال (ز) : عن ابن عباس إن الآيات ، هي العصا ، واليد إلخ ... وعن محمد بن كعب لما سأله عمر بن عبد العزيز ((فذكر اللسان والطمس)) من الآيات .

(٦) الواحدي في الوسيط ١٣٠/٣ ، وانظر الطبري ١٧٠/١٥ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١٣٩/٣ ،

والقرطبي ٢١٧/١٠ .

حجارة ، وقال القرطبي : جعل سكرهم حجارة . وقال قتادة : بلغنا أن حروثهم صارت حجارة ، ولما وافق هذا القول دون ما عند عمر بن عبد العزيز قال : كيف يكون الفقيه إلا هكذا إعجابا وتعجباً ، ثم أمر بإخراج الجراب تصديقاً له .

قوله : ((وعن صفوان بن عسال الحديث أخرجه الترمذي والنسائي ^(١) عنه تفاوت يسير ، وفيه إشكال ، لأن المذكور عشرة والسؤال عن تسع ، وقد أجاب عنه التور بشتى بأجوبة ، والذي ^(٢) نقوله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اعلموا معاشر اليهود أن الآيات التي أوتي موسى ولم تنسخها شريعة ، نحن وأنتم فيها سواء هذه المذكورات ، لكن له آية أخرى تختص بكم ، وهي هذه ، وهذه الزيادة كالإيصال والتسيم ، يعني خذوا ما سألتموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم] .

قوله : ((أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف)) روي عن صاحب التهذيب للكشاف أنه قال : [رأيت في حاشية الكشاف دلالة الآية على تقدير (قلنا) من حيث إنه خبر كما أن ذاك خبر ، والأولى عندي أن يقال : إن دلالتها من حيث إنها تدل على أن السائل من بني إسرائيل هو موسى لا محمد صلوات الله عليهما ، وقلت : تحقيقه أن يفصل ما أجمله المصنف ليظهر الحق ، فإنه ذكر في الآية وجوهاً كثيرة ، لكن يجمعها معنيان لأن السائل إما موسى عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن يكون السائل موسى ﴿ إذ جاءهم ﴾ إما أن يتعلق بقلنا المحذوف أو بنفس السؤال ، والأول على وجهين : إحداهما المسؤل فرعون ، والمسؤل عنه إنقاذ بني إسرائيل منه ، المعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، وأرسلناه إلى فرعون وملائه وقلنا له : إذ جاءهم سل بني إسرائيل من فرعون أي قل له أرسل معي بني إسرائيل وخلصهم وشأنهم ، لأنهم كانوا كالأسرى بيد فرعون .

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦/٥ كتاب التفسير ، باب ١٨ ، والاستئذان ٧٧/٥ ، وأحمد في مسنده ٢٣٩/٤ ، والنسائي في التفسير كما في تحفة الأشراف ١٩٢/٤ ، والمحاربة ، باب السحر ١٦٤٢/٤٠٨٣ ، وابن ماجه كتاب الأدب ، باب الرجل يقبل يد الرجل مختصراً ١٢٢١/٢ ، والحاكم في المستدرک ٩/١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) أنظر حاشية محي الدين شيخ زاد ٢٤٣/٣-٢٤٤ ، فذكر مثل هذا .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ (١) ، فالسؤال بمعنى الطلب ، وثانيهما المسؤل بنو إسرائيل والمسؤل عنه سبيان ، والمعنى على الأول قلنا لموسى : ﴿ سل بني إسرائيل إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ عن حال دينهم ، أنتم ثابتون على ملة إبراهيم ؟ أم دخلتم في دين فرعون ؟ ، والمعنى على الثاني . قلنا له إِذْ جَاءَهُمْ : سلهم أن يعاضدوك ، وتكون قلوبهم وأيديهم معك ، حتى يخلصهم الله من الأسر ويورثهم أرض أعدائهم ، كما قال موسى لقومه : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، والثاني : وهو أن يتعلق بنفس السؤال على قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، يرتب عليه المعاني الثلاثة كلها ، وهذه القراءة ترجح احتمال أن يكون المأمور بقوله : فسأل في القراءة المشهورة وهو موسى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الثاني وهو أن يكون السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتعلق [﴿ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾] إِمَّا ﴿ آتَيْنَا ﴾ المذكور ، أي ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إِذْ جَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفِرْعَوْنَ وَقُلْنَا لَكَ سَلْ ذَلِكَ عَنْ مُسْلِمِي أَهْلِ الْكِتَابِ يَخْبَرُوكَ بِهِ كَمَا أَخْبَرْتَ ، وهو من أسلوب قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٣) ، وهو من باب التهيج والإلهاب تشيئاً ومزيد طمأنينة ، أو متعلقه محذوف ، وهو إِمَّا (اذكر) ، المعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات (٤) وأرسلناه إلى فرعون وملائته (اذكر) إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ فِرْعَوْنُ ، فيكون قوله :

(١) سورة البقرة الآية ٤٩ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .

(٣) سورة يونس الآية ٩٤ .

(٤) الآيات التسع ذكرها القرآن كلها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فذكر عن العصا واليد قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٠٧ - ١٠٨ ﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ وقال في العصا أيضاً في سورة الشعراء الآية ٦٣ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وفي الباقيات من الآيات التسع قال تعالى في سورة الأعراف الآية ١٣٣ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ الآية . وجعل بعض العلماء الجبل بدل السنين ، وقال تعالى في الأعراف الآية ١٧١ : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾ الآية .

﴿ فسأل بني إسرائيل ﴾ على الوجهين معترضا ، أو يخبروك على تقدير جواب الأمر المعنى (سل بني إسرائيل) عن حال الآيات التسع ، فإنهم يخبرونك القصة بتمامها من لدن مجيء موسى من مَدْيَن (١) إلى مصر (٢) عند إياهم ، وهم أسرى بيد فرعون وملائه يسومونهم سوء العذاب ، ثم ذهابه إلى فرعون وطلبه منه إرسال بني إسرائيل معه وادعائه النبوة ، وإظهار تلك الآيات القاهرة بأسرها وظهور عجز فرعون وعناده ، وقوله : ﴿ إني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾ فالفاء في قوله تعالى : ﴿ فقال له فرعون ﴾ فصيحة .

قوله : ((﴿ بصائر ﴾ بينات مكشوفات)) (٣) ، الأساس (٤) : [هذه الآية مبصرة ، وأبصر الطريق استبان ووضح] .

قوله : ((وقرئ ﴾ علمت ﴾)) (٥) ، بالضم الكسائي ، والباقون بفتحها .
قوله : ((ثم قارع ظنه بظنه)) (٦) ، الأساس (٧) : [قرعه بالرمح وقارعه وتقارعوا بالرماح ، وقارعه فقرعته] .

(١) (مَدْيَن) ، ويقال : أرض مدين ، بين تبوك والساحل على بعد ١٣٢ كيلو غرب تبوك وشرق رأس الشيخ ، عبيد على البحر بمسافة سبعين كيلا ، وهي في وادٍ بين الجبال ، وواديها يسمى غنّال ، وتشرف عليها من الغرب صفراء شعيب ، وتسمى مغائر شعيب ، ويقال : إن البئر التي استقى منها موسى كانت بهذا الموضع . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ٢٨٤ .

(٢) مصر معروفة ، وهي القاهرة ، وصارت تطلق على سائر البلاد المصرية .
(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشبورا فأراد أن يستفهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقتلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيأ ﴾ الإسراء الآية ١٠٤ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ((﴿ بصائر ﴾ بينات مكشوفات)) ولكنك معاند مكابر .

(٤) الأساس للزمخشري ، قال : ومن الجواز هذه آية مُبْصِرَةٌ إلخ ، ٤٠ .
(٥) قرأ الكسائي : ﴿ لقد علمت ﴾ بضم التاء ، مسند الضمير موسى ، ووافقه الأعمش ، والباقون بالفتح على جعل الضمير للمخاطب ، وهو فرعون . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٧ .

(٦) قال (ز) عند قوله : ﴿ لقد علمت ﴾ على قراءة الضم ، وأن الضم راجع إلى موسى ، على معنى إني لست بمسحور ، كما وصفتني ، بل أنا عالم بصحة الأمر ، وأن هذه الآيات منزلها رب السماوات والأرض ((ثم قارع ظنه بظنه)) كأنه قال : إن ظننتني مسحوراً ، فأنا أظنك (مشبورا) .

(٧) الأساس ٥٠٣ ، مادة (قرع) .

قوله : ((إلا بالحقّ محفوظاً بالرصد)) (١) ، فسّر الحقّ تارة بالحكمة ، وأخرى بالثابت الذي يقابل الباطل ، فقوله : ((محفوظاً بالرصد)) تفسير لمعنى الحق ، وتوضيح لمحلّه ، وأنه نصب على الحال ، يعني هو محفوظ بالرصد ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ (٢) ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه ﴾ ، قال المصنف : أنزله وهو رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة ، كما قال في آخر سورة الجنّ : ﴿ وأحاط بما لديهم ﴾ (٣) ، قال أبو البقاء (٤) : [﴿ بالحق أنزلناه ﴾ أي وبسبب إقامته الحق ﴿ أنزلناه ﴾ فتكون الباء متعلقة بأنزلناه ، ويجوز أن يكون حالاً ، أي أنزلناه ومعه الحقّ ، أو فيه الحقّ ، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل ، أي أنزلناه ومعنا الحقّ ، ﴿ وبالحق نزل ﴾ فيه الوجهان الأولان دون الثالث ، لأنه ليس فيه ضمير لغير القرآن] .

قوله : ((وما أرسلناك إلا لتبشّرهم بالجنة وتنذرهم من النار)) ليس إليك وراء ذلك أي التركيب من القصر الإفرادي نزل صلوات الله عليه لحرصه على إيمان قومه منزلة من يعتقد أنه مبشّر ونذير ومع ذلك مكره على الدين أيضاً فقصر على البشارة والنذارة ، وبقي كونه مكرها .

قوله : ((يعني أن (فرّق) بالتخفيف يدل على فصلٍ متقارب)) (٥) كأنه يراد القراءة بالتخفيف ، فإنها تدل على خلاف الواقع ، وهو الفصل المتباعد . وقال ابن جني (٦) ويؤيده قوله : ﴿ على مكث ﴾ .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ الآية ١٠٥ ، قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ : أي وما نزل إلا متلبساً بالحقّ والحكمة ، أو ما أنزلناه من السماء ((إلا بالحقّ محفوظاً بالرصد)) من الملائكة .

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٣) الآية ٢٨ .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٧/٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ الآية ١٠٦ ، قال (ز) : قرأ أبيّ ﴿ فرقناه ﴾ بالتشديد ، أي جعلنا نزوله مفرّقاً منجّماً ، وعن ابن عباس أنه قرأ مشدداً أيضاً ((يعني أن (فرّق) بالتخفيف)) ، يدل على فصل متقارب ، وليس كذلك فين أوله وآخره عشرين سنة .

(٦) قال ابن جني في المحتسب ٢٣/٢ : [وقرآنا فرقناه] بالتشديد ، قال أبو الفتح (يعني نفسه) : تفسيره فصلناه ، ونزلناه شيئاً بعد شيء ، ودليله قوله تعالى : ﴿ على مكث ﴾ .

قوله : ((وتؤدّة)) (١) ، النهاية (٢) : [يقال : أتأد في فعله إذا تأني وتثبت ، ولم يعجل] .

قوله : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ ، أمر بالإعراض عنهم ، يعني إنما يؤمن بهذا القول من إيس من إيمانه ولم يقتد بحالة ، فكأنه قال له : اتركهم ولا تبال بهم .
قوله : ((تعظيما لأمره وإنجازه ما وعد)) (٣) ، لإنجازه عطف على (تعظيما) وهو مفعول له لقوله : ﴿ خروا ﴾ ، وإنما لم يأت باللام في الأول وأوتي بها في الثاني ، لأن الأول فعل لفاعل الفعل المعلل ، والثاني ليس كذلك .

قوله : ((وعلى الأول إن لم تؤمنوا لقد آمن)) (٤) ، يعني على الوجه الثاني ﴿ إن الذين أوتوا العلم ﴾ تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلزم منه توبيخ القوم وتقريعهم ، وعلى الوجه الأول بالعكس ، لأن التعليل على الأول مقول القول بخلاف الثاني . وقلت : الوجه أن يقصد التسليّة ، ويكون التقريع مُفَرَّعا عليها ، لأن في المعلل إشعارا بأن الرسول قد قضى ما عليه من الإبلاغ وأن الحجة قد لزمتهم ، فعليه أن يتاركهم ويشتغل بمن يجدي فيهم الإنذار وينجع فيهم الوعظ ، وبخاصّة نفسه من عبادة ربه ، وإلى الأول الإشارة بقوله : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ وإلى الثاني بقوله : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ ومن ثم قال : أمر

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ على مكث ﴾ قال (ز) : بالفتح والضم ، على مهل ((وتؤدّة)) وتثبت .

(٢) النهاية ١ / ١٧٨ ، مادة (تد) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان ليكون ويزيدهم خشوعا ﴿ الإسراء ١٠٧ - ١٠٩ . قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿ إذا يتلى عليهم ﴾ خروا سجدا وسبحوا الله ((تعظيما لأمره وإنجازه ما وعد)) في الكتب المنزلة ، وما بشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه .

(٤) قال (ز) : فإن قلت : (إن الذين أوتوا العلم من قبله) تعليل لماذا ؟ ، قلت : يجوز أن يكون تعليلا لقوله : ﴿ آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ ويجوز أن يكون تعليلا (لقل) على سبيل التسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطبيب نفسه ، كأنه قيل : تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء ((وعلى الأول إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم)) ويعني على الوجه الثاني ﴿ إن الذين أوتوا العلم ﴾ .

بالإعراض عنهم وأن لا يكثرث إيمانهم فإن خيرا منهم وأفضل قد آمنوا ، وإلى الثالث لقوله : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله ﴾ وإنما استدعى المقام المتاركة والتسلية ، لأن الله تعالى لما عدّ مناقب حبيبه صلوات الله عليه في مفتح السورة وختمها ببيان المعجزة ، وهي قوله : ﴿ قل لمن اجتمعت الإنس والجن ﴾ فكانت متضمنة لما يتخلّص منه إلى طعن القوم في القرآن ورسالته ومعاندتهم في دفع آيات الله البينات ، فذكر شيئا صالحا منه فأراد أن يُسلّي حبيبه ذكر حديث الكليم ومجيئه بالآيات البينات إلى قومه وتكذيبهم ، ثم إهلاكهم ، وكان الأمر بقوله : ﴿ فسل بني إسرائيل ﴾ تنميما لمعنى التسلية ، وذكر بعده هذا النوع من التسلية وختم السورة بها والله أعلم .

قوله : ((أول ما يلقي به الأرض من وجهه الذقن)) (١) ، قال صاحب التقريب : [وفيه نظر لأن أول ما يلقي الأرض الجبهة أو الأنف] ، ووجهه أنه إذا ابتداء الخرور ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض هو الذقن ، أو أراد مبالغة في الخضوع وهو تعفير اللحي على التراب ، والأذقان كناية عنها ، أو أنه ربّما خرّ على الذقن كالمغشي عليه لخشية الله تعالى ، وقوله :

**** ((فخر صريعا لليدين وللقم)) ****

أوله من رواية المطلع :

**** دَلَفْتُ لَهُ بِالرَّمْحِ مِنْ دُونِ ثَوْبِهِ ****

الدليف (٢) المشي رويدا ، دلفت الكتبية في الحرب أي قدمت . ويروى :

**** أَمْكَنَهُ بِالرَّمْحِ حُضْنِي قَمِيصَهُ ****

الحضين (٣) ما دون الأبط إلى الكشح ، وحضنا الشيء جانباه .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾ قال (ز) : فإن قلت : ما معنى الخرور للذقن ؟ ، قلت : السقوط على الوجه ، وإنما ذكر الذقن ، وهو مجمع اللحين ، لأن الساجد أول ما يلقي به الأرض من وجهه الذقن .

(٢) الصحاح للجوهري ٤/ ١٣٦٠ ، مادة (دلف) والبيت قيل : لشريح العيسى ، وقيل لزهير .

(٣) الصحاح للجوهري ٥/ ٢١٠١ ، مادة (حضن) .

قوله ((جعل ذقنه ووجهه للخروج)) (١) ، وقال صاحب الفرائد : [لما كان الذقن أبعد شيء من وجهه من الأرض في حال السجود وهي حال وضع الجبهة ، كان القصد بالخروج إلى وصول الأذقان إلى الأرض أبلغ من القصد إلى وصول الجبهة إليها ، فكأنه قيل : الخروج لأجل وصول الأذقان إلى الأرض ، لأن الانحطاط أكثر في وصول الأذقان من وصول الجبهة إليها ، وحاصله أنهم يبالغون في الخروج ، وَيُلْصِقُونَ بالأرض ما أمكن إلصاقه بها من الوجه] تم كلامه . فإن قلت : جعل ذقنه ووجهه للخروج اختصه به ، مُخَالَفَ لظاهر الآية لأنه جعل الخروج مختصاً بالذقن لقوله : ﴿ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾ ، قلت : إن الخروج إذا اختص بالذقن اختص الذقن به ، وما عليه التلاوة أدل على خضوعهم وتواضعهم .

قوله : ((فمعنى ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ سَمَوْا بهذا الاسم أو بهذا)) (٢) ، قال القاضي (٣) : [المراد بالتسوية بين اللفظين ، هو أنهما يطلقان على ذات واحدة ، وإن اختلف اعتبار إطلاقهما ، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود] هذا إذا كان ردّاً لقول المشركين (٤) ، وعلى أن يكون ردّاً لليهود ، المعنى أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود ، وهو أجوب لقوله : ﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ وقلت : الذي يقتضيه النظم أن يكون ردّاً للمشركين ،

(١) قال (ز) : إذا قلت : خرّ على وجهه وعلى ذقنه ، ما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه ؟ ، قلت : معناه ((جعل ذقنه ووجهه للخروج)) واختصه به ، لأن اللام للاختصاص .
(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء الآية (١١٠) .

(٣) القاضي البيضاوي ٢١٣/٣ .

(٤) يشير إلى أنهم اختلفوا في سبب نزول الآية هذه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت لما سمعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم يتهجّد ذات ليلة بمكة ، فجعل يقول في سجوده (يا رحمن يا رحيم) قال المشركون : كان محمد يدعو لها واحدا ، فهو الآن يدعو إلهين اثنين (الله والرحمن) ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة . الواحدي في أسباب النزول ٣٤١ ، والطبري ١٨٢/٩ ، والقرطبي ٣٤٢/١٠ ، والبغوي ١٣١/٥ ، والدر المنثور ٣٤٨/٥ .

وقيل : إن اليهود قالوا : إنك لتقل ذكر الرحمن ، وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت .
الكشاف ٧٠٠/٢ .

لأن قوله : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ مناسب لهم ، والظاهر ما ذكره المصنف أن قوله : ﴿قله الأسماء الحسنی﴾ وضع موضع فهو حسن .

قوله : ((يرفع صوته)) (١) بقراءته ، الحديث مع التفسير متفق عليه ، رواه البخاري ومسلم (٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما .
قوله : ((روي أن أبابكر)) الحديث مختصر من رواية أبي داود والترمذي (٣) عن قتادة .

قوله : ((مثلاً لانتحاء الوجه)) (٤) ، يعني شبه من ينبغي أن يتوسط في القراءة بمن يتوخي بين السيلين قصداً سوياً .

قوله : ((أولم يوال أحداً)) (٥) ، جعل ولياً على الأول بمعنى الناصر وعلق (من) به على تضمين معنى المنع ، المعنى : ليس له ذل ولا مانع من الذل يمنعه لاعتزازه بنفسه ، لأنه عزيز بذاته ، مانع لغيره منه ، وعلى الثاني : إجراؤه على

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ قال (ز) : روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ، ويقول : أناجي ربّي ، وقد علم حاجتي ، وكان عمر رضي الله عنه ((يرفع صوته)) بالقراءة ، ويقول : أزجر للشيطان وأيقظ للوسنان ، فأمر أبابكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً .

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٠٤/٨ كتاب التفسير ، باب ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ الآية ، قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مخنف بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، الحديث رقم ٤٧٢٢ ، ورقم ٧٤٩٠ ، ٧٥٢٥ ، ٧٥٤٧ . ومسلم ٣٢٩/١ كتاب الصلاة ، باب التوسط في القراءة في الصلاة ، رقم ٤٤٦ . والترمذي ، رقم ٣١٤٥ ، ٣١٤٦ ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل .

(٣) أخرجه أبو داود ، ٨١/٢ كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل رقم ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ . والترمذي ٣١٠/٢ كتاب الصلاة ، باب قراءة الوتر ، رقم ٤٤٧ ، وقال حديث غريب ، والحاكم في المستدرک ٣١٠/١ .

(٤) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ : وابتغاء السبيل مثل ((الانتحاء الوجه)) الوسط في القراءة .

(٥) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ولي من الذل﴾ : ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به ((أولم يوال أحداً)) من أجل مذلة به لدفعها بموالاته .

ظاهره ، وجعل (من) ابتدائية ، ومن ثم قال : ((ولم يوال أحداً)) من أجل مذلة ، وعلى التقديرين ، التركيب من باب قوله :

**** على لاحب لا يهتدي بمناره ** (١) .**

قوله : ((لأن مَنْ هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة ، وذلك أن من اتخذ ولداً يحتاج إلى الإمساك لأجله ، ومن ثم قال صلوات الله عليه : (الولد مَجْنُونٌ مَبْخَلَةٌ) (٢) ، ومن كان له شريك في ما يتصرفه ، فهو ممنوع من التصرف التام ، ومن احتاج إلى ناصر يدفع عنه الذلّ ، كيف يقدر على دفعه عن الغير ؟ ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن كلّ هذه الموانع ، فهو يقدر على إيلاء كلّ نعمة ، فلذلك يستحقّ كلّ الحمد ، وإنّما سلك هذا التأويل لأن الحمد هو الشاء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها ، وعدم اتّخاذ الولد ونفي الشريك عنه ليس من الفضائل الاختيارية ظاهراً ، وقد رتب (عليه) (٣) الحمد ، [فعُدل إلى لازم هذه المذكورات وهو القدرة على إيلاء كلّ نعمة ، ورتب عليها الحمد (٤)] . قال القاضي (٥) : [نفى أن يكون له ما يواليه ويشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختياراً واضطراً ، وما يعاونه ويقوّيه ، ورتّب الحمد عليه للدلالة على أنه مستحقّ جنس الحمد ، لأنه كامل الذات المفرد بالإيجاد المنعم على الإطلاق ، وما عداه ناقص مملوك نعمةً أو مُنعمٌ عليه ، ولذلك عطف عليه قوله : ﴿ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴾] ، وقلت : والآية من باب التقسيم الحاضر ، لأن المانع من الإيتاء إمّا فوقه ، فهو القسم الثالث ،

(١) البيت لم أقف على قائله . واللحظ الطريق الواسع الواضح . الجوهري ٢١٨/١ ، مادة (حب) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ١٦٤/٣ كتاب معرفة الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وسكت عليه الذهبي بلفظ (إن الولد مَبْخَلَةٌ مَجْنُونٌ) من حديث يعلى بن منبه الثقفي ، وأيضاً ٣٩٦/٣ من حديث محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه رضي الله عنه ، وزاد (مَجْهَلَةٌ) ، وفي المطالب العالية ٣٩/٣ ، برقم ٢٨٢٠ ، باب حبّ الولد ، بلفظ (الولد ثمرة القلب مجنونة مبخلة) من حديث أبي سعيد ، وفيه عطية العوف مكلّم فيه ، وانظر كشف الخفاء ٤٧٠/٢ .

(٣) (عليها بالحمد) في ب ، م .

(٤) ما بين المعكوفين س من ب .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١٤/٣ .

أو دونه فهو القسم الأول ، أو مثله ، فهذا القسم الثاني ، ثم المناسب أن يجعل التعريف في الحمد للاستغراق لا للجنس ، كما قال ، لأن موجه مستغرق للمراتب كلها . وسورة الإخلاص واردة على هذا التقسيم فليحذ حذوها .
قوله : ((إذا أفصح الغلام)) (١) ، الأساس (٢) : [أفصح الصبي في منطقته : فهم ما يقول في أول ما يتكلم ، يقال : أفصح فلان ثم فصح ، وأفصح العجمي : تكلم بالعربية ، وفصح : انطلق لسانه بها وخلصت لفته من اللكنة] .
انتهت السورة .

(١) يشير إلى ما ذكره (ز) : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ((إذا أفصح الغلام)) من بني عبد المطلب علمه هذه الآية ﷻ وقل الحمد لله ﷻ الآية .
والحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٣٤/٤ كتاب العقيقة ، باب ما يستحب للصبي أن يعلم إذا تكلم . وابن أبي شبة في مصنفه ، ٥٥٦/١٠ كتاب فضائل القرآن ، في الصبيان متى يتعلمون القرآن . وابن السني في عمل اليوم والليلة ، ١٦٠ ، باب ما يلقن الصبي إذا أفصح بالكلام .
(٢) الأساس للزمخشري ٤٧٤ ، مادة (فصح) ، مع تقديم وتأخير .

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات
الإسلامية - قسم التفسير

فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الريب

للإمام الطيبي الحسين بن عبد الله، المتوفى سنة ٧٤٣هـ
دراسة وتحقيق من سورة الحجر إلى نهاية سورة طه

رسالة الدكتوراة

المجلد الثاني

إعداد الطالب : محمد الأمين بن الحسين بن أحمد الشنقيطي
بإشراف : الدكتور عبدا لله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

١٤١٥ - ١٤١٦هـ

سورة الكهف، مكية، مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ((لَقْن الله عباده وفقههم كيف يشنون عليه))^(١) ضَمَّن لَقْن معنى العلم، ولذلك فسره بالفقه، والمفعول الأول : عباده، والثاني : الجملة الإستفهامية، وليس يتعلّق لذكر المفعول الأول، يريد ما ذكره في الفاتحة ﴿ الحمد لله ﴾ مقولٌ على ألسنة العباد، ومعناه : تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمّدونه ويمجّدونه ويعظمونه.

قوله : ((وما أنزل على عبده محمد صلوات الله عليه)) عطف تفسيري على قوله : ((نعمة الإسلام)) وفيه أن المذكور من كونه مُنزلاً على عبده مستقيماً بريئاً من الإعوجاج بشيراً للموحدين الذين يعملون الصالحات، نذيراً لمن أشرك بالله وعمل عملاً غير صالح هو الإسلام، الراغب^(٢) : [(العبد) يطلق على الإنسان الذي يصح بيعه نحو، (العبد بالعبد) وعلى (عبد) بالإيجاد وإيّاه عنى بقوله : ﴿ إن كلّ من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾^(٣) وعلى (عَبْدٌ) بالعبادة والخدمة، والناس فيه ضربان (عبدٌ) لله مخلصاً، وهو المقصود بنحو قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبد الكتاب ﴾ وعبد الدنيا وهو المُتَكَفِّفُ على خدمتها ومراعاتها، وإيّاه قصد صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار) وعلى هذا يصحّ أن يقال : ليس كل إنسان عبداً لله تعالى [وقلت : الحديث من رواية البخاري^(٤) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال :

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً . ماكن في أبدأ . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً . ما لهم به من علم ولا آياتهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ الكهف الآية ١-٥.

قال (ز) في تفسير ﴿ الحمد لله ﴾ : ((لَقْن الله عباده ... الخ)).

(٢) الراغب في مفرداته ٣١٩ مادة (عبد) بتصرف وتقديم وتأخير منه.

(٣) سورة مريم الآية ٩٣.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٥٣/١١ كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال وقوله : ﴿ إنما

أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ الحديث رقم ٦٤٣٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه ابن ماجه

(تعس^(١)) عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة^(٢)، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سَخِطَ، تعس وانتكس^(٣)، وإذا شيك^(٤) فلا انتقش، طوبى^(٥) لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله تعالى أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقية، كان في الساقية. إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع... الحديث جمع بين النوعين من العبدین.

قوله : ((والعوج في المعاني))^(٦) الراغب^(٧) : [العوج العطف عن حال الانتصاب، يقال : عَجْتُ البعير بزمامه، وفلان ما يعوج عن شيء يهْمُ به، أي : لا يرجع، والعَوَجُ، يقال : فيما يدرك بالبصر كالحَشَبِ المنتصب، والعَوَجُ فيما يدرك بالبصيرة والفكر، كما يكون في أرض بسيطة وكالدَّيْنِ والمعاشِ] وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه الضمير المجرور في (فيه)^(٨) عائد إلى الشيء، المعنى : لا تجد شيئاً في القرآن المجيد، ولا

١٣٨٥/٢-١٣٨٦ كتاب الزهد، باب في الكثيرين برقم ٤١٣٦. والبعوي في شرح السنة ٢٦١/١٤ برقم ٤٠٥٩. والبيهقي في سننه ١٥٩/٩.

(١) (تعس) يقال : تعس يتعس، إذا عثر وانكبَّ لوجهه، وقد تفتح العين، وهو دعاء عليه بالهلاك . النهاية ١٩٠/١ مادة (تعس).

(٢) (الخميسة) ثوب خز أو صوف مُعْلَم، وقيل : لا تسمى خميسة إلا أن تكون سوداء مُعْلَمَةً . النهاية ٨١-٨٠/٢ مادة (خمس).

(٣) (انتكس) أي : انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة . النهاية ١١٥/٥ مادة (نكس).

(٤) (شيك) أي : شاكته شوكة، فلا يقدر على انتقاشها، وهو إخراجها بالنتقاش. النهاية ٥١٠/٢ مادة (شوك)

(٥) (طوبى) اسم للجنة، وقيل : هي شجرة فيها . النهاية ١٤١/٣ مادة (طوب).

(٦) تفسير قوله : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ قال (ز) : لم يجعل له شيئاً من العوج قط ((والعوج في المعاني)) كالعوج في الأعيان، المراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانية وخروج شيء منه من الحكمة.

(٧) الراغب في مفرداته ٣٥١ مادة (عوج).

يعني : أنه ليس في القرآن أي اعوجاج البتة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة المعاني، كما قال تعالى في سورة الزمر الآية ٢٧-٢٨ : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ . وقال وفي سورة الأنعام الآية ١١٥ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدلاً لا مبذل لكلماته وهو السميع العليم ﴾.

(٨) قال (ز) : والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه، وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة ((فيه)).

كلمة إن أمنت النظر فيه خارجاً عن إصابة مَحَزِّ البلاغتين، من حيث اللفظ، ومتجاوزاً عن الاشتمال على الحكمتين، أعني : العلمية والعملية من حيث المعنى.

قوله : ((ولا يجعل حالاً من الكتاب))^(١) لئلا يلزم الفصل بين الحال وذو الحال بأجنبي وهو ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ وهو معطوف على الصلة، قال أبو البقاء^(٢) : [ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في (له) ويجوز أن تكون الواو في : ﴿ ولم يجعل ﴾ للحال، فيكونان حالين، أي : أنزله منفياً عنه العوج قِيماً].

قوله : ((وقيل : ﴿ قيماً ﴾ على سائر الكتب)) عطف على قوله : ((لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة)) وعلى هذا لا يرد السؤال. وتلخيص الوجوه : أن ﴿ قِيماً ﴾ إذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيماً، فكان تأكيداً دُفْعاً [للتجوز، من باب نفي الطرد والعكس^(٣)] (٤) إذ مفهوم الثاني مؤكد لمنطوق الأول، وبالعكس، وإذا قدر له متعلق فإما أن يقدر على كما في قوله تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾^(٥) أي : رقيب حافظ شهيد، كان تمييزاً، لأنه حينئذ كامل في نفسه مُكَمَّل لغيره، فيكون بالغاً في الاستقامة حدّها، أو يقدر له الباء على نحو قولهم : فلان قيم بهذا الأمر، فيكون تكميلاً، لأنه إذا مستقيم في نفسه، قيم بأمور غيره، وقال القاضي^(٦) : [قيماً مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، أو قيماً بمصالح العباد، فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال].

(١) قال (ز) : فإن قلت : بم انتصب ﴿ قِيماً ﴾ ؟ قلت : الأحسن أن ينتصب بمضمّر، أي فعل مضمّر ((ولا يجعل حالاً من الكتاب)).

(٢) أبو البقاء في إملائه ٩٨/٢.

(٣) (الطرد والعكس) الطرد : ما يوجب الحكم لوجود العلة، وهو التلازم في الثبوت . والعكس عدم الحكم لعدم العلة . التعريفات ١٨٣، ١٩٨. وقيل : هو أن يؤتى بكلامين، يقرّر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس، البيان للطبي ٣٦٩.

(٤) ما بين القوسين س من أ و م.

(٥) سورة الرعد الآية ٣٣.

(٦) القاضي البضاوي في انواره ٢١٤/٣.

قوله : ((عند السَّبَر))^(١) النهاية^(٢) : [وفي حديث الغار قال له أبو بكر رضي الله عنه : لا تدخله حتى أسْبِرَه قبلك، أي : أختبره واعتبره وأنظر فيه، هل فيه أحد أو شيء يؤذي؟].

قوله : ((بعذاب بنيس))^(٣) الأساس^(٤) : [وقع في البؤس والبأساء وفي أمر بنيس شديد].

قوله : ((وقرئ)) من لدنه^(٥) ((أبو بكر يقرأ)) من لدنِه)) يأسكان الدال وإشمامها شيئاً من الضم، وبكسر النون والهاء ويصل الهاء بياء، والباقون بضم الدال وإسكان النون وضم الهاء، وابن كثير على أصله يصلها براو.

قوله : ((ويُبشِّر))^(٦) بالتخفيف والتثنية ((بالتخفيف حمزة والكسائي.

قوله : ((قد جعل المنذر به هو الغرض))^(٧) اعلم أن الفعل المتعدي إلى مفعول واحد إذا لم ينو مفعوله بقي مطلقاً فيكون الغرض منه الإطلاق، كقولك : فلان يعطي ويمنع، فالغرض إيجاد حقيقتهما، والمتعدي إلى المفعولين إذا اقتصر على واحد يجري ذلك الحكم على المذكور، فيكون هو الغرض لا ((المعنى

(١) قال (ز) : فإن قلت : ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر ؟ قلت : فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج ((عند السَّبَر)) والتصفح.

(٢) النهاية ٣٣٣/٢ مادة (سبر).

(٣) تفسير قوله تعالى : ((لينذر بأساً شديداً)) قال (ز) : والبأس من قوله : ((بعذاب بنيس)).

(٤) الأساس للزمخشري ٢٧ مادة (بأس).

(٥) قرأ أبو بكر : ((من لدنِه)) ومعنى الإشمام : هو تهئية العضو، أعني الشفتين بلا صوت، فليس هو حركة، قال ابن بري في نظمه (الدرر اللوامع) :

** وصفة الإشمام إطباق الشفاه ** بعد السكون والضرب لا يراه **

** من غير صوت عنده مسموع ** يكون في المضموم والمرفوع **

(٦) قرأ : ((ويُبشِّر)) بالتخفيف حمزة والكسائي وخلف، والباقون ((يُبشِّر)) بضم الباء وفتح الباء وكسر الشين مثلاً. اتخاف فضلاء البشر ٢٨٨.

(٧) قال (ز) : فإن قلت : لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر ؟ قلت : ((قد جعل المنذر به هو الغرض)) السوق إليه، فوجب الإقتصار عليه. أصل الكلام ((لينذر)) الذين كفروا ((بأساً شديداً)) النسفي ٢/٣.

قوله : ((والدليل عليه، أي : على أن المنذر به، هو الغرض الذي سيق له الكلام تكرير : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ... ﴾ الآية، وجعلها قرينة لقوله : ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ... ﴾ الآية ، وهو موجب لأن يذكر فيها المنذر والمنذر به كما ذكر في أختها المبشر والمبشر به، وإنما ترك المنذر به في الثالثة للاكتفاء بما سيق له الكلام، ولو لم يكن أصلاً وثابتاً في نفسه وأنه هو الغرض الأول^(١) لم يستغن به عن ذكر مثله في القرينة الثالثة. فإن قلت : لم لم يجعل قوله : ﴿ لينذر بأساً شديداً ﴾ قرينة لقوله : ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ ؟. فيقدر المنذر فيه، وتترك القرينة الثالثة على إطلاقها ليكون الغرض في الإيراد ذكر المنذرين ؟. قلت : ليس جعل سياقة الكلام أصلاً في الاعتبار ومقدمته فرعاً أولى من العكس، لأنهم يقدمون الأهم^(٢) . وما هم بشأنه أعنى على أن : ﴿ بأساً ﴾ في ثاني مفعولي الإنذار، وهو أولى بالحذف فترك الأول إلى ذكر الثاني أوغل^(٣) في إرادة خلاف مقتضى الظاهر، والذهاب إليه أخرى وأنسب، لأنه من حلية التنزيل، ولأن ذكر المنذر به، لا سيما اختصاصه بذكر البأس أنفع للناس مؤمنهم وكافرهم، فلو قدر المنذر لاختص الإنذار بالكافرين، أو المراد الشمول.

(١) الأول في م بدل الأولى.

(٢) حاصل المسألة أن الله كرر الإنذار في أول هذه السورة، فحذف في الموضع الأول مفعول الإنذار الأول، وحذف في الثاني مفعول الثاني فصار المذكور دليلاً على المحذوف في الموضعين، وتقدير المفعول الأول المحذوف في الموضع الأول : (لينذر الذين كفروا بأساً شديداً من لدنه) وتقدير المفعول الثاني المحذوف في الموضع الثاني : (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً بأساً شديداً من لدنه) والإنذار يتعدى إلى مفعولين كما في قوله في سورة الليل الآية ١٤ : ﴿ فأنذرتكم نارا تلظى ﴾.

وقد أشار تعالى في هذه الآية إلى أن القرآن تحويف للكافرين، وبشارة للمؤمنين، إذ قال في تحويف الكفرة به : ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ﴾ وقال أيضاً فيهم : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ وقال في المؤمنين : ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ انظر أضواء البيان ٨-٧/٤
(٣) وغل الرجل يغل وغولاً أي دخل في الشجر وتوارى فيه . الجوهري ١٨٤٤/٥ مادة (وغل) . يعني : أنه أدخل في إرادة خلاف مقتضى الظاهر.

قوله : ((متعلقاً))^(١) هو حال من الإنذار واستغناء مفعول له، أي : تكرير الإنذار ولذلك كرر الإنذار من غير ذكر المنذر به ، لأجل الاستغناء لتقدم ذكر المنذر به.

قوله : ((وقد استمّلته))^(٢) النهاية^(٣) : [يقال : أمّلت الكتاب وأمليته إذا أليقته على الكاتب ليكتبه] الجوهري^(٤) : [استمّلته الكتاب] سألته أن يُمليه عليّ.

قوله : ((اتّخاذ الله الولد في نفسه محال))^(٥) يعني : إنما ينبغي من الشخص العلم بالشيء إذا كان ذلك الشيء ثابتاً في نفسه [وأنه فاقده للطريق الموصل إليه، واتّخاذ الولد في نفسه محال، فكيف]^(٦) قيل : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ ؟. وتلخيص الجواب : جاز ذلك إرادة للمبالغة وإنّ ما تفوّهوا به معدوم بالطريق البرهاني، كأنه قيل : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ لأنه ليس مما يتعلق به العلم، لأن العلم تابع للمعلوم، والمحال لا يستقيم تعلق العلم به لكن هذا السؤال مستدرك، لأنه قال أولاً^(٧) : إن قولهم هذا لم يصدر عن علم لكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ ((متعلقاً)) بالمنذرين، من غير ذكر المنذر به.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ أي : بالولد، أو باتّخاذ، يعني : أن قولهم هذا لم يصدر عن علم، ولكن عن جهل مفرط، وتقليد للآباء ((وقد استمّلته)) آباؤهم من الشيطان.

(٣) النهاية ٣٦٢/٤ مادة (مَلَّل).

(٤) الجوهري في صحاحه ١٨٢٠/٥ مادة (مَلَّل).

(٥) قول (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ : فإن قلت : ((اتّخاذ الله ولداً في نفسه محال)) فكيف قيل : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ ؟. قلت : لأنه ليس مما يعلم لاستحالته.

(٦) ما بين القوسين س من (أ) والصواب ما أثبتناه من ت.

(٧) قاله الزمخشري، أولاً عند قوله تعالى : ﴿ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ الأعراف الآية ٣٣

أن ذلك وارد على سبيل التهكم، وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل، وكما قال الشاعر يصف فلاة :

** لا تفزع الأرنب أهواها ** ولا ترى الضب بها ينحجر **

والمعنى أنه لم يكن ثمة ضب أصلاً في تلك الفلاة.

قوله : ((وقرئ : ﴿ كبرت كلمة ﴾)) وكلمة [قال ابن جني^(١) بالرفع، قرأ يحيى بن يعمر^(٢) والحسن وابن محيصين^(٣) وسمي قولهم : ﴿ اتخذ الله ولداً ﴾ كلمة، كما سُموا القصيدة، وإن كانت مائة يئت كلمة، وهذا كوضعهم الاسم الواحد على جنسه] والله فصاحة الحجاج^(٤) وكثرة قوله على المنبر : يا أيها الرجل وكلُّكم ذلك الرجل، الراغب^(٥) : [وتستعمل الكبيرة فيما يشق ويصعب نحو : ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾^(٦)].

وقوله : ((﴿ كبرت كلمة ﴾)) ففيه تنبيه على عظم ذلك من بين الذنوب، وعظم عقوبته، وكذلك : ﴿ كبر مقتاً عند الله ﴾^(٧).

قوله : ((والنصب أقوى))^(٨) لأنه فاعل مزال عن أصله للإبهام والتبيين.

قوله : ((وفيه معنى التعجب)) [قال في قوله تعالى : ﴿ كبر مقتاً عند الله ﴾ قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله : علبت باب كليب بواؤها^(٩)، ومعنى التعجب]^(١٠) تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج من نظائره.

(١) قال ابن جني في المحتسب ٢/٢٤ وتفسير ابن عطية ٩/٢٣١.

(٢) يحيى بن يعمر العدواني، مات سنة ١٢٩، أبو سليمان، أول من نقط المصاحف، كان من علماء التابعين، عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب، أدرك بعض الصحابة، أخذ عن أبي الأسود الدؤلي. مصادر ترجمته: وفيات الأعيان ٢/٢٢٦ والأعلام للزركلي ٨/١٧٧ وتهذيب التهذيب ١١/٣٠٥.

(٣) ابن محيصن : هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولا هم المكّي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، روى له مسلم. انظر ترجمته في معرفة القراء للذهبي ١/٩٨ وتهذيب التهذيب ٧/٤٧٤.

(٤) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد شجاع داهية سفاك خطيب، ولد ونشأ بالطائف، وانتقل إلى الشام، وهو الذي وطّد ملك بني أمية، ولم يزل يظهر يوماً بعد يوم حتى صار أميراً على مكة والمدينة والطائف والعراق، وفيات الأعيان ٢/٢٩. والتقريب ٦٥. مات سنة ٩٥ بعد إمرة دامت عشرين سنة.

(٥) الراغب في مفرداته ٤٢١ مادة (كبر).

(٦) سورة البقرة الآية ٤٥.

(٧) سورة الصف الآية ٣.

(٨) قال (ز) : ((والنصب أقوى)) وأبلغ، يعني في قوله : ﴿ كبرت كلمة ﴾ ((وفيه معنى التعجب))

كأنه قيل : ما أكبرها كلمة.

(٩) (البوأ) المنزل في كل موضع. انظر الصحاح ١/٣٧ مادة (بوأ)

(١٠) ما بين المعكوفتين س من ب.

قوله : ((و ﴿ تخرج من أفواههم ﴾ صفة للكلمة)) هذا إذا كانت مرفوعة ظاهر، وإن نصبت تمييزاً يلزم وصف التمييز، وهو جائز^(١)، وقد جاء معرفة في قوله تعالى : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾^(٢) وقول الشاعر^(٣) :

**** ولا بقراه الشعر الرقابا ****

على أن الوصف غير مخصص، بل هو مؤكد، نحو قوله: ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾^(٤) وقال أبو البقاء^(٥) : [﴿ كلمة ﴾ تمييز والفاعل مضمّر، أي : كبرت مقالتهم^(٦)، وفي : ﴿ تخرج ﴾ وجهان. أحدهما : هو في موضع نصب صفة للكلمة، والثاني في موضع رفع تقديره كلمة تخرج، لأن كبر بمعنى بش، فالخذف هو المخصوص بالذم].

قوله : ((فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان^(٧)))، إلى قوله : بل يكظمون عليه تشورا^(٨) من إظهاره، مقتبس^(٩) من قوله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود،

(١) فيكون التقدير : كبرت الكلمة كلمة . انظر البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ١٠٠/٢.

وأبو البقاء ٩٨/٢

(٢) سورة البقرة الآية ١١٣.

(٣) في م (برارة).

والشاعر لم أقف عليه وعلي باقي بيته.

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٥) أبو البقاء في إملائه ٩٨/٢.

(٦) لأن (فعل) بالضم تصاغ لإنشاء الذم والمدح، فتكون من باب نعم وبش.

ومنه قوله تعالى : ﴿ كبرت كلمة ﴾ وإلى هذا أشار في الخلاصة بقوله :

**** واجعل كبش ساء واجعل فعلاً ** من ذي ثلاثة لنعم مسجلاً ****

وقوله : (لنعم) أي اجعله من باب (نعم) فيشمل (بش)، وإذا تقرر ذلك ففاعل (كبر) ضمير محذوف

و(كلمة) نكرة مميزة للضمير المحذوف على حد قوله في الخلاصة :

**** ويرفعان مضمراً يفسره ** مميّز كنعم قوماً معشرة ****

والمخصوص بالذم محذوف، والتقدير (كبرت) هي (كلمة) خارجة من أفواههم . انظر أضواء البيان ١٢/٤.

(٧) متعلق بتفسير قوله : ﴿ تخرج من أفواههم ﴾ قال (ز) : ((فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان)) في قلوب

الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقون به ألسنتهم، ((بل يكظمون عليه

تشوراً من إظهاره)).

(٨) التشور : التباعد من إظهاره، كأنه عورة . الصحاح للجوهري ٧٠٥/٢ شورت الرجل أخجلته.

(٩) الإقتباس : هو تضمين الكلام نثراً كان أو نظماً شيئاً من القرآن أو الحديث . التعريفات ٣٣.

قال سئل رسول الله عليه وسلم عن الوسوسة، فقالوا : إن أحدنا ليجد في نفسه لأن يحرق أو يخز من السماء أحب إليه من أن يتكلم به، قال : "ذلك محض الإيمان" أخرجه مسلم^(١) .

قوله : ((شَبَّهه وإِيَّاهم))^(٢) يعني شبه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه في قوله : ﴿ لعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾ فلاستعارة تمثيلية^(٣) لكون المشبه حاله وحال قومه والمشبّه به حال الرجل مع أحبته^(٤) .

قوله : ((ويخع نفسه)) الراغب^(٥) : [البخع : قتل النفس غمّاً وقوله تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾ حث ((على ترك التأسف نحو ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾^(٦) قال الشاعر^(٧) :

** ألا أيّهذا الباخع الوجد نفسه **

وبَخَعَ فلان بالطاعة، وبما عليه من الحق إذا أقرب به وأدعَن مع كراهية شديدة تجري مجرى بَخَعَ نفسه في شدّته].

قوله : ((وللمضيء فيمن قرأ : ﴿ إن لم يؤمنوا ﴾ قال أبو البقاء^(٨) : [﴿ وإن لم يؤمنوا ﴾ بالفتح شاذة، والجمهور على الكسر^(٩)، ومراد المصنف أن المناسب على قراءة

(١) أخرجه مسلم ١١٩/١ كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها بدون ذكر قوله : إن أحدنا ليجد ... الخ.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ الآية ٦. قال

(ز) : ((شبه إياهم)) حين تولوا ... الخ.

(٣) الاستعارة التمثيلية : هو تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبّه به هيئة منتزعة من متعدد . انظر جواهر البلاغة ٣٣٣.

(٤) في ت الرجل (فارق) بدل (مع).

(٥) الراغب في مفرداته ٣٨ مادة (بخع).

(٦) سورة فاطر الآية ٨.

(٧) الشاعر ذو الرمة وتمام البيت :

** ألا أيّهذا الباخع الوجد نفسه ** لشيء نَحَنُ عن يَدَيْهِ المَقَادِرُ **

انظر ديوانه ٢٥١

(٨) ذكره بالمعنى ٩٨/٢ يعني أبو البقاء.

(٩) ذكر هذه القراءة الفراء عن أبي بكر عن عاصم . شواذ القراءات لابن خالويه ٧٨.

من قرأ ﴿ أَلَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ بفتح (أَنْ) حمل باخع على المعنى بناء على حكاية الحال الماضية كأنه قيل : لعلك بَخَعْتَ نفسك، لأجل عدم إيمانهم، فجيء باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها، وعلى من قرأ (إِنْ) بالكسر، المناسب حمل (باخع) على الإستقبال لأجل الشرط، كأنه قيل : لعلك تبخع نفسك الآن أو غداً إن لم يصدر منهم إيمان.

قوله : ((رجل أسف وأسيف))^(١) روى عن المصنف الأسف أصل معناه الجهد دون العفو، ومنه الأسيف الأجير لجهده في العمل، ألا تراه سمى عسيفاً من العسف.

قوله : ((وحسن العمل الزهد فيها))^(٢) قال القاضي^(٣) : ﴿ لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ في تعاطيه، وهو من زهد فيه ولم يغتر به، وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي فيه، وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم].

قوله : ((ثم زهد في الميل إليها بقوله : ﴿ وإنا لجاعلون ﴾ يعني قال : أولاً وإنا زيننا وجه الأرض ابتلاء واختباراً ثم بينا أنها في عرض الفناء، ووشك الزوال ليزهدوا فيه كقوله^(٤) تعالى : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ﴾^(٥) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أَسْفًا ﴾ قال (ز) والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال : ((رجل أسف وأسيف)).

ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٨ : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وقوله في سورة النحل الآية ١٣٧ : ﴿ ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ . وقوله في سورة المائدة الآية ٦٨ : ﴿ فلا تأس على القوم الكافرين ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً . وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً . أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ﴾ الكهف الآية ٧-١١.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ : ((وحسن العمل : الزهد فيها وترك الاغترار بها))

(٣) القاضي البيضاوي ٢١٦/٣.


(٤) (لقوله) في م.

(٥) سورة يونس الآية ٣٤.

قوله : ((من هذه الزينة))^(١) جاء بـ (هذه) ليشير إلى تحقير شأن الزينة.

قوله : ((بيضاء لا نبات فيها))^(٢) الراغب^(٣) : [جُرْزَأْ، أي : منقطع النبات من أصله، وأرض مَجْرُوزة : أكل ما فيها، والجروز الذي يأكل ما على الحِوَان^(٤) ، وفي المثل : (لا ترضى شائنة إلا بجُرْزة)^(٥) أي : بالاستئصال، أو الجُرْزَأُ : قطع بالسيف وسيف وجُرْزَأُ].

قوله : ((بهجته))^(٦) الجوهري^(٧) : [البهجة السرور] الراغب^(٨) : [البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه، قال تعالى : ﴿ حِذَانُ ذَاتِ بَهْجَةٍ ﴾^(٩) وقد بَهَجَ فهو بهيج، ويقال : باهج، وقد ابتهج بكذا أي : سرَّ به سروراً بأن أثره على وجهه، وأبْهَجَه كذا].
قوله : ((ما به كان زينة))^(١٠) أي : ما كانت الأرض مزينة به، أو الذي كان ما على الأرض مزيناً به.

قوله : ((من إماتة الحيوان)) بيان لقوله : إزالة بهجته (أو ما في)^(١١) ما به. 
قوله : ((ثم قال : ﴿ أم حسبت ﴾ يعني : أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف، يعني : (أم) منقطعة، والهمزة فيه للتعجب، يعني يُتَعَجَّب^(١٢) من قصة أصحاب الكهف ويترك ما سبق، والإنسان عادته أن يتعجب من شيء قلَّ إيناسه به، وإن كان

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها ﴾ قال (ز) : ((من هذه الزينة)) صعيداً جرزاً.

(٢) تفسير قوله : ﴿ صعيداً جرزاً ﴾ قال (ز) : يعني : مثل أرض ((بيضاء لا نبات فيها)) بعد أن كانت خضراء.

(٣) الراغب في مفرداته ٩١.

(٤) (الحِوَان) بالكسر الذي يؤكل عليه، معرب . الصحاح للجوهري ٥/٢١١٠.

(٥) المثل : (لا تَرْضَى شائنة إلا بجُرْزة) أي : لا يَرْضَى البغض في من يبعثه إلا بالاستئصال. ذكره

المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/٢٥٤ رقم المثل ٨٧٤.

(٦) يعني أن الأرض صارت جرزاً لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة ((بهجته)) وإمالة حسنه.

(٧) الجوهري في صحاحه ١/٣٠٠ مادة (بهج) قال : والإبتهاج : السرور، وبهيج بالكسر : فرح به وسرَّ.

(٨) الراغب في مفرداته ٦٣ مادة (بهج) بتصرف قليل منه.

(٩) سورة النمل الآية ٦٠

(١٠) يقول (ز) : في إزالة ما على وجه الأرض من زينة وإمالة حسنه، وإبطال ((ما به كان زينة)) من

إماتة الحيوان، وتحفيف النبات.

(١١) (أو منا في) في ت.

(١٢) (تتعجب) في م.

الذي بحضرته أعجب منه وتلخيص ما ذكره الإمام^(١) في هذا المعنى هو أنه تعالى لما قال : ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ أي : أخرجنا أنواع زخارف وزينتها كما قال تعالى : ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت﴾^(٢) وأصناف المنافع الفائقة للحصر على طبائع متباعدة، وهيات متخالفة من مادة واحدة ابتلاء لبني آدم، قال بعده : ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ أي : أحسبت أن أحوالهم كانت أعجب من آياتنا، فلا تحسبن ذلك، فإن آياتنا كلها أعجب، فإن من كان قادراً على خلق السموات والأرض ثم تزيين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان، ثم يقلبها ﴿صعيداً جرزاً﴾ كيف يستبعد من قُدرته (ورحمته)^(٣) حفظ طائفة في النوم سنين متطاولة. وقال محي السنة^(٤) : [﴿أم حسبت﴾ أظننت يا محمد] أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ؟. أي : هم عجب من آياتنا . وقيل معناه : ليسوا بأعجب من آياتنا، فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهنّ بأعجب منهم] وقلت : تقريب هذين المعنيين إنما يظهر بتحقيق معنى الهمزة في أم، لأنها منقطعة متضمنة للهمزة وبل، كما قال الراغب : [أم إذا قوبل (به)]^(٥) ألف الإستفهام، فمعناه، أي : نحو أزيد عندك أم عمرو؟. أي : أيهما، وإذا جرّد عن ذلك يقتضي معنى ألف الإستفهام مع بل نحو : ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾^(٦) أي : بل زاغت . فإن حملت على الإنكار (أفاد)^(٧) النفي ، أي : لا يتعجب منه وإن حملت على التنبيه أفاد^(٨) التقرير، أي : هم عجب من آياتنا فاعلمه، ولعل هذا أقرب، لأن الإضراب عن الكلام الأول إنما يحسن إذا كان الكلام الثاني أغرب وأحسن ليحصل الترقى، وأيضاً يقتضي المنكر أن يكون مقررّاً عند السامع معلوماً

(١) الإمام الفخر الرازي ٨٠/٢١.

(٢) سورة يونس الآية ٢٤.

(٣) وحكمته في م.

(٤) محي السنة، البغوي ١٤٤/٥.

(٥) (به) س من أ.

(٦) سورة ص الآية ٦٣.

(٧) (أفادت) في م.

(٨) أفادت في م.

عنده، وما لم يعلمه كيف يقال له : لا تتعجب منه ؟. وكيف لا وإن هذا ابتداء إعلام من الله بقصتهم بشهادة سؤال المنكرين، وإمساك النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي أربعين أو خمسة عشر يوماً، ثم نزول الآيات تصديقاً له، فالوجه أن يجرى الكلام على التسلي والإسغهام على التبيه. ويقال : إنه صلى الله عليه وسلم لما أخذه من الكآبة والأسف من إيباء القوم وامتناعهم عن الإيمان [ما بلغ أن يخنع نفسه، قيل له : ﴿لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾] وعَلَّ ذلك بقوله : ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ أي : جعلنا ذلك لنختبرهم، وحين لم تتعلق إرادتنا بإيمانهم بها، وتشاغلوا عن آياتنا، وغفلوا عن شكرها وبدلوا^(١) الإيمان بالكفران، فلا تبال بهم، فإننا لجاعلون أبدانهم جُرُزاً لأسيافكم، كما أنا لجاعلون ما عليها صعيداً جُرُزاً، ألا ترى إلى أولئك الفتيان كيف اهتدوا وفرّوا إلى الله وتركوا زينة الدنيا وزخرفها فأوَّوا إلى الكهف قائلين : ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾ وكما^(٢) تعلّقت الإرادة بإرشادهم فاهتدوا يتعلق بإرشاد قوم من أمتك ﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾^(٣) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

قوله : ** وليس بها إلا الرقيم^(٤) ... البيت^(٥) ، الوصيد : فناء البيت، وهو مفعول مجاوراً، يعني : أن أصحاب الكهف كانوا رُقوداً في الغار وكلبهم مجاوراً لوصيدهم.

قوله : ((أيلة))^(٦) دون فلسطين. النهاية^(٧) : (أَيْلَة) بفتح الهمزة وسكون الياء : البلد المعروف فيما بين مصر والشام.

(١) ما بين المعكوفتين س من أ ، م.

(٢) (وكما) الواو س من أ ، م.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٤) (الرقيم) الكتاب، يقال : هو لوح فيه أسماؤهم وقصصهم. الجوهرى في صحاحه ١٩٢٦/٥.

(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت . وقامه :

** وليس بها إلا الرقيم مُجاوراً ** وَصيدهم والقومُ في الكهف هُمُذُ **

انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشف ٧٠٤/٢

(٦) يشير (ز) بقوله : ((أيلية)) يعني المكان الذي كان به أصحاب الكهف.

(٧) النهاية في غريب الحديث ٨٥/١.

قوله : ((أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك : رأيت منك رشداً))^(١) ﴿ من ﴾ على الأول صلة ﴿ هيء ﴾ وعلى هذا بيان وتجريد، جرد من الأمر رشداً وهو الأمر بعينه (مبالغة)^(٢) في رشاده، ولهذا قال : رشداً كله.

قوله : ((أَمْنَاهُمْ إِنْأَمَة ثَقِيلَة))^(٣) يريد أن قوله : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ كناية عن الإنامة الثقيلة، لأن المستقل في نومه يصاح به فلا يسمع، وإنما خصت الآذان دون العيون، مع أن النوم يتعلق بها، لأن المراد المبالغة في النوم، فإن النائم في الأكثر يتنبه بسبب نفوذ الصراخ في منفذ الصماخ^(٤).

قوله : ((بنى على امرأته))^(٥) الأساس^(٦) : [بنى على أهله دخل عليها وأصله أن المَعْرِسَ كان يبنى على أهله خباء].

قوله : ((وقال الزجاج^(٧)))^(٨) : [إذا قلَّ فَهُمْ مَقْدَارُ عَدَدِهِ، فَلَمْ يَحْتَجْ أَنْ يُعَدَّ، وَإِذَا كَثُرَ احتِجَاجٌ إِلَى أَنْ يُعَدَّ] هذا مختصر من كلامه، وكلامه أن (عددا) منصوب على ضربين : أحدهما : على المصدر، المعنى نَعْدُ عَدَدًا، ويجوز أن يكون [نعتاً للسنين، والمعنى سنين ذات عدد]^(٩)، والفائدة في قولك : عدد في الأشياء المعدودات : أنك تريد توكيد كثرة الشيء، لأنه إذا قلَّ فَهُمْ مَقْدَارُ عَدَدِهِ فلم يحتج إلى أن يعدَّ، فإذا كثر احتِجَاجٌ إِلَى أَنْ يُعَدَّ، فالعدد في قولك : أقمنا أياماً عَدَدًا، تريد به الكثرة، وجائز أن يؤكد بعدد معنى

(١) تفسر قوله تعالى : ﴿ وهيء لنا من أمرنا ﴾ قال (ز) : الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ((أو اجعل أمرنا رشداً كله))

(٢) ما بين القوسين س من م.

(٣) تفسر قوله : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ .

(٤) (الصماخ) غار الأذن . الأساس ٣٦١ مادة (صمخ)

(٥) يعني : ضربنا على آذانهم الحجاب، فحذف المفعول الأول الذي هو الحجاب، كما يقال : ((بنى على امرأته)) يريدون : بنى عليها قبة.

(٦) الأساس ٥٢ مادة (بنى). قال : ومن المجاز بنى على أهله ... الخ.

(٧) تفسر قوله : ﴿ سنين عدد ﴾ قال (ز) : ذوات عدد، فيحتمل أن يريد الكثرة، وأن يريد القلة.

(٨) الزجاج في تفسيره معاني القرآن وإعرابه ٢٧١/٣ مع تقديم وتأخير.

(٩) ما بين المعكوفتين س من أ ، ب.

الجماعة في أنها قد خرجت معنى الواحد] وقلت : ويؤيده ما روينا عن البخاري^(١) ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي : وكان يخلو بغار حراء^(٢) فيتحنث فيه، وهو التعب، الليالي ذوات العدد ... الحديث، قيل : فيه نظر، لأن العدد يعبر به عن القلة كقوله تعالى : ﴿ دراہم معدودة ﴾^(٣) أي : قليلة تُعدُّ عدداً، ولأن الكثير يمنع من عدّها كثرتها، فإنما يهال هيلاً، أو يكال كيلاً، وأجيب أن الكثرة والقلة بحسب اقتضاء المقام، فإن مقام التعجب من خرق العادة يقتضي الكثرة، على أن المراد بقوله : ﴿ سنين عدداً ﴾^(٤) ﴿ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ ومقام التهاون بيوسف والزهد في قيمته يقتضي القلة.

قوله : ((أي الحزبين المختلفين))^(٥) الراغب^(٦) : [الحزب جماعة فيها غِلْظٌ، وحزب الشيطان. وقوله تعالى : ﴿ ولما رأوا المؤمنون الأحزاب ﴾^(٧) عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم . ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾.

قوله : ((﴿ أحصى ﴾ فعل ماضٍ))^(٨) الراغب^(٩) : [الإحصاء التحصيل بالعدد، يقال : أحصيت كذا، وذلك من لفظ الحصى، واستعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعدّ كاعتمادنا فيه على الأصابع. قال تعالى : ﴿ وأحصى كل شيء عدداً ﴾^(١٠) أي حصّله وأحاط به . وفي الحديث : (من أحصاها دخل الجنة)^(١١) . وفيه :

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٣ كتاب بدء الوحي، باب ٣ رقم ٣ وأطرافه رقم ٤٩٥٣، ٣٣٩٢، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧، ٦٩٨٢ . ومسلم ١٣٩/١ - ١٤٠ كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) حراء : هو الذي يعرف اليوم بجبل النور، لأنه أول بقعة من الأرض نزل فيها القرآن، جبل من جبال مكة يبعد عنها ثلاثة أميال، وهو أرفع جبل بها . معجم البلدان ٢/٢٣٣ ومعجم المعالم الجغرافية ٩٥.

(٣) سورة يوسف الآية ٢٠.

(٤) سورة الكهف الآية ٢٥.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ الكهف الآية ١٢.

(٦) الراغب في مفرداته ١١٥ مادة (حزب).

(٧) سورة الأحزاب الآية ٢٢.

(٨) الراغب في مفرداته ١٢١ مادة (حصى).

(٩) سورة الجن الآية ٢٨.

(١٠) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٤٥/٥ كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط برقم ٢٧٣٦ وفي ٦٤١٠، ٧٣٩٢ ولفظه : (إن الله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة). ومسلم ٢٠٦٢، ٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب في أسماء الله تعالى برقم ٢٦٧٧.

(نفس تنجيها خير لك من إمارة لا تحصيها) (١) وفيه : (استقيموا ولن تحصوا) (٢) أي : لن تُحصّلوا ذلك. وَوَجْهُ بعد إحصائه وتحصيله : هو أن الحقّ واحد والباطل كثير، بل الحقّ بالإضافة إلى الباطل كالنقطة، بالإضافة إلى سائر أجزاء الدائرة، وكالمُرقي من الهدف فإصابة ذلك شديدة] وقال أبو البقاء (٣) : [﴿أي الحزبين﴾ مبتدأ، والخبر ﴿أحصى﴾ و ﴿أمداً﴾ مفعوله، و ﴿لما لبثوا﴾ نعت له، قدم فصار حالاً أو مفعولاً له، أي : لأجل لبثهم].

قوله : ((فما تقول فيمن جعله من أفعال التفضيل)) (٤)، هذا السؤال وجوابه إشارة إلى ما ذهب إليه الزجاج في تفسيره وما أورد عليه أبو علي في الإغفال . قال الزجاج (٥) : [الأمّد الغاية، وهو منصوب، إما على التمييز أو على أنه مفعول ﴿أحصى﴾ كأنه قيل : لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء، أو يكون منصوباً بـ ﴿لبثوا﴾ و ﴿لما﴾ متعلق بـ ﴿أحصى﴾ المعنى : أيّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد] وقال أبو علي (٦) : [الحمل على التمييز عندي غير مستقيم لأن أحصى لا يجوز أن يكون أفعال التفضيل لأمرين : أحدهما : أن أفعلَ يَفْعَلُ لا يَبْنِي منه أفْعَلُ من كذا . وأما قولهم : ما أولاه للخير وما

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٩٦/١٠ ولفظه : (يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نفس تنجيها ... الخ)

(٢) رواه ابن ماجه ١٠١/١ كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء رقم ٢٧٧. والموطأ ٢٤/١ كتاب

الطهارة، باب جامع الوضوء برقم ٣٦. وأحمد في المسند ٢٧٧/٥، ٢٨٢ ولفظه : (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). والدارمي ١٧٤/١ كتاب الطهارة، باب ما جاء في الطهور برقم ٦٥٥.

(٣) أبو البقاء في إملاته ٩٩/٢.

(٤) ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿أحصى﴾ قال (ز) : أحصى فعل ماض، أي : أيهم أضبط، ثم قال : فإن

قلت : ((فما تقول فيمن جعله : من أفعال التفضيل)) قلت ليس بوجيه ... الخ.

(٥) الزجاج في تفسيره ٢٧١/٣.

(٦) أبو علي تقدمت ترجمته ، ولعله ذكر هذا في كتابه الإغفال، وهو موجود في مكتبة شهيد علي بتركيا

برقم ٢٩٧ . انظر رسالة د/ صالح عبد الرحمن الفائز ٨٤/١ تحقيق كتاب الطيبي هذا.

أعطاه للدرهم، فمن الشاذ^(١) النادر الذي لا يقاس عليه . وثانيهما : أن التمييز في نحو : هو أكثر مالا وأحسن وجهاً، فاعل في المعنى، وإن كان منتصباً في اللفظ، لأن الوجه هو الذي حسن، والمال هو الذي كثر، ليس الأمد هو الذي أحصى كذا . ذكر ابن الحاجب^(٢) في الأمالي : وقال أبو علي : وفيه وجه آخر لوجود حمل ﴿ أحصى ﴾ على أفعال التفضيل في الشذوذ، يكون ﴿ أمداً ﴾ منتصباً بفعل يدلّ عليه ﴿ أحصى ﴾، وقال صاحب التقريب : [التفضيل هو السابق إلى الفهم، والتقسيم غير منحصر لجواز انتصابه تمييزاً ﴿ لما ﴾ والمعنى أضبط للأمد الذي لبثه] وقال صاحب الانتصاف^(٣) : [لقائل أن ينصبه تمييزاً لقوله : ﴿ وأحصى كل شيء عدداً ﴾ وإن كانت ﴿ أحصى ﴾ هناك فعلاً، ويؤيده أن الواقعة في اختلاف الأحزاب مقدار اللبث ﴿ إذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ فأمثلهم طريقة هو أحصاهم أمداً . وقال صاحب الانتصاف : لا بُعد فيما استبعده الزمخشري من إضمار فعل من جنس أفعل كقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله ﴾^(٤) يحتاج إلى إضمار فعل آخر من جنس أفعل، إذ الإضافة مستحيلة هناك، وللزمخشري أن يجيب بأن هناك بناء على ضرورة، ولا ضرورة ههنا، ولذلك قال : أبعدت المتناول وهو قريب.

قوله : ((إن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس)) الانتصاف : [جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمزة قياساً، ونسبته إلى سيبويه^(٥) وعَلَّله بأن بناءه منه لا يغيّر نظم الكلمة، إنما هو تعويض همزة بهمزة.

(١) ويؤيد هذا قول (ز) حين قال : ((فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل)) قلت : ليس بالوجه السديد، وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس، ((ونحو أعدى من الجرب ، وأفلس من ابن المذلق)) شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن يمتنع، فكيف به، يعني القرآن.

(٢) تقدمت ترجمة ابن الحاجب. وكتابه الأمالي النحوية، لا يزال مخطوطاً، وله عدة نسخ، منها في دار الكتب المصرية برقم ٢٦، وأخرى أيضاً برقم ١٠٠٧، ١٠٣٤ ومكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية.

(٣) الانتصاف مع الزمخشري ٧٠٥/٢ بتصرف منه.

(٤) سورة الأنعام الآية ١١٧.

(٥) قال موفّق الدين ابن يعيش في شرح المفصل ٩٢/٦ : " اعلم أن سيبويه يميز بناء أفعل من كل فعل ثلاثي قياساً، نحو ما أكرم زيداً، من (كرم)، وما أضرب محمداً من (ضرب) الخ ".

قوله : ((وأفلس من ابن المذلق)) قال [الميداني^(١)] : يروى بالذال والذال، وهو رجل من بني عبد شمس وأبوه وأجداده يعرفون بالإفلاس. قال الشاعر في أبيه :

**** فَإِنَّكَ إِذْ تَرْجُو تَمِيمًا وَنَفَعَهَا ** كَرَّاجِي النَّدَى وَالْعُرْفِ عِنْدَ الْمَذَلِّقِ ****

قوله : ((وإما أن ينصب بلبثوا، فلا يُسَدَّ عليه المعنى))^(٢) هو ردّ على الزجاج، أو يكون منصوباً بـ ﴿لبثوا﴾ أي : أيّ الحزبين أحصى للبتهم في الأمد، لأن المعنى : أيكم أضبط للأمد الذي لبثوه، فأحصى الأمد لا اللبث. وقيل^(٣) : إنما لا يسدّ عليه المعنى، لأن أمداً معناه انتهاء المدة وغايتها، وليس المعنى على أنهم لبثوا انتهاء المدة، وفيه نظر، لأن الأمد يطلق على المدة كلّها وعلى غايتها. النهاية^(٤) : [قال الزجاج للحسن : ما أمدك ؟ قال : سنتان لخلافة عمر، وللإنسان أمدان : مولده وموته].

قوله : ((فلا يُسَدَّ عليه)) بفتح السين، وفي نسخ الجوهري^(٥) : [سدّ قوله يسدّ بالكسر، أي : صار سديداً] الأساس^(٦) : [وسدّ الرجل يسدّ صار سديداً، وسدّ قوله وأمره يسدّ، وأمره سديد، وقلت له سداداً من القول سداداً صواباً].

قوله : ((** وأضرب منّا بالسيوف القوانسا **))^(٧) قبله :

**** ولم أرَ مثل الحيّ حياً مصبّحاً ** ولا مثلنا يوم التقينا فوارساً ****

**** أكرّ وأحمى للحقيقة منهم ** وأضرب منّا بالسيوف القوانسا ****

(١) قاله الميداني في مجمع الأمثال ٤٦١/٢ المثل رقم ٢٨٠٠. ولم أقف على قائل البيت.

(٢) قال (ز) في إعراب قوله تعالى : ﴿أمدأ﴾ : إما أن ينتصب بأفعل، فأفعل لا يعمل، ((وإما أن ينتصب

بـ ﴿لبثوا﴾ فلا يسدّ عليه المعنى)).

(٣) (وفعل) في ت بدل (قيل).

(٤) النهاية ٥٦/١ مادة (أمد).

(٥) الجوهري في صحاحه ٤٨٥/٢ مادة (سد).

(٦) الأساس للزمخشري ٢٩٠ مادة (سد).

(٧) الشاعر العباس بن مرداس السلمي، والمراد بالحيّ : بنو زيد من اليمن، وبعده :

**** إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا ** صدور المذاكي والرماح المداعسا ****

**** إذا الخيل حالت عن صريع نكرها ** عليهم فما يرجعن إلا عوايسا ****

انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشف ٧٠٦/٢

(المَصْبَحُ) المغار عليه وقت الصبح، (وحقيقة) الرَّجُل ما لزمه الدِّفاع عنه من أهل بيته (والقوانس) جمع قَوْنَس، وهو أعلى البيضة^(١)، مدح كلا الفريقين عدوهم ونفسهم، يقول : لم أر مُغاراً عليهم، كالذين صَبَحناهم، ولا مُغيراً مثلنا يوم لقيناهم.

قوله : ((فقد أبعدت المتناول))^(٢) وهو أنه منصوب بـ ﴿ أَحصى ﴾ لأنك أثبت أولاً أنه منصوب به، ثم يقدره^(٣) بعد ارتكاب هذه التكاليف.

قوله : ((وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم)) يعني : ضربنا على آذانهم ليظهر معلوم^(٤) العلم، وهو أيهم أحصى أمد بُشهم، فالتعليل ليس لحصول العلم، بل لظهور المعلوم، يعني : كان هذا الأمر العجيب معلوماً لله تعالى في الأزل فتعلقت إرادته بإظهاره للمكلفين ليتعجبوا منه ويعتبروا به، فيكون مزيداً لإيمانهم ولطفاً لمؤمني زمانهم، بأن يستثبوا بسنتهم، ودليلاً ظاهراً على وجود الصانع لكافريهم^(٥)، فيستدلوا به ثم يؤمنوا.

قوله : ((﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾ وقويناها بالصبر))^(٦) الأساس^(٧) : [ربط الدابة: شدّها بالرباط، والمربط هو الحبل، ومن الحجاز : ربط الله على قلبه، صبره، ورجل رابط

(١) يعني البيضة التي توضع على الرس وقت الحرب.

(٢) يشير (ز) إلى قوله : الذي يأبى أن تكون ﴿ أَحصى ﴾ فعل ماض، و ﴿ أمدأ ﴾ مفعوله.

(٣) تقدره في م.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم ﴾ قال (ز) : الله عز وجل لم يزل عالماً بذلك ((وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم)) ليزدادوا إيماناً واعتباراً .

(٥) (لكافريهم) في ت ، م.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ الكهف الآية ١٣-١٥ .

(٧) الأساس للزمخشري ٢١٦-٢١٧.

الجأش] فالربط هنا تمثيل، ومعنى الإستعلاء في على المبالغة^(١)، لأن ربط يتعدى بنفسه، فجعل بمنزلة اللازم، وعدّي بعلى، نحو قوله :

**** يَجْرَجُ في عراقيها نصلي ****

قوله : ((ومنه أشط في السوم))^(٢) الأساس^(٣) : [أشط في السوم واشتط، يقال : (لا وكس ولا شطط)^(٤)، وأشط في الحكم واشطوا في طلبه : أمتعوا^(٥) الراغب : [الشطط : الإفراط في البعد يقال : شطت الدار، وأشط، يقال : في المكان وفي الحكم، وفي السوم قال :

**** شطّ المزار بجذوى وانتهى الأمل ****

وغبر بالشطط عن الجور، قال تعالى : ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾ وشطّ النهر حيث يبعد عن الماء من حافته].

قوله : ((وهو دليل على فساد التقليد))^(٦) قال القاضي^(٧) : [وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود، وأن التقليد فيه غير جائز].

(١) قال محي الدين زادة على تفسير البيضاوي ٢٥١/٣ : (ومن مجاز ربط الله على قلوبهم، لأنه يتعدى بنفسه، إلا أنه نزل منزلة اللازم، وزيدت كلمة (على) لاستعلاء للمبالغة والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقراً عليها).

والبيت لذى الرمة، وتقدم في سورة الحجر الآية ٣٩.

وذكره الألويسي ٢١٨/١٥ وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٨٠/٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾ قال (ز) : قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شطّ إذا بعد ((ومنه أشط في السوم)) وفي غيره.

(٣) الأساس ٣٢٩ مادة (شطط).

(٤) لا وكس ولا شطط . جزء من حديث أخرجه مسلم ١٢٨٧/٣ كتاب الأيمان، باب من اعتق شركاً

في عبد. وأبو داود ٢٥٨/٤ - ٢٥٩ كتاب العتق، باب فيمن روى أنه لا يستسعى رقم ٣٩٤٧ وغيرهما.

(٥) الراغب في مفرداته ٢٦٠ مادة (شطط). والبيت لابن أحمد، وهو في اللسان مادة (جدا). ودويوانه ص

١٣٣ وعجز البيت : ** فلا خيال ولا عهد ولا طلل **

(٦) تفسير قوله : ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ قال (ز) : وهو تكيت، لأن الإتيان بالسلطان على

عبادة الأوثان محال ((وهو دليل على فساد التقليد)) وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت.

(٧) القاضي البيضاوي ٢١٨/٣.

قوله : ((**إِلَّا اللَّهُ**))^(١) يجوز أن يكون استثناء متصلًا ف (ما) في **﴿ مَا يَعْبُدُونَ ﴾** موصولة، و **﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾** مستثنى من (ما) أو من العائد المحذوف.

قوله : ((وقيل : هو كلام معترض)) فالتقدير : **﴿ وَإِذَا اعْتَرَلْتُمُوهُمْ ﴾** فأووا إلى الكهف، فاعترض بين الشرط والجزاء جملة منفية مؤكدة لمعنى ما اعترضت فيه، وهو إخلاص العبادة لله تعالى.

قوله : ((**﴿ مَرْفُقًا ﴾** قرئ بفتح الميم وكسرهما))^(٢) نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء.

قوله : ((وَنُصُوعٌ يَقِينُهُمْ))^(٣) الجوهري^(٤) : [الناصح : الخالص من كل شيء].

قوله : ((وقد قرئ بها وقرئ : **﴿ تَزَوَّرُ ﴾**))^(٥) ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء، والكوفيون بفتح الزاي مخففة، وألف بعدها. والباقون يشددون الزاي ويثبتون الألف.

قوله : ((وَتَزَوَّارُ)) قال ابن جني^(٦) : [قرأها الجحدري^(٧)] ، وقلما جاءت أفعال إلا في الألوان، نحو أسودّ وأحمرّ واصفّر، أو العيوب الظاهرة نحو أخوّل وأخوّال، وأعوّر

(١) تفسير قوله تعالى : **﴿ وَإِذَا اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهْدِيْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفُقًا ﴾** الكهف الآية ١٦.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر **﴿ مَرْفُقًا ﴾** بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء **﴿ مَرْفُقًا ﴾** الإتحاف ٢٨٨ والميسوط في القراءات العشر ٢٣٣.

(٣) تفسير قوله : **﴿ مَرْفُقًا ﴾** قال (ز) : وهو ما يرتفق به أي : ينتفع به، وقالوا ذلك : إما ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه، ((ونصوع يقينهم)) وإما أن يخبرهم نبي في عصرهم.

(٤) الجوهري في صحاحه ٣/١٢٩٠ مادة (نصع).

(٥) قوله تعالى : **﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾**.

قال (ز) : (تَزَاوَرُ) و (تَزَاوَرُ) قرئ بهما، وقرئ (تَزَوَّرَ) قرأ ابن عامر ويعقوب بإسكان الزاي وتشديد الراء بلا ألف، وقرأ عاصم وحمة والكسائي وخلف بفتح الزاي مخففة، وألف بعدها وتخفيف الراء، والباقون بفتح الزاي مشددة، وألف بعدها وتخفيف الراء . الإتحاف ٢٨٨.

(٦) ابن جني في كتابه المختص ٢/٢٥.

(٧) الجحدري : كامل بن طلحة أبو يحيى، من رجال الحديث. ولد في البصرة سنة ١٤٥ ومات ٢٣١، وهو ثقة عند بعض الحديثين . ترجمته في تهذيب التهذيب ٨/٤٠٨ وفوات الوفيات ٢/١٣٨.

واغْوَارًا، وقد جاءت أفعالٌ وأفعُلٌ، وهي مقصورة من أفعالٍ في غير الألوان، قالوا ارْعَوْى، وهو أَفْعَلٌ واقتوى أي : خَدَمَ وسَاسَ[من القَتَو، وهو الخدمة. وقالوا اشْعَارَ رأسه أي : تفرق شعره. الراغب^(١) : [الزَّور : أعلى الصدر، وزُرْتُ فلاناً : لقيته بزورِي، أو قصدت زورَهُ، نحو وَجْهَتُهُ، والزَّورُ، ميل في الزَّورِ، وقوله تعالى : ﴿تَزاور عن كهفهم﴾ أي : تميل، وقرئ : ﴿تَزَوَّرُ﴾ قال أبو الحسن : لا معنى لتَزَوَّرَ هنا، لأن الازورار الإنقباض، وقيل للكذب زورٌ ليله عن جهته].

قوله : ((تقرضهم))^(٢) الراغب^(٣) : [القرض : ضرب من القطع، ويسمى قطع المكان وتجاوزه قرضاً، كما سمي قطعاً. قال : ﴿ تقرضهم ذات اليمين ﴾ إلى تجوزهم وسمى ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط ردِّ بدله قرضاً، وسمى المقارضة في الشعر مقارضة والقرض للشعر مستعاراً استعارة النسيج والحوك].

قوله : ((إلى ظعن))^(٤) وقبله :

**** نظرت بجرعاء السَّيِّة نظرةً ** ضُحِيَّ وَسُودَاءِ العَيْنِ في الماء شامسُ ****

**** إلى ظعنٍ يقرضن أفواز مُشْرِفٍ ** شَمَالاً وعن أيْمانهنَّ الفَوارسُ ****

(الجرعاء)^(٥) الرَّمْلة لا تنبت (والسَّيِّة) المرأة تسبى، (شامس) من شَمَسَ الفَرش شامساً أى منع ظهره، شَبَّهَ كِلَالَ العَيْنِ بِشَمَاسِ الفرس، (الظعن) النساء فى الهَوْدَج (الأفواز) جمع فَوْزٍ وهو الكُثيب^(٦) ، (مشرف)^(٧) رمل معروف، وكذا (الفوارس) علم

(١) الراغب في مفرداته ٢١٧ مادة (زور) بتصرّف من المؤلف.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ تقرضهم ﴾ قال (ز) : تقطعهم.

(٣) الراغب في مفرداته ٤٠٠ مادة (قرض).

(٤) القائل ذو الرمة . انظر ديوانه ٣١٣ وذكره أبو عبيدة في مجازة ٣٩٦/١.

(٥) (الجرعاء) موضع قرب الكوفة، والمكان الذي فيه لمهولة ورمل، معجم البلدان ١٢٧/٢-١٢٨.

(٦) (الكُثيب) التلّ من الرّمل، القاموس ١٢٢/١ مادة (كتب).

(٧) (مُشْرِف) رمل بالدهناء، قال ذو الرمة : (الى ظعن) البيت . معجم البلدان ١٣٢/٥.

أرمال معروفة بالدهناء ويمكن أن يكون جمع فرسان، يقول : نظرت إلى ظعنٍ يقطعن الأرض في السير بحيث كانت الأفواز عن شمالهن (وعن) (١) أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسَ يَحْمِيهِنَّ.

قوله : ((فِي مَتَسَعٍ مِنَ الْكَهْفِ)) (٢) الرَّاغِب (٣) : (فِي فَجْوَةٍ) [أَي سَاحَةٍ وَاسِعَةٍ، وَمِنْ قَوْسٍ فَجَاءَ وَفَجَّوَاءَ بَانَ وَتَرَاهَا عَنْ كِبِدِهَا، وَرَجُلٌ أَفْجَى : بَيْنَ الْفَجَا، أَي : مُتَبَاعِذُ مَا بَيْنَ الْعُرْقُوبَيْنِ].

قوله : ((فَهُمْ فِي مَقْنَأَةٍ أَبَدًا)) (٤) الجوهري (٥) : [مَقْنَأَةٌ : نَقِيضُ مَضْحَاةٍ] بهمز ولا يهمز.

قوله : ((وَأَنْ كُلَّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمُهْتَدِينَ)) (٦) يريد أن قوله : ﴿ مِنْ يَهْدِي اللَّهُ ... الْآيَةِ ﴾ كالتذييل للكلام السابق، وجيء به عامًا في كلِّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمُهْتَدِينَ، ومن تعرض للخذلان ليدخل فيه هؤلاء دخولاً أولاً فيكون ثناء عليهم بأبلغ وَجْهِ كَلامٍ حَسَنٍ، لَكِنَّ فِيهِ اعْتِرَالٌ (٧) خَفِي، خَفِيَ عَلَى صَاحِبِهِ الْإِتِّصَافُ، حَيْثُ نَسَبَهُ إِلَى أَفْعَالِهِمْ، فَهَلْ لَا حَمْلَهُ عَلَى فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى ؟. لِنَنْظُرَ إِلَى بَيَانِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ وَاسْتِخْصَاصِهِمْ بِهَذِهِ الْكِرَامَةِ السَّنِيَّةِ، وَتَحْرِيمِ غَيْرِهِمْ عَنْهَا، فَيَكُونُ تَذْيِيلًا، وَلِقَوْلِهِ : ﴿ زِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ لِقَوْلِهِ :

(١) (على) في ت.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾ قال (ز) : ((وَهُمْ فِي مَتَسَعٍ مِنَ الْكَهْفِ)).

(٣) الرَّاغِب في مفرداته ٣٧٣ مادة (فجا).

(٤) قال (ز) : باب الكهف شمالي مُسْتَقْبَلُ لِبْنَاتِ نَعَشٍ ((فَهُمْ فِي مَقْنَأَةٍ أَبَدًا)).

(٥) الجوهري في صحاحه ٦٦/١ مادة (قنأ) قال (ز) قال أبو عمرو : الْمَقْنَأَةُ وَالْمَقْنُؤَةُ : الْمَكَانُ الَّذِي لَا تَطْلُعُ

عَلَيْهِ الشَّمْسُ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه الْآيَةِ ١١٩ : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى . وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ مِنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ قال (ز) : ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله ... وأنه أرشدهم

إِلَى نَيْلِ تِلْكَ الْكِرَامَةِ ... ((وَأَنْ كُلَّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمُهْتَدِينَ الرَّاشِدِينَ ، فَهُوَ الَّذِي أَصَابَ الْفَلَاحَ ... الخ.

(٧) يشير إلى مذهب المعتزلة القائلين : إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها، قال القاضي عبد الجبار، من كبار المعتزلة : اتفق كل أهل العدل (ويعني بهم المعتزلة) على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث لها سواهم، وأن من قال : إن الله سبحانه خالقها ومحدثها، فقد عظم خطؤه، وأحالوا حدوث فعل من فاعلين . انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة ١٦٩ . والله عز وجل يقول : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾ فيكون ثناء على الله تعالى. وفي تكرير أمر واحد في الشرط والجزاء في الموضعين للدلالة على ما قرّرناه. وأيضاً لو أريد مدحهم لاكتفى بقوله: ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ فحسب، قال القاضي^(١): [المراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة، ولكن المنتفع بها من وقفه الله للتأمل والاستبصار].

قوله: ((وقيل لكثرة تقلّبهم))^(٢) روى الإمام^(٣): [عن الزجاج لكثرة تقلّبهم فظن أنهم أيقاظ، والدليل عليه قوله: ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾] وقلت: على هذا يجوز أن تكون الواو في: ﴿ ونقلبهم ﴾ للحال أيضاً بخلاف الأول.

قوله: ((﴿ وتحسبهم ﴾))^(٤) بكسر السين، نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي. قوله: ((وقرئ: ﴿ وتقلّبهم ﴾)) قال ابن جني^(٥): [وهي قراءة الحسن، كأنه قال: وترى أو تشاهد تقلّبهم].

قوله: ((بأرض فضاء)) البيت^(٦). قيل: يصف حاله في البدوأي ضيافي في البدو مشهورة. وقيل: نزلنا بأرض فضاء لا يسدّ بابها عليّ و عرفان الناس إياي (بهذه الأرض)^(٧) غير منكر عندهم ولا يسدّو صيدها من قولهم^(٨): لا ترى الضبّ بها ينحجر.

(١) القاضي البيضاوي في أنواره ٢١٨/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى: ﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلّهم باسط ذراعيه بالوسع لو اطّعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملكت منهم رعباً ﴾ الكهف الآية ١٨. قال (ز) في تفسير ﴿ وتحسبهم أيقاظاً ﴾: قيل: عيونهم مفتوحة، وهم نيام، فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً ((وقيل لكثرة تقلّبهم)).

(٣) الإمام الفخر الرازي ١٠١/٢١ ومعاني القرآن للزجاج ٢٧٤/٣.

(٤) قرأ بفتح سين ﴿ وتحسبهم ﴾ ابن عامر وعاصم وحمة وأبو جعفر. وبكسر السين نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي. الإنحاف ٢٨٨.

(٥) ابن جني في المحتسب ٢٦/٢. ﴿ تقلّبهم ﴾ بفتح التاء والقاف، وضّم اللام وفتح الباء.

(٦) القائل: هو زهير بن أبي سلمى، وقيل: لعبيد بن وهب كما في سيرة ابن هشام ٣٢٦/١، وقامه:

** بأرض فضاء لا يسدّ وحيدها ** عليّ ومغرّوفي بها غير مُنكرٍ **

(٧) ما بين القوسين س من أ.

(٨) أول البيت لشاعر يصف فلاة:

** لا تنزع الأرنب أهواها ** ولا ترى الضبّ بها ينحجر **

قوله : ((﴿ وَلَمَلَّتْ ﴾ بتشديد اللام))^(١) نافع وابن كثير، وتخفيف الهمزة أبو عمرو، و ﴿ رُعْباً ﴾^(٢) بالتثنية ابن عامر والكسائي، والباقون بالتخفيف. الراغب^(٣) : [الرُّعْبُ : الإنقطاع من امتلاء الخوف، يقال : رَعِبْتُ فَرَعِبَ رُعْباً فهو رَعِبٌ، والترعابة الفُروقُ. قال تعالى : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾^(٤)، ﴿ وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ ولتصوّر الإمتلاء منه قيل : رَعِبْتُ الحوض ملأته، وسيل راعبٌ يملأ الوادي، وباعتبار القطع قيل : رَعِبْتُ السَّنام : قطعته].

قوله : ((﴿ كذلك بعثناهم ﴾ إذكارة))^(٥) الراغب^(٦) : [أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال : بعثته فانبعث، والبعث ضربان : إلهي : وهو أنواع، أحدها : إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن العدم. وثانيها : بعث الموتى، قال تعالى : ﴿ وَالْمُوتَى يُبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾^(٧) أي : يخرجهم وينشرهم. وثالثها : بعثة الرسل لإرشاد الخلق وتكميل الناقصين. ورابعها : الإلهام. قال تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وخامسها : مشابهة لبعث الموتى. قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيّاً ﴾ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر بتشديد اللام الثانية للمبالغة، ووافقهم ابن محيصن، والباقون بتخفيفها، يعني ﴿ مَلَّتْ ﴾، وأبدل همزتها ياء ساكنة أبو عمرو ﴿ مَلَّتْ ﴾ بخلف عنه. والأصهباني وأبو جعفر كوقف حمزة . الإتحاف ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) قرأ ﴿ رُعْباً ﴾ بضم العين ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب. والباقون بتسكين العين . الإتحاف ٢٨٩. وقول الطيبي : (بالتثنية، والتخفيف) سبق قلم.

(٣) الراغب في مفرداته ١٩٧ مادة (رعب).

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٦.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبستم ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبستم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً . إنهم إن يظهروا عليكم يرموا بكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدأ ﴾ الكهف الآية ٢٠.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ : وكما أمتناهم تلك النومة (كذلك بعثناهم) ((إذكارة بقدرته على الإمامة والبعث

(٦) الراغب في مفرداته ٥٢ مادة (بعث) بتصرف من المؤلف.

(٧) سورة الأنعام الآية ٣٦

(٨) سورة المائدة الآية ٣١

أجصى ﴿١﴾. والضرب الثاني : بَشَرِيّ، نحو قولهم : بعثت زيدا في حاجة فلان، وبعثت الجيش والبعوث، وبعثت البعير : أثرته وسيرته].

قوله : ((كيف وصلوا قولهم : ﴿٢﴾ فابعثوا ﴿٣﴾ بتذاكر حديث المدة))^(١) يعني : ما المناسبة بين قوله : ﴿٢﴾ قالوا لبنا يوماً أو بعض يوم ﴿٣﴾ وبين قوله : ﴿٢﴾ فابعثوا أحدكم بورقكم ﴿٣﴾ وأجاب أنه من باب الأسلوب الحكيم^(٢) ، كقوله^(٣) :

**** أتت تشتكي عندي مزاولة القرى ** وقد رأت الضيفان ينحون منزل ****

**** فقلت كأني ما سمعت كلامها ** هم الضيف جدي في قراهم وعجل ****

قال القاضي^(٤) : [وقيل : إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم في يومهم. قالوا ذلك، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم، قالوا هذا، ثم لما علموا أن الأمر مُلْتَبَس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يَهْمُهُمْ وقالوا : ﴿٢﴾ فابعثوا أحدكم بورقكم ﴿٣﴾].

قوله : ((يوم الكلاب)) النهاية^(٥) : [الكلاب، بالضم والتخفيف : اسم ماء^(٦) ، وكان به يوم معروف من أيام العرب]، قال ابن عبد البر في الاستيعاب^(٧) : [هو عرفجة

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿٢﴾ قالوا ربكم أعلم بما لبستم ﴿٣﴾ قال (ز) : إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم صدة لبثهم . قال : فإن قلت : ((كيف وصلوا قولهم : ﴿٢﴾ فابعثوا ﴿٣﴾ بتذاكر حديث المدة)) .

قلت : كأنهم قالوا : ربكم أعلم بذلك، لا طريق لكم إلى علمه، فخذوا في شيء آخر.

(٢) الأسلوب الحكيم : هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله، والإجابة عن سؤال لم يسأله. وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى . انظر جواهر البلاغة ٣٨٨.

(٣) ذكر البيتان في روح المعاني للألوسي ٢٣٠/١٥ ومحى الدين شيخ زادة ٢٥٣/٣.

(٤) القاضي البيضاوي ٢١٩/٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث ١٩٦/٤ مادة (كلب).

(٦) موضع بين البصرة والكوفة، وقيل : بين جبلة وشمام، وفيه كان الكلاب الأول والثاني من أيامهم المشهورة . معجم البلدان ٤٧٢/٤.

(٧) الاستيعاب مع الإصابة ١٢٤/٣.

بن أسعد بن صفوان التميمي أصيب أنفه يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذ أنفاً من ورقٍ، فأنق، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفاً من ذهب.

قوله : ((وقرئ : ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾^(١) أبو بكر وأبو عمرو وحزمة ياسكان الرء، والباقون بكسرها.

قوله : ((أوثق عليك نفقتك))^(٢) من الأسلوب الحكيم^(٣) ، أي : لا شك في جوازه، وإنما الذي يهتمك هو هذا.

قوله : ((﴿أزكى طعاماً﴾ أحل وأطيب))^(٤) الراغب^(٥) : [أصل الزكاة النمو الحاصل من بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، يقال : زكا الزرع يزكو] إذا حصل منه نمو وبركة. وقوله : ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ إشارة إلى حلال لا يُستَوْخَمُ عقباه . ومنه الزكاة يخرجها الإنسان إلى الفقراء، لما فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس أي : تنميتها بالخيرات والبركات أولهما جميعاً، فإن الخيرين موجودان فيها].

قوله : ((والنيقة))^(٦) الأساس^(٧) : [تَنَوَّقَ في الأمر، وفلان له نيقة، ومن المجاز تأنق في عمله، وفي كلامه، إذا فعل فعل المتأنق].

والحديث أخرجه أبو داود برقم ٤٢٣٢ كتاب الخاتم، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب. والترمذي رقم ١٧٧٠ كتاب اللباس، باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب، وحسنه . والنسائي ١٦٣/٨، ١٦٤ كتاب الزينة، باب من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب . وأحمد في المسند ٢٣/٥ . وشرح السنة للبغوي ١١٥/١٢ .

(١) قرأ ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ بكسر الرء نافع وابن كثير وابن عامر وحفص والكسائي وأبو جعفر ورويس، ووافقه ابن محيصن والحسن، وقرأ ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ ياسكان الرء أبو بكر وأبو عمرو وحزمة . انظر الإتحاف ٢٨٩ .

(٢) يشير (ز) إلى قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن المحرم، هل يشد عليه هميانه فقالت : ((أوثق عليك نفقتك)) أخرجه بن أبي شيبه كذا ذكر ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٧١٠/٢ وأيضاً تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٣٠٢/٢ .

(٣) الأسلوب الحكيم تقدم تعريقه آنفاً.

(٤) الراغب في مفرداته ٢١٣ مادة (زكا).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وليتلطف﴾ قال (ز) : وليتكلف اللطف ((والنيقة)) فيما يباشره من أمر المبايعة، حتى لا يغبن، أو من أمر التخصي، حتى لا يعرف.

(٦) الأساس ٦٥٨ مادة (نوق) و٢٣ مادة (أثق).

قوله : ((﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا ﴾)) من باب قولهم^(١) : لَا أَرَيْنَكَ ههنا، ولهذا قال : ((وَلَا يَفْعَلَنَّ مَا يُوْدِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ إِلَى الشُّعُورِ)).

قوله : ((وَكَمَا أَنْمَنَاهُمْ وَبَعَثَاهُمْ))^(٢) اطلعنا عليهم يعني المشار إليه بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ما سبق من الإنامة والبعث، وهو المشبه به، والمشبه إطلاع الناس عليهما، ووجه التشبيه ما اشتملا عليه من الحكمة، وفائدتها حصول اليقين لمن يشك في البعث وفي ﴿ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ ﴾.

قوله : ((وَكَانُوا أَوَّلَى بِهِمْ وَبِالْبَنَاءِ عَلَيْهِمْ))^(٣) هو حال من فاعل غلبوا، لأن القوم لما تنازعوا في أمر دينهم، وعرفوا حقيقة الحال، فمن غالب صاحبه في النزاع، وأن البعث لا بد منه، هو أولى من الآخر في اتخاذ المسجد، وإيثار مكان أصحاب الكهف لتعبده. الأساس^(٤) : [تغالبوا على البلد وغلبته على الشيء أخذته منه، وأَغْلِبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يُصَاحِبَ النَّاسَ مَعْرُوفًا؟. بمعنى : أَيْعْجِزُ؟].

قوله : ((وَقِيلَ : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾)) اعلم أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ وهو الأمر من واحد، الأمور والشئون، ثم لا يخلو الضمير المضاف إليه، إما أن يكون للقوم فيقدر مضاف آخر ليكون الحديث في تدبير أمر دينهم، وهو المراد من قوله : ﴿ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أمر دينهم، فالفاء في قوله : ﴿ فَقَالُوا ﴾

(١) ذكر هذه العبارة في حاشية الشهاب على البيضاوي المسماة (عناية القاضي وكفاية الرازي ٨٥/٤، وفي المدخل لعلم التفسير لأحمد بن محمد الحدادي السمرقندي ٤٦٣ قال : [يقول الرجل لصاحبه : لَا أَرَاكَ ههنا/ أي : لَا تَكُنْ ههنا كي لَا أَرَاكَ].

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ . وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ الكهف الآية ٢١.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ : ((وَكَمَا أَنْمَنَاهُمْ وَبَعَثَاهُمْ)) لما في ذلك من الحكمة ((أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ)) ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم ﴿ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾ قال (ز) : من المسلمين وَمِلْكُهُمْ ((وَكَانُوا أَوَّلَى بِهِمْ وَبِالْبَنَاءِ عَلَيْهِمْ)).

(٤) الأساس ٤٥٣ مادة (غلب).

فصيحة^(١)، فإن القوم لما فرغوا من أمر حقيقة البعث، وتيقنوا أن لا بلد منه، فآمنوا، ثم اهتموا بشأن أولئك الأصحاب، وتشاوروا فيه فقالوا : ﴿ابنوا عليهم بُنياناً﴾، كما سبق، أو الضمير لأصحاب الكهف، فالكلام حينئذ من ابتدائه في شأنهم، وهو : إما في كون ذلك آية من آيات الله، فمعنى الفاء ما سبق أو كيف يدبروا أمر الأصحاب، وكيف تجهيزهم، فالفاء حينئذ تعقيب^(٢)، أو تسبيب^(٣) عن قوله : ﴿إذ يتنازعون﴾ لأن قوله ﴿فقالوا﴾ نتيجة لما دبروا في شأنهم واتفاق على ذلك بعد الاختلاف فيه، فناموا أمرًا بالنوم.

قوله : ((أن تدخل الآخرين في حكم السين))^(٤) قال صاحب الفرائد : [الواو لما كان لطلق الجمع، كان ﴿سيقولون﴾ و ﴿يقولون﴾ في حكم ستحصل الأقوال منهم، ألا ترى أنك تقول : جاءني الزيدان، وجاءني زيد وعمر ؟. ولا فرق في المعنى، إلا أن زيدا وعمرأ لا يمكن جمعهما بلفظ واحد، كما أمكن زيد وزيد، فجاء بواو العطف لذلك، فعلى هذا لو قيل : ﴿سيقولون﴾ بعد ﴿سيقولون﴾ كان تكراراً لما يدل على الاستقبال.

(١) الفاء الفصيحة : هي العاطفة على الجواب اخذوف، كقوله : ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعلة من أيام آخر﴾ البقرة الآية ١٨٤ . يعني فمن كان منكم مريضاً فأفطر، فعليه عدة من أيام آخر، انظر إعراب القرآن نحي الدين الدرويش ٩٥/٦ وشرح اللماميني على ابن هشام ٨/١.

(٢) فاء التعقيب : هي التي تشترك في الإعراب والحكم، فإذا قلت : قام زيد فعمرو، دلت على أن قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة، فتشارك (ثم) في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنها تفيد الاتصال، وثم للتراخي . انظر الجني الداني في حروف المباني للحسن بن قاسم ٦٠.

(٣) فاء التسبيب : هي العاطفة لجملة على جملة نحو قوله : ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ أو صفة على صفة نحو قوله تعالى : ﴿لا تكلون من شجر من زقوم فماتون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم﴾ المرجع السابق، وهي أيضاً التي تكون في جواب الشرط، أو ربط له . انظر معاني الحروف للزجاجي ٣٩ أبو القاسم عبدالرحمن والمغني لابن هشام ١٦١/١-١٦٨.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ : فإن قلت : لم جاء بسين الإستقبال في الأول، يعني ﴿سيقولون﴾، دون الآخرين، يعني ﴿ويقولون خمسة، ويقولون سبعة﴾ الجواب ذكره صاحب الفرائد.

قوله : ((وإن تريد بِيَفْعَلُ معنى الإستقبال)) أي : يفعل مشترك بين الحاضر والإستقبال، والسين قرينة مُخَصَّصة له به تَخَصُّص الأول به، والآخران مُخَصَّصُهُمَا صَلَاحِيَّتُهُمَا له بواسطة قرينة المقام.

قوله : ((كقوله : ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾))^(١) أي هو استعارة مثله . قال صاحب الفرائد : [معنى ﴿ رَجَمَا بِالْغَيْبِ ﴾ رمي بالغائب عن علمه عن الذهن، وهو من قيل تشبيه المَعْقُول بالغسوس، شبه إخراج الكلام عن الذهن بإخراج السهم عن القوس، ويدل عليه قوله : رجم بالظن، مكان قولهم : ظن، والمراد بالظن ههنا المظنون، كأنهم قالوا : رمى عن ذهنه بما كان غائباً عن علمه حاضراً في ذهنه، تكلم بما ليس بمعلوم، وقلت : بل شبه إيراد الكلام الذي لم يخرج عن طمأنينة قلب، بل عن قلق واضطراب، لأن معرفة علم الغيب مختصة بالله يقذف الحجر الذي يقذفه القاذف، فإن الحجر قلماً يصيب الغرض إصابة السهم المستوي، ولهذا قيل : ﴿ رَجَمَا ﴾، ولم^(٢) يقل : رمياً بالغيب، ثم استعير لجانب المشبه لفظ الرجم، فهو استعارة مصرحة بحقيقته، لأن المشبه المتروك عقلي، وإنما يصح تشبيه قوله : ﴿ رَجَمَا بِالْغَيْبِ ﴾ بقوله : ﴿ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ إذا اجتمعاً في معنى القذف لا الرمي، الراغب^(٣) : [الرَّجَامُ الحجارة والرَّجْمُ الرميُّ بها، ويستعار الرَّجْم للرمي بالظن والتوهم نحو : ﴿ رَجَمَا بِالْغَيْبِ ﴾ وللشتم والطرْد نحو : ﴿ لأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾^(٤) أي : لأقولن فيك ما تكره . والشيطان رجيم، أي : مطرود عن الخيرات، وعن منازل الملأ الأعلى، وقال في الشهب : ﴿ رَجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾^(٥) والمراجعة : المسابة الشديدة استعارة كالقذفة .

(١) تفسر قوله تعالى : ﴿ رَجَمَا بِالْغَيْبِ ﴾ قال (ز) : رمياً بالخبر الخفي وإتيانه به ((كقوله : ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾)) أي يأتون به.

(٢) (فلم) في ت ، والصواب : ولم.

(٣) الراغب في مفرداته ١٩٠ مادة (رجم) بتصرف مبه .

(٤) سورة مريم الآية ٤٦

(٥) سورة الملك الآية ٥ .

قوله : ((أو وضع الرجم موضع الظن)) أي : صير حقيقة عرفية بعد الإستعارة فاستعمل حقيقة فيه، كالألفاظ المترادفة (١) .

قوله (٢) : ((* * وما هو عنها بالحديث المَرَجَم * *))

صدره من رواية الزجاج (٣) :

* * وما الحرب إلا ما عَلِمْتُمْ وذَقْتُمُوا * *

يقول :

ليست الحرب إلا ما عهدتموها، وما هذا الذي أقول بحديث مَرَجَم محكوم عليه بالظن.

قوله : ((هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة)) (٤) إلى آخره. قال صاحب الانتصاف (٥) : [هذا هو الصواب لا كمن يزعم أنها واو الثمانية، ويضيف إليها : ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ (٦) في الجنة، إذ أبوابها ثمانية وَعَدُّوا منه ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ (٧) في التوبة، وهو الثامن من قوله : ﴿ التائبون ﴾ فذهب أن في اللغة واواً يصحّب الثمانية، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة، وفي التوبة ذكرت لربط الأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر ﴿ وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر ﴾ (٨) ويأمرون بالمعروف

(١) المرادفه في ت.

(٢) قوله : يعني زهير بن أبي سلمى، ينهى غُبساً وذيبيان عن القتال في الحرب المسماة حرب داحس والغبراء. انظر ديوان زهير ص ٨١ وشرح المعلقات ١١٢/١.

(٣) الزجاج في معاني القرآن ٢٧٧/٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ قال (ز) : فإن قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأولين ؟. قلت : ((هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة)) كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة (لأن الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال) وفائدتها التأكيد.

(٥) أحمد بن المنير ٧١٣/٢.

(٦) سورة الزمر الآية ٧٣.

(٧) سورة التوبة الآية ١١٢.

(٨) سورة لقمان الآية ١٦.

وينهون عن المنكر ﴿١﴾ ، ومنهم من عدَّ ﴿ثِيَابَ وَأَبْكَاراً﴾ ﴿٢﴾ وهو غلط فاحش، فإنها واو التقسيم ﴿٣﴾ التي لو حذفها لم يصح الكلام. وقال أبو البقاء ﴿٤﴾ : [الجملة إذا وقعت صفة للنكرة جاز أن تدخلها الواو، وهذا هو الصحيح في إدخال الواو في ثامنهم]، وقال صاحب الفرائد : [دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتاً وحكماً وتأكيذاً للصوق يقتضي الاثنين، مع أننا نقول : لا نسلّم بأن الواو تفيد التأكيد وشدة اللصوق، غاية ما في الباب أنها تفيد الجمع، والجمع ينبئ عن الاثنينية، واجتماع الصفة والموصوف ينبئ عن الاتحاد بالنظر إلى الذات، وقد ذكر صاحب المفتاح ﴿٥﴾ : [أن قول من قال : إن الواو في قوله تعالى : ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ ﴿٦﴾ داخلة بين الصفة والموصوف، سهو منه، وإنما هي واو الحال، وذو الحال ﴿قرية﴾ وهي موصوفة، أي : ما أهلكنا قرية من القرى . وأما قوله : ((جاءني رجل ومعه آخر)) فقلت : فيه وجهان : أحدهما : أن يكون "جاءني رجل" جملة "ومعه آخر" جملة أخرى معطوفة عليها . وثانيهما : أن يكون آخر معطوفاً على رجل، أي : جاءني رجل ومعه رجل آخر . فإن قيل : فالوجه أن يقال : جاءني رجلان . في مثل هذا . قلت : فائدته أن يفهم أنهما جاءا مصاحبين . وأما الواو في مثل ((مررت بزيد وفي يده سيف)) فإنما جاز دخولها بين ذي الحال والحال، لكون الحال في حكم جملة، بخلاف الصفة بالنسبة إلى الموصوف، فإن جاء زيد راكباً في حكم (جاءني زيد وهو راكب) بخلاف : جاءني زيد الراكب، فافهمه راشداً . سلمنا أنها داخلة بين الصفة

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٢) سورة التحريم الآية ٥.

(٣) (واو التقسيم)، قال ابن هشام في المغني ٣٦٤/٢ : هي الواو التي تقع بين صفتين، هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة، فلا يصح إسقاطها، نحو قوله : ﴿ثِيَابَ وَأَبْكَاراً﴾ بعد قوله : ﴿مسلمات مؤمنات﴾ إذ لا تجتمع الثبوتة والبكارة . فلا بد من الواو بينهما.

(٤) أبو البقاء في إملائه ١٠٠/٢.

(٥) صاحب المفتاح محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، شارح التلخيص.

(٦) سورة الحجر الآية ٤.

والموصوف لتأكيد اللصوق . فأما الدلالة على اتصافه بها أمر ثابت مستقرّ فغير مسلم،
فأين الدليل على ذلك ؟.

وقوله : ((وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا : ﴿ سبعة وثامنهم
كلبهم ﴾ قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس)) في غاية البعد . قوله : ((والدليل عليه
أن الله سبحانه وتعالى ... إلى آخره))^(١) أن المراد به أنه دالّ على إيذان الواو على ما
ذكر، فامتناع ذلك ظاهر . فإن كان المراد به أنه دالّ على صدق من قال : ﴿ سبعة
وثامنهم كلبهم ﴾ فحاصله ظنّ ضعيف بحسب أن ﴿ رجماً بالغيب ﴾ لم يؤخر إلى أن
قيل : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ ، وأما قوله : ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ فهو غير دالّ
على ذلك البتّة . ((وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما))^(٢) فهو غير دالّ على أنه
أراد ما ذكر، بل الظاهر أنه علم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ((حين وقعت الواو انقطعت العدة)) الظاهر أن مراده منه أن الذي هو
صدق وهو الذي وقعت الواو فيه وانقطعت العدة به^(٣) ، فظهر من هذا أن الواو في
﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ واو العطف، وهي جملة معطوفة على الجملة المتقدمة . قلت وبا لله
التوفيق : واعلم أنا قبل الشروع في الجواب لا بد أن نبين المقصود تحريراً للبحث، فالواو
هاهنا ليست على الحقيقة، ولا تعتبر في المجاز والنقل في الآحاد كما في الحقيقة، بل الاعتبار
فيه اعتبار نوع العلاقة، وأن المجاز في البلاغة^(٤) أولى بالذكر من الحقيقة، وأبلغ منها
وأحسن لتزيين الكلام والمبالغة فيه، ألا ترى إلى قول المصنف بعيد هذا : لأن ما كان فيه
آفة من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلا الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحلّ ليرده إلى ما هو
عنده أصحّ وأفصح، وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز ... إلى
آخره . وإلى كلام صاحب المثل السائر اعلم أن أقسام النحو أخذت عن واضعها

(١) أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله : ﴿ رجماً بالغيب ﴾ وأتبع القول الثالث قوله : ﴿ ما يعلمهم

إلا قليل ﴾.

(٢) قول ابن عباس : حين وقعت الواو انقطعت العدة، أي : لم يبق بعدها عدة عادّ يلتفت إليها.

(٣) وانقطعت به العدة. في م.

(٤) في عرف البلاغة. في ت ، م .

بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجاز لأن العقل لا يأبى أن لو جعل الفاعل منصوباً والمفعول مرفوعاً، وأما قسم البيان فليس كذلك، لأنه استببط بالنظر وقضية العقل من غير واضح، ولم يفتقر فيه إلى التوقيف، بل أخذت ألفاظ ومعاني على هيئة مخصوصة وحكم بها العقل بمنزلة من الحسن لا يشاركها فيها غيرها، فإن كل عارف بأسرار كلام أي لغة كانت، يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ جامعة رائقة حسنة يلذها السمع ولا ينبوأ عنها الطبع خير من عكسه، ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما تقلدناه . وقال أيضاً : اعلم أن مدار علم البيان على حكم الذوق^(١) ، هو أنفع من ذوق التعليم . مضى كلامه، ثم إن المجاز كما يقع في الأسماء والأفعال، قد يقع في الحروف، ألا ترى إلى الاستعارة التبعية، فإن نوعاً منها الكلام في الحروف، ونقل شارح اللباب عن سيويه أن الواو في قولهم : بعت الشاة شاة ودرهماً، بمعنى الباء، أي : بدرهم، وتحقيقه أن الواو للجمع والإشراك، والباء للإلصاق، والجمع والإلصاق من واد واحد، فسلك به طريق الاستعارة . وذكر المصنف^(٢) في أول سورة الأعراف : [أن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل] ولا شك أن واو العطف تقتضي المغايرة وتتضمن معنى الجمعية، فإذا أريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب إطلاق اسم الكل على الجزء، ونحوه في الاستعمال الاستفهام في قوله: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾^(٣) فإن الهمزة هنا مسلوب الأدلة عن الاستفهامية مجرد الاستواء والنداء في قولهم : إن نفعل كذا أيتها العصابه، مجرد الاختصاص . وذكر المصنف^(٤) في مريم عند قوله تعالى : ﴿لسوف أخرج حياً﴾^(٥) أن اللام هنا لام ابتداء خلصت^(٦) للتوكيد ووافقه ابن الحاجب في سورة والضحي فيه، وفي الأمثلة كثرة . إذا علم هذا فقلوه : ((فائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف)) معناه أن للصفة نوع اتصال بالموصوف، فإذا أريد توكيد اللصوق وسط بينهما بهذه الواو ليؤذن أن هذه الصفة غير منفكة عن الموصوف، لازمة له (غير

(١) الذوق (ل سليم الذي هو) في ت.

(٢) ذكره عند قوله تعالى : ﴿فجاءها بأسنا بيّاتاً أو هم قائلون﴾ الآية ٤ . ٨٧/٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٦.

(٤) الآية ٦٦ جـ ٣١/٣.

(٥) الآية ٦٦.

(٦) أخلصت في ت.

مفارقة^(١)، وإليه الإشارة بقوله : إن اتّصافها أمر ثابت مستقر، وليعلم أيضاً أن الحال في الحقيقة صفة لا فرق إلا في الاعتبار، ألا ترى أن الصفة الواقعة من المنكرة إذا تقدمت عليها وهي بعينها تصير حالاً، ولو لم يكونا متحدتين معنى لم يصح ذلك. ثم قولك : ((جاءني رجل ومعه آخر)) وقولك : ((مررت بزيد ومعه آخر)) لما كان سواء في الصورة، اللهم إلا في اعتبار المعرفة والمنكرة كان حكمهما سواء في الواو . وذكر نحوه أبو البقاء^(٢) في إعراب قوله : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾^(٣) هذا مراد المصنف من إيراد المثاليين، لا ما فهم بعضهم . وأما قول صاحب الفرائد : [لا تحاد الصفة والموصوف ذاتاً وحكماً فمبني على أن الواو عاطفة وهي تقتضي المغايرة، كما قال صاحب المفتاح، وقدمنا وجه مجازه لمجرد الربط . وأما قوله : ((جاءني رجل ومعه آخر)) وهي جملتان، فسيجيء جوابه . وأما قوله : ف ((إن جاء زيد راكباً، في حكم جاءني زيد وهو راكب)) فمن المعكوس، فإن الأصل في الحال الأفراد . قال ابن الحاجب في قوله : كلمته قوة إلى في أنها بمعنى مشافهاً . وقال : إن الجمل تستعمل استعمال المفردات ولا تعكس، وأما قوله : سلمنا أنها داخلة بين الصفة والموصوف للتأكيد . وأما الدلالة على أن اتّصافه به أمر ثابت فغير مسلم، فمما لا يقوله من به أدنى مسكة، كيف سلم التأكيد ولم يسلم فائدته ؟. وأما الأسئلة الباقية على كلام المصنف فمراده أنها^(٤)، أمارات تدلّ على ما ثبت وتقرّر . وقال ابن الحاجب في الأمالي^(٥) : [لا يجوز أن يكون ﴿ رابعهم كلهم ﴾ جملة ابتدائية صفة لـ ﴿ ثلاثة ﴾ وثلاثة خبر مبتدأ محذوف، ولا يجوز أن يكون ﴿ كلهم ﴾ مرفوعاً بـ ﴿ رابعهم ﴾ لأن المراد به الماضي، ولا أن تكون الجملة حالاً، إذ ليس معنا ما يصح أن يكون عاملاً فيها، لأن التقدير : ﴿ سيقولون ﴾ هم ثلاثة، وليس فيها أيضاً واو، ويجوز أن يكون ﴿ رابعهم كلهم ﴾

(١) ما بين القوسين س من ت.

(٢) أبو البقاء في إملائه ٩٢/١.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٦.

(٤) (أنه) في ب.

(٥) الأمالي لابن الحاجب . له نسخ مخطوطة كثيرة جداً في دار الكتب المصرية برقم ٢٦ وغيرها . انظر

كتاب طارق عبد عون الجنابي ابن الحاجب النحوي وآثاره، ومذهبه ٩٥.

جملة خبراً للمبتدأ المحذوف بعد خبر، فيكون قد أخبر بخبرين مفرد وجملة، ويقوّي هذا الوجه أن الجملة الثالثة جاءت بالواو، والمعنى فيها كالمعنى فيما تقدّم، ومتعذّر أن يكون صفة مع الواو، مع أنك لا تقول : مررت برجل وعافل، فتعيّن أن يكون خبراً بعد خبر، والأخبار إذا تعدّدت جاز أن يكون الثاني بواو وبغير واو، هذا إن سلم أن المعنى في الجمل واحد . وأما إن قيل : إن قوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ من قوله تعالى، يكون استثناءً لا حكاية عنهم، بأن ﴿ ثامنهم كلبهم ﴾ فيفهم على ذلك بأن القائلين بأنهم سبعة أصابوا في ذلك، ولا يلزم على هذا أن يكون خبراً بعد خبر، ويقوّيه قوله : قبل ذلك ﴿ رجماً بالغيب ﴾ [ثم ذكر بعد قوله : ﴿ رجماً بالغيب ﴾] (١) الجملة الثالثة فدلّ على أنها مخالفة لما قبلها في الرجم بالغيب، وإذا خالفها في ذلك وجب أن يكون صدقاً إلا أن هذا الوجه يضعف من حيث إن الله تعالى قال : ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ فلو جعلنا قوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ تصديقاً لمن قال : سبعة، لوجب أن يكون العالم بذلك كثيراً، فإن أخبار الله صدق، فدلّ على أنه لم يصدق منهم أحد، وإذا كان كذلك وجب أن تكون الجملة كلها متساوية في المعنى، وقد تعذّر أن تكون الأخيرة وصفاً، فوجب أن يكون الجميع كذلك [تم كلامه . وقد علم من مفهومه أن الواو هي المانعة من الوصفية ودأؤه دأؤهم، فالداء الداء (٢) . وأما قوله : وجب أن تكون الجملة كلها متساوية، فكلام عن مقتضى البلاغة بمراحل، لأن في كلّ اختلاف فوائد، والبلغ من ينظر إلى تلك الفوائد لا من يرده إلى التطويل والحشو في الكلام . وأيضاً لا بدّ من قول صادق بين الأقوال الثلاثة لينطبق عليه قوله : ﴿ لا يعلمهم إلا قليل ﴾ مع قوله : ﴿ رجماً بالغيب ﴾ لأنه قد اندفع به القولان الأولان، فيكون الصادق هذا، وتعقيبه به أمانة على صدقه، وعلى ما ذهب إليه السائل مفقود ذلك، ومع هذا أين طلاوة الكلام ؟ أم أين اللطف والمراعاة ؟. وههنا نكتة لا بدّ من إظهارها وذلك أن قصة الكهف لا مِحنةً إلى قصة الغار (٣) ومشابهاة لها من

(١) ما بين القوسين س من ت.

(٢) فالداء الداء في م.

(٣) قصة الغار في بداية هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، التي ذكرها القرآن في قوله في

سورة التوبة الآية ٤٠ : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ... الآية ﴾.

حيث اشتمالها على حكم بديع البيان^(١) . روينا عن البخاري^(٢) ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا . فقلت : يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) يعني لسنا مثل كل اثنين اصطحبا^(٣) ، لما خصّصت بشرف صحبة حبيب الله، والتجأت بسببها إلى حرم كنف الله، كما قال : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾، فالتربيع^(٤) والتسديس^(٥) في قصة الكهف ناظران إلى التثليث في قصة الغار، لكن نظرا كلاولا، فعلى هذا يجب أن يجعل ﴿ رابعهم كلبهم ﴾ و ﴿ سادسهم كلبهم ﴾ تابعين لثلاثة وخمسة، والضمائر الأربعة فيها راجعة إليهما لا إلى المبتدأ. ومن ثم استغنى عنه بالحذف، وإلا كان الظاهر أن يقال : هم ثلاثة وكنب، فلما أريد اختصاصها بحكم بديع الشأن عدل إلى ما هو عليه لينبه بالنعت الدال على التفصلة والتمييز على أن أولئك الفتية ليسوا مثل كل ثلاثة أو خمسة أو سبعة اصطحبوا، ومن ثم قرن الله تعالى في كتابه العزيز أحسن الحيوان ببركة صحبتهم مع زمرة المتبتلين إلى الله والمنعكفين^(٦) في جوار الله، فقال : ﴿ وكنبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ وإضافة إليه مكرراً، واختلفت آراء الملتين في التفسير عن قصّتهم والتفتيش عن أحوالهم، روى السلمي^(٧) عن أبي بكر الورّاق أنه قال : مجالسة الصالحين ومجاورتهم تؤثر في الخلق، وإن لم يكونوا أجناساً . ألا ترى أن الله عز وجل كيف ذكر أصحاب الكهف فذكر كلبهم معهم لمجاورته إياهم.

(١) (الشأن) في ت . وكذلك في حاشية الشهاب على البيضاوي ٨٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٢٥/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ... الآية ﴾ رقم ٤٦٦٣ . ومسلم ١٨٥٤/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر رضي الله عنه، واللفظ له رقم ٢٣٨١.

(٣) ذكر الشهاب على البيضاوي هذه النكتة، وعزاها للطبري . انظره ٨٩/٦ وساق كلامه.

(٤) (والتربيع) في ت.

(٥) (فالضمائر) في ت.

(٦) (المنعكفين) في ت وهو الصواب.

(٧) السلمي محمد بن الحسين بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي، كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، صنف لهم تفسيراً وتاريخاً، وتفسيره غير محمود، قال الذهبي في تاريخه : كتابه (حقائق التفسير) ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة . مات سنة ٤١٢ . طبقات المفسرين للسيوطي ٨٤ وطبقات المفسرين للداودي ١٣٧/٢

وإذا تقرّر هذا فالواجب أن تراعى هذه النكتة في الفقرات الثلاث، ثم ينظر إلى الزمرة الزائدة في الأخيرة لاختصاصها بحرف زائد، وهي ما ذكره المصنف جزاءه الله أحسن الجزاء على أن تأويل صدر الكلام والعدول من الوصف إلى الخبر لأجل عجزه بسبب الواو، وليس أولى من العكس والله أعلم . وأما قوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ استئناف، فقد ذهب إليه المفسرون، قال الزجاج^(١) : [دخول الواو ههنا وإخراجها من الأول واحد، وقد يجوز أن يكون دخولها على الدلالة على انقطاع القصة]، وهو من قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة . وقال أبو البقاء^(٢) : [وقيل : دخلت الواو لتدل على أن ما بعدها مستأنف حق، وليس من جنس القول برجم الظنون]، ولعل مراد ابن الحاجب من قوله : لوجب أن يكون العالم بذلك كثيراً أن القائل به المسلمون وهم بالنسبة إلى القائلين، وهما السيد والعاقب^(٣) كثيرون، كما سبق، وجوابه من وجهين : أحدهما : أن القائلين من المسلمين ليسوا كلهم بل بعضهم، يدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنهما : أنا من ذلك القليل . ذكره محي السنة^(٤) ، والمراد بالقائلين السيد والعاقب، هما ومن تابعهما بدليل قول المصنف : إن السيد والعاقب وأصحابهما . وثانيهما أن قوله : ﴿ إلا قليل ﴾ استئناف من أعم العام لكونه معاقباً لقوله : ﴿ قل ربي أعلم بعلتهم ﴾ ولا شك في قلة المسلمين في جنب الناس . والله أعلم بالصواب .

قوله : ((﴿ فلا تمار فيهم ﴾ فلا تجادل)) الراغب^(٥) : [المرية : التردد في الأمر وهو أخص من الشك ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ﴾^(٦) وقوله : ﴿ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ﴾^(٧) والإمتراء والمماراة محاجة فيما فيه مرية . قال تعالى : ﴿ قول

(١) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٧٧/٣ .

(٢) أبو البقاء في إملائه ١٠٠/٢ .

(٣) السيد والعاقب من نصارى نجران، ذكر ذلك ابن جماعة في كتابه (غرر البيان في من لم يسم في القرآن)

٣١٨، وذكره الفيروز آبادي في (توير المقباس من تفسير ابن عباس) ٢٤٥، والبغوي في تفسيره ١٦١/٥ .

(٤) محي السنة في تفسيره ١٦١/٥ قال : روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران

كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجرى ذكر أصحاب الكهف ... الخ.

(٥) الراغب في مفرداته ٤٦٧ مادة (مري).

(٦) سورة الحج الآية ٥٥ .

(٧) سورة هود الآية ١٠٩ .

الحق الذي فيه يمترون ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿ فلا تمار فيهم إلا مرأً ظاهراً ﴾ وأصل ذلك من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب].

قوله : ((إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله)) (٢) الانتصاف (٣) : [وليت شعري ما معنى قول الزمخشري : إلا أن تعترض المشيئة دونه، واعتقاده أن مشيئة الله لا تعترض على فعل أحد، فلم يشأ عندهم فعلاً فترك وتركاً ففعل، حتى إنهم يقولون : إن قول القائل : والله لا أفعل إلا أن يشاء الله أن أفعله، كذبٌ إذا كان مباحاً لأن الله لا يشأه بزعمهم فسحقاً لاعتقادهم . وقال ابن الحاجب : [الوجه فيه أن يكون استثناء مفرغاً، كقولك : لا يجيء إلا يلذن زيد ولا يخرج إلا بمشيئته، على أن يكون الأعم المحذوف حالاً أو مصدرأً، وحذفت الباء من ب ﴿ أن يشاء الله ﴾ أي إلا بذكر المشيئة، وقد علم أن ذكر المشيئة المستصحبة في الإخبار عن الفعل المستقبل هي المشيئة المذكورة بحرف الشرط أو معناه، كقولك : إن شاء الله (٤) وبمشيئة الله وما أشبههما، هذا هو المعنى من قول المصنف . والثاني : ولا يقولنه إلا بأن يشاء الله . وقال ابن الحاجب : وأما ما ذكر أنه متصل بقوله : ﴿ إني فاعل ﴾ ففاسد، إذ يصير المعنى : إني فاعل بكل حال إلا في حال مشيئة الله، فيصير المعنى النهي عن أن يقول : إني فاعل إن شاء الله، وهذا لا يقوله أحد. وأما ما ذكر من أنه استثناء منقطع فبعيد لأنه يؤدي إلى نهى كل واحد عن أن يقول : إني فاعل غذا كذا مطلقاً قيده بشيء أو لم يقيد، وهو خلاف الإجماع لجواز قول القائل : لأفعلن كذا إن شاء الله، وأما ما ذكره بعض المتأخرين أن إلا ليست باستثناء لا متصل ولا منقطع، فهو جهل وغباوة، ولا خفاء في أنه عنى قوله : وهو أن يكون إن شاء

(١) سورة مريم الآية ٢٤.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غذا إن أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهيني ربي لأقرب من هذا رشداً ﴾ الكهف الآية ٢٤.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ : متعلق بالنهي، لا بقوله : ﴿ إني فاعل ﴾، لأنه لو قال : إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله، كان معناه : ((إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله)).

(٣) الانتصاف مع الكشاف ٧١٤/٢ . فمذهب المعتزلة أن العبد لا فعل له اختياري . انظر الألويسي

٢٤٨/١٥

هذا عكس من حكم المحسن

(٤) كقولك (لأفعلن) إن شاء الله . س من أ ، ب .

الله كلمة تأييد، كأنه قيل : ولا تقولنه أبداً، والجواب عنه : أنا نقلنا عن الزجاج (١) في قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ما شاء الله ﴾ (٢) نحو هذا المعنى، وسبيله سبيل الكناية عن المجموع كقوله تعالى : ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ (٣) وقد علم وحق أن ذوق الموتة الأولى في الجنة محال، فيكون كناية عن التأييد، فالمعنى : لا تقولن فيما يتعلق بالوحي : أن أخبركم به إلا أن يشاء الله، والله تعالى لم يشأ أن يقوله من عندك، فإذا لا تقولنه أبداً، وعليه قوله : ((لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله)) (٤) وعلى هذا جعل الاستثناء منقطعاً، لا تقولن يا محمد فيما يتعلق بالوحي : إني أخبركم به، لكن قل : أخبركم يا ذن الله وبمشيئته كقوله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٥) فالمخاطب على التقديرين رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤيده قوله : ((وهذا نهى تأديب من الله تعالى لنبهه حين قالت اليهود لقريش ... إلى آخره)) (٦) ، والحاصل أن خصوصية المقام تجوز كثيراً من نحو هذا.

قوله : ((هو على ثنياه)) (٧) المغرب (٨) : [يقال : ثنى العود إذا حناه وعطفه، لأنه ضم أحد طرفيه إلى الآخر، ثم قيل : ثناه عن وجهه إذا كفه وصرفه، لأنه مسبب عنه، ومنه استثيت الشيء : زويته لنفسه، ومنه الثنيا بوزن الدنيا، وفي الحديث : (من استثنى فله ثنيه)) (٩) أي : ما استثناه].

(١) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٩١-٢٩٢.

(٢) الصواب : ﴿ خالدين فيها إلا ما شاء الله ﴾ وهو غلط في كل النسخ. سورة الأنعام الآية ١٢٨.

(٣) سورة الدخان الآية ٥٦.

(٤) قال (ز) : ومثله قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٨٩ : ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ﴾ ((لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله)).

(٥) سورة النجم الآية ٣-٤.

(٦) قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين.

(٧) قال (ز) : وعن طاوس (هو على ثنيه) مادام في مجلسه.

(٨) المغرب في ترتيب المغرب لإمام اللغة أبي الفتح ناصر الدين المطرزي، توفي سنة ٦١٠ . ج١/١٢٤.

(٩) هذا جزء من حديث أخرجه الدارقطني ٤/٣٥ وأوله (ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق، فمن

طلق واستثنى فله ثنيه).

وتلخيص الخبر لابن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من طلق أو أعتق واستثنى فله ثنيه)

قوله : ((وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً)) قال القاضي^(١) : [لأنه لو صحّ ذلك لم يقرّر إقرار ولا طلاق ولا عتاق، ولم يُعلم صدق ولا كذب، وليس في الآية أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق، بل هو مقدّر مدلول به عليه] مثل أن يقول : أفعلُ إن شاء الله، أي : ﴿ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً﴾ إلا أن تقول : أفعلُ إن شاء الله.

قوله : ((إنك تأخذ البيعة بالآيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا ؟))^(٢) الانتصاف^(٣) : [ظاهر الآية الأمر بتدارك المشيئة عند التذكار ولو بعد طول، وأما حلّها لليمين حينئذ، فلا دليل للآية عليه . وقلت : مسألة البيعة واليمين جاءت رادة لمن قاس الاستثناء في الأحكام على مسألة التدارك بالتذكار في نسيان ذكر الله في الأمور وصورة المبايعه بأن تقول : أبايعك على السمع والطاعة ثم يؤكدها باليمين، بأن تقول : والله لا أخرج من هذه البيعة ثم يخرج ويستثنى إلا زمان كذا ويوم كذا أو أوان يفعل كذا.

قوله : ((تشديداً في البعث على الاهتمام))^(٤)، يعني الأمر بالاستغفار من باب التلغيط والتشديد، كأن ترك الاستثناء من الذنب الذي تجب فيه التوبة والاستغفار.

قوله : ((واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به)) فالنسيان قد يستعمل في الترك مجازاً، لأن الترك سبب النسيان . الراغب^(٥) : [النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة أو عن قصدٍ حتى ينحذف عن القلب ذكره. وقوله تعالى : ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾^(٦) إخبار وضمأن من الله تعالى أنه يجعله بحيث

(١) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٢١/٣ قال : وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحث، ولذلك جوز تأخير الإستثناء عنه . وعامة الفقهاء على خلافة ((لأنه لو صحّ ... الخ))

(٢) يشير إلى قول (ز) : ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكر عليه، فقال أبو حنيفة : هذا يرجع عليك ((إنك تأخذ البيعة ... الخ)).

(٣) الإنتصاف مع الكشاف ٧١٥/٢.

(٤) قال (ز) ﴿واذكر ربك﴾ : بالسيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء ((تشديداً في البعث عن الاهتمام بها)).

(٥) الراغب في مفرداته ٤٩١.

(٦) سورة الأعلى الآية ٦.

إنه لا ينسى ما يسمعه من الحق، وكل نسيان من الإنسان ذمّة الله تعالى به، فهو ما كان أصله عن تعمّد، وما عذر فيه نحو ما روي في الحديث (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان) (١)، فهو ما لم يكن سببه منه، وإذا نُسِبَ ذلك إلى الله تعالى فهو تركه إياهم استهانة بهم، ومجازاة لما تركوه. قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْتَهُمْ﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (٣)، فتنبية أن الإنسان بمعرفته بنفسه يعرف الله، فنسيانه لله هو من نسيانه نفسه. وقال عكرمة (٤): معنى نسيت ارتكبت ذنباً، ومعناه: اذكر الله إذا أردت وقصدت ارتكاب ذنب يكن ذلك دافعاً لك].

قوله: ((وهذا إشارة إلى نيل أصحاب الكهف)) أي: لفظ (هذا) في قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشداً﴾.

قوله: ((ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نيل أصحاب الكهف)) يؤيده قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ افتتح القصة بتقليل شأنها. ثم ختمها بأمره صلوات الله عليه بما هو أرشد منها الانتصاف (٥)، هذا يوهّم أن أي قصّة ذكرت في الكتاب لِيُتَعَزَّ بِهَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْقَرَ شَأْنُهَا وَيَسْأَلَ إِنْزَالَ مَا هُوَ خَيْرُ مِنْهَا وَأَرْشَد. جوابه أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبرهم، وقالوا: هم فتية ذهب بهم الأرض مذاهب فقتل

(١) أخرجه ابن ماجه ٦٥٩/١ كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي برقم ٢٠٤٥ وفيه انقطاع من حديث ابن عباس ولفظه: (إن الله وضع)، بدل (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه) وانظر فتح الباري ١٦٠/٥ وكشف الخفاء ٥٢٢/١ وابن عدي في الكامل ٥٧٣/٢.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٣) سورة الحشر ١٩ والنسيان يأتي على معنيين، بمعنى التّرك ومنه قوله في طه الآية ١١٥: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ وقوله في السجدة الآية ١٤: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ وقوله في البقرة الآية ٢٣٧: ﴿وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

ويأتي بمعنى لم يحفظ، ومنه قوله في سورة الكهف الآية ٦٣: ﴿فَبِأَيِّ نَسِيتَ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ وقوله في الكهف الآية ٣٧: ﴿لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ﴾.

(٤) عكرمة مولى ابن عباس البربري أبو عبد الله المدني، مات سنة ١٠٤ هجرية بالمدينة النبوية. تهذيب

التهذيب ٢٦٣/٧

(٥) الانتصاف مع الكشاف ٧١٥/٢.

الله ما أكثره وحقر ما استعظموه، ولم يقص الله نأها إلا لإعلام المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي من السماء وأنه لا يخلوا عن فائدة وموعظة وعبرة.

قوله : ((يهديني لشيء آخر، بدل هذا المنسي أقرب))^(١) يقال : هداه لكذا أو إلى كذا، لا بد من تقدير شيء يصح الكلام معه، فالتقدير يهديني لشيء آخر يكون ذلك الشيء بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً، قال الزجاج^(٢) : [عسى أن يعطيني من الدلالات ما يكون أقرب في الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف] وقال في المطلع : يهدي إلى ما هو أقرب، وأقرب في تركيب المصنف يجوز أن يكون بدلاً من بدل، وأن يكون صفة إن جعل أقرب من معرفة أو حالاً إن جعل نكرة.

قوله : ((خيرة))^(٣) أي مختاراً.

قوله : ((بيان لما أجمل في قوله : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾))^(٤) فإن قلت : ما فائدة إيراد البيان في آخر القصة والمبين في أولها ؟ . قلت والله أعلم : جيء أولاً باختلاف الأحزاب في كمية لبثهم في الكهف . وثانيها باختلافهم في كمية أشخاصهم، فبين الثاني بقوله : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ قل ربي أعلم بعدتهم ﴿ وبين الأول بقوله : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ قل الله أعلم بما لبثوا ﴿ وسجل لكلي الجملة يثبت العلم لله تعالى، وهذه الدقيقة تبين لطف ما ذهب إليه المصنف في ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ . وأما توسط قوله : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ﴾ الآية بين البيان والمبين، فإنه من جملة التأديب الذي أذبه الله به والتهذيب الذي

(١) قال (ز) : إذا نيت شيئاً فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول ((عسى ربي أن يهديني

لشيء آخر بدل هذا المنسي

(٢) الزجاج ٢٧٨/٣ وفيه : [أن يعطيني من الآيات والدلالات على البوة ما يكون ... الخ] .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ رشداً ﴾ قال (ز) : وأدنى خيراً ومنفعة، ولعل النسيان كان ((خيرة)) .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ﴿ قال (ز) : في قوله : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين ﴾ يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة، ((وهو بيان لما أجمل ... الخ))

هذبه بما هو خلق له، وهو هذا القرآن المجيد جاء مستطرداً عطفاً على قوله : ﴿ فلا تمار ﴾ ﴿ ولا تستفت ﴾ متضمنا معنى ما لأجله أبطأ عليه الجواب عن هذه القصة، قال الزجاج^(١) : [﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ اخبار عن الله تعالى بطول لبثهم . وأعلم أنه أعلم بذلك، وكان هذا أبلغ من أن يقال : الصحيح أنهم قد لبثوا هذا العدد كله].

قوله : ((وقرئ ﴿ ثلثمائة سنين ﴾ بالإضافة))^(٢) حمزة والكسائي بغير تنوين، والباقون بتنوين ﴿ وسنين ﴾ عطف بيان ﴿ ثلثمائة ﴾ قال الزجاج^(٣) : [﴿ سنين ﴾ جائز أن يكون نصباً وأن يكون جرّاً، فالنصب على معنى (ولبثوا في كهفهم سنين) (ثلثمائة) عطف (سنين) على ثلاث، عطف البيان والتوكيد، والجر على أن تكون نعتاً للمائة، وهو أبلغ في المعنى إلى ثلاث، كما قال^(٤) :

**** فيها اثنتان وأربعون حلوبة ** سوداً كخافية الغراب الأسحم ****

فجعل سوداً نعتاً لحلوبة، وهو في المعنى نعت لجملة العدد] هكذا في تفسيره ونقل المصنف عنه في الفصل^(٥) أنه قال : [لو انتصب سنين على التمييز لوجب أن يكونوا قد لبثوا تسع مائة سنة] قال ابن الحاجب^(٦) : [وجهه أنه قد فهم من لغتهم أن تميز^(٧) المائة واحد من مائة، فإذا قلت : مائة رجل فميزها رجل، وهو واحد من المائة، فعلى هذا لو قلت : مائة سنين، فيكون السنين واحدة من المائة، وهي ثلثمائة، وأقل السنين ثلاثة، فيجب أن يكون تسع مائة، وهذا الذي ذكره يرد على قراءة حمزة والكسائي إذ ليس

(١) الزجاج ٢٧٩/٣ بتصرف قليل.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ ثلاثمائة سنين ﴾ على الإضافة، ووافقهم الحسن والأعمش، والباقون بالتنوين . الإنحاف ٢٨٩.

(٣) الزجاج ٢٧٨/٣ بتصرف.

(٤) البيت لعنزة . انظر ديوانه ١٩٣.

(٥) الفصل في علم اللغة للزمخشري، ذكره ص ٢٥٦ ولفظه : قال أبو إسحاق (يعني الزجاج) : [ولو

انتصب ... الخ]

(٦) قاله ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح الفصل للزمخشري ٦١٢/١ بتصرف.

(٧) ميز في الإيضاح.

لقراءتهما وجهٌ سوى التمييز] وهذا غير لازم، لأن الذي ذكره مخصوص بأن يكون المميز مفرداً^(١)، وأما إذا كان جمعاً فيكون القصد فيه كالقصد في وقوع التمييز جمعاً في نحو ثلاثة أثواب على أن الأصل في التمييز الجمع، وإنما عدل إلى المفرد لغرض، فإذا استعمل الجمع استعمل على الأصل لا على الوجه الذي ألزمه، فإن ذلك على المفرد. وقلت : الذي ذهب إليه المصنف عكس ذلك، لأنه جعل المفرد أصلاً والجمع مفرعاً عليه لقوله : ((على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز)) وقال ابن الحاجب^(٢) : [ثلثمائة سنين فيمن قرأ بالتونين، محمول على البدل، وإلا لزم الشذوذ^(٣) من وجهين : أحدهما : جمع مُمَيِّزٍ مائة. والآخر : نصبه، فإذا جعل بدلاً خرج عن الشذوذين واستقام الإعراب] كأنه قال : ولبتوا سنين.

قوله : ((لأن ما قبله يدل عليه))^(٤)، قال الزجاج^(٥) : أما قوله : ﴿ وازدادوا تسعاً ﴾ [فلا يكون تسع ليال وتسع ساعات، لأن العدد يعرف بتفسيره، فإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكره] وقال الإمام^(٦) : [فإن قالوا : لم لم يقل ثلثمائة وتسع سنين؟ وما الفائدة في العدول؟ قلنا : قال بعضهم : كانت لمدة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسية وثلثمائة وتسع سنين من القمرية وهذا مشكل لأنه لا يصحّ بالحساب، ويمكن أن يقال : لعلهم : لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه، ثم اتفق ما أوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين] وقال القاضي^(٧) : [وقيل : إنه حكاية كلام أهل الكتاب، فإنهم اختلفوا في مدة لبتهم كما اختلفوا في عدّتهم، فقال بعضهم : ثلثمائة

(١) تمييز المائة بجرّ، وجرّه بالإضافة، والتونين مانع منها، نعم قرئ في السبعة بالإضافة، وعليه (فسنين) تمييز، غير أنه قليل، لأن تمييز المائة الكثير فيه الأفراد، كما قال في الخلاصة :

** ومائة والألف للفرد أضف ** ومائة بالجمع نزرأ قد ردف **

(٢) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ٦١١/١.

(٣) عن الشذوذ في الأصل أعني ابن الحاجب.

(٤) تفسير قوله : ﴿ تسعاً ﴾ قال (ز) تسع سنين ((لأن ما قبله يدلّ عليه)).

(٥) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٧٩/٣ بتصرف قليل.

(٦) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١١٢/٢١.

(٧) القاضي البيضاوي ٢٢٢/٣.

سنة وبعضهم ثلثمائة وتسع سنين] وقلت : ويمكن أن يقال : إنه من كلام الله تعالى ، فإن أهل الكتاب كما اختلفوا في عدّتهم اختلفوا في مدّة لبثهم فكما جيء في ذلك المقام بما يرفع الاختلاف، جيء ههنا كذلك، فإن قوله : ﴿ وازدادوا تسعاً ﴾ بيان لنصوصية اللبث وتقرير له، ودفع للاحتمال، ونظيره الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾^(١) وسيجيء بيانه . فقوله : ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ مثل ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ﴾ هناك . وهذا التأويل يرجح قول من قال : إن هذا من كلام الله تعالى . والله أعلم .

قوله : ((وجاء بما دلّ عليه التعجب من إدراكه للمسموعات والمبصرات))^(٢) قال القاضي^(٣) : [والهاء تعود إلى الله ومحله الرفع على الفاعلية، والباء مزيدة عند سيويته، وكان أصله أبصر، أي : صار ذا بصر، ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة، وهو أن ضمير الغائب لا يمكن استثناءه في أمر المخاطب أو لزيادة الباء، كما في قوله : ﴿ وكفى به ﴾^(٤) والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور، وهو كلّ أحد، والباء مزيدة إن كانت الهزمة للتعديّة] وقال صاحب الكشف^(٥) : [وكان القياس إضمار به في الثاني لأن الجار والمجرور في موضع الفاعل، لكن استغنى بذكره في الأول لأنه لا يجوز العطف على عاملين كما فعل في قول الشاعر^(٦) :

**** أَكَلْتُ أَمْرِي تَحْسِينِ أَمْرًا ** وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا ****

✓

(١) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ﴾ قال (ز) : ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض، وخفى فيها من أحوال أهلها، ومن غيرها، وأنه هو وحده العالم به ((وجاء بما دلّ على التعجب من إدراكه المسموعات ... الخ))

(٣) القاضي البيضاوي ٢٢٢/٣ مع زيادة إيضاح .

(٤) سورة النساء الآية ٥٠ أي ﴿ وكفى به إثماً مبيناً ﴾ .

(٥) صاحب الكشف لم أقف عليه فيه .

(٦) الشاعر أبو داود الأيادي، والبيت في ديوانه ٣٥٣ وهو من التقارب . انظر مصادره في معجم شواهد

النحو الشعرية للدكتور حنا جميل حداد ٤١٤ .

أي : وكلّ نار، واستغنى بذكره أولاً عن ذكره ثانياً . الراغب^(١) : ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ يقول فيه تعالى : ذلك من وقف على عجائب حكمته، ولا يقال فيه : ما أبصره وأسمعه، لأن الله تعالى لا يوصف إلا بما ورد به السمع [وقدّر أبو البقاء^(٢) :] [أوقع أيها المخاطب إبصاراً بأمر الكهف، فهو أمر حقيقة] والفاعل مضمّر.

قوله : ((وإنما يقدر على ذلك هو وحده))^(٣) أو ﴿ إذا أنزلنا آية مكان آية ﴾، أراد أن في هذه الآية الدلالة الظاهرة على أن الكتاب لا ينسخ بالسنة^(٤)، لأنه تعالى أمر نبيه صلوات الله عليه بأن يتلو ما أوحى إليه من كتاب الله حين قالوا : ﴿ إئت بقرآن غير هذا أو بدّل ﴾ وأعلمه أن لا تبديل لكلمات الله البتّة، لا يبدّلها هو ولا غيره حيث نفى جنس التبديل وخصّ هذا العامّ بقوله : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ فنفى المقام فيما عداه على أصله، ولهذا أكّد دلالة الحصر في قوله : إنما يقدر على ذلك هو بقوله وحده، ثم أتى بتذييل مؤكّد لذلك المعنى، وهو قوله : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ بلن المؤكدة، قال المصنف^(٥) : تقول لصاحبك : لا أقيم غداً. فإن أنكر عليك قلت : لن أقيم غداً، كما تفعل في أنا مقيم، وإنني مقيم، نزل صلوات الله عليه منزلة من همّ أن له ملجأ يعدل إليه من أمره ونهيه، فقليل له : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ تهيجاً وإلهاباً وإليه الإشارة بقوله : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ تعدل إليه إن هممت بذلك. قال الزجاج^(٦) : [ولن تجد مَعْدِلاً عن أمره ونهيه ولا ملجأ إلا إليه].

(١) الراغب في مفرداته ٢٤٢.

(٢) أبو البقاء في إملائة ١٠١/٢ قال : قال بعضهم : الفاعل مضمّر، والتقدير : (أوقع أيها المخاطب ...

الخ)

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ قال (ز) : لا يقدر أحد على تبديل لكلماته ((وإنما يقدر على ذلك هو وحده)).

(٤) هذا الذي ذكره الطيبي رحمه الله من أن الكتاب لا ينسخ بالسنة، قاله بعض العلماء منهم : أحمد والشافعي، وقال آخرون : إنه يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة، ووقوعه، ومثلوا له بنسخ آية (خمسة رضعات الخ، ونسخ سورة الخلع، وسورة الحفد بالسنة المتواترة . انظر مذكرة الأصول للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ٨٤، وأضواء البيان ٣/٣٣٤

(٥) قال الرمخسري في كتابه المفصل : ((ولن لتأكيد ما تعطيه، لا من نفي المستقبل، تقول : لا أبرح اليوم من مكاني، فإذا وكّدت وشدّدت قلت : لن أبرح اليوم من مكاني)) ٣٦٥.

(٦) الزجاج ٣/٢٨٠.

قوله : ((**** فضربت عارفة ... البيت ****)) (١)

أي : حَبَسْتُ نَفْساً عارفة بأحوال الحرب، الجوهري (٢) : [العارف الصبور] تَرَسُّو : ترسخ وثبت، تَطَّلَعُ : تنقطع عن مكانه . وقيل : ينظر ساعة ويخفى ساعة، كما هو عادة الجبان، يصف صبره وتجلده عند الشدائد، وأن نفسه ثابتة صابرة على المكاره في حال تكون نفس الجبان فيها مضطربة.

قوله : ((وقرئ ﴿ بالغدوة ﴾)) (٣) ابن عامر، والباقون بالغداة. قال أبو البقاء (٤) : [بالغداة أصلها غدوة، فقلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهي نكرة، وتقرأ بالغُدوة، بضم الغين وسكون الدال، وواو بعدها، وقد عرفها بالألف واللام، وأكثر ما تستعمل معرفة علماً] بغير اللام.

قوله : ((**** والزيد زيد المارك ****)) (٥) أوله :

**** وقد كان منهم حاجب وابن أمه ** أبو جندل حاجب ****

هو ابن لقيط بن زرارة، أراد بقوله : زيد المارك شجاعته ذكره شاهداً على صحة الإضافة، وإدخال اللام على تأويل التكثير، وفيه ضعف، لأن العلم إنما وضع لشيء بعينه

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ الكهف الآية ٢٨.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك ﴾ : واحبسها معهم وثبتها. ((قوله : فصبرت)) يشير إلى قول أبي ذؤيب . قال الجوهري : إنه لعنزة، وتامه :

**** فصبرت عارفةً لذلك حُرَّةً ** ترسوا إذا نفسُ الجبان تَطَّلَعُ ****

(٢) الجوهري في صحاحه ١٤٠٢/٤ مادة (عرف).

(٣) قرأ ابن عامر ﴿ بالغُدوة ﴾ بضم الغين وإسكان الدال وقلب الألف واواً، والباقون ﴿ بالغداة ﴾ . السبعة لابن مجاهد ٣٩٠ والإتحاف ٢٨٩.

(٤) أبو البقاء في إملائه ٢٤٣/١ في سورة الأنعام.

(٥) البيت للأخطل، واسمه غياث بن غوث، ويكنى أبا مالك، وكان نصرانياً خبيث الهجاء، والأخطل لقب

غلب عليه، وتام البيت :

**** وقد كان منهم حاجبٌ وابن أمه ** أبو جندل والزيدُ زَيْدُ الماركِ ****

وهو في ديوانه ص ٣٧٩.

غير متناول ما أشبهه، فإذا نكر فقد استعمل على خلاف ما وضع له، ووجهه أنه لما وضع لمسمى ثم وضع لآخر صارت نسبته إلى الجميع نسبة واحدة، فأشبه أن يكون مثل قولك رجل.

قوله : ((عدا طوره))^(١) أي : جاوز حدّه. النهاية^(٢) في حديث سطيح

[** فإن ذا الدهر أطوارٌ دهايرٌ **]^(٣)

الأطوار : الحالات المختلفة والنازلات، والحدود واحدها طورٌ، أي : مرةٌ ملك ومرة هلك ومرة بؤس ومرة نُعم . ومنه حديث النبيذ، حديث النبيذ تعلّى طوره، أي : جاوز حدّه وحاله الذي تخصّه ويحلّ فيه شربه.

قوله : ((إذا اقتحمته)) الجوهرى^(٤) : [أفحمته عيني، أي : أزدرته].

قوله : ((وقرئ : ﴿ ولا تعد عينك ﴾))^(٥) ولا تصرّفهُما . قال ابن جني^(٦) : [هي قراءة الحسن، وهذا منقول من عدت عيناك أي : جاوزتاً، من قولهم : جاء القوم عدا زيدا، أي : جاوز بعضهم زيدا، ثم نقل إلى أعلّيت عيني عن كذا، أي : صرفتها] قوله^(٧) :
((** فعَدَّ عما ترى إذ لا ارتجاع له **)) وتماه :

..... ** وإنما القُتودُ على عَيْرَانَةٍ أُجد **

(نميت) الشيء على الشيء : رفعته عليه، (والقتد) خشب الرحل، وجمعه أقتاد وقتود، (والعيرانة) الناقة، شَبَّهت بالعرير في سرعتها ونشاطها، وناقَة (أجلد) قوية موثقة

(١) تفسير قوله : ﴿ ولا تعد عينك ﴾ قال (ز) : يقال : عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم : ((عدا طوره))،

وجاء في القوم عدا زيدا

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٤١/٣ مادة (طور).

(٣) لم أقف على قائله.

(٤) الجوهرى ٢٠٠٦/٥ مادة (قحم).

(٥) قرأ الحسن ﴿ ولا تعد عينك ﴾ بضم التاء وفتح العين وكسر الدال مشددة.

(٦) ابن جني في المحتسب ٢٧/٢ بلفظه.

(٧) الشاعر النابغة الذبياني. انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشف ٧١٧/٢.

الخلق، يقول فعَدَ هَمَّكَ عما ترى، فإنه قد فات عنك بحيث لا ارتجاع له، أي : انصرف عما ترى من تغَيَّر الدار وما أنت فيه إذا أيقنت أن لا رجعة، وتشاغل بالرحلة.

قوله : ((وحسن شارتهم)) الشارة اللباس والهيئة.

قوله : ((وأفحمته)) الجوهرى (١) : كلمته حتى أفحمته، أي : أبكيت، وأفحمته أي وجدته مفحماً لا يقول الشعر.

قوله : ((جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلاً)) (٢) الانتصاف (٣) : [شَرَّ الزمخشري هارباً من الحق وتجراً على نَفْي ما نسبته الله أتباعاً لهواه].

قوله : ((أو من : أغفل إبله، إذا لم يجعل لها وِسْماً)) الانتصاف : [هذا يمكن مع خلق الغفلة فلا ضرورة إلى صرف اللفظ عن ظاهره].

قوله : ((وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله : ﴿ واتبع هواه ﴾ حيث أسند الاتباع إليهم، وعطف بالواو ولم يرتبه عليه بالفاء، فدلّ على الاستقلال، وأنهم بأنفسهم يتبعون أهواءهم، وليس ﴿ أغفلنا ﴾ سبباً في الاتباع . الانتصاف : [قدم وجهاً نسبة فعل العبد إلى نفسه، لكونه مقروناً بقدرته، وإلى الله لكونه مُوجداً له، فأدلة السنة تتبعه حيث سلك

(١) الجوهرى ٢٠٠٠/٥ مادة (فحم).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ قال (ز) : ((من جعلنا قلبه ... الخ))

(٣) الانتصاف مع الكشاف ٧١٨/٢.

وقد أحسن ابن المنير حيث قال : ومذهب أهل السنة إضافتهم فعل العبد إلى الله تعالى، من حيث إنه مخلوقاً له، وإلى العبد، من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره، ولا تنافي بين الإضافتين.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ من أغفلنا قلبه ﴾ يدلّ على أن ما يعرض للعبد من غفلة ومعصية، إنما هو بمشيئة الله تعالى، إذ لا يقع شيء البتة كائناً ما كان إلا بمشيئته الكونية القدرية جل وعلا ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ الآية ٣٠ من سورة الانسان. وقال تعالى في سورة البقرة الآية ٧ : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾، وقال في سورة الأنعام الآية ٢٥ : وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ﴿ وقال تعالى في مشيئته للخير في سورة السجدة : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ وقال في سورة الأنعام الآية ٣٥ ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن كل شيء من خير وشر لا يقع إلا بمشيئة خالق السموات والأرض، فما يزعمه المعتزلة ويحاول الزمخشري في تفسيره دائماً، تأويل آيات القرآن، على نحو ما يطابقه من استقلال قدرة العبد وإرادته بأفعاله دون مشيئة الله، لا يخفى بطلانه . أضواء البيان ٩٠/٤.

لا محيص له عنها] وقلت : يمكن أن يقال : إن العطف من أسلوب قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله ﴾ (١) على رأي صاحب المفتاح (٢) ، أخبر الله تعالى أنه خلق قلوبهم محتوماً عليها وجعل فيها الغفلة وأخبرهم أنهم اتبعوا أهواءهم، ولم يرتب الثاني على الأول تفويضاً لاستعادته إلى فهم السامع، أو من الإضمار، كما ذهب إليه المصنف في تلك الآية، أي : جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر فضلً واتباع هواه، كما قال : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ﴾ (٣) فَعَمِلًا به وعَلِّمًا الناس وعرفنا حق النعمة ﴿ وقالوا الحمد لله ﴾ .

قوله : ((وقرئ ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾)) قال ابن جني (٤) : [قرأها عمرو بن قائد، يقال : أَغْفَلْتُ الرَّجُلَ، وجدته غافلاً] (٥) .

قوله : ((الحق خبر مبتدأ محذوف)) (٦) أي : هو الحق كذا قدر في آل عمران، والخبر هو العامل في الظرف. فإن قلت : ما دعاه إلى هذا ولم لم يجعل ﴿ من ربكم ﴾ الخبر ؟. ومع ذلك كيف قال : جاء الحق ؟ فإنه ليس بمقتضى التقدير، قلت : دعاه مجيء قوله : ﴿ قل الحق من ربكم ﴾ كالفذلكة (٧) لما ذكر من مفتتح السورة أو جميع ما جاء به صلوات الله عليه، ثم ترتب ما بعده بالفاء عليه، فالضمير المقدّر بمنزلة اسم الإشارة،

(١) سورة النمل الآية ١٥ .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني شارح التلخيص، تقدم

(٣) سورة النمل الآية ١٥ .

(٤) (قرأ من ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾ بفتح اللام وضم الباء، عمرو بن عائد، شواذ القرآن ٧٩ واختسب لابن

جني ٢٩/٢ والبحر المحيط ١٢٠/٦ وزاد، وموسى الأنصاري وعمرو بن عبيد.

(٥) عمرو بن قائد أبو علي الأسواري البصري، روى عنه الحروف حسان بن محمد الضير، ويكر بن نصر

العتار. القراء لابن الجزري ٦٠٢/١ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين ناراً

أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس وساءت مرتفعاً ﴾ ٢٩ قال (ز) : ((الحق خبر ... الخ))

(٧) (الفذلكة) مجمل ما فُصِّل وخلاصته . المعجم الوسيط ٦٧٨/٢ .

ومن ثمَّ قدَّر الواحدي^(١) : [أي : هذا الحق من ربكم، قال الزجاج^(٢) : الذي آتيكم به الحق من ربكم فيكون المعنى : ما جئتمكم به من حديث الكتاب القويم المعرّى عن كلِّ الاعوجاج الظاهر الإعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوى على مكارم الأخلاق المزيح للعلل والأعذار المزيل للريب والشبهات حقٌّ واجب ثابت من الرب المالك الرحيم، ثم رتب عليه وعيدٌ من كابر عقله وعاند ربه ودفع الحق الصراح، ووعد من أذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وعلل ذلك بقوله : ﴿إنا اعتدنا للظالمين نارا﴾ إلى آخر الآيات، ويؤيد هذا التأويل ما ذكره الواحدي^(٣) : قال : قال مجاهد والسدي قوله : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وعيدٌ من الله وإنذار، وقد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر، فقال : ﴿إنا اعتدنا للظالمين نارا﴾ [الآيات] فظهر أن قوله : ﴿جاء الحق﴾ وزاحت العلل تحرير للمعنى وتلخيص له والله اعلم.

قوله : ((وجيء بلفظ الأمر والتخيير^(٤)، لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من التَّجْدِين^(٥))) قال القاضي^(٦) : وهو لا يقتضي [استقلال العبد بفعله، فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئة]. المعنى : لا أباي يآيمان من آمن وكفر من كفر. وقال الزجاج^(٧) : [هذا الكلام ليس بأمر لهم ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون ولكنه كلام فيه وعيد وإنذار].

(١) الواحدي في كتابه الوسيط ١٤٦/٣.

(٢) الزجاج ٣٨١/٣.

(٣) الواحدي في الوسيط ١٤٦/٣.

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

(٥) (التجدين) قال الراغب في مفرداته في قوله : ﴿وهديناه التجدين﴾ : فذلك مثل لطريقي الحق

والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والجميل والقبيح في الأفعال ٤٨٢.

(٦) القاضي البيضاوي ٢٢٣/٣ بلفظه.

(٧) الزجاج ٢٨١/٣.

قوله : ((بالسرادق))^(١) وهو الحجرة. الراغب^(٢) : [فارسيّ معرب وليس في كلامهم اسم مفرد ثالثه ألف وبعده حرفان، قال تعالى : ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ وقيل : مسردق مجعول على هيئة السُرادِق^(٣) .

قوله : ((** فاعتبوا بالصيلم **))^(٤) أوله :

**** غَضِبْتُ قِيمَ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرٌ ** يومِ النَّسَارِ ****

بكسر النون ماء لبني عامر. و(الصَّيْلَم) الداهية والأمر العظيم^(٥) . (أعتبوا) أي: أرضوا جعل الداهية لهم مكان العتاب الذي يجري بين الأحبة.

قوله : ((كعكر الزيت))^(٦) ، الحديث رواه الترمذي^(٧) عن أبي سعيد. النهاية^(٨) : [العكر الدنس والدن].

قوله : ((﴿مرتفقاً﴾ : متكئاً من المرفق)) الجوهرى^(٩) : [يأت مرتفقاً أي : متكئاً على مرفق يده. والمرفق بالكسرة المخدّة].

(١) تفسير قوله : ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ قال (ز) : شبه ما يحيط بهم من النار ((بالسرادق)) .

(٢) المفردات للراغب ٢٣٠ بلفظه . والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي ٩٨ .

(٣) والسرداق في اللغة الفارسية : هو حائط أو حاجز من نسيج غليظ حول خيمة . المرجع السابق .

(٤) القائل : بشر بن أبي حازم الأسدي . وتمام البيت :

**** غَضِبْتُ قِيمَ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرٌ ** يومِ النَّسَارِ فَأُعْثِبُوا بالصَّيْلَمِ ****

(٥) والصيلم يقال للسيف القاطع أيضاً . الجوهرى ١٩٦٧/٥ مادة "صلم" . والنسار : ماء لبني عامر بن

صعصعة. وقيل : هي جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وبين هوازن وسعد بن عمرو بن قيم . انظر معجم البلدان ٢٨٢/٥-٢٨٣ . ومشاهد الانصاف على شواهد الكشف ١٠٥/١ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿كالههل﴾ قال (ز) : هو ما أذيب من جواهر الأرض . وقيل : دَرَدِي الزيت .

(٧) أخرج الترمذي ٦٠٨/٤ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار . الحديث رقم

٢٥٨٤ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿كالههل﴾ كعكر الزيت (فإذا قُرْبَ إليه سقطت فروة وجهه فيه . وقال غريب .

وأحمد في مسنده ٧١/٣ . والطبري ٢٣٩/١٥ . والحاكم ٥٠١/٢ . وابن حبان ٥١٤/١٦ وضعفوه .

(٨) النهاية في غريب الحديث ٢٨٤/٣ مادة (عكر) .

(٩) الجوهرى في صحاحه ١٤٨٢/٤ مادة (رفق) .

قوله : ((وهذا لمشاكلة قوله : ﴿ وحسنت مرتفقاً ﴾))^(١) أراد أن الآية التالية مقابلة لهذه، وهي مفصلة بذكر الارتفاق، فأوجب بموجب المشاكلة المجاوبة بين القرينتين وإن تأخر المتبوع عن التابع، ولولا المشاكلة^(٢) كان إثبات ﴿ مرتفقاً ﴾ للكفار على سبيل التهكم كإثبات ﴿ يغاثوا ﴾ لهم.

قوله : ((إلا أن يكون من قوله)) : أي : هذا من المشاكلة إلا أن يراد معنى قول الشاعر وذلك أن ﴿ مرتفقاً ﴾ وكأن عيني إلى آخره حالان مترادفان. ودلت الثانية على أن الأولى محمولة على غير المتعارف جعل^(٣) بالادعاء أفراد جنس المتكلم نوعين، على نحو قوله^(٤):

** ** تحية بينهم ضرب وجميع **

فالمعنى إن صح أن تكون النار متكاً، فإن المتكأ ذاك.

قوله : [إني أرقّت]^(٥) سهرت (والصاب) شجرة لها لبن، إذا أصاب العين خلبيها. الجوهري^(٦) : [الصاب عصارة شجر مرّ].

قوله : ((وتنكير أساور))^(٧) الراغب^(٨) : [سوار المرأة معرب، وأصله دِسْتَوَارُه، وكيف ما كان فقد استعملته العرب، واشتق منه سَوَّرْتُ الجارية، قال تعالى : ﴿ فلولاً

(١) قال (ز) : ((وهذا لمشاكلة قوله : ﴿ وحسنت مرتفقاً ﴾ في الآية الآتية)) وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكأ إلا أن تكون من باب قوله أبي ذؤيب الهذلي الهذليين ١٠٤/١ :

** إني أرقّت فبت الليل مرتفقاً ** كأن عيني فيها الصاب مذبوح **

(٢) المشاكلة (هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا) الإيضاح ٤٩٣.

(٣) وجعل في ت ، ب

(٤) قول الشاعر : هو عمرو بن معد يكرب . وأوله :

** وخيل قد دلفت لها بخيل ** تحية بينهم ضرب وجميع **

انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشف ٧١٩/٢

(٥) ما بين القوسين س من ت ، ب.

(٦) الجوهري ١٦٦/١ مادة (صوب) . القاموس : شجر مرّ جمع صاب.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً . أولئك

لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾ الآية ٣٠-٣١.

(٨) الراغب في مفرداته ٢٤٧ مادة (سور).

ألقى إليه أسورة من ذهب ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿ وحلّوا أساور من فضة ﴾ ﴿٢﴾ واستعمال أسورة في الذهب وتخصيصها به بقوله : ﴿ ألقى ﴾ واستعمالها في الفضة وتخصيصها به بقوله : ﴿ حلّوا ﴾ فائدة فليتأمل.

قوله : ((عبد الله بن عبد الأشد)) ﴿٣﴾ بالسین المعجمة. وفي الجامع : هو أبو سلمة عبد الله بن الأسد بن هلال المخزومي الأسد، بالشين المهملة. وفي الإستيعاب ﴿٤﴾ : هو زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله : ((مؤزرة بالأشجار)) ﴿٥﴾ الأساس ﴿٦﴾ : [ومن المجاز : الزرع يؤازر بعضه بعضاً، إذا تلاحق والتف وتآزر النبات].

قوله : ((من أمر الشرب)) بيان ما هو أصل الخير الشرب يروى بكسر الشين. الجوهري ﴿٧﴾ : [شرب الماء وغيره شرباً، وقرئ : ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ ﴿٨﴾ بالوجه الثلاثة . قال أبو عبيدة ﴿٩﴾ بالفتح المصدر، وبالضم والكسر اسمان]. وههنا اسم. وهذا المعنى ينظر إلى ما قال في البقرة في قوله : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ ﴿١٠﴾ ولو أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض، وإن كانت أنق

(١) سورة الزخرف الآية ٥٣.

(٢) سورة الإنسان الآية ٢١.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ الآيات ٣٢ إلى ٣٤.

قال (ز) : وقيل : هما مثل لأخوين من بني مخزوم، مؤمن وهو أبو سلمة ((عبد الله بن عبد الأشد)) وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ذلك أيضاً الإصابة ٣٣٥/٢.

(٤) الإستيعاب لابن عبد البر مع الإصابة ٣٣٨/٢ وهو الصواب . وانظر القرطبي ٣٩٩/١٠.

(٥) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وحففناهما بنخل ﴾ أي : جعلنا النخل محيطاً بالجنتين فيجعلوهما ((مؤزرة

بالأشجار المثمرة)).

(٦) الأساس للزمخشري ١٥ مادة (أزر).

(٧) الجوهري ١٥٣/١ مادة (شرب).

(٨) سورة الواقعة الآية ٥٥.

(٩) أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي البصري، مولى بني تميم، من تأليفه المجاز في غريب القرآن والأمثال في

غريب الحديث. ولد سنة ١١٢ هـ ومات سنة ٢٠٩ . بغية الوعاة ٢٩٤/٢.

(١٠) البقرة الآية ٢٥.

شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس حتى يجري فيها الماء، ثم قوله : ((فجعله أفضل ما يسقى به، وهو السيح بالنهر)) إشارة إلى فائدة تخصيص ذكر النهر وأنه تسميمٌ للمعنى، وترتيبه للفائدة المطلوبة.

قوله : ((السيح بالنهر الجاري)) الأساس^(١) : [ساح الماء على وجه الأرض سيحاً وماء سائح، وأساح فلان نهراً : أجراه].

قوله : ((لأن (كلتا) ^(٢) لفظه لفظ مفرد، ولو قيل : آتا على المعنى لجاز)) قال الحريري^(٣) في درة الغواص : [يقولون : كلا الرجلين خرجا وكلتا المرأتين حضرتا، والاختيار أن يوحد الخبر فيهما، لأن كلتا وكلتي اسمان مفردان وضعتا لتأكيد الاثنين والاثنين، وبهذا نطق التنزيل : ﴿ كلتا الجنتين آتا أكلها ﴾ وعليه قول الشاعر^(٤) :

**** كلانا ينادي يا براز وبيننا ** قنأ من قنا الخطي أو من قنا الهندي ****

حيث لم يقل : يناديان. وقال الآخر :

**** كلانا غني عن أخيه حياته ** ونحن إذا متنا أشد تغانيا ****^(٥)

حيث لم يقل : غنيان، فإن وجد في الأشعار تشية الخبر عن كلا وكلتا فهو مما حمل على المعنى أو لضرورة الشعر.

قوله : ((الدثرة)) الأساس^(٦) : [وهو يتدثر بالمال وماله دثر، وذهب أهل الدثور بالأجور] النهاية^(٨) : [الدثر المال الكثير يقع على الواحد والاثنين والجمع].

(١) الأساس للزمخشري ٣١٦ مادة (سيح).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ كلتا الجنتين ﴾ قال (ز) : (كلتا) لفظه ... الخ.

(٣) الحريري : القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري البصري الأديب الكبير، صاحب المقامات الخيرية، سماه مقامات أبي زيد السروجي. ومن كبه درة الغواص في أوهام الخواص المشار لها هنا . طبع بتحقيق أبو الفضل إبراهيم بدار نهضة مصر. ولد سنة ٤٤٦ هـ ومات سنة ٥١٦ هـ. الأعلام ١٧٧/٥ . وفيات الأعيان ١٩/١ .

(٤) لم أقف عليه.

(٥) البيت للمغيرة بن جبناء التميمي. انظر اللسان مادة (غنا).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكان له ثمر ﴾ قال (ز) : أي : أنواع من المال ((الدثرة)) من الذهب والفضة

وغيرهما.

(٧) الأساس ١٨٣ مادة (دثر).

(٨) النهاية ١٠٠/٢ مادة (دثر).

قوله : ((من حار يحور إذا رجع))^(١) الراغب^(٢) : [الحور التردّد إما بالذات أو بالتفكير] قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾^(٣) أي : لن يبعث و حار في الغدير تردد فيه، و حار في أمره تحير، ومنه المحوّر للعود الذي تجري عليه البكرة لتردّده، وبهذا النظر قيل : سِيرُ السواني أبداً لا ينقطع [ومحارة الأذن لظاهره المنقعر تشبيهاً بمحارة الماء لتردّد الهواء بالصوت فيه، كتردد الماء في المحارة والقوم في محو رأي تردّد إلى نقصان . وقيل : نعوذ بالله من الحور بعد الكور^(٤) ، أي : من المتردد في الأمر بعد المضي فيه، أو من نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها . وقيل : حار بعد ما كان، والمحاورة والحوار المرادة في الكلام، ومنه التحاور وكلمته فما رجع إلى حوَار أو حويراً أو محورة والحور جمع أحور وحوراء^(٥) .

قوله : ((معناه ودخل ما هو جنته))^(٦) أي : ما يقال له : إنه جنته. قال القاضي^(٧) : [المراد ما هو جنته وهو ما متّع به من الدنيا تنبيهاً على أنه لا جنّة له غيرها ولا حظّ له في الجنّة التي وعد المتقون] والتعريف فيه للعهد الذهني، وما موصولة منصوبة المحل بـ ((دخل)) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِحَاوِرِهِ ﴾ قال (ز) : يراجعه الكلام ((من حار يحور إذا رجع)) .

(٢) الراغب في مفرداته ١٣٤ مادة (حور) بلفظ : إما بالتراث أو بالفكر .

(٣) سورة الإنشقاق الآية ١٤ .

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في الحج برقم ١٣٤٣ . وابن ماجه ١٢٧٩/٢ . والترمذي في العارضة

١٣/٤ . والنسائي ٢٧٢/٨ من حديث عبد الله بن سرجس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسافراً يقول: اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الأهل والمال .

(٥) ما بين القوسين س من ت ، ب .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُدَّتْ إِلَى رَبِّي لِأَجْدُنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلِبًا ﴾ الكهف الآية ٣٥-٣٦ . تفسير قوله : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ قال (ز) :

فإن قلت : لم أفرد الجنة بعد التوبة ؟ قلت : ((معناه : ودخل ما هو جنته)) ماله جنة غيرها، والتنبيه في قوله : ﴿ كُلَّا الْجَنَّتَيْنِ ﴾ .

(٧) القاضي البيضاوي ٢٢٤/٣ .

قوله : ((ما له جنة غيرها)) الجملة مؤكدة لمعنى الأولى لأنه إذا كان جنس جنته هذا لا يكون له غيرها . قال صاحب الفرائد : [هناك القصد إلى أن له كذا وكذا، فلا بد من ذكر الثنتين، وما كان بينهما وما يضاف إليهما، وههنا القصد إلى أنه قال وقت الدخول ما لا ينبغي له أن يقول، فلا افتقار إلى ذكر الثنية، بل يكفي بما يدل على جنس ما كان له، فالواحد والثنية سواء بهذا الاعتبار. وقال القاضي^(١) : [ويجوز أن تكون الجنتان لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى كجنة واحدة، أو يكون الدخول واحدة واحدة].

قوله : ((وهو ظالم لنفسه)) وهو معجب بما أوتي مفتخر به)) قال صاحب الفرائد : [هو ناقص لنفسه، لأن من كفر النعمة نقص نفسه باعتبار أن^(٢) الكفران يوجب فقدان النعمة ، فكأن نفسه منقوصة أو لأن الكفران مؤدّ إلى الهلاك كقوله : ﴿ ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾^(٣)، وقلت : مراد المصنف أن معنى قوله تعالى : ﴿ ظالم لنفسه ﴾ محمول على معنى الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه، وكان من موجب دخول جنته ونظره أرضاً جامعة للأقوات والفواكة مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، كما وصفه الله تعالى أن يتواضع لله ويشكره على ذلك بما يستطيع من بذل الجهد واستفراغ الطوق، فوضع مكان الشكر والتواضع الإعجاب والافتخار والكفران، فعرض بذلك نفسه لسخط الله، وغاية الهوان والنكال كقوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾^(٤) أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب، أي : وضعتكم التكذيب موضع الشكر^(٥) .

(١) القاضي البيضاوي ٢٢٤/٣ بتصرف قليل.

(٢) في م باعتبار الكفران.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٧.

(٤) سورة الواقعة الآية ٨٢.

(٥) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة فصلت الآية ٥٠ : ﴿ ولئن إذقناه رحمة منا من بعد ضراء مستة

ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾.

قوله : ((في يَبْدُوْدَةِ جَنَّتِهِ))^(١) الجوهرى^(٢) : [باد الشيء يبيد بيدا ويؤوداً : هلك].

قوله : ((وَلئن رددت إلى ربي ﴿﴾ إقسام منه)) أي : اللام موطئة للقسم.

قوله : ((﴿﴾ لأوتين مالاً وولداً ﴿﴾ يريد أن هذا القول يشبه قوله العاص بن وائل حين تقاضاه خَبَاب مالاً له عليه، فقال له : لا حتى تكفر بمحمد. قال : لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين تبعث. قال : فإنني إذا متَ بعثتُ. قلت : نعم. قال : فإذا بعثت جئني فيكون لي ثم مالٌ وولدٌ فأعطيك^(٣) .

قوله : ((وقرئ خيراً منهما))^(٤) نافع وابن عامر.

قوله : ((جعله كافراً بالله))^(٥) أي : جعل صاحبه كافراً بالله بقوله: ﴿﴾ أكفرت ﴿﴾ لأجل شكّه في البعث حيث قال : ﴿﴾ وما أظن الساعة قائمة ﴿﴾ لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله^(٦) وفي كونه عالماً بالحرركات كما يلزم من تكذيب المرسل^(٧) الكفر بالمرسل، وفيه تغليظ إنكار الحشر. قال القاضي^(٨) : [وكذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على ما خلقه منه قدر أن يعيده منه] وقلت : إنما قرن المصنف قوله : ((جاحداً لأنعمه)) بقوله : ((كافراً بالله)) ليؤذن بأن قوله: ﴿﴾ أكفرت

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿﴾ ما أظن أن تبید هذه أبداً ﴿﴾ قال (ز) : إخباره عن نفسه بالشك ((في يَبْدُوْدَةِ جَنَّتِهِ)) لطول أمله واستيلاء الخرص عليه.

(٢) الجوهرى في صحاحه ٤٥٠/٢ مادة (بيد)

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٤٩ والطبري ٩١/١٦ والقرطبي ١٤٥/١١ والوسيط للواحدي ١٩٤/٣ والدر المنثور ٥٣٦/٥ نحوه.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر : ﴿﴾ خيراً منهما ﴿﴾ على التثنية، وعود الضمير إلى الجنتين، وعليه مصاحفهم، ووافقهم ابن محبصن، والباقون على الإفراد : ﴿﴾ خيراً منها ﴿﴾ وعود الضمير إلى الجنة المدخولة، وهي واحدة، وعليه مصاحف الكوفة والبصرة . الإتحاف ٢٩٠.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿﴾ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴿﴾ الكهف الآية ٣٧.

(٦) في قدرة الله في م.

(٧) الرسل في م.

(٨) القاضي البيضاوي ٢٢٥/٣.

بالذي خلقك ﴿﴾ ردّ لقوله : ﴿﴾ وما أظن الساعة قائمة ﴿﴾ ولدخوله ظالمًا لنفسه واضعاً موضع الشكر الافتخار والإعجاب كما سبق، فجعل أكفّرت متسعملاً في الكفر بالله وكفران النعمة لكونهما متوافقين كقوله تعالى : ﴿﴾ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴿﴾ (١) أو في المقدّر المشترك (٢) والتغطية، فكما أن كافر النعمة يحاول في ستر ما يوجب الإشادة والظهور من النعم، كذلك الكافر يزاول في لبس الحقّ بالباطل. وقوله: ((لشكّه في البعث)) يجوز أن يكون تعليلاً لجعله كافراً بالله، وأن يكون له ولقوله جاحداً لأنعمه، لأن في الإعادة نعمة للمؤمنين، وأي نعمة ليست فوقها نعمة.

قوله : ((﴿﴾ لكنّا هو الله ربي ﴿﴾ أصله لكن أنا (٣) . قال صاحب التيسير (٤) : [قرأ ابن عامر ﴿﴾ لكنّا ﴿﴾ يثبت الألف في الوصل، والباقون بحذفها فيه، وإثباتها في الوقف اجماع] وقال ابن جني (٥) : [قرأ أبي بن كعب والحسن ﴿﴾ لكنّ أنا ﴿﴾ وهي أصل قراءة أبي عمرو وغيره، ﴿﴾ لكنّا هو الله ربي ﴿﴾ فخففت همزة (أنا) بأن حذفتم وألقيتم حركتها على ما قبلها فصارت (لكننّا) ثم التقت النونان متحركتين فأسكنت الأولى وأدغمت في الثانية فصارت ﴿﴾ لكنّ ﴿﴾ في الإدراج، فإذا وقفت ألحقت الألف لبيان الحركة، فقلت ﴿﴾ لكنّا ﴿﴾ فـ (أنا) على هذا مرفوع بالابتداء، وخبره الجملة، وهي مركبة من مبتدأ وخبر، فالمبتدأ (٦) (الله) والخبر (ربي) والجملة خبرها (هو)، و (هو) وما بعده من الجملة خبر عن (أنا) والعائد عليه من الجملة بعده الياء في (ربي) كقولك : أنا قام غلامي. فإن قلت : فما العائد على (هو) من الجملة بعده التي هي خبر عنه ؟ قلت : لا عائد على المبتدأ أبداً إذا كان ضمير الشأن والقصة، لأن المبتدأ إنما احتاج إلى العائد من الخبر إذا

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦.

(٢) المشترك (وهو الستر) في ت وهو الصواب.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿﴾ لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً ﴿﴾.

(٤) التيسير لأبي عمرو الداني في القراءات السبع ١٤٣.

(٥) ابن جني في المختص ٢٩/٢.

(٦) في الأصل - أعني المختص لابن جني - [فالمبتدأ (هو) وهو ضمير الشأن والحديث . والجملة بعده خبر عنه، وهي مركبة من مبتدأ وخبر] فالمبتدأ (الله) ففي بعض نسخ المختص ما بين القوسين س، وهو الذي درج عليه الطيبي رحمه الله . أفاده المعلق.

كانت جملة لأنها ليست هي المبتدأ، نحو زيد قائم أبوه، لأن (زيداً) ليس بقولك : (قائم أبوه) في المعنى فأحتاجت إلى عود ضمير منها عليه ليلتبس ذلك الضمير بجملة . وأما ما نحن بصددده فهو الجملة نفسها نفسها.

قوله : ((** وترميني بالطرف ... البيت^(١) تقليني)) أي تبغضيني . قيل : لكن وجهه أن يكون أصله (لكنه إياك) على أن الضمير للشأن، ثم حذف . ولو قيل : إن الأصل (لكنني إياك)، ثم حذف اسم (لكن) وهو ضمير المتكلم مع نون الوقاية لكان وجيهاً .
قوله : ((وترميني بالطرف)) الأساس^(٢) : [ومن المجاز : رماه بعينه ورماه بالفاحشة].

قوله : أي لكن أنا لا أقليك^(٣) . يريد أن إياك ليس منصوباً لكن وهو ضمير مفعول قدّم على عامله، إما للإختصاص أو القافية.

قوله : ((وقرئ ﴿ لكن هو الله ربي ﴾)) قال ابن جني^(٤) : قراءة عيسى الثقفي^(٥)، وهو ضمير الشأن، والجملة بعده خبر عنه.

قوله : ((أنت كافر بالله لكني مؤمن مؤحد)) هذا تلخيص الكلامين المتغايرين لتصحيح إدخال (لكن) بينهما، وأما اعتبار مفردات التركيب فمفوّض إلى الذهن، فقوله : ﴿ الذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴾ مقابل لقوله هو الله الذي^(٦) ربّي، وقوله : ﴿ أكفرت ﴾ مقابل لقوله : ﴿ ولا أشرك برّبّي أحداً ﴾ دلّ هذا على التوحيد الصّرف والإخلاص التام.

(١) ونغامه :

** وترميني بالطرف أي أنت مُدنبٌ ** وتقليني لكن إياك لا أقلني **

انظر مشاهد الانصاف على مشاهد الكشاف ٧٢٢/٢.

(٢) الأساس للزمخشري ٢٥٤ مادة (رمى)

(٣) أي : لا أبغضك، ومنه قوله في سورة الضحى الآية ٣ : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ وقوله في سورة

الشعراء الآية ١٦٨ : ﴿ إني لعملكم من القالين ﴾.

(٤) ابن جني في المحتسب ٢٩/٢.

(٥) عيسى الثقفي، هو عيسى بن مروان الثقفي النحوي البصري، مؤلف الجامع والإكمال . مات سنة

١٤٩ . طبقات القراء لابن الجزي ٦١٣/١.

(٦) (الذي) س من ت ، ب.

قوله : ((أو شرطية منصوبة الموضع))^(١) قال أبو البقاء^(٢) : [هي شرطية في موضع نصب بـ (شاء) والجواب محذوف، أي : ما شاء الله كان].

قوله : ((ونظيرها)) أي نظير ما الشرطية في حذف الجواب لفظة (لو) في تلك الآية^(٣) فنظيرها مبتدأ والخبر (لو).

قوله : ((والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب))^(٤) قال صاحب الفرائد : [هو مصدر بمعنى اسم المفعول، أي : شيئاً مما يعدّ، أي : يدخل في الحساب ويعتدّ به، من أنواع العذاب المرتبة على (الكفر)^(٥) المتوقع أن يقع بسبب الكفر. الراغب^(٦) : [حسباناً ناراً وعذاباً، وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه ، فيجازى بحسبه].

قوله : ((يزلق عليها للامستها))^(٧) الراغب^(٨) : [الزلق والزلل متقاربان. قال تعالى : ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ أي : دحضاً لا نبات فيه، كقوله تعالى : ﴿ فتركه صليداً ﴾^(٩) يقال : زلقه وأزلقه فزلق، قال تعالى : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك ﴾^(١٠) وذلك كقول الشاعر :

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن إنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً ﴾ الكهف الآية ٣٩-٤٠ .
قال (ز) في إعراب قوله : ﴿ ما شاء الله ﴾ : يجوز أن تكون (ما) موصولة، خبر مبتدأ محذوف ((أو شرطية ... الخ)) .

(٢) أبو البقاء في إملاته ١٠٣/٢ مع ذكره الإعرابين، الابتداء والشرطية.

(٣) يعني قوله تعالى في سورة الرعد الآية ٣١ : ﴿ ولو أن قرآناً سرت به الجبال ... الآية ﴾ .

(٤) تفسير قوله : ﴿ حسباناً من السماء ﴾

(٥) الأمر في م.

(٦) الراغب في مفرداته ١١٦ مادة (حسب).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ صعيداً زلقاً ﴾ قال (ز) : أرضاً بيضاء ((يزلق عليها للامستها)) .

(٨) الراغب في مفرداته ٢١٥ مادة (زلق).

(٩) سورة البقرة الآية ٢٦٤ .

(١٠) سورة القلم الآية ٥١ .

**** ** نظراً يُزيل مواطئ الأقدام **^(١)**

قال يونس : لم يسمع الزلق والإزلاق إلا في القرآن، وروى أن أبي بن كعب قرأ : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴾^(٢) أي : أهلكنا[.

قوله : ((ظهرأ لبطن))^(٣) الأساس^(٤) : [قَلَبْتُ الأَمْرَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ] قال عمر بن ربيعة^(٥) :

**** وضرَبنا الحديثَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ** وأتينا من أمرنا ما اشتَهِينا ****

نصب (ظهراً لبطن) على أنه مفعول مطلق، أي : يقلب كَفْيَه تقلبياً.

قوله : ((ولم يكن بالياء والتاء))^(٦) حمزة والكسائي بالياء التحتاني، والباقون بالتاء.

قوله : ((وحمل ﴾ ينصرونه ﴾ على المعنى)) لأن الفئة ناس وجماعة، ولو كان ﴿ تنصرونه ﴾ بالتاء الفوقانية لكان حملاً على اللفظ، والاستشهاد بقوله : ﴿ فئة تقاتل ﴾^(٧) بالتاء الفوقانية، لأجل الحمل على اللفظ.

(١) وقامه :

**** يتقارضون إذا التقوا في موطن ** نظراً يُزيل مواطئ الأقدام ****

ولم أحتد إلى قائله، وهو في اللسان مادة (زلق) والموازنة للآمدي ٣٨.

(٢) قرأ بها أبي وابن عباس . شواذ القرآن ١٠٧.

(٣) تفسير قوله : ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول باليتني لم أشرك بربي أحداً . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ﴾ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ يقلب كفيه ﴾ : وتقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر، لأن النادم يقلب كفيه ((ظهرأ لبطن)) .

(٤) الأساس للزمخشري ٥١٨ مادة (قلب).

(٥) عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب، أرق شعراء عصره. من طبقة جرير والفرزدق، ولد ليلة مات عمر بن الخطاب، مات سنة ٩٣ . الأغاني ٦١/١.

(٦) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ ولم يكن ﴾ بالياء على التذكير، لأن تأنيث (فئة) مجازي، ووافقهم الأعمش. والباقون بالتاء على التأنيث . الإتحاف ٢٩٠.

(٧) سورة آل عمران الآية ١٣.

قوله : ((معناه يقدرّون على نصرته))^(١) قال صاحب الفرائد : [وضع ينصرون موضع يقدرّون، وضع الملزوم موضع اللازم، وهو من باب المجاز. وترك الحقيقة إلى المجاز لا يجوز إلا بقرينة، وهو ههنا ﴿من دون الله﴾ لأن حاصل من دون الله : إلا الله، فكأنه قيل : لا ينصره أحد إلا الله، وهو كقولك : لم ينصرني أحد من دون زيد، يفهم منه أن زيداً ينصرك، ولما لم ينصره الله علم أن المراد من النصرة القدرة عليه. وقلت : نظيره قوله تعالى : ﴿إنا كنا فاعلين﴾^(٢) أي : قادرين.

وقوله : ((﴿إذا قرأت القرآن فاستعذ﴾^(٣) أي : إذا أردت القراءة فاستعذ لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل تارة وأخرى بإرادته، فهو من إطلاق المسبب على السبب.

قوله : ((وهو استيجابه أن يخذل))^(٤) معناه : أنه تعالى أوجب على نفسه خذلانه، بناء على مذهبه، اللهم إلا أن يقال : الإيجاب بمعنى الوعد، وفيه دليل أن قوله : ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ لم تصدر عنه توبة وندماً، نعم يجوز أن يقال : إن تلك التوبة كانت عنده مشاهدة اليأس.

قوله : ((وقد قرئ بهما))^(٥) بالكسرة حمزة والكسائي، والباقون بالفتح.

قوله : ((يعني أن قوله : ﴿يا ليتني﴾ كلمة أُلجئ إليها، فقأها، تلخيص لما حصل من تفسيره لقوله : ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً﴾ وجعل قوله : ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ تقديرأ له، بعد سبق ذكر قوله تعالى : ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ يعني : لما رأى ألا ناصر هناك إلا الله، وهو قد خذله، قأها جزعاً مما

(١) تفسير قوله : ﴿ينصرونه من دون الله﴾ قال (ز) : ((معناه ... الخ))

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٧.

(٣) سورة النحل الآية ٩٨.

(٤) هذا بناء على مذهبه الاعتزالي، وأهل السنة لا يرون الوجوب على الله، وإنما يفعل لعباده تكراً منه، لا إيجاباً عليه.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ هو خير ثواباً وخير عقاباً ﴿الكهف الآية ٤٤﴾. قال (ز) :

﴿الولاية﴾ بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك ((وقرئ بهما)) .

قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿الولاية﴾ بكسر الواو. والباقون بالفتح. الإنحاف ٢٩٠.

دهاء، وهذا مؤذن بأن قوله : ﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ﴾ إلى قوله : ﴿ هنالك الولاية ﴾ إما حال من فاعل يقول أو عطف على يقول، وإيذان بمحصول مضمون الجملتين، وبعث للسامع على التفكر واستنباط الرتب بينهما، ويجوز أن يتعلق قوله : يعني بالوجه الأخير والظاهر أنه متعلق بالوجوه الثلاثة المبنية على معنى الولاية من النصر والتولي والسلطان والملك على سبيل اللف والنشر، فلما فرغ من ذلك أتى بما يجمعها من المعنى، يعني إنما قال ذلك الخاسر النادم^(١) : ﴿ ياليتني لم أشرك بربي أحداً ﴾ لما رأى ألا ناصر أولاً متولياً أو لا مانع له هنالك. الراغب^(٢) : [الولي كون الشيء بمنزلة الآخر، ويعتبر ذلك تارة بالمكان، فيقال : له الولاية، وتارة بالنصرة، فيقال : له الولاية والموالات، لكن الولاء على ضربين : ضرب باعتبار نسبة الأعلى إلى الأسفل، وضرب باعتبار نسبة الأسفل إلى الأعلى، ولهذا يقال للخادم والمخدوم : مولى وولي، لأن كل واحد منهما موالي الآخر، الخادم بالطاعة والنصيحة، والمخدوم بالإشفاق والكفاية . وقال أهل اللغة : المولى المالك والمملوك والمعْتَقُ والمعتَقُ والناصر والمنصور وابن العم والحليف والجار والقيم، فاعتبروا في كل ذلك المتضايقين لكون كل واحد منهما [موالياً للآخر بوجه]^(٣) .

قوله : ((ويجوز أن يكون المعنى)) هذا معنى آخر متفرع على معنى الولاية إذا كانت بمعنى النصر، من قولك : انتصر منه إذا انتقم منه، ويؤيد بهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾^(٤) وذلك أن صاحبه لما افتخر وتعزز عليه بالمال والبنين وكفر بالله وبالبعث، وأجابه بما أجاب، ثم ختم بقوله : ﴿ فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء ﴾ صدق الله قوله بأن أحاط بثمره وتركه مخذولاً مقهوراً، وشفى صدره. والتشفي من أعداء الدين خير من الخيرات، وموهبة من المواهب، فيكون موقع ﴿ هنالك الولاية لله ﴾ مما سبق، موقع قوله :

(١) الدامر في ت وب.

(٢) الراغب في مفرداته ٥٣٣ مادة (ولي) باختصار وتصرف.

(٣) ما بين القوسين س من م.

(٤) سورة الكهف الآية ٤٤.

﴿والحمد لله رب العالمين﴾^(١) من قوله : ﴿فقطّع دابر القوم الذين ظلموا﴾ فهما كالتذييلان، لأن معناهما يلتقيان في التشفي من أعداء^(٢) الدين، ولذلك قال هناك : هو إيدان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجلّ النعم وأجزل القسم. وقال هنا ﴿هنالك الولاية لله﴾ ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة ويتنقم لهم ويشفي صدورهم.

قوله : ((وقرئ ﴿الحق﴾ بالرفع والجر أبو عمرو والكسائي بالرفع. والباقون بالجر.

قوله : ((وكان عمرو بن عبيد^(٣) من أفصح الناس وأنصحهم))^(٤) الانتصاف^(٥) : [قد تقدم الإنكار عليه في ذكر ما يوهّم أن القراءة موكولة إلى رأي الفصحاء، ولا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه ورواه متصلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم مخبراً عن إنزاله من السماء، فلا وجه لفصاحة الفصيح، ولكن الزمخشري لا يُقوّت الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة عمرو بن عبيد فإنه من كبار المعتزلة] ذكر الإمام مسلم^(٦) بن الحجاج في صحيحه : [أن سلام بن أبي مطيع^(٧) يقول : بلغ أيوب^(٨) أني آتي عمرو بن عبيد، فأقبل

(١) سورة الزمر الآية ٥٧.

(٢) عند أعداء في ت.

(٣) قرأ ﴿الحق﴾ بالرفع أبو عمرو والكسائي ووافقهم الزبيدي، إما صفة (للولاية) أو خير مبتدأ محذوف، والباقون بالجر صفة (لله) . الإتحاف ٢٩٠.

(٤) عمرو بن عبيد القدري كبير المعتزلة، الزاهد، أخذ عن أبي العالبة والحسن البصري وعنه ابن عيينه، ويحيى بن سعيد القطان. قال النسائي : ليس بثقة. قال ابن علية : أول من تكلم في الاعتزال . واغتر بعض الناس بزهده، مات سنة ١٤٤ هـ . سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦.

(٥) يشير إلى قول (ز) حيث قال : وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب لقوله : ﴿الحق﴾ على التأكيد.

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٧٢٥/٢.

(٧) مسلم في صحيحه المقدمة ٢٣/١ باب بيان أن الإسناد من الدين الخ.

(٨) سلام بن أبي مطيع الإمام الثقة القدوة، أبو سعيد الخراعي البصري، روى عن قتادة. وعنه ابن المبارك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٢٨/٧ . خرّج له البخاري ومسلم.

(٩) أيوب بن أبي تيممة أبو بكر السخيتاني البصري، من سادات أهل البصرة فقهياً وعلمياً وفضلاً وورعاً انظر ترجمته في رجال صحيح مسلم ٦٢/١.

عليّ يوماً فقال : أرأيت رجلاً لا تأمنه على دينه، كيف تأمنه على الحديث ؟[قال الشيخ محي الدين في شرحه^(١) : [أما عمرو بن عبيد فهو القدري المعتزلي الذي كان صاحب الحسن البصري] قال مسلم^(٢) : أيضاً كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث. قال : قيل لأيوب : إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن قال : لا يجلد السكران من النبيذ. فقال : كذب. أنا سمعت الحسن يقول : يجلد السكران من النبيذ].

قوله ((وقرئ ﴿عُقْبَا﴾ بضم القاف))^(٣) عاصم وحمة بالإسكان، والباقون بالضم. الراغب^(٤) : [العقب : مؤخر الرجل. وقيل : عَقَبٌ وجمعه أعقاب، واستعير العقب للولد . ولولد الولد، ورجع على عقبه إذا انتى راجعاً وانقلب على عقبه، نحو رجع على حافرتة ونحو : ﴿ارتدّا على آثارهما﴾^(٥) وعقبه إذا تلاه نحو دبره. وقفاه والعُقْبُ والعُقْبَى يختصان بالثواب نحو : ﴿هو خير ثواباً وخيراً عقباً﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾^(٧) ﴿فنعلم عقبى الدار﴾^(٨) ، والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب نحو : ﴿والعاقبة للمتقين﴾^(٩) وبالإضافة قد يستعمل في العقوبة كقوله تعالى : ﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار﴾^(١٠) فيصح أن يكون ذلك استعارة من ضده كقوله تعالى : ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾^(١١) والعقوبة والعقاب والمعاقبة يختص بالعذاب].

(١) المراد بالشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم ١٠٩/١.

(٢) المرجع السابق ١٠٨/١-١١٠.

(٣) قرأ ﴿عُقْبَا﴾ بسكون القاف عاصم وحمة وخلف . وضمها الباقيون . الإتحاف ٢٩١.

(٤) الراغب في مفرداته ٣٤٠ مادة (عقب).

(٥) سورة الكهف الآية ٦٤.

(٦) سورة الكهف الآية ٤٤.

(٧) سورة الرعد الآية ٢٢.

(٨) سورة الرعد الآية ٢٤.

(٩) سورة القصص الآية ٨٣.

(١٠) سورة الحشر الآية ١٧.

(١١) سورة آل عمران الآية ٢١.

قوله : ((نَجَعَ فِي النَّبَاتِ))^(١) الأساس^(٢) : [نَجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ نَفْعُهُ، وَمَاءٌ نَجُوعٌ غَيْرٌ].
 قوله : ((وَرَفٌّ رَفِيفاً)) الأساس^(٣) : [رَفَّ النَّبَاتُ يَرْفُ وَلَهُ وَرِيفٌ وَرَفِيفٌ، وَهُوَ أَنْ يَهْتَزَّ نَضَارَةً وَتَلَأُلُوا].

قوله : ((وَوَجْهَ صَحَّتِهِ أَنْ كُلَّ مُحْتَطِلَيْنِ مُوصُوفٍ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصِفَةِ صَاحِبِهِ .
 قَالَ صَاحِبُ الْفَرَائِدِ : [حَقَّ اللَّفْظُ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّ النَّبَاتَ هُوَ الْمُحْتَطِلُ، لِأَنَّ
 الْفَعْلَ مِنْ جِهَتِهِ إِذْ هُوَ الْجَازِبُ لِلْمَاءِ، وَلَا فَعْلَ مِنْ جِهَةِ الْمَاءِ يَعْرِفُ بِالتَّأَمُّلِ فَيَقَالُ : إِنَّ
 الْمُصَنَّفَ فِي صَدَدِ تَأْوِيلِ قَوْلِ الْقَائِلِ : نَجَعَ فِي النَّبَاتِ الْمَاءَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : هَذَا عَلَى التَّفْسِيرِ،
 وَلِلْمَاءِ أَيْضاً فَعْلٌ لِسِرْيَانِهِ فِي النَّامِيِّ لِلطَّافَةِ فَعْلٌ^(٤)، وَلَا نَسْلَمُ أَنْ نَفْسَ الْجَذْبِ الْإِخْتِلَاطُ،
 لِأَنَّ الْإِخْتِلَاطَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ . فَإِنْ قُلْتُ : الْمَاءُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّمَا يَخْلُطُ الْأَرْضَ وَأَصْلُ
 النَّبَاتِ، لَا النَّبَاتِ، لِأَنَّهُ يَنْبَتُ بِهِ جُزْءاً مِنْهُ . قُلْتُ : لِلْمَاءِ مَعَ النَّامِيِّ أَطْوَارٌ . فَنَحْنُ الطُّورُ
 الْأَوَّلُ يَخْلُطُ الْأَرْضَ وَأَصْلُ النَّبَاتِ، ثُمَّ يَخْتَلِطُ بِالنَّبَاتِ فَيَصْبِحُ مُحْضَرّاً رَفِيفاً، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ
 الْمُصَنَّفُ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْهُ الْحَبَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى امْتِنَاناً : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ... الْآيَةُ ﴾^(٥)
 وَالَّذِي لَهُ سَوْقُ الْكَلَامِ، هُوَ الطُّورُ الثَّانِي، لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهِ حَيَاةِ الدُّنْيَا فِي حُسْنِهَا
 وَبِهَجَّتِهَا فِي بَدْءِ الْأَمْرِ بِاخْضِرَارِ النَّبَاتِ وَغَضَارَتِهَا^(٦) وَأَخَذَ الْأَرْضَ زَخْرَفَهَا وَزَيَّنَتْهَا، ثُمَّ
 اسْتَصْلَاهَا فِي الْعَاقِبَةِ، فَلَا يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ الطُّورُ الْأَوَّلُ وَلَا الثَّالِثُ، وَالتَّشْبِيهُ مُحْتَصَرٌّ مِمَّا فِي
 سُورَةِ يُونُسَ : ﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴾^(٧) الرَّاعِبُ^(٨) : [الْخِلْطُ هُوَ
 الْجَمْعُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ فِصَاعِدًا، سِوَاءَ كَانَا مَائِعِينَ أَوْ جَامِدِينَ أَوْ مُخْتَلِفِينَ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ

(١) تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ قَالَ (ز) : ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ فَالْتَفَتْ بِسَبَبِهِ وَتَكَاثَفَ حَتَّى خَالَطَ بَعْضُهُ بَعْضًا ((وَقِيلَ نَجَعَ فِي النَّبَاتِ)) الْمَاءُ فَاخْتَلَطَ بِهِ حَتَّى رَوَى ((وَرَفٌّ رَفِيفًا)) .

(٢) الْأَسَاسُ لِلزَّمْخَشَرِيِّ ٦٢٠ مَادَّةُ (نَجَعَ).

(٣) الْأَسَاسُ ٢٦٢ مَادَّةُ (رَفَفَ).

(٤) (فَعْلٌ) س مِنْ ت، ب وَهُوَ الصَّوَابُ، إِذْ لَا مَعْنَى لَهُ.

(٥) سُورَةُ الْأَنْعَامِ الْآيَةُ ٩٩.

(٦) وَغَضَارَتِهِ فِي م وَهُوَ الصَّوَابُ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعَ لِلنَّبَاتِ.

(٧) سُورَةُ يُونُسَ الْآيَةُ ٢٤.

(٨) الرَّاعِبُ فِي مَفْرَدَاتِهِ ١٥٥ مَادَّةُ (خِلْطٌ) مَعَ تَصْرِفٍ

المرج، ويقال : اختلط الشيء. قال تعالى : ﴿ فاختلط به نبات الأرض ﴾^(١) ويقال للصديق والمجاور والشريك : خليط، والخليط يقال للواحد والجمع، ويقال : أخلط فلان في كلامه إذا صار ذا تخليط فيه، وأخلط الفرس في جريه كذلك، وهو كناية عن تقصيره فيه].

قوله : ((وقرئ ﴿ تذروه الرياح ﴾))^(٢) حمزة والكسائي.

قوله : ((وارفاً))^(٣) الأساس^(٤) : [ورَفَ النبات وَرِيفاً، فهو وارف له بهجة من الرِّي].

قوله : ((ثم يهيج)) الجوهرى^(٥) : [هاج النبات هياجاً أي : يبس].

قوله : ((وتَفَنَّى عنه كل ما يطمح إليه))^(٦) قيل : هو حال، والظاهر العطف على تبقى لمحيء الواو في المضارع المثبت، أي : تبقى ثمرتها له، ويفنى غيرها عنه وكل ما يطمح إليه كأنه عرف الباقيات بالصفة الكاشفة، أي هي أعمال يبقى ثوابها للإنسان بعد فناء كل ما رجا منه الحظوظ، لأن البقية تقتضي ما يفضل عنه، كقوله تعالى : ﴿ بقية الله خير لكم ﴾^(٧) قال : ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم، خير لكم.

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

(٢) قرأ : ﴿ تذروه الرياح ﴾ بالتوحيد حمزة والكسائي وخلف، والباقون بالجمع . الإنحاف ٢٩١.

(٣) قال (ز) : شبه حال الدنيا في نضارتها وبهجتها، وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر ((وارفاً ثم يهيج)) فتطيره الرياح كأن لم يكن.

(٤) الأساس ٦٧٢ مادة (ورف).

(٥) الجوهرى في صحاحه ٣٥٢/١ مادة (هيج).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ الكهف الآية ٤٦.

قال (ز) في تفسير : ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ : أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان ((ويفنى عنه كل ما تطمح إليه)) نفسه من حظوظ الدنيا.

(٧) سورة هود الآية ٨٦.

وقريب منه ما روينا عن مسلم^(١) والترمذي والنسائي عن عبد الله بن الشخير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقول ابن آدم : مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفנית أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) أي : فأبقيت.

قوله : ((وقيل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر))^(٢) روى أحمد^(٣) بن حنبل في مسنده عن النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هُنَّ الباقيات الصالحات، ونحوه رواه مالك بن انس^(٤) عن ابن المسيب. أقول والعلم عند الله تعالى : لعله صلوات الله عليه خص هذه الكلمات بالباقيات الصالحات لكونها جامعات للامهات، فالتسبيح تقديس لذاته عما لا يليق بجلاله وتنزيه لصفاته من^(٥) النقائص . والتحميد مشتمل على معنى الفضل والإفضال المؤذنان بالصفات الذاتية والإضافية بعد السلبية . والتهليل توحيد الذات ونفي الضد والند، وتنبيه على التبرئ عن الحول والقوة إلا به . والتكبير اعتراف بالقصور في الأفعال والأقوال، قال : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وفي هذا التدرج (لمعة)^(٦) من معنى العروج للسالك العارف، وهذه الأسرار وردت عن الصادق المصدوق : لقيت ليلة أسري بي إبراهيم فقال : يا محمد : اقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. أخرجه الترمذي^(٧) عن ابن مسعود . ثم أنه سبحانه وتعالى قابل بالباقيات الصالحات، الفانيات الزائلات، أعني ﴿واضرب لهم مثل﴾

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٧٢/٤ كتاب الزهد والرقائق برقم ٢٩٥٨ . والترمذي ٤٩٤/٤ كتاب الزهد، باب ٣١ برقم ٢٣٤٢ ، ٣٣٥٤ . والنسائي ٢٣٨/٦ . وأحمد في مسنده ٢٦،٢٤/٤ . والحاكم ٥٣٤/٢ ، ٣٢٢/٤ . والبغوي برقم ٤٠٥٥ .

(٢) تفسير قوله : ﴿والباقيات الصالحات﴾ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٦/٤ من حديث النعمان بن بشير . وأيضاً من حديث عثمان بن عفان.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١٦٦/١٥ وانظر ابن كثير ١٥٨/٥ .

(٥) عن في م .

(٦) نحة في م وهو الصواب.

(٧) أخرجه الترمذي ٤٧٦/٥ كتاب الدعوات، باب ٥٩ رقم ٣٤٦٢ .

الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ... الآية ﴿١﴾ وخص منها ما (هو العمدة فيها) ﴿٢﴾ وتحصل منه تزيين المجالس والتفاخر في المحافل بالمال والبنين، ألا ترى إلى أحد الرجلين في القصة السابقة وقوله : ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ وفيه تلويح إلى بيان النظم، فإن قوله : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ... الآية ﴾ ينظر إلى قوله : ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ إلى قوله : ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ [في معنى اجتماعهما على الابتداء المبهج والانتهاء المثمر للجنة] ﴿٣﴾ وكذا ما قبل به هذه (الآية) ﴿٤﴾ من الباقيات الصالحات خبر مقارب لما قبل به تلك الآية بقوله : ﴿ لكنّا هو الله ربّي ولا أشرك برّبّي أحداً ﴾ وقوله : ﴿ فعسى ربّي أن يؤتيني خيراً من جنتك ﴾.

قوله : ((وقرئ : ﴿ نُسِيرُ ﴾ ﴿٥﴾ من سيرت)) ﴿٦﴾ قرأ الكوفيون ونافع ﴿ نُسِيرُ ﴾ بضم النون وكسر الياء، و ﴿ الجبال ﴾ بالنصب، والباقون بالتاء وفتح الياء ورفع ﴿ الجبال ﴾ . و ﴿ تسير ﴾ بفتح التاء شاذة ﴿٧﴾ .

قوله : ((﴿ وحشرناهم ﴾ وجمعناهم إلى الموقف)) الراغب ﴿٨﴾ : [الحشر : إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ورؤي النساء ﴿٩﴾ لا يُحْشَرْنَ، أي :

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

(٢) ما بين القوسين س من م.

(٣) ما بين القوسين س من م.

(٤) ما بين القوسين س من ت.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر : ﴿ نُسِيرُ الجبال ﴾ بالبناء للمفعول، و ﴿ الجبال ﴾ نائب فاعل . والكوفيون ونافع ﴿ نُسِيرُ ﴾ بنون العظمة، مضمومة، وفتح السين وكسر الياء مشددة، و ﴿ الجبال ﴾ بالنصب، مفعول به. الإتحاف ٢٩١.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً . وعرضوا على ربك صفّاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾ الكهف الآية ٤٨.

(٧) وعن ابن محيصن ﴿ تسير ﴾ بفتح التاء وكسر السين وسكون الياء، ورفع ﴿ الجبال ﴾ . المرجع

السابق.

(٨) الراغب في مفرداته ١١٩ مادة (حشر) بتصرف.

(٩) في النهاية : وحديث (النساء لا يعشرون ولا يحشرون) يعني للغزاة. انظر مادة (حشر) ٣٨٩/١.

لا يخرجن إلى الغزو، ولا يقال : الحشر إلا في الجماعة، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ وسمي يوم القيامة يوم الحشر، كما سمي يوم البعث ويوم النشر.

قوله : ((وقرئ : ﴿ فلم يغادر ﴾ بالنون))^(١) الجماعة كلهم، وبالياء شاذ. الراغب^(٢) : [الغدر : الإخلال بالشيء وتركه، والغدر يقال : لترك العهد، ومنه قيل : فلان غادر، وجمعه غَدْرَةٌ، وغَدَّار كثير الغدر وأغدر، واستعذر الغدير : صار فيه الماء، والغدير : الشَّعْرُ الذي ترك حتى طال، وجمعها غدائر . وجمع غدير الماء : غُدُرٌ وغُدْرَانٌ، وغدرت الشاة : تخلفت فهي غَدِرَةٌ].

قوله : ((﴿ صفّاً ﴾ مصطفين)) أي : صفّاً حال من الواو^(٣) في : ﴿ وعرضوا ﴾ وإنما قال : ﴿ ظاهرين ﴾، لأن المقصود من عرض الجند على السلطان إظهارهم عنده، فجعل ﴿ صفّاً ﴾ ترشيحاً لاستعارة ﴿ عرضوا على ربك ﴾ كقوله : ﴿ وبرزوا لله الواحد القهار ﴾^(٤).

قوله : ((وهذا المضمّر هو عامل النصب في يوم تسير))^(٥) قال أبو البقاء^(٦) : [وقيل : ويوم تسير معطوف على قوله : ﴿ عند ربك ﴾ أي : الصالحات خير عند الله وخير يوم تسير] الراغب^(٧) : [السير المضي في الأرض، ورجل سائر وسيار والسيارة الجماعة يقال : سرت وسيرت بفلان وسيرته أيضاً وسيرته على التكثير، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾^(٨) . ومن الثاني : قوله : ﴿ وسار بأهله ﴾^(٩) ولم يجيء في القرآن القسم الثالث . ومن الرابع : قوله تعالى : ﴿ وسيرت الجبال فكانت

(١) قرأ بالياء أبان عن عاصم، وقرأ أيضاً عنه بالنون . مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوية ٨٠.

(٢) الراغب في مفرداته ٣٥٨ مادة (غدر) بتصرف.

(٣) كما في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون المعروف بالسمين ٥٠٥/٧.

(٤) سورة إبراهيم الآية ٤٨.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد جئتمونا ﴾ قال (ز) : أي : قلنا لهم : ﴿ لقد جئتمونا ﴾ ((وهذا المضمّر

... الخ)).

(٦) أبو البقاء في إملائه ١٠٤/٢.

(٧) الراغب في مفرداته ٢٤٧ مادة (سار).

(٨) سورة الحج الآية ٤٦.

(٩) سورة القصص الآية ٢٩.

سراباً ﴿١﴾ والتسيير ضربان : أحدهما : بالأمر والاختيار والإرادة من السائر، نحو : ﴿ وهو الذي يسيّركم في البرّ والبحر ﴾ ﴿٢﴾ . والثاني : بالقهر والتسخير كقوله تعالى : ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ ﴿٣﴾ والسيرة : الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريزياً كان أو مكتسباً، يقال : فلان له سيرة حسنة وسيرة قبيحة].

قوله : ((والمعنى : لقد بعثناكم، كما أنشأناكم)) تفسير لقوله : ﴿ لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾.

قوله : ((للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير)) ﴿٤﴾ قال صاحب الفرائد : [الواو للحال في : ﴿ وحشرناهم ﴾ (فلو كان) ﴿٥﴾ للعطف، كان ينبغي أن يقال : ونحشرهم. قلت : إن المصنف سأل عن فائدة الاختلاف الواقع بين هذه الأفعال الثلاثة، والجواب ما ذكره، يعني خولف بين التسيير والرؤية حيث جيء بهما مضارعين، وجيء بالحشر ماضياً ليشعر ﴿٦﴾ بصيغة المضارع بأن المراد استحضر تلك الصورة العجيبة الشأن في مشاهدة السامع، ليتعجب لها ﴿٧﴾ ، وإليه الإشارة بقوله : ((ليعاينوا تلك الأهوال)) ولو قيل : نحشرهم على مقتضى الظاهر لفات المقصود . ونظر أصحاب المعاني إلى زيادة ﴿٨﴾ العدول عن مقتضى الظاهر . وقال القاضي ﴿٩﴾ : [ومجيئه ماضياً بعد ﴿ نسيّر ﴾ و ﴿ ترى ﴾ لتحقيق الحشر، أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير].

(١) سورة النبأ الآية ٢٠.

(٢) سورة يونس الآية ٢٢.

(٣) سورة التكويد الآية ٣.

(٤) قال (ز) : فإن قلت : لم جيء بـ ﴿ حشرناهم ﴾ ماضياً بعد ﴿ نسيّر ﴾ و ﴿ ترى ﴾ ؟. قلت :

((للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير)) وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام.

(٥) ما بين القوسين س من ت ، م.

(٦) لتشعر في م.

(٧) منها في م.

(٨) فائدة في ت وهي الصواب.

(٩) القاضي البيضاوي ٢٢٦/٣.

قوله : ((ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات))^(١) وذلك أن حرف النداء لا اختصاص المنادى بالإقبال و ههنا خصوا الهلاك بالنداء وأضافوا إلى أنفسهم قائلين ﴿ ياويلتنا ﴾ على الإستعارة، فإن الويل الهلاك، قال في قوله تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها : تعالي يا حسرة، فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها.

قوله : ((هنة صغيرة))^(٢) الأساس^(٣) : [وفيه هنات وهنات خصال سوء].
قوله : ((وهي عبارة عن الإحاطة)) أي : التكرير للاستيعاب كما في قوله : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾^(٤) .

قوله : ((وهي المناقشة))^(٥) النهاية^(٦) : [وفي حديث عائشة رضي الله عنها : (من نوقش الحساب فقد هلك)^(٧) أي من استقصى في محاسبته وحقوقه وأصل المناقشة من نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه وقد نقشها وانتقشها، وبه سمي المنقاش^(٨) .
قوله : ((كما يزعم من ظلم الله))^(٩) أي : نسبه إلى الظلم، من قولك : أخطأته، أي : نسبته إلى الخطأ، أو قلت له : يا خاطئ، وليس المعنى : صيره ظالماً، نحو فرحته.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا بغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ الكهف الآية ٤٩ .
قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ياويلتنا ﴾ : ((ينادون هلكتهم ... الخ))
(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ قال (ز) : ((هنة صغيرة)) ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة.

(٣) الأساس ٧٠٧ مادة (هنو).

(٤) سورة مريم الآية ٦٢ .

(٥) قال (ز) : وقيل : لم يجتبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر ((وهي المناقشة)) .

(٦) النهاية في غريب الحديث ١٠٦/٥ مادة (نقش).

(٧) أخرجه مسلم ٢٢٠٥/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب . والبخاري مع الفتح ٤٠٠/١١ كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب . والترمذي رقم ٢٤٢٦ ، ٣٣٣٧ . وأحمد في المسند ٢٠٦/٦ ، ٩١ ، ١٢٧ وغيرهم .

(٨) الآلة التي يستخرج بها الشوك.

(٩) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ . قال (ز) : فيكتب عليه ما لم يعمل، أو يعذبه بغير جرم ((كما يزعم من ظلم الله)) في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم.

والأحاديث المروية في أطفال المشركين مشهورة منها ما وراه مسلم^(١) وأبو داود والنسائي في آخر حديث عائشة رضي الله عنها أن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم^{لها} وهم في أصلاب آبائهم . وفي رواية أبي داود . قالت . فقلت يا رسول الله : ذراري المؤمنين، فقال : هم من آبائهم، فقلت : يا رسول الله : بلا عمل . قال : الله أعلم بما كانوا عاملين، قلت : يا رسول الله : فذراري المشركين، فقال : من آبائهم، فقلت : بلا عمل . قال : الله أعلم بما كانوا عاملين . و(من) فيه اتصالية . ومنها ما روى البخاري^(٢) ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين عمن يموت منهم وهو صغير . قال : الله أعلم بما كانوا عاملين . فظهر من هذه النصوص من ظلم الله بسبب نسبة رسوله إلى الظلم^(٣) . قال القاضي^(٤) : [معنى ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ يكتب عليه ما لم يفعل] وقال^(٥) : [أيضاً كرّر قوله : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا﴾ في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك الحال، وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم، قرر ذلك بأنه من سنن إبليس، أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها، وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان، زهدهم أولاً في زخارف الدنيا بأنها عرضة للزوال، والأعمال الصالحة خير وأبقى] ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة، وهكذا مذهب كل تذكير في القرآن .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٥٠ كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار ... الخ . وأبو داود ٨٦/٥ كتاب السنة، باب في ذراري المشركين الحديث رقم ٤٧١٣ . والنسائي ٥٧/٤ كتاب الجنائز، باب الصلاة على الصبيان رقم ١٩٤٩ . وابن ماجه ٣٢/١ المقدمة، باب في القدر الحديث رقم ٨٢ . ومسنند أحمد ٤١/٦ ، ٢٠٨ .

(٢) البخاري مع الفتح ٢٤٥/٣ كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين برقم ١٣٨٤ . ومسلم ٢٠٤٩/٤ كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة رقم ٢٦٦ . وأبو داود ٨٤/٥ كتاب السنة، باب في ذراري المشركين رقم ٤٧١١ . والنسائي في الجنائز . الحديث رقم ١٩٥٤ باب أولاد المشركين .

(٣) وهم المعتزلة ومن على مذهبهم .

(٤) البيضاوي في أنواره ٢٢٧/٣ .

(٥) المرجع السابق .

قوله : ((ثم ورّكه))^(١) عن ابن عباس، الأساس^(٢) : [عن الحسن : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورّك ذنبه على الله فقد كفر] قال في الانتصاف : الحق معه إلا في قوله : ((وهذا الكلام المعترض تعمّد من الله))^(٣) فإنه يطلق على من يفعل فعلاً حسناً وخطأً، فلا يليق إطلاقه على الله تعالى . قال محي السنة^(٤) : [كان بين حيّ من الملائكة، يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم] وقال الإمام^(٥) : [وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن لقوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾^(٦) ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾^(٧) ولأن الجن إنما سموا جنّاً للاستتار، والملائكة أيضاً يستترون، يعني أنه تعالى كلما أراد أن ينقص من مرتبة الملائكة سماهم جنّاً، كذلك هاهنا .

قوله : ** فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا **^(٧)

أوله : ** يذهب في نجد وغوراً غائراً **

مضى شرحه في البقرة^(٨) .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً . ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ .
قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ : الفاء للتسيب، أي : جعل كونه من الجن سبباً في فسقه.

(٢) الأساس ٦٧٢-٦٧٣ بلفظ : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورّك ذنبه على الله فقد كفر.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ قال (ز) هنا : ((وهذا الكلام المعترض)) الخ . قال أحمد بن المنير : إطلاق لفظ التعمّد عليه لا يروق ولا يليق، فإن التعمّد إنما يوصف به عرفاً من يفعل في بعض الأحيان خطأً، وفي بعضها تعمّداً، فاجتنابها في حق الله تعالى واجب، ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله.

(٤) محي السنة البغوي ١٧٨/٥ وذكره الطبري ٥٠٢/١.

(٥) الإمام الفخر الرازي ١٣٦/٢١.

(٦) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٧) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

(٨) البيت لرؤية بن العجاج . وقيل لذي الرمة. انظر الانتصاف في شواهد الكشاف ٧٢٧/٢.

(٨) عند قوله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ الآية ٢١ من سورة البقرة.

قوله : ((أو صار فاسقاً كافراً)) وعلى هذا ﴿ ففسق ﴾ متعلق بقوله :
﴿ اسجدوا ﴾ والفاء للتعقيب و ﴿ كان من الجن ﴾ اعتراض و ﴿ عن ﴾ في ﴿ عن
ربه ﴾ كما في قوله : ينهون عن أكل وشرب، أي : أصدر فسقه عن قوله تعالى :
﴿ اسجدوا ﴾ أي : كأن قوله : ﴿ اسجدوا ﴾ سبباً لفسقه.

قوله : ((وإنما كانوا يكونون))^(١) عن بعضهم : التقدير إنما يصح كما تبين،
والظاهر أن قوله : ((يكونون)) مزیدة، كما في قول الفرزدق^(٢) :

** وجيران لنا كانوا كرام **

ويؤيده إسقاطه في بعض النسخ .

قوله : ((عضداً)) أي : أعواناً . الراغب^(٣) : [العضد ما بين المرفق إلى الكتف،
وعضدته أصبت عضده، وعنه استعير عضدت الشجر بالمعصد، ويستعار العضد للمعين
كاليد، قال تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ .

قوله : ((فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء)) إشارة
إلى تحقيق ما أنكر عليهم أولاً بقوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم
لكم عدو ﴾ وذلك أنه تعالى لما عقب امتناع إبليس عن سجدة آدم عليه السلام لعصيانه
وفسقه إنكار اتخاذه ولياً من دون الله استبعاداً، أراد أن يقتدر هذا الاستبعاد بوجه
برهاني، وقال : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ﴾ يعني إنما كانوا شركاء لي أن
لو كانوا شركاء فيما يصح اسم الإلهية، وهو خلق السموات والأرض، وإنكم مقرون
بأن الله تعالى هو وحده خالق السموات والأرض. ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله ﴾^(٤) وإذا لم يكونوا كذلك فلا يكونوا شركاء لي، فقرر ذلك بقوله

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ﴾ قال (ز) : يعني أنكم اتخذتموهم شركاء
لي في العبادة ((وإنما كانوا يكونون)) شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية.

(٢) الفرزدق : همام بن غالب التميمي أبو فارس الشهير بالفرزدق شاعر من النبلاء من أهل البصرة
عظيم الأثر في اللغة، تهاجوا هو وجري والأخطل . الأعلام ٢٩٢/٨ وابن خلكان ١٩٦/٢.

(٣) الراغب في مفرداته ٣٣٧ مادة (عضد).

(٤) سورة لقمان الآية ٢٥.

تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ أي شركاء، فلما لزم من هذه المقدرات تقرير قوله : ﴿ أفستخذونه وذريته أولياء ﴾ قال : فما لكم تتخذونهم شركاء فالإشهاد بمعنى الإحضار، أي : ما أحضرتهم لأعتضد بهم، قال الإمام (١) : [ما أشهدت الذين اتخذتموهم أولياء خلق السموات والأرض لأعتضد بهم والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾]

قوله : ((يقول)) (٢) بالياء والنون (٣) حمزة بالنون. والباقون بالياء التحتاني.

قوله : ((يعني وجعلنا بينهم وادياً)) (٤) هذا على تقدير أن يكون الموبق اسم مكان (٥). وقوله : ﴿ موبقاً ﴾ عداوة على تقدير أن يكون مصدراً، فيكون مبالغة، كقولك : رجل عدل.

قوله : ((والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك)) أي : وضع المسبب موضع السبب، لأن العداوة تستلزم الهلاك أو هو من باب المجاز باعتبار ما يؤل إليه . كأنه قيل : جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتؤديهم إلى الهلاك والتلف، كقوله : ((ولا بغضك تلفاً)) (٦) أي : لا يكن بغضك، بحيث يجبر إلى التلف والهلاك.

قوله : ((كقوله ولا يكن حبك كلفاً)) قيل : هو من كلام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه. النهاية (٧) : [الكلف الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة، ومنه قول عمر رضي الله عنه : عثمان كلف بأقاربه، أي : شديد الحب لهم.

(١) الإمام الفخر الرازي ١٣٨/٢١.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ... الآية ﴾.

(٣) قرأ حمزة بنون العظمة ووافقه الأعمش، والباقون بياء الغيبة . الإنحاف ٢٩١.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم موبقاً ﴾.

(٥) ذكره البغوي ١٨١/٥ قال : وقال ابن عباس : هو واد في النار، وكذلك مجاهد وعكرمه . وقال ابن

الأعرابي : وكل حاجز بين شيئين فهو موبق.

(٦) متعلق بتفسير قوله : ﴿ وجعلنا بينهم موبقاً ﴾ وفي الأمثال للميداني ١٦٣/٣ : لا يكن حبك كلفاً

ولا بغضك تلفاً ﴿ رقم ٣٥٢٨.

(٧) النهاية في غريب الحديث ١٩٧/٤ مادة (كلف).

قوله : ((البين الوصل)) الراغب (١) : [بين موضوع للخلل بين الشئين ووسطهما ، قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهما زرعا ﴾] يقال : بان كذا أي انفصل وظهر ماكان مستتراً منه ، ولما اعتبر فيه معنى الانفصال والظهور استعمل في كل منهما منفرداً ، حتى قيل للبئر البعيدة القعر : بَيَّوْ ، وبان الصبح ظهر يقال : بان واستبان وتبين ، والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة وسميت شهادة الشاهدين بينة ، وهو أعم من النطق ، لأن النطق مختص بالإنسان .

قوله : ((ويجوز أن يريد الملائكة)) (٢) عطف على قوله : وأراد الجن ، والموبق المهلك ، المعنى على الأول نادوا شركائى الذين زعمتم من الجن ، والحال أن بينهم وادياً من جهنم ، أو بينهم عداوة ، وعلى الثاني أن بينهم أمداً بعيداً ، لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلا الجنان ، المغرب (٣) : [موبقا ، أي مهلكاً من أودية جهنم أو مسافة بعيدة] .

قوله : ((البرزخ)) ، (الجوهري) (٤) : [هو الحاجز بين الشئين] .
قوله : ((تهلك فيه الأشواط)) ، المغرب (٥) : [الأشواط جمع شوط وهو جري مرة إلى الغاية] يعنى (٦) فيه السير ، كناية عن البعد البعيد .
قوله : ** ((أَرْهَيْرَ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرَفٍ **) .

تمامه من المطلع :

** أم لاخلود لبازل متكلف ** (٧) .

زَهَيْرٌ : يروي بفتح الراء ترخيم . زهيرة اسم امرأة . من مصرف الأساس (٨) صرف [عن عمله غير وأنه ليتصرف يحتال] يقول : أيها اللائمة هل يقدر أحد أن يحتال في تغيير الشيبة، بل أترعمين أن من بذل ماله في إنفاقه لايبقى اسمه مخلداً على وجه الزمان ؟ .

(١) الراغب في مفرداته ٦٧ ، مادة (بين) بتصرف .

(٢) تفسير قوله : ﴿ وجعلنا بينهما زرعا ﴾ ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم ﴿ الآية .

(٣) المغرب ٢ / ٣٣٩ ، مادة (وبق) .

(٤) ما بين القوسين س من أ ، ب .

(٥) المغرب ١ / ٤٥٧ ، مادة (شوط) .

(٦) أى في ت بدل يعنى .

(٧) البيت لأبي كبير الهذلى في ديوان الهذليين ٢ / ١٠٤ .

(٨) الأساس ٣٥٣ ، مادة (صرف) ولفظه (وصرف عن عمله عزل وأنه ليتصرف يحتال) .

قوله : ((إن فصلتها واحداً بعد واحد)) (١) ، وذلك من إضافة أفعل التفضيل إلى الواحد ، فإن الإضافة فيه إذا أريد بيان زيادته ، يقتضي أن يكون المفضل داخلاً فيمن أضيف إليهم فرداً منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة ، قال ابن مالك (٢) : (إن أفعل إذا أضيف إلى نكرة ، نحو زيد أفضل رجل ، وهما أفضل رجلين ، وهم أفضل رجال ، معناه زيد أفضل من كل رجل قيس فضله بفضله ، وهما أفضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما ، وعلى هذا .

قوله : ((وما منع الناس الإيمان والاستغفار)) (٣) أي من الإيمان .

قوله : ((قرىء قبلاً)) (٤) والكوفيون بضميتين والباقون بكسر القاف وفتح الباء .

قوله : ((من ادحاض القدم)) (٥) ، الأساس (٦) : [ومن المجاز دحضت حجته وحجتهم داحضة] ، الراغب (٧) : [يقال : أدحضت فلاناً في حجته فدحض وأدحضت حجته فدحضت ، وأصله من دحض الرجل وعلى نحوه في وصف المناظرة :

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً ﴾ قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ أكثر شئ جدلاً ﴾ : أي أكثر الأشياء التي يأتي منها الجدل ((إن فصلتها واحداً بعد واحد)) خصومة ومماارة بالباطل .

(٢) ابن مالك محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجباني أبو عبد الله جمال الدين إمام العربية والنحو والصرف ، ولد في جيان بالأندلس . وانتقل إلى دمشق وتوفي بها ٦٧٢ وولد سنة ٦٠٠ ، صاحب التصانيف النفسية مثل الشافية الكافية ، واختصرها في الخلاصة الألفية ، انظروفيات الأعيان ٢٢٧/٢ ونفح الطيب ٤٣٤/١ والأعلام للزركلي ٢٣٢/٦ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ قبلاً ﴾ . (٤) قرأ (قبلاً) بضم القاف والباء عاصم وحزمة والكسائي وأبو جعفر وخلف ، جمع قيل أي أنواعاً وألواناً ، ووافقهم الأعمش . والباقون بكسر القاف وفتح الباء أي عياناً . انظر إتحاف فضلاء البشر ٢٩٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ﴾

(٦) الأساس للزمخشري ١٨٤ ، مادة (دحض) .

(٧) الراغب في مفرداته ١٦٥ ، مادة (دحض) .

**** نظرا يزيل مواقع الأقدام ** (١)**

ودحضت الشمس مستعار من ذلك] .

قوله : ((كأنه محال)) (٢) ، يريد أنه نفى الاهتداء بلن وهي لتأكيد النفي .

قوله : ((وإذا جزاء وجواب)) فيه لفّ قوله : ((فدلّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول)) بيان أن يكون جزاء أي جعل دعوة الرسول سبباً لانتفاء اهتدائهم ، فإن الجزاء مسبب عن الشرط ولا يصحّ هذا إلا على تقدير الإخبار والإعلام ، كأنه قيل : إن تجتهد في دعوتهم فاعلم أن معهم ما يدعوههم إلى مزيد ما هم فيه من العناد وشدة الشكيمة أي يجعلون ما هو سبب للاهتداء سبباً لمزيد الضلال . وقوله : ((وعلى أنه جواب للرسول ببيان للجواب)) . ولما كان مورد السؤال قوله : ﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ كما سيجيء قدر مالي لا أدعوعهم ، وفيه تعسف (٣) . قال صاحب الفرائد : [يمكن أن يقال : (إذن) (٤) هنا جزاء ، أي إن تدعهم إلى الهدى وحالهم ما ذكر لن يهتدوا ، أي جزاء ما هم عليه ، عدم الاهتداء وجواب لسؤال الرسول على تقدير لم لن يهتدوا بعد أن دعوههم ، فأجيب لأنهم على تلك

(١) هذا عجزيت وشطره :

**** يتقارضون إذا التقوا في منزل ****

انظر اللسان مادة (قرض) والموازنة للآمدي ٣٨ . ولم أهد لقائله.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ﴾ قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلن يهتدوا ﴾ : فلا يكون منهم اهتداء البتة ((كأنه محال منهم)) لشدة تصميمهم .

(٣) وسبب هذا التعسف الذي ذكره الرمحشري وتبعه أبو حيان أيضا . في ذلك هو ظنهما أن قوله تعالى : ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ﴾ شرط وجزاؤه ، وأن الجزاء مرتب على الشرط كترتيب الجزاء على ما هو شرط فيه ، وهذا غلط ، لأن هذه القضية الشرطية في هذه الآية الكريمة ليست شرطية لزومية ، حتى يكون بين شرطها وجزائها ارتباط ، بل هي شرطية اتفافية ، والشرطية الاتفافية لا ارتباط أصلا بين طرفيها ، فليس أحدهما سببا في الآخر ولا ملزوما ولا لازما له ، وانظر تفصيل ذلك في أضواء البيان ٤ / ١٤٨ .

(٤) ما بين القوسين س من م .

قوله : ((أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمانة على الظفر)) (١)
بالطلبة وما يكون منه عطف تفسيري على قوله : تفقد أمره ومن في مما جعل أمانة
بيان ما وهو التوصية بأنه حيث فقدته فالخضر هناك .

قوله : ((وقد قيل : نسي يوشع أن يقدمه)) أي يقدم الحوت بين يدي
موسى عليه السلام ونسي موسى أن يأمره بإحضاره ليشاهدها منه تلك الأمانة التي
جعلت لها وذلك أن موسى عليه السلام وعِدَّ أن لقاء الخضر عند مجمع البحرين كما
سبق وأن فقد (٢) الحوت علامة للقائه ، فلمَّا بلغ الموعد كان من حقهما أن يتفقدا
أمر الحوت ، أما الفتى فلكونه خادماً له وكان عليه أن يقدمه بين يديه وأما موسى
لكونه أميراً عليه ، كان عليه أن يأمره بالإحضار ، فنسي كل واحد ما عليه ، وإنما
احتيج إلى التأويل ، لأن النسيان لا يتعلق بالدواب ، كما سبق عن الراغب في
تعريفه (٣) : [النسيان : ترك ضبط ما استوعب إما لضعف قلبه ، وإما عن غفلة أو عن
قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره] .

قوله : ((فانتضح الماء)) (٤) ، الجوهرى (٥) : [انتضح الرش ، نضحت
البيت أنضحه بالكسر] .

قوله : ((وحصل منه مثل السرب)) (٦) ، الأساس (٧) : [ما حصل في يدي شيء
منه ، أي ما رجع وما حصلت منه على شيء] ورجع من الماء في مثل السرب (٨) ،

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ نسيا حوتهما ﴾ قال (ز) : ((أي نسيا تفقد أمره)) الخ .

(٢) (فقدان) في ت ، م .

(٣) الراغب ٤٩١ ، مادة (نسي) . قال : النسيان ... إلخ .

(٤) يشير إلى قول (ز) : أن يوشع توضاً من تلك العين أعني (عين الحياة) ((فانتضح الماء على

الحوت فعاش و وقع في الماء)) .

(٥) الجوهرى ١ / ٤١١ ، مادة (نضح) ..

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ واتخذ سبيله في البحر سرباً ﴾ قال (ز) : أمسك الله جرية الماء على

الحوت فصار عليه مثل الطاق ((وحصل منه مثل السرب)) معجزة لموسى أو الخضر .

(٧) الأساس ١٢٩ ، مادة (حصل) .

(٨) قال الجوهرى في صحاحه (والسَّربُ) بيت في الأرض ، تقول : انسرب الوحش في سربه ،

وانسرب الثعلب في جحره ، وتسرب أي دخل ١ / ١٤٧ ، مادة (سرب) .

و (في) تجريدية ، لأنه انتزع من الماء شيئاً يشبه السرب ، نحو رأيت زيدا في مثل الأسد . قال القاضي (١) : [نصب على المفعول الثاني ، وفي (البحر) حال منه أي من السيل . ويجوز تعلقه (باتخذ)] ، النهاية (٢) : [السَّرْبُ بالتحريك المسلك في الخفية] ، الراغب (٣) : [السرب الذهاب في حدود والسرب المنحدر . قال تعالى : ﴿ فَاتَّخِذْ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾] يقال : سَرَبَ سَرَبًا وَسُرُوبًا ، نحو مرَّ مرًّا ومرورا ، وانسرب انسراباً كذلك ، لكن سَرَبَ ، يقال على تصور الفعل من فاعله ، وانسرب على تصوّر الانفعال منه ، وسَرَبَ الدمع سال واسرَبَتِ الحية إلى جحرها ، وسَرَبَ الماء من السقاء ، وماء سَرَبٍ ، وسَرَبٍ ، منقطر من سقاية . والسارب : الذهاب في سَرَبِهِ أي طريق كان . قال تعالى : ﴿ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (٤) . والسَّرْبُ جمع سارب كَرَكَبٍ وراكب ، وَتُعَوِّفَ في الأبل حتى قيل : ذعرت سربه أي إبله ، وهو آمن في سربه ، أي في نفسه ، وقيل : في أهله ونسائه يجعل السرب كناية وقيل : اذهبي فلا أُنْذِرُكَ سِرْبَكَ ، في الكناية عن الطلاق ومعناه لا أُرَدِّ إِبْلَكَ الذاهبة في سربها ، والسرية قطعة من الخيل من العشرة إلى عشرين ، والسراب اللامع في المفازة كالماء وذلك لانسرابه في مرأى العين ، وكان السراب فيمالا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة [.

قوله : ((هذا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة)) (٥) ، وفي الإشارة بهذا إشعار بأن هذا المسير كان أتعب لهما مما سبق ، فإن رجاء المطلوب يقرب البعيد والخيبة تبعد القريب ، ولهذا ورد في الحديث (٦) إن موسى عليه السلام لم ينصب إلا مُنْذَ جاوز الموضع الذي حدّه الله تعالى له .

(١) القاضي البيضاوي ٣ / ٢٣٠ .

(٢) النهاية ٢ / ٣٥٦ ، مادة (سرب) .

(٣) الراغب ٢٢٩ ، مادة (سرب) .

(٤) سورة الرعد الآية ١٠ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا ﴾ قال (ز) : ((إشارة إلى سيرهما إلخ)) .

(٦) ذكر هذا اللفظ السيوطي في الدر المنثور ، ولم يذكر أنه حديث ٤١٠/٥ .

قوله : ((وقيام الماء)) هو عطف على حياة السمكة ، والجملة وهي ((وقيل ما كانت إلا شق سمكة معترضة للتأكيد والمبالغة فإن حياة السمكة المملوحة عجيبة ، وكونها نصف سمكة أعجب .

قوله : ((قد شغله الشيطان بوساوسه)) (١) ، قال القاضي (٢) : [ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره (٣) إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وإنما نسبته إلى الشيطان هضمًا لنفسه] .

قوله : ((لا متعلق له)) (٤) ، يعني ليس (لأرأيت) مفعول ولا ﴿ إذ أوينا ﴾ مذكور ولفتاي نسي سبب وأجاب أن المتعلق مادھاني ، وهو مفعول أرأيت ودهاني مذكور وهو سبب أيضا فحذف لدلالة مقام الحيرة عليه كما أشار إليه بقوله : فحذف ذلك ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ (٥) . قال : (وإذ لم يهتدوا به) (٦) ، ظهر عنادهم فسيقولون ، وهذا المضمّر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكأن فسيقولون مسببا عنه .

قوله : ((نهر الزيت)) سمي به لكثرة أشجار الزيت على شاطئه ، فقوله : ((وقيل هي الصخرة)) عطف على قوله : ((فلما جاوز الموعد)) وهو الصخرة .

قوله : ((وأن أذكره)) بدل من الهاء في (أنسانيه) أي بدل اشتمال .
قوله : ((إن (عجا) حكاية لتعجب موسى ، وليس بذلك)) أي ليس هذا القول بذلك القول الذي يعرج عليه (٧) ، كقولك : ليس بشيء أي شيء يعتد به ،

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان ﴾ .

(٢) القاضي البيضاوي ٢٣٠/٣ .

(٣) الشراشر : الأتقال ، الواحدة شرشرة ، يقال ألقى عليه شراشره أي نفسه حرصاً ومحبة . الصحاح

للجوهرى ٦٩٦/٢ ، مادة (شرر) .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإني نسيت الخوت ﴾ قال (٥) : كأنه قال : أرأيت مادھاني إذ أوينا إلى

الصخرة ؟ فإني نسيت الخوت ، فحذف ذلك .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية ١١ .

(٦) قال : (تقديره) (وإذ لم) في ت .

(٧) (كما تقول) في ت .

بيانه أن موسى عليه السلام لما قال ليوشع (١) : ﴿ آتْنَا غَدَاءَنَا ﴾ أجاب بقوله : ﴿ أرأيت إذ أؤينا إلى الصخرة ﴾ وهي كلمة تعجّب ، فلمّا بلغ قوله : ﴿ واتخذ سبيله في البحر ﴾ تعجب موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجّبه ، ولا ارتياب في تعسفه وبعده من بلاغة التنزيل ، ولكن عجباً بقول فتى موسى . إما على أنه صفة موصوف محذوف وهو ثاني مفعول اتخذ كما قدّره المصنف ، أو لما فرغ من كلامه قال : يا عجباً ، فحكى الله تعالى ذلك منه . ويجوز أن يكون من كلام الله أي قال ذلك الكلام تعجباً . قال أبو البقاء (٢) : [(عجباً) مفعول ثاني لاتخذ ، وقيل : هو مصدر ، أي قال موسى : عجباً ، فعلى هذا يكون المفعول الثاني لاتخذ في البحر] . قوله : ((قرىء نبغ)) (٣) ، بغير ياء في الوصل نافع وأبو عمرو والكسائي أثبتوا في الوصل ، وابن كثير في الحالين ، والباقون بالحذف في الحالين ، قال أبو البقاء (٤) : [الجيّد إثبات الياء والحذف على التشبيه بالفواصل ، وسهّل ذلك أن الياء لا تضم ههنا] . روى صاحب المرشد عن أبي حاتم أنه قال (٥) : ومن الوقف التام قوله تعالى : ﴿ ما كنّا نبغ ﴾ وقلت : بيانه أن قوله تعالى : ﴿ فارتدّا ﴾ عطف على جملة قوله : ﴿ فلما جاوزا ﴾ إلى آخره . وأما الفصل بين الأقوال الثلاثة ، فالأولى جواب للشرط ، والآخران مفصولان لما يستدعيه مقام المقابلة من السؤال ، وهو ماذا قال فتى موسى بعد قول موسى عليه السلام (آتْنَا غَدَاءَنَا) ؟ ، وماذا قال موسى عليه السلام بعد قول فتاه (أرأيت إذ أؤينا) ؟ .

(١) يوشع بن نون بن أفرام بن يوسف وهو فتى موسى ، انظر غرر البيان في من لم يسم في القرآن ٣٣١ لبدر الدين ابن جماعة ، والتعريف والإعلام للسهيلي ٧٣ .
(٢) أبو البقاء ١٠٦/٢ .

(٣) قرأ نافع (نبغ) بإثبات الياء وصلًا ، وكذا أبو عمرو والكسائي ، وأبو جعفر وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلًا ووقفًا ، وكذلك يعقوب . إتخاف فضلاء البشر ٢٩٢ .

(٤) أبو البقاء ١٠٦/٢ .

(٥) وكذلك قال أبو عمرو الداني في كتابه المكثف في الوقف والابتداء ٣٧١ ، وهو قول الأنخفش والنحاس في كتابه الوقف والابتداء ٤٤٩ ، وهو وقف حسن عند الأشموني في كتابه المنار ١٤٧-١٤٨ .

قوله : ((فرجعا في أدراجهما)) (١) ، الجوهرى (٢) : [قولهم : خلّ درج الضّب ، أي طريقه ، والجمع الأدراج ، ومنه قولهم : رجعت أدراجي أي رجعت في الطريق الذي جئت منه] .

قوله : ((يقصان قصصا)) (٣) قال صاحب الكشف : قصصاً مصدر لفعل مضمر يدل عليه (٤) ﴿ فارتداً على آثارهما ﴾ (٥) واقتصا الأثر واحد (٦) .

قوله : ((مقتصين)) أي يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال .
قوله : ((رشدًا)) (٧) قرئ بفتحين (٨) أبو عمرو والباقون بضمّة وسكون .
قوله : ((أي علماً ذا رشد)) (٩) ، قال أبو البقاء (١٠) : [رشدًا مفعول ﴿ تعلمني ﴾ ولا يجوز أن يكون مفعول ﴿ علّمت ﴾ لأنه لا عائد إذاً على الذي ، وليس بحال من العائد المحذوف ، لأن المعنى على ذلك يَبْرُز] وقال القاضي (١١) : [يجوز أن يكون علة لأتبعك أو مصدراً بإضمار فعله] .

قوله : ((لا غضاضة)) (١٢) ، الجوهرى (١٣) : [يقال : ليس عليك في هذا الأمر غضاضة ، أي ذلّة ومنقصة] قال القاضي (١٤) : [لا ينافي نبوّته وكونه صاحب

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فارتداً ﴾ قال (ز) : ((فرجعا إلخ ...)) .

(٢) الجوهرى ٣١٤/١ ، مادة (درج) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قصصا ﴾ قال (ز) : ((يقصان إلخ ..)) .

(٤) في م (قوله) فارتداً .

(٥) في ت على آثارهما (إذ معنى (فارتداً على آثارهما) واقتصا .

(٦) وعليه فيكون قوله (قصصا) ما ناب عن المطلق ، من قوله : (فارتداً) .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ سورة الكهف ،

الآية ٦٦ .

(٨) قرأ ﴿ رشداً ﴾ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين ، ووافقهما الحسن واليزيدي ، والباقون

بضم الراء وسكون الشين . الإتحاف ٢٩٢ .

(٩) (قوله) س من ت ، والصواب إثباتها .

(١٠) أبو البقاء ١٠٦/٢ .

(١١) القاضي البيضاوي ٢٣١/٣ .

(١٢) قال (ز) : لأن النبي يجب أن يكون أعلم زمانه ، وإمامهم المرجوع إليه في الدين . قلت : ((لا

غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله ، وإنما يغض منه أن يأخذه من دونه)) .

(١٣) الجوهرى في صحاحه ٣ / ١٠٩٥ ، مادة (غضض) .

(١٤) القاضي البيضاوي ٢٣١/٣ .

الشرعية أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين ، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً [ويؤيده قوله تعالى حكاية عن الهدهد مخاطباً سليمان عليه السلام : ﴿ أَحطت بما لم تحط به ﴾ (١) ، الراغب (٢) : [العلم إدراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان ، إدراك ذات الشيء ، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منقý عنه ، فالأول متعد إلى واحد ، كقوله تعالى : ﴿ لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ (٣) ، وأعلمته وعلمته في الأصل واحد ، إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع ، والتعليم بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم . قال بعضهم : التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني والتعلم تنبيهها لتصور ذلك ، وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكرير نحو ﴿ أتعلمون الله بدينكم ﴾ (٤) ، فمن التعليم قوله تعالى : ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ (٥) ، وتعليم آدم الأسماء هو أن جعل له قوة بها نطق ووضع أسماء الأشياء ، وذلك بإلقائه في روعه ، وكتعليمه تعالى الحيوانات كل واحد منها فعلاً يتعاطاه ، وقوله : ﴿ مما علمت رشداً ﴾ ، قيل : عني بالعلم الخاص الخفى على البشر الذي يروونه ما لم يعرفهم الله منكراً وقيل : وعلى هذا العلم في قوله تعالى : ﴿ الذي عنده علم من الكتاب ﴾ (٦) ، العلم الأثر الذي يُعلم به الشيء وسمى الجبلُ علماً لذلك ، والعالم اسم للفلَك وما يلحق به من الجواهر والأعراض ، وهو في الأصل اسم لما يُعلم به كالطابع والخاتم لما يطبع به ويختم به ، وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة ، والعالمُ آلة في الدلالة على صانعه ، ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدانيته . فقال : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾ (٧) .

(١) سورة النمل الآية ٢٢ .

(٢) الراغب في مفرداته ٣٤٣ بتصرف .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٤) سورة الحجرات الآية ١٦ .

(٥) سورة الرحمن الآية ١-٢ .

(٦) سورة النمل الآية ٤٠ .

(٧) سورة الأعراف الآية ١٨٥ .

وقوله : ((انه كما قيل : موسى بن منشا ^(١) لا موسى بن عمران ، رويانا عن البخاري ومسلم والترمذي ^(٢) عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن نَوْفًا البكالي ^(٣) يزعم أن موسى صاحب بني إسرائيل ليس هو صاحب الخضر ، قال : كذب عدو الله سمعت أبي بن كعب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قام موسى خطيباً في بني إسرائيل إلى تمام الحديث) .

قوله : ((وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً)) ^(٤) ، أي أكد نفي استطاعته بقوله : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ وهو علة لمنعه من اتباعه ، فإن موسى عليه السلام قال : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني ﴾ كأنه قال : لا ، لأنك ﴿ لن تستطيع معي صبراً ﴾ ثم علل العلة بقوله : ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾ أي كيف تصبر على شيء هو في الظاهر منكر مفسدة وفي الحقيقة مصلحة وصلاح ، ويحتاج في معرفته إلى دقة نظر وفضل خبرة مستفادة من العلم اللدني ^(٥) .

قوله : ((والرجل الصالح)) ^(٦) ، مبتدأ ، وقوله : ((لا يتمالك)) الخبر ، وقوله : ((فكيف إذا كان نبياً)) موضعه التأخير فاعترض بين المبتدأ والخبر اهتماماً

(١) موسى بن منشا من أولاد يوسف عليه السلام . انظر البغوي في تفسيره ، ١٩٣ / ٥ .
(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ١ / ٢١٧ ، كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي النلس أعلم فيكمل العلم إلى الله . ومسلم في الفضائل ، باب فضائل الخضر ٤ / ١٨٤٧-١٨٥٠ . والترمذي ٢٨٩ / ٥ كتاب التفسير ، باب ١٩ ومن سورة الكهف .

(٣) نَوْفًا بفتح النون وسكون الواو بن فضالة بفتح الفاء المعجمة ، البكالي بكسر الموحدة وتخفيف الكاف ابن امرأة كعب شامي مستور ، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب ، من الثالثة . مات بعد التسعين ، تقرب التهذيب ٣٦١ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴿ سورة الكهف الآية ٦٧-٦٨ . قال (ز) : نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد ... ((وعلل ذلك إلخ...)) .

(٥) العلم اللدني مشتق من قوله تعالى في الكهف : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾ ومنه قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ البقرة الآية ٣١ ، بأن جعل له قوة بها نطق ، وذلك بإلقائه في روعه حتى قدر على معرفة الأسماء كلها والله أعلم .

(٦) قال (ز) : ((والرجل الصالح لا يتمالك أن يشمئز)) يعني موسى عليه السلام .

والكلام مجري مجرى المثال لموسى عليه السلام ، مثله قوله : ﴿ الطيبات للطيبين ﴾ (١) في وجه تمثيل لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . المعنى أني أتولى اموراً ظاهرها مناكير ، وأنت لا تتمالك أن تشمتز .

قوله : ((فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمتز ويتمعض)) ، [الانصاف (٢) : يدلّ عليه أنه قال في خرق السفينة : ﴿ أخرجتها لتغرق أهلها ﴾ ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في حالة يقول فيها المرء نفسي نفسي] ، الجوهري (٣) : [اشأز الرجل اشمتزاً انقبض] ومعضت (٤) من ذلك الأمر امعض معضا وامتعضت منه إذا غضبت وشق عليك .

قوله : ((أو في لا محل عطفاً على ستجدني)) (٥) ، لعل هذا القول مبنى على أن الجملة الواقعة بعد قال مستأنفة بيان للقول المضمّر فلا يكون لها محلّ ، كما قال أبو البقاء (٦) : [في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا ﴾ (٧) والمفعول القائم مقام الفاعل مصدر ، وهو القول ، وأضمر لأن الجملة بعد مفسرة ، والتقدير ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ قول وهو ﴿ لا تفسدوا ﴾ ونظيره ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ (٨) ، أي بدا لهم بداء ورأى] ، كذا قدر المصنف هذه الآية ، أو يقال : إن قوله : ﴿ لا أعصي لك أمراً ﴾ عطف على مقول القول باعتبار الجملة لا باعتبار الأفراد ، وكونه منصوباً على المصدرية أو المفعولية على الخلاف الذي سبق

(١) سورة النور الآية ٢٦ .

(٢) الانصاف مع الكشاف ٢ / ٧٣٤ .

(٣) الجوهري في صحاحه ٣ / ٨٨١ ، مادة (شمز) .

(٤) الجوهري ٣ / ١١٠٧ مادة (معض)

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ الكهف الآية ٦٩ ،

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولا أعصي ﴾ : في محل نصب عطف على (صابراً) ((أو لا) في محل عطفاً على (ستجدني)) .

(٦) أبو البقاء ١ / ١٨ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٢ .

(٨) سورة يوسف الآية ٣٥ .

بيانه في البقرة ونحوه في الاعتبار قوله تعالى : ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ (١) ، على تقدير وهم يسلمون ، وسيجيء بيانه في موضعه ، وروي عن الشيخ بدر الدين الجرجاني (٢) أنه قال : إن قوله : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ بجملته مقول للقول والشرط يقتضي الجزاء . وقوله : ستجدني صابراً لا يصلح أن يكون جزاء لتقدمه ، لكن دالّ عليه فلا يكون له محلّ . وقوله : ﴿ ولا أعصي لك أمراً ﴾ عطف عليه وحده ، فيكون التقدير ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك إن شاء الله أمراً ، والشرط مع الجزاء المحذوف معترض بين المفعولين ، وقدّر المصنف في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ (٣) ، ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين . أما بيان بلاغة هذا التركيب ، فإنه لو قدم الشرط بأن يقال : إن شاء الله ستجدني صابراً لقات التكرير والتوكيد المطلوب ، ولو أخر بأن يقال : ستجدني صابراً إن شاء الله لاختلّ إرادة الاهتمام لكلمة التبرك ، ولعدم حسن موقع الاعتراض ، فإنه من تحاسين الكلام ، فالتركيب قريب من قوله ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (٤) فيكون من باب الطرد والعكس (٥) .

قوله : ((فوعده الصبر)) (٥) ، عطف على رجا ((وأن يستطيع)) مفعول رجا ، والرجا هو قوله : ﴿ ستجدني ﴾ ، وعلمنا مفعول له لوعده الصبر معلقاً ((وأن الحمية)) عطف على شدة الأمر على البيان والتفسير .

قوله : ((هذا)) أي كل هذه المبالغات متضمنة مع علم موسى أن الخضر مع جلالته برئ أن يركب أمراً يعاب عليه فكيف ما يستسمح (٦) ظاهره ممن لا يعلم

(٩) سورة الفتح الآية ١٦ .

(١) بدر الدين لم أقف له على ترجمة .

(٢) سورة يوسف الآية ٩٩ .

(٣) سورة التحريم الآية ٦ .

(٤) الطرد والعكس : هو أن يأتي بكلامين ، يقرّر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس . التبيان

للطبي ٣٦٩ .

(٥) تفسير قوله : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ .

(٦) (يستقيح) في م والمعنى واحد قال الجوهري في صحاحه : سَمَحَ الشيء بالضم سماجة قبح ،

وسميح مثل قبح فهو قبيح ٣٢٢ / ١ ، مادة (سَمَح) .

مرتبته في الدين ، فإنه لا يطاق قطعاً ، فالضمير في مع علمه راجع إلى المصلح وهو موسى ، مظهراً قيم مقام المضمّر إيذاناً أن المصلح شأنه أن لا يصبر على مثل تلك الحالة ويرى الصالح .

قوله : ((غمزة)) ، الأساس ^(١) : [ومن المجاز ما فيه مغمز ولا غمزة ، أي معاب وغمز فيه طعن] قال القاضي ^(٢) : [وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيمن ، وخلفه ناسياً لا يقدح في عصمته ، أو لعلمه بصعوبة الأمر ، فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد ، فلا خلف . وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله] .

قوله : ((وأنه لا بدّ الضمير للشأن)) والجملة معطوفة على قوله : ((أن النبي)) . قوله : ((قرىء)) ﴿ فلا تسألني ﴾ ^(٣) ، نافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون ، والباقون يأسكان اللام وتخفيف النون ، أن لا تفاتحني ^(٤) خبر إن ، وإذا ظرف ، والجملة في تأويل المبتدأ وخبره من شرط أتباعك المعنى من شرط اتباعك عند الرواية عدم المفاتحة .

قوله : ((بغير نول)) ^(٥) ، النهاية ^(٦) : [بغير أجر ولا جعل مصدر ناله ينوله إذا أعطاه] .

قوله : ((لججوا)) ، الأساس ^(٧) : [لجج القوم دخلوا في اللج] ، الجوهري ^(٨) : [لجة الماء بالضم معظمه وكذلك اللج] .

(١) الأساس ٤٥٦ ، مادة (غمز) .

(٢) القضي البضاوي ٢٣١ / ٣ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ . قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿ فلا تسألني ﴾ بفتح اللام وتشديد النون ، والأصل (تسألني) حذف نون الوقاية لاجتماع النونات ، وكسرت الشديدة للياء . والباقون يأسكان اللام وتخفيف النون على أن النون للوقاية . الإتحاف ، ٢٩٢ .

(٤) يشير إلى قول (ز) : ((فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً ، وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك ... ألا تفاتحني بالسؤال)) .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرجتها لتغرق أهلكا لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ الكهف الآية ٧١ . قال (ز) : أصحاب السفينة عرفوا الخضر فحملوهما بغير ((نول)) .

(٦) النهاية ١٢٩ / ٥ ، مادة (نول) .

(٧) الأساس ٥٥٩ ، مادة (لجج) .

(٨) الجوهري في صحاحه ٣٣٨ / ١ ، مادة (لجج) .

قوله : ((ولتغرق أهلها)) (١) ، حمزة والكسائي ليغرق بالياء مفتوحة وفتح
الراء وأهلها برفع اللام ، والباقون بضم التاء وكسر الراء ونصب اللام ، والتشديد
شاذ (٢) .

قوله : ((دَاهِيَةٌ دَهْيَاءٌ إِذَا إِمْرًا **))

أوله : ** قد لَقِيَ الْأَعْدَاءُ أَشْيَاءَ نَكَرًا ** (٣) .

الدهيا مبالغة في الشدة ، الأساس (٤) : [بقيت منه في داهية آده ولقيت منه كل
شدة] ، الراغب (٥) : [إمرأ أي منكراً ، وتحقيقه من أمر الأمر ، أي كثر وكبر
كقولهم استفحل الأمر] .

قوله : ((أو أخرج الكلام في معرض النهي)) (٦) عطف على قوله : ((أراد
أنه نسي وصيته)) فعلى الثاني نسيت مطلق يعني مانسي في الحقيقة لكن عرض (٧)
ونهاه عن المؤاخذة بنسيانه لأن الإنسان مجبول عليه ، وعن ابن عباس (٨) أنه سمي
إنساناً لأنه عهد إليه فنسي ، وعليه قول إبراهيم عليه السلام (هذه أختي في الدين)
(إني سقيم) أي سأسقم أو سقيم لما أجده من الغيظ .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي الْفَافِةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا إِمْرًا ﴾ الكهف الآية ٧١ . قرأ حمزة والكسائي وخلف ووافقه الأعمش (ليغرق أهلها) بفتح الياء
المشاة من تحت ، وفتح الراء على الغيب ، ورفع (أهلها) على الفاعلية ، والباقون بضم التاء المشاة من فوق
وكسر الراء مع سكون الغين (لتغرق أهلها على الخطاب ونصب (أهلها) على المفعول به . الإتيان ٢٩٣ .

(٢) وعن الحسن بضم التاء المشاة من فوق وكسر الراء مشددة على الشذوذ ، المرجع السابق .

(٣) البيت لأبي عبيدة معمر بن المثنى . والصحيح فيه :

** قد لقي الأقران مني نكراً ** داهية دهياء وأمرًا إمرًا **

انظر مجاز القرآن لأبي عبيد ٤٠٩/١

(٤) لم يكن في الأساس هذا اللفظ حسب اطلاعي لا عند مادة (دهى) ولا غيرها .

(٥) الراغب ٢٥ ، مادة (أمر) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَأْخُذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرَهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكُفْرِ ٧٣ ﴾

تفسير قوله : ﴿ بما نسيت ﴾ قال (ز) : أو أخرج الكلام إلخ .

(٧) عرض (له) في م .

(٨) ذكر ذلك في طه ، عند قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ﴾ الآية ١١٥ ،

القرطبي ٢٥١ / ١١ .

قوله : ((وهو من معاريض الكلام)) ، الأساس (١) : [عرفت ذلك في مِعْرَاضٍ كَلَامِهِ] وقولهم : خذ في عروض سوى هذه أي في ناحية .

قوله : ((أو أراد بالنسيان الترك)) ، الأساس (٢) : [ومن المجاز نسيت الشيء أي تركته (٣)] .

قوله : ((وقرئ زاكية)) (٤) ، الكوفيون وابن عامر زكية بتشديد الياء من غير ألف ، والباقون بالألف والتخفيف ، قال القاضي (٥) : [قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع زاكية ، والأول أبلغ ، وقال أبو عمرو : الزاكية التي لم تذب قط والزكّية التي أذنت ثم غفرت ، ولعله اختار الأول لذلك فإنها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها أذنت ذنبا يقتضي قتلها ، أو قتلت نفسا فتقاد بها] .

قوله : ((لم يبلغ الحنث)) (٦) ، النهاية (٧) : [أي لم يبلغ مبلغ الرجال ولم يحجر عليه القلم فيكتب عليه الحنث] .

قوله : ((أن نجدة الحروري)) (٨) ، النهاية (٩) : [الحرورية طائفة من الخوارج نسبوا إلى حروراء بالمد والقصر ، وهو موضع قريب من

(١) الأساس ٤١٥ ، مادة (عرض) .

(٢) الأساس ٦٣١ ، مادة (نسي) .

(٣) (نسي) تأتي بمعنى الترك ومنه قوله في طه الآية ١١٥ : ﴿ فَنَسِيَ ﴾ ولم نجد له عزماً ﴿ وكقوله في السجدة الآية ١٤ : ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ وقوله في البقرة الآية ٢٣٧ : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ وتأتي بمعنى عدم الحفظ ، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف هذه الآية ٦٣ : ﴿ إني نسيت الخوت ﴾ وقوله في الكهف أيضاً الآية ٧٣ : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ وقوله في سورة الأعلى الآية ٦ : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية ﴾ ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس (زاكية) بألف بعد الزاي وتخفيف الياء اسم فاعل من زكا . ووافقهم ابن محيصن واليزيدي . والباقون بتشديد الياء من غير ألف . الإتحاف ٢٩٣ .

(٥) القاضي البيضاوي ٢٣٢ / ٣ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ زكية ﴾ قال (ز) : ((لم تبلغ الحلم)) .

(٧) النهاية ٤٤٩ / ١ ، مادة (حنث) .

(٨) نجدة بن عامر الحروري من بني حنيفة من بكر بن وائل ، رأس الفرقة النجدية ^{نسبته} إليه ، ويعرف أصحابها بالنجدات ، انفرد عن الخوارج بآراء . انظر الكامل للمبرد ١٢٩ / ٢ ، والأعلام للزركلي ١٠ / ٨ ، ولسان الميزان ١٤٨ / ٦ .

(٩) النهاية ٣٦٦ / ٦ ، مادة (حرر) .

الكوفة (١) كان أول مجتمعهم وتحكيمهم فيها وهم إحدى فرق الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه ، وكان عندهم من التشدد في الدين ماهو معروف .
قوله : ((نكرا)) (٢) ، وقرىء بضمتين نافع وابن ذكوان في الموضعين والباقون يأسكانها .

قوله : ((لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة)) (٣) قال الإمام (٤) : [النكر ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس ، وهو أبلغ في تقييح الشيء من الإمر ، وقيل : بالعكس ، لأن الأمر هو الداهية العظيمة] . الراغب (٥) : [النكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف ، وقال صاحب الفرائد : [خرق السفينة أقرب إلى أن يؤول بما يصح ، بخلاف قتل النفس ، فإنه ظاهر الفساد ، فكونه منكراً ظاهراً ، أو تقول : قتل النفس أقبح لأنه إهلاك النفس ، وخرق السفينة إهلاك المال فاختير الأمر للخرق والنكر للقتل] . وقلت : الذي يقتضيه النظم أن يؤخذ من الأغلظ ثم ينزل إلى الأهون ، فقتل النفس أهون ، من الخرق وأغلظ من إقامة الجدار بلا أجرة .

قوله : ((زيادة المكافحة)) (٦) ، الأساس (٧) : [كافحه لاقاه مواجهة وكفحت الدابة وأكفحتها تلقيت فاها باللبام] .

قوله : ((والوسم)) ويروى والوصم ، الجوهرى (٨) : [والوصم العيب والعار] .

(١) الكوفة هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، وأول بنائها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٩ ، معجم البلدان ٤/ ٤٩٠ ، وحروراء من قرى الكوفة .
(٢) قرأ (نكراً) في الموضعين بضم الكاف نافع وأبو بكر وابن ذكوان وأبو جعفر ويعقوب . والباقون بالسكون فيهما . الإتحاف ٢٩٣ .

(٣) تفسير (نكرا) قال (ز) : هو المنكر . وقيل النكر أقل من الإمر ((لأن قتل إلخ ...)) .

(٤) الإمام الرازي ٢١/ ١٥٥ .

(٥) الراغب ٥٠٥ ، مادة (نكر) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ الكهف الآية ٧٦ .

قال (ز) في تفسير ﴿ لك ﴾ : ((زيادة المكافحة)) بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر .

(٧) الأساس ٥٤٧ ، مادة (كفح) .

(٨) الجوهرى في صحاحه ٥/ ٢٠٥٢ ، مادة (وصم) .

قوله : ((وإن طلبت صُحبتك فلا تتابعني)) راعى في هذه العبارة معنى المفاعلة في (تُصَاحِبُنِي) .

قوله : ((قد أعذرت)) أي لم تبق موضعاً للاعتذار ، ويروى أعذرت على التكلم ، أي لم أبق موضعاً للاعتذار .

قوله : ((وقرىء))^(١) (لدن) بتخفيف النون ، ولدني بسكون الدال وكسر النون)) ، قال الزجاج^(٢) : أجود القراءات بتشديد النون ، [لأن أصل لدن الإسكان ، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الأولى ، فتقول : من لدني ، كما تقول : عني ومني . ومن قال : لدني لم يجز له أن يقول عني ومني بحذف النون ، لأن لدن اسم غير متمكن ، ومن ، وعن ، حرفان ، والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم : قدى في قدني في معنى حسبي ، لأن قَدْ اسم غير متمكن قال :

** قَدْ نِيَّ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْيْنِ قَدْى **^(٣) .

ولأبي علي فيه كلام طويل .

قوله : ((استعيرت الإرادة لِلْمُدَانَةِ))^(٤) ، وذلك أن الإرادة لغة هي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ، ومال إليه قلبك ، واصطلاحاً هي اسم لمنزوع النفس إلى أمر مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أولاً ، مضى بسطه في أول البقرة وسورة يوسف ، وذلك في الجماد محال ، فشبهت مشاركة الجدار للانقضاء بإرادة من همّ

(١) قرأ (من لدني) نافع وأبو جعفر بضم الدال وتخفيف النون ، وقرأ أبو بكر بتخفيف النون ، واختلف عنه في ضم الدال ، إما على إتمامها بالضم ، أو اختلاسها ، والباقيون بضم الدال وتشديد النون . الإتحاف ٢٩٣ . قال في الخلاصة :

** وفي لدني لدني قل وفي ** قدني وقطني الحذف أيضا قد يفني ** .

(٢) الزجاج ٣ / ٣٠٣ ، وهذه العبارة ليست فيه ، وهي قول (أجود القراءات بتشديد النون) لأن هذا لا ينبغي أن يقال في قراءة ثابتة . والباقي في الزجاج بتصرف كثير .

(٣) الرجز هذا لحميد بن مالك الأرقط . وبعده :

* ليس الإمام بالشحيح الملحد * ، انظر خزانة الأدب ٢ / ٤٤٩ ، وابن يعيش ١ / ٤٤٢ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ يريد أن ينقص ﴾ ، قال (ز) : استعيرت الخ)) .

بالأخطا بعد ان كان منتصبا، والوجه الميلان ، ثم استعير لجانب المشبه الإرادة ، ثم سرى من المصدر إلى الفعل فهو استعارة مصرحة تبعيه ، ويجوز أن تكون مكنية ، قال ابن جني (١) ، [يريد معناه قارب وشارف] فهو عائد إلى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وحسن ذلك ، لأن الإرادة أقوى في وقوع الفعل ، لأنها داعية إلى وقوعه ، وهي أيضا لا تصح إلا مع الحياة ، وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر مما لا حيلة له فيه نحو ميلان الحائط وإشراق ضوء الفجر .
قوله :

((** في مهمه قلقت به هاماتها **)) (٢) ، البيت

المهمه المفازة ، والهامة وسط الرأس ، إذا أردن أي شارفن الخروج من الخشب ، ونصل السهم إذا خرج منه النصل ، يصف شدة المفازة ، وأن هامات النوق فيها قلقة ، قلق الفؤس إذا شارفن الخروج من نصالها ، قال الصولي (٣) : كان أبو فراس (٤) سبيء الاعتقاد بالقرآن متعتا ظاهر الكفر ، قال لي يوما ونحن بمحضر من الناس : هل تعرف العرب إرادة لغير مميز ؟ ، فقلت : إنهم يعبرون عن الجمادات بالقول . قال :

** امتلأ الحوض وقال قطنى ** (٥)

وقال : لم أر هذا ، وكان غرضه قوله تعالى : ﴿ جدارا يريد أن ينقض ﴾ فأيدنى الله تعالى بأن ذكرت قول الراعي : في مهمه قلقت ، البيت ، فكأنني ألقمته الحجر وسر بذلك من كان صحيح النية وسود الله وجهه .

(١) ابن جني في المختص ٣١ / ٢ .

(٢) البيت للراعي يصف الإبل بأنها في مهمه . وتام البيت :

** قلق الفؤس إذا أردن نصولا ** .

انظر الكشف ٧٣٧/٢ .

(٣) الصولي : إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، أبو إسحاق كاتب العراق في عصره ، أصله من خراسان ، وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ، ونشأ إبراهيم في بغداد وقربه الخلفاء ، فكان كاتباً للمعتصم . ولد سنة ١٧٦ ومات ٢٤٣ . الأغانى ٩ / ٢٠ ، ومعجم الأدباء ١ / ٢٦١ .

(٤) أبو فراس لعله : الحارث بن سعيد بن حمدان .

(٥) رجز لا يعلم قائله . انظر شرح الشواهد للعيني ١ / ١٢٥ الصبان والأشمونى .

قوله : ((** إن دهرًا يلفّ شملِي **)) ، البيت (١) .

يقال : لفت الشيء إذا طويته وادرجته ، والشمل تألف الأمور واستواؤها ، وجُمِلَ اسم محبوبته ، يقول : إن دهرًا يجمع بيني وبين محبوبتي دهر هُمّه الإحسان لا الإساءة.

قوله : ((** إذ قالت الأنساع **)) (٢) . مضى شرحه في البقرة .

قوله : ((** تقول سنّي للنواة طنّي **)) (٣) .

أوله : ** ويل لبرنّي الحزين منّي ** إذا التقت نواته وسنّي **

قوله : ((** وشكا إليّ بعبرة وتَحَمَّجُمُ **)) (٤) . أوله :

** فازورّ من وقع القنابلبانه ** .

الازورار الميل ، ولبان الفرس موضع اللب ، و الحمحم من صهيل الفرس ، ما كان فيه ، شبه الحنين لفراق صاحبه ، يقول : فمال فرسي مما أصابت صدره رماح الأعداء ، وشكي إلى بعبرة و تحمحم .

قوله : ((** إن يك ظنّي صادقاً وهو صادقِي **)) (٥) .

تمامه : ** بشمْلَةٍ تَحْبِسُهُمْ بِهَا مَحْبَساً وَعِراً ** .

قائلة أم شملة ، والباء في شملة يتعلق بظني أو بصادقي ، والمراد بالظن الفراسة ، وهو صادقي أي ظني يصدقني ، والجملة معترضة ، تقول : إن كنت صادقة الظن بأنني شملة ، وظني يصدقني لا محالة ، فإن شملة محبس القوم بتلك المعركة ويأخذ بثأر أبيه .

(١) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه . وتمامه :

** إن دهرًا يلفّ شملِي يُجَمِّلُ

**

لزمان يَهْمُ بالإحسان ** .

انظر الكشف ٧٣٧/٢ .

(٢) البيت لأبي النجم ، وتمامه :

** إذا قالت الأنساع للبطن الحق

**

قُدُومًا فَاحْضَتْ كَالْفَنِيْقِ الْمَحْقِ ** .

ذكره الطبري ١ / ٥١٠ ، واللسان ١ / ٧٠ ، ومضى شرحه عند قوله : ﴿ بديع السماوات

والأرض ﴾ ، الآية ١١٧ من الأنعام

(٣) لم أقف على قائله وانظر الكشف ٧٣٨/٢ .

(٤) البيت لعنزة بن شداد ، وبعده :

** لو كان يدري ما المخاورة اشتكى

**

ولكان لو علم الكلام مكلمي **

ذكره محمد عليان المرزوقي في كتابه " مشاهد الانصاف على شواهد الكشف " ٧٣٨/٢ .

(٥) القائلة أم شملة بن برد المنقدي . انظر مشاهد الانصاف ٧٣٨/٢ .

وقوله : ((** تمرّد ماردٌ وعزّ الأبلق **)) (١) .

قال الميداني (٢) : مارد حصن دومة الجندل ، والأبلق حصن السموءل بن عاديا ، وصف بالأبلق لأنه بنى من حجارة مختلفة بأرض تيماء ، قصدتهمما الزباء (٣) ملكة الجزيرة فلم تقدر عليها ، فقالت : تمرّد مارد وعزّ الأبلق ، فصار مثلاً لكل ما يعزّ ويمتنع عن طالبه ، عزّ أي غلب من عزّ يعزّ بضم العين ، ويجوز أن يكون من عزّ يعزّ بكسرهما .

قوله : ((** يأتي على أجفانه ** ، البيت)) (٤) .

أي يأبى النوم على أجفانه ، وذلك الهمّ همّ متمرد إذا انقاد الهموم ، النهاية (٥) : [غفوت غفوة ، أي نمت نومة خفيفة ، يقال : أغفى إغفاءة ، إذا نام ، وقلما يقال : غفا] .

قوله : ((** أبت الروادف ، البيت)) (٦) .

الروادف جمع ردف وهو الكفل ، وصفها بأنها ناهدة الثديين دقيقة الخصر لطيفة البطن عظيمة الكفل ، فالثدي يمنع القميص أن يلتصق بطنها ، والردق يمنع أن يلتصق بظهرها .

قوله : ((وقرىء (أن يُنْقَضَ))) ، قال ابن جني (٧) : [وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم برفع الياء وبالضاد المعجمة . وقرأ علي بن أبي طالب

(١) وتماه :

** وقد قالت الزبالخصن سمؤال ** تمرّد مارد وعزّ الأبلق ** .

مشاهد الانصاف ٧٣٩/٢ .

(٢) الميداني في أمثاله ٢٥٧ / ٢

(٣) الزباء بنت عمرو بن الطرب بن حسان بن أذينة بن السميدع ، الملكة المشهورة ، انظر الأعلام

للزركلي ٤١ / ٣ ، وقيل غيرها .

(٤) البيت ، وتماه : ** يأبى على أجفانه إغفاءة ** همّ إذا انقاد الهموم تمرّدًا ** .

انظر الكشف ٧٣٩/٢ .

(٥) النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٧٦ ، مادة (غفا) .

(٦) ** أبت الروادف والثدي لقمصها ** من البطون وأن تمسّ ظهوراً ** .

مشاهد الانتصاف ٧٣٩/٢ .

(٧) ابن جني في المحتسب ٣١ / ٢ بتصرف .

وعكرمة ^(١) ينقاصُ بالصاد المهملة بالألف ، وهو مضارع قصته ، فانقاص أي كسرتة فانكسر ، وقد قالوا : قصته فانقاص بالصاد المعجمة ، أي هدمته فانهدم ، وقراءة العامة ﴿ أن ينقض ﴾ أشبه أولاً منها بآخر ، لأن الإرادة في اللفظ له [.

قوله : ((انقض إذا أسرع سقوطه)) ، الراغب ^(٢) : [انقض الحائط وقع وأفض عليه مضجعة صار فيه قضض ، أي حجارة صغار] .

قوله : ((منقاص ومنكتب *)) ^(٣) . أوله :

**** يُغشي الكناس بروقيه ويهدمه **** من هائل الرمل منقاص ومنكتب *

الكناس موضع الوحش من البقر والظبا يستظل به ، مشتق من الكنس ، لأنها تكنس الرمل حتى يصير إلى برد الثرى ، يقال : كنست الظبا وتكنست استترت . والرواق القرن ، ومنقاص أي منهدم ، منكتب هائل ، يصف الرملة يقول : الثور يغشي الكناس بقرنيه ويهدم الكناس ، مما انهال من الرمل وتناثر وتساقط قطعة قطعة ، ومنقاص يروى بالصاد المعجمة من انقاض الطائر وانقض إذا أسرع في سقوطه . ويروى بالصاد المهملة من انقاصت السن إذا انشقت ، وهو خبر مبتدأ محذوف أي هو منقاص وهو يعود إلى الكناس .

قوله : ((وقرىء لتخذت)) ^(٤) ، ابن كثير وأبو عمرو ، والباقون بتشديد التاء وفتح الحاء .

قوله : ((و التاء في تخذ أصل)) ، ذكر في باب الواو مع الحاء في الأساس ^(٥) ، وخذ يخذ خذاً وخذاً . وفي باب التاء مع الحاء اتخذته خليلاً ، وهو المراد من قوله :

(١) لعله عكرمة بن خالد بن العاص أبو خالد المخزومي المكي ، تابعي ثقة جليل حجة ، روى القراءة عرضاً عن أصحاب ابن عباس رضي الله عنه . مات سنة ١١٥ ، طبقات ابن الجوزي ١ / ٥١٥ .

(٢) الراغب في مفرداته ٤٠٥ ، مادة (قض) .

(٣) البيت الذي الرمة في ديوانه ص ٢١ .

(٤) قرأ (لتتخذ) ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بقاء مفتوحة مخففة ، وحاء مكسورة بلا ألف وصل ، من تخذ بكسر عينه ، ووافقهم ابن محيىن واليزيدي والحسن . والباقون بهمزة وصل ، وتشديد التاء وفتح الحاء ، من (اتخذ) الإتحاف ٢٩٤ .

(٥) الأساس ، لا يوجد في باب (وخذ) ويوجد في باب (تخذ) ٦١ .

وليس من الأخذ في شيء ، قال أبو البقاء (١) : [وهو من يتخذ يتخذ إذا عمل شيئاً]
و أما اتخذ بالتشديد فهو إما افتعل من اتخذ أو من الأخذ ، وأصله أيتخذ ، فأبدلت
التاء وأدغمت وأصل التاء همزة .

قوله : ((هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ)) (٢) ، قال ابن
الحاجب (٣) في الأمالي : [المشار إليه (٤) لا يشترط أن يكون موجوداً حاضراً ، بل
يكفي أن يكون موجوداً ذهنياً ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة ﴾ (٥)
وهي معدومة ومن شروط وجود المشار إليه فهو حاصل] . وقال القاضي (٦) :
[الإشارة بهذا إلى الفراق المعهود بقوله : ﴿ فلا تصاحبني ﴾ .] أو إلى الوقت ، أي
هذا الوقت وقت الفراق .

قوله : ((أي هذا الاعتراض سبب الفراق)) (٧) ، في تخصيصه بدون الأولين
الإشارة إلى أن الطمع أوردى الخصال ، فإنه عليه السلام مهّد عُذْرَهُ فيهما لما في
ظاهرهما من النفرة في جهة الإتلاف والإهلاك في الظاهر ، وفي هذا الإهلاك من جهة
الباطن وطلب حظ النفس ، روى القشيري (٨) في رسالته عن بعضهم : لما نطق موسى
عليه السلام بذكر الطمع ، وقال : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ ، قال الخضر :
﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ .

(١) أبو البقاء ١٠٧ / ٢ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ ، سورة
الكهف الآية ٧٨ ، قال (ز) في تفسير (هذا) : إشارة إلى ماذا ، فأشار إليه ، وجعله مبتدأ وأخبر عنه ، كما
تقول : ((هذا أخوك إلخ ...)) .

(٣) أمالي ابن الحاجب ، مخطوط .

(٤) ما بين القوسين س من م .

(٥) سورة القصص الآية ٨٣ ، وتقدم هذا الكلام في أول سورة الحجر .

(٦) القاضي البيضاوي ٢٣٢ / ٣ .

(٧) يعني قوله : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ .

(٨) القشيري عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أبو نصر ، واعظ من علماء نيسابور
علت له شهرة كبيرة ، ملازم للوعظ والتدريس . مات سنة ٥١٤ هـ ، مرآة الجنان ٣ / ٢١٠ ، والبداية
والنهاية ١٢ / ١٨٧ ، والأعلام للزركلي ٣ / ٣٤٦ .

قوله : ((فكان حقه أن يتأخر عن السبب)) (١) ، أي كان حق النظم أن يتأخر قوله : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ عن قوله : ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ ، لأن إرادة التعيب مسبب عن خوف الغضب .

قوله : ((وإنما قدّم للعناية)) وهي أن لا يحيط به علم موسى عليه السلام وأنه العالم بمثل ما خفي على مثله ، لقوله : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ ، قال صاحب المطلع (٢) : [قدّم ليثير إلى العناية ، أي تتعجب منه يا موسى ، وهذا مَهْمَي وأنا مأمور به] .

قوله : ((ولأن خوف الغضب ليس هو السبب وحده)) ، قال القاضي (٣) : [إن السبب لما كان مجموع الأمرين ، خوف الغضب ومسكنة الملاك ، رتبته على أقوى الجزأين وأذعاهما ، وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتميم] ، وقال صاحب الانتصاف (٤) : [كأنه جعل السبب كونها للمساكين ، ثم بين مناسبة هذا السبب بذكر عادة الملك في غضب السفن الصحيحة ، وهذا هو الترتيب أن يرتب الحكم على سبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد ، فلا يحتاج إلى جعله متقدما] ، وقلت : هذا هو الوجه .

قوله : ((زيد ظني مقيم)) ، قال المصنف : الظن يتعلق بالطرفين ، بالابتداء والخبر جميعا ، كما أن التعليل في ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ متعلق بالمسكنة والغضب فوسط بينهما .

قوله : ((كاخترامه)) (٥) ، الجوهرى (٦) : [اخترمهم الدهر : اقتطعهم واستأصلهم] وهو خبر ، والابتداء أمره ، هذا بناءً على رعاية الأصلح يعني جواز أمر

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ ، الكهف الآية ٧٩ ، قال (ز) في قوله : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ : مسبب عن خوف الغضب ((فكان حقه إلخ ...)) ، قلت : وهذا لا ينبغي أن يقال في كتاب الله عز وجل .

(٢) لم أفق على صاحب المطلع .

(٣) القاضي البيضاوي ٢٣٣ / ٣ .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٧٤١ / ٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴾ ، قال (ز) : وإنما خشى الخضر منه ذلك ، لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلععه على سر أمره ، وأمره إياه بقتله ((كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته)) .

(٦) الجوهرى ١٩١٠ / ٥ ، مادة (خرم) .

الله تعالى الخضر بقتل الغلام لرعاية الأصلح لجواز إهلاك الله واستتصاله إياه لمفسدة عرفها الله في حياته .

قوله : ((ويجوز أن يكون ﴿ فخشنا ﴾ حكاية لقول الله عز وجل)) عطف على قوله وإنما خشي الخضر منه ، المعنى أن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلععه على سره وقال له : اقتل الغلام لأننا نكره كراهية من خاف سوء العاقبة أن يغشى الغلام الوالدين المؤمنين طغياناً وكفراً ، ولما قال الخضر : ﴿ أما الغلام فكان أبواه مؤمنين ﴾ جعل قول الله تعالى : ﴿ فخشنا ﴾ وصلة لكلامه بدل قوله : ﴿ فخشنا ﴾ إيماءً إلى اضمحلال إرادته في إرادة الله ، وإعلاماً بأن علمه مقتبس من المشكاة القدسية ، ولا شوب فيه لرأيه ، وتحقيقاً لقوله : ﴿ وآتيناه من لدنا علماً ﴾ . روى السلمي (١) عن الواسطي : الخضر شاهد الملك ، وشاهد موسى الوسائط ، كأنه أخبر الخضر أن السؤال منه سؤال من الله ، أي لا تشهد الأسباب واشهد المسبب تسترح من هواجس النفس ، وأما على الوجه الآخر ، فهو عليه السلام إنما عظم نفسه ، لأنه اختص من عند الله بموهبة لا يختص بها إلا من هو من خواص الحضرة ، قال الإمام (٢) : [إنه عليه السلام لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه ، وأضاف الرحمة في قوله : ﴿ أراد ربك ﴾ إلى الله تعالى ، على نحو ﴿ أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ﴾ (٣) ، وعند القتل عظم نفسه تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة ، وقلت : ويمكن أن يقال : إن في اختلاف الضمان رمزاً إلى الترقى إلى معارج القدس ، والتدرج إلى مَخْدَعِ الْفَناء ، ففي أردت أردت (٤) ، وفي خشنا سور (٥) منه ، وفي أراد ربك فناء محض ، كقوله تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (٦) .

(١) السلمي ، تقدّمت ترجمته ، وهو من كبار المتصوّفة . قيل : كان يضع الأحاديث للصوفية ، كثير التصانيف في ذلك ، انظر : الأعلام ، ٩٩/٦ .

(٢) الإمام الرازي في تفسيره ، ١٦٢/٢١ .

(٣) سورة الفاتحة ، الآية ٧ .

(٤) ففي م ((أردت)) مرتين ، كما في (١) .

(٥) في ت (ثبوت) بدل (سور) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ١٧ .

قوله : ((كقوله : ﴿لَاهِبَ لَكَ﴾ (١))) ، أي كقول جبريل عليه السلام لمريم : ﴿لَاهِبَ لَكَ﴾ ، والواهب هو الله تعالى ، لكنه مبلّغ لكلام الله إليها .
قوله : ((وقرئ يُبدّلها ، بالتشديد)) (٢) ، نافع وأبو عمرو ، والباقون بالتخفيف .

قوله : ((الذي حفظا فيه)) (٣) ، أي روعي جانبيهما لأجله وكرامته ، المغرب (٤) : [الحفظ خلاف النسيان ، وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال] .

قوله : ((عن أمري ، عن اجتهادي ورأيي ، وإنما فعلته بأمر الله)) ، الأمر الأول واحد الأمور ، والثاني واحد الأوامر ، قال القاضي (٥) : [ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب أن يحمل أهونهما لدفع أعظمهما ، وهو أصل ممهد ، غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة] ، ومن فوائد هذه القصة ، أن لا يعجب المرء بعلمه ، ولا يبادر إلى إنكار مالا يستحسنه ، فلعلّ فيه سرّاً لا يعرفه ، وأن يداوم على التعلّم ، ويتذلّل للمعلّم ، ويراعي الأدب في المقال ، وأن ينبّه المجرم ، ويعفو عنه حتى يتحقّق إصراره ، ثم يهاجر عنه .

قوله : ((ذو القرنين هو الأسكندر)) (٦) ، قد مرّ عن الإمام أن في جعل إسكندر ذا القرنين إشكالاً قوياً ، وهو أنه كان تلميذاً لأرسطاطاليس ، فكان على مذهبه ، فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطاطاليس حقّ ، وذلك مما لا سبيل إليه .

(١) سورة مريم ، الآية ١٩ .

(٢) قرأ ﴿يبدّلها﴾ هنا ، والتحريم ﴿أن يبدّلها﴾ وفي نه ﴿أن يبدّلنا﴾ فنافع وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح الموحدة وتشديد الدال في الثلاثة ، من (بدل) ووافقهم اليزيدي ، والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال من (أبدل) في الثلاثة ، الإتحاف ٢٩٤ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ ، قال (ز) : اعتداد بصلاح أبيهما ، وحفظ خلقه فيهما ، وكان بين الغلامين وبين الأب ((الذي حفظا فيه)) سبعة آباء .

(٤) المغرب ٢١٣/١ ، مادة (حفظ) .

(٥) القاضي البيضاوي ٢٣٤/٣ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ .

قوله : ((اللهم غفراً)) (١) ، أي اغفر لهم غفراً .
قوله : ((ومدّت له الأسباب)) (٢) ، أي أمكنه الله من كلّ شيء وأقدره .
قوله : ((وأحبّه الله)) ، أي مكّنه الله من كلّ شيء وأقدره .
قوله : ((ابن الكوّاء قال الفقيه أبو حنيفة ، الدينوري (في تاريخه) (٣))) ،
هو عبد الله بن الكوّاء (٤) من كبراء الخوارج (٥) ، اختاروه ليحاجّ علي بن أبي طالب
في أمر الحكمين ، وجرت بينهما مجادلات حتى قال ابن الكوّاء في آخر كلامه : أنت
صادق في جميع ما تقول غير أنّك كفرت حين حكمت الحكمين ، فقاتلهم علي رضي
الله عنه ، وكان عليهم عبد الله بن وهب الراسبي (٦) .
قوله : ((وفيكم مثله)) (٧) ، يعني به نفسه ، أي لم يكن نبياً ، بل كان ولياً .
قوله : ((كما يسمى الشجاع كبشاً)) (٨) ، الأساس (٩) : [ومن المجاز هو
كبش كتيبة] .
قوله : ((وقرىء فأتبع)) (١٠) ، الكوفيون وابن عامر فأتبع في الثلاثة بقطع
الهمزة مخففة التاء ، والباقون بالوصل مشددة التاء .

-
- (١) من كلام عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول : (يا ذا القرنين) فقال : ((اللهم غفراً)) .
(٢) من كلام علي رضي الله عنه قال : سخرت له السحاب ((ومدّت له الأسباب)) .
(٣) ما بين القوسين س من ت .
(٤) عبد الله بن الكوّاء بن عمرو بن النعمان بن ظالم . ذكره ابن حزم في الأنساب ٣٠٨ ، وابن
حجر في ميزان الاعتدال ١٨٨/٣ ، وقال : إنه من رؤوس الخوارج .
(٥) الخوارج : هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانوا معه في القتال ،
فصاروا عليه بعد أن كانوا معه في قتال معاوية بن سفيان رضي الله عنهما ، وكفّروا علياً رضي الله عنه .
(٦) عبد الله بن وهب الراسبي من الأزديين ، من أئمة الإباضية ، كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة ،
أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص ، ثم كان مع علي في حروبه ،
ولما وقع التحكيم أنكره جماعة فيهم الراسبي هذا ، فاجتمعوا بالنهروان ، وأمرّوه عليهم ، فقاتلوا علياً رضي
الله عنه ، وقتل الراسبي هذا في هذه الواقعة ، الأعلام ١٤٣/٤ .
(٧) وفيكم مثله ، يعني نفسه ، أي علي بن أبي طالب ، لأنّه كان داعية للتوحيد ، ولياً من أولياء الله .
(٨) أي لقب ذو القرنين لشجاعته .
(٩) الأساس ٥٣٤ ، مادة (كبش) .
(١٠) قرأ ﴿ فأتبع سبياً ﴾ في الثلاثة ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف بقطع
الهمزة وإسكان التاء في الكلّ ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء ، الإتحاف ٢٩٤ .

قوله : ((قرىء حمزة)) (١) ، ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي حامية ،
بألف من غير همزة ، والباقون بغير ألف مع الهمز .

قوله : ((وعن أبي ذر ، الحديث)) (٢) ، رواه أحمد في مسنده وأبو داود في
سننه .

قوله : ((** فرأى مغيب الشمس .. **)) (٣) البيت . أوله من المطلع :
** قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ** ملكاً تدين له الملوك وتسجد **
** بلغ المشارق والمغارب يبتغي ** أسباب أمر من حكيم مرشد **
الضمير في بلغ لذي القرنين ، مآبها أي مغيبها ، والخلب الطين ، والحماة والثأط ،
الحماة واحدها ثأط ، وفي المثل : ثأط مدت بماء (٤) ، يضرب للرجل يشتد حمقه ،
فإن الماء إذا زيد على الحماة ازدادت فساداً ، والحرمد الأسود ، ذكره في النهاية (٥)
وقال : فيها أنشد ابن عباس هذا البيت . وقد حاجه عمرو في قوله تعالى : ﴿ تغرب
في عين حمئة ﴾ (٦) .

قوله : ((وقيل : خيرَه بين القتل والأسر)) (٧) ، عطف على قوله : فخيرَه
الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام المعني بقوله : ﴿ أن تتخذ فيهم
حُسناً ﴾ ، وهو على الأول ظاهر ، فأما الأسر فليس فيه إحسان ، حتى يقال : ﴿ أن

(١) قرأ ﴿ في عين حمئة ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب بالهمز من غير ألف ، ووافقتهم
اليزيدي ، والباقون بألف بعد الحاء وإبدال الهمزة ياءً مفتوحة . الإتحاف ٢٩٤ .

(٢) عن أبي ذر قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ، فرأى الشمس حين غابت ،
فقال : يا أبا ذر ، أتدري أين تغرب هذه ؟ ، فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تغرب في عين حامية .
أخرجه أحمد في مسنده ، ١٦٥/٥ ، وأبو داود ٢٩٤/٤ ، كتاب الحروف والقراءات ، برقم ٤٠٢ ، من
حديث أبي ذر .

(٣) البيت لتبع الأكبر المذكور في القرآن ، يفتخر بجده ، وتقام البيت :
** فرأى مغار الشمس عند مآبها ** في عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وثَاطٍ حَرْمَدٍ **
الانصاف ٧٤٤/٢ .

(٤) الأمثال للميداني ٢٨٨/١ ، برقم ٤٠٨ .
(٥) النهاية ٣٧٥/١ ، مادة (حرمذ) ، قال : الحرمد : طين أسود شديد السواد .
(٦) يشير إلى ما ذكره (ز) ، قال : قرأ معاوية رضي الله عنه (حامية) ، فقال ابن عباس رضي الله
عنهما : (حمئة) ، فقال معاوية لعبد الله بن عمرو : كيف تقرأ ؟ ، قال : كما يقرأ أمير المؤمنين .. إلخ .
(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴾ .

تتخذ فيهم حسناً ﴿١﴾ . ولهذا قال : وسماه إحساناً في مقابلة القتل ، لأن من استحقّ القتل فإذا صوّح معه بالأسر فقد عومل معه بالإحسان . قال القاضي (١) : [ويؤيد الأول قوله : ﴿٢﴾ وأما من ظلم فسوف نعذبه ثم يردّ إلى ربّه فيعذّبه عذاباً .. ﴾ أي اختار ذو القرنين الدعوة ، ولذلك قال : ﴿٣﴾ أما من ظلم فسوف نعذّبه ﴿٤﴾ أي أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره وشركه ، لأنّ الشرك ظلمٌ ، فأعذّبه أنا ومن معي بالقتل في الدنيا ، ثمّ يعذّبه الله في الآخرة عذاباً لم يعهد مثله] ، وقلت : أما على الوجه الثاني فإنّه تعالى لما خيره بين القتل والأسر ، وكان حقّه أن يقول لهم : اختاروا إمّا القتل وإمّا الإشراك (٥) ، فترك ذلك إلى الدعوة ، وقال : ﴿٦﴾ أما من ظلم ﴿٧﴾ وأما من آمن ﴿٨﴾ ، فآثر حقّ الله على حقّ نفسه من ظلم ، أي بقي على شركه ، فالقتل والأسر مني ﴿٩﴾ ثمّ يردّ إلى ربّه فيعذّبه عذاباً نكراً ﴿١٠﴾ ومن آمن وعمل صالحاً فجزاؤه عند الله الجنة ، وعندني القول الميسور ، فقدّم في جانب العذاب ما كان منه على ما هو عند الله ، وعكس في جانب الرحمة .

قوله : ((وقرئ : ﴿١١﴾ فله جزاء الحسنى ﴾)) (١) ، أي فله الفعل الحسنى جزاءً ، حفص وحمزة والكسائي ، فله جزاء الحسنى ، بالتنوين ونصبه . والباقون بالرفع من غير تنوين . قال مكّي (٢) : [من رفع (جزاء) ، جعله مبتدأ ، و (فله) الخبر ، أي فله جزاء خلال الحسنى ، فـ (الحسنى) مضاف إليه ، وقيل : هي على تقدير الرفع على البدل من جزاء ، وحذف التنوين للقاء الساكنين ، والحسنى الجنة ، ومن نصب ونوّنه ، جعل (الحسنى) مبتدأ ، و (له) الخبر ، وجزاء نصب

(١) القاضي البيضاوي ٢٣٥/٣ ، بتصرف .

(٢) الأسر في ت بدل الإشراك .

(٣) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب : ﴿٤﴾ فله جزاء الحسنى ﴿٥﴾ بفتح الهمزة منوثة منصوباً

، على أنّه مصدر ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بالرفع من غير تنوين ، الإنحاف ٢٩٤ .

(٤) مكّي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ، أبو محمد ، مفرّج عالم بالتفسير

والعربية ، من أهل القيروان ، له كتب كثيرة ، منها : مشكل إعراب القرآن ، والكشف عن وجوه القراءات

وعملها . مات سنة ٤٣٧ ، وانظر ما قال هنا في كتابه هذا وجوه القراءات ٧٤/٢-٧٥ بتصرف ، وكتابه

مشكل إعراب القرآن ٤٨/٢ .

على الحال ، أي فله الجنة مجزياً بها ، وقيل : جزاء نصب على التمييز . وقيل : على المصدر ، أي يجزى بها جزاء . ومن نصب ولم ينوّه ، حذف التنوين للتقاء الساكنين ، والحسنى رفع تقديرأ ، وفيه بُعدٌ . [

قوله : ((مطلع))^(١) ، بفتح اللام ، وهو مصدر ، وفي الكواشي^(٢) : [مَطْلَعٌ بالكسر ، هي المشهورة ، وهي اسم لوقت الطلوع أو لموضع الطلوع ، وبالفتح مصدر ، أي مكان الطلوع^(٣) ، وهي شاذة^(٤) .

قوله : ((** كَأَنَّ مَجْرَّ الرامسات ذيولها **))^(٥) . تمامه :

**** عليه قضيم نمّته الصوانع ****

قال في المطلع يريد كأن أثر مجرّ الرامسات ، أي جرهنّ ، والرامسات المثيرات للرّمس ، وهو التراب ، الرياح الروامس : التي تثير التراب وتدفن الآثار ، ورَمَسْتُ الرجل وأرَمَسَه : دَفَنْتَه ، والقضيم الجلد الأبيض ، ونَمَّتْ الكتاب إذا حسنته وجوّدته ، ولا بدّ من تقدير المضاف ليحسن لشبهه بالقضيم ، وذيولها مفعول مجرّ ، أي جرهنّ ذيولها . وقضيم خبر كان ، وهو المشبه به ، أي كان آثار مجرّ ذيولها جلدٌ نَمَّته الكاتب ، ولا بدّ من عامل في الذبول ، واسم المكان لا يعمل .

قوله : ((والستر))^(٦) ، الأبنية ، وفي إيجاز البيان^(٧) : [المراد دوام طلوعها عليهم في الصيف ، وإلاّ فالحيوان يختار الكنّ^(٨) حتى الإنسان ، وهذا المكان وراء

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ﴾ الآية ٩٠ .

(٢) الكواشي لأحمد بن يوسف ، تقدّم .

(٣) في ت (مكان طلوع الشمس) .

(٤) قرأ ﴿ مطلع الشمس ﴾ بفتح اللام عيسى وابن محيصن ، وابن كثير في رواية شبل ، مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٨٢ .

(٥) البيت للناطقة . انظر مشاهد الإنصاف ٧٤٥/٢ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ سترأ ﴾ .

(٧) إيجاز البيان ، لم أقف عليه .

(٨) الكنّ : السترة ، والجمع أكنان ، قال تعالى : ﴿ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ ، المصباح

برزه من تلقاء بلغار^(١) ، تدور فيه الشمس بالصيف ظاهرة فوق الأرض ، إلا أنها لا تسامت رؤوسهم .

قوله : ((كذلك)) ، أي أمر ذي القرنين كذلك ، اعلم أن (كذلك) إمّا خبر مبتدأ محذوف أو صفة لموصوف مذكر ، أو صفة مصدر محذوف ، فعلى الأول المشار إليه بذلك جميع ما سبق من أمر ذي القرنين ، وفيه تفخيم للفذلكة^(٢) بعد التفصيل ، ولهذا قال تعظيماً لأمره ، وقوله : ﴿ وقد أحطنا بما لديه خبراً ﴾ ، الجملة تكميل لأنه أردف التعظيم التكثير ، كأنه قيل : أمر ذي القرنين كما وصفنا ، وله أسباب عدة غير ما ذكر ، لا يحيط بها علم أحد غير الله لقوله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾^(٣) ، ﴿ وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾^(٤) ، وعلى الثاني ، إمّا هو صفة لقوله : ﴿ ستراً ﴾ ، وإليه الإشارة بقوله : سترأ ، مثل ذلك الستر ، وليس بذاك^(٥) ، لأن قوله : ﴿ وقد أحطنا بما لديه خبراً ﴾ لا يحسن التّأّمه على هذا ، أو وصفه لقوم ، والمشار إليه بذلك أحوال القوم المارّ ذكرهم عند قوله : ﴿ ووجد عندها قوماً قلنا .. إلى آخره ﴾ ، ويحسن التّأّم قوله : ﴿ وقد أحطنا ﴾ ، أي أحطنا بما لديه خبراً من التخيير والاختيار والدعوة والإحسان . وعلى الثالث المشار إليه ما سبق من البلوغ في قوله : ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس ﴾ ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ بلغ مطلع الشمس ﴾ ، كما بلغ مغربها ، ومعنى ﴿ وقد أحطنا بما لديه ﴾ أي بما عند ذي القرنين لما يتّصل بالبلوغ من البعث والمشقة وآداب السير ، فقوله : ﴿ وقد أحطنا بما لديه ﴾ على هذين التفسيرين تميم ومبالغة .

(١) بُلْغار بالضم والغين معجمة ، مدينة الصقالية ضاربة في الشمال ، شديدة البرد ، لا يكاد الثلج يقلع عنها ، بناؤها بالخشب وحده ، ليلهم لا يتجاوز ساعة ، ونهارهم طويل . انظر معجم البلدان ١/٤٨٥ -

(٢) الفذلكة : هي المقدمة الجملة ، المعجم الوسيط ٢/٦٧٨ .

(٣) سورة المدثر الآية ٣١ .

(٤) سورة الجن الآية الأخيرة .

(٥) (وليس بذلك) في ت .

قوله : ((قرىء بالضم والفتح)) (١) ، نافع وابن عامر وأبوبكر بضم السين .
والباقون بفتحها .

قوله : ((لأنَّ السُّلْدَ بالضم فعل)) ، قال صاحب التقريب : [ولا يخفى
ضعف هذا التوجيه] ، قال محي السنة (٢) : [هذا قول عكرمة ، وقاله أبو عمرو .
وقيل هما لغتان ، وقيل : بالضم اسم وبالفتح مصدر] .

قوله : ((وقرىء يفقهون)) (٣) ، حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف ،
والباقون بفتحهما .

قوله : ((وقرئاً مهموزين)) (٤) ، عاصم ، والباقون بغير همز ، نقل صاحب
المطلع عن الأنباري ، قال : وجه همزه وإن لم يعرف له أصل أن العرب قد همزت
مالاً أصل للهمز فيه ، نحو لَبَّاتُ بالحج ، ورَثَّاتُ الميت . وإذا فعلوا هذا في لغتهم لا
يردّهم ذلك في الألفاظ الأعجمية ، وأما رواية فقلب الياء همزة كأثرني في يثربي .

قوله : ((قرىء خرجاً وخراجاً)) (٥) حمزة والكسائي خراجاً ، والباقون
﴿ خَرَجاً ﴾ ، الراغب (٦) : [قيل : لما يخرج من الأرض وكري الحيوان ، ونحو ذلك
خَرَجَ وخَرَجَ . قال تعالى : ﴿ أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير ﴾ (٧) ، فإضافته إلى

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾
الآية ٩٣ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ﴿ بين السدين ﴾ بفتح السين ، ووافقهم ابن محيص والبيدي .
والباقون بضمّها ، الإتحاف ٢٩٤ .

(٢) محي السنة البغوي ٢٠١/٥ ، بتصرف .

(٣) وقرأ ﴿ يُفْقَهُونَ ﴾ حمزة والكسائي وخلف ، بضم الياء وكسر القاف ، من أففقه غيره معدى ،
ووافقهم الأعمش ، والباقون بفتح الياء والقاف ، من ففقه الثلاثي ، الإتحاف ٢٩٥ .

(٤) قوله تعالى : ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ الآية ٩٤ ، قوله :
﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ قرأها عاصم هنا وفي الأنبياء بهمزة ساكنة فيهما ، لغة بني أسد ، والباقون بألف خالصة
بلا همز ، الإتحاف ٢٩٥ .

(٥) قرأ : ﴿ خَرَجاً ﴾ هنا وفي قد أفلح حمزة والكسائي وخلف ، بفتح الراء وألف بعدها فيهما ،
ووافقهم الحسن والأعمش ، والباقون يأسكان الراء بلا ألف فيهما ، الإتحاف ٢٩٥ .

(٦) الراغب في مفرداته ١٤٥ ، مادة (خرج) .

(٧) سورة المؤمنون الآية ٧٢ .

الله تعالى تنبه أنه هو الذي ألزمه وأوجبه ، والخَرْجُ أعمُّ من الخراج ، وجُعِلَ الخرج بإزاء الدَّخْل ، قال تعالى : ﴿ فُهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً ﴾ ، والخراج مُخْتَصٌّ في الغالب بالضريبة على الأرض . وقيل : العبد يؤدِّي خراجَه ، أي غلته ، والرعيّة تؤدِّي إلى الأمير الخراج ، وقيل : الخراج بالضمان ^(١) ، أي ما يخرج من مال البائع فهو بإزاء ما سقط عنه من ضمان المبيع ، والخارجي الذي يخرج بذاته من أحوال أقرانه ، ويقال : على سبيل المدح إذا خرج إلى منزلة هو أعلى منه ، وتارة يقال على سبيل الذم إذا خرج إلى منزلة من هو أدنى منه ، وعلى هذا يقال : فلان ليس بإنسان ، مدحاً وذمّاً ، والخرج لونان من سواد وبياض ، يقال : ظليم أَخْرَجُ ، ونعامه خرجاء ، وأرض مُخْرَجَة ذات لونين لكون النبات فيها في مكان دون مكان [، وقال القاضي ^(٢) :] كلاهما واحد ، كالتَّوَلَّ والنَّوَل ، وقيل : الخراج على الأرض والذمة ، والخرج المصدر . [، وقوله : ﴿ آتُونِي زَبَرَ الْحديد ﴾ لا ينافي ردّ الخراج والاقتصار على المعونة ، كأن الإيتاء بمعنى المناولة ، يدلّ عليه قراءة أبي بكر ^(٣) : ﴿ آتُونِي ﴾ بمعنى جيئوني .

قوله : ((قرىء بالإدغام)) ^(٤) ، ويفكّه ابن كثير بال فكّ ، والباقون بالإدغام . قال صاحب المطلع : [من فكّ لأنّ النونين اجتمعتا في كلمتين ، والثانية غير لازمة ، يقال : مكّنه ومكّنته ، فلم يدغم ، ومن أدغم فلا اجتماع المثّلين] .

(١) حديث رواه أحمد في مسنده ، ٤٨/٦ . وأبو داود في البيوع برقم ٣٠٥٨ . والتزمذي برقم ١٢٥٨ ، وحسنه مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها . والنسائي ٢٥٤/٧ . وابن ماجه برقم ٢٢٤٢ . والحاكم ١٥/٢ ، انظر تلخيص الجبر ٢٢/٣ .
(٢) القاضي البضاوي ٢٣٩/٣ .

(٣) قرأ أبو بكر من طريق العليمي وأبي حمدون ، عن يحيى عنه بهمة ساكنة ، الإنحاف ٢٩٥ .
(٤) قرأ ﴿ قال ما مكّني فيه ربّي ﴾ ابن كثير وحده بنونين خفيفتين ، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الإظهار على الأصل ، والباقون بنون واحدة مشددة بإدغام النون التي هي لام الفعل في نون الوقاية . الإنحاف ٢٩٥ .

قوله : ((كَالْبُرْدِ الْحَبَرِ)) (١) ، النهاية (٢) : [الحبر من البرود ما كان موشياً مخططاً ، وهو بردٌ يمان] .

قوله : ((وقرئ الصدفين بضمّين)) (٣) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ، وأبو بكر بضمّ الصاد وإسكان الدال ، والباقون بفتحتين ، وبضمّ الدال شاذ . قال القاضي (٤) : [كلّها لغات من الصدف ، وهو الميل ، لأنّ كلّاً منهما منعدل عن الآخر ، ومنه التصادف التقابل] .

قوله : ((و ﴿ قطراً ﴾ منصوب بأفرغ)) ، فأعمل الثاني على مذهب البصريين ، لأنّه لو أعمل الأول لقليل : آتوني أفرغه ، إذ المختار أن لا يحذف الضمير المفعول في الثاني ، لأنّه يؤدّي إلى اللبس ، فالهاء عائدة إلى ﴿ قطراً ﴾ وهو المفعول الثاني ، وإن جاز حذفه لكن لا يليق بفصاحة القرآن ترك الاختيار .

قوله : ((وقرئ : ﴿ قال إيتوني ﴾)) ، أي جيئوني ، أبو بكر وحمة بهمزة ساكنة بعد اللام من باب المجيء ، وإذا ابتداء أكسر همزة الوصل ، وأبدلا الهمزة الساكنة ياءً ، والباقون بقطع الألف ومدة بعدها في الحالين .

قوله : ((وأما من قرأ يادغام التاء)) ، قرأ حمزة : ﴿ فما استطاعوا ﴾ بتشديد الطاء ، والباقون بتخفيفها .

قوله : ((وقرئ دكاء)) (٥) ، بالمدّة الكوفيون بالمدّة والهمز من غير تنوين . والباقون بالتنوين من غير همز .

(١) يشير إلى ما رواه قتادة ، قال : ذكر لنا أنّ رجلاً قال : يارسول الله قد رأيتُ سداً يأجوج ومأجوج . قال انعه لي ، قال : ((كَالْبُرْدِ الْحَبَرِ)) ، رواه الطبري في تفسيره ، وابن مردويه في تفسيره ، والقرطبي ٦٣/١١ ، والدر المنثور ٤٥٨/٥ .

(٢) النهاية ١١٤/١ .

(٣) قرأ ﴿ الصُدفَيْن ﴾ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ، بضمّ الصاد والدال ، ووافقهم اليزيدي وابن محيص والحسن . وقرأ أبو بكر بضمّ الصاد وإسكان الدال ، والباقون بفتحهما ، الإتحاف ٢٩٥ .

(٤) القاضي البيضاوي ٢٣٦/٣ .

(٥) قرأ : ﴿ دكَاء ﴾ بالمد والهمز ممنوع من الصرف عاصم وحمة والكسائي وخلف . والباقون بتنوين الكاف بلا همز ، مصدر دكّته . الإتحاف ٢٩٦ .

قوله : ((أو على الفعل والفاعل)) ، يعني يحتمل قراءة علي رضي الله عنه ^(١) أن يُحمل على الابتداء والخبر ، بأن يقال : إن ﴿ حسب ﴾ مبتدأ مضاف إلى الذين كفروا ، و ﴿ أن يتخذوا ﴾ الخبر ، وكذا أيضاً عن أبي البقاء ^(٢) : [أو على الفعل والفاعل ، بأن يقال : إن حسب بمعنى الحسب ، واسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة يعمل ، والفاعل ﴿ أن يتخذوا ﴾ ^(٣)] .

قوله : ((أقائم الزيدان ؟)) ، إنما مثل به دون أقائم زيد ؟ ، لأنه أراد أن يمثل بما يتعين فيه عمل اسم الفاعل في الظاهر .

قوله : ((وهي قراءة محكمة جيدة)) ، قال ابن جني ^(٤) : [القراءة ساكنة السين غاية في الذم ، لأنه جعل غاية مرادهم ومجموع مطلبهم] .

قوله : ((كقوله : ﴿ عاملة ناصبة ﴾)) ^(٥) ، أي عملت نصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة .

قوله : ((أهل حروراء)) ^(٦) ، قرية بالكوفة ، والحرورية فرقة من الخوارج منسوب إليها .

(١) قراءة علي رضي الله عنه وابن عباس وعكرمة ومجاهد : ﴿ أَفَحَسِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يأسكان السين ، شواذ القرآن ٨٢ .
(٢) ١٠٩/٢ .

(٣) على حدّ قوله في الخلاصة :

** مبتدأ زيد وعاذر خبر ** إن قلت زيد عاذر من اعتذر **
** فأول مبتدأ والثاني ** فاعل أغنى في أسار ذان **

ومحل الشاهد (أسار ذان) ، فالهمزة للاستفهام ، و (سار) مبتدأ ، و (ذان) فاعل سار مسند الخبر ، ويقاس على هذا ما كان مثله ، وهو كلّ وصف اعتمد على استفهام أو نفي ، نحو : (أقام الزيدان ؟) ، وما قائم الزيدان .

(٤) المختص ٣٤/٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم ﴾ الآية ، قال (ز) في قوله : ﴿ ضلّ سعيهم ﴾ : أي ضاع وبطل ، وهم الرهبان ، يعني الذين يتقربون إلى الله على غير شرع ، على أن معنى قوله تعالى : ﴿ عاملة ناصبة ﴾ في الرهبان ، سورة الغاشية ، الآية ٣ ، ومثلها قوله تعالى في سورة النور الآية ٣٩ : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ الآية ، وقوله تعالى في سورة إبراهيم الآية ١٨ : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتكت به الريح في يوم عاصف ﴾ .

(٦) يشير إلى تفسير علي رضي الله عنه لهذه الآية لما سأله ابن الكوّاء ، فقال : منهم أهل حروراء .

قوله : ((جهنم)) ، عطف بيان لقوله : ﴿ جزأؤهم ﴾ فذلك مبتدأ ، وجزأؤهم الخبر ، والمشار إليه بقوله : ذلك جزأؤهم ﴿ ، كما تقول : هذا زيد ، وتحقيقه ما سبق في قوله : ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ ، وفيه بحث ، لأنه لا يحسن أن يقال : ذلك جهنم . قال أبو البقاء (١) : [ذلك ، أي الأمر ذلك ، وما بعده مبتدأ وخبر] ، وهذا جيد ، النهاية (٢) : وفي حديث فاطمة بنت قيس : (فإنها امرأة تكثر عوادها) ، أي زوارها ، وكل من أتاك مرة بعد أخرى ، فهو عائد ، وإن اشتهر ذلك في عيادة المريض حتى كأنه مختص به .

قوله : ((كلمات علم الله وحكمته)) (٣) يشعر بأن الكلمات في قوله تعالى : ﴿ اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ﴾ (٤) أخص منها ، لأن المراد بها كلمات (٥) ما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن المجيد ، ومن اطلع على أسرار النظم ، عرف موجب ذلك ، والإضافة في قول المصنف كلمات علم الله (٦) ، تؤذن بأنها غير متناهية ، ولفظه (قَبْل) توهم أن لها أيضاً نفاداً ، قال الإمام (٧) : تمسكت المعتزلة بها ، أن كلام الله محدث ، بأن ما ثبت عدمه امتنع قدمه ، وأجاب : أن ذلك راجع إلى الألفاظ والحروف ، والجواب غير مرضي ، لأن التمثيل بالبحر ياباه ، ولأن هذه الآية لما استدلوا بها على قدمها ، فكيف يلتزم حدوثها ؟ ، ألا ترى كيف استشهد بها صاحب شرح السنة في باب الرد على من

(١) أبو البقاء ١٠٩/٢ .

(٢) النهاية ٣١٧/٥ ، مادة (عود) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ﴾ .

(٤) سورة الكهف الآية ٢٧ .

(٥) في م بها (كل) كلمات .

(٦) هذا على مذهب الأشاعرة وغيرهم في تأويل كلام الله ، وأهل السنة من سلف الأمة يقولون : لم يزل الله متكلماً إذا شاء ، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان الآية ٢٧ : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ الآية .

(٧) الإمام الفخر الرازي ١٧٦/٢١ ، بالمعنى .

قال بخلق القرآن (١) ، ووجهه أنها واردة على التزلات الربائية ، حيث نزل غير المتناهي منزلة المتناهي فرضاً وتقديراً تفهيماً للعباد وتقريباً لهم ، وهو من التمثيل

(١) تقدم الكلام على كلام الله المنزل ، والمعتزلة يرون أن القرآن مخلوق ، وقال أبو المغفر السمعاني رحمه الله في تفسيره عند قوله في سورة الزخرف الآية ٣ ، عند قوله تعالى : ﴿ حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ : والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وعليه إجماع أهل السنة ، وزعموا أن من قال إنه مخلوق فهو كافر ، لأن فيه نفى كلام الله تعالى . أ هـ ، وذكر البخاري رحمه الله في كتابه خلق أفعال العباد ما يثبت ذلك عن سفيان بن عيينة والثوري ومعاوية بن عمار وعمرو بن دينار وأحمد بن حنبل وابن المبارك وجم غفير من العلماء ، قال : واستدل المعتزلة بقوله : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ على أن القرآن مخلوق ، وقالوا : كل محدث مخلوق . والجواب عنه : أن معنى قوله : ﴿ محدث ﴾ أي محدث نزوله ، ذكره الأزهري وغيره ، ويقال : أنزل في زمان بعد زمان .. إلخ . وما ذكره محي السنة البغوي في شرح السنة ١/١٨١ ، قال : باب الرد على من قال بخلق القرآن . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ الجاثية الآية ٢٩ ، فالقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وصفته ، ليس بخالق ولا مخلوق ، ولا محدث ولا حادث ، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في القلوب ، متلو باللسن ، مسموع بالأذان . قال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الحجر الآية ٩ ، وقال : ﴿ كتاب أنزلناه مبارك ليدتبروا آياته ﴾ ص-٢٩ ، وقال تعالى : ﴿ والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور ﴾ الطور ١-٣ ، وقال تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ البروج ٢٢ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ العنكبوت ٤٩ ، وقال عز وجل : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ الشعراء ١٩٣ ، وقال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين * وأن أتلو القرآن ﴾ النمل ٩١-٩٢ ، وقال الله عز وجل : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ الأحزاب ٣٤ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد يسرن القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ القمر ١٧ ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لو لا أن يسه الله على لسان الآدميين ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله . وقال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ التوبة ٦ ، وقال عز وجل : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ الأحقاف ٢٩ ، وقال تعالى : ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشd قامنا به ﴾ الجن ٢ ، وقال تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ الأنبياء ٢ ، ليس ذلك حدث الخلق ، إنما هو حدوث أمر ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ الطلاق ١ ، وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وأن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة . أخرجه البخاري تعليقا ١٣/٤١٦ ، كتاب التوحيد ، وقوله عز وجل : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ الأنبياء ٢ يريد : ذكر القرآن وتلاوته عليهم وعلمهم به كل ذلك محدث ، فالمدكور المتلو المعلوم غير محدث ، كما أن ذكر العبد لله محدث والمدكور غير محدث . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج ﴾ الزمر ٢٨ ، قال : غير مخلوق ، وابن عيينة : بين الله الخلق من الأمر ، قال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ الأعراف ٥٤

الذي يفرض الممثل به فرضاً مثلت حالة الكلمات التامات في سعتها وفرط كثرتها بحالة ما لو فرض البحر مداداً له لنفد قبله ، ثم أدخل الممثل في جنس الممثل به فأجرى عليه حكم الإحصاء والكتب والنفاذ تنزيلاً^(١) تفهيماً ، والمعنى : لو فرضنا أن غير المتناهي داخل تحت حكم المتناهي ، وأنه نوع من جنسه ، لنفد قبل نفاده ، فكيف وأنه ليس من جنسه ؟ ، هيهات ، أين الثريا من الثرى ! ، ولذلك لجمع كلمات جمع قلة تميمياً للمعنى ، أي إذا كان حكم الكلمات بهذه المثابة ، فما ظنك بالكلم ، ووضع المظهر موضع المضمرة في قوله : ﴿ قبل أن تنفذ كلمات ربّي ﴾ إشعار بالعلية ، وأنها حقيق بأن تكون غير متناهية . وأما بيان النظم فهو أن المخالفين لما اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبدل آية مكان آية ، قيل له : ﴿ واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ﴾^(٢) ، أي دعهم وعنادهم ، واشتغل بالتلاوة وذم عليها ، فإنه لا يقدر على تقدير كلمات ربك إلا هو ، ثم كشف بعد ذلك من قوله : ﴿ واصبر نفسك ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ لا ييغون عنها حولاً ﴾ عن نبذ من أسرار عجيبة محتجة وراء أستار الغيب ، ثم عقبها بقوله : ﴿ قل لو كان البحر مداداً ﴾ ، يعني قل لهم : لو كان البحر مداداً لهذا الجنس من الكلمات التامات ، لنفد البحر قبل نفادها ، فكيف إبدائها من تلقاء نفسي ؟ وأنا بشر مثلكم لا فرق بيني وبينكم في عدم القدرة على التبديل إلا أنني خصصتُ بتلقي الوحي ، وفضلتُ بمزية الرسالة ، وإلى هذا ألمح قوله تعالى : ﴿ وسمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته ﴾ ، وقريب من هذه المعاني ما في قوله تعالى : ﴿ وإذا

، وقال تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان ﴾ الرحمن ١-٣ ، فلم يجمع القرآن مع الإنسان في الخلق ، بل أوقع اسم الخلق على الإنسان ، والتعليم على القرآن ، وقال الله : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ﴾ الكهف ١٠٩ ، وحديث مسلم : (أعوذ بكلمات الله التامات) هي القرآن ، واستعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بها دالة على أن القرآن غير مخلوق ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يستعبد بمخلوق . إلخ .

(١) في م (تنزلاً) .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٧ .

(٣) سورة الكهف الآية ١٨ .

تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴿١﴾ .

قوله : ((قال حيي بن أخطب ^(١) في كتابكم إلى آخره)) ، عن أحمد بن حنبل والترمذي ^(٢) عن ابن عباس قال : (قالت قريش لليهود اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فسألوه عنها ، فنزلت : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ الآية ، قالوا : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، فأنزلت : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر ﴾ الآية .

قوله : ((وقرئ : ﴿ ينفد ﴾ بالياء ^(٣))) حمزة والكسائي ، والباقون بالتاء الفوقاني .

قوله : ((يخاف سوء لقائه)) ^(٤) ، الأساس ^(٥) : [ومن المجاز استعمال الرجاء في الخوف والاكتراث] ، قال محي السنة ^(٦) : [الرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً . قال ^(٨) :

(١) سورة يونس الآية ١٥ .

(٢) حيي بن أخطب من بني النضير ، من الأشراف العتاة ، أدرك الإسلام وأبى ، أسر يوم قريظة وقتل ، الأعلام ٢/٢٩٢ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ، ١/٢٥٥ ، والترمذي ٥/٢٨٤ كتاب التفسير ، باب من سورة بني إسرائيل رقم ٣١٤٠ ، والحاكم في المستدرک ٢/٥٣١ وصححه ، ووافقه الذهبي ، والنسائي في تفسيره ٢/٢٨ ، عند قوله : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾ الآية .

(٤) قرأ ﴿ أن ينفد ﴾ حمزة والكسائي وخلف بالياء المثناة على التذكير ، ووافقه الأعمش ، والباقون بالتاء . الإنخاف ٢٩٦ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ الآية ١١٠ ، قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه لقاء راضاً وقبول ((أو كان يخاف سوء لقائه)) ، والمراد النهي عن الإشراك بالعبادة .

(٦) الأساس ٢٢٤ ، مادة (رجو) .

(٧) محي السنة البغوي ٥/٢١٣ .

(٨) لم أقف على قائله .

**** ولا كلّ ما ترجو من الخير كائن **** ولا كلّ ما ترجو من الشرّ واقع ****** [.
 قوله : ((وقد فسّرنا اللقاء)) ، يعني في سورة يونس (١) ، قال فيها : اللقاء
 مستعار للعلم المحقّق الذي هو العلم بالشيء موجوداً ، شبه بنظر الناظر وعيان
 المعائن ، وفسّره في العنكبوت في قوله تعالى : ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإنّ أجل الله
 لآتٍ ﴾ (٢) أبسط وأشرح من ذلك ، وقلت : إذا فسرت الآية بقوله : ﴿ فمن كان
 يرجو ﴾ يأمل حسن لقاء ربّه ، يجوز أن يجري على ظاهرها على مذهب أهل
 السنّة (٣) .

انتهى بحمد الله .

(١) يونس الآية ٤٥ ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥ .

(٣) ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ يشمل كونه يؤمل ثوابه ، ورؤية وجهه الكريم يوم القيامة ، كما
 هو مذهب أهل السنّة والجماعة ، كما هو ثابت في الصحيحين : (أما إنكم سترون ربكم ، كما ترون هذا
 القمر ، لا تضامون في رؤيته) مسلم كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الصبح والعصر ٤٣٩/١ ، من
 حديث جرير بن عبد الله ، والبخاري مع الفتح ١٢ / ٤١٩ ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : وجوه يومئذ
 ناضرة إلى ربّها ناظرة ﴿ ، وبلغظ : (إنكم سترون ربكم عياناً) أيضاً .

سورة مريم عليها السلام، مكية^(١) ، وهي ستون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ((بفتح الهاء وكسر الياء))^(٢) يريد بالكسر الإمالة من كسرت العقاب بجناحها إذا مالت للانقضاء . قال صاحب التيسير^(٣) : [قرأ أبو بكر والكسائي بإمالة فتح الياء والهاء، وابن كثير بفتحها وابن عامر وحمة بفتح الهاء وإمالة الياء، وأبو عمرو بإمالة الهاء وفتح الياء ونافع بالهاء والياء بين بين] وقال ابن جني^(٤) : [قرأ الحسن بفتح الهاء ورفع الياء، وقرأ أيضاً بضم الهاء وفتح الياء، وقال : الإمالة والتفخيم في حروف المعجم ضرب من ضروب التصرف .، وذلك أنها إذا فارقت موضعها من الهجاء صارت أسماء ودخلها ضرب من القوة فتصرفت، فحملت الإمالة والتفخيم، فمن قال (يا) جنج بالإمالة إلى الياء كما في نحو (السيال)^(٥) ومن فخم تصوّر أن عين الفعل في الياء منقلبة عن الواو، وكالباب والدار والمال، وذلك أن هذه الألفات، وإن كانت مجهولة، لأنه^(٦) لا اشتقاق لها، فإنها تحمل على ما هو في اللفظ مشابه لها والألف إذا وقعت عينا فجعلت، فالواجب فيها أن يعتقد أنها منقلبة عن الواو. على ذلك وجدنا سرد اللغة، هذا قول جامع في هذا الضرب من الألفات، فاعرفه واغن به عما وراءه] وقال صاحب التقريب : [ولا تنقلب الألف واواً لهذه

(١) مكية كلها إلا آية ٥٨ و ٧١ فمدنيتان . الرمحشري والألوسي ٥٦/١٦ عن مقاتل.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ كهيص ﴾ .

(٣) صاحب التيسير يعني الداني الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ص ١٤٧ .

(٤) ابن جني في المختص ٣٦/٢ بتصريف .

(٥) السيال : نبت له شوك أبيض متوسط الحجم، من الفصيلة القرنية، له قشر أحمر يستعمل في

الدباغة وإما من السمر . المفرد سيالة . المعجم الوسيط ٤٦٩/١ .

(٦) (لأنها) في ب .

الضمة بل تسمى ألف التفخيم في اللوامح^(١) ، هذه الكلمات الثلاث مترجم عنها بالضم، وليست مضمومات بالحقيقة، لأنهن لو كنّ كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات بل نُحِيت هذه الألفات نحو الواو، وعلى لغة أهل الحجاز، وهي التي تسمى ألف التفخيم بضدّ الألف الممالة . المراد بالكلمات الثلاث الكاف والهاء ولاياء، لأنه روى عن الحسن ضم الكاف أيضاً^(٢) .

قوله : ((وقرأ الحسن : ﴿ ذَكَرْ رَحْمَةً رَبِّكَ ﴾)) قال ابن جني^(٣) : [فاعل ضمير ما تقدم، أي : هذا المتلوّ من القرآن الذي هذه الحروف أوله وفتحته يُذَكَّرُ رَحْمَةً رَبِّكَ، وإن شئت كان تقديره مِمَّا يُقْصُ عَلَيْكَ أو يُتْلَى عَلَيْكَ : ﴿ ذَكَرْ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَا ﴾] قال أبو البقاء^(٤) : [و ﴿ ذَكَرْ ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول والتقدير : هذا أن ذكر ربك رحمته عبده . وقيل : هو مضاف إلى الفاعل، على الاتساع، والمعنى : هذا إن ذكرت رحمة ربك، فعلى الأول ينتصب عبده برحمة، وعلى الثاني بذكر].

قوله : ((﴿ نداء خفياً ﴾ لا رياء فيه))^(٥) فيكون الإخفاء ملزوماً للإخلاص الذي هو عدم الرياء، لأن الإخفاء أبعد من الرياء . (ولما كُنِيَ)^(٦) عن عدم الرياء بالخفاء علم أن لا اعتبار للظاهر وأن الأمر يدور على الإخلاص حتى إنه لو نادى جهرًا بلا رياء دخل فيها، أو نادى سرًّا بلا إخلاص خرج منها، وفي الجمع بين النداء والإخفاء إيماء إلى هذا المعنى. الراغب^(٧) : [إذا نادى ربه أشار بالنداء إلى الله تعالى، لأنه يصوّر نفسه بعيداً منه بذنوبه وأحواله السيئة . وقوله تعالى :

(١) اللوامح لم أقف عليه.

(٢) المختب لابن جني ذكر ذلك ٣٦/٢.

(٣) اغتصب ٣٧/٢.

(٤) أبو البقاء ١١٠/٢.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نَدَاءً خَفِيًّا ﴾

(٦) في م ، ب (جوز) بدل كنى.

(٧) الراغب في مفرداته ٤٨٧ مادة (نلأ).

﴿أولئك ينادون﴾^(١) فاستعمال النداء فيهم تنبيه على بعدهم عن الحق، وقوله : ﴿ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾^(٢) فالإشارة بالمنادي إلى العقل والكتاب المنزل والرسول المرسل وسائر الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالله، وجعله منادياً للإيمان لظهوره ظهور النداء، وحثه على ذلك كحث المنادي [فإن قلت : كيف جمع بين النداء وهو رفع الصوت وبين ﴿خَفِياً﴾ وهو خفت^(٣) الصوت ؟. قلت : جعل (مخفياً) مجازاً عن الإخلاص لا كناية، لأن المجاز ينافي إرادة الحقيقة أو النداء عبارة عن إظهار الاستكانة وإبداء التضرع والخشوع.

قوله : ((في إبان الكبيرة))^(٤) الجوهري^(٥) : [إبان الشيء بالكسر والتشديد وقته، وقال: الكِبَرُ في السن، وقد كَبِرَ الرجلُ يَكْبُرُ كِبَرًا أي أَسَنَ، والاسم الكبيرة بفتح الكاف وسكون الباء. يقال عَلَتْ فلانا كبيرة]

قوله : ((أو خفت صوته بالرفع والنصب)) الجوهري^(٦) : [خَفَتَ الصوتُ خُفُوتًا سكن والمخافتة والتخافت إسرار المنطق والخَفْتُ مثله].

قوله : ((صوته خَفَات))^(٧) الأساس^(٨) : [خَفَتَ صوته خُفُوتًا وصوته خَافِتٌ وخَفِيتٌ وخفت الرجل سكت، فلم يتكلم، وأخذ السُّكَاتُ والخَفَاتُ].

[قوله : ((وسمعه تارات)) أي مسموعه، فلا يحتاج إلى التكرار، الأساس : فعل ذلك تارات وتارة بعد أخرى]^(٩).

(١) سورة فصلت الآية ٤٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٣.

(٣) خفض) في م والمعنى واحد.

(٤) قال (ز) : في قوله تعالى : ﴿نداء خفياً﴾ وعن الحسن : نداء لا رياء فيه، أو أخفاه لئلا يلام في طلب الولد ((في إبان الكبيرة)) والشيخوخة.

(٥) الجوهري في صحاحه ٨٠١/٢ مادة (كبر).

(٦) الجوهري في صحاحه ٢٤٨/١ مادة (خفت).

(٧) قال (ز) : كما جاء في صفحة الشيخ : ((صوته خفات، وسمعه تارات)).

(٨) الأساس للزمخشري ١٦٩ مادة (خفت).

(٩) ما بين القوسين س من ب والصواب ما في غيره

قوله : ((وهن بالحركات الثلاث))^(١) بفتح الهاء السبعة والضم والكسر شاذ .
الراغب^(٢) : [الوهن ضعف من حيث الخلق والخلق، قال تعالى : ﴿ رب إنني وهن
العظم مني ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾^(٣)]

قوله : ((ولأنه أشد ما فيه)) عطف على ((لأنه عمود البدن)) يعني أصل
الكلام ضعف بدني وإنما كنى عنه بقوله : ﴿ وهن العظم مني ﴾ وخص العظم
 بالذكر، لأنه كالأساس للبدن وكالعمود للبيت . فإذا وقع الخلل في الأس وسقط
العمود تداعى الخلل في البناء وسقط البيت، فالكناية مبنية على التشبيه أو أن العظم
أصلب ما في الإنسان فيلزم من وهنه وهن جميع الأعضاء بالطريق الأولى فالكناية
غير مسبقة بالتشبيه.

قوله : ((وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها)) قال صاحب الفرائد :
[ذكر في أصول الفقه أن اللام إذا دخلت على الجمع بطل الجمع وتعلق الحكم بكل
فرد فرد، باعتبار الجنس، سلمنا أن الجمع لم يطل ولكن من أين يلزم المعنى الذي
ذكره وهو القصد إلى أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ؟. غاية ما في الباب
احتمال عدم وهن البعض لكن من الاحتمال لا يلزم الوجود، بل يمكن أن يكون
القصد إلى كل واحد من العظام، لأن هذا محتمل اللفظ كما أن ذلك محتمله، والوجه
أن يقال : اختيار الواحد احترازاً عن هذا الاحتمال . وأقول : إن الكلام إذا كان
منصباً إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه، كأن ما سواه مرفوض
مطرح، هذا نص المصنف في سورة يس. والمقصود من الإيراد في هذا المقام إظهار
الضعف في البدن وإبداء تساقط القوى . ألا ترى إلى أداة الحصر في قوله : ((وإنما
ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه)) يعني ما ذكر العظم لأن يكون الكلام فيه

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾ الآية ٤ مريم.

(٢) الراغب في مفرداته ٥٣٥ مادة (وهن).

(٣) سورة النساء الآية ١٠٤.

بل لأن ينبّه على أن هذا الجنس الذي هو عمود البدن وقوامه قد أصابه الوهن، ولو قيل : العظام لرجع القصد إلى أن الكلام في العظام في أنه لم يهن بعضها فقط بل كلها، لأن ترك المفرد إلى الجمع ثم تحليله باللام الاستغرافية ينبئ عن أن القصد إلى أنه لم يهن بعض العظام بل كلها، ويخرج عن المقصود، ألا ترى إلى تصريحه بالقصد في قوله : ((لكان قصداً إلى معنى آخر)) وتكريره . ونحوه .

قوله : ((﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ ^(١))) فإنه لو قيل : السحرة لأوهم أن الجمعية معتبرة في الحكم بعدم الفلاح، بخلاف المفرد، فإن القصد فيه أن هذا الجنس، وأن ما يقال له الساحر : محكوم عليه بأنه لا يفلح.

قوله : ((شبه الشيب بشواظ النار إلى قوله وفُشُوها باشتعال النار)) ^(٢) كتب صاحب الإيضاح ^(٣) في حاشية كتابه أن في جعل الآية من التشبيهين نظراً لأن المذكور في طرفي التشبيه في الاستعارة بالكناية اسم المشبه دون المشبه به، والاستعارة بالكناية تستلزم الاستعارة التخيلية، فإن التخيلية هي إما إثبات أمر مختص بالمشبه به ^(٤) ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أطلق عليه اسم ذلك الأمر، وأما إطلاق لفظ على صورة وهمية قدرت مشابهة لصورة محققة هي معنى ذلك اللفظ، فلو كان تشبيه الشيب بشواظ النار كما ذكره مقصوداً في الآية لكانت استعارة بالكناية ولو كانت استعارة بالكناية لكان قوله : ﴿ اشتعل ﴾ استعارة تخيلية، وذلك لا يمكن، لأنه جعل انتشار الشيب في الشعر وفُشُوه فيه وأخذه منه كل مأخذ تشبيهاً باشتعال النار، وهو ينافي ذلك الأمر لما مرّ أن الاستعارة التخيلية لا تعتمد المشبه أمراً محققاً، والأولى أن يجعل المشبه انتشار الشيب في الشعر والمشبه به اشتعال النار والجامع فشو الشيء في الشيء ^(٥) . وقلت : إنما دخل عليه من جعل التشبيهين تمهيد القاعدة الاستعارة

(١) سورة طه الآية ٦٩ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ .

(٣) صاحب الإيضاح في كتاب علوم البلاغة للخطيب القزويني .

(٤) للمشبه به (للمشبه) من غير . في م ، ب ، ما بين القوسين .

(٥) والجامع فشو (الشيب في الشعر) .

[المكنية لأنها مستدعية لما ذكر، وذهب عنه أن التشبيهين تمهيد للاستعارة التمثيلية]^(١) وهو أن ينتزع التشبيه من عدة أمور متصورة فلا بد من سبق تشبيه حالة الشيب بحالة النار وحالة فشوه في الرأس وأخذه منه كل مأخذ بحالة اشتعال النار في الحطب الجزل. كما قال (٢) :

****واشتعل المبيض في مسودّه ** مثل اشتعال النار في جزل الفضا ****

والجامع سرعة انبساط بياض في سواد مع تعذر التلافي، ثم حذف أحد طرفي التشبيه وهو المشبه وإخراج^(٣) المشبه به مخرج المشبه ليتم أمر الاستعارة، وإليه الإشارة بقوله : ((ثم أخرجه مخرج الاستعارة)) وأما اختيار صاحب الإيضاح والأولى أن يجعل المشبه انتشار الشيب في الشعر، والمشبه به اشْتَعَالُ النار، فمرجه إلى الاستعارة التبعية، وهو لا ينافي ذلك التقرير، على أن التشبيه كلما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل في الحسن.

قوله : ((ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر)) هذا أخذ في مخرج علم المعاني بعد الفراغ من مخرج علم البيان، يريد أن أصل الكلام : اشتعل شيب رأسي فترك هذه المرتبة إلى ما هي أبلغ، وهي اشتعل رأسي شيئاً، وكونها أبلغ من جهات . إحداها : إسناد الإشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال، لأن وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيئاً، وزان اشتعل النار في بيته واشتعل بيته ناراً . وثانيها : الإجمال والتفصيل في طريق التمييز . وثالثها : تنكير ﴿ شيباً ﴾ لإفادة التعظيم . ذكره صاحب المفتاح تفسيراً لقول المصنف . ولما بين المعنى من جهة البيان ومن جهة المعاني قال : ((ومن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة)) .

(١) ما بين القوسين من ب.

(٢) القائل : ابن دريد في مقصورته.

(٣) (وأخرج) في م ، ب.

قوله : ((ويترسم مراسمه))^(١) الجوهري^(٢) : [رسمت له كذا فارتسمه أي : امثله].

قوله : ((توسّل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة))^(٣) قال القاضي^(٤) : [وفيه أيضاً تنبيه على أن المدعو له وإن لم يكن معتاداً فإجابته معتادة، وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها، ومن حق الكريم الأئحيب من أطمعه].

قوله : ((وقرأ ابن كثير))^(٥) وهي شاذة . قال أبو البقاء^(٦) : [وهو من قصر الممدود].

قوله : ((لفساد المعنى))^(٧) إذ المراد بالموالي العصبية لقوله : ((كان مواليه وهم عصبته)) . وإنما لزم فساد المعنى، لأن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل . ولو جعل ﴿ من ورائي ﴾ متعلقاً بـ ﴿ خفت ﴾ لزم أن يكون الخوف واقعاً فيما يستقبل، فلا بد من تقدير محذوف، أو جعل المألي من الولاية بالكسر، أي : كل من يملك بعده لا العصبية فقط ليصح، فيقال : على الأول : ﴿ خفت ﴾ فعل عصيتي بعد موتي . وعلى الثاني : خفت الذين يلون الأمر من بعد موتي، فاللام في المألي على

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واني خفت المألي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾ الآية ٥-٦ مريم .

قال (ز) : فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين ((ويترسم مراسمه فيه)) .

(٢) الجوهري في صحاحه ١٩٣٢/٥ مادة (رسم)

(٣) يعني قوله : ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقياً ﴾ .

(٤) القاضي البضاوي ٢/٤ .

(٥) قرأ ابن كثير ﴿ من ورائي ﴾ بفتح ياء الإضافة . الإتحاف ٢٩٧ وليست شاذة وإنما الشاذ قراءة ﴿ من وراي ﴾ على وزن عصاي وهداية وهي عن ابن كثير أيضاً . انظر شواذ القرآن ٨٣ . وانظر السبعة لابن مجاهد قال ص ٤٠٧ : وحدثوني عن خلف عن عبيد عن شبل عن ابن كثير : ﴿ من وراي ﴾ مثل عصاي وهداي من غير همز ونصب ياء .

(٦) أبو البقاء ١١٠/٢ .

(٧) قال (ز) : وهذا الظرف لا يتعلق بـ ﴿ خفت ﴾ ((لفساد المعنى)) ولكن بمحذوف .

هذا موصولة لیتعلق الظرف بصلتها، ولهذا قال : الذين يلون الأمر من ورائي، وعلى الأول اللام حرف التعريف . وفي الكلام لفّ ونشر.

قوله : ((﴿ خفت الموالي ﴾)) الأساس^(١) : [ومن المجاز خَفَت حاله ورقّت، وأخف فلان صار خفيفاً الحال، وفاز المخفون].

قوله : ((فيتعلق الظرف بالموالي)) أي : خفت الذين يلون الأمر من ورائي . ويجوز أن يراد بالتعلق أن حالاً منه . قال ابن جني^(٢) : [من ورائي حال متوقعة محكية، أي : خَفُوا مُتَوَقَّعاً مُتَصَوِّراً كونهم بعدي . ومثله مسألة الكتاب، مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي متصوِّراً صيده غداً].

قوله : ((ودرجوا)) الراغب^(٣) : [الدرج طيَّ الكتاب والثوب، ويقال للمطوي، دَرَجٌ . واستعير الدرج للموت، كما استعير الطيَّ له في قولهم : طوته المنية، وقولهم : من دبَّ ودرج أي من كان حياً فمشي، ومن مات تطوى أحواله].

قوله : ((وإلا فهب لي ولياً يرثني)) كان يعني من لدنك يجب أن يحمل على التأكيد، وإلا فالكلام مستغنى عنه، وذلك أن قوله : ﴿ من لدنك ﴾ تأكيد لمعنى قوله : ﴿ فهب لي ولياً يرثني ﴾ لأن هذا المطلوب وما يكون من عند الله وموهبة منه ومنسوباً إليه لا يكون إلا خيراً محضاً، فأكد بقوله : ﴿ من لدنك ﴾ ذلك المعنى، فهو على هذا ظرف آخر أو صفة لولي قدّمت فصارت حالاً مؤكدة، وهو معنى لطيف . والباقي قوله : ((بكونه مضافاً)) متعلق بقوله : تأكيد أي : تأكيد بسبب كونه مضافاً إلى الله، ويجوز أن يكون : ﴿ من لدنك ﴾ حالاً متقلّة . وإليه الإشارة بقوله : ((اختراعاً منك)) أي مخترعاً.

(١) الأساس ١٧٠ مادة (خفف).

(٢) في المختص ٣٧/٢.

(٣) الراغب في مفرداته ١٦٧ مادة (درج).

قوله : ((یرثنی ویرث)) بالجزم أبو عمرو الكسائي^(١)، والباقون برفعهما . قال الزجاج^(٢) : [الجزم على جواب الأمر والرفع على صفة الولي] وقال أبو البقاء^(٣) : [الجزم على الجواب أي : إن يهب يرث، والرفع على الصفة لولي، وهو أقوى من الأول، لأنه سأل ولياً هذه صفته، والجزم لا يحصل بهذا المعنى]. وقال صاحب المفتاح : [وأما قراءة الرفع فالأولى حملها على الإستئناف دون الوصف، لئلا يلزم منه أنه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام . قلت : وكان من قصتهما على ما رواه ابن الأثير في تاريخه الكامل^(٤) : [إن الله بعث عيسى عليه السلام رسولاً فنسخ به بعض أحكام التوراة، وكان مما نسخ آية حرمة نكاح بنت الأخت^(٥)، وكان للمكهم بنت أخت^(٦) تعجبه يريد أن يتزوجها، فنهاه يحيى عنها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا سألك الملك : ما حاجتك ؟ قولي : أن تذبح يحيى بن زكريا، فلما سألها قالت : أريد ذبح يحيى، وأبت إلا ذلك، فدعى بطست وذبح يحيى فقطرت من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصر، وألقى الله في قلبه أن يقتل على الدم من بني إسرائيل حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً حتى سكن . وروى السدي نحو هذا وأبسط . ولما قتل الملك يحيى وسمع أبوه قتله فرّ هارباً فدخل بستاناً فأرسل الملك في طلبه فمرّ زكريا بشجرة فنادته : هلم إليّ يا نبي الله، فدخلها وانطبقت عليه، فدلّهم إبليس عليه، فشقوا الشجرة بالمنشار، فمات زكريا فيها، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم منهم] وأما سؤال صاحب المفتاح فوارد على الوجوه المذكورة في یرثنی یرث، كلها، لأن قوله : یرث لی ولياً مرتب بالفاء على الدعاء وهو یرث ربّی وهن العظم مني الى

(١) قرأ یرثنی ویرث أبو عمرو والكسائي مجزئهما، فالأول على جواب الدعاء أو جواب شرط مقدر .

والثاني عطف عليه، ووافقهم اليزيدي والشنوذي . والباقون بالرفع فيهما صفة (ولي) . الإتحاف ٢٩٧ .

(٢) الزجاج ٣/٣٢١ .

(٣) أبو البقاء ١١٠/٢ .

(٤) ابن الأثير في تاريخه الكامل ١٧١/١ وذكر القصة بكاملها والله أعلم بشيئها .

(٥) (الأخ) في م ، ب . (أخ في م ، ب . وهو الصواب كما في ابن الأثير .

(٦) مثل السابق .

قوله : وإني خفت الموالي من ورائي ﷺ، وهو وصف مناسب لطلب ولد شأنه أن يرث بعده، ويؤيده ما أورد محي النسة في المعالم^(١) : [أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما شاهد من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس] وروى قريباً منه المصنف على أن الاستئناف أيضاً رابط معنوي سيما أنه في هذا المقام وارد لبيان الموجب، قال المصنف في أول البقرة : إن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال، فذلك إدراج له في حكم المتقين، وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه، والجواب الصحيح أن الأنبياء وإن كانوا مستجابي الدعوة لكن ليس كل ما دعوه اسجيب لهم، لأن قضاء الله لا يدفع، ألا ترى إلى إبراهيم عليه السلام ودعائه في حق أبيه، وإلى دعوة سيدنا صلوات الله عليه ما روينا عن الترمذي^(٢) والنسائي عن الخباب بن الأرت . قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطامها . فقالوا : يا رسول الله، صليت صلاة لم تكن تصلّيها ؟. قال : أجل إنها صلاة رغبة ورهبة . إني سألت الله فيها ثلاثاً . فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة . سألته : أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها . وفي رواية النسائي : وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها . وروى ابن ماجه عن معاذ بن جبل نحوه . وكان من قضاء الله وقدره أن يوجد محي نبياً صالحاً ثم يقتل ويغلي دمه ليتيح لشأره بخت نصر، ويسكنه بقتل سبعين ألفاً ، فاستجيب دعاء زكريا في أن بشر بغلام اسمه يحيى، ولم يجعل له من قبل سمياً، ونودي : ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً . وحناناً من لدنا وزكاة﴾ ومنع بأن يكون وارثاً لأبيه من بعده، كما كان من قضاء

(١) محي السنة البغوي ٢١٨/٥ في تفسيره.

(٢) أخرجه الترمذي ٤٠٩/٤ كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً في

أمره برقم ٢١٧٥ . والنسائي ٢٣٩/٣ قيام الليل، باب إحياء الليل برقم ١٦٣٧ . صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٣٤/٢ .

الله وقدره أن يقتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً فيهدر بسببه دم جم غفير من الصحابة والتابعين يوم صفين والجلل وغيرهما، فاستجيب دعاؤه صلوات الله عليه في تَيْنِكَ الخصلتين دون الثالثة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . والله أعلم بحقائق الأمور .

قوله : ((ويرثني وارث آل يعقوب)) بنصب وارث . قيل : هو حال أي : يرث علمي ويرث علم آل يعقوب . وقال القاضي^(١) : [هو نصب على الحال من أحد الضميرين] .

قوله : ((ويسمى التجريد في علم البيان)) والتجريد^(٢) هو أن ينتزع من متصف بصفة آخر مثله فيها مبالغة لكما لها فيه، نحو رأيت بفلان أسداً ولقيني منه أسداً . قال ابن جني^(٣) : [وهي قراءة عليّ وابن عباس وابن يعمر والحسن والجلحدري وقتادة وجعفر بن محمد، وهو ضرب من العربية غريب معناه التجريد، يريد^(٤) : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً . يرثني ﴾ منه أو به وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكأنه جرّد منه وارثاً، ومثله قوله تعالى : ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾^(٥) وهي بنفسها دار الخلد، فكأنه جرّد من الدار دار، وقد أفردنا لهذا الضرب باباً من كتاب الخصائص فاعرفه فإنه موضع غريب] .

قوله : ((والمراد بالإرث إرث الشرع والعلم)) قال الزجاج^(٦) : [قيل : لا يجوز أن يقال إن زكريا خاف أن يسورث المال، لأن الأنبياء والصالحين لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعل لهم، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إنا معاشر الأنبياء لا نورث . ما تركناه صدقة)^(٧) الراغب^(٨) : [الوراثّة : انتقال قنية إليك عن

(١) القاضي البيضاوي ٢/٤ .

(٢) انظر جواهر البلاغة ٣٧٤ . والبيان في علم المعاني والبدع والبيان للطبي ٢٨٨ .

(٣) ابن جني ٣٨/٢ .

(٤) في المحتسب وذلك أنك تريد فهب لي

(٥) سورة فصلت الآية ٢٨ .

(٦) الزجاج ٣٢٠/٣ .

(٧) أخرجه البخاري مع الفتح ٥/١٢ كتاب الفرائض . باب يوصيكم الله في أولادكم . ومسلم

١٣٧٨/٣ كتاب الجهاد والسير . باب حكم الفيء بلفظ : (لا نورث ما تركناه صدقة) .

(٨) الراغب ٥١٨ مادة (ورث) .

غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، وسمي بذلك المنتقل عن الميت . فيقال للقيّة : الموروثة ميراث وإرث وتراث، ويقال : ورثت مالا عن زيد وورثت زيدا . قال تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾^(١) وقال : ﴿ وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾^(٢) وقال : - الوراثة الحقيقية هي أن يحصل للإنسان شيء لا يكون عليه فيه تبعة ولا عليه محاسبة^(٣) ، وعباد الله الصالحون لا يتناولون من الدنيا إلا بقدر ما يجب، وفي وقت ما يجب على الوجه الذي يجب، ومن تناول من الدنيا على هذا الوجه لا يحاسب عليه ولا يعاقب، بل يكون له عفواً صفواً، كما روى : من حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسب في الآخرة^(٤) . قوله : ((الجبورة))^(٥) قيل : وجد بخط المصنف كأنها مصدر خبر الرجل كَقَضَوْا إذا تعجب من قضائه، وإلا الجبور هو السرور . النهاية^(٦) : [الأخبار العلماء، جمع حَبَر بالفتح والكسر، وكان يقال لابن عباس : البحر والخبر لسعة علمه]. قوله : ((وقيل : من للتبعيض)) عطف على قوله : ((قيل يرثني الجبورة)) على أن من على الأول صلة لورث لقوله : ورثته وورثت منه . قوله : ((على أن الأسامي الشنع))^(٧) الأساس^(٨) : [شَنَعَت عليه هذا الأمر : قَبَحَت عليه، وله اسم شنيع، وقوم شُنُع الأسامي]. قوله : ((جديرة بالأثرة)) الجوهرى^(٩) : [استأثر فلان بالشيء إذا استبد به والاسم الإثرة].

(١) سورة النمل الآية ١٦ .

(٢) سورة النساء الآية ١١ .

(٣) ولا عليه (فيه) محاسبة في م .

(٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال : إنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا . أخرجه الترمذي . انظر عارضة الأحوذى ٢٨٢/٩ . وأحمد في الزهد ١٤٩ .

(٥) قال (ز) في تفسير : ﴿ يرثني ﴾ : وقيل : يرثني الجبورة، وكان خبراً .

(٦) النهاية ٣٢٨/١ مادة (حبر).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ الآية ٧ . قال

(ز) في تفسير : ﴿ سمياً ﴾ : لم يسم أحد يحيى، وهذا شاهد ((على أن الأسامي ...)) .

(٨) الأساس ٣٣٩ مادة (شنع).

(٩) الصحاح للجوهري ٥٧٥/٢ مادة (أثر).

قوله : ((وأثرة عن النَّبَز)) الجوهرى (١) : [النَّبَزُ بالتحريك اللقب، وفلان يُنَبَزُ بالصبيان يلقبهم] قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذَ أَصْنَامًا ﴾ (٢) آزر اسم صنم، يجوز أن ينزهه للزومه لعبادته، كما نيز ابن قيس بالرقيات اللاتى يشيب بهن وأنشد بعضهم (٣) :

**** أدعى بأسماء نيزاً في قبائلها ** كأن أسماء أضحت بعض أسمائي ****

وإنما كان أثره، لأن الاسم القبيح لا يرغب فيه أحد فيختص به ويشتهر فلم يحتج إلى التعريف والتلقيب به [وعن متعلق بأنزه ومن محذوف أي التسمية بالأسماء الشنع لينفرد بها ويشتهر أنزه من غيرها عن التلقيب والشهرة] (٤) ولهذا سُمِّيَ كليلاً وعنزة وتأبط شراً كأنهم اختاروا الاسم الشنيع لأجل الغرابة لئلا يشاركهم فيه أحد كيحيى، لا أن يحي اسم شنيع.

قوله : ((مسبلي أزرِ حُمِر)) (٥) صفة أزرِ مُسْبِلِي أزرِ كناية عن الكبر (٦) .

قوله : ((مثلاً وشبيهاً)) (٦) عطف على قوله : ((لم يسم أحد بحى قبله)) .

قوله : ((وإن كان حصوراً يريد قوله تعالى فيه : ﴿ إِنْ اللَّهُ يَشْرِكْ بِحِى مُصَدَقاً بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيْداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قال الحصور الذي لا يقرب النساء حصراً لنفسه، أي منعاً لها من الشهوات . وقيل : هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو.

(١) الجوهرى ٨٩٧/٣ مادة (نيز).

(٢) سورة الأنعام الآية ٧٤.

(٣) لم أقف على قائله.

(٤) ما بين القوسين س من ت.

(٥) يشير إلى بيت ذكره الزمخشري ٥/٣ أوله :

**** شُئُعُ الْأَسَامِي مُسْبِلِي أَزْرِ ** حُمِرِ تَمَسُّ الْأَرْضَ بِالْهَلْدَبِ ****

(٥) (التكين) في م

(٦) تفسير لقوله تعالى : ﴿ سَمِيّاً ﴾ .

قوله : ((قلت : ليجاب بما أجيب به))^(١) قال صاحب الانتصاف^(٢) : [لا يجوز لنبيّ النطق بما لا يسوغ لطلب مثل ذلك، أي : لتثبيت المؤمن وردّ المبطل، إذ يمكن حصوله بدونه، فإن (زكريا) طلب ولداً على الجملة، وليس في الآية ما يدلّ على أنه لا يوجد وهو هرم، ولا أنه من زوجته وهي عاقر، ولا أنه تعاد إليهما قوتُهما وشبابهما، كما فعل بغيرهما، أو يكون الولد من غير الزوجة العاقر فاستخبر عن ذلك، فقيل له : ﴿ كذلك ﴾ أي : يكون الولد وأنتما كذلك . قلت : وخلاصته أن الاستفهام في الآية للتعجب والاستبعاد، ولهذا قال الإمام^(٣) : [إن المقصود من قوله : ﴿ أنى يكون لي غلام ﴾ هو التعجب من أنه تعالى يجعلهما شابين ؟. ثم يرزقهما الولد أو يتركهما شيخين ويرزقهما الولد، والدليل عليه قوله : ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾^(٤) وما هذا الإصلاح إلا أنه أعاد لها قوة الولادة] أو أنه ما ذكر ذلك للشك، لكن لتعظيم القدرة، وهذا كالرجل الذي يرى صاحبه وقد وهب الكثير الخطير فيقول : أنى سمحت نفسك بإخراج مثل هذا. تعظيماً للموهوب، أو أن من شأن من فوجئ ببشارة ما يتمناه فرط السرور وفقد الاستثبات والذهول عن مقتضيات الفكر، كما قالت : ﴿ ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ﴾^(٥) حتى قيل لها : ﴿ أتعجبين من أمر الله ﴾.

قوله : ((كالعود القاحل))^(٦) الجوهرى^(٧) : [قحل الشيء يقحل قحولاً ييس فهو قاحل] .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾ قال (ز) : فإن قلت : لم طلب أولاً، وهو وامرأته على صفة العتّى والعقر ؟. ((قلت : ليجاب .. الخ)).

(٢) صاحب الانتصاف أحمد بن المنير مع الكشف

(٣) الفخر الرازي ١٨٨/٢١.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٩.

(٥) سورة هود الآية ٧٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿ عتياً ﴾.

(٧) الجوهرى في صحاحه ١٧٩٩/٥ مادة (قحل).

قوله : ((والظعن في السن العالية))^(١) الأساس^(٢) : [ومن المجاز خرج يطعن الليل يسري فيه وظعن في السن العالية].

قوله : ((ما يسمى عتياً)) قيل (من) هذا للتبعيض حال من (عتياً) أي : بلغت عتياً حال كونه بعض مراتب الكبر، وعلى الأول ابتدائية، أي : بلغت سنّاً عالية ابتداؤها جهة الكبر، وقوله : ((من أجل الكبر)) يشير به إلى أن مثلها قولك : جنتك من أجل إكرامك، أي لأجل إكرامك، وتحقيقه أن (من) ابتدائية و(من الكبر) مفعول له. وقلت : ويمكن أن تكون (من) على الوجه الأخير بيانية، وهي مع الجرور حال من (عتياً) قدّمت لأن صاحبها نكرة . ولما كانت (من) البيانية تجريدية^(٣) قال ما يسمى عتياً أي انتزع من مدارج الكبر ومراتبه مرتبة تسمى عتياً . كقولك : لقيت منه أسداً يدل عليه قوله : في تفسير قوله : ﴿ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ﴾^(٤) (من) يحتمل أن تكون بيانية، كأنه قيل : هب لنا قرّة أعين، ثم بينت القرّة بقوله : ﴿ من أزواجنا وذرياتنا ﴾ وهو من قولهم : رأيت منك أسداً وعلى الوجه الآخر ابتدائية، ولما كان معنى الابتداء الإنشاء قال : من أجل الكبر يدل عليه قوله : في تفسير قوله : ﴿ أعينهم تفيض من الدمع ﴾^(٥) (من) ابتدائية على أن فيض الدمع ابتداء ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله وسببه.

قوله : ((وقرأ ابن وثاب^(٦) حمزة والكسائي وحفص ﴾ عِتياً ﴾ و ﴾ صلياً ﴾ و ﴾ جتياً ﴾ وجميع ما في هذه السورة بكسر أوله. والباقيون بضم أول ذلك.

(١) قال (ز) في تفسير : ﴿ عِتياً ﴾ : عتا العود وعسا من أجل الكبر ((والظعن في السن العالية)) .

(٢) الأساس ٣٩١ مادة (ظعن).

(٣) التجريد / هو أن ينتزع من أمر موصوف بصفة أمر آخر مثله في تلك الصفة للمبالغة في كمال تلك

الصفة في ذلك الأمر المنتزع منه . انظر التعريفات للجرجاني ٧٣ . والبيان في علم المعاني والبيان للطيبى ٢٨٨ .

(٤) سورة الفرقان الآية ٥٤ .

(٥) سورة التوبة الآية ٩٢ .

(٦) قرأ (عتياً) و (صلياً) و (بكياً) حمزة والكسائي بكسر أوائل الأربعة ووافقهم الأعمش . وقرأ حفص

كذلك إلا في (بكياً) جمعاً بين اللغتين . والباقيون بضمها على الأصل . وكذلك (بكياً) عند حفص . الإنحاف ٢٩٩ .

قوله : ((بفتحها))^(١) فيهما أي في عتياً وصلياً . وروى ابن جني^(٢) : [عن ابن مجاهد أنه قال : لا أعرف لهما في العربية أصلاً، ويقرأ مع ذلك بضم الباء في (بُكيا) وأقول له في العربية أصل وهو ما جاء من المصادر على فعيل، نحو الحويل^(٣) والزويل^(٤) والشخير^(٥) ، وأما البكى فجماعة وهي فعول كالحثي^(٦) والدلي والحلي].

قوله : ((أو نصب (يقال)))^(٧) أي : قال الثانية، وكذا عن القاضي^(٨) : [قال : الكاف منصوب بـ (قال) في ﴿ قال ربك ﴾] وعليه كلام صاحب التقريب الكاف إما رفع، وذلك إشارة إلى قوله : ﴿ زكريا ﴾ أي : الأمر كذلك تصديقا له . ثم ابتداء ﴿ قال ربك ﴾ فينتصب ﴿ هو عليّ هين ﴾ وهو على قراءة [الواو، يقال : أي قال : وهو على ذلك يهون عليّ، وإما نصب بقال، وذلك مبهم يفسره ﴿ هو عليّ هين ﴾ فعلى قراءة الواو لا يكون تفسير الوجود العاطف، فالوجه أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله حتى لا يحتاج إلى تفسير، أي : قال قولاً مثل ذلك الوعد فحينئذ يبقى على هين، بالواو وبدونها غير منصوب، يقال : المظهر لا شغاله بما قبله فيضمّر، قال : على كلتا القرائتين لينصبه أو لا يضمّر، لأن الله هو المخاطب. وقلت : تمام تقريره أن المشار إليه بقوله ﴿ ذلك ﴾ إما الكلام السابق وهو قول زكريا : ﴿ رب أنى يكون لي غلام ... إلى آخره ﴾ أو اللاحق، وهو قول : ﴿ عليّ هين ﴾ فعلى الأول : ﴿ كذلك ﴾ خبر مبتدأ محذوف إذ التقدير الأمر. كما قلت، فتكون الجملة الثانية على تقدير جواب عن سؤال سائل، فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه إياه ؟. فأجيب قال : ﴿ ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴾ وعلى الثاني المشار

(١) ابن مسعود ((بفتحها)) شواذ القرآن ٨٣ واختب ٣٩/٢.

(٢) ابن جني في المختب ٣٩/٢.

(٣) (الحويل) جودة النظر والقدرة على التصرف . انظر المختب لابن جني والتعليق عليه ٣٥/٢.

(٤) (الزويل) الاستحالة والذهاب.

(٥) (الشخير) مد الصوت بالخياشيم.

(٦) (الحثي) جمع حاث، من حثا التراب أي صبه.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴾.

(٨) القاضي البيضاوي ٣/٤.

قوله : ((وأوحى أشار))^(١) الراغب^(٢) : [الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة. قيل : أمرٌ وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد، وإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة، وقد حمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بِكُرَةِ وَعَشِيَا ﴾ فقد قيل : رَمَزَ . وقيل : أشار . وقيل : كتب . وعلى الوجوه المذكورة في قوله : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾^(٣) .

قوله : ((واحكم كحكم فتاة الحي ...))^(٤) تمامه :

**** واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ** إلى حمام سراعٍ ورايَ الثمد ****

**** قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ** إلى حمامتنا ونصفه فقد ****

(الثمد) الماء القليل الذي لا مادة له . (إلى حمامتنا) أي مع حمامتنا . و(قد) بمعنى حسب . الجوهري^(٥) : [قولهم : قَدْكَ أي حسبك، فهو اسم، تقول : قدي وقديني، وبالنون شاذ . قال الميداني : قال النابغة في زرقاء اليمامة، يخاطب النعمان : واحكم كحكم فتاة الحي^(٦) ، وكانت نظرت إلى سرب حمام طائر فيه ست وستون حمامة، وعندها حمامة واحدة، فقالت :

**** ألا ليت ما هذا الحمام ليه ** إلى حمامتيه ****

**** ونصفه قدييه ** تم الحمام ميه ****

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَنُخْرِجُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ أَخْرَابٍ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بِكُرَةِ وَعَشِيَا ﴾ قال

(ز) : ((وأوحى أشار)) .

(٢) الراغب ٥١٥ مادة (وحي) .

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٢ .

(٤) القائل النابغة، واسمه زياد يخاطب النعمان بن المنذر . الكشف ٧/٣ . (تفسير قوله : ﴿ وآتيناہ الحکم ﴾ .

(٥) الجوهري في صحاحه ٥٢٣/٢ مادة (قدد)

(٦) فتاة الحي هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر .

الحمام مئة، وقال بعض أصحاب المعاني إن النابغة لما أراد مدح هذه الحكمة الحاسبة بسرعة أصابتها شدة الأمر وضيقه ليكون أحسن له إذا أصابت فجعلها حَزْرَةً للطير، إذ كان الطير أخفّ ما يتحرك، ثم جعله حماماً إذ كان الحمام أسرع الطير، ثم كثر العدد إذ كانت المسابقة مقرونة بها، لأن الحمام يشتد طيرانها عند المسابقة ثم ذكر أنها طارت بين ضيقين، لأن الحمام إذا كان في مضيق من الهوى كان أسرع طيراناً منه إذا اتسع عليه الفضاء، ثم جعله وارد الماء أعانه الحرص على الماء على سرعة الطيران.

قوله : ((وقيل النبوة))^(١) قال الإمام (٢) : الأقرب هذا، لأنه تعالى ذكر هنا مناقب شريفة ليحيى على سبيل المدح، ولا ارتياب أن أشرفها النبوة، فوجب حمله عليها]. وروى الواحدي (٣) : [عن ابن عباس أن الحكم النبوة وقال أيضاً : المعنى فوهبنا له وقلنا : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً ﴾ والكتاب التوراة] وقال الإمام (٤) : [ويحتمل كتاباً خصّ به، كما خصّ الله تعالى الكثير من الأنبياء بذلك، والأول أوجه، لأن حمل التعريف على المعهود السابق أولى، ولا معهود سوى التوراة] وقلت : [يحمل على العهد الذهني لقرائن الأحوال، كقول عيسى : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ والكتاب هو الإنجيل]^(٥).

قوله : ((حناناً رحمة لأبويه))^(٦) وهو مصدر بمعنى الاسم أي : التحنن بدليل قوله : ((وتعطفاً)) قال الراغب (٧) : [الحنين النزاع المتضمن للإشفاق، يقال : حنت المرأة والناقة لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت، ولذلك يعبر بالحنين عن الصوت

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ وهو على معان منها : النبوة.

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٩١/٢١.

(٣) الواحدي ١٧٨/٣.

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٩١/٢١.

(٥) ما بين القوسين من أ.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وحناناً من لدنا وزكاة ﴾ الآية.

(٧) الراغب ١٣٣ مادة (حن).

الدال على النزاع والشفقة، أو متصور بصورته، وعلى ذلك حنين الجذع، ولما كان الحنين متضمناً للإشفاق، والإشفاق لا ينفك عن الرحمة عبّر عن الرحمة به في نحو قوله تعالى : ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ ومنه قيل : الحنان المنان وحنانك اشفاق بعد اشفاق [وقال أبو البقاء (١) : [وحنانا معطوف على الحكم أي : وهبنا له نحننا . وقيل : مصدر]

قوله : ((﴿ وبراً ﴾)) أي : وجعلناه ﴿ برّاً ﴾ وقيل : برّاً معطوف على خبر كان . وقلت : وسلام معطوف من حيث المعنى على ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ كأنه قيل : وآتيناه الحكم صبيّاً وجعلناه برّاً لوالديه وسلمناه في تلك المواطن الموحشة، فعدل إلى الجملة الاسمية لإرادة الثبات والدوام، وهي كالخاتمة للكلام السابق، ومن ثم شرع في قصة أخرى . وفي قوله : ﴿ ويوم يموت ﴾ (٢) إشارة إلى أن القتل أيضاً موت مقدر بأجل خلاف المعتزلة .

قوله : ((** فقالت حنان : ما أتى بك ... البيت (٣)))

روى عن المصنف أنه قال : (ما) في البيت إبهامية، كما تقول : أمر ما جاء بك ههنا رأى رجلاً غريباً أنكر مجيئه إلى الحي فقال : قل لي رحمة منك ما جاء بك ههنا أقرب ذو نسب أتى بك أم أنت عارف بالحي وجئت لمعرفتك بهم ؟ . أوله :

**** وأحدث عهداً من أمية نظرة ** على جانب العليا إذ أنا واقف ****

تقول : حنان البيت.

قوله : وحنّ في معنى ارتاح واشتاق، ثم استعمل في العطف والرأفة ((فيكون مجازاً لأن العطف والرأفة سبب الإشتياق والإرتياح . وفي الأساس (٤) بخلافه، لأنه ذكر

(١) أبو البقاء ١١١/٢ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾ الآية ١٥ مريم.

(٣) البيت لمنذر بن درهم الكلبي . وتامه :

**** فقالت حنان : ما أتى بك هاهنا ** أذو نسب أم أنت بالحي عارف ****

انظر المشاهد ٩/٣ .

(٤) الأساس ١٤٥ مادة (حنن)

في قسم الحقيقة : [حنّ إلى وطنه، وحن عليه حناناً ترحم عليه] وكيف ما كان استعماله في حق الله تعالى استعارة تبعية لمعنى إنعامه على عباده ولطفه بهم^(١) لأن الوالد إذا عطف على ولده وأظهر الشفقة في حقّه لطف به وأنعم عليه.

قوله : ((وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها))^(٢) أي في الإبدال إشارة إلى أن المقصود الأولى في هذا المقام استحضار ذلك الوقت الذي حدثت تلك الحادثة الغريبة فيه في ذهن السامع ومشاهدته ليتعجب منه، وكذلك فعل في قصة زكريا عليه السلام في قوله : ﴿ إذ نادى ربه ﴾.

قوله : ((والانتباز الاعتزال والانفراد)) الراغب^(٣) : [انتبذ فلان اعتزل اعتزال من تقلّ مبالاته بنفسه فيما بين الناس، والنبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به، ولذلك يقال : نبذته نبذ النعل الخلق، قال تعالى : ﴿ كلا لينبذن في الحطمة ﴾^(٤) ﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾^(٥) لقلة اعتدادهم به، وصبيّ منبوذ ونبيذ كقولك لقيط وملقوط، لكن منبوذ باعتبار من طرحه، وملقوط باعتبار من تناوله].

قوله : ((أو من دارها)) عطف على ((مما يلي)) بأن يقدر مما يلي شرقي دارها، أي : في مكان من الذي يقرب شرقي بيت المقدس أو بقرب شرقي دارها.

قوله : ((في مشرقة))^(٦) أي : موضع القعود لإشراق الشمس . الأساس^(٧) : [قعدوا في المشرقة وتشرقوا].

﴿ لا ﴾

(١) هذا على مذهب من أول الصفات، والصواب أن الله ليوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم كما هو مذهب السلف، على غرار قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .
(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ قال (ز) : (إذ) بدل من (مريم) بدل اشتمال، لأن الأحيان مشتملة على ما فيها ((وفي ... الخ)) .

(٣) الراغب ٤٨١ مادة (نبذ).

(٤) سورة الهزلة الآية ٤ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(٦) تفسير قوله : ﴿ إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ .

(٧) الأساس ٣٢٧ مادة (شرق).

قوله : ((سَوِيّاً سَوَى الْخَلْقِ))^(١) الراغب^(٢) : [السوي يقال : فيما يسان عن الإفراط والتفريط من حيث القدر والكيفية، قال تعالى : ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ﴾^(٣) ورجل سويّ استوت أخلاقه وخلقته عن الإفراط والتفريط].

قوله : ((وَسَبْرًا لَعَفْتَهَا)) المغرب^(٤) : [سبر الجرح بالمسبار قدّر غوره بحديدة أو غيرها].

قوله : ((زَوْجَ أُخْتِهَا)) قيل: الصواب خالتها، وقد سبق في آل عرمان تحقيقه^(٥).
قوله : ((لِتُفْلِي رَأْسَهَا)) الأساس^(٦) : [فليت رأسي واستفيلته واستفليت رأسي طلبت أن يفلى . ومن المجاز : فليت الشعر تدبرته عن معانيه] الجوهري^(٨) : [فليت رأسه من القمل].

قوله : ((فِي صُورَةِ تَرَبُّهَا)) الجوهري^(٩) : [قولهم : هذه تَرَبُّ هذه أي لدتها وهن أتراب].

قوله : ((أَوْ سَمَاءَ اللَّهِ رُوحَهُ عَلَى الْمَجَازِ))^(١٠) هذا يوهّم أن الوجه الأول لا مجاز فيه، لكن هذا المجاز في الإضافة للتشريف على نحو بيت الله وناقاة الله، والأول من إطلاق المسبب على السبب، لقوله : ((لِأَنَّ الدِّينَ يَحْيِي بِهِ)) وأحياء الدين أيضاً مجاز عن إظهاره وتنويهه.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ .

(٢) الراغب ٢٥٢ مادة (سوا).

(٣) سورة طه الآية ١٣٧

(٤) المغرب ٣٧٩/١ مادة (سبر).

(٥) الآية ٤٥ - ٤٦ عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةِ مِنْه ... الآية ﴾ .

(٦) قال (ز) : وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب، فحمنت أن تجد خلوة في الجبل ((لتفلي رأسها)) .

(٧) الأساس ٤٨٢ مادة (فلى).

(٨) الجوهري في صحاحه ٢٤٥٧/٦ مادة (فلى).

(٩) الجوهري في صحاحه ٩١/١ مادة (ترب) كما قال تعالى : ﴿ غُرُبًا اِتْرَابًا ﴾ .

(١٠) تفسير قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ .

قوله : ((وإصابة الروح)) بالرفع عطف على ((روح العباد)) على أن يراد بالروح القرآن، فيكون من باب عطف الخاص على العام اهتماماً، لأن قوله : ﴿ فأمّا إن كان من المقربين. فروح وريحان ﴾^(١) بعض منه . ويؤيده رواية الجرّ عطفاً على ما في (لما) . ويجوز أن يكون الرفع عطفاً على سبيل البيان، كما أن قوله : ((ونوحيه)) عطف على الهاء في (به) كذلك أي أنه سبب لما فيه إصابة الروح عند الله، لأنه عليه السلام نزل بقوله : ﴿ فأمّا إن كان من المقربين . فروح وريحان ﴾^(٢) وهو عدة المقربين.

قوله : ((أو لأنه من المقربين)) أي : إنما قال ﴿ روحنا ﴾ لأنه من المقربين، وإنما سميّ المقربون بالروح، لأنهم وعدوا به فيكون مجازاً بأدنى ملابسة، فالوجهان في هذه القراءة كالوجهين في القراءة^(٣) الأولى مجازاً، وإضافة نعم الإضافة الأولى أعلى وأسنى.

قوله : ((وتحفل بالاستعاذة))^(٤) الجوهرى^(٥) : [حفلت كذا أي باليت به، يقال: لا تحفل به].

قوله : ((كقوله تعالى : ﴿ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾^(٦) قال المصنف : فيه ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم إن كنتم مؤمنين^(٧) ، ووجه الشبه أن المتقي إنما يكون متقياً إذا أشرف على محارم الله تعالى ولا يهتك حرمة فيها، كما أن المؤمن إنما يكمل إيمانه إذا اعتقد أن القليل من الحلال خير من

(١) سورة الواقعة الآية ٨٩.

(٢) سورة الواقعة الآية ٨٩.

(٣) القراءة (في رُوحنا) بالضم . (روحنا) لأبي حنيفة بالفتح.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ الآية ١٨ مريم . قال (ز) :

أرادت، إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتحشاه ((وتحفل بالاستعاذة)) به فإني عائذة به منك.

(٥) الجوهرى ١٦٧١/٤ مادة (حفل).

(٦) سورة هود الآية ٨٦ عند هذه الآية قال المصنف ذلك.

(٧) في ت ، ب : عليكم (خير لكم) إن كنتم مؤمنين . ما بين التوسين.

الكثير من الحرام، وفائدة هذا الأسلوب الإنزجاز على الوجه الأبلغ، ولا يسلك إلا بمن يدعى أنه متصف بتلك الصفة، وهو غال فيها، ومن ثم روى البخاري^(١) عن أبي وائل قال : [علمت مريم أن التقى ذو نهيّة حين قالت : ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ ذو نهيّة] أي ذو عقل، وقال محي السنة^(٢) : [هذا كقول القائل : إِنْ كُنْتَ مُؤْمِناً فَلَا تَظْلِمْنِي، أي : ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم] وقلت : مثاله في الشاهد قولك لمن تخاف غائلته وتعرف أنه ممن يتقي سطوات الملك العادل : أنا أستجير منك إلى الملك العادل، إِنْ كُنْتَ تَتَقَى سَطَوَاتِهِ، فإذا بلغ تماديه في الغي إلى أنه لا يرتدع بمثل هذا الرادع، قلت للملك العادل : أنا ألوذ إليك وأستجير بكفك من معرة فلان، فقولها : ﴿إِنَّا أَعْيَضَهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ من هذا المقام.

قوله : ((لا كون سبياً لهبة الغلام))^(٣) الراغب^(٤) : [الهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، وقوله : ﴿لَأَهْبَ لَكَ غُلَاماً زَكِيّاً﴾ نَسَبَ الْمَلِكُ الْهَبَةَ إِلَى نَفْسِهِ لَكُونِهِ سَبِيّاً] وقرئ^(٥) : ﴿لِيَهَبَ لَكَ﴾ فنسب إلى الله عز وجل، فهو على الحقيقة، ويوصف الله تعالى بالواهب، والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه.

(١) لم أقف عليه في البخاري، وفي الدر المنثور ٥/٥٠٠ أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي وائل.

(٢) محي السنة البغوي ٥/٢٢٣.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَاماً زَكِيّاً﴾ مريم الآية ١٩. تفسير قوله: ﴿لَأَهْبَ لَكَ﴾.

(٤) الراغب ٥٣٣ مادة (وهب).

(٥) قرأ ﴿لِيَهَبَ لَكَ﴾ ورش وأبو عمرو ويعقوب بالياء بعد اللام، والضمير للرب، أي : ليهب لك الذي استعذت به مني، لأنه الواهب على الحقيقة، ووافقهم الحسن واليزيدي. والباقون بالهمز. والضمير للمتكلم، وهو الملك، لأنه السبب. الإتحاف ٢٩٨.

قوله : ((جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال))^(١) قال الإمام^(٢) : [ولقائل أن يقول قولها : ﴿لم يمسنني بشر﴾ يدخل تحته قولها : ﴿ولم أك بغياً﴾ فلماذا أعادها ؟ . ويقوي السؤال قولها في آل عمران : ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر﴾ والجواب : من وجهين . أحدهما : أنها جعلت المسّ عبارة عن النكاح الحلال . وثانيهما : أن إعادتها لتعظيم حالها ، كقوله تعالى : ﴿وملائكته ورسله وجبريل﴾^(٣) فذكر البغي بعد دخوله في الكلام ، لأنه أعظم ما في بابه ، لأن من لم تُعرف من النساء بالتزوج فأغلظ أحوالها إذا أتت بولد أن تكون زانية] . وقلت : الوجه الأول^(٤) أقضى بحق البلاغة ، ولهذا اختاره المصنف ، لأن قوله : ﴿لم يمسنني بشر﴾ حال مقررة لجهة الإشكال ، وردت على الكناية عن النكاح الحلال مقرونة بأخرى لإرادة التقسيم الحاضر ، فيفيد أن علاقة الولد ومظنة حصول الغلام عرفاً ، إنما يكون بطريق النكاح أو السفاح ، وما لم يوجد كيف يتصور وجوده ، لكن في تعليقه جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال ، لأنه كناية عنه جزاؤه ، لأنه جاء في آل عمران^(٥) ولم يرد به هذه الكناية ، بل العبارة الجيدة أن يقال : جعل المسّ عبارة عن النكاح في هذا المقام لوقوعه قرينة لقوله : ﴿ولم أك بغياً﴾ لإفادة التقسيم الحاضر . فإن قلت : كيف طابق قولها : ﴿ولم أك بغياً﴾ قوله : ﴿لأهب لك غلاماً زكياً﴾ فإنه نفى كل الريبة والتهمة بقوله : ﴿زكياً﴾ ؟ . قلت : كأنها من فرط تعجبها وغاية استبعادها نبذت الوصف وراءها ظهرياً ، وأتت بالموصوف ، وأخذت في تقرير نفيه على أبلغ وجه ، أي : ما أبعد وجود هذا الموصوف مع هذه الموانع ، بل الوصف وهو قريب من الأسلوب

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغياً﴾ الآية ٢٠ . تفسير : ﴿لم يمسنني بشر﴾ .

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٩٩/٢١ بتصرف منه . وكذا ذكر صاحب الروض الريان في أسئلة القرآن لشرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان المتوفى سنة ٧٧٠ . ٢٣٦/٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ٩٨

(٤) وهو جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر﴾ . قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ الآية ٤٧ .

الحكيم^(١) . ولما كان الاهتمام بشأن النفي في الثاني أتم أثرت كأن الإيدان بأن انتفاء الفجور لازم لها^(٢) ، وبعيد أن تتصف بما يخالف العفة، لأنها كانت من بيت العفة ومعدن الطهارة، ألا ترى إلى قولهم : ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا ﴾^(٣) وبهذا ظهر أن قول من قال : إن هارون كان رجلاً صالحاً أخاً لها هو القول . قال الراغب^(٤) : [كأن ما استعمل منه في جنس الشيء متعلقاً بوصف له لينبه على أن ذلك الوصف لازم له قليل الإنفكاك، كقوله تعالى : ﴿ وكان الإنسان كفوراً ﴾^(٥) ، وقلت : وقد جاء في فرد من أفراد الجنس باعتبار وصف يجعله كالجنس نحو : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾^(٦) وما نحن بصدد من هذا القليل . فإن قلت قول الإمام : ويقوي السؤال ما في آل عمران، يوهم أن القرينة الأولى كافية في الجواب عن قوله : ﴿ لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ فكيف وقوعها في هذا المقام دون ذلك ، والقصة واحدة؟. قلت : يجوز أن يكون ما في آل عمران بشارة أخرى من الملائكة بعد هذه البشارة من جبريل بشرت أولاً بموهوب زكي ثم بموهوب موصوف بتلك الصفات الكوامل، فحقيقة البشارة في الكرة الثانية هي الإخبار بما يظهر سرور المخبر، فالسرور الثاني غير الأول، وإنما لم يردف القرينة الثانية بها في البشارة الثانية، لأنه لم يلحقها ما تستشعر معه الخوف على نفسها كما لحقها في المرة الأولى، ولذلك^(٧) استعاضت فيها بقوله : ﴿ اني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ وأيضاً لا ارتياب أن سورة مريم مكية، لأنها تليت

(١) الأسلوب الحكيم : هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى . جواهر البلاغة ٣٨٨ . والبيان للطبى ٢٩٥ .

(٢) هذه العبارة هكذا في كل النسخ ولم يتضح لي معناها .

(٣) سورة مريم الآية ٢٨ .

(٤) الراغب لم أقف عليه فيه في مادته من كتابه المفردات، ولعله في تفسيره .

(٥) سورة الإسراء الآية ٦٧ .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٧) في ب (ولهذا) بدل (ولذلك) .

على النجاشي^(١) في أول المهجرتين . وسورة آل عمران كما قيل : مدنية، ويمكن أن يقال : إن كليهما قصة واحدة، وإنما اختلفت العبارات لما أنه عز شأنه ذكر قصتها الواحدة في كل مكان بحسب ما يقتضيه المقام من الإطناب والإيجاز، فهذا المقام مقام بيان المقابلة التي جرت بينها وبين الملك والحالات الواقعة بينهما لا بيان وصف الغلام بتلك الأوصاف المذكورة في آل عمران، فأطنب في الأول واختصر في الثاني، بخلافه في آل عمران لأنه مقام تقرير الامتنان على مريم بموهوب عظيم القدر بديع الشأن، فأطنب في الأوصاف، وأوجز في بيان المقابلة، وقد ذكرنا في سورة هود قانونا يرجع إليه في أمر قصة واحدة تردُّ على أنحاء مختلفة في مواضع شتى ، وبسطنا الكلام فيه . والله أعلم بأسرار كلامه.

قوله : ((وليس بقمين))^(٢) يقال : أنت قمين أن تفعل كذا بالتحريك، أي : جدير خليف لا يشنى ولا يُجمع ولا يؤنث، فإذا كسرت الميم أو قلت : قمين . ثنيت وجمعت.

قوله : ((وهي فعول عند المبرد))^(٣) قال أبو البقاء^(٤) : [فلما اجتمعت الواو والياء قلبت الواو ياء، وأدغممت وكسرت الغين إتباعاً، ولذلك لم يلحق تاء التأنيث، كما لم تلحق في امرأة صبور و شكور].

قوله : ((هي فعيل)) قال أبو البقاء^(٥) : [هي فعيل بمعنى فاعل، ولم تلحق التاء أيضاً، لأنه للمبالغة لأنه على النسب مثل طالق وحائض].

(١) النجاشي ملك الحبشة المشهور، حين ما قدم عليه المهاجرون للحبشة في الهجرة الأولى.

(٢) قال (ز) : ((وليس بقمين)) أن تراعي فيه الكنايات، يقوي ما مال إليه يجعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال . ومعنى (قمين) أي : حريّ.

(٣) تفسير قوله : ﴿ ولم أك بغيا ﴾ قال (ز) : ((وهي فعول عند المبرد)) .

(٤) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، الأزدي، أبو العباس المعروف بالمبرد، إمام العربية في بغداد، أحد أئمة الأدب والأخبار . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٦ ببغداد . بغية الوعاة ٢٦٩/١ . وتاريخ بغداد ٣٨٠/٣ .

(٥) أبو البقاء ١١٢/٢ .

(٦) المرجع السابق.

قوله : ((فلان نهو))^(١) وهو شاذ . قيل : لأنه إذا اجتمع الواو والياء وسبق ساكن قلب الواو ياء وأدغم . وقال صاحب التقريب : [نصّوا على أن نهو شاذ ليس بقياس .

قوله : ((أو هو معطوف على تعليل مضمّر))^(٢) والمعنى : أهب لك وأنت كذلك ليبن كقوله تعالى : ﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ﴾^(٣) ليستدل بها المكلف على قدرته، ولتجزى كل نفس . وقوله : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾^(٤) ليتصرف فيها ولنعلمه، ونظير الأول قوله في الأنفال : ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾^(٥) ليقضي متعلق بمحذوف، أي : ليقضي أمراً واجباً أن يفعل دبر ذلك . الحاصل : أنه على تقدير الأول عطّف الجملة على الجملة، وعلى الثاني عطّف المفرد على المفرد، فإن قلت : لم يقدر المعلل مؤخراً ؟ قلت : فائدة هذا الأسلوب، وهو أن تجاء العلة بالواو للاهتمام بشأن العلة المذكورة، لأنه إما أن يقدر علة أخرى لعطف عليها، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أهم . وإما أن يقدر معلل، فيجب أن يكون مؤخراً، ليشعر تقديمه بالاهتمام .

قوله : ((أو كان أمراً حقيقاً))^(٦) بأن يُكوّن ويقضى، فعلى الأول ﴿ كان أمراً مقضياً ﴾ تذييل للكلام وتوكيد له، وكالموجب ليكون ما يدل على القدرة الكاملة والرحمة الشاملة . وعلى الثاني كالموجب^(٧) بفتح الجيم، وذلك بالنظر إلى معنى الآية،

(١) قال ز : قال ابن جني : هي فعل، ولو كانت فعولاً لقليل : (بغو) كما قيل : ((فلان نهو)) عن المسكرات .

(٢) تفسير قوله : ﴿ ولنجعله آية ﴾ قال (ز) : تعليلٌ معلّله محذوف، أي : ولنجعل آية للناس فعلنا ذلك ((أو هو معطوف على تعليل مضمّر)) أي نبين به قدرتنا، ولنجعل آية .

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ٧٦ .

(٥) الآية ٤٢ .

(٦) تفسير قوله : ﴿ مقضياً ﴾ .

(٧) الموجب بالفتح . وضابطه تسليم المعارض دليل الخصم، مع بقاء النزاع في الحكم . وقد تقدم له

زيادة إيضاح في الحجر

وأنها البرهان على قدرة الله، ومفهوم الرحمة، وأن ابنها يصير نبياً مباركاً، وأن كونهما من المصالح الموجبة أن تراعى . والأول أنسب لمذهبنا . والثاني لمذهبه، ويدل على أن المراد رعاية الأصلح قوله ((وما كان سبباً في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح، فهو جدير بالتكوين))^(١) .

قوله : ((فاطمأنت إلى قوله : فدنا منها فنفتح في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت))^(٢) إشارة إلى أن الفاء في : ﴿ فحملته ﴾ تعطف هذه الجملة على ما قبلها بواسطة هذه المضمرات فلا يبعد أن تسمى فصيحة، لأن الاطمئنان يستدعي سبق انزعاج، وذلك أنه حين تمثل لها الرسول بشراً سوياً انزعجت منه فاستعادت بالرحمن، فلما جرى بينهما تلك المقابلة اطمأنت إلى قوله : ((فدنا ... إلى آخره)) .

قوله : ((كما حملته نبذته))^(٣) بيان لمعنى الفاء في : ﴿ فانتبذت ﴾ ولفظة كما فيها معنى المفاجأة . قال صاحب اللباب : الكاف قد تأتي للقِران للوقوع كقولك : كما حضر زيد غاب عمرو .

قوله : ((وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره)) غيره بالنصب على الاستثناء، أشار بهذا إلى الحديث المشهور مضى شرحه في آل عمران^(٤) . وإنما أوتي إليه وهو أجنبي ههنا، لأنه ذكر نُبْذاً من أحوالها الخارقة للعادات .

قوله : ((تدوس بنا الجماجم والتربيا))^(٥) ... أوله :

**** فمرت غيرنا فرة عليهم ****

(١) تفسير قوله : ﴿ ولنجعل آية للناس ورحمة ﴾ ((وما كان سبباً ... الخ))

(٢) تفسير قوله : ﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ﴾ قال (ز) عن ابن عباس ((فاطمأنت ... الخ))

(٣) يشير إلى مدة الحمل، والخلاف في ذلك .

(٤) الآية ٣٦ والحديث أخرجه البخاري مع الفتح ٢١٢/٨ كتاب التفسير باب : ﴿ وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ برقم ٤٥٤٨ ولفظه : ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ... الخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ومسلم كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى برقم ٢٣٦٦ ج ٤/١٨٣٨ .

(٥) القائل المتنبّي يصف الخيول . كذا ذكره الألويسي ٨٠/١٦

قبله :

**** كأن خيولنا كانت قديماً ** تسقى في قُحوفهم الحلياً ****

الترائب عظام الصدر، والقحفُ العظم فوق الرأس . والضمير يعود إلى الأعادي، والعرب تسقي اللبن كرام خيولهم . يقول : خيلنا كانت تسقي اللبن في أقحاف رؤس الأعداء لإلفها بها، ولهذا كانت تمرّ عليهم وعلى صدورهم، ونحن عليها ولم تنفر عنهم.

قوله : ((فهرب بها))^(١) أي هرب ابن عمها مستصحباً إياها، ويجوز أن يكون الباء للتعديّة.

قوله : ((إلا أن استعماله قد تغيّر بعد النقل إلى معنى الإلجاء))^(٢) الجوهري^(٣) : [أجأته إلى كذا لجأته واضطرته إليه] قال الفراء^(٤) : [أصله من جئت] وقد جعلته العرب إلجاء . وفي المثل^(٥) : [شرّ ما يُجيئك إلى مُخّة عُرُقوب] قال الأصمعي : وذلك أن العرُقوب لا مخّ فيه، وإنما يخرج إليه من لا يقدر على شيء . الراغب^(٦) : [المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة، ويقال : جاء في الأعيان والمعاني، وبما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً، يقال : جاء بكذا وأجاءه قال تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ قيل : أَلجأها وإنما هو معلّي عن جاء . وقال الشاعر^(٧) :

(١) تفسير قوله : ﴿ مكاناً قصياً ﴾ قال (ز) : خاف عليها قتل الملك ((فهرب بها)) .
(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِياً مَنْسِياً ﴾ تفسير : ﴿ فَأَجَاءَهَا ﴾ قال (ز) : أجاء منقول من جاء ((إلا أن استعماله ... الخ)) .
(٣) الجوهري في صحاحه ٧١/١ مادة (جأ) والصواب أَلجأته إلى الشيء اضطرته إليه. كما هو في الجوهري.

(٤) الفراء في كتابه معاني القرآن ١٦٤/٢ .

(٥) الميداني في أمثاله ٣٥٨/١ المثل رقم ١٩١٧ .

(٦) الراغب ١٠٣ مادة (جاء).

(٧) الشاعر : زهير بن أبي سلمى وشطر البيت وهو في ديوانه ص ١٣ :

**** وسار جاء معتمداً إلينا ** أجاءته المخافة والرجاء ****

*** ** أجاءته المخافة والرجاء **]

قوله : ((ولم يقل : أتيت المكان وآتانيه فلان)) الجوهرى^(١) : [آتاه إيتاء أي : أعطاه، وآتاه أيضاً أي أتى به، ومنه قوله تعالى : ﴿ آتانا غداءنا ﴾ أي : إئتانا به . وقيل : معنى قوله : ﴿ إئتانا غداءنا ﴾ إئتانا به أظهر من قوله أعطنا الغداء، لأن موسى عليه السلام طلب من يوشع إحضار الغداء لا إعطاؤه إياه، وسيجيء في قوله : ﴿ إنه كان وعده مأثياً ﴾ اختياره لغير ما اختاره هنا.

قوله : ((تمخض الولد))^(٢) الجوهرى^(٣) : [مخض اللبن وامتنحض أي تحرك في الممخضة، وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل والمخاض وجع الولادة].

قوله : ((متعالم))^(٤) الجوهرى^(٥) : [تعالمه الجميع أي : علموه].

قوله : ((خرسة النساء))^(٦) الجوهرى^(٧) : [الخرس بالضم طعام الولادة الأساس^(٨) : [أطعم النفساء خرسها، وهي طعامها خاصة، وقد خرست وتخرست، وعن بعضهم : [الخرس بالضم طعام الولادة والوليمة، وبالتاء طعام النفساء].

قوله : ((من جمارها)) الجوهرى^(٩) : [الجمار شحم النخلة] وفي تذكير ضمير هو بحث، لأنه راجع إلى الثمار اللهم إلا أن يتمحل أنه نظر إلى الخبر ولعله سقط من النسخ.

(١) الجوهرى ٢٢٦٢/٦ مادة (أتى)

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ المخاض ﴾ قال (ز) : يقال : مخضت الحامل مخاضاً ومخاضاً بالكسر وهو ((تمخض الولد)) في بطنها.

(٣) الجوهرى ١١٠٥/٣ مادة (مخض) بتصرف منه.

(٤) تفسير : ﴿ جذع النخلة ﴾ قال (ز) : كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة ((متعالم)) عند الناس، إذا أطلق علم.

(٥) الجوهرى ١٩٩١/٥ مادة (علم).

(٦) قال (ز) : أرشدنا إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو ((خرسة النساء)) الموافقة لها.

(٧) الجوهرى ٩٢٢/٣ مادة (خرس).

(٨) الأساس ١٥٨ مادة (خرس) بدون ذكر الوليمة.

(٩) الجوهرى ٦١٦/٢ مادة (جر).

قوله : ((فَلِمُوا فَفَقَّتْهَا لَهَا مَعَ جَمِيعِ الْآيَاتِ اخْتَارَهَا لَهَا))^(١) الفاء فصحية، والمراد بالموافقة مع جميع الآيات ما ذكره أولها قوله : ((لِيَطْعَمَهَا مِنْهَا)) وأنها احتاجت إلى الخُرسة، وقد أتيت بما هي محتاجة إليه . وثانيها قوله : ((وَلَأنَّ النَّخْلَةَ أَقْلُ شَيْءٍ صَبْرًا عَلَى الْبَرْدِ)) فصبرت عليه، بأن أثمرت . كذلك النفساء تتوقى منه لاستضرارها به، ثم إن الله تعالى حفظها منه كما حفظ النخلة، وثالثها : قوله : ((وَثَمَّارَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ جَمَّارِهَا)) أي : أثمرت من غير اللقاح، وفي غير الأوان، قال الإمام^(٢) : [كأن الله تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب، لأنه أشد الأشياء موافقة للنفساء، ولا تثمر إلا عند اللقاح، وإذا قطعت رأسها لم تثمر، فكأنه قيل : كما أن الأنثى لا تلد إلا بالذكر، كذلك النخلة لا تثمر إلا عند اللقاح، ثم **لأن** أظهر الرطب من غير اللقاح، ليدل على جواز ظهور الولد من غير الذكر.

قوله : ((أَلْجَأَهَا إِلَيْهَا)) فيه إشعار بأن الإسناد في قوله : ﴿ أَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ مجازي المعنى، ألجأها الله تعالى إلى جذع النخلة، وقت مخاضها واختارها لها.

قوله : ((مَتَّ ﴾ بالضم والكسر))^(٣) ابن كثير وأبو عمر وأبو بكر والباقون بالكسر.

قوله : ((النسيء ما من حقه أن يطرح))^(٤) الراغب^(٥) : [النسي أصله ما ينسى كالنقص لما ينقض، فصار في التعارف اسماً لما يقلّ الاعتداد به . وقوله تعالى : ﴿ نَسِياً ﴾ منسياً أي : جاريّاً مجرى النسي القليل الاعتداد به، ولهذا عقبه بقوله : ﴿ مَنْسِياً ﴾ لأن النسي قد يقال لما يقلّ الاعتداد به وإن لم ينس].

(١) قال (ز) : أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خُرسة النفساء ((الموافقة لها))

(٢) الإمام الفخر الرازي ٢١/٢٠٣.

(٣) قرأ ﴿ مَتَّ ﴾ بكسر الميم نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بضم الميم .

الإتحاف ٢٩٨.

(٤) تفسير قوله : ﴿ نَسِياً مَنْسِياً ﴾ .

(٥) الراغب ٤٩١-٤٩٢ مادة (نسي).

قوله : ((وعن يونس))^(١) قال ابن الأنباري^(٢) : هو يونس بن حبيب البصري، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء^(٣) ، وسمع من العرب كما سمع من كان قبله، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء، وله مذاهب وأقيسة تفرد بها.

قوله : ﴿ والشظاظ ﴾ الجوهرى^(٤) : [هو العود الذي يدخل في عروة الجوالق].

قوله : ((تافها)) الجوهرى^(٥) : [التافه الحقيقير اليسير].

قوله : ((وقد نسي وطرح)) حال من فاعل ينسى وهو الضمير الراجع إلى : ﴿ نَسِياً ﴾ وأن ينسى فاعل من شأنه ، لأنه صفة : ﴿ نسيا قد اعتمد عليه، وإنما قال : من شأنه أن ينسى في العادة، لما قال النسي ما من حقه أن يطرح وينسى، وفائدة توكيده بمنسياً الدلالة على المبالغة، فإن كل نسي لا يلزم أن يكون منسياً، وإليه الإشارة بقوله : ((فوجد فيه النسيان الذي هو حقه)).

قوله : ((لا كراهة)) قيل : هو عطف على ((لما لحقها)) وإنما حذف اللام، لأن الكراهة فعل الفاعل لفعل المعلل، ولم يحذف في ((لما لحقها)) لأن ما لحقها وإن كان عبارة عن الحياء، وهو فعله لكن لما أسند اللحق إلى (ما) فكأنه ليس فعله، أو ليؤذن أن الحذف جائز عند وجود شرائط الحذف لا واجب . وقلت : ويمكن أن يقال : إنه عطف على محل قوله : ((على حكم العادة البشرية)) من حيث المعنى،

(١) يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي علامة في الأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم، الأعلام ٢٦١/٨ ووفيات الأعيان ٤١٦/٢.

(٢) ابن الأنباري النحوي، صاحب التصانيف المفيدة، والورع والصلاح والزهد، سكن بغداد، وكان شيخ العراق في الأدب، مات سنة ٥٦٧ . بغية الوفاة ٨٦/٢.

(٣) أبو عمرو بن العلاء ، فهو العلم المشهور في علم القراءات واللغة العربية والأدب، واسمه زبان، وقيل : اسمه كتيبه، أخذ النحو عن نصر بن عاصم، وأخذ عنه يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد . انظر ترجمته في نزهة الألباء لابن الأنباري ٣٠-٣٥ والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ١٠١.

(٤) الجوهرى ١١٧٣/٣ مادة (شظظ) والجوالق : وعاء . الجوهرى مادة الجوالق ١٤٥٤/٤.

(٥) الجوهرى ٢٢٢٩/٦ مادة (تفه)

(٦) قال (ز) : ((لا كراهة لحكم الله)).

لأنه حال من الضمير المنصوب في لحقها. المعنى لما لحقها من فرط الحياء جارية على حكم العادة البشرية لا كارهة لحكم الله، أو يقال : هو عطف على ما يتعلق به الجار والمجرور، أي بناء على حكم العادة البشرية لا كارهة لحكم الله، يدل عليه عطف قوله : ((أو لشدة التكليف)) باللازم . وقوله : ((أو لُحوقها على الناس على ما لحقها)) وخوف فعلها، ولأن لما لحقها خبر ذلك، ولا يسوغ ذلك كراهة لحكم الله بالنصب.

قوله : ((أن تعرف)) في موضع النصب على أنه مفعول مطلق لقوله : ((عارفة)) أي : هي براءة الساحة معرفتك اغتباطك بأمر عظيم . وعن بعضهم أنه في موضع الرفع خبر لمبتدأ محذوف يعني هو أي المقام الدحض أن تعرف أنت إلى آخره . وقيل : ((أن تعرف)) بدل من اسم إن.

قوله : ((وقرأ ابن وثاب^(١) والأعمش وحمزة ﴿وَنَسِياً﴾ بالفتح. وحفص أيضاً. قوله : ((وهي قراءة عاصم))^(٢) أي مَنْ تَحْتَهَا قَرَأَهَا عَاصِمٌ من رواية أبي بكر، وقرأها ابن كثير وابن عامر أيضاً.

قوله : ((الأكمة))^(٣) الأساس^(٤) : [هي التل].

قوله : ((وقرأ زر وعلقمة^(٥) في جامع الأصول، هو أبو مريم زر بن حبيش الكوفي وهو من أكابر القراء والمشهورين من أصحاب عبد الله بن مسعود. زر بكسر

(١) قرأ ﴿نَسِياً﴾ حفص وحمزة بفتح النون، والباقيون بكسرها، لغتان، كالتوتر.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ الآية ٢٤ . قرأ : ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ نافع، وحفص وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح، وخلف بكسر الميم وجرّ تحتها، والفاعل مضمّر . قيل : جبريل . وقيل : عيسى، ووافقهم الحسن والأعمش، والباقيون بفتح الميم، ونصب : ﴿تَحْتِهَا﴾ الإنخاف ٢٩٨ والسبع لابن مجاهد ٤٠٩ .

(٣) على قراءة ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ وأنه جبريل على أكمة تحتها.

(٤) الأساس ٢٠ مادة (أكم).

(٥) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، فقيه الكوفة ومقرئها، الإمام الحافظ لازم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وجود القرآن عليه، وكناه أبا شبل . سير أعلام النبلاء ٥٣/٤ وتذكرة الحفاظ ٤٥/١ .

الزاي وتشديد الراء، أما علقمة^(١) فمن التابعين ثلاثة علقمة بن عبد الله المزني وعلقمة^(٢) بن علقمة مولي عائشة رضي الله عنها وعلقمة بن قيس النخعي روى عن عمر وعبد الله بن مسعود وفي الحاشية ما يدل على أنه هو.

قوله : ((** فتوسطا عرض السري (٣) ... البيت (٤) .

الضمير في توسط للغير، والأثنان عرض السري جانت النهر الصغير، فصداً، فشقا، مسجورة عيناً مملوءة، فحذف الموصوف، والقلام : ضرب من النبت، متجاورا ملتفاً . يقول : فتوسط الغير والأثنان جانت النهر وشقا عيناً مملوءة ماء، فدخلا عرض نهرها الذي كثر على حافتيه من هذا الضرب من النبت.

قوله : ((وقيل : : هو من السرو، والمراد عيسى عليه السلام، الراغب (٥) : [السرو أي : الرفعة، يقال : رجل سرو، وأشار بذلك إلى عيسى عليه السلام وما خصه به من سروة، يقال : سروت الثوب عني، أي : نزعته، وسروت الجمل عن الفرس، قيل : ومنه رجل سري، كأنه سري ثوبه، بخلاف المتدثر والمتزمل].

قوله : ((من حيث إنهما معجزتان)) في تسميتهما معجزتان بحث، لأن المعجزة^(٦) هي إظهار خرق العادات على سبيل التحدي، وهذا لا يستقيم في حقها ولا

(١) علقمة بن عبد الله المزني البصري ثقة من الثالثة . تقريب التهذيب ٢٤٣.

(٢) علقمة بن أبي علقمة بلال المدني مولى عائشة، وهو علقمة بن أم علقمة، واسمها مرجانة، ثقة

علامة، من الخامسة. تقريب التهذيب ٢٤٣.

(٣) تفسير قوله : ﴿ تحتك سرياً ﴾.

(٤) البيت للبيد من معلقته، ونماه :

** فتوسطا عرض السري فصداً ** مسجورة متجاوراً قلامها **

انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف للشيخ محمد عليان ١٣/٣.

(٥) الراغب ٢٣١ مادة (سري).

(٦) المعجزة : أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق

من ادعى أنه رسول من الله . التعريفات للجرجاني ٢٨٢.

في حق عيسى عليه السلام، لأن ما يتقدم على البعثة من خرق العادات يسمى إرهاباً، كإظلال الغمام في طريق الشام، وإرجاس إيوان كسرى لنبينا صلوات الله عليه . والذي يصح أن يقال : إنهما كرامتان لها، ويؤيده ما ذكرنا في قوله : ﴿ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(١) وقد استقصينا القول هناك.

قوله : ((﴿ تساقط ﴾ في تسع قراءات))^(٢) حمزة ﴿ تساقط ﴾ بالتخفيف وفتح التاء، والباقون بالتشديد إلا حفصاً فإنه يخفف بضم التاء وكسر القاف، والبواقي شواذ.

قوله : ((ورطباً تميز أو مفعول على حسب القراءة)) فإذا قرئ بفتح الياء أو التاء يكون تمييزاً ، أي : تتساقط النخلة رطباً، كقولك : تصبب الفرس عرقاً، وإذا قرئ بالضم يكون مفعولاً به، أي : تساقط النخلة رطباً جنيماً، قال أبو البقاء^(٣) : [ورطباً فيه أوجه، أحدها هو حال موطنه، وصاحبها الضمير في الفعل . والثاني : هو أنه مفعول به لـ ﴿ تساقط ﴾ . والثالث : هو مفعول ﴿ هزّي ﴾ . والرابع : هو تمييز وتفصيل هذه الأوجه يتبين بالنظر في القراءات، فيحمل كل منها على ما يليق به].

قوله : ((وعن المبرد جواز انتصابه بهزّي)) قال الزجاج^(٤) : [قال محمد بن يزيد يعني المبرد : هو مفعول به، المعنى : وهزّي إليك بجذع النخلة رطباً تساقط عليك] فالتاء ليست بمزيدة مثلها في قولك : كتبت بالقلم . قال أبو البقاء^(٥) : [المعنى : هزّي الثمرة بالجذع . وقيل : التقدير هزّي إليك رطباً جنيماً كأننا بجذع النخلة]

(١) سورة آل عمران الآية ٣٧.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيماً ﴾.

(٣) قرأ : ﴿ تساقط ﴾ حمزة بفتح التاء من فوق على التأنيث وفتح القاف وتخفيف السين، ووافقه الأعمش، وقرأ حفص بضم التاء وتخفيف السين وكسر القاف، ووافقه الحسن . وقرأ أبو بكر من طريق العلمي والخياط عن شعيب عن يحيى وكذا يعقوب بالياء مفتوحة على التذكير، وتشديد السين وفتح القاف . والباقون بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف . الإتحاف ٢٩٨-٢٩٩.

(٤) أبو البقاء ١١٣/٢.

(٥) الزجاج ٣٢٥/٣.

(٦) أبو البقاء ١١٣/٢.

فقوله : (بالجذع) حال . وقلت : فعلى هذا، يكون قد تنازع في (رطباً) هزّي وتساقط، وقد أعمل فيه الأول، وهو ضعيف، ولأنه يكون ما في حيز الأمر متأخراً عن جوابه، ومن ثم قال المصنف : وليس كذلك.

قوله : ((أو على معنى أفعلى الهزّي)) يعني : نزل المتعدى منزلة اللازم للمبالغة، نحو فلان يعطي ويمنع، ثم عدي كما يعدّي اللازم، نحو قول الشاعر (١) :

**** فإن تعنّز بالمحلّ عن ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقيتها نصلي ****

ذي ضروعها اللبن في الضرع، ويجرح جواب الشرط، ونصلي فاعله، والعراقيب جمع عرقوب، وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان . يقول : إذا اعتذرت الناقة إلى الضيف قلة اللبن بالمحل أنحرها له. وذهب صاحب الكشف إلى أن الباء للتسبب، والمضاف محذوف، أي : هزّي إليك بهزّ جذع النخلة، أي : إذا هززت النخلة اهتزّ، وبهزّك النخلة وتساقط عليك رطباً، و ﴿ رطباً ﴾ منصوب بـ ﴿ تساقط ﴾ فإن يتفاعل قد جاء متعدداً . قال تعالى : ﴿ إن يصلحاً بينهما ﴾ (٢) ويتعارفون بينهم . ومن قال : ضربني وضربت زيدا كان ﴿ رطباً ﴾ منصوب بـ ﴿ هزّي ﴾ (٣) أي : هزّي إليك رطباً جنياً متمسكة بجذع النخلة تساقطه عليك، فأضمر لـ ﴿ تساقط ﴾ مفعولاً، وجعل الباقي موضع الحال، هذا هو الجيد البالغ في الآية . وقيل : رطباً نصب على الحال، أي : وهزّي إليك بجذع النخلة، أي : بثمره جذع النخلة تساقط عليك ثمرة النخلة رطباً .

قوله : ((التّحنّيك)) (٤) وهو إلصاق التمر بحنك الصبيّ.

(١) الشاعر ذو الرمة يمدح نفسه، وتقدم في الحجر الآية ٣٩

(٢) سورة النساء الآية ١٩٨ .

(٣) وفي الدر المصون للسمين ٥٨٥/٧ يجوز أن تكون الباء في ﴿ بجذع ﴾ صلة كهي في قوله :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ البقرة الآية ١٩٥ . أي : هزّي جذع النخلة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً، وأجار حال من ذلك المحذوف تقديره : وهزّي إليك رطباً كأننا بجذع النخلة.

(٤) قال (ز) : التمر للنساء عادة من ذلك الوقت، ((وكلك التحنيك)) .

قوله : ((أي : جمعنا لك في السري والرطب فائدتين)) يعني : رتب بقوله : ﴿ فكلني ﴾ الآية على قوله : ﴿ قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾ وقوله : ﴿ وهزّي إليك بجذع النخلة ﴾ معنى ما يُحتاج إليه، وفي ضمنه التّسليّة بما أصابها من الحزن. الراغب^(١) : [الهزّ التحريك الشديد، يقال : هزرت الرمح فاهتزّ، وهزرت فلانا للعطاء، واهتزّ النبات إذا تحرك لنضارته : ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾^(٢)].

قوله : ((﴿ وقري عيناً ﴾)) أي : وطّبي نفساً، يريد أن ﴿ قري عيناً ﴾ كناية عن طيب النفس، ورفع الحزن . النهاية^(٣) : [في حديث الإستسقاء : لو رآك لقرت عيناه، أي : لسرّ بذلك وفرح، وحقيقته أبرد الله دمة عينيه، لأن دمة الفرح والسرور باردة . وقيل : معنى أقر الله عينك بلغك أمنيّتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره] الراغب^(٤) : [قرّ في مكانه يقرّ قراراً ثبت ثبوتاً جامداً من القرّ، وهو البرد، لأنه يقتضي السكون، ويوم القرّ يوم النحر لاستقرار الناس فيه بمنى، والإقرار إثبات الشيء، قال تعالى : ﴿ ونقرّ في الأرحام ما نشاء ﴾^(٥)، وقد يكون ذلك إثباتاً إما بالقلب وإما باللسان . وأما الجحود فإنما يقال فيما ينكر باللسان دون القلب . وقيل : لمن يُسرّ به قرّة عين . وقيل : أصله من القرّ أي : البرد، معناه بردت فصحت . وقيل : بل لأن للسرور دمة قارّة وللحزن دمة حارّة، ولذلك يقال فيمن يدعى عليه : أسخن الله عينه . وقيل : هو من القرار، والمعنى حصول ما يسكن به عينه، فلا يطمح إلى غيره].

قوله : ((﴿ ترئن ﴾ بالهمز)) قال ابن جني^(٦) : [رويت عن أبي عمرو^(٧) وهي ضعيفة، لأن الياء مفتوح ما قبلها والكسرة فيها لالتقاء الساكنين، فليست محتسبة

(١) الراغب ٥٤٢-٥٤٣ مادة (هزّ).

(٢) سورة الحج الآية ٥.

(٣) النهاية ٣٨/٤ مادة (قرر) انظر فتح الباري ٤٩٥/٢ فقد ذكر هذا الحديث.

(٤) الراغب ٣٩٧ مادة (قر).

(٥) سورة الحج الآية ٥.

(٦) ابن جني في المختص ٤٢/٢.

(٧) ذكره ابن خالويه في القراءات الشاذة عن أبي عمرو وابن الرومي ٨٤ في مختصر الشواذ.

أصلاً، وعليه قراءة الجماعة : ﴿ تَرَيْنَ ﴾ بالياء نعم . وقد حُكي الهمز في الواو التي هو نظيرة الياء في قوله تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم ﴾^(١) فشبه الياء لكونها ضميراً، وعلم تأنيث بالواو من حيث كانت ضميراً، وعلم تذكر، وهذا ليس بقويّ] .

قوله : ((لبأت بالحج))^(٢) أصله : لبيت تلبية ، ثم أبدل التضعيف بالياء ثم أبدل الياء بالهمزة، وحلأت أي خلطت بالشيء الحلو، وأصله حلوته، قلبت الواو ياء، ثم أبدل الياء بالهمز.

قوله : ((وقيل : صياما))^(٣) هو عطف على قوله : ﴿ صوما ﴾ صمتا يعني صوماً، إما مجاز عن صمتا بقريئة ترتب : ﴿ فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ أو هو على حقيقته، وأما معنى ترتب ﴿ فلن أكلم ﴾ عليه، فإنهم كما كانوا يمسون عن الطعام والشراب كانوا يمسون عن الكلام أيضاً.

قوله : ((وفيه أن السكوت عن السفيه واجب)) يريد أن هذا المعنى مدمج في الآية.

وقوله : ((من أذلّ الناس سفيه لم يجد مسافها)) ينظر إلى قول أبي الطيب :

**** وأتعب من ناداك من لا تحببه ** وأغيظ من عاداك من لا تشاكره ****

قوله : ((أي أكلم الملائكة دون الإنس))^(٤) يعني عدل من قوله : فلن أكلم اليوم أحداً أي إنسياً، ليفيد بدلالة المفهوم هذه الدقيقة، ويدمج فيه معنى كرامة أخرى، وهي رفعة منزلتها.

قوله : ((الفرّي البديع))^(٥) الأساس^(٦) : [فلان يفري القرى إذا أتى بالعجب .

ويقال : قد أفريت وما فريت، أي : أفسدت وما أصلحت . ومن المجاز : تفر الليل

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٦ .

(٢) قال (ز) : وهذا من لغة من يقول : ((لبأت بالحج وحلأت السوق)) وذلك لتآخ بين الهمزة وحرف اللين في الإبدال .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ صوما ﴾ قال (ز) : صمتا ((وقيل صياماً)) .

(٤) تفسير قوله ﴿ إنسياً ﴾ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ﴾ الآية ٢٧ . تفسير

﴿ فرياً ﴾ قال (ز) : ((الفرّي البديع)) .

(٦) الأساس ٤٧٢ مادة (فرو) .

عن بياض النهار وتفترت الأرض بالعيون] الراغب^(١) : [الفري قطع الجلد للخرز والإصلاح، والافراء للإفساد والإفراء فيهما، وفي الإفساد أكثر، ولذلك استعمل في القرآن للكذب والشرك والظلم نحو : ﴿من يشرك بالله فقد افترى﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿لقد جئت شيئاً فرياً﴾ قيل : معناه عظيماً . وقيل : عجباً . وقيل : مصنوعاً].

قوله : ((هارون كان أخاها من أبيها))^(٣) ، يؤيده ما روينا عن مسلم^(٤) والترمذي عن المغيرة بن شعبه قال : لما قدمت نجران^(٥) سألتني فقالوا : إنكم تقرؤون : ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال : (إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم) والنظم يساعد عليه، كما سبق في قوله تعالى : ﴿ولم أك بغياً﴾.

قوله : ((وكانت من أعقابه)) أي : وكانت ممن يعقب هارون في مرتبة الأخوة، وذلك بأن يكون من نسل أخت هارون وأخيه . وقيل : في طبقته، خبر كان

(١) الراغب ٣٧٩ مادة (فري).

(٢) سورة النساء الآية ٤٨ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً﴾ الآية

٣٨ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦٨٥/٣ كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما

يستحب من الأسماء برقم ٢١٣٥ واللفظ له . والترمذي في جامعه ٢٩٥/٥ كتاب التفسير، باب ومن سورة مريم برقم ٣١٥٥ .

(٥) نجران مدينة عريقة، وتتكون من عدة مدن صغيرة في واد واحد كبير كثير المياه والزرع يسيل

من السراة شرقاً حتى يصب في الربع الخالي جنوب شرقي مكة المكرمة . انظر معجم المعالم الجغرافية

٣١٤ ط .

أي كانت في طبقته الأخوة^(١) ، من جهة أعقابه، أي : أخلاقه في النسك والعبادة .
(من) ابتدائية.

قوله : ((أو شتموها به)) عطف على قوله : ((شبهوها به)) وشبهوها بشرّ
لقوله : ((رجل صالح))، ومعنى التشبيه قولهم : كنّا نشتهك بهارون، أو كنت عندنا
مثله في الصلاح، أو شتموها بشرّ لقوله : أو طاح، والشتّم هو إما أن يقولوا أنت
مثله في الفساد واتهموها به . والله أعلم.

قوله : ((تعلّت من نفاسها))^(٢) أي : ظهرت من بقايا ما كان يعترّيها من
نفاسها، الأساس^(٣) : [بقية كلّ شيء علّته، وللفرس بُداهةٌ وغلالةٌ . وقال : تعاللت
ذميل العيس، وهو يتعلّل ناقته، أي : يحلب اللبن الذي يجتمع في ضرعها بعد الحلب
الأول . وما هي إلا غلالةٌ أتعلّل بها، وهي اسم ما يتعلّل به].

قوله : ((ثم جاءت تحمله)) في إيجاز البيان تحمله، حال منها أو منه أو منهما
لحصول الضمائر في الجملة التي هي حال . والبغي الفاجرة مصروفة عن الباغية، أي :
بمعنى المفعول كقولك : نفس قتيل، وكفّ خصيب . وقال صاحب الكشف : ولم يقل
بغية فيحتمل أن يكون بغياً مصدراً كما قالوا في قوله : ﴿ قال من يحيي العظام وهي
رميم ﴾^(٤) ولم يقل : رميمة، قالوا لأنه أراد المصدر، ويجوز أن يكون ذلك للفواصل.

قوله : ((فإني عبد الله ومسيحه)) النهاية^(٥) : [قيل المسيح : الصديق وهو
بالعبرانية مشيحاً فعُرب . وقيل : إنما سمي، لأنه كان لا يمسخ بيده ذا عاهة إلا برئ].

(١) في ب (الأخرى).

(٢) قال (ز) : قيل : احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار، فلبثوا فيه أربعين يوماً ((حتى تعلت

من نفاسها)) ثم جاءت تحمله.

(٣) الأساس ٤٣٤ مادة (علل).

(٤) سورة يس الآية ٧٩.

(٥) النهاية ٣٢٦/٤ ، ٣٢٧.

قوله : ((والدليل عليه معنى الكلام)) يعني لما قيد مضمون الجملة بكان وهي وإن كانت قيداً، لكن بالنظر إلى دلالتها على الأزمنة الماضية مطلقة مفتقرة في الاختصاص بزمان دون زمان إلى قرينة مقيدة، وههنا القرينة المخصصة بالزمان القريب سوق^(١) الكلام للتعجب، فعلى هذا تكلم للحال الحاضرة، و(من) موصولة، والمراد عيسى عليه السلام . ويجوز جعلها موصوفة، فالمراد كل من هو موصوف بكونه في المهد صبياً فيكون قوله : ((تَكَلَّمَ ﴾ بحكاية الحال الماضية))^(٢) وكان على إيهامها قال أبو البقاء^(٣) : [قيل ﴾ كان ﴾ مثل ﴾ كان الله عليمًا حكيمًا ﴾ وقيل : زائدة، أي : من هو في المهد صبياً، وصبياً حال من الضمير في الجار والمجرور، ولو كانت زائدة يستتر فيها الضمير، فلا تحتاج إلى تقدير (هو) بل الظرف صلة (من) أي : كيف نكلّم من في المهد صبياً. وقال الزجاج^(٤) : [الأجود أن يكون (من) في معنى الشرط، أي : من يكن في المهد صبياً، كيف نكلّمه ؟] وقال ابن الأنباري^(٥) : [هذا كما يقال : كيف أعظ من كان لا يقبل موعظتي ؟. أي من يكن لا يقبل . والماضي بمعنى المستقبل في باب الجزاء.

قوله : ((أنطقه الله أولاً بأنه عبد الله رداً لقول النصاري))^(٦) أي قدم ما هو الأهم وأعنى بشأنه، وهو كتقدمة الإعجاز.

(١) يسوق في ب.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبياً ﴾ الآية ٢٩ مريم.

(٣) أبو البقاء ١١٣/٢.

(٤) الزجاج ٣٢٨/٣.

(٥) ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد أبو سعيد الأنباري النحوي، انظر كتابه البيان في غريب إعراب القرآن. وهذا الكلام لا يوجد فيه في هذا الحمل . والذي قاله : كان فيها ثلاثة أوجه : الأول : أن تكون بمعنى (حَدَثَ وَوَقَعَ) فيكون ﴾ صبياً ﴾ منصوباً على الحال من الضمير في ﴾ كان ﴾ . والثاني : أن تكون بمعنى ﴾ صار ﴾ فيكون ﴾ صبياً ﴾ منصوباً لأنه خبر (صار) . والثالث : أن تكون ﴾ كان ﴾ زائدة، و﴿ صبياً ﴾ منصوب على الحال، والعامل فيها على هذا الاستقرار. ولا يجوز أن تكون ﴾ كان ﴾ ها هنا ناقصة ١٢٤/٢-١٢٥.

وابن الأنباري ولد سنة ٥١٣ ومات سنة ٥٧٧ ترجم له في بغية الوعاة ٣٠١ ومرآة الجنان ٣٦٨/٨.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ الآية ٣٠ مريم.

قوله : ((الكتاب ﴿ بَرَأ ﴾ هو الإنجيل)) الراغب^(١) : [كل موضع ذكر في وصف الكتاب آتينا فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه أوتوا، لأن أوتوا قد يقال : إذا أوتي من لم يكن منه قبول وآتيناهم، يقال : فيمن له قبول، والإيتاء الإعطاء، وخصّ دفع الصدقة في التنزيل بالإيتاء].

قوله : ((لا محالة)) الجوهري^(٢) : [لا محالة أي : لا بدّ، يقال : الموت آت لا محالة] المغرب^(٣) : [أصل التركيب دالّ على الزوال والنقل، ومنه التحويل، وهو نقل الشيء من محل إلى آخر] فعلى هذا معنى لا محالة : لا تحوّل عنه، كما أن معنى لا بدّ : لا فراق، والتبديد التفريق، والاسم في البابين مبنيّ، والخبر محذوف.

قوله : ((وقرئ : ﴿ بَرَأ ﴾))^(٤) بكسر الباء^(٥) ، والبر بفتح الباء صفة مشبهة، وبالكسر اسم. قال ابن جني^(٦) : [قرأها أبو نهيك^(٧) وأبو مجلز^(٨) ، وهو معطوف على موضع الجارّ والمجرور من قوله : ﴿ بالصلاة ﴾ كأنه قال : وألزمي برأ بوالدتي، لأنه إذا أوصاه به فقد ألزمه إياه، وعليه بيت الكتاب^(٩) :

**** فإن لم تجد من دون عدنان والدا ** ودون معدّ فلتزعك العواذل ****

(١) الراغب ٩ مادة (أتى).

(٢) الجوهري ١٦٨١/٤. مادة (حول).

(٣) المغرب ٢٣٥/١. مادة (حول).

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وبرأ بوالديه ولم يكن جباراً شقياً ﴾ الآية ٣٢.

(٥) وقرأ الحسن بكسر الباء في ﴿ برأ ﴾ أي : ذا برّ، أو على المبالغة . الإتحاف ٢٩٨.

(٦) ابن جني في المحتسب ٤٢/٢.

(٧) أبو نهيك علباء بن أحرّ اليشكري البصري . انظر تهذيب التهذيب ٢٧٤/٧ قال ابن حجر : وهو أحد القراء له اختيار، ذكره الداني انتهى منه.

(٨) أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسي البصري . انظر البحر المحيط ٤٥٣/٤.

(٩) الكتاب لسيويه ٢٤/١ والبيت للبيد في ديوانه ٢٥٥.

عطف دون الثانية على موضع (من) وإن شئت حملته على حذف المضاف، أي :
وجعلني ذا برٍّ، وإن شئت جعلته إياه على المبالغة كقولها (١) :
** فإنما هي إدبار وإقبال **].

فعلى هذا هو معطوف على : ﴿مباركاً﴾.

قوله : ((أو نصبه بفعل)) عطف على قوله : ((جعل ذاته برّاً)) يعني جعل ابن
نهيك ﴿برّاً﴾ منصوباً بقوله : ﴿جعلني﴾ وعطفه على : ﴿مباركاً﴾ أو نصبه
بفعل مضمر، كأنه قيل : وكلفني برّاً بوالدتي.

قوله : ((والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة)) (٢) يؤذن أن
التعريف السابق غير صحيح، قيل : لأن التعريف في العهد الخارجي إشارة إلى ذلك
الشخص المعبر المتوجه إلى يحيى عليه السلام، ويستحيل أن يتوجه ذلك السلام بعينه
إلى عيسى عليه السلام . وقلت : يحمل على التشبيه ليصح كقوله تعالى : ﴿هذا
الذي رزقنا﴾ (٣) وليس ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات المرزوق في الدنيا،
ومعناه هذا أمثل الذي رزقنا من قبل وشبهه . كأنه عليه السلام (٤) سأل ربه أن يفعل
به مثل ما فعل بيحيى عليه السلام من السلامة في سائر أحواله، قاله الأزهري .

(١) يعني قول الخنساء . وصدر هذا البيت :

** ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت ** فإنما هي إدبار وإقبال **

والبيت من قصيدته ترثي بها الخنساء أختها صخرأ . انظر ديوانها ٤٨ . والكتاب لسبويه ١٦٩/١
وخزانة الأدب ٢٠٧/١ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿والسلام عليّ﴾ قال (ز) : قيل : أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله ...

والمعنى : ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى ((والصحيح ... الخ))

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥ .

(٤) قال صاحب الروض الريان شرف الدين : وقيل : إن هذا التعريف (في قوله : والسلام عليّ)

تعريض بلعنة من اتهم مريم عليها السلام بالزنى، وتحقيقه أن اللام للاستغراق، فإذا قال : ﴿والسلام عليّ﴾
فكأنه قال : وكل السلام عليّ وعلى أتباعي، فلم يبق للأعداء إلا اللعن . ونظيره قول موسى عليه السلام :
﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ طه الآية ٤٧ . لأن المقام مقام لجاج وعناد، فيليق به مثل هذا التعريض
٢٣٧/٢ .

والسلام مصدر سلمت سلاماً وسلامة، وهو دعاء الإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه ويتخلص من المكروه، كذا عن المبرد . وهذا معنى صحيح لو أريد به مجرد الدعاء، لكن المانع شيء آخر، وهو اقتضاء المقام التعريضي الجنس، لأن الكلام مع القوم ولم يجز بين عيسى وبين القوم حديث سلام الله على يحيى عليه السلام ليشير بذلك إليه، بل إن أمه الصديقة لما أشارت إليه، وقالوا : ﴿ كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال إني عبد الله ... ﴾ إلى آخر الآيات، براءة لساحتها، وإظهاراً لكرامتها، فافتتح بالتعريض، وهو قوله : ﴿ إني عبد الله ﴾ ردّاً لقول النصارى، واختتم بمثله من التعريض، كأنه قال والسلام على دائماً والعذاب على من كذب وتولى، ولذلك قال : وكان المقام مقام منكرة وعناد، فهو مئةً لنحو هذا من التعريض.

قوله : ((فهو مئة)) النهاية^(١) : [أي موضع تستعمل فيه أي : هي مفعلة من معنى (إن) التي للتحقيق غير مشتقة من لفظها، وإنما ضمنت حروفها على أن معناها فيها] كالحوقلة والحيلة.

قوله : ((وعن ابن مسعود قال : الحق^(٢) ، وقال الله، ولهذا عقبه بقوله : ﴿ وقال الله ﴾ .

قوله : ((كما سمي العشب بالسما، قال^(٣) :

**** إذا نزل السماء بأرض قوم ** يممناه وإن كانوا غضاباً ****

قوله : ((والشحم بالندی))^(٤) قال ابن الأحرر^(٥) :

(١) النهاية ٢٩٠/٤ مادة (مأن).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ الآية ٣٤ مريم. تفسير

قوله : ﴿ قول الحق ﴾ قال (ز) : قرأ عاصم وابن عامر : ﴿ قول الحق ﴾ بالنصب ((وعن ابن مسعود... الخ))

(٣) قائله : معاوية بن مالك كما في اللسان ٣٩٩/١٤ مادة (سما).

(٤) قال (ز) : وإنا قيل لعيسى : ﴿ كلمة الحق ﴾ وقول الحق، لأنه لم يولد إلا بكلمات الله، وهى قوله :

﴿ كن ﴾ من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمي الغيث بالسما ((والشحم بالندا))

(٥) ابن الأحرر عمرو بن أحر العرمد بن تميم بن ربيعة، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم، توفي

على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه . معجم الشعراء للمرزباني ٢١٤ وطبقات الشعراء للجمحي ١٧٤

والبيت في لسان العرب ٣١٤/١٥ .

**** كثر العذاب الفرد يضربه الندى **** تعلّى الندى في متنه وتحدرا **

العذاب ما استرق من الرمل، والندى الأول المطر والثاني الشحم.

قوله : ((يتلاحون))^(١) الجوهرى^(٢) : [لاحيته ملاحاةً ولحاءً إذا نازعته وتالحوا تنازعوا، وفي رواية يتلاحون من اللجاج].

قوله : ((كذب النصارى وبكتهم))^(٣) اعلم أنه تعالى لما أشار بقوله : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ إلى الموصوف السابق وجعله علماً في العبودية بتلك الإشارة وأكد الكلام بقوله : ﴿ قول الحق ﴾ أي : ما ذكر من صفته قول الحق أو قول قول الحق ، وقلع الريبة من شتمها أتى بما يلزمهم الحجر وشفع النص الساطع بالبرهان القاطع ، فقال : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ﴾ ثم علّله بقوله : ﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ فالآيتان معترضان بين كلامي المسيح عليه السلام ﴿ إني عبد الله ﴾ ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ تقريراً لمعنى العبودية، ينصر هذا النظم قول الواحدى^(٤) : من كَسَرَ ﴿ وإن الله ربي وربكم ﴾ جعله عطقاً على قوله : ﴿ إني عبد الله ﴾ وما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال^(٥) : إن عيسى عليه السلام أقرّ بالعبودية على نفسه وبربوبيّة الله تعالى أول ما تكلم.

قوله : ((من إذا أراد شيئاً)) موصولة منصوبة بأن والجملة شرطية من قوله : إذا أراد مع جوابه، وهو : أو جده صلتها وكان منزهاً خبر (إن).

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ يَمْتَرُونَ ﴾ قال (ز) : يشكون، أو يتمارون ((يتلاحون)).

(٢) الجوهرى ٢٤٨١/٦ مادة (حى).

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول ﴾ كن فيكون ﴿

قال (ز) : ((كذب النصارى وبكتهم)) بالدلالة على انتفاء الولد عنه.

(٤) الواحدى في كتابه الوسيط ١٨٤/٣.

(٥) انظر الألوسى ٩٢/١٦ قال القرطبي : ١٠٢/١١ . عند قوله تعالى حاكباً عن عيسى عليه

السلام : ﴿ قال إني عبد الله ﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته .

قوله : ((قرأ المدنيون^(١) وأبو عمرو وقرأ ابن كثير أيضاً (بفتح أن).

قوله : ((كقوله : ﴿ وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٢) قال المصنف : لأن المساجد لله اللام متعلقة بـ ﴿ لَا تَدْعُوا ﴾ أي : فلا تدعوا مع الله أحداً في المساجد لأنها لله تعالى، قال أبو البقاء^(٣) : [ولو وحدانيته أطيعوه] فعلى هذا ما بعد فاء السببية يجوز أن يعمل فيما قبلها، بخلاف الجزائية.

قوله : ((والإستار))^(٤) في الصحاح^(٥) الأساس^(٦) : [الإستار بكسر الهمزة في العدد أربعة. قال جرير^(٧) :

**** إن الفرزدق والبيث وأمه ** وأبو الفرزدق فُجَّحُ الإستار ****

وقال الكميت^(٨) :

**** أبلغ يزيد وإسماعيل مألكة ** ومنذراً وأباه شرَّ إستاره ****

والمراد منه عاصم والأعمش وحمزة والكسائي . وقيل بدل الأعمش ابن عامر.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الآية ٣٦ مريم . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس بفتح الهمزة، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن . والباقون بكسرها على الاستئناف . الإتحاف ٢٩٩.

(٢) سورة الجن الآية ١٨.

(٣) أبو البقاء ١١٤/٢.

(٤) قال (ز) كقوله : ﴿ وَأَنْ الْمَسَاجِدَ ﴾ ((والإستار)) .

(٥) الجوهري في صحاحه ٦٧٧/٢ مادة (سج).

(٦) الأساس ٢٨٥ مادة (سج).

(٧) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره يناضل الشعراء، وكان هجاء مرأ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، الأعلام ١١٩/٢ ووفيات الأعيان ١٠٢/١.

(٨) الكميت لعله الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، أبو المستهل، شاعر الهاشميين من أهل الكوفة .

انظر الأعلام ٢٣٣/٥ ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٤٨.

قوله : ((عن الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء))^(١) مؤذن بأن التعريف في الأحزاب للجنس، والمراد قوم معهودون لكمالهم في الاختلاف، وقريب منه قوله تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾^(٢) وإنما كذبوه وحده ولذلك جمع الأنبياء.

قوله : ((أي من شهودهم هول الحساب))^(٣) أو اسم مكان منه أي : من مكان الشهود أو زمانه، والمعنى من وقت الشهود . وإما بمعنى الشهادة فهو أيضاً إمام مصدر والمعنى من شهادة ذلك اليوم، أو اسم مكان، أي : من مكان الشهادة أو زمان، والمعنى من وقت الشهادة.

قوله : ((وأن تشهد عليهم الملائكة)) عطف تفسيري على قوله : شهادة ذلك اليوم، يعني أسند الشهادة إلى اليوم على المجاز نحو : ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾^(٤) والأصل تشهد عليهم الملائكة والأنبياء في ذلك اليوم.

قوله : ((لا يوصف الله بالتعجب))^(٥) يريد أن قوله : ﴿ اسمع بهم وأبصر ﴾ فعلاً تعجب، والتعجب راجع إلى العباد لا إلى الله تعالى^(٦) ، لأن المعجب هو ما يخفى سببه، وهو على الله محال . قال المالكى : منع بعض النحويين تنازع فعلى تعجب، والصحيح عندي جوازه، لكن بشرط إعمال الثاني كقولك : ما أحسن وأعقل زيداً بنصب زيد بأعقل، لا بأحسن، لأنك لو نصبته به لفضلت ما لا يجوز فضله، ولا يمتنع على مذهب البصريين أن يقال : أحسن وأعقل بزيد ثم حذف الباء للدلالة الثانية عليها، ثم اتصل الضمير واستتر، كما استتر في الثاني من قوله تعالى : ﴿ اسمع وأبصر ﴾

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ قال

(ز) في تفسير ﴿ الأحزاب ﴾ : ((وعن الحسن ... الخ)) .

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٧ .

(٣) تفسير : ﴿ من مشهد يوم عظيم ﴾ .

(٤) سورة المزمل الآية ١٧ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ .

(٦) والمعنى أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعاً وإبصاراً عجيبين، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة السجدة الآية ١٢ : ﴿ ولو ترى إذ أجروا من ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً ... الآية ﴾ .

فإن الثاني يستدل به على الأول إلا أن الاستدلال بالأول على الثاني أكثر من العكس.

قوله : ((وقيل معناه : التهديد بما سيسمعون)) عطف على قوله : ((وإنما المراد)) وعلى الأول المراد التعجب، وهو راجع إلى العباد لقوله : ((جدير لأن يتعجب منهما)) ومتعلق الاستماع والإبصار منسيّ ليشمل كلّ ما يصحّ أن يسمع وأن يبصر، فهو كقول الشاعر (١) :

**** شجو حُسَادِهِ وَغِيظَ عَدَاهُ **** أَنْ يَرَى مُبْصِرٍ وَيَسْمَعُ دَاعِي **

فقطع الفعل عن متعلقه الخاص ليصير مطلقاً، ثم كنى به عن ذلك المتعلق بقرينة مقام التهديد . وعلى الثاني : هو كناية عن مجرد التهديد والمتعلق المنوي هو ما يسوؤهم ويصدع قلوبهم.

قوله : ((حين يذبح الكبش)) (٢) رويناه عن البخاري (٣) ومسلم والترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوتى بالموت كهينة كبش أملح، فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون، فيقول : هل تعرفون هذا . فيقولون : نعم . هذا الموت، وكلهم قد رأوه ، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت . ثم قرأ : ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ ... الْآيَةَ ﴾ .

(١) الشاعر : هو البحرزي أبو عبادة الوليد بن عبيد . انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب

القزويني ١٩٦ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال

(ز) في قوله تعالى : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ : فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار . حين يذبح إلخ .

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٢٨/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ رقم

٤٧٣٠ . ومسلم ٢١٨٨/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون برقم ٢٨٤٩ .

والترمذي ٢٩٥/٥ كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة مريم برقم ٣١٥٦ . والنسائي في التفسير ٣٠/٢

قوله : ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ .

قوله : ((أي وأنذرهم على هذه الحال)) هذا التفسير غير ملائم لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ۖ ﴾^(١) والوجه أن يتعلق بقوله : ﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ ﴾ لأن قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ نفى الإيمان منهم على سبيل الدوام مع الاستمرار في الأزمنة الماضية والآتية على التأكيد والمبالغة .

قوله : ((وأنه يُفني أجسادهم)) أي : يحتمل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ ۖ ﴾ وأن يراد به الوراثة الخاصة، وأن يراد العامة، فالتعريف في الأرض على الأول للعهد، ولذلك قال : تحرب ديارهم . وعلى الثاني للجنس، وهو المراد بقوله : ويفنى الأرض ويذهب بها . والثاني هو الراجح لوجهين . أحدهما : أن الكلام من قوله : ﴿ مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ ﴾ في شأن القيامة . وثانيهما : أن فيه معنى ﴿ لِمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۖ ﴾^(٢) .

قوله : ((وكثرة ما صدق به))^(٣) الراغب^(٤) : [الصديق من كثر الصدق منه . وقيل : بل من لم يكذب قط . وقيل : بل من لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق . وقيل : من صدق بقوله واعتقاده وحقَّق صدقه بفعله . قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّيًّا ۖ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ ۖ ﴾^(٥) والصديقون هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة على ما بينت في الذريعة^(٦) .

(١) سورة النازعات الآية ٤٥ .

(٢) سورة غافر الآية ١٦ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّيًّا ۖ ﴾ الآية ٤١ مريم . قال (ز) في تفسير : ﴿ صَدِيقًا ۖ ﴾ : المراد فرط صدقه ((وكثرة ما صدَّق به)) من غيوب الله .

(٤) الراغب ٢٧٧ مادة (صدق) .

(٥) سورة النساء الآية ٦٩ .

(٦) الذريعة في أحكام الشريعة للراغب الأصبهاني . انظر المقدمة المفردات للراغب وفي الروض الريان ٢٣٧/١ قال : رتبة النبي مقدّمة على رتبة الصديق، فما له قدم ؟. الجواب : النبي يكون صديقاً أولاً ثم تنتهي منزلته إلى النبوة، فهي مقدّمة على رتبة النبوة في الزمان، لأن كل نبي صديق، وليس كل صديق نبياً .

قوله : ((أو كان بليغاً في الصدق)) الظاهر أنه عطف على قوله : والمراد فرط صوقه وكثرة ما صدق به، ويجوز أن يحمل على المبالغة، يدلّ عليه قوله في فاتحة البقرة: ﴿بما كانوا يكذبون﴾^(١) قرئ يكذبون، من كذبه الذي هو نقيض صدقه، ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب. ثم قال : أو بمعنى الكثرة، ولما عدّ أهلها أشياء في مثال الكثرة من قوله : ((غيوب الله وآياته وكتبه ورسله)) أراد أن يرجح بعضاً منها على بعض بمقتضى المقام . وقال : كأن الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل، واستدل عليه بانضمام : ﴿صديقاً﴾ مع ﴿نبياً﴾ ليوافق قوله : ﴿بل جاء بالحق وصدّق المرسلين﴾^(٢) فقولهم : ﴿بل جاء بالحق﴾ إشارة إلى كونه نبياً، وقوله : ﴿وصدّق المرسلين﴾ إشارة إلى كونه صديقاً، أما قوله : أي كان مصدقاً لجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبياً، فهو معنى مقاربة الوصفين، أعني صديقاً ونبياً، وقوله : ((لأن ملاك أمر النبوة الصدق)) ومصدّق الله مع خبره معطوف على الجملة التي قبله، واقتزان مع النبي على الوجه الأول للتكميل، وعلى الثاني للتميم.

قوله : ((وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله)) قال صاحب الفرائد : [كون الجملة اعتراضاً بين البدل والمبدل منه بدون الواو بعيد عن الطبع وعن الاستعمال والذي ذكر في النظر ليس يستعمل، وهو مع ذلك بالواو، ويمكن أن يقال : إنه كان صديقاً في مقام التعليل، كأنه قال : واذكره لقومك، لأنه كان صديقاً نبياً. ثم ابتداء وقال : ﴿إذ قال﴾ أي : اذكر لهم ما قال لأبيه، كأنه بيان لبعض ما يكون به صديقاً نبياً . والعامل في : إذ ﴿اذكر﴾ والوقت في هذا قائم مقام المفعول به]. قلت : أما قوله : كون الجملة اعتراضاً بدون الواو بعيد، فكلام من لم يحقق معنى الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة لا محلّ لها من الإعراب، ومرجعه إلى التأكيد، وهو يأتي تارة بالواو كقوله^(٣) :

**** إن الثمانين وبلغتها **** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان **

(١) سورة البقرة الآية ١٠

(٢) سورة الصافات الآية ٣٧.

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ١٥.

وأخرى بلا واو نحو قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سَبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^(١) ومن القبيلين قوله تعالى : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾^(٢) هذا إذا كان : ﴿ إِذْ قَالَ ﴾ بدلاً من ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وإذا تعلق بكان أو بـ ﴿ صَدِيقًا ﴾ كان تعليلًا .

قوله : ((وإلا فالله هو ذاكره ومورده في تنزيله)) إشارة إلى أن أصل الكلام : إنا قد أوردنا في التنزيل قصة إبراهيم، وذكرناها فيه فاتلها أنت على الناس وبلغها إياهم كقوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٣) ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة الله في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده، جعله ذاكرًا وموردًا في القرآن قصص الأنبياء عليهم السلام.

قوله : ((وقل : ﴿ يَا أَبَتَا ﴾ لكون الألف بدلاً من الياء))^(٤) يريد : يا أبتى، غير جائز لاجتماع العوض والمعوّض فيه صريحًا، وهما الياء والتاء، بخلاف : يا أبتا، لأن الألف بدل من الياء، كما أن التاء بدل منها، فلا يكون في الصراحة مثل الياء، ولكن قل استعماله للعود إليه، ولا يبعد اجتماع عوضين عن معوض واحد، فإن صاحب الجبيرة يجب عليه التيمم والمسح، وهما عوضان عن الغسل.

قوله : ((بأينق))^(٥) قد جمعت الناقة في القلة على أنوق، ثم استثقلوا الضمة على الواو وقدموها، وقالوا : (أونق)، ثم عوضوا من الواو ياء، فقالوا أينق، ثم جموعها على أيانق.

قوله : ((إن ينصح أباه ويعظه)) فيما كان تنازع ينصح ويعظه في الظرف، ومن الخطأ بيان (ما) ويجب أن يقدر في (وأنسلخ) من قضية التمييز فيه، لأن الجملة معطوفة على صلة الموصول ولا بد من الرجوع.

(١) سورة النمل الآية ٦٢.

(٢) سورة الواقعة الآية ٧٥-٧٦.

(٣) سورة الشعراء الآية ٦٩.

(٤) تفسير : ﴿ يَا أَبَت ﴾.

(٥) قال (ز) : وشبه ذلك سيويه ((بأينق)).

قوله : ((متورطاً فيه)) الجوهرى^(١) : [أورطه وورطه توريطاً إذا أوقعه في الورطة، وهي الهلاك فتورط هو فيها].

قوله : ((أمر العقل)) معناه العقل الأمر والفكر الصائب، وقوله : ((ومن الغباوة)) عطف على قوله : ((مع استعمال الجمالة واللفظ)) هذا الأسلوب يسمى بالإستدراج^(٢) والكلام المصنّف.

قوله : ((أرشق مساق))^(٣) الأساس^(٤) : [غلام رشيق إذا كان في اعتدال ودقة، ومن المجاز رجل رشيق ظريف وخطّ رشيق].

قوله : ((منتصحاً في ذلك)) إشارة إلى قوله : [رتب الكلام معه في أحسن اتّساق] اعلم أن (حين) في قوله : ((انظر حين أراد أن ينصح)) لا يجوز أن يكون ظرفاً لقوله : ((انظر)) إذ ليس المراد الأمر بالنظر في ذلك الزمان، ولا يجوز أن يكون ظرفاً لقوله : ((رتب)) إذ لا يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله، بل هو مفعول به لقوله : ((انظر)) أي : انظر إلى زمان إرادته نصيحة أبيه، والمقصود من النظر في ذلك الزمان النظر إلى ما هو فيه، لكن ذكر الزمان للإشعار بأن ذلك الزمان لغرابة ما وقع فيه، جدير بأن ينظر فيه، وهذا المعنى مأخوذ من كلام المصنّف في قوله : ﴿إذ قلنا يا آدم﴾ وإذ قال إبراهيم ﴿وفي الكلام حذف، وهو فعل العلم المعلق عن العمل، أي : انظر لتعلم كيف رتب .

(١) الجوهرى ١١٦٦/٣ مادة (ورط).

(٢) الاستدراج : هو الإنتقال من الأدنى إلى الأعلى في الأسلوب الكلامي وغيره .

قال القرطبي ٢٥٢/١٨ : والإستدراج : ترك المعالجة، وأصله النقل من حال إلى حال كاللدرج، ومنه قيل : درجة، وهي منزلة بعد منزلة، واستدرج فلان فلاناً استخرج ما عنده قليلاً قليلاً.

(٣) قال (ز) : كيف رتب الكلام معه في أحسن اتّساق وساقه ((أرشق مساق)).

(٤) الأساس ٢٣٣ مادة (رشق).

قوله : ((كفرأً وجحوداً)) الراغب (١) : [الجحود : نفي ما في القلب ثباته وإثبات ما في القلب نفيه . قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ (٢)] .

قوله : ((فلا يسمع (يا) عابده ذكرك له)) هذا الاعتراض فيه التنبيه على غباوة السامع والتمادي في الغفلة والانغماس في ورطة الجهل، قال الفرزدق :
** فانعق نصابك يا جرير فإنما ** مَنَّكَ نفسك في الخلاء ضللاً **

قوله : ((استعصى على ربك)) أبلغ من عصي، لمعنى الطلب فيه .

قوله : ((لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختصّ منها برب العزة من عصيانه)) لعله يريد أن قوله : ﴿ إنه كان للرحمن عصياً ﴾ من باب التلميح (٣) ، وهو أن يشار في الكلام إلى نحو قصّته، وهي ما ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه أفستخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ استعصاء اللعين على الله، وأنه عدوّ لبني آدم، فأثر خليل الله ما هو مختصّ بالله على ما يختص بالغير، لأنه أهم شيء عنده، ومنه قوله تعالى : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ (٤) ، قال المصنف : [إن تكذيبك أمر راجع إلى الله فإنه عن حزنك لنفسك، وإنهم كذبوك وأنت صادق، وليشغلك عن ذلك ما هو أهم، وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه .

قوله : ((كأن النظر في عظم ما ارتكب غمراً فكره)) أي : لم يلتفت إلى ما هو في غير ما هو في جنب الله، وهو عداوته لآدم، وقد يعرض للمتكلم وهو في أثناء كلامه ما يذهله عن بعض ما هو فيه، فيأخذ في الأهم .

(١) الراغب ٨٨ مادة (جحد) .

(٢) سورة النمل الآية ١٤ .

(٣) التلميح : هو الإشارة إلى قصة معلومة، أو شعر مشهور، أو مثل سائر من غير ذكره . جواهر

البلاغة ٤١٨ ، والبيان في علم المعاني والبدیع والبيان للمؤلف العلامة الطيبي ٤٣٢ .

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٢ .

قوله : ((ثم ربّع بتخويفه سوء العاقبة)) فإن قلت : قال : رتب الكلام معه أحسن اتّساق، وساقه أرشّق مساق، ثم أتى بكلمة الترتب، وعدّ أربعة أنواع من النصيحة وما بين وجه الاتساق . قلت : وفي كلامه إشعار وتلويح^(١) إليه وبيان ذلك أن الواجب على الداعي الناصح والطبيب الحاذق بيان الضلال، وتشخيص الداء العضال، ثم الشروع في الدواء بإزالة المرض وردّ الصحة، فبين عليه السلام أولاً خطأه في ارتكاب الشنيع من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً. وإليه الإشارة بقوله : طلب أولاً العلة في خطابه، طلب مُنبّه على تماديهِ إلى آخره، فإذا تنبّه المنصوح والمريض على الضلال والمرض لا بدّ أن يطلب من المنبّه طريق الإزالة، فعليه^(٢) أن يوقفه على المرشد الطبيب، وإليه الإشارة بقوله : ((وعندي معرفة بالهداية فاتبعني أنجك من أن تضل)) ويُنّه فإذا أذن له، عند ذلك يشرع في إزالة ما ينبغي إزالته فيبتدئ بالأهم والأولى. ولا ارتياب في أن الشيطان هو الذي باض الضلال في بني آدم وفرّخ فيه من أول الزمان، وأوقعه في ورطة الهالك، وإليه الإشارة بقوله : ((وهو عدوّك وعدوّ أبيك وأبناء جنسك وهو الذي والرّطك في هذه الضلالة)) وإن الشيطان هو الذي انتصب لاستجراهم إلى الوبال وعذاب النار في آخر الأمر، وإليه الإشارة بقوله : ((ثم ربّع بتخويفه سوء العاقبة)) فلما لم ينجع في أبيه هذا الوعظ حيث أجاب جواب الأحمق بقوله : ﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾ لا جرم أنه عليه السام لما لم يتمكن من التخلية بإزالة الشرك الذي هو المرض، فأسرع في التخلية من الأمر بالتوحيد الذي هو ردّ الصحة التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وبمكارم الأخلاق، فطلب الاعتزال بقوله : ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي﴾ ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾^(٣) .

(١) التلويح : هو ما يشار به إلى المطلوب من بُعدٍ مع خفاء، وسمي تلويحاً لبعد المطلوب . التبيان في علم

المعاني والبدیع والبيان للطبي ٢٦٤ .

(٢) في م (طريق الإزالة لعلته).

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤ .

قوله : ((فذكر الخوف والمسّ ونكر العذاب))^(١) ثم أسنده إلى الرحمن للإيذان بأن العذاب من الموصوف بالرحمة أشدّ، وإليه لوح المتبي قوله^(٢) :

**** فما يوجع الحرمان من كف حارم **** كما يوجع الحرمان من كف رازق ******

قوله : ((وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب)) وجعل ميسر العذاب سبباً لكون الشيطان وليه ووسيلة إلى الدخول في زمرة أشياعه.

قوله : ((﴿ وشيئاً ﴾ يحتمل وجهين)) أي : في قوله : ﴿ ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ولعل إيقاعه قوله : ((ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين)) يعني لا يسمع ولا يبصر اعتراضاً، بين الوجهين للإشعار باختصاص النصب على المصدر فيهما دون المفعول به، كما في الوجه الثاني لثلاث تفوت إرادة الإطلاق منهما على ما سبق له . واعلم أن ﴿ شيئاً ﴾ جيء به مراعاة لفواصل السورة ظاهراً، وكان من حقه أن يعلّق بالأفعال الثلاثة، فترك تعلقه بالفعلين السابقين لذلك الغرض، فوجب تعلقه بالأخير . ثم من الوجهين الأول أولى لأنه أقرب إلى إرادة المبالغة.

قوله : ((أغن عني وجهك)) أي : بعد وجهك عني، لأن الشيء إذا استغني عنه فقد ترك وبُعد . قال في المغرب^(٣) : [أغن عني كذا أي : تحه عني وبُعده . قال^(٤) :

**** لتغني عني ذا إنائك أجمعاً ****

(١) تفسير قوله : ﴿ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ الآية

(٢) المتبي أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، أحد مفاخر الأدب العربي . وادّعى النبوة، وسجن حتى تاب . انظر الأعلام ١١٥/١ وابن خلكان ٣٦/١ .

(٣) المغرب ١١٦/٢ مادة (غنى).

(٤) قائل البيت حريث بن عتاب الطائي . وأوله :

**** إذا قلت : قدني قال بالله حلقة **** لتغني عني ذا إنائك أجمعاً ******

وعليه حديث عثمان رضي الله عنه في صحيفة الصدقة^(١) التي بعثها علي رضي الله عنه على يد محمد بن الحنفية : اغنها عنا، وهو في الحقيقة من باب القلب، كقولهم : عرض الدابة على الماء.

قوله : ((قد جاءني ﴿ في تجدد العلم عنده ﴾))^(٢) بيان لاتصال قوله : ﴿ يا أبت إنني قد جاءني من العلم ﴾ بقوله : ﴿ ولا يغني عنك شيئاً ﴾ أى : لم تعبد الجماد وما لا يدفع عنك الأذى ؟. وما أقول ذلك من تلقاء نفسي، ولا كنت عالماً به قبل هذا، بل قد جاءني فيه تجدد العلم عند إحاض نصحي هذا، فالضمير في (فيه) يعود إلى المذكور محض النصح، كأن الضمير في عنده راجعاً إليه.

قوله : ((أقبل عليه الشيخ))^(٣) وفي تخصيصه تنبيه على جسارة قلبه وشدة شكيمة، يعني كان من حقه وكونه رجلاً شيخاً أن يأتي باللفظ والمجاملة، لكن عكس.

قوله : ((وقدّم الخبر على المبتدأ)) قال أبو البقاء^(٤) : [أراغب ﴿ مبتدأ و أنت ﴾ فاعله أغنى عن الخبر، وجاز الابتداء بالنكرة لاعتمادها على الهمزة] وقال المالكي وغيره : ﴿ إن أنت ﴾ مرفوع بـ ﴿ راغب ﴾ وإلا يلزم الفصل بين ﴿ راغب ﴾ ومعموله وهو ﴿ عن آهتي ﴾ بأجنبي وهو ﴿ أنت ﴾، وأجيب أن ﴿ عن ﴾ متعلق بمقدّر بعد ﴿ أنت ﴾ دلّ عليه ﴿ أراغب ﴾، قال ابن الحاجب في الأمل : لا يتوهم أحد أن ﴿ أقائم هو ﴾ من قبيل (أقائم زيد) بل قائم خبر هو مقدم عليه، ولذا يقال في التثنية والجمع : أقائمان هما، وأقائمون هم، وعورض بنحو أراغب أنتما وأراغب أنتم ؟. لأنه متعين أن يكون أراغب مبتدأ قوله : ((وهو عنده

(١) لم أقف عليها.

(٢) تفسير قوله : ﴿ قد جاءني من العلم ... ﴾

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني ملياً ﴾

قال (ز) : ومع تلك الملاحظات ((أقبل عليه الشيخ)) بفظاظ الكفر ... الخ.

(٤) أبو البقاء ١١٤/٢.

أعني ((أي : تقديم الخبر عند أبي إبراهيم^(١) أهم، الأساس^(٢) : [عُنيَ بكذا واعتنى به وهو مُعنيَ به، ومنه قول سيويه : وهم ببيانه أعني].

قوله : ((سلوان))^(٣) الجوهرى^(٤) : [السُّلوانة، بالضم خَرَزَةٌ كانوا يقولون إذا صُبَّ عليها الماء من المطر فيشربه العاشق سلا، واسم ذلك الماء السلوان].

قوله : ((وتلج الصدر)) الأساس^(٥) : [ومن المجاز تُلَجَّ فؤاده، وهو مثلوج الفؤاد، وتَلَجَّتْ نفسه بكذا بردت وسرَّتْ].

قوله : ((الرمي بالرجام))^(٦) الجوهرى^(٧) : [الرجم القتل، وأصله الرجم بالحجارة، والرجام حجارة ضخام].

قوله : ((من الملاوة))^(٨) الجوهر^(٩) : [أقمت عنده ملاوة من الدهر، أي : حيناً وبرهة] وعلى هذا ﴿ مليا ﴾ ظرف، وعلى الوجه الثاني حال من الفاعل.

قوله : ((أَتُخِنَكَ بالضرب))^(١٠) الأساس^(١١) : [أتخن في الأمر بالغ فيه].

قوله : ((لأن ﴾ لأرجمنك ﴾ تهديد وتقريع)) تعليل لدلالة ﴿ لأرجمنك ﴾ على فاحذرني، ولا يصلح المذكور أن يكون معطوفاً عليه، لأنه جواب القسم، ولا يصلح

(١) أبو إبراهيم لم أقف على ترجمته.

(٢) الأساس ٤٣٨ مادة (عنى).

(٣) قال (ز) : وفي هذا ((سلوان)) وتلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) الجوهرى ٢٣٨١/٦ مادة (سلا).

(٥) الأساس ٧٥ مادة (تلج).

(٦) تفسير قوله : ﴿ لأرجمنك ﴾ قال (ز) : أصل الرجم ((الرمي بالرجام)).

(٧) الجوهرى ١٩٢٨/٥ مادة (رجم).

(٨) تفسير قوله : ﴿ مليا ﴾.

(٩) الجوهرى ٢٤٩٦/٦ مادة (ملا).

(١٠) قال (ز) : ﴿ واهجرنى مليا ﴾ بالذهاب عني والهجران قبل أن ((أتخنك بالضرب)).

(١١) الأساس ٧٠ مادة (تخن).

هذا أن يكون جواباً له، فيقدر ما يكون مسبباً عما تقدّم، فيعطف عليه على منوال قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله ﴾ (١) .

قوله : ((كما ترد الأوامر والنواهي)) (٢) قيل : النواهي مجمع عليها في كونهم مخاطبين بها (٣) ، وأما الأوامر فعند الشافعي رضي الله عنه أنهم مخاطبون بها بشرط الإيمان، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه أنهم مخاطبون مطلقاً، قيل : فيه نظر، لأن التوحيد أصل، فلا يجوز أن ينقلب شرطاً، لأن الشرط تبع للمشروط، وأجيب أن كونه شرطاً بسبب اقتضاء صحة هذا المأمور به، لا أنه شرط في نفس الأمر.

قوله : ((والذي يدلّ على صحته)) أن صحة القول بجواز الاستغفار على قضية العقل، وبطلان القول باشتراط التوبة عن الكفر هذه الآية، وبيانه أنه لو كان إبراهيم عليه السلام شرطاً للإيمان لم يكن استغفاره مستكراً ومستثنى في قوله : ﴿ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ فلما استثنى دل على أنه ما شرط التوبة، لأن الاستغفار على شريطة التوبة مستحسن من كل أحد فلا يكون منكراً، قال صاحب

(١) سورة النمل الآية ١٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيظاً ﴾ قال (ز) : فإن قلت : كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك ؟. قلت : قالوا : أراد اشتراط التوبة عن الكفر ((كما ترد الأوامر والنواهي)) الشرعية على الكفار.

(٣) الصحيح أنهم مخاطبون بالأوامر والنواهي من فروع الشريعة، ومخاطبون بما لا تصح إلا به وهو الإسلام، كما حدث بخاطب بالصلاة وما لا تصح الصلاة إلا به كالطهارة، لأنما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والدليل على هذا قوله تعالى في سورة المدثر الآية ٤٢-٤٤ : ﴿ ما سلكتكم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين ... الآيات ﴾ ففي الآيات التصريح بأن من الأسباب التي سلكتهم في سقر عدم إطعام المسكين وهو فرع من الفروع . وقوله تعالى في سورة الحاقة الآية ٣٠ - ٣١ ﴿ خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلّوه ﴾ إلى أن قال : ﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾ فقولته : ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾ فرع من فروع الشرع . والله أعلم.

فالمسألة فيها ثلاثة مذاهب . الأول : أنهم مخاطبون بها مطلقاً، وهو الحق للأدلة السابقة . والثاني : أنهم غير مخاطبين بها مطلقاً . وحجتهم أنهم لو فعلوها في حال كفرهم لم تقبل منهم ولا يجب قضاؤها عليهم بعد الإسلام . وما لم يقبل منهم فلا يخاطبون به، ولأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة . الثالث : أنهم مخاطبون بالنواهي لصحة الكف عن الذنب منهم دون الأوامر . انظر مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ٣٣ وتخرج الفروع على الأصول للزنجاني ٩٩ .

الإنتصاف^(١) : [الحق أن التحسين والتقبيح باطلان، فلا حاجة إلى هذا التعليل] وقال صاحب الفرائد : [لو كان الوعد والوفاء على قضية العقل لقليل : ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا جرياً على قضية العقل، فلما ورد السمع بان الاستغفار لا يجوز للكافر، ترك الاستغفار وتبرأ منه، ويمكن أن يقال : وعده الاستغفار بشرط التوبة، ولم يعلم بأنه ممن لا يؤمن بالبتة، فوفى بالوعد وقال : ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾^(٢) كأنه قال : أخرجه من الضلال واغفر له ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله ﴾ أي ممن لا يؤمن ترك الدعاء وتبرأ منه، قال الإمام^(٣) : [الآية تدلّ على أنه لا يجوز لنا التأسّي به في ذلك، والمنع من التأسّي به في ذلك لا يدلّ على أن ذلك كان كان معصية، فإن كثيراً من خواص النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز لنا التأسّي بها مع أنها كانت مباحة له] وزاد صاحب التقريب على هذا بأن قال : نفي اللازم ممنوع أيضاً فإن استثناءه عما وجبت فيه الأسوة، إنما يدلّ على أنه غير واجب، لا على أنه غير جائز ومنكر، وكان ينبغي له أن يقول بدل قوله : ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة مستثنى عما جازت فيه الأسوة لقوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم ... الآية ﴾^(٤) ، ولا دلالة فيه على الوجوب . وقلت والعلم عند الله : كلام صاحب الفرائد وعدة الاستغفار بشرط التوبة، ولم يعلم بأنه ممن لا يؤمن إلى آخره، حسن لكن مع زيادة يسيرة، والنظم يساعد عليه . وبيانه أنه عليه السلام لما أجاب عن قول أبيه : ﴿ لأرجمك واهجرني ملياً ﴾ بقوله ﴿ سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً ﴾ جوابه الحكيم إظهاراً للتعطف والرافة وإبداء للرافة والرحمة، كأنه عليه السلام ما التفت إلى جفائة وغلظته، بناء على ما وصفه الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾^(٥) ولما لم يكن عارفاً بما يؤل إليه حال أبيه من الإصرار على الكفر، وأنه ممن لا يؤمن بالبتة، وفي

(١) مع الكشف ٢١/٣ وقال أيضاً : والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم بحكم الله تعالى قبل

ورود الشرع به.

(٢) سورة الشعراء الآية ٨٦

(٣) الإمام الفخر الرازي ٢٢٩/٢١.

(٤) سورة الممتحنة الآية ٤.

(٥) سورة التوبة الآية ١١٤.

بالوعد وقال : ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾ كأنه قال أخرجه من الضلال واغفر له ﴿ فلما تبين له أنه عدوا لله ﴾ أي : مصرّ على الضلالة والكفر، ترك الدعاء ﴿ وتبرأ منه ﴾ فظهر من هذا أن استغفاره إنما لم يكن مستكراً، لأنه عليه السلام لم يكن عالماً بإصراره على الكفر لقوله تعالى : ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ بخلافه في تلك الصورة، فإنه تبين للمؤمنين أنهم أعداء الله بقوله : ﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ (١) وأن لا مجال لإظهار المودة بوجه ما . ثم بالغ في تفصيل عداوتهم بقوله تعالى : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيدهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفروا ﴾ (٢) ثم حرّضهم على قطيعة الأرحام بقوله : ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة ﴾ (٣) ثم سلّاهم بالتأسي في القطيعة بإبراهيم عليه السلام وقومه بقوله : ﴿ قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ... إلى قوله : إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ (٤) فاستثنى من المذكور ما لم يحتمله هذا المقام، كما احتمله ذلك المقام للنصّ القاطع، يعني لكم التأسي بإبراهيم مع هؤلاء الكفار في القطيعة والمجران لا غير، فلا تجاملوهم ولا تبدوا لهم بالرفقة والرحمة كما أبدى إبراهيم لأبيه في قوله : ﴿ سأستغفر لك ﴾ لأنه لم يتبين له حينئذ أنه لا يؤمن كما بدا لكم كفر هؤلاء وعداوتهم لكم. فظهر من هذا البيان أن لا بد للمفسر من تعيين المقام والنظر إلى ترتيب النظام، لئلا يدحض في مزال الأقدام، والحمد لله الذي هدانا لهذا.

قوله : ((وأما ﴾ عن موعدة وعدّها إياه ﴾ والواعد إبراهيم لا آزر)) إبطال لاستشهاد الخصوم. وقولهم : إنما استغفر له، لأنه وعده أن يؤمن بدليل قوله : ﴿ وما

(١) سورة الممتحنة الآية ١.

(٢) سورة الممتحنة الآية ٢.

(٣) سورة الممتحنة الآية ٣.

(٤) سورة الممتحنة الآية ٤.

كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴿١﴾ بأن الواعد هو إبراهيم لا آزر، بدليل قراءة حماد ﴿٢﴾. وقلت : أظهر منه سياق الآيات، لأن قوله عليه السلام : ﴿ سلام عليك سأستغفر لك ربي ﴾ إنما صدر منه بعد فظاظة أبيه في الرد وغلظته في قوله : ﴿ لأرجمنك واهجرني مليا ﴾ فيكون هذا هو الوعد، فالواعد في قوله : ﴿ وعدها إياه ﴾ هو إبراهيم عليه السلام، فيعلم منه ضعف قول صاحب التيسير : الإستثناء في قوله : ﴿ إلا قول إبراهيم لأستغفرن لك ﴾ منقطع تقديره : لكن ﴿ قول إبراهيم لأستغفرن لك ﴾، لأنه كان لموعدة وعدها أبوه، فظن أنه قد انحزها، فلما تبين إصراره تبرأ منه، ولا يحل لكم ذلك مع علمكم.

قوله : ((ما قال : ﴿ واغفر لأبي ﴾ إلا عن قوله)) أي ما صدر قوله إلا عن قوله : ﴿ لأستغفرن لك ﴾ وبسببه، كقوله : ينهاون عن أكل وعن شرب.

قوله : ((قراءة حماد الراوية قيل : حمادان، الرواية الكوفي والرواية البصري)) ، وهو المراد ههنا، وتصحيفاته مشهورة من ذلك في قوله : ﴿ عذابي أصيب به من أشياء ﴾ (٣) أنه قرأ : أساء، وفي قوله : ﴿ له أصحاب يدعونني إلى الهدى اثنتا ﴾ (٤) قرأ : إيتنا.

قوله : ((الدعاء هو العبادة)) الحديث أخرجه أبو داود والترمذي (٥) عن النعمان بن بشير . ومعنى الحصر : أن المقصود من العبادة إنشاء غاية الخضوع والتذلل والدعاء ليس إلا إظهار الافتقار وإبداء التذلل لله تعالى.

(١) سورة التوبة الآية ١١٤.

(٢) قراءة حماد الراوية ﴿ إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ بدل ﴿ إياه ﴾. شواذ القرآن سورة التوبة الآية ١١٤.

(٣) حماد الراوية البصري أبو القاسم، أول من لقب بالرواية من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارهم، قربه أمراء بنو أمية وأجزلوا له، ولد ٩٨ ومات ١٧٩ بالكوفة . ترجم في نزهة الألباء ٤٣ ووفيات الأعيان ١٦٤/١ والأغانى ٧٠/٦.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٦.

(٥) سورة الأنعام الآية ٧١.

(٦) أبو داود ١٦٠/٢ كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم ١٤٧٩ بلفظ الدعاء هو العبادة ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ من حديث النعمان . والترمذي كتاب الدعاء، باب الدعاء مخ العبادة، برقم ٣٣٧٢ وفي التفسير باب ومن سورة المؤمنون برقم ٣٢٤٧ . وأحمد في مسنده ٢٧١/٤ . وغيرهم.

قوله : ((الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء)) وهو قوله : ﴿ رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين ﴾^(١) .

قوله : ((كما عبّر باليد عما يطلق باليد))^(٢) هو من باب إطلاق السبب على المسبب، أو من باب إطلاق اسم المحل على الحال .

قوله : ((** إني أتني لساناً لا أسرُّ بها **))^(٣)

تمامه :

**** من غلّو لا عجب منها ولا سخر ****

علوة : اسم امرأة . الضمير في بها راجع إلى الكلمة، والشعر لأعشى . باهلة قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر . ويروى ولا صخب، وهو الصياح مكان . ولا سخر، يقال : سخرت منه أسخراً أسخراً بالتحريك مُسَخِراً وسَخِراً .

قوله : ((وأعطى ذلك))^(٤) يجوز أن يكون إشارة إلى معنى قوله : ﴿ ووهبنا له من رحمتنا ... الآية ﴾ ولذلك رتب عليه قوله : ((فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم)) وجعل ذلك تخلصاً إلى ذكر موسى عليه السلام بقوله : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً .

قوله : ((كما أعلا ذكره)) الأساس^(٥) : [ومن المجاز : له ذكر في الناس أي : صيتٌ . وشرفٌ ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾^(٦) ورجل مذكور .

(١) سورة الشعراء الآية ٨٣ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ مريم الآية ٥٠ . قال (ز) في تفسير : ﴿ لسان صدق ﴾ : الشاء الحسن، وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبّر باليد عما يطلق باليد، وهي العطية .

(٣) قائل البيت الأعشى الباهلي . انظر حاشية محمد عليان على شواهد الكشف ٢٢/٣ .

(٤) تفسير قوله : ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ قال (ز) : استجاب الله دعوته ((وأعطى ذلك)) ذريته ((فأعلا ذكرهم وأثنى عليهم)) يعني ذرية إبراهيم عليه السلام .

(٥) الأساس ٢٠٥ مادة (ذكر) .

(٦) سورة الزخرف الآية ٤٤ .

قوله : ((المخلص بالكسر))^(١) عاصم وحمة والكسائي وبالفتح الباقون.

قوله : ((النبي الذي ينبي عن الله عز وجل)) الراغب^(٢) : [النبي بغير همز، فقد قال النحويون : أصله الهمز، واستدلوا بقولهم : مسيلمة نبى سوء. وقال بعض العلماء : [هو من النبوة، أي : الرفعة، وسمي نبياً لرفعة محلّه عن سائر الناس، المدلول عليه بقوله : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ فالنبي بغير الهمز أبلغ، لأنه ليس كل منبٍ رفيع المحل، ولذلك ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن قال له : يا نبيء الله فقال : (لست بنبي الله، ولكن نبي الله)^(٣) لما خاطبه بالهمز لبغض منه، والنبوة والنباوة الارتفاع، ومنه قيل : نبأ فلان مكانه، كقولهم : قضّ عليه مضجعه، ونبا السيف عن الضربة : إذا ارتدّ عنه ولم يعض فيه، ونبا بصره عن كذا تشبيهاً بذلك].

قوله : ((صريف القلم))^(٤) النهاية^(٥) : [صريف الأقلام صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله عز وجل ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ]

قوله : ((كما في قوله : ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾))^(٦) يعني ما ينصران (من) للتبعيض، قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلناهم لسان صدق علياً * لأن (من) في هذه الآية لا تحتل ما تحتمله في تلك الآية من الوجهين، لأن (وهبنا) يقتضي مفعولاً به وليس فيها غيره بخلافه فيما نحن فيه، لأن (أخاه) إن جعل مفعولاً كان (من) ابتدائياً، وإذا جعل (من) مفعولاً، كان

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ﴾ الآية ٥١ .
وقرأ : ﴿ مخلصاً ﴾ بفتح اللام عاصم في رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر، وحفص عنه وحمة والكسائي .
والباقون بكسر اللام . السبعة لابن مجاهد ٤١٠

(٢) الراغب ٤٨٢ مادة (نبي).

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٣١ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،
وتعقبه الذهبي، وقال : بل منكر لم يصح، وفيه حمران بن أعين ليس بثقة وهو واه. وذكره الدر المنثور ١/٧٣
والقرطبي ١/٤٣١.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً ﴾ الآية ٥٢ . قال (ز) في قوله :
﴿ قربناه نجياً ﴾ : وعن أبي العالية قرنه حتى سمع ((صريف القلم)) الذي كتبت به التوراة.
(٥) النهاية ٢٥/٣ مادة (صرف).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ مريم الآية ٥٣

أخاه بدلاً منه، وبعض الرحمة إما ديني وهو النبوة والكتاب والحكمة وإرشاد الخلق، أو دنيوي وهو الولد والمال وسعة الرزق، وفي كلام الواحدي^(١) إشعار بهذا، فعلى هذا الأنسب أن يجعل (أخاه) بدل البعض من الكل، لأن معاضدته بأخيه، وموازرته به بعض المذكورات، قال في قوله تعالى: ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾^(٢): يجوز أن يكونا للتبعض معاً، بمعنى: هل أنتم مغنون عنا بعض شيء، هو بعض عذاب الله، أي: بعض بعض^(٣) عذاب الله، والمعنى على الابتداء، ووهبنا له من أجل سبق رحمتنا، وتقدير تخصيصه بالمواهب الدينية والدنيوية ﴿أخاه هرون نبياً﴾ والأول هو الوجه، لما فيه تنبيه^(٤) على سعة رحمة الله، فإن الأنبياء مع جلالته ورفعة منزلتهم منحوا بعضاً منها.

قوله: ((وكان هرون أكبر من موسى ف وقعت الهبة على معاضدته)) يعني لما كان هرون أكبر سناً لم تكن الهبة في قوله: ﴿ووهبنا﴾ نحو قوله: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ فوجب الحمل على المعاضدة والموازرة.

قوله: ((كالتلقيب نحو الحليم))^(٥) يعني ذكر إسماعيل للشهرة بصدق الوعد، كذا إبراهيم عليه السلام بالحليم والأواه في قوله: ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾^(٦) الأساس^(٧): [هو ملقب بكذا ومتلقب به ولقب به وتلقب، ونُبِز بلقب قبيح: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾^(٨)، وقال الحماسي^(٩):

**** أكنيه حين أناديه لأكرمه ** وألقبه والسؤة اللقبا ****

(١) الواحدي في كتابه الوسيط ١٨٦/٣.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢١.

(٣) (من) بعض عذاب الله . ما بين القوسين س من ب.

(٤) لعلها: لما فيه من التنبيه.

(٥) تفسير قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾ قال

(ز): ذكر إسماعيل بصدق الوعد تشريفاً وإكراماً ((كالتلقيب له)).

(٦) سورة التوبة الآية ١١٢.

(٧) الأساس ٥٧٠ مادة (لقب).

(٨) سورة الحجرات الآية ١١.

(٩) لم أقف له على ترجمة.

قيل : الفرق بين اللقب والعلم، أن اللقب من معنى في الغالب كقفّة وبطة، سمي بها لقصره.

قوله : ((فانتظره سنة))^(١) عن أبي داود^(٢) عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فبقيت له بقية، ووعدته أن آتية بها في مكانه، فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه، فقال : (يافتي لقد شققت عليّ أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك).

قوله : ((لمنهم أحق بالتصدق عليهم))^(٣) روي عن أبي داود والنسائي^(٤) عن أبي هريرة قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بالصدقة. قال رجل : يا رسول الله . عندي دينار. قال : تصدق به على نفسك. قال عندي : آخر . قال : تصدق به على ولدك. قال : عندي آخر . قال : تصدق به على زوجتك . قال : عندي آخر : قال : تصدق به على خادمك . قال : عندي آخر . قال : أنت أبصر).

قوله : ((وفيه أن من حق الصالح))^(٥) أشار إلى معنى الإدماج^(٦) في هذا الوجه، وأن في وضع الأهل موضع الأمة إشارة إلى الخوض على النصح وإدخال الأجانب في زمرة الأهل والأقارب، وإذا كان حكم الأبعد بهذه المثابة، فكيف بالأقرباء؟.

(١) تفسير قوله : ﴿ إنه كان صادق الوعد ﴾ قال (ز) : عن ابن عباس رضي الله عنه أنه وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان ((فانتظره سنة)).

(٢) أخرجه أبو داود ٢٦٨/٥ كتاب الأدب، باب في العدة برقم ٤٩٩٦.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ الآية ٥٥ مريم . قال (ز) في قوله : ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ ألا ترى ((أنهم أحق بالتصدق عليهم)) فالإحسان الديني أولى.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٢٠/٢ كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم برقم ١٦٩١ . والنسائي كتاب الزكاة، باب الصدقة عن ظهر غنى ٦٦/٥ برقم ٢٥٣٤.

(٥) تفسير قوله : ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ قال (ز) : ﴿ أهله ﴾ أمته كلهم من القرابة وغيرهم ((وفيه أن من حق الصالح)) ألا يألوا نصحاً للأجانب والأقارب.

(٦) الإدماج : هو أن يُضمّن كلام قد سبق لمعنى، معنى آخر لم يصرح به . التبيان للطيبى ٣٩٠ . وجواهر البلاغة ٣٧٠.

قوله : ((إنه رفع إلى السماء الرابعة))^(١) عن الترمذي^(٢) عن أنس قال إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : (لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة) وكذا في حديث المعراج عن البخاري ومسلم^(٣) .

قوله : ((** بلغنا السماء مجدنا))^(٤) البيت قبله :

** ولا خير في حلم إذا لم يكن له ** بواذر تحمي صفوه أن يكدرا **

** ولا خير في جهل إذا لم يكن له ** حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا **

قيل : (مجدنا) مفعول له . (مظهرا) : أي مصعداً . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بها قال : (لا يفضض الله فاك)^(٥) وإنه نيف على مائة، وكان من أحسن الناس ثغراً، والله أعلم بصحته . قوله : (فاك) أي : أسنان فيك.

قوله : ((لأن جميع الأنبياء منعم عليهم))^(٦) تعليل لجعل من للبيان لا للتبعض لما يلزم من الثاني خروج بعضهم من أن يكونوا منعماً عليهم وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾^(٧) كذلك قوله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً ﴾ قال (ز) في قوله : ﴿ مكاناً علياً ﴾ ((إنه رفع إلى السماء الرابعة)) .

(٢) أخرجه الترمذي ٢٩٦/٥ كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم برقم ٣١٥٧ .

(٣) البخاري مع الفتح كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ٤٥٨/١ . ومسلم ١٤٦/١ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وفرض الصلوات برقم ٢٥٩ .

(٤) للناطقة الجعدي . انظر ديوانه ص ٧٣ .

(٥) أخرجه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية، بزوائد المسانيد الثمانية ١٠٠/٤ . باب الناطقة الجعدي

برقم ٤٠٦٥ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ... ﴾ الآية ٥٨ . قال

(ز) في تفسير قوله : ﴿ من النبيين ﴾ : ((لأن جميع الأنبياء ... الخ)) .

(٧) سورة النساء الآية ٦٩ .

مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴿١﴾ لأن الضمير في (منهم) عائد إلى قوله : ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم... إلى آخره﴾ ﴿٢﴾ فإن جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات لا بعضهم، وأن الله تعالى وعد الكل مغفرة وأجرًا عظيمًا لا البعض . نعم المشار إليه بقوله : أولئك بعض الأنبياء لا الكل وهم المذكورون في هذه السورة، وقد أخبر عنهم بقوله : ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ وبين قوله : ﴿من النبيين﴾ فوجب أن يحمل التعريف في الخبر على الجنس للمبالغة كقوله تعالى : ﴿ذلك الكتاب﴾ ﴿٣﴾ إذ أن يقدر مضاف بأن يقال :

قوله : ((لقربه منه)) ﴿٤﴾ وفي جامع الأصول ﴿٥﴾ : ولد إدريس وآدم حي قبل أن يموت بمائة سنة.

قوله : ((جد أبي نوح)) وهو نوح بن مالك . وقيل : ملكان بن متوشلخ بن إدريس . قوله : ((ومن هدينا ﴾ يحتمل العطف على (من) الأولى والثانية، فالمعنى على الأول : ﴿أنعم الله عليهم من النبيين﴾ ومن هدينا واجتبتنا . وعلى الثاني : ﴿أنعم الله عليهم من النبيين﴾ الذين هم بعض ذرية آدم وبعض من حملنا مع نوح، وبعض من هدينا واجتبتنا . وعلى التقديرين قوله : من هدينا غير الأنبياء تنويها بشأنهم (قوله) ﴿٦﴾ : اتلوا القرآن وابكوا . الحديث من رواية ابن ماجه ﴿٧﴾ عن سعيد ﴿٨﴾ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (نزل القرآن بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا).

(١) سورة الفتح الآية ٣٩ .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢ .

(٤) قال (ز) : وكان إدريس من ذرية آدم ((لقربه منه)) لأنه جد أبي نوح .

(٥) جامع الأصول لابن المنير . ولم أهدئ غلله بعد بحث .

(٦) (قوله) ما بين القوسين س من جميع النسخ غير (أ) .

(٧) أخرجه ابن ماجه ٤٢٤/١ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن من رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ : (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا) رقم ١٣٣٧ . ومسند أبي يعلى ٥٠/٢ وفيه إسماعيل بن رافيع وهو ضعيف برقم ٦٨٩ .

(٨) في كل النسخ (سعيد) وهو خطأ ، والصواب (سعد) لأنه (سعد بن أبي وقاص) والله أعلم .

قوله : ((وعن صالح المري))^(١) قال الحافظ إسماعيل^(٢) بن محمد صاحب سير السلف هو صالح بن بشير المري قارئ أهل البصرة أحد الزهاد، وكان إذا قصّ قال : هات جونة المسك والتزياق المجرب، يعني القرآن، ولا يزال يقرأ ويدعوا ويكي حتى ينصرف.

قوله : ((خلفه إذا أعقبه))^(٣) الراغب^(٤) : [خلف ضدّ تقدم وسلف والمتأخر لقصور منزلته، يقال : له خلف، ولذلك قيل : الخلف الردي والمتأخر لا لقصور منزلته، يقال : له خلف، ويقال : سكت ألفاً ونطق خلفاً . ويقال : تخلف فلان فلاناً إذا تأخر عنه، وإذا جاء خلف آخر، وإذا قام مقامه، ومصدره الخلافة، وخلف خلافة بفتح الخاء أي : فسد، فهو خالف ردي أحق، ويعبر عن الردي بخلف نحو : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾].

قوله : ((وينصر الأول قوله : ﴿ إلا من تاب وآمن ﴾ أي ينصر الوجه الأول وهو أن يراد بالقوم اليهود، وبـ ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ تركوها لا أخروها عن وقتها، لأنه لا يقال : آمن، إلا لمن كان كافراً . ويجوز أن يحمل على التغليظ، كما قال تعالى : ﴿ من استطاع إليه سبيلاً . ومن كفر ﴾^(٥) وبهذا التأويل يحسن قول قتادة^(٦) : هو في هذه الأمة، أي : هذا الكلام نازل في شأن أمة محمد صلوات الله عليه.

(١) صالح المري . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٦/٨ والتاريخ الكبير للبخاري ٢٧٣٧/٤.

(٢) لعلة الحافظ إسماعيل بن محمد بن عثمان القومساني ثم الهمداني العابد . انظر سير أعلام النبلاء

١٥٥/١٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾ مريم الآية ٥٩ . قال (ز) : ((خلفه إذا أعقبه)).

(٤) الراغب ١٥٥ مادة (خلف)

(٥) سورة آل عمران الآية ٩٧.

(٦) قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث السدوسي أبو الخطاب الأكمه، كان مفسراً فقيها عالماً بالشعر والأنساب من التابعين مات سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ٣٥١/٨.

قوله : ((وركب المنظور))^(١) أي : الفرس والبغل لا للجهد بل لأجل ما ينظر إليه، قال ابن نباتة ^(٢) :

**** لا يكمل الطرف المحاسن كلها ** حتى يكون الطرف من أسر به ****

قوله : ((فمن يلق خيراً ... البيت))^(٣) قبله :

**** أمن حلم أصبحت تنكث واجهاً ** وقد تعزّي الأحلام من كان نائماً ****

نكث في الأرض إذا جعل يخط وينقر، وهو كناية عن المهتم والواجم الحزين، يقول : أمن أجل أضغاث أحلام تصبح حزناً تنكث في الأرض، ومن كان نائماً تعزّيه الأحلام، ثم قال :

**** فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ** ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً ****

أي : ومن يفعل الشر لا يعدم من يلومه عليه، ومن يغو بالكسر من غوى بالفتح من غوى يغوي غياً وغواية فهو غاوٍ وغَوٍ . قلت : ويجوز أن يكون التقابل معنوياً كقول المتنبي :

**** لمن يطلب الدنيا إذا لم يرد به ** سرور مُحِبٍّ أو مساءة مجرم ****

قوله ((قرئ ﴿يَدْخُلُونَ﴾))^(٤) ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر على صيغة المفعول، والباقون على صيغة الفاعل.

(١) تفسير قوله : ﴿واتبعوا الشهوات﴾ قال (ز) : ((وركبوا المنظور)) وليس المشهور.

(٢) ابن نباتة محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر جمال الدين بن نباتة شاعر عصره ولد سنة ٦٨٦هـ ومات سنة ٧٦٨هـ . الأعلام ٣٨/٧ . وحسن المخاضرة ٣٢٩/١ .

(٣) قاتلها المرقش الأصغر صاحب فاطمة بن المنذر، والأكبر عم الأصغر وعم طرفة . انظر الإنصاف على شواهد الكشف ٢٦/٣ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يَدْخُلُونَ الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ قرأ ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بضم الياء وفتح الحاء مبنياً للمفعول ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر وأبو جعفر ويعقوب . والباقون على صيغة الفاعل . الإتحاف ٣٠٠ .

قوله : ((بياناً لأن تقدّم الكفر لا يضرهم)) بياناً نصب على أنه مفعول له واللام في لأن صلة بياناً . المعنى قال تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ لُبّين أن تقدم الكفر لا يضرهم، وأنه تعالى لا يمنع من جزاء أعمالهم شيئاً إذا تابوا من الكفر كما لم يمنع المسلم الأصلي.

قوله : ((أو لا يظلمون البتة)) والتأكيد استفاد من جعل ﴿ شَيْئاً ﴾ مفعولاً مطلقاً، ولهذا قال : ﴿ شَيْئاً ﴾ من الظلم، وعلى الأول مفعول به، والظلم متضمن لمعنى النقص.

قوله : ((لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها))^(١) وهو من بدل البعض من الكل لاستشهاده بقوله : ((أبصرت دارك القاعة والعلالي)) لأن القاعة والعلالي بعض الدار، والعلالي جمع عليّة، وهي الغرفة، وهي فعليّة أصله عليوة من علوت. وقيل : هي عليّة بالكسر على فعليّة يجعلها من المضاعف . قال : وليس في الكلام فعيلة . قال في الأساس^(٢) : [ولهم قاعة واسعة، وهي عرصة الدار] وأهل مكة يسمون أسفل الدار القاعة، ويقولون فلان قعد في العلية، ووضع قماشه في القاعة، وعليه قول القاضي^(٣) : [حيث قال : ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتغالها عليها.

قوله : ((أعلاما لمعاني الفينة))^(٤) قال ابن الحاجب^(٥) : [وضعوا للأوقات أعلاماً كما وضعوا للمعاني الموجودة، وإن لم تكن الأوقات شيئاً موجوداً إجراء لها مجرى الأمور الموجودة، ولهذا قال : لمعاني الفينة . وقال أيضاً : إن وضع الأعلام للأوقات كوضعها في باب أسامة لا كوضعها في باب زيد وعمرو لأنه يصح استعمالها لكل فرد من الأوقات المخصوصة، كما يصح استعمال أسامة وفينة وقتك الذي أنت فيه] . وقيل : [ليس المراد

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً ﴾ الآية ٦٠ .

(٢) الأساس ٤١٤ مادة (عرض).

(٣) القاضي البيضاوي ١١/٤ .

(٤) الفينة الوقت، أي الحين بعد الحين. وانظر الإيضاح في شرح المفصل ٩٣/١ .

(٥) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح شرح المفصل ٩٢/١ ، ٩٣ .

بها الآن، وإنما يراد بها الساعة . يقال : يأتيني فينة أي ساعة بعد ساعة، وقال الجوهري^(١) : [الفينات الساعات، يقال : الفينة الفينة بعد الفينة أي الحين بعد الحين].

قوله : ((وهي غائبة عنهم)) يريد أن قوله : ﴿ بالغيث ﴾ إما حال من المفعول الأول لوعده، وهو الضمير الراجع إلى ﴿ جنات ﴾ وهو محذوف بالتقدير : وعدّها وهي غائبة عنهم، أو حال من المفعول الثاني وهو ﴿ عبادة ﴾ بالتقدير : وهم غائبون عنها أو صلة لوعده بتقدير المضاف، والباء للسببية، أي : وعدّها عبادة بسبب تصديقهم الغيب وإيمانهم به.

قوله : ((قيل في : ﴿ مأتيا ﴾ : مفعول بمعنى فاعل)) لأن وعد الله يأتي ولا يؤتى، الراغب^(٢) : [مأتيا مفعول من أتيته. وقال بعضهم معناه آتيا وليس كذلك، بل يقال : أتيت الأمر، وأتاني الأمر، ويقال : أتيته بكذا وآتيته كذا، قال تعالى : ﴿ وأتوا به متشابها ﴾^(٣) ﴿ وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾^(٤)] قال أبو البقاء^(٥) : [ومأتيا على بابه لأن ما تأتیه فهو يأتيك، وقال : الوجه أن الوعد هو الجنة] والجنة تؤتى، لأن المكلفين يأتونها. الأساس^(٦) : [أتى إليه إحساناً إذا فعله، ووعد الله مأتياً وأتيت الأمر من مأتاه أي : من وجهه . قال البحرى :

**** أعدُّ سِنِيَّ فارحاً بمرورها ** ومأتى المنايا من سِنِيَّ وأشهرُ ****

قوله : ((وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾))^(٧) قال : إذا مروا بأهل اللغو المشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم .

(١) . الجوهري ٢١٧٩/٦ مادة (فين).

(٢) الراغب ٩ مادة (أتى).

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥ .

(٤) سورة النساء الآية ٥٤ .

(٥) أبو البقاء ١١٥/٢ .

(٦) الأساس ١١ مادة (أتى).

(٧) سورة الفرقان الآية ٧١ .

تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً وهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً ﴾ ٦٢ .

الراغب^(١) : [اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي يُورد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور . قال أبو عبيدة : يقال لغوٌ ولغاً .

قوله : ((لولا ما فيه من فائدة الإكرام))^(٢) اعلم أن أصل السلام الدعاء بالسلام . قال المبرد : هو دعاء الإنسان^(٣) بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه ويتخلص من المكروه، ثم فشى استعماله في الإكرام حتى لا يفهم غيره، ولهذا لو تركتها حمل صاحبك على الإهانة.

قوله : ((الوجبة))^(٤) الجوهري^(٥) : [المُوجَّبُ الذي يأكل في اليوم واللييلة مرة . يقال : فلان يأكل وجبة] وعنه^(٦) : [النَّهْمَةُ بلوغ الهمة في الشيء، وقد نُهِمَ بكذا فهو منهوم أي : مولع به، والنَّهْمُ بالتحريك : افراط الشهوة في الطعام].

قوله : ((وهي العادة الوسطى المحمودة)) يريد أن أكل الوجبة من طرف التفريط والأكل على الدوام إفراط، والوسطى هي المحمودة، والمراد بمن يأكل الوجبة المسكين الذي يتقنع^(٧) بالبلغة دون العارف الذي يتعاني التقشّف^(٨) .

قوله : ((ولأن المتنعم عند العرب)) عطف على قوله : ((ولكن على التقدير)) أي : لا يكون ثمة ليل ولا نهار، لكن يقدر أن على ما ألف في الدنيا أولاً يقدر ذلك، فيكون كناية عن مجرد التنعم والترّف، لأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء.

(١) الراغب ٤٥٩ مادة (لغا).

(٢) تفسير قوله : ﴿إلا سلاماً﴾ فأهل الجنة أغنياء عن الدعاء بالسلامة، فكان ظاهر اللغو ((لولا ما فيه ... الخ)).

(٣) دعاء (الإسلام) في ب.

(٤) تفسير قوله : ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ قال (ز) : من الناس من يأكل ((الوجبة)) ومنهم من يأكل متى وجد، وهي عادة المنهومين.

(٥) الجوهري ٢٣٢/١ مادة (وجب).

(٦) الجوهري ٢٠٤٧/٥ مادة (نهم).

(٧) في م (يقنع).

(٨) في م (التنزّه).

قوله : ((ولأن الأتقياء يلقون ربهم))^(١) عطف على قوله : أي تُبقي عليه الجنة من حيث المعنى، فعلى الأول نروث استعارة ليبقي، كقوله صلوات الله عليه : (واجعله الوارث منا) أي : أبقيهما، وعلى الثاني : أعماهم وثمرتها بمنزلة المورث وتركته كما أن المورث إذا قضى نجه يبقى للوارث ماله، كذلك أعماهم تنقضي وتبقى ثمرتها لهم، وهي الجنة، وعلى الأول : استعارة تبعية . وعلى الثاني : تمثيلية.

قوله : ((فَلَسْتُ لِإِنْسِي ... البيت))^(٢) ، أي : لست ابناً لإنسي، ويصوب استئناف على سبيل البيان والتعليل، وفي معناه قول صواحب يوسف : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾^(٣) .

قوله : ((وقيل : معنى ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾)) وما كان تاركاً^(٤) لك عطف على قوله : ((لا تجوز عليه الغفلة والنسيان)) وقوله : ((وقيل : هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة عطف على قوله : ﴿ وما ننزل ﴾ حكاية قول جبريل عليه السلام . نقل الإمام^(٥) : [عن القاضي^(٦) من المعتزلة أنه ردّ هذا القول وقال: هذا مخالف للظاهر، لأن التنزل بنزول الملائكة أليق، والأمر في قوله : ﴿ بأمر ربك ﴾ بالتكليف أنسب، ولأن

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ الآية ٦٣ . قال (ز) : تبقى عليه الجنة، كما تبقى على الوارث مال المورث ((ولأن الأتقياء ... الخ)) .
(٢) البيت لرجل من عبد القيس بمدح النعمان بن المنذر . وقيل : لأبي وجرة بمدح عبد الله بن الزبير .
وقامه :

**** فلست لإنسي ولكن للملاك ** منزل من جو السماء يصوب ****

انظر الإنصاف على شواهد الكشف ٢٩/٣ .

(٣) سورة يوسف الآية ٣١ .

(٤) النسيان يكون بمعنى الترك، كما في قوله تعالى في سورة السجدة الآية ١٤ : ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي بنسيانكم . وقوله في البقرة الآية ٢٢٧ : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ أي لا تتركوا الفضل فيما بينكم .

(٥) الإمام الفخر الرازي ٢٣٩/٢١ بتصرف .

(٦) المراد بالقاضي : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد أبادي أبو الحسين كان شيخ المعتزلة في عصره، ولا يطلق هذا اللقب على غيره . ومن تأليفه : تنزيه القرآن عن المطاعن . مات سنة ٤١٥ هـ . انظر الأعلام للزركلي ٢٧٣/٣ ولسان الميزان ٣٨٦/٣ .

الخطاب هنا من جماعة لواحد، وذلك لا يليق بمخاطبة بعض أهل الجنة لبعض]. وقلت : وكلا الوجهين له اعتبار في النظم. أما الأول : فلأنه صلوات الله عليه حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، وأبطأ عليه الوحي حتى لم يدر كيف يجيب، ثم أنزل الله الأجوبة إكراماً له وأراد الله تعالى أن يفرق هذه الأحوال في السور الثلاث أودع سؤال الروح في بني إسرائيل ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾^(١) وسؤال قصة أصحاب الكف وذي القرنين فيما يليها، وأودع ذكر استبطاء الأجوبة في هذه السورة، وللإختصاص أسرار لا يعلمها إلا الله، ومن أيده بروح القدس : وأما الوجه الثاني فترتيبه ما ذكره المصنف بقوله : ((وما نزل الجنة إلا بأمر الله علينا ... إلى آخره)).

قوله : ((السالفة والمتربة والحاضرة))^(٢) قال أبو علي : هذه الآية تدل على أن الأزمنة ثلاثة، مستقبل وهو قوله : ﴿ ما بين أيدينا ﴾، وماض وهو : ﴿ ما خلفنا ﴾، وحال وهو قوله : ﴿ وما بين ذلك ﴾.

قوله : ((واعبدته يثيبك كما أثاب غيرك من المتقين))^(٣) أشار إلى ارتباط الأمر بالعبادة بكلام أهل الجنة وأما اتصاله بحديث نزول جبريل عليه السلام فكأن جبريل عليه السلام يقول : ﴿ وما نتزل إلا بأمر ربك ﴾ لأنه الحكيم الذي يعرف المصالح كلها والمحيط بكل شيء علماً، ونحن لا نقدم على فعل إلا بأمره وإذنه، لأنه المالك المتصرف، وليس لنا إلا الطاعة والامتثال لأمره، فعليك أيضاً لزوم العبادة والصبر عليها، لا التصرف، لأنه لا ملجأ ولا مفرج إلا إليه، فهل تعلم له سماً يُلجأ إليه.

قوله : ((وما يتنزل ﴾ بالياء على الحكاية عن جبريل)) أي : يكون كلامه ومقوله وذلك بأن يقول : يا محمد، وما يتنزل الوحي إلا بأمر ربك.

(١) سورة بني إسرائيل الآية ٨٥

(٢) قال (ز) : لا ينزلون الجنة إلا بأمر الله لأنه المالك لرقاب الأمور كلها ((السالفة ... الخ)).

(٣) قال (ز) : ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل

((واعبدته ... الخ)).

قوله : ((ويجب أن يكون الخلاف في النسيّ مثله في البغي)) وقد سبق أنه فعول أو فاعيل.

قوله : ((** وقائلة خولان فأنكح فئاتهم **^(١))) تمامه :

** وأكرومة الحيين خلّو كما هيا **

(خولان) اسم قبيلة^(٢) ، و(الأكرومة) من الكرم كالأعجوبة من العجب، و(الخلو) التي لا زوج لها، أي الخلية كنى به عن كونها مطلقة، (الحيين) حي أبيها وحي أمها، رفع بعد القول الجملة من المبتدأ والخبر يقول : رب قائلة، قال : هؤلاء خولان فأنكح فئاتهم . فأجبتها كيف أتزوج والحال أن أكرومة الحيين خلّو لا زوج لها، وهي أولى بأن أتزوجها، فالفاء في : ﴿ فاعبده ﴾ كالفاء في البيت، وهي دلّت على ان وجود هذه القبيلة علة لأن يتزوج منها لحسن نسائها وثروتها . وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف المناسب.

قوله : ((وعلى هذا الوجه، يجوز أن يكون ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ من كلام المتقين، وما بعده من كلام رب العزة))^(٣) وعلى الوجه الأول كان قوله ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، وقوله : ﴿ وما كان ربك نسيا . رب السموات والأرض ﴾ من كلام الله تعالى تقريراً لقولهم . وفيه أنه إذا جعل بدلاً من ربك لا يجوز أن يكون ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ من كلام المتقين بل إما من كلام الله تعالى أو كلام الملائكة لأن المتقين إذا قالوا : ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ ويكون قوله : ﴿ رب السموات والأرض ﴾ بدلاً منه يبقى قوله : ﴿ فاعبده ﴾ لا متعلق له، فإنه كما تقرر حكم مرتب على الوصف السابق، ولا جائز أن يكون من تنمة كلام المتقين، لأن

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سبياً ﴾

قال (ز) : أي هو رب السموات والأرض (فاعبده) كقوله : ((وقائلة ... الخ)) والبيت مجهول قائله . انظر الإنصاف على شواهد الكشاف ٣١/٣.

(٢) اسم قبيلة باليمن.

(٣) في غرائب التفسير من عجائب التأويل ٧٠٢/١ محمود الكرمانى قال : قال ابن بحر : هذا من كلام

أهل الجنة بعضهم لبعض إذا دخلوها . والله أعلم.

الجنة ليست دار تكليف وعبادة . وأما إذا جعل جملة مستقلة مقتطعة عن كلام المتقين يترتب عليها ﴿فاعبده﴾ ويصح اللهم إلا أن يجعل الفاء جزاء شرط محذوف، ويكون من كلام رب العزة، أي : لما عرف أحوال أهل الجنة وأقوالهم على هذه الصفة فأقبل على العمل وابعده، قال صاحب التقييد : [وقيل : هي حكاية قول المتقين أي : وما ننزل الجنة إلا ياذن من الله علينا بثواب أعمالنا، أو أمرنا بدخولها، وقرر الله ذلك، أي : وما كان ربك نسيا لأعمال المتقين. وفيه حرارة لقوله : ﴿بأمر ربك﴾ دون ربنا إلا أن يخاطبوا به جبريل حين دخولها. وقلت : المراد أنهم بسرورهم وتبجحهم بما فازوا به من الكرامة والنعيم يقبل بعضهم على بعض يبشرون، وهو أبلغ من لو قيل : ربنا لأنه دلّ على أن البشارة بلغت بحيث لم يختص بها مبشّر دون مبشّر، كل من يتأتى منه البشارة فهو مبشّر.

قوله : ((هلا عدّي اصطر بعلى)) يعني اصطر يعدي بعلى لا باللام فلم خولف ؟. وأجاب أن التركيب من باب الاستعارة، وفيه تضمين معنى الثبات، شبّهت العبادة بالقرن، وهو كفؤك في الشجاعة، ثم أمر المكلف بالمكابدة معها بما يؤمر به من يريد مدافعه قرنه ومزاولته في الحرب، وهو كقوله : اصطر له، وهذا هو المراد من قوله : جعلت العبادة بمنزلة القرن. ولما ضمن اصطر معنى أثبت عدّي تعديته، أي : أثبت له صابراً، وإليه الإشارة بقوله : أثبت له فيما يورد عليك من شدّاته، أي : حملاته. وفيه لحة من بارقة (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وما رويناه عن مسلم ومالك والترمذي^(١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط] أي : ذلكم المجاهدة الكاملة التي تستحق أن تسمّى مجاهدة، وكأن غيرها من المجاهدات بالنسبة إليها كلاً

(١) أخرجه مسلم ٢١٩/١ كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء برقم ٢٥١ بلفظ : ألا أدلكم . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . والترمذي ٧٢/١-٧٣ كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء برقم ٥١ . ومالك في الموطأ كتاب السفر ، باب ٥٥. والدارمي ١٨٩/١ كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء برقم ٦٩٨ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وغيرهم.

مُجاهدة . قال القاضي^(١) : [إنما عدِّي باللام لتضمّنه معنى الثبات] وذكر الكواشي^(٢) ما ذكره المصنف بعينه . ثم قال : ويجوز أن يراد اضطرب على الشدائد لأجل العبادة، أي : للتمكن من الإتيان بها.

قوله : ((عداتك))^(٣) الجوهرى^(٤) : [العدا بكسر العين الأعداء، يقال : قوم أعداء وعداً بكسر العين، فإذا دخلت الهاء قلت : غداة بالضم].

قوله : ((الأغاليط)) الجوهرى^(٥) : [الأغلوطه ما يغلط به من المسائل، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات^(٦)] والمراد بها ههنا ما سألته اليهود عن قصّة الكهف وذي القرنين والروح.

قوله : ((هل تعلم من سمي باسمه على الحق))^(٧) أي : يستحق أن يتأله، لأن الإله ينبغي أن يكون خالقاً رازقاً لعباده مثبباً، وما سمي من دونه ياله تسمية باطلة كقوله تعالى : ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾^(٨) .

قوله : ((فسيف بني عبس))^(٩) البيت ورفاء عبس، ضرب رأس خالد ونبا السيف عن الضربة، أي : لم يثبت، قال صاحب الانتصاف : [التبس على الزمخشري إرادة

(١) القاضي البيضاوي ١١/٤ .

(٢) الكواشي أحمد بن يوسف، تقدم.

(٣) قال (ز) : فاثبت على العبادة ولا تهن، ولا يضق صدرك عن إلقاء ((عداتك)) من أهل الكتاب إليك ((الأغاليط)) .

(٤) الجوهرى ٦/٢٤٢٠ مادة (عدا).

(٥) الجوهرى ٣/١١٤٧ مادة (غلط).

(٦) أخرجه الطبراني ٣٨٩/١٩ وفي إسناده الشاذكوني، وهو مزكوك . وأحمد في المسند ٥/٤٣٥ . وانظر فتح الباري ١٣/٢٦٣ .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿هل تعلم له سمي﴾ .

(٨) سورة النجم الآية ٢٣ .

(٩) تفسير قوله تعالى : ﴿ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ الآية ٦٦ . قال (ز) : المراد به

﴿الإنسان﴾ بعضهم كما في بيت الفرزدق هذا :

** فسيّفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به ** نَبَا يَدِي ورفاء عن رأس خالد **

العموم، فقال : أراد الله بالإنسان العموم، ومعناه : يريد الله نسبة الشك والكفر إلى كل فرد فرد من أفراد الإنسان، وقد صرح بأن الناطق بكلمة الشك بعض الجنس، ففي عبارته خلل، والصحيح أن يقال : يحتمل أن يكون التعريف جنسياً، فيتناول العموم، والمراد الخصوص، ويحتمل أن يكون عهداً، فيكون في أول وهلة خاص . وقلت : ما لبس عليه إرادة العموم لما لا يحتملها، لأن دليل الخصوص عندهم مستقل بنفسه كما سبق في قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾^(١) فقوله : (يقول) لا يخص الإنسان، لأنه مسند به، بل يفيد . وما ذهب إليه بأمر ثالث، وفيه تهجير ما وجد في بني آدم من القول الشنيع نحو قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها ﴾^(٢) قال : خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم.

قوله : ((لا تقول : اليوم لزيد قائم))^(٣) لأن لام الابتداء تمنع ما بعدها عن العمل^(٤) فيما قبلها.

قوله : ((بفعل مضمر يدل عليه المذكور)) قال أبو البقاء^(٥) : [أنذا العامل فيها فعل دلّ عليه الكلام، أي : أبعث إذا، ولا يجوز أن يعمل فيها (أخرج) لأن ما بعد اللام وسوف لا يعمل فيما قبلها].

قوله ((لم تُجامعها إلا مخلصاً للتأكيد))^(٦) قال ابن الحاجب في الأمالي : هذه اللام لام تأكيد، وليست لام ابتداء، وإلا وجب أن يذكر معها الابتداء . فإن قيل : قدر المبتدأ

ومحل الشاهد تعميم بني عيس بالضرب، والضارب منهم واحد، وهو (ورقاء) كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان ﴾ وليس كل إنسان، وإنما المقصود جاحد البعث فقط.

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٨

(٢) سورة البقرة الآية ٧٢.

(٣) تفسير قوله : ﴿ إذا ﴾ قال (ز) : فإن قلت : بم انتصب (إذا) وانتصابه بـ (أخرج) تمتع لأجل اللام ((لا تقول : اليوم لزيد قائم)) .

(٤) في ب (من العمل).

(٥) أبو البقاء ١١٥/٢.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ لسوف أخرج حياً ﴾ قال (ز) : فإن قلت : لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، فكيف جمعت حرف الاستقبال ؟ قلت : ((لم تُجامعها ... الخ)) .

محذوفاً وأبقى اللام داخلية على الخبر، قلنا : إن اللام مع المبتدأ كـ (قد) مع الفعل و(أن) مع الاسم، فكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقى (قد) و(أن) فكذلك هذا، وهذا التقدير يخالف تقدير المصنف في سورة الضحى، حيث قدر، ولأنت ﴿ سوف يعطيك ﴾^(١) .

قوله : ((و ﴿ ما ﴾ في ﴿ أنذا ما ﴾ للتوكيد أيضاً، وذلك أن حروف الصلوات كلها وضعت لتوكيد مضمون الكلام، فقد ضمت مع اللام التوكيدي، ولذلك قال أيضاً.

قوله : ((أحقاً أنا سنخرج أحياء))^(٢) قال المرزوقي : قال سيويه : (أحقاً ؟ منصوب على الظرف، كأنه قال : أفي الحق ذلك، وإنما جاز لأنهم يقولون : أفي حق كذا أو في الحق كذا، فنصبوه على تلك الطريقة، والمعنى : أفي الحق أنا سنخرج أحياء، ونحوه : عندي إنك قائم، وإتيان ضمير الجماعة، وفي التنزيل مفرد إيذان بأن المراد بالإنسان الجنس.

قوله : ((خرج فلان عالماً، وخرج شجاعاً إذا كان نادراً)) الأساس^(٣) : [ومن المجاز خرج فلان في العلم والصناعة خروجاً إذا نبغ، وخرجه فلان فخرج . قال زهير يصف الخيل :

**** وخرجها صوارخ كل يوم ** فقد جعلت عرائكها تلين ****

أراد أنه أدبها كما يخرج المعلم المتعلم.

قوله : ((وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار)) يعني لما كان الوقت الذي تكون الحياة فيه منكراً هذا الوقت، قرن به حرف الإنكار، ويمكن أن يقال : دلّ إيلاء الظرف همزة الإنكار، وتقديمه على عامله أن الكلام في الظرف وأن المنكر وقت حياتهم

(١) سورة الضحى الآية ٥.

(٢) قال (ز) : فكأنهم قالوا ((أحقاً أنا سنخرج أحياء)).

(٣) الأساس ١٥٧ مادة (خرج).

بعد الموت، فكأنهم أنكروا مجيء وقت فيه حياة بعد الموت، يعني أن هذا الوقت لا يكون موجوداً، وهو أبلغ من إنكار الحياة بعد الموت، لما يلزم إنكاه على وجه برهاني.

قوله : ((أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه))^(١) وأنشد في معناه^(٢) :

**** أحين أتى أن أجتني ثمر الرضا ** أردّ إلى نزر من العيش يرضخ ****

قوله : ((الواو عطف ﴿ لا يذكر ﴾ على ﴿ يقول ﴾ ووسّطت همزة الإنكار، قال صاحب التقريب : [وفيه نظر، لأن الهمزة ليست من المعطوف لتقدمها عليه، ولا من المعطوف عليه، لتأخرها عنه، ولأنه كيف يدخل الإنكار على يقول مع تأخر الهمزة عنه، ولأنه يبطل صدريتها، فالأولى أن يقال : لا يذكر عطف على يقول مقدراً بعد الهمزة لدلالة الأول عليه ليرتفع الإشكال، وقلت^(٣) : قد سبق مراراً وأطواراً أن هذه الهمزة مقحمة لتأكيد الإنكار السابق، وأوردنا فيه كلاماً من جانب أبي إسحاق الزجاج . وقال القاضي^(٤) : [وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف مع أن الأصل أن يتقدمها لا يدلّ على أن المنكر بالذات هو المعطوف، وأن المعطوف عليه إنما نشأ منه، لأنه لو تذكّر وتأمل فيما أنكّر ما نشأ ذلك منه].

قوله : ((﴿ ولم يك شيئاً ﴾))^(٥) دليل على هذا المعنى. قال صاحب الانتصاف^(٦) : [إعادة المعدوم جائزة عقلاً واقعة نقلاً، ووافقت المعتزلة لكن زعموا أن المعدوم له ذات

(١) قال (ز) : فهو كفولك للمسيء إلى المحسن : ((أحين تمت ... الخ))

(٢) لم أقف على قائله.

(٣) (وقلت) من من ب.

(٤) القاضي البيضاوي ١٢/٤.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾. الآية ٦٧.

(٦) انظر الانتصاف مع الكشاف ٣٢/٣ بتصرف.

ومهما يوضح هذا المعنى من الإعادة والبعث قوله تعالى في سورة يس الآية ٧٨ : وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أو مرة وهو بكل خلق عليم ﴿ وقوله في سورة ق الآية : أفعينا بالخلق الأول بل هم في لبي من خلق جديد ﴾ وقوله في سورة الواقعة الآية ١٥ : ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ وقوله في سورة الروم الآية ٢٧ : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ومثل هذه الآيات كثيرة في القرآن.

ثابتة في العدم، وتسمى شيئاً، وليس عدماً صريحاً قبل الوجود^(١)، فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة خذهم الله في نفي إعادة المعدوم، والمطابق للآية معتقداً إذ النشأة الأولى لم يسبقها وجود، ولا كان المنشأ شيئاً بخلاف النشأة الثانية، فإنه سبق لها وجود، وكان شيئاً فظهر الفرق بين النشأتين، والمعتزلي إن قال : إن الأجسام يعدمها الله ثم يوجدها وهو حق لكن لا يتم عندهم فرق بين النشأتين، فإن المعدوم فيها كان شيئاً، وإن قالوا : لا تنعدم الأجسام، لكن تجتمع وتتفرق كما قال الزمخشري فقد أبعد واو مالوا إلى مهاوي الفلاسفة، وتفتن الزمخشري بأن القول بإعدام الأجسام وإعادتها يبطل الفرق بين النشأتين، فلم يطلقه، والقرآن قد نطق به فالنظم أن الأجسام لا تنعدم لتمييز له الفرق بين النشأتين، لأنها على هذا جمع وتأليف بخلاف الأولى، فإنها إيجاد، فهرب من القطر فوق وقع تحت الميزاب، والفرق بين النشأتين أن الأولى أصعب بالنسبة إلى قياس العقل إلا أن ذلك راجع إلينا وإلا فالكل إلى قدرته سواء].

قوله : ((تفخيم لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم))^(٢) يعني الإضافة إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله، ثم إذا ضمَّ معها القَسَمُ يزداد التفخيم، وأنه يمكن له مدخل في الإقسام به من الفضائل النابهة والكرامة الفائقة، ثم في إيراد هذا القسم بين السبب والمسبب تأكيد بليغ في شأن الوعيد، وذلك أنهم لما أنكروا الحشر بقولهم : ﴿أئذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ بعد معرفتهم أنهم لم يكونوا شيئاً فخلقهم وجعلهم بشراً سوياً، رتب عليه الوعيد على سبيل التوكيد بقوله : ﴿فوربك لنحشرنهم... الآية﴾.

(١) مذهب المعتزلة : أن المعدوم الممكن وجوده شيء مستلزم بقوله : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ قالوا : قد سماه الله شيئاً قبل أن يقول له : كن فيكون، وهو دليل على أنه شيء قبل وجوده، ولأجل هذا قال الزمخشري : لأن المعدوم ليس بشيء، أو ليس شيئاً يعتد به . وقوله جل وعلا : ﴿ولم تك شيئاً﴾ دليل على أن المعدوم ليس بشيء، وكذلك قوله في سورة النور الآية ٣٩ : ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ وقوله : ﴿أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ . والجواب عن استدلال المعتزلة بالآية : أن ذلك المعدوم لما تعلقت الإرادة بإيجاده تحقق وقوعه بالفعل، كقوله تعالى في سورة النحل الآية ١ : ﴿أتى أمراً﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾ ٦٨ مريم .

قال (ز) : في إقسام الله باسمه تقدست أسماءه مضافاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ((تفخيم ... الخ))

قوله : ((يعتلون))^(١) الأساس^(٢) : [عتله إذا أخذ في تلبيه فجرّه إلى حبس ونحوه
﴿ خذوه فاعتلوه ﴾^(٣)].

قوله : ((المناقلات))^(٤) الأساس^(٥) : [ومن المجاز ناقل الشاعر الشاعر ناقضة،
ورجلٌ نَقِلٌ وذو نَقَلٍ إذا كان جَدِلاً] وفي الأساس^(٦) : [دَهِمْتَهُم الخيل غشيتهم].
قوله : ((وإطلاق الحبا))^(٧) كناية عن خلاف الطمأنينة، ولذلك عطفه عليه على
سبيل التفسير.

قوله : ((وإن فسّر بالعموم)) وما يشعر بأن إرادة الخصوص أولى يأتيان (إذ)
للتحقيق في القسم الأول، وأنّ للشك في الثاني، ولأن الضمير في : ﴿ لنحشرنهم ﴾
عائد إلى الإنسان المنكّر للبعث في قوله : ﴿ أولاً يذكر الإنسان ﴾ لأنه مظهر وضع
موضع المضمر، لأن المراد منه الإنسان المذكور في قوله : ﴿ ويقول الإنسان أنذا ما متّ
لسوف أخرج حياً ﴾ .

قوله : ((على أن ﴿ جنيا ﴾ حال مقدر)) يعني أن قوله : ﴿ لنحضرنهم حول
جهنم جنيا ﴾ إذا فسر بالخصوص أي بالكفار فيكون حالاً غير مقدرة لاستمرار
جنّوهم^(٨) من المحشر إلى شاطئ جهنم، لأن أهل المحشر كلّهم يجثون على ركبهم قلقاً
واضطراباً أو قلة طاقة وعجزاً. وإذا فسر بالعموم كان حالاً مقدرة، لأن غير الكفار لا

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ عتيا ﴾ .

(٢) الأساس ٤٠٨ مادة (عتل).

(٣) سورة الدخان الآية ٤٧

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ حول جهنم جنيا ﴾ قال (ز) : جثا على ركبهم غير مشاة على أقدامهم،

ووصفوا بالجنّي، كما قال تعالى في سورة الجاثية الآية ٢٨ : ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ على العادة المعهودة في

مواقف المناقلات ((والمنقلات)) من تجاثي أهلها على الركب . أو لما ((يدهمهم)) من شدة الأمر.

(٥) الأساس ٦٥٣ مادة (نقل).

(٦) الأساس ١٩٩ مادة (وهم).

(٧) تفسير قوله : ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ قال (ز) : على العادة المعهودة ((لما في ذلك الإستيفاز والقلق

((وإطلاق الحبا))

(٨) (جنّهم) في م وغير صواب، لأنّ الواو.

يستمر جثوهم^(١) إلى الإحضار إلى شاطئ جهنم، بل أنهم بعد الجثو في المحشر يمشون إلى شاطئ جهنم بأرجلهم، ثم عند الإحضار يمشون، دلّ على هذا التقدير عطف ثم ﴿لنحضرنهم﴾ على ﴿لنحشرنهم﴾ وأنه لا بدّ من الجثو في المحشر لقوله : ﴿ترى كلّ أمة جاثية﴾^(٢) .

قوله : ((الطائفة))^(٣) أي : تبعث غاويّاً قاله بناء على العرف، وإلا فالشيعة لغة الأتباع. الجوهري^(٤) : [شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، وكلّ قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأيّ بعض فهم شيع].

قوله : ((ويجوز أن يريد بـ ﴿أشدّهم عتياً﴾ رؤساء الشيع)) يريد أن أيهم أشدّ، يجوز أن يحمل على الاستفهام، فيفيد العموم في الجنس باعتبار أفراده، فالمعنى يمتاز من كلّ طائفة أعصاهم فأعصاهم^(٥) ، والمراد بـ ﴿الذين هم أولى بها صلياً﴾ المنتزعون إما باعتبار الترتيب السابق، كما يقال : يقدم أولاهم للعذاب فأولاهم، أو باعتبار المجموع، كما قال : ((المنتزعين كما هم)) فيكون قوله : ((أو أراد بالذين)) عطفاً على قوله : ((فإذا اجتمعوا)) فوضع المظهر موضع المضمّر، وأن يحمل على الموصولة، ويكون التعريف للعهد، والإشارة به إلى اشخاص معينين وهم الرؤساء.

قوله : ((واختلف في إعراب : ﴿أيهم أشدّ﴾)) قال ابن الحاجب في الأمالي : مذهب الخليل أنه مرفوع على الحكاية، أي : لنترعن الذي يقال فيه أيهم أشدّ، فعلى هذا

(١) (جثيهم) في م.

(٢) سورة الجاثية الآية ٤٧.

(٣) قال (ز) : الشيعة الطائفية التي شاعت، أي : تبعث غاويّاً من الغواة، قال تعالى : ﴿إن الذين فرقوا

دينهم وكانوا شيعاً﴾.

(٤) الجوهري ١٢٤٠/٣ مادة (شيع).

(٥) الظاهر أن الرؤساء والقادة في الكفر يعدّون قبل غيرهم، ويشدّد عليهم أكثر من غيرهم، وبدل لذلك

قوله تعالى في سورة النحل الآية ٨٨ : ﴿الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسقون﴾ وقوله في سورة العنكبوت الآية ١٣ : ﴿وليحملن أثقافهم وأثقالاً مع أثقافهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ وقوله في سورة النحل الآية ٢٥ : ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ .

﴿أيهم أشد﴾ استفهامية، ولذلك قدر القول ليصح وقوع الاستفهام بعده. ومذهب سيويه أن ﴿أيهم﴾ مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب، فقليل: أيهم هو أشد، فعلى هذا هي موصولة بمعنى الذي منصوب مفعول ﴿لننزعن﴾ هذا هو الصحيح^(١)، لأنه يلزم من قول الخليل إما حذف أشياء كثيرة، أو حذف الصلة والموصول، فهو بعيد. وأيضاً القول الذي يصح حذفه قول مفرد غير واقع صلة الموصول نحو قوله تعالى: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾^(٢) إلى غيرها، ولأن المعنى لا يستقيم إلا أن يقدر الذي يقال فيه أيهم هو أشد، وليس والكلام على ذلك، ولأن الاستفهام لا يقع إلا بعد أفعال العلم أو القول على الحكاية ﴿وننزعن﴾ ليس من أفعال العلم^(٣). فإذا قلت: ضربت أيهم قام، فالوجه أن يقال: إن أيهم موصوله لا أن يقال: ضربت الذي يقال فيه أيهم قام، وإنما لم يقع الاستفهام إلا بعد أفعال العلم أو القول، لأن القول يحكي بعده كل شيء، وأفعال العلم إنما وقع بعدها الاستفهام لأحد أمرين. إما لكون الاستفهام مستعلماً به، فإذا قلت: زيد ~~عندك~~ أم عمرو؟ كأنك قلت: أعلمني أيهما عندك. فإذا قلت: علمت أزيد عندك أم عمرو؟. كان معناه علمت ما يطلب به إعلامك فبين الاستفهام والعلم اشتراك في هذا. وإما لكثرتها في الاستعمال فجعل لها شيان في الكثرة ليس لغيرها كما جعل لها خصائص في غير ذلك، ولم يكثر غيرها كثرتها، وأجيب عن قوله: ((يلزم منه حذف أشياء كثيرة)) أن أمثال هذا الحذف من حلية التنزيل الذي هو معدن البلاغة على التقدير، ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ المقول في حقة أيهم أشد، وعليه قراءة ابن عباس: ﴿ولقد نجينا

(١) هذا الذي ذهب إليه سيويه، وقال الطيبي أنه هو الصحيح، هو الذي عقده ابن مالك في الخلاصة

بقوله:

**** أي كما وأعربت ما لم تُضفْ **** و صدر وصلها ضمير ان حذف **

يعني أن مذهب سيويه ومن تبعه أن لفظة (أي) موصولة وأنها مبنية على الضم إذا كانت مضافة، و صدر صلته ضمير محذوف، كما هنا. وبعضهم أعربها مطلقاً.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٣.

(٣) (العلم) س من ب والصواب ما في غيره.

بني إسرائيل من العذاب المهين . من فرعون ﴿١﴾ على الاستفهام صفة للعذاب، أي المقول في حقه من فروع . وأنشد الزجاج (٢) :

**** ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ** فأبيت لا حرج ولا محروم **** (٣)

أي : فأبيت بمنزلها الذي يقال لها : لا هو حرج ولا محروم . وهذا هو الجواب أيضاً عن قوله : وإنما القول الذي يصح حذفه قول مفرد عن قوله : إنما لم يقع الإستفهام إلا بعد القول . وأما قوله : وليس الكلام على ذلك، فمن المقلوب، ذكر أبو إسحاق الزجاج (٤) بعد ما حكى قول الخليل وسيبويه ويونس والذي اتهمه أن القول في هذا قول الخليل، ثم لنزعه الذي يقال لهم : أيهم أشد على الرحمن وتأويله، ﴿ثم لنزعه من كل شيعة﴾ الذي من أجل عتوه، يقال له : أي هؤلاء أشد عتياً، فيستعمل ذلك في الأشد، وقال : كأنه يُبتدأ بالتعذيب لأشدهم عتياً، ثم الذي يليه وهو أوفق للتفسير . وروى محي السنة عن مجاهد (٥) : [يريد الأغنى فالأغنى] وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدّم الأكره فالأكره، وعليه الوجه الأول من كلام المصنف ((يمتاز من كل طائفة من طوائف الغني)) أعصاهم فأعصاهم)) (٦) وعليه ينطبق قوله تعالى : ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾ لأن المنعى على ما قال : تقديم أولاهم بالعذاب، فأولاهم على الترتيب، ولا يستقيم مثل هذا المعنى في الوجه الثاني.

قوله : ((ويجوز أن يكون النزاع واقعاً على : ﴿من كل شيعة﴾)) أي : يكون من كل شيعة مفعولاً به لقوله ﴿لنزع﴾ أي : لنزع عن بعض كل شيعة كقوله :

(١) سورة الدخان الآية ٣٠ .

(٢) الزجاج ٣/٣٣٩ .

(٣) وهذا البيت للأخطل كما هو في خزنة الأدب ٥٥٣/٢ وابن يعيش ١٤٦/٣ .

(٤) الزجاج ٣/٣٤٠ .

(٥) محي السنة البغوي ٥/٢٤٥ .

(٦) من طوائف (أهل) الغني . ما بين القوسين في م .

(٧) انظر الدر المنثور ٥/٥٣٣ .

﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ كما سبق وروى الزجاج^(١) عن يونس : [أن قوله :
﴿ لننزعن ﴾ معلقة لم تعمل شيئاً، وأوله الزجاج بقوله ثم : ﴿ لننزعن من كل شيعة ﴾ ثم
استأنف فقال أيهم ﴾ قال أبو علي : [مراد يونس أن الفعل معمل في موضع من ﴿ كل
شيعة ﴾ ولا يريد به أنه غير معمل في شيء البتة. والدليل عليه قوله معلقة، والمعلق
يستعمل في الموضع دون اللفظ، ألا تراهم قالوا في علمت : أزيد في الدار ؟. أن الفعل
معلق، وهو معمل في موضع الجملة . وقال الكسائي : أي أن قوله : ﴿ لننزعن من كل
شيعة ﴾ كقولك : أكلت من طعام، فأيهم منطقعة مستأنفة، فهو كقول يونس . فإن
قلت : لم زعم يونس أنه إذا حذف العائد من الصلة، وجب البناء على الضم ؟. قلت :
لأن الصلة تبين الموصول وتوضحه، كما أن المضاف إليه يبين المضاف ويخصه كما أنه
لما حذف المضاف إليه من الأسماء التي بينها بالإضافة، يبنى كذلك هذا . والأمر الجامع
كونهما موضحين ومبينين. تم كلام أبي علي [وقال أبو البقاء^(٢) : [إنما بنيت ههنا لأن
أصلها البناء لأنها بمنزلة الذي و(من) من الموصولات إلا أنها أعربت حملاً على كل أو
بعض، فإذا وصلت بجملة تامة بقيت على الإعراب، وإذا حذف العائد بنيت لمخالفتها
بقية الموصولات، فرجعت إلى حقها^(٣) من البناء لخروجها عن نظائرها وموضعها نصب
بنزع].

قوله : ((وعن معاذ الهراء^(٤)) ، قال الأنباري : هو أبو مسلم معاذ الهراء من موالي
محمد بن كعب القرظي، أخذ عنه الكسائي، وأخذ عن الكسائي، ونسب الزجاج^(٥) هذه

(١) الزجاج ٣/٣٣٩.

(٢) أبو البقاء ٢/١١٥.

(٣) في م (أصلها) بدل حقها. وفي أبي البقاء (إلى حقها) كما في باقي النسخ.

(٤) معاذ الهراء أبو مسلم أديب معمر، له شعر من أهل لكوفة، عرف بالهراء لبيعته الثياب الحرورية، ولد سنة

١٨٧ . الأعلام ٧/٢٥٨ ووفيات الأعيان ٢/٩٩.

(٥) الزجاج ٣/٣٣٩.

القراءة إلى هرون^(١) الأعور، ونقله عن سيويه، قال أبو البقاء^(٢) : ﴿أيهم أشد﴾ يقرأ بالنصب شاذاً^(٣) والعامل فيه : ﴿لنزعن﴾ وهي بمعنى الذي .

قوله : ((فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه)) لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه.

قوله : ((هما للبيان))^(٤) لقوله تعالى : ﴿لرؤيا تعبرون﴾ كأن سائلاً سأل من عتوا قيل : ﴿على الرحمن﴾ وبأي شيء صليهم قيل النار.

قوله : ((فإن أريد الجنس كله))^(٥) يجوز أن يكون تفريراً على الوجهين وتفصيلاً لكل من القولين، إما على الالتفات، فالمراد بالإنسان هو الذي ذكر عنه قوله : ﴿ويقول الإنسان أنذا ما متّ لسوف أخرج حياً﴾ وهو على ما فسر، يجوز أن يراد به الجنس، وأن يراد به بعض الجنس وهم الكفرة، والالتفات لازم لما ذكر بُعيد هذا من قوله : ((وإن أريد الكفار خاصة)) وإما أن يراد به ابتداء كلام ولا التفات فيه، ولا يلتفت إلى الإنسان المذكور من قبل، فالمخاطبون كل من يصلح أن يخاطب لعظم الخطب، ولذلك عدل من الإنسان إلى الناس، فالفاء في قوله : فإن أريد الجنس تفصيلية . قال صاحب الانتصاف^(٦) : [احتمال الالتفات مفرغ على إرادة العموم من الأول حتى يتحد المخاطبون، إلا أنهم ذكروا أولاً بلفظ غيبة، وثانياً بلفظ حضور، وإن أردنا بالأول الخصوص لم يكن التفاتاً بل عدولاً إلى خطاب العامة عن خطاب الخاصة المعينين، غير مسلم، لأنه التفت فيه . قلت : قوله ((وإن أردنا بالأول الخصوص لم يكن التفاتاً غير

(١) هارون الأعور بن موسى العتكي البصري، أزدي بالولاء، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم أبي النجود . مات قبل المتين . غاية النهاية ٣٧٦٣ .

(٢) أبو البقاء ١١٥/٢ .

(٣) ذكرت هذه القراءة في شواذ القرآن ٨٦ قال : ﴿أيهم أشد﴾ بفتح الياء، معاذ بن مسلم الهراء، أستاذ الفراء، وطلحة بن مصرف .

(٤) يعني الباء من قوله : ﴿بالذين هم﴾ و(على) من قوله : ﴿على الرحمن﴾ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ قال (ز) في قوله : ﴿وإن منكم﴾ التفات إلى الإنسان، أو خطاب للناس من غير التفات ((فإن أريد الجنس كله)) .

(٦) مع الكشف ٣٤/٣ .

مسلم)) لأنه التفت فيه عن جماعة غائبين إلى الخطاب لهم . وأما العدول إلى خطاب العامة عن خطاب الخاصة فليس بمختصّ بمعين، بل هو مطلق، لأن ﴿ وإن منكم ﴾ حينئذ ابتداء كلام . وأما بيان الترتيب فإنه تعالى لما حكى عن جنس الإنسان أنه قال : ﴿ أنذا ما متّ لسوف أخرج حياً ﴾ ثم أنكر عليه بقوله : ﴿ أولاً يذكر الإنسان ... الآية ﴾ في أنه يعاند ولا يلتفت إلى البرهان القاهر، ولا يذكر خلّقه من قبل، ووضع المظهر وهو الإنسان موضع المضمّر ليؤذن بحقارته ودناءته وأن إعادة مثله لا يؤبأ بها، ولهذا صرح بقوله : ﴿ ولم يك شيئاً ﴾ ثم أقسم على تحقيق الإعادة بقوله : ﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾ وأكدّه وفصله أتى^(١) بقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردةا مخاطباً للإنسان بعد الحكاية عنه، اعتناء بشأن الإعادة وتقريراً لتحقيق ما أقسم عليه، وأن لا بدّ من إبرار القسم ولا غنى عنه، ثم أردفه بقوله : ﴿ كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ تمييزاً لمعنى القسم . ويمكن أن يحمل على هذا تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه بتحلّة القسم في قوله : (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلّة القسم . أخرجه البخاري ومسلم ومالك والترمذي عن أبي هريرة^(٢) . النهاية^(٣) : [أراد بتحلّة القسم ﴿ وإن منكم إلا واردةا ﴾ كما يقال : ضربته تحليلاً إذا لم تبلغ في ضربه، وهو مثل في القليل المفرط^(٤) ، وهو أن يباشر من الفعل الذي يقسم عليه المقدار الذي يُبرُّ به قسمه .

(١) (أتى) س من م .

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٥٤١/١١ كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ برقم ٦٦٥٦ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأيضاً في الجناز برقم ١٢٥١ . ومسلم ٢٠٢٨/٤ كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحسبه برقم ٢٦٣٢ . والترمذي ٣٧٤/٣ كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً برقم ١٠٦٠ . ومالك في الموطأ ٢٣٥/١ كتاب الجنائز، باب الحسبة في المصيبة برقم ٣٨ .

(٣) النهاية ٤٢٩/١ مادة (حلل).

(٤) المفرط (في القلة) ما بين التوسين في م ، ب وهو الصواب .

قوله : ((وهي جامدة))^(١) وروي جامدة، أي : باردة أو ساكنة لا تعمل .
 الأساس^(٢) : [رجل جامد الكف بخيل، وهو جامد العين، ولا زلت أضربه حتى جمد] .
 الجوهري^(٣) : [جمد الماء يجمد جمداً وجموداً أي : قام، وكذلك الدم وغيره إذا ييس] .
 قوله : ((إهالة))^(٤) الأساس^(٥) : [هو الودك وكل من الأدهان يؤتدم به كالزيت
 والحلا بالحاء المهملة] .

قوله : ((دواية)) الأساس^(٦) : [يقال : ما على لبتك دواية، وهي جلدة تعلوا
 المرق والماء الراكد] شبه النار وحرارتها بالنسبة إلى المؤمنين بحرارة الإهالة والدواية مع
 دسمها ونعومتها ليشير إلى السلامة المقرونة بالنعومة، فإن الجمود وإن دلّ على السلامة
 لكن لم يعلم منه النعومة فكلمة (بها) كقوله تعالى : ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على
 إبراهيم ﴾^(٨) فإنه لو اقتصر على كونها سلاماً لم يعلم معنى البرودة، وهو الإيناس بها .

قوله : ((حتى أن للنار ضجيجاً من بردها)) روي في مسند أحمد بن حنبل^(٩) عن
 أبي سمية، فقد اختلفنا في الورود، فمن قائل : لا يدخلها مؤمن، ومنهم من يقول :
 يدخلونها جميعاً ﴿ ثم ينجي الله الذين اتقوا ﴾ فسألنا جابراً عن ذلك، فأهوى بإصبعه
 إلى أذنيه وقال : صُمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الورود
 الدخول لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً، كما كانت
 على إبراهيم، حتى إن لجهنم ضجيجاً من بردهم ﴿ ثم ينجي الله الذين اتقوا ونذروا

(١) يعني أن النار يوردها المؤمنون ((وهي جامدة)) وتنهار بغيرهم .

(٢) الأساس ٩٨ مادة (جمد)

(٣) الجوهري ٤٥٩/٢ مادة (جمد) .

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يَرُدُونَهَا كَانْهَا ((إهالة)) وروي ((دواية)) .

(٥) الأساس ٢٥-٢٦ مادة (أهل) .

(٦) الأساس ١٩٩ مادة (دوى) .

(٨) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

(٩) المسند ٣/٣٢٩ .

الظالمين فيها جثيا ﴿١٠﴾. قال محي السنة (١٠) : [وفي الحديث تقول النار للمؤمن (١١) : (جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي)].

قوله : ((الحمى من فيح جهنم)) وقامه : فأبردوها بالماء . أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها (١٢). النهاية (١٣) : [الفيح سطوع الحر وفورانه].

قوله : ((قرئ ﴿نجي﴾ (١٤))) بالتخفيف الكسائي والباقون بالتشديد، والقراءتان شاذتان (١٥).

قوله : ((فمعنى ﴿ثم نجي الذي اتقوا﴾ أن المتقين يساقون إلى الجنة، عقيب ورود الكفار)) يعني : إذا جعل الورود للكفار خاصة، ينبغي أن يفسر (ننجي) بالسوق ليتقابلا لقوله تعالى : ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾ (١٦) وقوله : ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾ (١٧) وعلى الأول قوله : ﴿ننجي الذين اتقوا﴾ مقابل لقوله : ﴿ونذروا الظالمين فيها جثيا﴾ لأنها برمتها بمعنى الهلاك . فإن قلت : إذا كانت الآية من

(١٠) محي السنة البغوي في تفسيره ٢٤٩/٥.

(١١) الحديث رواه أبو نعيم في الحلية ٣٢٩/٩ . والخطيب في تاريخ بغداد ١٩٤/٥ ، ٢٣٣/٩ وفي سننه

سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف

(١٢) أخرجه البخاري مع الفتح ١٧٤/١٠ كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم برقم ٥٧٢٢ .

ومسلم ١٧٣١/٤ كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما برقم ٢٢٠٩ وعائشة برقم ٢٢١٠ . والترمذي ٣٥٣/٤ كتاب الطب، باب ما جاء في تبريد الحمى بالماء برقم ٢٠٤٧ .

(١٣) النهاية ٤٨٤/٣ مادة (فيح).

(١٤) قرأ ﴿نجي الذين﴾ بالتخفيف من أنجي الكسائي ويعقوب، والباقون بالتشديد من نجت . الإتحاف

٣٠٠ . والسبعة لابن مجاهد ٤١١ .

(١٥) قوله : (القراءتان شاذتان) ليس بصحيح، وإنما هما سبعتان، كما بينا . إلا إذا كان يقصد (ثم) يفتح

الثاء ابن عباس والجلدري وابن أبي ليلى، و(ثم) ابن أبي ليلى أيضا، وهاتان القراءتان شاذتان قطعاً . شواذ القرآن لابن خالويه ٨٦ .

(١٦) سورة الزمر الآية ٧١ .

(١٧) سورة الزمر الآية ٧٣ .

التقابل^(١) فلم خولف بين قوله : ﴿الذين اتقوا﴾ وقوله : ﴿الظالمين﴾ ؟. قلت : ليؤذن بترجيح جانب الرحمة، وبأن التوحيد هو المنجي، والإشراك هو المردى، فكأنه قيل : ثم ننجي من وجد منه تقوى ما هو إلا احتراز من الشرك، ونهلك من اتصف بالظلم، أي : بالشرك، ويثبت عليه قال تعالى : ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾^(٢) أي : الذين وجدتم منهم الظلم، ولم يقل : الظالمين، وفي إيقاع (نذر) مقابلاً لقوله (ننجي) اللطيفة أيضاً . قال الراغب^(٣) : [يقال : فلان يذر الشيء أي : يقذفه لقلّة اعتداده به ﴿قالوا أجبنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾^(٤) والوذرة قطعة من اللحم، وسميت به لقلّة الإعتداد بها نحو قولهم فيما لا يعتدّ به : هو لحم على وضم^(٥) . فإن قلت : إن يراد عنكم ضمير^(٦) جنس الإنسان رواية ودراية . أما الرواية : فكما سبق، وأما الدراية فإن (ننجي) إذا ترك على ظاهره ليقع مقابلاً لنذر كما سبق، ويكونان كالتفصيل لقوله : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ على إرادة الجنس، كان أحسن من التأويل وفقدان التفصيل . فإن قلت : موقع (ثم) في قوله : ﴿ثم ننجي﴾ على ذلك الوجه أحسن، لأنها حينئذٍ لبيان التفاوت بين ورود الكافرين النار وسوق المتقين إلى الجنة، وأن أحدهما للإهانة، والآخر للكرامة . قلت : وعلى هذا الوجه ينبنى على التفاوت بين فعل الخلق، وهو ورودهم النار، وفعل الحق سبحانه وهو النجاة والدمار زماناً ورتبة.

(١) التقابل، هو المقابلة، وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها . انظر كتاب ابن القيم الفوائد المشرق إلى علوم القرآن . وعلم البيان ١٤٧ . وقال الطيبي في كتابه البيان : هي أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما ٣٤٦.

(٢) سورة هود الآية ١١٣ .

(٣) الراغب ٥١٨ مادة (وذر).

(٤) سورة الأعراف الآية ٧٠ .

(٥) (الوضم) يقال : أوضمت اللحم جعلت له وضماً، وهو كل ما وقى به من الأرض من خشبة أو

خصفة . الأساس للزمخشري ٦٨٠ مادة (وضم).

(٦) في م : إن يراد بـ منكم ضمير، بدل عنكم.

قوله : ((دليل على أن المراد بالورود الجثو حوالها)) يعني سبق أن المراد بالجثو إما الدخول أو الجواز على الصراط أو القرب والدنو من جهنم أو الجثو حولها، والذي يدل على ظهور الوجه الأخير قوله : ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ لما قلنا : إن (ننجي) و (ونذر) تفصيل لقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فإذا قيل : ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ بمعنى نتركهم على ما كانوا عليه، علم أن حال المتقين بخلافه، فيلزم اشتراكهم في الجثو . ولا بدّ على هذا الوجه من تقدير مضاف، أي : نذر الظالمين في حول جهنم جثياً، ويؤيده أيضاً قوله : ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾.

قوله : ((أو ظاهرات الإعجاز))^(١) عطف على قوله : ((مرتلات الألفاظ)) وعلى الأول : ﴿ بينات ﴾ من بان الشيء عن الشيء انفصل وانقطع، وعلى الثاني من بان الشيء بياناً ظهر. الأساس^(٢) : [بان الشيء عنه بيناً وبينونة وباينة مباينه] فقوله : ((مرتلات الألفاظ)) اعتبارها بحسب الفصاحة. وقوله : ((ملخصات المعاني)) بالنظر إلى البلاغة . وقوله : ((مبيّنات المقاصد)) بالنسبة إلى الأصول والفروع، لأن المعنى إما نصّ ملخص، فهو المحكمات، وإما مؤول مبين مقاصده فهو المتشابهات التي تبعها البيان، إما بالقرآن أو بالسنة. والسنة إما قول الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره.

قوله : ((والوجه أن تكون حالاً مؤكدة)) يعني : (بينات) يحتمل أن تكون حالاً منتقلة من آياتنا، وأن تكون مؤكدة لمضمون الجملة . والوجه الثاني أوجه وإن لم تكن الجملة عقدها من اسمين، لأن المعنى عليه كقوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ﴾^(٣) وإما بيان النظم، فإنه تعالى لما حكى عن المشركين طعنهم في البعث والحشر بقوله : ﴿ ويقول الإنسان

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا آي الفريقين خير

مقاماً وأحسن ندياً ﴾ مريم الآية ٧٣. تفسير قوله تعالى : ﴿ بينات ﴾.

(٢) الأساس ٥٨ مادة (بين)

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨.

إنذا ما متّ لسوف أخرج حياً ﴿١﴾ وأجابهم ذلك الجواب العتيد، شرع في طعنهم في القرآن المجيد. وقال : ﴿٢﴾ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا ... الآية ﴿٣﴾.

قوله : ((يتندون)) ﴿٤﴾ الأساس ﴿٥﴾ : [وانتدوا وتنادوا تجالسوا] الراغب ﴿٦﴾ : [النداء رفع الصوت وظهوره، وقد يقال للصوت المجرد، كقوله تعالى : ﴿٧﴾ كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءاً ونداءً ﴿٨﴾ أي : لا يعرف، أي : الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام، ويقال للمركب الذي يفهم منه المعنى ذلك كقوله تعالى : ﴿٩﴾ وإذ نادى ربك موسى ﴿١٠﴾ وقوله : ﴿١١﴾ وإذا ناديتم إلى الصلاة ﴿١٢﴾ أي : دعوتهم. ونداء الصلاة مخصوص بالألفاظ المعروفة، وأصل النداء من الندى أي : الرطوبة، يقال : صوت ندى رفيع . واستعارة النداء للصوت من حيث إنه يكثر رطوبة فمه، حسنُ كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق، يقال : ندى وأنداء وأندية، ويسمى الشجر ندى لكونه منه، وعبر عن المجالسة بالنداء حتى قيل للمجلس: النادي والمنتدى والندى، وقيل ذلك للجلوس قال تعالى : ﴿١٣﴾ فليدع ناديه ﴿١٤﴾ ومنه سُميت دار الندوة بمكة، وهو مكان يجتمعون فيه، ويعبر عن السخاء بالندى، فيقال : أندى كفاً، من فلان ويتندى على أصحابه، أي : يتسخى، وما نديتُ بشيء من فلان، أي : ما نلت منه ندى].

(١) سورة مريم الآية ٦٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿٣﴾ ندياً ﴿٤﴾

(٣) الأساس ٦٢٦ مادة (ندى).

(٤) الراغب ٤٨٦ مادة (ندا)

(٥) سورة البقرة الآية ١٧١.

(٦) سورة الشعراء الآية ١٠.

(٧) سورة المائدة الآية ٥٨.

(٨) سورة العلق الآية ١٧.

وإبدال وحذف. قال ابن جني^(١) : [قرأ طلحة : ﴿ورياً﴾ خفيفة بلا همز، وقرأ : ﴿وزياً﴾ بالزاي سعيد بن جبير، والنظر من ذلك في ﴿ورياً﴾ وهو في الأصل فَعْلٌ بكسر الفاء وضم العين من رأيت، فأصله رثياً كَرْعياً على قراءة أبي عمرو وغيره، أريد تخفيف الهمز فأبدلت الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم أدغمت الياء المبدلة من الهمزة في الياء الثانية التي هي لام الفعل، فصارت ﴿رثياً﴾ . ويجوز أن يكون من رويت، قال أبو علي : لأن للريان نضارة وحسناً . وأما ﴿رياً﴾ مخففة غير مهموزة فتحتمل أمرين . أحدهما : أن تكون مقلوبة من فَعْلٍ إلى فِلْعٍ، فصارت في التقدير : ﴿رثياً﴾ ثم خفف فحذفت الهمزة وألقت حركتها على الياء فصارت ﴿رياً﴾ .
وثانيهما : أن يكون ﴿رياً﴾ من رويت، ثم خففت بحذف إحدى اليائين، وينبغي أن تكون المحذوفة الياء الثانية لأنها هي المكورة، وبها وقع الاستئصال، ولأنها لام وقد كثر حذف اللام حرف^(٢) علة كمائة ورثة وفئة . وأما (الرَّيُّ) بالزاي ففَعْلٌ من زَوَيْتُ، وذلك أنه لا يقال لمن له شيء واحد من آله زِيٌّ حتى تكثر آله المستحسنة، فهي إذا من فزويت، أي : جمعت من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (زُوَيْتَ لِي الْأَرْضُ) أي : جمعت فأصلها زَوَى بكسر الزاي وسكون الواو، فقلبت على ما مضى، وأدغمت في الياء].

قوله : ((﴿أولم نعمركم ما يتذكر﴾^(٣) أي عمّرناكم العمر الذي يتذكر فيه من يتصدى للتذكير . قال مجاهد : هو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم . روي في صحيح البخاري^(٤) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أعذر الله إلى امرئ

(١) المختص لابن جني ٤٣/٢ - ٤٤ بتصرف.

(٢) اللام (لأنها) حرف ما بين القوسين في م. وهو الصواب.

(٣) سورة فاطر الآية ٣٧.

تفسير قوله تعالى : ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً﴾ الآية ٧٥.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٣٨/١١ كتاب الرقائق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في

العمر لقوله تعالى : ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ الآية برقم ٦٤١٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

آخر أجله حتى بلغه ستين سنة) النهاية^(١) : [أعذر الله إلى امرئ، أي : لم يبق فيه موضعاً للاعتذار، حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر، يقال : أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر].

قوله : ((أو كقوله)) عطف من حيث المعنى على قوله : ((ليقطع معاذير الضال)) أي : أخرج على لفظ الأمر ليقطع معاذير الضالّ كقوله : ﴿ أولم نعمركم أو ليكون مبالغة في إرادة ازدياد الضلالة كقوله تعالى : ﴿ إنما غلبي لهم ليزدادوا إثماً ﴾^(٢) أي : ما غلبي لهم إلا لهذا.

قوله : ((أو ﴾ من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدأ ﴾ في معنى الدعاء . وفي بعض النسخ فمد له الرحمن في معنى الدعاء، هو عطف على قوله : ((مد له الرحمن)) فإن قلت : الأمر والداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة قوله : ﴿ قل من كان في الضلالة ﴾ فعلى التقديرين دعاء لا أمر. قلت : كل من الأمر والدعاء يقتضي الإنشاء، وأن لا يكون المطلوب حاصلًا لكن الدعاء طلب ما يتوقع حصوله، والأمر طلب الإيجاد على الفور، وهو أقرب إلى التحقيق، وتقديره : قل لهم : قولي لك فليمدد له الرحمن . وفيه معنى التجريد لأنه تعالى أمر به نفسه على سبيل الغيبة، وفي تخصيص ذكر الرحمن تتميم وتربية بمعنى الاستدراج والإمهال كقوله تعالى : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم إن كيدي متين ﴾^(٣) فلمّا أريد في الوجه الأول الإخبار عن الحصول قطعاً قال : أخرج على لفظ الأمر، ولهذا صرح بالماضي حيث قال : أي : مد له الرحمن، وفائدته : تصوير تلك الحالة الماضية، وعدم انقطاعها وقتاً فوقتاً، وأتى في الثاني بالمضارع، وهو أن يمهله الله تعالى.

(١) النهاية ١٩٦/٣ مادة (عذر).

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٨.

(٣) سورة القلم الآية ٤٤-٤٥.

قوله : ((وينفس في مدة حياته))^(١) الأساس : [ومن المجاز وأنت في نفس من أمرك في سعة . وتنفس النهار طال، وتنفس به العمر وبلغك الله أنفس الأعمار].

قوله : ((في هذه الآية، أي : قوله : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ قوله : ((الآية التي هي رابعها))، أي : بالآية التي هذه الآية رابعة تلك الآية وهي قوله : ﴿ وإذا تتلى عليهم ﴾ قوله : والآيتان ﴿ كم أهلكنا ﴾ ﴿ وقل من كان ﴾ . وأما بيان وجه الاعتراض فهو أن مضمون الآيتين الإنكار على الكفرة في أنهم حين تتلى عليهم آيات الله ليهتدوا بها للإيمان يفتخرون بالخطوط الدنيوية ويرجحونها على السعادة الأخروية، فأكد هذا المعنى بقوله : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم ... إلى قوله : ﴿ فليمدد له ﴾ وظهر من هذا أن حمل قوله : ﴿ فليمدد ﴾ على الأمر للاستمرار أولى من الدعاء، وتصريح قل لبيان الاهتمام وأن سنة الله جارية على هذا، وأما إذا اتصل (حتى)^(٢) بقوله : ﴿ من كان في الضلالة فليمدد ﴾ فيكون قوله : ﴿ قل من كان في الضلالة ﴾ أمر بالجواب عن قولهم : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴾ معنى أنكم تفتخرون على الفقراء بما نلتهم من الخطوط الدنيوية وترغمون أنها كرامة من الله، وما تدرون أن ذلك استدراج وإملاء وإمهال، فتزدادوا بها إثماً فيأخذكم عذاب الاستئصال في الدنيا وعذاب النار في العقبى، فيكون قوله : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾ معترضة، وإنما لم يقل : خير أثاثاً كما قيل في الفواصل الثلاث اللاتي هذه الجملة معترضة فيها، لأن ما عليه المشركون شرُّ كلِّه، ولا يليق بمظاهر حالهم إلا أن يقال : (أحسن) وإنما أتى في الفاصلة الأخيرة بالخير للمشاكلة ومطابقة الجواب على السؤال^(٣) ولو حمل ﴿ فليمدد ﴾ في هذا الوجه على الدعاء لكان له وجه.

قوله : ((لا ينفكون)) حال من ضمير الفاعل في قالوا.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ﴾ قال (ز) : في معنى الدعاء : بأن

يمهله الله ((وينفس في مدة حياته)) .

(٢) ما بين القوسين س من ب .

(٣) الجواب (للسؤال) في ب بدل (على) .

قوله : ((لأن مقامهم هو مكانهم)) تعليل لمعلل مقدر، يعني : ذكرت أن هذه الآية مقابلة لتلك وقد ذكر هناك ﴿ خير مقاماً ﴾ وفسرته بقولك : أي الفريقين أوفر حظاً من الدنيا، والمذكور هنا شرّ مكاناً، وذكر هناك : ﴿ وأحسن ندياً ﴾ والندي المجلس ومجتمع القوم، وههنا أضعف جنداً فأين التقابل، أجاب : وإنما كانا متقابلين، وكذلك ﴿ جنداً ﴾ مقابل لقوله : ﴿ ندياً ﴾ لكن من حيث التصريح والكناية، فإن الجند هم الأنصار والأعوان، والنديّ المجلس عُبر به عن وجوه الناس، والأعوان كما يقال : مجلس العالي عزت أنصار دولته فحصل التقابل.

قوله : ((﴿ مدّاً ﴾)) ومدة له الرحمن، هذا الاختلاف مبني على اختلاف التفسيرين هناك، فإذا كان ﴿ فليمدد ﴾ بمعنى الأمر على التأويل الاخبار عن الماضي يقدر مد ويعطف عليه يزيد [وإذا كان بمعنى الدعاء يقدر بمد مضارعاً ويعطف عليه يزيد] (١) ومن ثم قدره هناك بأن يمهل الله وينفس في مدة حياته، وفي قوله معطوف على موضع ﴿ فليمدد ﴾ بحث، لأن المعطوف على جزاء الشرط ينبغي أن يصلح جزاء له . ولو قلت : من كان في الضلالة يزيد الله الذين اهتدوا هدى، لا يستقيم إذا لا عائد فيه ولا رابطة معنوية . قيل : الجواب أن الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد كما ذكره صاحب المفتاح، فقوله : فليمدد في معنى مدّ أو مدّ له، والشرط كالقيد، والعطف لا يقتضي الاشتراك في جميع القيود، فكأنه قال : مدّ الرحمن مدّاً لمن كان في الضلالة ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾، وأقول إنما صحّ العطف، لأن قوله : ﴿ الذين اهتدوا ﴾ حكاية أعدائهم، فكأنه قال : من كان في الضلالة فيزيد الله ضلّالته، ويزيد هداية أعدائهم من المؤمنين تشويراً لهم وغيظاً، لأن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم، فكان داخلاً في جملة التكيل بهم، فوضع الظاهر موضع المضمّر. وقال القاضي (٢) : ﴿ ويزيد

(١) ما بين القوسين س من م.

(٢) القاضي البيضاوي ١٤/٤.

الله ﴿١﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول، كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله، أراد أن يبين أن قصور حظّ المؤمن منها ليس لنقصه، بل لأن الله تعالى أراد به ما هو خير [وقلت والله أعلم : قد سبق أن قوله : ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدأ﴾ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم، بأن يجب عن قول المعاندين الذين إذا تليت عليهم آيات الله قالوا للذين آمنوا : ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾ فالواجب على المجيب أن يراعي المطابقة في الجواب، ويذكر الفريقين أيضاً أصالة لا استطراداً، كما عليه كلام القاضي، فكأنه قيل : من كان في الضلالة من الفريقين فليمهله الله وينفس في مدة حياته ليزيد في الغي ويجمع الله له عذاب الدارين، ومن كان في الهداية يزيد الله هدايته فيجمع له خير الدارين، والجواب من الأسلوب الحكيم، وفيه معنى قول حسّان :

**** أتتهجوه ولست له بكفاء ** فشر كما لخير كما فداء ****

في الدعاء والإحتراز عن المواجهة.

قوله : ((**** وهل يرد بكائي زنداً ... أوله :**

**** ما إن جزعت ولا هلع ** ست وهل يرّد بكاي زنداً **** (١)

الزند مثل في القلة . مضى شرحه في سورة الرعد (٢) .

قوله : ((**كان لمفاخراتهم ثواباً**)) والمراد بالمفاخرات قولهم : ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾ وتفسير ما سبق، أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين أوفر حظاً من الدنيا . ويروى : أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون، هذا التفسير يعضد ما ذهبنا إليه أن قوله : ﴿قل من كان في الضلالة﴾ أمر بالجواب عن قولهم : ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات ... الآية﴾.

(٢) البيت لعمر بن معد يكرب . انظر شواهد الإنصاف ٣/٣٨.

(٣) سورة الرعد الآية ٢٠ .

قوله : ((** فأعتبوا بالصيلم ** أوله :

** غضبت تميم أن يقتل عامر ** يوم النصار فأعتبوا بالصيلم ** (١)

مضى شرحه في البقرة (٢) .

قوله : ((** شجعاء جرتها الذميل ... البيت (٣)

شجعاء من الشجاعة بالسجع في الإبل سرعة نقل الأقدام . يقال : ناقة شجعة، والجرّة بالكسر ما تجترّه الإبل من أجوافها من العلف، والذميل ضرب من السير، واللوك مضغ الشيء، إذا راح، أي : دخل في الرواح، وهو من زوال الشمس إلى الليل، وغراثا أي : جياً من السير، تقول : تسير هذه الناقة الشجعاء لمقازة فسيرها لها بمثابة الاجترار لغيرها إذا كان سائر المطايا لا تسير، ومثله في المعنى قول أبي تمام :

** وركب يساقون الركاب زجاجة ** من السير لم يقصد لها كفّ قاطب **

جعل الشاعر بالادعاء أفراد جنس الجرّة قسمين، متعارف هو ما تفعله الإبل عند إخراج العلف، وغير متعارف وهو السير، وكُنِيَ عنه بأحد قسميه وهو الذميل . والبيت إنما استشهد به لهذا المعنى فقط.

قوله : ((هذا من وجيز كلامهم)) أي : في الكلام حذف وإضمار ومن الأمثلة العسل أحلى من الخلّ، وحاصل الجوابين أنه سأل أولاً عن الإشتراك في الثواب، وأجاب أنه من باب التهكم على وجه لزم منه وجه التفصيل، ثم سأل ثانياً عن وجه التفصيل، وأجاب بوجه (عام) (٤) غير ما لزم أولاً، أي : ثواب المؤمنين أبلغ في بابيه من عقابهم في بابيه، فلا يكون السؤال الثاني مستدركاً . قال صاحب الفرائد : هذا بعيد عن الطبع والاستعمال، ولم أظفر في تراكيبهم بما يفيد هذا المعنى، ولم يذكر ما يكون دليلاً على تحقيقه في كلامهم، ثم إنه أراد بما قال : إن الأعمال الصالحة في ثوابها خير من مفاخرتهم في ثوابها، وهو النار، ويمكن أن يقال : المراد ثواب الأعمال الصالحة في الآخرة خير من

(١) البيت لبشر بن أبي حاتم الأسدي . انظر شواهد الإنتصاف ١٠٥/١ .

(٢) البقرة الآية ٢٥ .

(٣) ** شجعاء جرتها الذميل تلوّكه ** أصلاً إذا راح المطيُّ غراثاً **

انظر مشاهد الانتصاف ٣٨/٣ .

(٤) ما بين القوسين س من ب ، م .

ثوابهم في الدنيا، وهو ما حصل لهم منها من الخير بزعمهم، ومما أوتوا من المال والجاه والمنافع الحاصلة منهما . وقال صاحب التقريب : وفي قول المصنف نظر، إذ يؤل إلى أن ثوابهم في بابه أبلغ من عقابهم في بابه، وهو غير محقق ولا مناسب للتهديد، بل الأولى أن تجرى الخيرية أيضاً على التهكم، كما ذكر في الثواب، كأنه قال : ثوابهم النار، وهو ثواب حسن على التهكم . وهذا أحسن منه وخير، والجواب عن قوله : ولم أظفر في تراكيهم ما يفيد هذا المعنى، هو أن الزجاج^(١) ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢) [إن قال قائل : كيف يقال الجنة خير أم النار ؟ . وليس في النار خير البتة . فيقال : إنما وقع التفضيل فيما دخل في صنف واحد، فالجنة والنار قد دخلا في باب المنازل في صنف واحد، فلذلك قيل : ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ كما قال : ﴿خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾] وقلت : [والذي يقتضيه النظم أن قوله : ﴿والبقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾ تتميم لمعنى قوله : ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ ومشتمل على تسلية قلوب المؤمنين مما عسى أن يختلج فيها من مفاخرة الكفرة شيء، كما أن قوله : ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شرّ مكاناً وأضعف جنداً﴾ تتميم لوعيدهم، وكلاهما من تمة الأمر بالجواب عن قولهم : ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾ كما قررنا يدل عليه قول المصنف ههنا قوله : ((كأن لمفاخرهم شركاء فيه)) وتفسير المفاخرة هو ما قال : ﴿أي الفريقين﴾ أو فر حظاً من الدنيا . وقال : يدعون أنهم أكرم على الله منهم، وتحقيقه أن الكفرة لما بنوا الخيرية في قولهم : ﴿أي الفريقين خير مقاماً﴾ على زعم المؤمنين جيء في الجواب بما يردّ ذلك على طريق المشاكلة، واطباق الجواب على السؤال، فقيل : ﴿خير عند ربك ثواباً وخير مرداً﴾ ولا يخلو من شائبة الوعيد والتهكم بهم.

(١) الزجاج ٦٠/٤ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٤ .

قوله : ((استعملوا (أرأيت) في معنى أخبر))^(١) قال صاحب الفرائد : ذكر أهل التفسير هذا المعنى، أعني إقامة (أرأيت) مقام أخبرني، ولا بد فيه من ملاحظة معنوية بينهما، بحيث ينتقل الذهن في المعنى المذكور إلى المراد، ولا شك أن الذهن ينتقل من معنى (أرأيت) إلى معنى علمت وينتقل أيضاً إلى معنى طلب الرؤية، لأن أرأيت سؤال عن الرؤية في الماضي من الزمان، فإن لم تكن الرؤية حاصلة في الماضي كان هذا السؤال باعثاً له على تحصيلها في المستقبل منه، كأنه قيل: وإن لم تره فره لتعجبه^(٢) من حاله هذا في الظاهر أقرب . وقلت : مآل كلام المصنف يعود إلى التعجب، لأن طلب الله الإخبار، وهو عالم الغيب والشهادة، يعود إلى أن هاتين القضيتين مما لا ينبغي أن يتركا، والمعنى تعجب أيضاً من قضية هذا الكافر عقيب تعجبك من تلك القضية .

قوله : ((** لاقيت مُطَّلِعَ الجبال وُعُورا **))^(٣) (٤) .. أوله :

** إني إذا مضرٌ عليّ تحدّثت **

الوعر، المكان الصلب، والجمع الوعور، مطلع الجبل مصعده ومرتقاه، وُعُوراً انتصب على الحال من (مطلع)، ويجوز أن يكون مفعولاً به . يقول : إذا مضر تحدّثت عليّ، أي : تقولوا في مالا أرضى به لقيت رؤس الجبال التي هي بمثابة الحصون.

قوله : ((وتألّى عليه)) أي : حلف، وهو مستفاد من قوله : ﴿لأوتين مالا﴾ فإنه جواب قسم محذوف.

قوله : ((وقيل في العهد : كلمة الشهادة)) شروع في تفسير قوله : ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ وتعداد الأقوال فيه، وسميت كلمة الشهادة عهداً لأنه تعالى وعد قائلها إخلاصاً أن يدخله الجنة البتة، فهو كالعهد الموثق الذي لا بد أن يوفى به.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾.

(٢) (ليتعجب) في م ، ب .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ مريم الآية ٧٨.

(٤) البيت لجريز . شواهد الإنصاف ٣٩/٣.

قوله : ((والمشهور أنها في العاص بن وائل)) رويناه عن الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي عن خباب بن الارت^(١) . قال : كنت (قينا)^(٢) في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقال : لا أكفر حتى يملك الله ثم تبعث، فقال : إني لميت ثم مبعوث . قلت : نعم. قال : دعني حتى أموت وأبعث . فسأوتني مالا وولدا فأقضيك، فنزلت : ﴿ أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال ... الآيات ﴾.

قوله : ((ولا حين تبعث)) أي : لا أكفر أبداً ما دمت حياً ولا ميتاً ولا في حال بعثك أيها الكافر وأنت معذب، يعني أمن بثوابي بعد الموت وعقابك بعد البعث، يدل عليه ذكره الموت والبعث.

قوله : ((﴿ كلا ﴾ ردع وتنبيه))^(٣) الراغب^(٤) : [﴿ كلا ﴾ ردع وزجر وإبطال لقول القائل، وذلك نقيض أي في الإثبات. قال تعالى : ﴿ أفرايت الذي كفر بآياتنا ... إلى قوله : أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

قوله : ((وهو كما قاله))^(٥) أي يكتب عند صدور القول منه من غير تأخير، والكاف لمقارنة الوجود . قال صاحب اللباب : تجيء الكاف لقران الوقوع، وفي

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٢٩/١٠ كتاب التفسير، باب ﴿ أفرايت الذي كفر بآياتنا ... الآية ﴾ برقم ٤٧٣٢ ورقم ٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥ . ومسلم في صحيحه ٤/٢١٥٢ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح ... الخ. برقم ٢٧٩٥، ٣٦٣٥ . والترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم رقم ٣١٦٢ . والنسائي في تفسيره ٣٧/٢ برقم ٣٤٢ ﴿ أفرايت الذي كفر بآياتنا ﴾ . وأحمد في مسنده ١١٠/٥، ١١١.

(٢) القين : الحداد والصانع . انظر النهاية ١٣٥/٤.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمذله من العذاب مذباً ﴾.

(٤) الراغب ٤٤١ مادة (كلا).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ سنكتب ﴾ قال (ز) : بين التسويف، ((وهو كما قاله)) كتب من غير تأخير.

الحديث: (خير الناس رجلٌ ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة^(١) أو فزعة طار إليها) رواه النسائي عن أبي سعيد^(٢).

قوله : ((** إذا ما انتسبنا لم تلدني لئمة **))^(٣) تمامه :

**** ولم تجدي من أن يقرّي بها بُدًا ****

[قيل : البدُّ العوض، الجوهري^(٤) : [لا بدّ من كذا، أي لا فراق منه] (لم تلدني) جواب إذا، وهو ليس في معنى الاستقبال، لأن الولادة كانت قبل . والمعنى على البيتين^(٥) ، يقول : إذا انتسبت علمت يا فلانة أنني لست بابن لئمة، وظهر لك ما تضطري به إلى الإقرار بذلك . قال : لم تلدني لئمة، لأن الأمّ إذا كانت من الكرام فالأب أولى.

قوله : ((فجرد لمعنى الوعيد)) أي : ليشتمل التركيب على معنى إثبات العمل المؤدي إلى المجازاة، فجود لأحد المعنيين، كأنه قيل : كلا سنتقم منه وإن استأخر الزمان . وحاصل الجواب أن القصد في كتابة الأعمال إظهار ما فيها على العامل وإعلامها إياه ليُسّر به أو يحزن، ثم مجازاته بمقتضاها إن خيراً فخير وإن شراً فشر. فالجواب الأول مبني على الأول، والثاني على الثاني.

قوله : ((أو نزيده من العذاب ويضاعف له من المدد)) فإن قلت : أليس هذا مخالف لما ذكر في البقرة : ﴿ ويمدهم في طغيانهم ﴾^(٦) أنه من مدّ الجيش وأمدّه إذا أزاذه

(١) (الهيعة) الصوت الذي تفزع منه وتخافه من العدو . النهاية ٢٨٨/٥ .

(٢) أخرجه النسائي في تفسيره، ٦٣٦/١ برقم ٢٩٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ومسلم ١٥٠٢/٣ كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط برقم ١٨٨٩ . وابن ماجه كتاب الفتن، باب العزلة رقم ٣٩٧٧ بلفظ : (من خير معاش الناس لهم رجل ممسك ... الخ).

(٣) قاله زائد بن صعصعة.

(٤) الجوهري ٤٤٥/٢ مادة (بدّ)

(٥) البيتين هما :

**** رمتني عن قوس العدو وباعدت ** عبيدة زاد الله ما بيننا بعدا ****

**** إذا ما انتسبنا لم تلدني لئمة ** ولم تجدي من أن تقرّي بها بُدًا ****

وقائلهما زائد بن صعصعة . شواهد الإنصاف ٤٠/٣ .

(٦) البقرة الآية ١٥ .

إلى آخره، وليس من المدّ في العمر والإملاء، ولأن الذي بمعنى أمهله إنما هو مدّ له مع اللام، كأملّي له . قلت : بلى وقد تقرر هناك ما هو عليه.

قوله : ((ويدلّ عليه ﴿ وغد له ﴾)) لأنه جاء أمددت الدواة بالمداد ومددتها بمعنى الزيادة.

قوله : ((ومعنى ﴿ ما يقول ﴾)) عطف على مسمّى ﴿ ما يقول ﴾ على سبيل البيان.

قوله : ((يكذبه)) وفي نسخة يكذّبه بالتشديد. الجوهري (١): [أكذبت الرجل ألفيته كاذباً وكذّبت إذا قلت له : كذّبت. قال الكسائي : أكذبت إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه، وكذّبت إذا أخبرت أنه كاذب. وقال ثعلب : أكذبت وكذبت بمعنى].

قوله : ((أو لا ننسى قوله هذا)) هو عطف على قوله : ((نزوي عنه ما زعم)) أنه يناله، يريد أن معنى نؤته إما نزوي عنه . قال في الأساس (٢): [زوى المال وغيره اختاره . وزوى عنه حقّه . وزوى الرجل الميراث عن ورثته، عدل به عنهم، وقد انزويت عنا أي : انقبضت] أو نثبته ولا ننساه من قوله صلوات الله عليه وسلم : (واجعله الوارث منّا) (٣) قال صاحب النهاية (٤): [أي : ابقيهما أي السمع والبصر صحيحين سليمين] والقول الأول على وجهين. أحدهما : أن يروى عن القائل مسمّى ما قال، وهو ماله وولده حقيقة، فيحال بينه وبينهما في الآخرة، ويعطى من يستحقّه . وثانيهما : يحتمل وجهين أيضاً . أن يُزوى عنه ماله وولده تقديراً، وهو كما إذا تمنى ذلك فيقال في حقّه : هب أنا أعطينا ما اشتهاه إما نزوى عنه في العاقبة ما تمناه ويأتينا فرداً بلا مال وولد، وأن يحال بينه وبين قوله ذلك كما قال : إذا قبضناه حلّنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا فرداً عنه غير قائل له . ولما كان الوجه الأول هو الوجه، لما سبق من حديث

(١) الجوهري ٢١٠/١ مادة (كذب).

(٢) الأساس ٢٧٩ مادة (زوى) . قال : ومن انجاز زوى الخ.

(٣) أخرجه الترمذي ٤٩٤/٥ كتاب الدعوات، باب ٨٠ برقم ٣٥٠٢ جزء من حديث طويل . والسنة

للبيهقي ١٧٤/٥ . والحاكم في المستدرک ٥٢٨/١ وسكت عليه الذهبي.

(٤) النهاية ١٧٢/٥ مادة (ورث).

العاص بن وائل، قال في الوجهين الآخرين : ويحتمل قال أبو البقاء^(١) : [في (ما) في (ما) يقول) وجهين . أحدهما : هي بدل من الهاء، وهي بدل الاشتمال، أي : نرث قوله . والثاني : هو مفعول به، أي : نرث منه قوله.

قوله : ((﴿ فرداً ﴾)) على الوجه الأول حال مقدرة، وهو أن يراد بما (يقول) مسمى ما يقول وهو المال والولد، والمراد من الفردية إلا تقطاع منهما في العاقبة بالكلية، ولا شك أن مثل هذه الفردية لا تحصل إلا للكافر، وإلا فالمؤمن والكافر سواء عند البعث في كونهما منفردين عن المال والولد، لقوله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾^(٢) ثم يتفاوتون بعد ذلك، فالمؤمن يلاقي أحبته وأولاده وما اشتهاه . والكافر يحال بينه وبين ما يشتهي وينفرد عنه أبداً . ومثل هذا الانفراد لا يحصل في بقية الوجوه.

قوله : ((لأنه وغيره سواء)) تعليل للشبه الحال المقدرة بقوله : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ في أن المراد منها خاتمة الأمر وعاقبته . وأما اتصال قوله : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾^(٣) بما قبله، فإنه عطف على ﴿ ويقول الإنسان ﴾ وسبق أن قوله : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا ﴾ عطف عليه حكى الله تعالى عنهم أولاً إنكارهم الحشر، ثم طعنهم في القرآن، والافتخار بالمال والولد، ثم إثبات الشريك لله تعالى.

قوله : ((زيداً مررت بغلامه))^(٤) أي جزت زيداً مررت بغلامه، كذلك ﴿ كلاً ﴾ منصوب بفعل يدل عليه ﴿ سيكفرون ﴾ مناسب لهذا المفعول، لأن المراد من ﴿ سيكفرون ﴾ إنكار الآلهة، وكل ما نسب المشركون إليها من الشفاعة والنصرة والإنقاذ من النار الدال عليه قوله : ﴿ ليكونوا لهم عزاً ﴾ فيقدر الناصب سيجحدون.

(١) أبو البقاء ١١٧/٢

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ﴾ الآية ٨١ مريم.

(٤) تفسير قوله : ﴿ كلاً سيكفرون بعبادتهم ... الآية ﴾ قال (ز) : كقولك : ((زيد مررت بغلامه)) .

قوله : ((في محتسب ابن جني))^(١) [وفيه ﴿ كلا سيكفرون ﴾ قراءة ابن نهيك، وينبغي أن تكون مصدراً لقولك : كلّ السيف كلاً ومنصوب بفعل مضمر، فكأنه تعالى لما قال : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ﴾ قال الله رداً عليهم ﴿ كلا ﴾ أي : كلّ هذا الاعتقاد كلاً، كما يقال : ضعفاً لهذا الرأي، ثم استأنف ﴿ سيكفرون ﴾ والوقف إذا على عزاً، ثم استأنف فقال : كلّ رأيهم كلاً، ثم وقف ثم قال : ﴿ سيكفرون ﴾.

قوله : ((كما في قوله ﴿ قواريرا ﴾ أي : قلب ألف إطلاقه نوناً، قال الشاعر^(٢) :
**** أقلّي اللوم عاذلي والعابن ****

قوله : ((أي يكونون عليهم ضداً)) لما قصدوه وأرادوه، المعنى طلب العزة فانقلب ضدها وهو الذل، فيكون من الطباق^(٣) الطباق المقدر.

قوله : ((أو يكونون عليهم عوناً)) والعون ها هنا على التهكم^(٤) كما في قوله تعالى : ﴿ ببس الرشد المرفود ﴾^(٥) أي : ببس العون المعان، فيلزم التقابل^(٦) أيضاً لأن ضد المعين لا يكون إلا الخاذل المذل، قال القاضي^(٧) : [ومعنى كونهم ضداً أنها تكون معونة في عذابهم، بأن توقد بها نيرانهم].

(١) عزا الزمخشري هذه القراءة لابن جني في المحتسب . قال ابن جني : (ومن ذلك قراءة أبي نهيك (وهو علباء بن أحر) : ﴿ كلا سيكفرون ﴾ بفتح الكاف والتوين ٤٥/٢).

(٢) الشاعر : جرير بن عطية الخطفي . ديوانه ص ٨١٣ والأشونى ٣١/١ :

**** أقلّي اللوم عاذلي والعابن **** وقولي إن أصبت لقد أصابن

(٣) الطباق : هو الجمع بين لفظين مُقابلين في المعنى، فيكون تقابل المعنيين ومخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة نحو ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ وقوله : ﴿ وإنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو ألمات وأحيا ﴾ جواهر البلاغة ٢٦٦.

(٤) (التهكم) الاستهزاء والسخرية . القاموس ١٩١/٤ مادة (التهكم).

(٥) سورة هود الآية ٩٩.

(٦) التقابل : هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كتقوله في سورة الضحى الآية ٥-١٠ ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ انظر جواهر البلاغة ٣٦٧

(٧) القاضي البيضاوي ١٥/٤.

قوله : ((وكأن العون سُمي ضدّاً لأنه يضاد عدوك ويتنافيه)) الراغب (١) :
 [الضدان الشيطان اللذان تحت جنس واحد، ويتنافي كلّ منهما الآخر في أوصافه الخاصة،
 وبينهما أبعد البعد، كالسواد والبياض، والخير والشر، وما لم يكونا تحت جنس واحد، لا
 يقال لهما ضدان، كالحلاوة والحركة، وكثير من المتكلمين وأهل اللغة يقولون : الضدان
 ما لا يصح اجتماعهما في محلّ واحد . وقيل : الله تعالى لا ندّ له ولا ضد، لأنّ النّدّ هو
 الاشتراك في الجوهر، والضدّ هو أن يعتقب الشيطان المتنافيان على جنس واحد، والله
 تعالى منزّه عن أن يكون جوهرًا، فإذا لا ضدّ له ولا ندّ].

قوله : ((وهم يدّ على من سواهم)) الحديث (٢) من رواية النسائي عن أبي حسان،
 عن علي رضي الله عنه : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدّ على
 من سواهم) النهاية (٣) : [(تتكافأ دماؤهم)، أي : تتساوى في القصاص والديات، والكفؤ
 النظير والمساوي] وهم يدّ على من سواهم، أي : مجتمعون على أعدائهم لا يسعهم
 التخاذل، بل يعاون بعضهم بعضاً على جميع الأديان، كأنه جعل أيديهم يداً واحدة
 وفعلهم فعلاً واحداً، ونظيره اجعل الفساق يداً يداً أي : فرق بينهم، فإذا أفردت اليد في
 مقام الجمع، دلّ على الاتفاق والاجتماع، وإذا جمعت أريد الشتات والافتراق. وقال
 صاحب الفرائد : إنما وحد لأنه ذكر في مقابلة قوله : ﴿عِزّاً﴾ وهو مصدر يصلح أن
 يكون جمعاً، فهذا وإن لم يكن مصدراً لكن يصلح أن يكون جمعاً بالنظر إلى ما يراد منه،
 وهو الذل وكأنه قيل : ويكونون عليهم خلافاً.

قوله : ((﴿يكونون عليهم﴾ أي أعدائهم جاء في كلام الناس عليكم أي :
 عداؤكم، ومنه : اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وعلى هذا الضمير في ﴿عليهم﴾

(١) الراغب ٢٩٣ مادة (ضد).

(٢) أخرجه النسائي ٣٨٧/٨-٣٨٨ كتاب القسامة، باب القود بين الأحرار والماليك في النفس برقم
 ٤٧٤٨ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وأبو داود ١٨٣/٣ كتاب الجهاد، باب في السرية ترد
 على أهل العسكر رقم ٢٧٥١ . وابن ماجه ٨٩٥/٢ كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم برقم ٢٦٨٣
 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . وأحمد في مسنده ١١٩/١، ١٢٢، ١٨٠/٢، ١٩٢، ٢١١، ٢١٥.

(٣) النهاية ١٨٠/٤ مادة (كفأ).

للمعبودين وفي ﴿ سيكفرون ﴾ ويكونون للكفرة، أي : يكونون على معبوديهم كافرين بعد أن كانوا عابدين.

قوله : ((وشدة الإزعاج))^(١) الراغب^(٢) : [قال تعالى : ﴿ تأزهم أزا ﴾ أي : ترعجهم إزعاج القدر إذا أزت أي : اشتد غليانها. وروى في الحديث^(٣) : (كان يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) وأزه أبلغ في هزه].

قوله : ((بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة، وهي قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ وأشار بالعتاة والمراد إلى ما في قوله : ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ وبقوله : ((وأقاويلهم)) إلى قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان ﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا ﴿ وبقولهم ومعاذتهم)) إلى قوله : ((لأوتين مالاً وولداً)) فهذه الآية ورادة كالتذيل لتلك الآيات، والتقرير لضمونها لأن المقصود من أقاصيصهم تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلة اكتراث منه إلى أحوالهم، ومنع من الدعاء عليهم بالاستئصال، ومن ثم رتب عليها قوله : ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾.

قوله : ((عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه)) الأساس^(٤) : [أعجلته عن إسلا سيفة، وتعجلت إخراجها : كلفته أن يعجله، واستعجل الكفار العذاب].

قوله : ((كأنها في سرعة نقضيها الساعة)) يريد أن قوله : ﴿ إنما نعدّ لهم عدا ﴾ كناية عن سرعة تقضي أجلهم . قال في قوله تعالى : ﴿ دراهم معدودة ﴾^(٥)، قليلة تعدّ عداً، وقيل للقليل معدود، لأن الكثير يمنع من عدّه كثرته.

قوله : ((إذا كانت الأنفاس بالعدد إلى آخره، وفي معناه قول القائل^(٦) :

**** إن الحبيب من الأحباب مختلس ** لا يمنع الموت بواب ولا حرس ****

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾.

(٢) الراغب ١٦ مادة (أز).

(٣) الحديث أخرجه أبو داود ٥٥٧/١ كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة برقم ٩٠٤ . والترمذي في

الشمائل ص ٢٥٥ وإسناده قوي وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي ٢٦٤/١ . انظر فتح

الباري ٢٠٦/٢ ومعالم السنن ٢١٥/١.

(٤) الأساس ٤١٠ مادة (عجل).

(٥) سورة يوسف الآية ٢٠.

(٦) لم أقف على قائله.

**** وكيف تفرح بالدنيا ولذتها **** يا من يعدّ عليه اللفظ والنفس ******

قوله : ((كما تفد الوفاة على الملوك))^(١) يعني ذكر الوفاة تمثيل وتشبيه لحالة المتقين بحالة الوفود ، النهاية^(٢) : [الوفاة هم القوم يجتمعون ويردون البلاد ، واحدهم وافر ، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيادة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك ، تقول : وفداً فهو وافر] . قال الراغب^(٣) : [وفداً القوم تفد وفادة ، وهو وافر وهم وفد ووفود ، وهم الذين يقدمون على الملوك مستجزيين الحوائج ، ومنه الوافر من الإبل ، وهو السابق لغيره . قال تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾] قال القاضي^(٤) : [ولاختيار الرحمن في هذه السورة شأن ولعله أن سياق الكلام فيها لتعداد النعم الجسم ، وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها] كأنه قيل : يوم نحشر المتقين إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وشملهم برأفته . وقلت : في التقابل^(٥) بين الوفاة والرحمن وبين الورد وجهنم إعلام بتبجيل الوافر وتحصيل مطالبه ، وأنها من جلائل النعم وإعظام بالوفاة الذي الوفود إليه من اسمه الرحمن ، وإشعار بإهانة الوافر وتهكم به كقوله : عتابه السيف ومُؤمّمهم لهذمّيات^(٦) . وكفى بالعطش الذي ورده النار التي هي أعظم النيران .

قوله : ((ردي ردي))^(٧) البيت^(٨) صماء قيل : إنها من الصمم لا تسمع صوت القانص فتفتر كذرية ، أي : قطاة كدرية غير اللون ، يخاطب ناقته أي : ردي الماء كما يرد القطا ، يعجبها برد الماء .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ .

(٢) النهاية ٢٠٩/٦ مادة (وفداً) .

(٣) الراغب ٥٢٨ مادة (وفداً) .

(٤) القاضي البضاوي ١٥/٤ .

(٥) التقابل : تقدم تعريفه .

(٦) اللهزم : القطع ، يقال : سيفٌ مهزم وهذام قاطع حديد ، ومدية هذام . اللسان مادة (هزم) .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونسوق الجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ .

(٨) وتنام البيت . ولم أقف على قائله :

**** ردي ردي ورّذ قطاة صمّا **** كذرية أعجبها برّذ الماء ******

انظر الكشاف ٤٣/٣ .

قوله : ((فسمى به الواردون)) أي : حقيقة الورد المسير إلى الماء فشبه من يقصد الجواد ويستجديه بمن يسير إلى الماء ليرتوي منه، فاستعير له . وقيل : الوارد . الراغب^(١) : [الورود أصله قصد الماء، ثم يستعمل في غيره، يقال : وردت الماء قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾^(٢) والورْدُ الماء المُرْشَحُ للورود، واستعمل في النار على سبيل الفطاعة، قال تعالى : ﴿ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبَنَسَ الْوَرْدَ الْمُرْوَدَ ﴾^(٣) والوارد الذي يتقدم القوم فيستقي لهم، قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾^(٤) أي ساقِيهم . وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(٥) فقد قيل : هو مثل وَرَدْتُ ماء كذا إذا حضرته وإن لم تشرع فيه . وقيل : بل يقتضي ذلك الشروع فيه، ولكن من كان من أولياء الله لا تؤثر فيهم بل يكون حاله فيها كحال إبراهيم عليه السلام، ويعبر عن المحموم بالمرود، وعن الحمي بالورْد وشعرْ وارْدٌ قد ورد العَجْزُ أو المتن . والورْدُ قيل : هو من الواردِ تسميته بذلك لكونه أول ما يرد من ثمار السنة، يقال لنور كل شجر ورد ويقال ورْدَ الشجر يورد خرج نوره . وشبه به لون الفرس فليل : فرسٌ ورد، وقيل : في صفة السماء إذا احمرت احمرارا كالورد قامت القيامة^(٦) قال تعالى : ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾^(٧) .

قوله : ((والفاعل من اتخذ))^(٨) هذا على أن يكون الضمير في : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ علامة للجمع . قال أبو البقاء^(٩) : [﴿ إِلَّا مِنْ اتَّخَذَ ﴾ استثناء متصل إذا كان الضمير في ﴿ يَمْلِكُونَ ﴾ للمتقين والجرمين . وقيل : هو في موضع رفع بدل من الضمير في : ﴿ يَمْلِكُونَ ﴾ أو في موضع نصب على الإستثناء المنقطع] الانتصاف^(١٠) : [في هذا الوجه

(١) الراغب ٥١٩ مادة (ورد).

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف الآية ١٩.

(٤) سورة مريم الآية ٧١.

(٥) وفي الراغب : وفي صفة السماء إذا احمرت احمرارا كالورد أمانة للقيامة . ٥٢٠.

(٦) سورة الرحمن الآية ٣٧.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ الآية ٨٧.

(٨) أبو البقاء ١١٧/٢.

(٩) الانتصاف مع الكشاف ٤٣/٣.

تعسف لأنه إذا جعله علامة ثم أعاد على لفظها الأفراد بضمير اتّخذ كان إجمالاً بعد إيضاح، وهو عكس طريق البلاغة التي هي الإيضاح بعد الإجمال، فالواو على إعرابه وإن لم تكن عائدة على (من) إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له].

قوله : ((وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم)) الحديث والدعاء إلى آخره، أورده الإمام^(١) أحمد بن حنبل عنه في مسنده مع تغيير يسير.

قوله : ((طبع عليه بطابع)) النهاية^(٢) : [الطابع بالفتح الخاتم يريد أنه يختم عليها وترفع كما يفعل الإنسان بما يعزّ عليه].

قوله : ((أعهد إليك)) الجوهرى^(٣) : [عهدت إليه أي أوصيته، ومنه اشتقّ العهد الذي يكتب للولاية].

قوله : ((أو يكون من عهد الأمير)) عطف على قوله : ((واتخاذ العهد الاستظهار)) وحقيقة هذا الوجه تعود إلى قولك : عهد إليه واستعهد منه، إذا وصّاه أو شرط عليه في الأساس.

قوله : ((عهد الأمير إلى فلان بكذا)) يريد أن عهده مضمّن معنى الأمر، وعدي بالياء، فعلى هذا الباء في التنزيل محذوف نحو قوله : أمرتك بالخير.

(١) قال الزبلي في تخريج الأحاديث والآثار في تفسير الكشاف ٣٣٩/٢ : غريب مرفوعاً ولم أجده إلا موقوفاً، ورواه الحاكم في مستدركه ٣٧٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي وابن أبي شبة ٣٢٩/١٠ في كتاب الدعاء برقم ٩٥٧٥ ما يقرب منه، ولم أقف عليه في مسند أحمد .

والحديث هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم : (أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساءً عند الله عهداً . قالوا : وكيف ذلك ؟ . قال : يقول كل صباح ومساءً : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأنني أشهد ألا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبك ورسولك، وإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتبعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينيهِ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع، ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة).

(٢) النهاية ١١٢/٣.

(٣) الجوهرى ٥١٥/٢ مادة (عهد).

قوله : ((قرئ إداً بالكسر والفتح))^(١) بالكسر السبعة والفتح شاذ^(٢).

قوله : ((قال ابن خالويه)) قال ابن الأنباري في النزهة^(٣) : إنه كان من كبار أهل اللغة أخذ عن ابن دريد ونفطويه وابن الأنباري وأبي عمرو الزاهد، قيل : إنه اسم مركب مبني على الكسر في ظاهر المذهب كسيويه.

قوله : ((تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء)) التحتاني والباقون بالتاء.

قوله : ((وقرئ ﴿ يَنْفُطْرُن ﴾)) الحرميان وحفص والكسائي بالتاء الفوقانية وفتح الطاء مشددة. والباقون بالنون ساكنة، وكسر الطاء مخففة. قال أبو البقاء^(٤) : [القراءة الأولى، هو مطاوع، فطر بالتشديد، وهو هنا أشبه بالمعنى. والثانية مطاوع فطر بالتخفيف].

قوله : ((وكرّر الفعل)) يعني أن فعل للتكثير نحو قطعت وغلقت.

قوله : ((أو مفعول له)) يعني (هذاً) إما مفعول مطلق أو حال أو مفعول له، وهو وإن لم يكن من فعل الجبال، لكن إذا تهتّ يحصل له الهذّ فصحّ أن يكون مفعولاً له وإليه الإشارة بقوله : لأنها تهتّ.

قوله : ((والثاني : أن يكون استعظام للكلمة^(٥) وتهويلاً)) يريد أنه من باب التمثيل والتصوير وأخذ الزبدة من الجمل كلها من غير نظر إلى مفرداتها. كقوله تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾^(٦) قال صاحب الانتصاف : [ويظهر لي أنه استعار لدلالاتها على وجود الله وعلى وصفه بصفات الكمال

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئا إذا ﴾.

(٢) القراءة الشاذة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . شواذ القرآن لابن خالويه ٨٦.

(٣) نزهة الألباء ص ٢٣٠ مطبعة المنار بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، وابن خالويه هو أبو عبد الله

الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني المتوفى سنة ٣٧٠ .

(٤) أبو البقاء ١١٧/٢-١١٨.

(٥) المراد بالكلمة قول الكفار المذكور في قول : ﴿ أن دعوا للرحمن ولداً ﴾.

(٦) سورة الزمر الآية ٦٧.

كونها مسبحة بحمده في قوله : ﴿ تسبح له السموات السبع ... الآية ﴾^(١) ولما دلت عليه، وهي كل ذرة أنه مقدس عن نسبة الولد إليه، فالمعتقد لذلك عطل وجه دلالتها على تقدسه ووحدانيته، فاستعير لما فيه من إبطال روح الدلالة التي خلقت لأجها لإبطال صورتها . بالهد والإنفطار . وقال صاحب الانتصاف : استشهد هذا القائل على دلالة الموجودات على وحدانية الله بقول الشاعر^(٢) :

**** وفي كل شيء له آية ** تدلّ على أنه واحد **** .

وأقول الموجودات تدلّ على أن لها خالقاً قادراً عالماً حكيماً، لأن الأثر دالّ على المؤثر، والمقدور على القدرة، وإتقان العمل دليل على العلم والحكمة . وأما دلالة الموجودات على الوحدانية، فلا وجه له، وأصعب ما تحقق به هذا الأصل قول الشاعر^(٣) ، ظن أن الموجودات تدل على الوحدانية، والنكتة التي أبداها، إنما تتم له بناء على أن الموجودات شاهدة، بنفي الولد، وقد ظهر لك ما فيه . وقلت : كلام صاحب الانتصاف أحسن ما ذهب إليه في هذا المقام .

قوله : ((علّل الخرور بالهدّ، والهدّ بدعاء الولد)) يعني هو من تداخل العلة كقوله تعالى : ﴿ أعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾^(٤) قالوا محل ﴿ أن لا يجدوا ﴾ نصب على أنه مفعول له، وناصبه المفعول له الذي هو ﴿ حزناً ﴾ .

قوله : ((أي هدها دعاء الولد)) قيل : هو كما تقول : شاهدت ضرباً زيداً أي أن أضرب زيداً .

قوله : ((وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات)) اعلم أنه ذكر أحوال المتقين، وكرّر فيها هذه الكلمة مرتين ليعلق بها أولاً ما يخصهم من الله من فضيلة التبجيل والإكرام . وثانياً ما ينبئ عن القرب من الله والزلقي عنده من منزلة درجة الشفاعة،

(١) سورة الإسراء الآية ٤٤ .

(٢) القائل أبو العتاهية في ديوانه ص ٢٢ .

(٣) أبو العتاهية في طبقات الشعراء لابن المعتز :

**** وفي كل شيء له آية ** تدلّ على أنه واحد ****

(٤) سورة التوبة الآية ٩٢ .

وعلّل حصول هذه المرتبة باتخاذ العهد وهو التوحيد والقيام بمواجب الشكر والعبودية، وعقبه بقوله : ﴿ قالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ وقوله : ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ إلى قوله : ﴿ سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ إعلاماً بعظم تأثير هذه الكلمة من الموافقين والمخالفين في الدنيا ليكون تكميلاً لتأثيره في العقبى، فأتى أولاً بذكر المخالفين، وكرّرها أربع مرات تشديداً لكفران النعم التي مولها الرحمن وتعكساً لآرائهم، يعني كان من حقّ مولى أصول النعم وفروعها وخالق العالمين وما فيها أن لا يشكر غيره، فقد كفروا به بأن اتخذوا له ولداً كقوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾^(١) ثم ثنى بذكر الذين اتخذوه عنده عهداً وأوثقوه توثقة شديدة حتى علقت به عقدة المحبة والمودة تعريضاً بالمخالفين، وأنهم المبعوضون، ولذلك وصفوا بالمغضوب عليهم.

قوله : ((طلباً للعموم والإحاطة)) أي لم يقل : دعوا عيسى ولداً ولا عزيزاً ولا الملائكة، طلباً للعموم على منوال، فلان يعطي ويمنع، لكن اقتصر على أحد مفعوليه .

قوله : ((** إنا بني نهشل لا ندعي لأب **))^(٢) ... تمامه :

** عنه ولا هو بالأبناء يشرينا **

قوله : ((انبغى مطاوع بغى))^(٣) الجوهري^(٤) : [قولهم : ينبغي لك أن تفعل كذا، فهو من أفعال المطاوعة . تقول : بغيته فانبغى].

قوله : ((وما ينطلب)) أي ما يحصل طلبته.

قوله : ((من ﴾ موصوفة لأنها وقعت بعد كل ﴾))^(٥) قال أبو البقاء^(٦) : [﴿ من ﴾ نكرة موصوفة، و ﴿ في السموات ﴾ صفتها، و ﴿ إلا آتي ﴾ خبر كل، ووحّد ﴿ آتي ﴾ حملاً على لفظ كل، وقد جمع في موضع آخر حملاً على معناها، ومن الأفراد ﴾ وكلهم آتية ﴾ .

(١) سورة الواقعة الآية ٨٢.

(٢) القائل بشامة بن حزن النهشلي. انظر مشاهد الانصاف ٤٥/٣.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ الآية ٩٢ مريم.

(٤) الجوهري ٢٢٨٣/٦ مادة (بغى).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن كل من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾.

(٦) أبو البقاء ١١٨/٢.

**** رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً صَدْرَهُ **** تمامه :

**** قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يَطْعَ **** وبعده :

**** و يرانى كالشجى فى حلقة **** عسرا مخرجه ما ينتزع ^(١) ******

نضج اللحم والعنب ينضج نضجاً فهو نضيج. والشجا ما نشب في الحلق من غصة هم أو نحوه، و(من) في : (من أنضجت) موصوفة أي رجل أنضجت.

قوله : ((فهدم الله الكفر الأول فيما تقدّم من الآيات)) ^(٢) وأما الكفر الأول، وهو قوله : ﴿ اتخذ الرحمن ولداً ﴾ فهدمه قوله : ﴿ لقد جئتم شيئاً إداً . تكاد السموات يتفطرن ... الآية ﴾ وهذا إنما يصحّ هدماً إذا ذهب إلى ما ذكره صاحب الانتصاف، أي : لو صحّ هذا تعطل وجه دلالة المكونات على تقدّسه سبحانه وتعالى ووحدانيته، فاستعير لما فيه من روح الدلالة التي خلقت لأجلها إبطال صورتها بالهدم بالانفطار . وأما الكفر الثاني : وهو ما يلزم من إشراك الأولاد الآباء في المالكية، فهدمه قوله : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ... الآيات ﴾ لأن من يأوى إلى الرحمن ويلتجئ إلى ربوبيته يكون عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً لا يكون إلا ذليلاً فضلاً عن أن يكون شريكاً.

قوله : ((لا يدعي لنفسه)) الضمير المرفوع راجع إلى قوله : ما من معبود، وهو الذي استتر في ﴿ آتي ﴾ وقوله : ((كما يجب عليهم)) جملة معترضة تؤكد معنى : ((كما يفعل العبيد)) بل ^(٣) وهي معطوفة عليه نحو : أعجبنى زيد وكرمه.

قوله : ((مهيمن)) الجوهرى ^(٤) : [أصله ماء من البينت الثانية، وقلبت ياء، وقلبت الأولى هاء].

(١) البيتان لسويد بن أبي كاهل الشكري. انظر مشاهد الانصاف ٤٦/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد أحصاهم وعدّهم عدداً ﴾.

(٣) (بل) س من ب ، م.

(٤) الجوهرى ٢٢١٧/٦ مادة (همن) والذي فيه : (أصله آمن فهو مؤمنٌ يهملتين، قلبت الهمزة الثانية

ياء، فصارت بُأَيْمَنٌ، ثم صيرت الأولى هاء).

قوله : ((وجاء الإسلام))^(١) الأساس^(٢) : [ومن المجاز ثوب داج سابغ غطى جسده كله، وكان ذلك مُذْ دَجَا الإسلام، وثوب الإسلام داج].

قوله : ((يقول الله عز وجل يا جبريل : قد أحبت فلاناً)) الحديث من رواية البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)^(٣) .

قوله : ((فكأنه قال))^(٤) الفاء جواب شرط محذوف، أي : إذا كانت الآية خاتمة للسورة، فكأنه قال : بلغ هذا المنزل، وفيه إشعار بأن الفاء التنزيلية أعني ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا ﴾ فاء فصيحة، لأن السبب المحذوف إما قوله : بلغ هذا المنزل، أو قوله : بشر وأنذر، يعني بلغ المنزل لأننا أنزلناه بلغتك ليسهل عليك إبلاغه، فبشّر وأنذر . وقال : بشر وأنذر فإننا سهلنا بلسانك، وفصلنا مواقع البشارة والندارة، وإنما كان خاتمة للسورة، بل للقرآن بأسره، لأنها مشتملة على البشارة لأولياء الله والندارة لأعدائه، قال القاضي^(٥) : [ضمّن ﴿ يَسْرُنَا ﴾ معنى أنزلناه بلغتك وعدّي بالباء . وإلا فحقّه على لسانك].

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِثْقًا ﴾ آية ٩٦ . قال (ز) : سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم ... الخ . فوعدهم الله تعالى ذلك ((إذا جاء الإسلام)) .

(٢) الأساس ١٨٣ مادة (دجى).

(٣) البخاري مع الفتح ٣٠٣/٦ كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم ٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥ . ومسلم في صحيحه ٢٠٣٠/٤ كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحبَّ الله عبداً حبه إلى عباده برقم ٢٦٣٧ . والترمذي ٢٩٧/٥-٢٩٨ كتاب التفسير، باب ومن سورة مريم برقم ٣١٦١ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا ﴾ بلسانك لبشر به المتقين وتندر به قوماً لذا ﴿ آية ٩٧ . قال (ز) : هذه خاتمة السورة ومقطعها ((فكأنه قال :)) بلغ هذا المنزل، أو بشر به وأنذر.

(٥) القاضي البيضاوي ١٦/٤ .

سورة طه مكية (١) وهي مائة وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو عمرو فخم الطاء ، قال صاحب التيسير (٢) : [قرأ أبو بكر وحمة والكسائي يامالة فتحة الطاء والهاء ، وورش وأبو عمرو يامالة الهاء خاصة ، والباقون بفتحهما] .
قوله : ((أو قلبت في يطاء)) (٣) ، أي قلبت الهمزة في (يطاء) ألفاً ، وبنى الأمر عليه ، كما قالوا في هناك : لاهناك ، وإذا بنى عليه الأمر فيكون كما يكون الأمر يرى (٤) ثم ألحق هاء السكت فصار طه .

قوله : ((** لا هناك المربع)) (٥) .

أوله : ** راحت بمسلمة البغال عشية ** فارغى فزارة لاهناك المربع **
الرواح نقيض الغدو ، لاهناك دعاء على الناقة من الهنأى ، لاهناك رعى هذا المرتع ، راحت بمسلمة البغال ، نحو مَرُّ بفلان ، فزارة حي من الغطفان ، يخاطب ناقته ، وقد رحل مسلمة بالبغال عشية ، وقد فقد بنى فزارة أي ما مقامك ههنا ورعيت مرعاها فاقصدي بنى فزارة وارعي مرعاها .

قوله : ((ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين)) ، أي بنصف كل واحد من الطاء والهاء ، وقد سبق في فاتحة البقرة أنها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة ،

(١) مكية إلا آيتي ١٣٠ و ١٣١ ، وعدد آياتها ١٣٥ ، الزمخشري ٤٩/٣ . وقال في المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز للشيخ محمد المتولي : وعدد آياتها ١٣٢ البصري ، و ١٣٤ المدني والمكي والكوفي ، و ١٤٠ الدمشقي ١٣٨ الحمصي ، ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) صاحب التيسير أبو عمرو الداني ، انظره ص ١٥٠ . تفسير سورة (طه) .

(٣) قال (ز) : وعن الحسن رضي الله عنه : طه ، وفسر بأنه أمر بالوطء ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجدته على إحدى رجله ، فأمر أن يطاء الأرض يقدمه معاً ، وأن الأصل (طاء) ، فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفاً في يطاء ، علماً بأن هذا هو أضعف الأقوال .

(٤) في ب (يرر) ثم .

(٥) القائل : الفرزدق يهجو عمرو بن زهرة الفزاري ، انظر ديوانه ٥٠٨ ، والصواب أن طه من الحروف المقطعة في أوائل السور ، كما هو حال (طسم ، و طس) . والله أعلم .

فأسقطت الألف من كل واحد منهما ، فقليل : ﴿ طه ﴾ وعن نور الدين الحكيم :
كأنه قصد بهذا الكلام الذبّ عن الحسن ، فإنه اشتهر القول بأن هذه السورة من
السور الثمان والعشرين المبتدأ فيها بفواتح السور ، فإذا كان يدرج ﴿ طه ﴾
بالفواتح فقال : يجوز أن يكتفى بشطري الاسمين ، أي بهذين الحرفين من طاها
اللذين هما اسمان من الفواتح .

قوله : ((في لغة عك)) ، الجوهري (١) : [وهو عك بن عدنان ، أخو معد ،
وهو اليوم في اليمن] .

قوله : ((والله أعلم بصحة ما يقال)) ، وجه آخر .

قوله : ((تصرفوا في (ياهذا) فقلبوا حرف النداء طاءً ، واختصروا لفظة
هذا بحذف الذال ، وقالوا (طاها))) ، قال الواحدي (٢) : [وأكثر المفسرين على
أن معنى (طه) يا رجل ، يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الحسن
وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة ومجاهد وابن عباس (٣) في رواية عطاء
والكلبي ، غير أن بعضهم يقول : هي بلسان الحبشة وبالنبطية والسريانية ، ويقول
الكلبي بلغة عك ، قال ابن الأنباري : ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى ،
لأن الله لم يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بلسان غير قريش] ، وقد ذكر محي
السنة (٤) مختصراً من هذا ، والمصنف ما رضى بهذا القول ، حيث قال : والله أعلم
بصحة ما يقال . وقال : والأقوال الثلاثة في الفواتح هي التي يعول عليها الألباء
المتقنون .

قوله : ((و﴿ القرآن ﴾ ظاهر أوقع موقع الضمير)) ، يعني ﴿ طه ﴾ إذا
كان اسماً للسورة كان مبتدأ خبره ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ، ولا بد في
الجملة إذا وقعت خبراً من عائد ، وهنا أقيم مقام العائد ﴿ القرآن ﴾ ، وهو إما اسم
للسورة ، فاستغنى عن الضمير به إشعاراً بالعلية وإيذاناً بأن ما هو رحمة لك لا يكون

(١) الجوهري ١٦٠٠/٤ ، مادة (عك) .

(٢) الواحدي ١٩٩/٣ .

(٣) ذكر ذلك الماوردي ٣٩٢/٣ .

(٤) محي السنة البغوي ٢٦٢/٥ .

إنزاله لشقاوتك ، أو القرآن كله ، فاكثفى عن الضمير بالعموم ، كما في قولك :
نعم الرجل زيد في وجه ، وقد أشار إلى الوجهين بقوله : لأنها قرآن .

قوله : ((والشقاء يجيء بمعنى التعب)) (١) ، قال تعالى : ﴿ فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ﴾ (٢) أي فتعب ، الأساس (٣) : [ومن ترك في شقاء من أمرٍ إنه في تعب ، وما زلت تشاقى فلاناً منذ اليوم مشاقاة تعاسره ويعاسرك] .

قوله : ((أتعب من رائض مُهرٍ)) ، قال الميداني (٤) : [هو كقولهم : لا يعدم شقي مهراً ، يريد أن معالجة المهارة شقاء ، لما فيها من التعب] .

قوله : ((فأريد ردّ ذلك)) ، أي قوله تعالى : ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن

لتشقى ﴾ ردّ لقول المشركين : إنك تشقى بترك دين آبائك ، وتعرض بأنهم الأشقياء (٥) ، لأن ﴿ طه ﴾ إذا جعل اسماً للسورة و ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن ﴾ خبره ، يكون القرآن من وضع المظهر موضع المضمّر لما ذكرنا ، وللتفخيم تعظيماً له ، وأنه هو السّلم في نيل كلّ فوز وسعادة ، ومن حرم فهو الشقي الخائب الخاسر ، وإذا جعل قسماً ، و ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ المقسم عليه ، دالّ أيضاً على شرفه ، كقوله : وثناياك إنها إغريض (٦) ، من كون القسم والمقسم عليه من وادٍ واحد ، فقوله : ((وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها)) إشارة إلى معنى التعريض .

قوله : ((حتى اسمغلت قدماه)) ، النهاية (٧) : [وفي الحديث أنه صلى حتى اسمغلت رجلاه (٨) ، أي تورمتا وانتفختا ، واسمغلت الجرح إذا ورم] .

(١) تفسير قوله : ﴿ لتشقى ﴾ .

(٢) سورة (طه) الآية ٣ .

(٣) الأساس ٣٣٥ ، مادة (شقو) .

(٤) الميداني في أمثاله ٢٦٠/١ ، رقم المثل ٧٥٥ .

(٥) بأنهم (هم) الأشقياء ، في م .

(٦) في الأساس ٤٤٩ ، مادة (غرض) ، كأن ثغرها إغريضٌ وريقها ريقٌ غريضٌ يشفي بتر شفه المريض .

(٧) النهاية ٤٠٣/٢ ، مادة (سمغلت) .

(٨) ذكر نحوه الزيلعي في تحريج أحاديث الكشاف ٣٤٨/٢ ، وعزاه لليهقي في كتاب الدعوات

الكبير ، والحديث هو أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغلت قدماه ، فقال له جبريل عليه السلام : (أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً) .

قوله : ((لِنُفْهِكَ نَفْسَكَ)) الجوهرى (١) : [نَهَكَتْهُ الْحَمَى إِذَا جَهْدَتْهُ وَأَضْنَتْهُ]
وقدحه الذين أثقله ، وأمر قاذح إذا غاله وبهظه .

قوله : ((لاستجماعه الشرائط)) ، الشرائط بالرفع في بعض النسخ ، وفي
الحاشية عن المصنف لاستجماع الشرائط بغيرها ، هذا هو الصحيح ، لما ذكر
صاحب المغرب (٢) : [استجمع السيل اجتمع من كل موضع ، واستجمعت للمرء
أموره اجتمع له ما يحبّه ، وهو لازم كما ترى . وقولهم : استجمع الفرس جريا نصب
على التمييز . وأما قول الفقهاء : مستجمعا شرائط الجمعة فليس بثبت . وأما قول
الأبيوردي : (٣)

**** شامية ستجمع الشول حَرْجَفٌ **** (٤)

فكأنه قاسها على ما هو الغالب في الباب ، أو سمعه من أهل الحضر فاستعمله [تم
كلامه ، ويمكن أن تصحح الرواية بالرفع بأن يقال : التقدير لاستجماع الشرائط فيه
كقول الشاعر : (٥)

**** ويوم شهدناه سليما وعامرا ****

قوله : ((نَصْبَةٌ طَارئة)) أي في قوله تعالى : ﴿...وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٦) يعني كان من حقّه
دخول اللام لضعف دلالة على التعليل ، لأنه ليس على الشرطية لكنها نصبة عارضة
كما في قوله تعالى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ (٧) ، قال صاحب الفرائد : هذا
السؤال مبني على قوله : إلا أن الأول وجب مجيئه باللام ، يعني ذكرت الوجوب

(١) الجوهرى ١٦١٣/٤ مادة (نهك)

(٢) المغرب ١٥٩/١ مادة (جمع)

(٣) الأبيوردي : هو أبو المغفر محمد بن أحمد القرشي الأموي ، شاعر مؤرخ عالم بالأدب ، أنظر : محقق

المغرب ١٥٩/١

(٤) و صدر البيت : **** وتقرّون والآفاق يمري نجيعة ****

والحرجف الريح الباردة . انظر الصحاح ١٣٤٣/٤ مادة (حرجف) .

(٥) لم أفق على قائله

(٦) سورة (الحجرات) الآية ٢

(٧) سورة (الأعراف) الآية ١٥٥

وليس به ، لأنه يجوز مجيئه بدون اللام كما في قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ (١) وخلاصة الجواب الواجب أن يجاء باللام ، إلا أنه حذف اللام تخفيفاً لطول الصلة والموصول ، ولذلك قالوا : يحذف حرف الجرّ مع أن وإن كثيراً ، واللام ههنا متحقق حكماً ، ولم يكن متحقق في "تذكرة" لا حقيقة ولا حكماً .

قوله : ((لاختلاف الجنس)) ، قال صاحب الفرائد : هذا ليس بجواب أن يقال : المبدل منه لا بدّ من أن لا يكون مقصوداً في الكلام ، والمقصود هو البديل ، ولهذا يجوز أطراحه إلا حيث لا يستقيم بقية الكلام ، كما في قولك : زيد أرايت غلامه رجلاً صالحاً ، وههنا (لتشفى) مقصود في الكلام ، وأطراحه يخلّ بالمقصود مع أن بقية الكلام يصحّ بعد أطراحه . وقال صاحب التقریب : لا يجوز البديل لاختلاف الجنس في الانتصاب ، لكنه نصب على الاستثناء المنقطع . وقلت : الظاهر أن مقصود المصنّف من قوله : ((اختلاف الجنس)) أن التذكرة والشقاوة لا تترآ ناراهما ، ولو أبدلته منه لكنت جعلت الشيء بدلاً لما لا يجانسه ، والقائم مقام الشيء لا بدّ أن يكون بينهما مجانسة ، ولأنّ البديل كالبيان للمبدل من حيث الإيضاح فكالتأكيد له من حيث تكرير العامل ، كما سبق في ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ (٢) ، ولهذا جاز أن يكون استثناءً منقطعاً ، لأنّ اختلاف الجنسية شرط فيه ، أمّا تحقيقاً نحو ما جاءني أحد إلا حمّار ، أو تقديرأ نحو ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مَجْرَمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ ﴾ (٣) على ما سبق ، ويؤيده ما ذكره صاحب الكشف : لا يجوز البديل ، لأنّ التذكرة ليست من الشقاوة في شيء ليس هو إياه ولا بعضه ولا مشتملاً عليه .

قوله : ((المعنى إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَحْمِلَ مَتَاعَ التَّبْلِيغِ)) يريد أن "لتشقى" تعليل "لأنزلنا" ثم دخل النفي على المعلل والاستثناء متصل إما على تقدير الحال ، فيقال : ما أنزلنا عليك القرآن لتعب في حال من الأحوال إلا في حال

(١) سورة الحجرات ، الآية ٢

(٢) سورة الفاتحة ، الآية ٦ - ٧ .

(٣) سورة الحجر ، الآية ٥٧ - ٥٨ .

التذكرة . وأما على تقدير أن يكون مفعولاً له ، فيكون التقدير : ما أنزلنا هذا القرآن المتعب لأمر من الأمور إلا تذكرة . وقال صاحب الانتصاف : [في هذا الوجه بُعد ، لأنه حينئذ يكون الشقاء سبب النزول . وما جرت به عادة الله مع نبيه صلى الله عليه وسلم ، لأنه نهاه عن الشقاء وضيق الصدر . قال تعالى : ﴿ فلا يكن في صدرك حرج ﴾ (١) ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ (٢) وقلت : ما ذكره ليس بشيء ، لأن المراد بالشقاء التعب ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ (٣) حيث فسره المصنف بقوله : إن المعنى بالقول الثقل القرآن ، وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة ، لاسيما عليه صلوات الله عليه ، لأنه متحملها بنفسه ، فهي أثقل عليه . والمعنى على هذا التفسير : ما أنزلنا عليك القرآن المتعب إلا ليكون تذكرة ، لا لتحمل على نفسك قيام الليل وتذيقها المشقة ، فحسبك منه ما تلقاه من متاعب ومشاق مقابلة الأعداء . ومعنى قوله تعالى : ﴿ فلا يكن في صدرك حرج ﴾ (٤) لا تخف تكذيب القوم وإعراضهم ، ولا يضيق صدرك من الأذى فنهاه عن مبالاتهم وهو صريح في تلقي المكاره وتحمل المتاعب . وقوله تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ (٥) معناه لا تتساقط عليهم حسرات إن لم يؤمنوا بهذا الحديث (٦) ودم على التبليغ ولا تتهاون . وتلخيص ذلك أن

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٣

(٣) سورة المزمل ، الآية ٥

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢

(٥) سورة الشعراء ، الآية ٣

(٦) اختلف المفسرون في معنى هذه الآية ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ على قولين وكل منهما يشهد له قرآن ، القول الأول : أن معناها ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ أى لتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا ، ويشهد لهذا القول قوله تعالى في سورة فاطر الآية ٨ : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وقوله في سورة الشعراء الآية ١-٣ : ﴿ طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ وقوله في الكهف الآية ٦ : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ . القول الثاني : أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فأنزل الله ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ويدل لهذا العموم قوله تعالى في سورة الحج الآية ٧٨ :

الشقاء الذي نهاه عنه غير الشقاء الذي هو سبب النزول ، وهو الذي نحن بصدده (١) .

قوله : ((لمن يؤول أمره إلى الخشية)) (٢) ، هذا لأن القرآن تذكير للناس كلهم الخاشي وغير الخاشي ، وخص الخاشي لأنه المنتفع به .

قوله : ((ولمن يعلم الله)) عطف تفسيري لقوله : لمن ((يؤول أمره)) .

قوله : ((لأن الشيء لا يعلل بنفسه)) ، يعني تذكرة علة لأنزلنا ولو أبدل تنزيلاً عنه . رجع إلى كونه علة لأنزلنا ، فيلزم تعليل الشيء بنفسه ، وإذا جعل حالا يكون بمعنى منزلاً ، فيكون حالا موطئة كقوله : ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربياً ﴾ (٣) بخلافه إذا جعل مفعولاً له ، فإنه يبقى على مصدريته ، فيكون تعليلاً لنفسه .

قوله ((لأن معنى : ما أنزلناه إلا تذكرة ، أنزلناه تذكرة)) تعليل لجواز أن يكون أنزلنا عاملاً في المصدر المؤكد بهذا التقدير ، لأنه لو كان منصوباً بأنزلنا لا على هذا التقدير ، بل على ظاهره ، يكون تقدير الكلام ما أنزلنا تنزيلاً فمن خلق الأرض ، وهو فاسد .

قوله : ((وهو معنى حسن و إعراب بين)) لأن معنى ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكيراً لمن يخشى المنزل الذي شأنه أنه من جهة القادر العظيم القاهر السلطان الواسع الملك ، فإذا خشية بدل الكفر إيماناً والعصيان طاعة ولا يتقدم على التكذيب ولا ارتياب .

وقوله : ((ما بعد تنزيلاً إلى قوله : الأسماء الحسنى ؛ تعظيم وتفخيم لشأن المنزل)) فيه إيماء إلى ترتب الحكم على الوصف .

﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ١٨٥ : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وانظر : أسباب النزول للواحد ، ٣٥١ .

(١) الظاهر أن إعراب قوله تعالى : ﴿ إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ أنه مفعول لأجله ، أي ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة ، أي إلا لأجل التذكرة لمن يخشى الله ويخاف عذابه ، انظر أضواء البيان ٤/٤٠١

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لمن يخشى ﴾ .

(٣) سورة (يوسف) الآية ٢

قوله ((ولا يخلو من أن يكون متعلقه)) الضمير في لا يخلو راجع إلى قوله :
 ما بعد تنزيلاً . وعليه قول صاحب التقريب في قول المصنف فيقع صلة ، ويمكن أن
 يقال : إن (مَنْ) فاعل ، أي لا يخلو من أن يكون ، يعني (مَنْ خلق) إما أن يكون
 معمولاً (لتنزيلاً) أو لمقدّر ، وهو صفة تنزيلاً ، والصفة أدخل في التفخيم والتعظيم
 المطلوب ، لأن الصفة حينئذ تكون مادحة .

قوله ((إنما هذه الصفات إنما سردت مع لفظ الغيبة))^(١) يعني قوله : خلق
 الأرض واستوى له ما في السموات ، الله لا إله إلا هو ، فلو دام على لفظ التكلم لم
 يحسن سرد هذه الصفات على ما هو عليه ، لأن المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن تذكرة
 لمن يخشى تنزيلاً مَنْ هو مستحق لأن يطاع فيما أمر ونهى ، وأن يعبد ويخضع له ،
 وأن لا يستعان إلا به لأنه متّصف بهذه الصفات الكاملة ، ومن الأسلوب قوله تعالى :
 ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ﴾^(٢) فلم
 يقل استغفرت لهم تعظيماً لشأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتفخيماً لاستغفاره
 وتنبهها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان ، وأما قوله : إن هذه الصفات
 إنما سردت على لفظ الغيبة فمعناه أنه ما انتقل من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة كما
 عليه ظاهر الالتفات ، وإنما انتقل منه إلى ما من حقه أن يكون على لفظ الغيبة وهو
 المظهر ، كما في هذه الآية من لفظ الرسول ، فهو في الحقيقة من وضع المظهر موضع
 المضمّر لتؤخّر بيان العلة ، لأن حق العود بعد المضمّر أن يجاء بالمضمّر .

قوله ((فضوعفت الفخامة من طريقين)) يعني إذا ابتدئ الكلام بنوع من
 التعظيم ، وهو إتيان الضمير الدال على أن المتكلم به معظم مطاع ذو سلطان ثم ثنى
 بما يتمكن من إجراء الأوصاف الجليلة على الموصوف بنوع التعظيم وتكرّر المعنى
 المقصود . ويفوت هذا أن أجري الكلام على سنن واحد .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ تنزيلاً مَنْ خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ﴾ .

(٢) سورة (النساء) الآية ٦٤ .

قوله ((وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق)) (١) يريد أن التعريف فيه كالتعريف في قوله ﴿ وليس الذكر كالأُنثى ﴾ (٢) فإن المشار إليه ما يعلم من مفهوم قوله : ﴿ نذرت لك ما في بطني محررا ﴾ (٣) من الذكورة فإنه لما قيل ﴿ ممن خلق الأرض والسماوات العلى ﴾ فهم منه معنى الرحمن ، وأنه مولى جلائل النعم ، ولا نعمة أجل من إيجاد الأشياء من العدم ، فأشير باللام إلى ذلك المعهود ، كأنه قيل : ذلك الخالق ﴿ على العرش استوى ﴾ ، وفيه إثبات وصفين مستقلين ؛ أي الخالقية والمالكية .

قوله ((قالوه أيضاً)) جزاء لقوله ((وإن لم يقعد)) ، وقوله ((ملك)) مفعول لقوله ((ومساواته)) يعني أنهم يَكُونُون بقوله ((استوى فلان على العرش عن ملك ، سواء قعد على السرير أو لم يقعد)) (٤) لأن اللازم مساو في تأدية المعنى ، كما يقال يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل ، حتى إن لم يكن له يد رأسا قيل : هذا الكلام في حقه .

قوله ((وإن كان أشرح)) اسم كان ضمير يرجع إلى قولهم : استوى فلان على العرش لا إلى مَلَك ، كما ظن . المعنى قالوا استوى فلان على العرش يريد مَلَك سواء قعد على السرير أو لم يقعد لمساواة هذا اللفظ مَلَك في تأدية المقصود ، وإن كان هذا اللفظ أبسط من مَلَك وأبلغ منه ، كما علم في البيان أن الكناية أو قع من الإفصاح بالذكر لانك مع الكناية كمدعي الشيء بالينة ، ولأنه لا يقال : فلان استوى على العرش إلا بعد تمكّنه على الملك (٥) واستقراره له ، بخلاف ما إذا قيل :

(١) تفسير قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال (ز) : (الرحمن) لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير : هو الرحمن ، وإما أن يكون مبتدأ .. الخ

(٢) سورة (آل عمران) الآية ٣٦

(٣) سورة (آل عمران) الآية ٣٥

(٤) أول الزمخشري الاستواء بالملك وتبعه الطيبي في ذلك ، والأولى والأحرى عدم التأويل ، وأن يذهب في ذلك مذهب السلف . وهو الإثبات والتزيه عن معرفة الكنه ، كما قال مالك رحمه الله : الاستواء معلوم والكيف مجهول .. الخ

(٥) (من) الملك في م

مَلَك ، ولأن في تلك العبارة تصوير لصورة العرش في الذهن ، وتخيلاً لحالة الاستواء عليه ولزيد المعنى الآخر لا عكسه ، فيكون أبسط وأدَل .

قوله : ((والتمحل للتشية من ضيق العطن)) يريد قولهم : إن معنى اليد النعمة ، فمعنى ﴿ يد الله مغلولة ﴾ (١) نعمة الله مقبوضة ، ومعنى ﴿ يده مبسوطتان ﴾ نعمته في الدنيا ونعمته في الآخرة ، نقله الواحدي (٢) عن بعضهم .

قوله : ((من ضيق العطن)) أي من ضيق مجاله في المعاني والبيان ، الأساس (٣) [ضرب القوم بعطن إذا أناخوا (حول الورد ، وإذا أناخوا) (٤) حول الماء بعد السقي، والعطن والمعطن المناخ حول الورد ، فأما في مكان آخر فمُراح

(١) سورة (المائدة) الآية ٦٤

(٢) ذكره الواحدي ٢/٢٠٧ ، وهذا مذهب المؤولة ، أما مذهب أهل السنة والجماعة عدم تأويل آيات الصفات ، بل يوجبون الإيمان بها ، كما أخبر الله عن نفسه وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ، ﴿ أنتم أعلم أم الله ﴾ ، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي قال فيه ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ النجم ، الآية (٣) - (٤) فمن نفى عن الله وحفا أثبت لنفسه في كتابه العزيز ، أو أثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعما أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا ؛ فقد جعل نفسه أنه أعلم من الله وأعلم من رسوله بما يليق بالله جل وعلا ﴿ سبحانه هذا بهتان عظيم ﴾ النور الآية (١٦) ومن اعتقد أن صفات الله تشابه صفات الخلق فهو مشبه ، ومن أثبت لله ما أثبت لنفسه أو أثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم ، مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق ، فهو مؤمن جامع بين صفات الكمال والجلال والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل ، كما أوضح تعالى في قوله في سورة الشورى الآية (١٢) ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ لأن جميع الصفات من باب واحد ، لأن الموصوف بها واحد ، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفات الله ، فمن أثبت له جل وعلا أنه سميع بصير ، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم لزمه مثل ذلك في جميع الصفات ؛ كالاستواء واليد ونحو ذلك من صفاته جل وعلا ، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال . ومن المعلوم أن الذات والصفات من باب واحد ، فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق ، أنظر أضواء البيان ٢/٧٢ - ٢/٢٨٨ ، فالواجب على المسلم أن يثبت لله ما أثبت لنفسه جل وعلا أو أثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل على غرار آية الشورى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ الآية (١٢) والله أعلم .

(٣) الأساس ٤٢٦ مادة (عطن)

(٤) ما بين القوسين ليس في الأصل

ومأوى . ومن المستعار ، فلان واسع العطن ، إذا كان رحب الذراع [وقال الإمام (١) في قوله : من غير تصور يد ولا غل ولا بسط نظر] لأننا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت تأويلات الباطنية ، فإنهم يقولون أيضاً : المراد من قوله تعالى : ﴿ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ (٢) الاستغراق في خدمة الله من غير تصور فعل . وقوله تعالى ﴿ برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ (٣) المراد منه تخليص إبراهيم من يد الظالم من غير أن يكون هناك نار ، وخطاب البتة وكذلك القول في كل ما ورد في كتاب الله المجيد ، بل القانون أنه يجب حمل كل لفظ ورد في التنزيل على حقيقته إلا إذا قامت دلالة عقلية قطعية توجب الانصراف عنه وليت من لم يعرف شيئاً لم يخض فيه] ، وأقول : سلمنا أن الأصل إجراء اللفظ على حقيقته إلا إذا منع مانع ، لكن طريق العدول غير منحصر في المجاز في المفرد ، فكما جاز العدول عن الحقيقة الى المجاز جاز العدول من الاسناد إلى الإسناد ، في مثل قولنا : أنبت الربيع البقل وهزم الأمير الجند ، ومن المركب كما نحن بصدد ، فإنه عدول الى أخذ الزبدة والخلاصة من المجموع لمانع إجرائها على مفهومها الظاهري . ويسمى هذا بالكناية الإيمائية .

قوله : ((وما تحت الثرى)) ما تحت سبع الأرضين ، والثرى هو التراب الندي .

قوله : ((وعن بعضهم أن (أخفى) فعل ، قال محي السنة (٤) : [روي عن زيد بن أسلم ؛ أي يعلم أسرار العباد ، وأخفى سرّه عن عباده ، فلا يعلمه أحد ،

(١) الإمام الفخر الرازي ٧/٢٢

(٢) سورة (طه) الآية ١٢

(٣) سورة (الأنبياء) الآية ٦٧

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن تجهروا بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى ﴾

(٥) محي السنة البغوي ٥ / ٢٦٤

تحريره أنه يعلم أسرار العباد والعباد لا يعلمون أسرارهم ، كقوله تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾ (١)

قوله ((وليس بذاك)) (٢) أي الشرط لا يلزمه ، لأن الكلام ليس في إثبات العلم لله تعالى ونفيه عما سواه . قال صاحب الانتصاف (٣) [يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الاسمية إن عطفته على الجملة الكبرى أو عطف الماضي على المضارع إن عطفت الجملة الصغرى ، هذا من اللفظ ومن المعنى القصد الحذف على ترك الجهر وسقوط فائدته ، يعلم الله ما هو أخفى منه] وإذا جعلت فعلا ماضياً خرج عن قصد السياق ، وليس مثله قوله تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾ (٤) إذ بين السياقين اختلاف .

قوله ((فاعلم أنه غني عن جهرك)) فيه إيذان بأن السؤال عن وجه ترتب الجزاء على الشرط ، يعني أن من شرط الجزاء أن يكون مسبباً عن الشرط ، وههنا الشرطية مفقودة . وأجاب بوجهين مآلهما إلى تقدير الإعلام والتنبيه والتوبيخ والجواب الأول مبني على نفي الجهر وإثبات الغير ، والثاني على الإرشاد إلى وجه حكمته ، أما قوله : أولاً ((فاعلم أنه غني عن جهرك)) فتوبيخ ؛ يعني جهرك بالقول سبب لأن أوقفك على قلة جدواه ، لأن السامع قريب يسمع السر وأخفى ، ومنه تأديب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، رويانا عن البخاري ومسلم (٥) عن أبي موسى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اربعوا على أنفسكم إنكم

(١) سورة (طه) الآية ١١٠ ، وقوله تعالى في سورة الملك الآية ١٣ : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ وقوله في سورة التغابن الآية ٤ : ﴿ يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾

(٢) يعني أن قوله تعالى : ﴿ وأخفى ﴾ فعل ماضٍ (ليس بذاك)

(٣) الانتصاف مع الكشاف ٥٢/٣

(٤) سورة (البقرة) الآية ٢٥٥

(٥) البخاري مع الفتح ٣٧٢/١٣ كتاب التوحيد ، باب (وكان الله سميعاً بصيراً) رقم ٧٣٨٦ ومسلم ٢٠٧٦/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم

ما تدعون أصمّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم (الحديث . وأما قوله : ثانياً أن يكون نهياً عن الجهر فمعناه : لا تجهروا بالقول في الدعاء بل اعتمدوا الخفية ، فإنها أبعد من الرياء وأقرب إلى الخضوع وأهضم للنفس كما قال تعالى : ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول ﴾ (١) . وأما قوله : ثالثاً تعليماً للعباد ، فتأويله إني ما كلّفتكم الجهر لأنني لا أسمع إلا الجهر ، فإني أسمع السر وأخفى ، وإنما كلّفتكم لأمر آخر فروؤوه من مظانه ، كأنه قيل : شرعية الأمر بالجهر سبب للتنبيه على وجه الحكمة ودفع الريّة ، قال القاضي (٢) : [في شرعية الجهر ليس لإعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ، ومنعها عن الاشتغال بغيره وضمها بالتضرع والجوار] ، وقلت : وقد أسلفنا في خاتمة الأعراف مراتب الدعاء بحسب اختلاف المقامات على لسان العارفين . ومن الاعتبارين ما روي عن أبي داود والترمذي (٣) عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يخفض من صوته ، ومرّ بعمر رضي الله عنه يصلي يرفع صوته ، فسأل أبا بكر فقال : قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله ، وسأل عمر فقال : أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان . وأخرج الإمام أحمد (٤) نحوه عن علي وزاد الحسن في حديثه فقال يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً ، وقال لعمر : اخفض من صوتك شيئاً . ورواه أبو داود (٥) عن أبي هريرة أيضاً . واعلم أن هذه المعاني المذكورة مستنبطة من الآية باستعانة إشارة النص وأما عبارته فلإثبات علمه الشامل للكائنات من جزئياتها وکلياتها إيماء إلى التدبر التام ، وقوله : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ (٦) إشارة إلى المالكية العامة ، فيكون قوله ﴿ وإن تجهر

(١) سورة (الأعراف) الآية ٢٠٥

(٢) القاضي البيضاوي ١٨/٤

(٣) أخرجه أبو داود ٨٢/٢ كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل رقم ١٣٢٩ ، والترمذي ٣٠٩/٢ كتاب الصلاة ، باب ما جاء في قراءة الليل رقم ٤٤٧ ، وقال : هذا حديث غريب

(٤) أحمد في مسنده ١٠٩/١

(٥) رواه أبو داود ٨٢/٢ كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل برقم ١٣٣٠

(٦) سورة (البقرة) الآية ٢٥٦ .

بالقول .. الآية ﴿ إثبات للعالمية ، فالمعنى تنبّه أيها السامع على أن علمه محيط بكلّ شيء وإن أردت أن تجهر بالقول وتخفي في نفسك خلافه فاعلم أنه يعلم المضمّر وأخفى منه مما ستسره فيها ، وهو في المبالغة في جانب العلم مثل ﴿ وما تحت الثرى ﴾ في جانب الملك فينطبق على هذا التأويل مجئ اسمه المقدّس الجامع لأجل ترتب الحكم بالتوحيد عليه وإرداف قوله ((له الأسماء الحسنى)) (١) به على التّميم .

قوله : ((سائر الأسماء)) الجوهرى (٢) [سائر الناس جميعهم] وذكره في السير مع الياء ، وقال ابن الأثير في النهاية (٣) : [السائر مهموز ، ومعناه الباقي ، والناس يستعملونه في معنى الجميع ، وليس بصحيح ، وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث ، وكلّها بمعنى باقي الشيء ومنه فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أي باقيه] وفي المغرب (٤) [الأسار جمع على أفعال جمع سؤر ، وهو بقية الماء التى يبقياها الشارب في الإناء ، ثم استعير لبقية الطعام وغيره] ، وقال الحريرى في درة الغواص : [يستعملون سائر بمعنى جميع ، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي ، والدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لغيلان حين أسلم وعنده عشرة نسوة : (اختر أربعةً منهن وفارق سائرهن) (٥) وما أنشد سيويه :

ترى الثور فيها مدخل الظلّ رأسه *** وسائره باد إلى الشمس أجمع (٦)

قوله : ((قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به)) الضمير راجع الى معنى قوله : ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ (٧) على أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء

(١) تفسير قوله تعالى (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) سورة (طه) الآية ٨

(٢) الجوهرى ٦٩٢/٢ مادة (سئر)

(٣) النهاية ٣٢٧/٢ مادة (سأر)

(٤) المغرب ٣٧٨/١ مادة (سأر)

(٥) أخرجه أبو داود ٦٧٧/٢ كتاب الطلاق ، باب في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع برقم

٢٢٤١ والترمذى برقم ١١٢٨ وابن ماجه برقم ١٩٥٣ وأحمد ١٣/٢ رقم ٤٦٠٩

(٦) لم أقف على قائله

(٧) سورة (طه) الآيات ١-٣

الإسلام ومقابلتهم وغير ذلك ، كما أنزلنا على موسى التوراة لذلك ، فتكون الواو عاطفة قصة باستقلالها على قصة مثلها .

قوله : ((أعباء النبوة)) الجوهري ^(١) [العبء بالكسر الحِمْلُ ، والجمع الأعباء] .
قوله : ((ظرفاً للحديث ^(٢) ، لأنه حدث أى مصدر هنا بدليل قوله : ﴿ فقال لأهله امكثوا ﴾ ^(٣) بخلاف قوله : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ ^(٤) فإنه بمعنى الخبر قال الجوهري ^(٥) : [والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير] ، الراغب ^(٦) [كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع في يقظته أو منامه ، يقال له : حديث ، قال تعالى ﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴾ ^(٧) وقال : ﴿ وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ ^(٨) أي ما يحدث به الإنسان في نومه ، وسمى تعالى كتابه حديثاً ، قال : ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ ^(٩) وقال : ﴿ فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ﴾ ^(١٠) والحديث الطَّرِيُّ من الثمار ورجل حَدُوْتُ حسن الحديث ، ورجل حَدَثٌ ، وحديث السنّ بمعنى قوله ((شاتية)) ^(١١) قيل : هي من قولهم : شتوت بموضع كذا أقمت به الشتاء ، قوله : ((مثلجة)) أي ذات ثلج .

(١) الجوهري ٦١/١ مادة (عبأ)

(٢) تفسير قوله تعالى (إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجمل

على النار هدى) الآية ١٠ طه

(٣) سورة (طه) الآية ١٠

(٤) سورة (الغاشية) الآية ١

(٥) الجوهري ٢٧٨/١ مادة (حدث)

(٦) الراغب ١١٠ مادة (حدث)

(٧) سورة (التحریم) ٣

(٨) سورة (يوسف) الآية ١٠١

(٩) سورة (الجاثية) الآية ٦

(١٠) سورة (النساء) الآية ٧٨

(١١) تفسير قوله ﴿ رأى نارا ﴾ قال (ز) : خرج موسى بأهله ، فولد له في الطريق ابن في ليلة

((شاتية)) مظلمة مثلجة

قوله : ((وقدح فَصَلَدَ زَنْدَهُ)) الجوهرى (١) [وصلد الزند يصلد بالكسر صلودا إذا صوت ولم يخرج نارا] .

قوله : ((لما وجد منه الإيناس)) (٢) يروى وجد معروفًا ومجهولاً ، والأول أوجه لمطابقة خيفة لهم أي لما وجد موسى من نفسه الإيناس خيفة للأهل بأن قال إني آنست بكلمة التحقيق ، قوله : من سعة السعة (٣) الخرقه بلغة أهل مكة ، والسعاف الخراف .

قوله : ((إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى)) (٤) يريد أنه أطلق الهدى وأريد الهداة إطلاقاً اللازم على المزوم ، ويمكن أن تكون الآية من باب قول ابن المنادر

**** إن عبد الحميد لما تولّى هدرُكُنّا ما كان بالمهدود ****

**** ما درى نعشه ولا حاملوه ** ما على النعش من عفاف وجود ****

لأنه إذا واجد الهدى في ذلك المكان ولا ارتياب في أنه لا يتقوم فيه بنفسه ، فقد وجد الهداة وعليه البيت المستشهد به في الكتاب (٥) ، قوله ((وبات على النار))

قوله : ((كما قال سيويه)) يعني جعل استعلاءه مكان يقرب منها بمثابة استعلائها كما جعل اللصوق بما كان يقرب من زيد بمثابة اللصوق بمكان زيد .

قوله ((أو لأن المصطلين بها)) أعلم أن على النار ظرف مستقر حال من (هدى) وكان صفة قد مت ، فصارت حالاً ، قال صاحب الفرائد : (على) حرف جر لا بدّ له من متعلق ، فالتقدير أو أوجد ذوي هدى مشرفين على النار لأنه لا بدّ في الاصطلاء بالنار من أن تكون النار تحت أذيالهم .

(١) الجوهرى ٤٩٨/٢ مادة (صلد)

(٢) تفسير قوله : ﴿ إني آنست نارا ﴾

(٣) السَّعْفَةُ بالتحريك غُصْنُ النَّخْلِ ، وسعوف البيت فرشته وأمتعته ، الواحدة سعف بالتحريك ،

اللسان ١٥١/٩ - ١٥٢

(٤) نفس قوله : ﴿ أو أجد على النار هدى ﴾

(٥) يشير إلى بيت الأعشى بمدح الخلق

**** تشبّ لمقرونين يصطليانها ** وبات على النار الندى والخلق ****

انظر : مشاهد الإنصاف ٥٣/٣ .

قوله ((تَكْنَفُوها)) الجوهرى (١) تَكْتَفُوهُ واكتنفوه أى أحاطوا به ، والتكنيف مثله .

**** لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة ** إلى ضوء نار في يفاع محرق ****
**** تشبّ لمقرورين يصطليانها ** وبات على النار الندى والمخلق ****
**** رضيعي لبان ثدي أم تقاسما ** بأسحم داج عوض لا تتفرق ** (٢)**

قال الحريري في درة الغواص : بعد إنشاد البيتين الأخيرين يعني أن المخلق الممدوح والندى ارتضعا ثدي أم وتحالفا على أنهما لا يفترقان أبداً لأن عوض من أسماء الدهر، وهي مما بني على الضم والفتح وهو للمستقبل كما أن قطّ للماضي وعني بالأسحم الداجي ظلمة الرحم المشار إليها في قوله تعالى : ﴿يَخْلَقْكُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ (٣) وقيل : بل عني به الليل . ومعنى (تقاسما) على التقديرين تحالفا . وقيل : تقاسما اقتسما وأن المراد (بالأسحم الداجي) الدم ، و (البقاع) المكان المرتفع ، وهو أشهر النار للقاصدين (تشب) توقد ، و (المقروور) من أصابه القرائي البرد ، و (المخلق) بكسر اللام وفتحها اسم رجل من بني عكاظ ، كان حاملاً فقيراً له عدة بنات لا يرغب فيهن فأنزل عن قومه إلى بعض المهامة ، فنزل به الأعشى ذات ليلة ، فأحسن قراه ، ونحر ناقته ، ولم يكن عنده غيرها فوقع صنعه من أعشى موقعا جليلا فلما أراد الانصراف قال : ألك حاجة ؟ قال : أريد أن تسير بذكري في بني عكاظ ؛ لعلني أشتهر ويرغب في بناتي فقد مسّهن الضرّ ، فتوجّه الأعشى إلى قومه ومدحه بقصيدة ذكر فيها محاسن شيمته ومكارم أخلاقه واستمال به قلوبهم إلى مواصلته فلم يَمُضْ قليلا حتى خطب إليه جميع بناته .

قوله ((أي نودي فليل يا موسى)) (٤) قال صاحب الكشف : فعلى هذا الذى قام مقام الفاعل في الحقيقة في نودي هو المصدر دون قوله (ياموسى) لأنه جملة

(١) الجوهرى ١٤٢٤/٤ مادة (كف)

(٢) مشاهد الإنصاف ٥٣/٣ .

(٣) سورة (الزمر) الآية ٦

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿فلما أتاها نودي يا موسى﴾

والجمل لا تقوم مقام الفاعل ألا ترى أنه قال في قولهم : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه ﴾ (١) أن التقدير : ثم بدا لهم بدء ، ولا يقوم (ليسجننه) مقام الفاعل ، لأنه جملة والجمل نكرات ، والفاعل يضم والمضمر أعرف المعارف ، فإذا التقدير : نودي النداء ثم فسر ف قيل (يا موسى) .

قوله ((بأني أسمعه من جميع جهاتي الست وبجميع أعضائي)) (٢) قال صاحب الانتصاف : إن كان الرمنخشري قصد بهذا التعصب لمذهبه في حدوث الكلام لم يبعد منه وإن كان نقله ، كما وجدته في كتب التفسير ، فلا عليه والمعتقد الحق (٣) أن الذي

(١) سورة (يوسف) الآية ٣٥

(٢) تفسير قوله : ﴿ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ الآية ١٣ (طه) قال (ز) : وأن إبليس وسوس إليه فقال : لعلك تسمع كلام شيطان ، فقال : أنا عرفت أنه كلام الله ((بأني أسمعه .. الخ

(٣) هذا معتقد الأشاعرة في الكلام ، وأن الذي سمعه موسى من ربه ليس فيه حرف ولا صوت إلخ ، والمعتزلة يجعلون كلام الله مخلوقا . ومذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن هو كلام الله تعالى بألفاظه ومعانيه ، كما صرح تعالى بأن هذا المسموع هو كلام الله في قوله تعالى في سورة براءة الآية ٦ : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ فصرح بأن هذا الذي يسمعه هذا المشرك المستجير هو كلام الله ، فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري ، وما يزعمه بعضهم من تجريد كلامه جل وعلا عن الحروف والألفاظ باطل . قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي في مراقبي السعود معرفا للقرآن:

**** لفظ منزل على محمد ** لأجل الإعجاز والتعبد ****

فصرح بأن القرآن لفظ ، وأنه ليس مجرد المعنى القائم بالذات المجرد عن الألفاظ والحروف . انظر مذكرة أصول الفقه لشيخنا - المغفور له - محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٥٤ ، والله أعلم بكيفية كلامه جل وعلا ، فليس لنا إلا التصديق ، والعجز عن الكيفية ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ١٧٢/١٢ بعد أن استطرده ما قيل في كلام الله من المذاهب كلها . قال : [فيبين الله ورسوله أن القرآن المسموع كلام الله لا كلام أحد من المخلوقين ، والناس يقرءونه بأصواتهم ، فمن قال : إن هذا القرآن المسموع ليس هو كلام الله أو هو كلام القارئ ، كان فساد قوله معلوم بالضرورة شرعا وعقلا ، كما أن من قال : إن هذا الصوت المسموع ليس هو صوت العبد ، أو هو صوت الله كان فساد قوله معلوما بالضرورة شرعا وعقلا . بل هذا هو كلام الله لا كلام غيره سمعه جبريل من الله ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل ، وسمعه المسلمون من نبيهم ، ثم بلغه بعضهم إلى بعض ، وليس لأحد من الوسائط فيه إلا التبليغ بأفعاله وصوته ، لم يحدث أحد منهم شيئا من حروفه ولا نظمه ولا معانيه ، بل جميع ذلك كلام الله تعالى .

سمعه موسى ليس حرفاً ولا صوتاً إذا لو كان صوتاً فالصوت عرض والعرض الواحد لا يوجد في الجهات الست ، فعبّر بنفي لازم كونه صوتاً عن نفي الصوت ، كقوله صلوات الله عليه : (وكلتا يديه يمين) أي لو كانتا جارحتين لكانت إحداهما يسرى . إما أن الصوت لا يختلف بقرب وبعد فمما يجب تغليط^(١) رواته . والذي يثبت صوتاً ، وحيثما يقول : إن موسى قال : سبحانك أسمع صوتك ولا أرى شخصك ، وقلت : روى الواحدى ومحي السنة^(٢) [عن وهب نودي من الشجرة فقليل : يا موسى ، فأجاب سريعاً - ما يدري من دعاه - فقال : إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت ؟ فقال : أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك ، فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله عز وجل فأيقن به] هذا كله لا يدل على لزوم الجسمية ، وكذلك القرب والبعد ، وقال القاضي :^(٣) [وهذا إشارة إلى أنه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقل إليه من غير اختصاص بعضو وجهة] .

قوله : ((فألقيت عليه السكينة)) السكينة فعيلة من السكون وهي الطمأنينة.

قوله : ((عوسجة)) الجوهرى^(٤) : [العوسج ضرب من الشوك الواحد منها

عوسجة .

قوله : ((لأنهما كانتا من جلد حمار))^(٥) عن الترمذي^(٦) عن ابن مسعود

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كان على موسى يوم كلمه ربه سراويل صوف ونعلان من جلد حمار ميت) ، الراغب^(٧) : [الخلع خلع الإنسان ثوبه

(١) روايته فى ب

(٢) محي السنة البغوي ٢٦٦/٥ وعزاه السيوطي ٥٥٤-٥٥٥ للإمام أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والواحدى ٢٠٢/٣ بلفظه .

(٣) القاضي البضاوي ١٩/٤

(٤) الجوهرى ٣٢٩/١ مادة (عسج)

(٥) تفسير قوله : ﴿ فاخلع نعليك ﴾ قال (ز) : أمر بخلع النعلين ((لأنهما كانتا .. إلخ

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٦/٤ كتاب اللباس ، باب ما جاء في لبس الصوف برقم ١٧٣٤ قال أبو عيسى

هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج ، وهو منكر الحديث . ورواه الحاكم في المستدرک ٣٧٩/٢ وصححه على شرط البخاري ، ثم تعقبه الذهبي بقوله : بل ليس على شرط البخاري ، وإنما غره أن في الإسناد حميد بن قيس كذا ، وهو خطأ ، إنما هو حميد الأعرج الكوفي أحد المتروكين .

(٧) الراغب ١٥٥ مادة (خلع)

والفرس جُلَّه وعذاره ، وإذا قيل : خلع فلان على فلان معناه أعطاه ثوباً ، واستفيد معنى العطاء من هذه اللفظة بأن وصلَ به على فلان بمجرد الخلع [والنعل معروفة ، وشبه به نعل الفرس ونعل السيف وفرس متعل في أسفل رسغه بياض ، ورجل ناعل ومتنعل ويعبر به عن الغنى كما يعبر عن الفقير بالخافي .

قوله : ((الحفوة تواضع)) الجوهري ^(١) [عن الكسائي رجل حافٍ يئن الحفوة والحفَاء بالمد ، وقد حَفِيَ يحفي ، وهو الذي يمشى بلا خف ولا نعل . وأما الذي حَفِيَ من كثرة المشي - أي رقت قدمه أو حافره فإنه خَفٍ] .

قوله : ((طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف)) في معالم التنزيل ^(٢) [قرأ أهل الكوفة والشام بالتنوين والآخرين بلا تنوين ، لأنه معدول عن طاوٍ] الراغب ^(٣) [طويت طياً ، وذلك كطيّ الدرج ، وعليه قوله تعالى : ﴿ يوم نطوي السماء كطيّ السجل ﴾ ^(٤) ومنه طويت الفلاة ، ويعبر بالطي عن مُضي العمر ، يقال: طوى الله عمره . وقوله تعالى : ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ ^(٥) يجوز أن يكون من الأول وأن يكون من الثاني ، والمعنى مُهْلَكَاتٌ . وقوله تعالى : ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ ^(٦) قيل : هو اسم للوادي الذي حصل فيه ، وقيل : إن ذلك جعل إشارة إلى حالة حصلت له على طريق الاجتباء ، فكأنه طَوَى عليه مسافة لو احتاج إليها أن يبالغ بالاجتهاد لَبَعْدَ عليه . وقيل : هو اسم أرض ، فمنهم من يصرفه ومنهم من لا يصرفه . وقيل : مصدر طَوَيْتُ فيصرف ويفتح أوله ويكسر نحو ثَنَيْتُ وِثْنِي ومعناه ناديته مرتين] .

(١) الجوهري ٢٣١٦/٦ مادة (حفا)

(٢) معالم التنزيل للتغوي ٢٦٧/٥

(٣) الراغب ٣١٢ ، ٣١٣

(٤) سورة (الأنبياء) الآية ١٠٤

(٥) سورة (الزمر) الآية ٦٧

(٦) سورة (طه) الآية ١٢

قوله : ((وقيل مرتين نحو ثني الجوهرى ^(١)) ، قال بعضهم : مثل طوي وهو الشيء المثني ، وقال : ثبت فيه البركة والتقديس مرتين] .

قوله : ((كره بعد كره)) نحو ليك (وسعديك) ^(٢)

قوله : وقرأ حمزة ﴿ وَأَنَا اخْتَرْنَاكَ ﴾ يعني أنا بتشديد النون ، والباقون بتخفيف النون ، الراغب ^(٣) [الاختيار طلب ما هو خير وفعله ، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) يجوز أن يكون إشارة إلى إيجاد تعالى إياهم خيرا ، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم ، والمختار في عرف المتكلمين ، يقال : لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه ، فقولهم : هو مختار في كذا فليس يريدون به ما يراود بقولهم : فلان له اختيار .

قوله : ((لتذكرني)) ^(٥) فيها لاشتغال الصلاة على الأذكار ، هذا الوجه .

وقوله : ((أو لتكون لي ذاكرة غيرنا س فعل المخلصين)) إلى آخره متقاربان ، لكن المراد بالإقامة على الأول تعديل أركانها . وعلى الثاني إدامتها وجعلت الصلاة في الأول مكانا للذكر ومقره وعلته ، وعلى الثاني جعلت إقامة الصلاة أي إدامتها علة لإدامة الذكر أي أديم الصلاة لتستعين بها على استغراق فكرك وهمتك في الذكر كقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ ^(٦) ولخصهما القاضي ^(٧) [حيث قال : خص الصلاة بالذكر وأفردها بالأمر للعللة التي أناط بها إقامتها ، وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره ، يعني ولثبوته الذكر أفردت الصلاة عن جنس العبادات وجعلت جنساً أشرف وأعلى منها ، ثم نيط بها الذكر للعلية ليؤذن بأن الذكر مخ العبادات] تم كلامه . واعلم أنه تعالى كلما خاطب كلمه عليه السلام في مقام القدس بخطاب رتب عليه حكما ، قال : أولا ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ فعقبه بقوله :

(١) الجوهرى ٢٤١٦/٦ مادة (طوى)

(٢) ما بين القوسين س من ب

(٣) الراغب ١٦١ مادة (خير)

(٤) سورة الدخان الآية ٣٢

(٥) تفسير قوله تعالى (لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)

(٦) سورة البقرة الآية ٤٥ .

(٧) القاضي البيضاوى ١٩/٤

﴿ فاخلع نعليك ﴾ ، قال الإمام (١) : [نَبّه به على تعظيم البقعة وعلى أن لا يطأها إلا حافيا ، ولذلك علّله بقوله : ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾] وإكرام الديار لساكنيها ، كأنه أشير به ، إنك بوادي قدّس جلال الله وطهارة عزّته ، فتجرّد عما سوى الله . ويمكن (٢) أن يقال : خَلْعُ النعلين إشارة إلى تجريد ما وقع النظر عن السعي بالكلية ، لأنّ بالقدم يعبر عن السعي ، كما أن باليد يعبر عن القوة ويوافقه ما رواه السلمي في الحقائق عن الشبلي : اخلع الكلّ منك تصل إلينا بالكلية ، فيكون ولا يكون ، فتحقّق في عين الجمع ليكون إخبارك عنا وفعلك فعلنا ، وقال ابن عطاء: اخلع نعليك أنزع عنك قوة الاتصال والانفصال إنك بوادي الانفراد معي ، ليس معك أحد سواي . والله أعلم . وثانياً ﴿ وأنا اخترتك ﴾ فعقبه بقوله ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ قال الإمام (٣) : [﴿ وأنا اخترتك ﴾ لذلك المنصب العالي ابتداء لا أنه استحقاق منك على الله فتأهب له واجعل نفسك وعقلك مصروفا إليه ، فقله : ﴿ وأنا اخترتك ﴾ يفيد نهاية اللطف والرحمة ، وقوله : ﴿ فاستمع ﴾ غاية الهيبة والرّهبة . وثالثاً ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾ قال الإمام (٤) : [الفاء دلّت على أن إلهيته هي التي ألزمت العبادة ، هذا هو تحقيق قول العلماء] ﴿ لا إله إلا هو ﴾ معناه المستحقّ للعبادة . ورابعاً ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدّلك عنها من لا يؤمن بها ﴾ رتب نهى المخاطب عمّا يصدّه عن الآيات على مجيئ الساعة ، كما رتب نهى مدّ النظر على إتياء السبع المثاني في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ * لا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم ﴾ (٥) أي لا يصدّك النظر إلى متمتعاتهم التي هي زهرة الحياة الدنيا عن

(١) الإمام الفخر الرازي ١٧/٢٢

(٢) وهذا من التفسير الاشاري ، ولذا استشهد بكلام السلمي في الحقائق عن الشبلي ، والشبلي : هو دلف بن حجر أحد النساك المتصوفة ، انظر وفيات الأعيان ١٨٠/١ وصفة الصفوة ٢٥٨/٢ .

(٣) الإمام الفخر الرازي ١٩/٢٢

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٩/٢٢

(٥) سورة (طه) الآية ٨٧

التهيئة لزاد المعاد ، والتفرغ للعبادة ، ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ (١) وقال الإمام (٢) : [قوله : ﴿ فاخلع نعليك ﴾ تحلية ، والثلاثة الأخرى تحلية ، فقلوه : ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ إشارة إلى علم المبدأ ، وقوله : ﴿ فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ علم الوسط ، وهو مشتمل على العمل بالجوارح وبالقلب ﴿ فاعبدني ﴾ إشارة إلى الأول ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ إلى الثاني ، وقوله : ﴿ إن الساعة آتية ﴾ علم المعاد . وقلت : إذا تقرّر هذا المعنى انخرط فيه معنى قول سيّد المرسلين : (من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها) رويّا عن مالك (٣) والترمذي وأبي داود ، وغيرهم عن أبي هريرة في حديث طويل : فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي صلاة الصبح حين نام عنها ، قال : (من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى قال : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ لأن الحكمة في وضع إقامة الصلاة كما سبق تذكّر المعبود فيها ، وأنها مكانه ومحلّه ، فإذا ذكرت الصلاة بادر الحكمة في شرعيّتها في الذهن ، فتكون الحكمة حاملة للمكلف على إقامتها ، فصح أن يكون وجود ذكر الله سبباً لإقامة الصلاة ، فالعدول عن هذا التأويل إلى الوجوه التي ذكرها المصنف في تأويل الحديث ، وجعلها متمخلة تعسف وتمحّل .

قوله : ((وكان ذلك لست ليال خلون)) (٤) ، قال الحريري في درة الغواص : [والاختيار أن يقال من أول الشهر إلى منتصفه : خلت وخلون ، وأن

(١) سورة (طه) الآية ١٥

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٩/٢٢

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١٤/١ كتاب وقوت الصلاة ، باب النوم عن الصلاة برقم ٢٥ وأبو داود ٣٠٧/١ ، ٤٠٨ ، كتاب الصلاة ، باب من نام عن الصلاة أو نسيها رقم ٤٤٢ ومسلم ٤٧١/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة برقم ٦٨٠ والبخاري مع الفتح ٧٠/٢ كتاب مواقيت الصلاة ، باب من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها الخ برقم ٥٩٧ والترمذي ٣٣٦/١ أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الرجل ينسى الصلاة رقم ١٧٨

(٤) قال (ز) عند قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ واللام مثلها في قولك : جئتك لوقت كذا ((وكان ذلك لست ليال)) إلخ .

يستعمل في النصف الثاني بقيت وبقيين ، على أن العرب تختار أن تجعل النون للتقليل والتاء للتكثير ، فيقولون : لأربع خلون ، وإحدى عشرة خلت .

قوله : ((وكان حقَّ العبارة أن يقال : لذكرها)) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا ذكرها) ، يعني حمل ﴿ لذكرها ﴾ على ذكر الصلاة بعد نسيانها غير صحيح ، لأنه لو أريد ذلك لقليل : ﴿ أقم الصلاة لذكرها ﴾ ولا يجاء بضمير الله سبحانه وتعالى ، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد هذا المعنى أتى بضمير الصلاة دون ضمير الله في قوله : (إذا ذكرها) .

قوله : ((ومن يتمحل له)) ، تمحل أي احتال فهو متمحل . قاله الجوهري (١) .
قوله : ((أو لأن الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة)) ، يعني لما كان الذكر والنسيان من الله تعالى حقيقة أسند إليه في الآية كما أسند في قوله : أنبت الله البقل ، والمستعمل أنبت الربيع البقل .

قوله : ((من اللطف)) (٢) ، لأن في الإعلام بتعيين وقوعها قطعاً ، وفي إخفاء الوقت مع الانتظار ساعة فساعة تحذيراً .

قوله : ((ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف)) ، يريد أنه لا بد لهذا الكلام من وجود قرينة على تعيين المحذوف ، والذي دلَّ عليه الكلام الإتيان ، فيجب أن يقدر ﴿ أكاد أخفي ﴾ إتيانها ، على حذف المضاف ، وقيل : والذي يدل على ذلك المقدَّر إيجاب أخفيها من متعلق ، وهو على من أخفيها ، فلا يجوز أن يقال : ﴿ أكاد أخفيها ﴾ من الخلق ، لأنه تعالى أخفاها عنهم ونصَّ عليه بقوله : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ (٣) ، ويقول : ﴿ إنما علمها عند ربي ﴾ (٤) ، وغير ذلك ،

(١) الجوهري ١٨١٧/٥ ، مادة (محل) .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ الآية ١٥ ، قال

(ز) في قوله : ﴿ أكاد أخفيها ﴾ : ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها ((من اللطف)) .

(٣) سورة لقمان ، الآية ٣٤ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٨٧ .

فتعين أنه تعالى كاد يخفيها من نفسه على سبيل المبالغة ، قال محي السنة (١) : [وأكثر المفسرين على أن معناها أكاد أخفيها من نفسي ، وكذلك هو في مصحف أبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ﴿ أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لكم ﴾ ، وهو على عادتهم إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون : كتمت سرّك من نفسي ، أي أخفيته غاية الإخفاء] ، روى صاحب الانتصاف (٢) عن أبي علي : أخفيها أزيل خفاءها وأظهرها ، تقول : أخفيته أزلت خفاءه ، مثل : أشكيت وأعتبت ، ويؤيده القراءة بالفتح (٣) من خفاء إذا أظهره .

قوله : ((أخفيها بالفتح)) ، قال ابن جني (٤) : [أخفيت الشيء كتمته وأظهرته جميعاً ، وخفيته بلا ألف أظهرته الّفة ، وقال أبو علي وابن جني (٥) : [إذا كان ﴿ أخفيها ﴾ بالضم (٦) بمعنى أظهرها ، فاللام في قوله : ﴿ لتجزي ﴾ متعلّقة بنفس ﴿ أخفيها ﴾ ، ولا يحسن الوقف دونها ، وإذا كان بمعنى الإخفاء والستر فمتعلّقة بنفس آية فالوجه أن يقف بعد أخفيها وقفة قصيرة] .

قوله : ((فإن تدفنوا الداء)) (٧) البيت ، الأساس (٨) : [ومن المجاز : فيه داء دفين ، وهو الذي لا يعلم به حتى يظهر شرّه] ، يقول : إن ترجعوا إلى الصلح لا تظهر العداوة وأن تبغثوا الحرب إي تعودوا إلى الحرب نعد إليها .

قوله : ((فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين)) ، أي القراءة المشهورة تحتمل ﴿ أخفيها ﴾ أي أكتمها ، وأخفيها ، أي أظهرها على ماسبق .

(١) محي السنة البغوي ٢٦٧/٥ .

(٢) صاحب الانتصاف أحمد بن منير المالكي ٥٦/٣ .

(٣) قرأ بالفتح ﴿ أخفيها ﴾ بفتح الهمزة سعيد بن جبير وأبو الدرداء ، مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٨٧ .

(٤) المحتسب لابن جني ٤٧/٢ .

(٥) المحتسب لابن جني ٤٨/٢ .

(٦) (بالفتح) في ابن جني ٤٨/٢ .

(٧) البيت لامريء القيس ، من شواهد الزمخشري ، وقامه :

** فَإِنْ تَدَفَّنُوا الدَّاءَ لَا نُخَفِّهِ ** وَإِنْ تَبَغَّثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ **

(٨) الأساس ١٩١ ، مادة (دفع) .

قوله : ((لتجزى)) متعلق بآية ، فيكون قوله : ﴿ أكاد أخفيها ﴾ معترضتان بين المتعلق والمتعلق مؤكداً لمعنى الإخفاء ، لأن قوله : ﴿ إن الساعة آتية ﴾ لتجزى ﴿ دل على الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها وبيان الحكمة فيها .

قوله : ((والضمير للقيامه ويجوز أن يكون للصلاة)) (١) ، هذا هو الوجه ، وعليه تأليف النظم ، لأن قوله : ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ من عطف الخاص على العام ، وهو ﴿ فاعبدني ﴾ أي أعبدني وانتظر وقت الجزاء ولا تقصر في العبادة فيلحقك فيها فتور ، لأنك لا تدري متى تأتيك الساعة لقوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٢) ، وإن اعتراك صاّد يصدك عن العبادة فلا تلتفت إليه ، فعلى هذا المراد بقوله : ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ أدم الصلاة لتكون ذاكرةً غير ناسٍ فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل همهم وأفكارهم به ، كما قال : ﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (٣) ، يدل عليه سياق الكلام ، وينطبق عليه تأويل نبي الله صلوات الله عليه : (من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها) (٤) يعني دوموا على إقام الصلاة ، فإذا طرأ النسيان الذي هو خلاف العادة فارجعوا إلى ما كنتم عليه ، لأن الشرط تعليق للحادث الطارئ .

قوله : ((العبادة)) ، يعني قوله : ﴿ ولا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها ﴾ وهو لنهي الكافر الغائب ، والمقصود نهي موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث تهيجاً أمره بالمداومة على التصديق له .

قوله : ((فيه وجهان)) أي في صلاح هذه العبارة لأداء هذا المقصود طريقان ، أحدهما أن الكافرين إذا صدّوه عليه السلام عن تصديقه البعث (٥) ، وأثر فيه ذلك ، كان سبباً بأن يكذب بالبعث ، فنهاهم عن الصلّة الذي هو السبب ،

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ الآية ١٦ ، قال

(ز) : أي يصدّنك عن تصديقها ((والضمير للقيامه)) إلخ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٩٩ .

(٣) سورة النور ، الآية ٣٧ .

(٤) تقدم تخريجه قريباً .

(٥) (بالبعث) في م .

وأريد المسبب وهو نهى موسى عن التكذيب تهيجاً وإلهاباً . وثانيها أن الكافر إنما ينهى عن الصلّة إذا وجد في موسى ما يتأثر عن صلّة الكافر من الرخاوة واللين . فيكون تأثيره سبباً للنهي ، فذكر المسبب وهو النهي ، ليدل على السبب وهو الرخاوة واللين ، فيرجع المعنى إلى قوله : كن شديد الشكيمة صلب (١) المعجم (وفي اعتبار العكس إيذان بأن الملازمة بين المذكور والمطلوب مساوية ، وهذا شأن الكناية ، ويجوز أن يكون الأول مجازاً و الثاني كناية . قال صاحب المفتاح الانتقال من اللازم إلى ملزوم معين يعتمد مساواته إياه لكنهما عند التساوي يكونان متلازمين ، فيصير الانتقال من اللازم إلى الملزوم إذ ذاك بمنزلة الانتقال من الملزوم إلى اللازم) (٢) وفي قوله : ((عن رخاوة الرجل أدب حسن حيث كنى به عن نبي الله . قوله ((الشكيمة)) الأساس (٣) [إن فلانا لشديد الشكيمة إذا كان ذا جدّ وصرامة] ، قوله : ((صليب المعجم)) الجوهري (٤) [عجمت العود أعجمه بالضم إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره ، والعواجم الأسنان ورجل صليب المعجم إذا كان عزيز النفس] .

قوله ((يعنى أن من لا يؤمن بالآخرة)) شروع في بيان كون موسى عليه السلام على الوصف الذي يراد نهي عنه ، فجعل نهى الكافر وسيلة إلى ذلك النهي ، وهو كونه في رخاوة وعدم تصلّب (في الدين) (٥) بحيث يهوله وفور الكفرة ، ولذلك لحّص المعنى بقوله : ((ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك)) إلى آخره ، وقلت : والله أعلم ويمكن أن يحمل (من لا يؤمن) على المعرض عن عبادة الله المتهالك في الدنيا المنغمس في لذتها وشهواتها بدليل قوله : ﴿ واتبع هواه فردى ﴾ ويحمل نهى الصّد عن نهى النظر إلى متمتعاتهم من زهرة الحياة الدنيا ليكون على وزان قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به

(١) (صليب) في م ، ب

(٢) ما بين القوسين س من ب ، م

(٣) الأساس ٣٣٦ مادة (شكيم)

(٤) الجوهري ١٩٨١/٥ مادة (عجم)

(٥) ما بين القوسين س من ب

أزواجاً منهم ﴿١﴾ كما سبق ، وتحمل متابعة الهوى على الميل إلى الإخلاد إلى الأرض كقوله تعالى : ﴿٢﴾ ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴿٣﴾ يعني تفرغ لعبادتي ولا تلتفت إلى ما هم فيه فإنها مردية مؤدية إلى المهالك ، فإن ما أوليناك واختارناه لك هو المقصد الأسنى ، فإن شئت فانظر إلى أحقر ما معك ، وهو العصا فإنها تبطل ما معهم ، وفي هذا حث عظيم على الاشتغال بالعبادة وزجر بليغ عن الركون إلى الدنيا ونعيمها .

قوله : ((كقوله ٣)) وهذا بعلي شيخا ﴿٤﴾ في انتصاب الحال . قال أبو البقاء ﴿٥﴾ : [(ما) مبتدأ و (تلك) خبره ، و (يمينك) حال يعمل فيها معنى الإشارة] .
قوله : ((نضاضة)) ﴿٦﴾ الأساس ﴿٧﴾ [حية نضاضة تنضض لسانها تحركه ، قال : ﴿٨﴾
** تَبَيَّتُ الْحَيَّةُ النَّضَّاضُ مِنْهُ ** مَكَانَ الْحَبِّ تَسْتَمِعُ السَّرَارَا **

قوله : ((زبرة)) الجوهري ﴿٩﴾ [الزبرة القطعة من الحديد]
قوله : ((وقرأ الحسن عَصَايَ بكسر الياء)) قال ابن جني ﴿١٠﴾ [وقرأ الحسن وعمرو ، وأيضاً بخلاف عنهما وكسر الياء في نحو هذا ضعيف استثقلاً للكسرة فيها هرباً إلى الفتحة والألف في عصاي أخف من الكسرة والياء في ﴿١١﴾ مُصْرَحِيَّ .
وروينا عن قطرب وغيره :

** قال لها هل لك يا تافهي ** ﴿١٢﴾

(١) سورة (الحجر) الآية ٨٧

(٢) الأعراف الآية ١٧٦

(٣) تفسير قوله تعالى: ﴿٤﴾ وما تلك بيمينك يا موسى ﴿٥﴾ قال (ز) ((كقوله تعالى : ﴿٦﴾ وهذا بعلي شيخا ﴿٧﴾ الأعراف الآية ١٧٦ .

(٤) سورة (هود) الآية ٧٣

(٥) أبو البقاء العكبري ١٢٠/٢

(٦) قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿٧﴾ بيمينك ﴿٨﴾ إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه في الخشية اليابسة ، (يعنى العصا) من قلبها حية ((نضاضة))

(٧) الأساس ٦٣٨ مادة (نضض)

(٨) القائل الراعي . اللسان ٢٣٨/٧ مادة (نضض)

(٩) الجوهري ٦٦٦/٢ مادة (زبر)

(١٠) المحتسب لابن جني ٤٨ ، ٤٥ بتصرف منه

(١١) لم أقف على قائله

أراد (في) ثم أشبع الكسرة للإطلاق فأنشأ عنها ياء نحو مَنزِلِي وَحَوْمَلِي وقول ابن مجاهد : هو مثل غلامي لا وجه له ، لأن الكسرة في ياء ﴿ عَصَاي ﴾ لا لتقاء الساكنين ، والكسرة في ميم غلامي هي التي تُحْدِثُهَا ياء المتكلم [.

قوله : ((أَكَلْتُ حِقًّا وابن لبون وجذع)) (١) ألحق بالكسر ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة ، سمي لاستحقاقه أن يحمل عليه وينتفع به ، وابن لبون إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة ، لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن ، وهي نكرة تعرف باللام والألف . والجذع قيل : الشّي ، وهو من الإبل ما طعن في السنة الخامسة ، وهو اسم زمن ، ليس بسنّ تبت ولا تسقط ، أراد بهشة نخب ثمار ذلك الوادي ، وسيلاً دفع ، ما انصبّ دفعات ، الأساس (٢) : [جاء الوادي بدفاع أي بالليل العظيم] ، وفي المثل (آكَلُ من لقمان) قال الميداني (٣) : [يعنون لقمان ابن عاد ، زعموا أنه كان يتغذى بجزور ويتعشى بجزور ، وهذا من أكاذيب العرب] .

قوله : ((أَهْش)) ، أَهْش بكسر الهاء لغة في ﴿ أَهْش ﴾ ، فقد جاء يفعل في مثل هذا متعلّياً ، كذا في المنتقى واللوامع ، وأما في الموضح ، فنقل عن قراءة النخعي (٤) ﴿ أَهْش ﴾ بضم الهمة وكسر الهاء والشين معجمة .

قوله : ((ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربّه)) ، لأنه تعالى إنما سألّه ليريه عظم ما يخترعه من الخشبة اليابسة ، وموسى عليه السلام تفطن لذلك ، وأتى بالجواب مطابقاً للغرض ، وقال : ﴿ هِيَ عَصَاي ﴾ إلى آخره .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَهْش ﴾ قال (ز) : هَشَ الورق خطه أي أخبط على رءوس غنمي تأكله ،

وعن لقمان بن عاد :

** أَكَلْتُ حِقًّا وابن لبون وجذع ** وهشة نخب وسيلاً دفع **

والحمد لله من غير شبع

انظر الكشف ٥٧/٣ .

و (نخب) واد قريب من الطائف .

(٢) الأساس ١٩٠ مادة (دفع)

(٣) الميداني في الأمثال ١٥٠/١ رقم المثل ٤١٦ .

(٤) في مختصر شواذ القرآن ص ٨٧ ، ﴿ وَأَهْش ﴾ بها بالسين المهملة ، عكرمة ﴿ وَأَهْش ﴾ بالضم

وكسر الهاء النخعي .

قوله : ((إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه)) ، ونحوه قول بعضهم ^(١) :

**** تصاممت إذا نطقت غبشية **** تصيد الأسود بالحاظها ******

**** وما بي وقرّ ولكتني **** أردت إعادة ألفاظها ******

ولعل موسى عليه السلام أظن أولاً للاستصغاء انبساطاً ، وأوجز آخر الاستصغاء استلذاذاً .

قوله : ((اسم العَصَا نَبْعَةٌ)) ، وهي غير منصرفة للعلمية والتأنيث .

قوله : ((والحلاب)) وهو المخلب ، وهو الذي يحلب فيه اللبن ، قال ^(٢) :

**** صاح هل رَئِيتَ أو سمعت براع **** ردّ في الضرع ما قرى في الحلاب ******

قوله : ((وعرض الزندين على شعبيها)) ، الجوهري ^(٣) : [عرض العود

على الإناء والسيف على فخذة يعرضه ويعرضه أيضاً] ، الأساس ^(٤) : [الزندان هما الزند الأعلى والزند السفلى] .

قوله : ((وتكونان شمعتين بالليل)) ، قال بعضهم : يدفع هذا قوله :

((وقدح فصلد زنده)) في تفسيره قوله تعالى : ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ ، وأجيب أن

المطلوب حينئذ هو النار لاستدفاء النفسا بها ، لا الضوء وحده ، ومما يدل على أن العصا لم تكن للنار .

قوله : ((ههنا وعرض الزندين على شعبيها)) ، لأن الزند إنما يعقد للنار ،

ولكن يدفعه هناك قوله : ((في ليلة شاتية مظلمة مثلجة ، وقد ضلّ الطريق)) ،

ولعلّ الجواب أن الله طمس نورها كما جعل الزند صليداً اضطراراً إلى الطلب ليفوز بالمطلوب الحقيقي .

(١) لم أقف على القائل .

(٢) لم أقف على القائل .

(٣) الجوهري ١٠٨٢/٣ ، مادة (عرض) .

(٤) الأساس ٢٧٦ ، مادة (زند) . والمراد تعداد منافع العصا وكثرة مآربها .

قوله : ((عرف ما لقي آدم منها)) (١) ، يريد الحية التي كانت سبباً لإخراجه بسبب تمكن إبليس من الوسوسة .

قوله : ((بمعنى عاد إليه)) (٢) ، الجوهرى (٣) : [عاد إليه يعود عوداً وعوداً ، رجع] .

قوله : ((** وَعَادَكَ أَنْ تَلَا قِيَهَا عِدَاءً **)) (٤) ، أوله :
** فصرم حبلها إذا صرمتة **

العهد ، قال أبو عمرو : وعادك بمعنى شغلك ، وقال القاضي الأصمعي : صرفك والعدا البعد والشغل ، وقال الأصمعي : الجور وعادك عطف على صرمته ، تقول : اقطع عهداً إذا قطعتة هي وعاد إليك وشغلك البعد والجور عن ملاقاتها ، وتلخيص الآية ﴿سنعيدها﴾ إلى سيرتها الأولى .

قوله : ((وهو أن يكون ﴾ سنعيدها ﴿ مستقلاً بنفسه غير متعلق بـ ﴾ سيرتها ﴿)) ، أي لا يكون عاملاً في (سيرتها) (٥) ، بل يكون عاملها مضمراً ، ويكون حالاً من الهاء في ﴿ سنعيدها ﴾ ، كما قدر سنعيدها سائرة سيرتها الأولى ، والفرق بين هذا وبين الوجهين الأولين أن الحية في الوجهين انقلبت عصاً خشبة كسائر ما يسمى عصا ، وعلى هذا انقلبت إلى عصا ذات شعبتين ومحجن ، فإذا طال الغصن جناها بالمحجن إلى سائر ما ذكره المصنف من المآرب ، وقال أبو البقاء (٦) : [يجوز أن يكون ﴾ سيرتها ﴿ بدل اشتمال من ضمير المفعول في ﴾ سنعيدها ﴿ ، لأن معنى سيرتها صفتها أو طريقتها] ، الراغب (٧) : [السيرة الحالة التي يكون عليها

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ الآية ٢١ ، قال (ز) : وعن بعضهم إنما خافها لأنه ((عرف ما لقي آدم منها)) .

(٢) تفسير قوله : ﴿ سنعيدها ﴾ .

(٣) الجوهرى ٥١٣/٢ ، مادة (عود) .

(٤) القائل : زهير بن أبي سلمى كما جاء في حاشية محمد عليان المرزوقي على شواهد الكشاف ٥٩/٣ .

(٥) ما بين القوسين س من م .

(٦) أبو البقاء ١٢٠/٢ .

(٧) الراغب ٢٤٧ ، مادة (سار) .

الإنسان وغيره غَرِيزِيًّا كان أو مكتسباً يقال له سيرة حسنة وسيرة قبيحة ، وقوله تعالى : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ أي الحالة التي كانت عليها من كونها عوداً [. قوله : ((لِمَجْنَبَتَيْهِ)) (١) ، وهي الميمنة والميسرة .

قوله : ((و الأصل المستعار منه جناح الطائر)) هذه الاستعارة غير مسبوقة بالتشبيه ، كاستعارة الأسد للمقدام ، بل هي من المجاز الخالي من الفائدة ، نحو إطلاق المرسل على لطف الأسنان .

قوله : ((فَكُنُوا عَنْهُ بِالْأَبْرَشِ)) (٢) ، الجوهري (٣) : [البرش في شعر الفرس نُكْتُ صغار تخالف سائر لونه ، والفرس أبرش] ، والبرص البياض في ظاهر الجلد ، وفي زعم الأطباء مادة نفاحة بسبب اجتماع الرطوبات اللزجة ، وكان من أخبار جذيمة (٤) على ما ذكره ابن الأثير في الكامل (٥) : [أنه كان من أفضل الملوك رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدّهم نكاية ، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضمّ العرب ، وكان به برص ، فكنت العرب عنه فقيل : الوضاح والأبرش إعظماً له ، وكانت منازلهم بين الحيرة والأنبار ، وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب العمليقي ، فحاربه جذيمة وقتله ، وملكته بعد عمرو ابنته (الزباء) واسمها نائلة ، فلما استحکم ملكها أجمعت لغزو جذيمة تطلب ثأر أبيها ، أشارت لها اختها زينب بترك الحرب وإعمال الحيلة ، فأجابتها إلى ذلك ، كتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، فلما انتهى الكتاب إلى جذيمة استخفه ما دعت إليه ، وجمع إليه ثقافته واستشارهم ، وأجمع رأيهم على المسير إليها ، فخالقهم (قصير) وكان أريباً حازماً ناصحاً قريباً منه وقال : (رأي فاتر وعدو حاضر) فذهبت مثلاً ، اكتب إليها فإن كانت صادقة فلتقبل إليك ، وإلا لا تمكّنها من نفسك وقد وترتها وقتلت

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾ ، قال (ز) : قيل : لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر ((لمجنبتيه)) .

(٢) قال (ز) : وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص ((فكُنُوا عَنْهُ بِالْأَبْرَشِ)) .

(٣) الجوهري ٩٩٥/٣ ، مادة (برش) .

(٤) جذيمة بن مالك بن نصر من بني أسد بن خزيمه ، الأعلام للزركلي ١١٤/٢ ، واللباب ٢١٦/١ .

(٥) ابن الأثير في الكامل ١٩٧/١ .

أباها ، فلم يوافق جذيمة رأيها ، فاستخلف جذيمة عمرو بن عدي ابن اخته على ملكه فسار في وجوه أصحابه ، فلما نزل الفرضة (١) استقبلته رسل الزبا بالهدايا والألطفات فقال : يا قصير كيف ترى ؟ ، فقال : (خَطْبٌ يسير في خطبٍ كبير) فذهبت مثلاً (٢) وستلقات الخيول فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة ، وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك فإن القوم غادرون ، فاركب (العصا) وكانت فرساً لجذيمة لا يبارى ، فإني راكبها ومسايرك عليها ، فلقيته الكتائب فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ونظر إلى جذيمة موالياً على متنها فقال : ويل أمة حزمها (٣) على ظهر العصا ، فذهبت مثلاً ، فلما دخل جذيمة على الزبا تكشفته ، فإذا هي مظفورة الأسب بالباء الموحدة وهو شعر الأست . وقالت : يا جذيمة أدأب عروس ترى ؟ ، فذهبت مثلاً ، وقالت : أنبت أن دماء الملوك شفاء من الكلب ، ثم أجلسته على نطع ، وسقته الخمر حتى أخذت منه ، ثم أمرت براهشيه (٤) فقُطعا ، وقدمت إليه طشتاً وقيل لها : إن قطر من دمه شيء في غير الطشت طُلب بدمه ، فلما ضعفت يداه سقطتا ، فقطر من دمه في غير الطشت ، فقالت : لا تضيعوا الدم ، فقال جذيمة : (دعوا دماً ضيعه أهله) ، فذهبت مثلاً ، فهلك جذيمة وخرج قصير حتى قدم على عمرو بن عدي ، فقال له قصير : تهياً واستعد ولا تطل دم خالك ، فقال : (وكيف لي بها وهي أمتع من عقاب الجو ؟) ، فذهبت مثلاً ، وكانت الزبا سألت عن هلاكها فقيل : سبب هلاكها عمرو بن عدي ، ولكن حتفك بيدك ، فحذرت عمرو فلا تراه إلا وعرفته ، ومجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها ، وصورت صورة عمرو فلا تراه إلا وعرفته ، وقال قصير لعمرو بن عدي : اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني وإياها ، فأبى عمرو ، فجدع أنفه وأثر بظهره وظهر كأنه هارب ، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به ، وقدم على الزبا فقالت : ما الذي بك يا قصير ؟ ، فقال : زعم عمرو أنني غدرت خاله

(١) الفرضة : المشرعة ، وهي الثلثة في النهر ، معجم البلدان ٢٤٣/٤ .

(٢) الأمثال للميداني ٤١٣/١ ، رقم المثل ١٢٥٠ ، وذكر القصة . كلها

(٣) حرماً في ب ، م ، وهو الصواب ، لأنه الموجود في الأصل ، يعني ابن الأثير .

(٤) (الراهش) عصب وعروق في باطن الذراع ، اللسان ٣٠٧/٦ ، مادة (رهش) .

وزينت له السير إليك وما لأتك عليه ، ففعل ما ترين ، فأقبلت إليك وعرفت أنني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك ، فأكرمه وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة والمعرفة بأمور الملك ، فلما عرف أنها قد وثقت به ، فقال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وعطر ، فابعثيني لأحمل مالي وأحمل إليك من طرائفها ، فدفعت إليه أموالاً وجهزت معه عيراً ، فسار حتى قدم على عمرو بن عدي مستخفياً وأخبره الخبر وقال : جهّزني بالبرّ والطرف وغير ذلك ، لعل الله يمكن من الزبا فتصيب ثأرك ، فأعطاه حاجته ، فلما عرض عليها سرّها وازدادت به ثقة ، ثم جهّزته بعد ذلك بأكثر مما جهّزته به أولاً ثم عاد الثالثة فأخبر عمراً الخبر وقال : اجمع ثقات أصحابك وجندك وهيء لهم الغرائر واحمل كل رجلين في غرارتين واجعل معقد رؤوسها من باطنها ، وقال له : إذا دخلت مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وتخرج الرجال من الغرائر فيصيحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قاتلوه ، ففعل ذلك ثم ساروا ، فلما قربوا تقدم قصير إليها فيشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف ، فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض ، فقالت : يا قصير

** ما للجمال مشيهاً ويدياً ** أجندلاً (١) يحملن أم حديداً ؟ **
 ** أم صرّفانا (٢) تارزاً شديداً ** أم الرجال (٣) جثما قعوداً ؟ **

فلما توسّطت الإبل المدينة خرج الرجال من الغرائر ، فنزل عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء موالية تريد الخروج من النفق ، فأبصرت عمراً قائماً فعرفته بالصورة ، فمصّت سَمّاً في خاتمها وقالت : (بيدي لا بيد عمرو) فتلقاها عمرو بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة ، ثم عاد إلى العراق وصار الملك له ، والصرّفان : الرصاص ، والصرّفان : نوع من التمر ، والله أعلم .

(١) (الجندل) الزاب ، أو الملح خاصة ، الأساس للزنجشري ٨٥ ، مادة (جندل) .

(٢) الصرّفان : نوع من التمر جيد أو الحديد ، الأمثال للميداني ، (تارزاً) صلباً ، انظر الصحاح

٨٦٦/٣ .

(٣) في الميداني ٤١٨/١ : أن الزباء لما قالت :

** أم صرّفانا تارزاً شديداً **

قال قصير في نفسه : ** بل الرجال قيضاً قعوداً ** .

وانظر اللسان ٤٤٣/٣ مادة (وأد) .

قوله : ((أَحَزَّ لِلْمَفَاصِلِ)) (١) الأساس (٢) [وهو أصفى من المفاصل ، وهو الماء الذي يقطر من بين العظمين إذا فصلا . وتقول : رب كلام بالمفصل أشد من كلام بالمفصل (٣) ، وتكلم فأصاب المحز .

قوله : ((بِيضَاءُ وَآيَةٌ حَالَانِ مَعًا)) قال الزجاج (٤) : [آية اسم في موضع الحال أي تخرج بيضاء مُبَيَّنَّة آية أخرى] ، وقال أبو البقاء (٥) : [(بيضاء) حال ، و (من غير سوء) يجوز أن يتعلق بتخرج ، وأن يكون صفة (لبيضاء) أو حالا من الضمير في بيضاء ، و (آية) حال أخرى بدل من الأولى ، وحال من الضمير في (بيضاء) أي تبيض ، آية أو حالا من الضمير في الجار مع المجرور ، وهو قوله : ﴿ من غير سوء ﴾ (٦) .

قوله : ((أَوْ لَنُرِيَنَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى)) فعلنا ذلك عطف على قوله : ((وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك)) ومن في قوله : ﴿ من آياتنا ﴾ إما للتبعض ، وإليه الإشارة بقوله : بعض آياتنا ، أو للبيان ، وإليه الإشارة بقوله : ((أَوْ لَنُرِيَنَّكَ الْكُبْرَى مِنْ آيَاتِنَا)) ، يؤيده قول ابن عباس : (كانت يد موسى أكبر آياته) (٧) فيكون (من آياتنا) حالا من (الكبرى) قدمت عليها وإن كان ذو الحال معرفة مراعاة للفواصل .

قوله : ((لَمَّا أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ الطَّاغِي عَرَفَ أَنَّهُ كُتِّفَ أَمْرًا عَظِيمًا)) (٨) إلى قوله : ((فَاسْتَوْهَبَ رَبَّهُ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ)) يعني لما علل الله سبحانه وتعالى الأمر بالذهاب إلى فرعون بوصفه بالطغيان ، عرف موسى ذلك

(١) قال : (ز) ولا نرى أحسن ولا ألطف ولا ((أَحَزَّ لِلْمَفَاصِلِ)) من كنايات القرآن وآدابه

(٢) الأساس ٤٧٤ مادة (فصل)

(٣) (المفصل) السيف ، تقول : سيف قاصِلٌ وقصَّالٌ ومقصَلٌ ، الأساس ٥١١

(٤) الزجاج ٣٥٥/٣

(٥) أبو البقاء ١٢٠/٢

(٦) سورة (طه) الآية ٢٢

(٧) ذكر ذلك البغوي ٢٧٠/٥ والواحدي ٢٠٥/٣

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ قال ربّ اشرح لي صدري ﴿ ٢٥

وطلب ما طلب ، والإمام (١) علّق قول موسى عليه السلام ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ بما خاطبه من لدن قوله : ﴿ أنا ربك فاخلع نعليك ﴾ إلى هذا المقام ، قال : تارة إن شرح الصدر مقدمة لسطوع الأنوار الإلهية في القلب ، والاستماع أيضاً مقدمة لفهم كلام الله المجيد ، فلما كلفه الله بالمقدمة التي هي الاستماع في قوله : ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ نسج عليه السلام على ذلك المنوال وطلب المقدمة ، وقال : ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ حتى يتمكن قلبي في بهو ضوء المعرفة ووسادة قذف النور من تلقي سماع كلامك . وقال أخرى : لما نصب موسى عليه السلام لذلك المنصب العظيم احتاج إلى تكاليف شاقة من تلقي الوحي وتبليغه إلى المعاندين والمواظبة على خدمة الباري وإصلاح العالم السفلي ، فكأنه كلف بتدبير العالمين والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر ، فطلب عليه السلام شرح الصدر حتى يفيض عليه كملاً من القوة لتكون قوته وافية لضبط تدبير العالمين ، الراغب (٢) : [شرح الصدر بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله تعالى . قال الله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ (٣)] وقلت : يؤيد هذا التأويل قوله عليه السلام : ﴿ كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً ﴾ بعد طلب تيسير الأمر وحل العقدة ومؤازرة أخيه للتبليغ ليطبق قوله : ﴿ فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ ، وقوله : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ وعلى ما فسره المصنف يكون قوله : ﴿ كي نسبحك ﴾ الآية أجنبياً ، وفيه نكتة أخرى ، وهي أن الله سبحانه وتعالى كما علّل إقامة الصلاة بذكره سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ . وقوله : [﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ (٤)] كذلك علّل عليه السلام مطالبته كلها بالقيام على تكثير ذكر الله عز وجل فأذن بأن ذكر الله لا يطلب (٥) فوقه . وفي حقائق السلمى عن عطاء . أنه قال : اكشف لي عن صدري حتى لا أشاهد غيرك

(١) الإمام الفخر الرازي ٢٢/٣١-٥٨ وذكر ذلك ضمناً في ثمانية مطالب انظرها

(٢) الرغب ٢٥٨ مادة (شرح)

(٣) سورة (الزمر) الآية ٢٢

(٤) ما بين القوسين س من أ

(٥) (لا مطلب) في م وهو الصواب

وسير لى أمري حتى لأنظر إلا بمعرفتك واحلل عقدة من لساني حتى لا أتكلّم إلا بما أبلغه عنك . وقال جعفر قيل لموسى : استكثرت تسييحك ونسيت بدايات فضلنا عليك في اليمّ وردك إلى أمك وتربيتك في حجر عدوك وأكبر من هذا كله خطابنا معك وكلامنا إياك وأكبر منه إخبارنا باصطنا عنا لك^(١) .

قوله : ((ذو جأش رابط)) الأساس : [والجأش والجؤشوش الصدر] ، يقال: فلان قد ربط لذلك الأمر جأشا . ويقال : لمن يربط نفسه عن الفرار لشجاعته رابط الجأش .

قوله : ((يستقبل ما عسى يرد عليه))^(٢) استعمال عسى بغير (أن) تشبيها لها^(٣) بكاد كما في قوله^(٤) :

****عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب ***
قوله : ((مستبّ أى)) مستقيم ، الأساس^(٥) : [استبّ الطريق ذلّ وانقاد كما يقال : طريق معبد واستبّ له الأمر] .
قوله : ((بذكرهما)) أى بذكر المشروح والميسر .

قوله : ((لما روى من حديث الجمرة)) ، روى محي السنه^(٦) : [أنه نشأ موسى عليه السلام في حجر فرعون وامرأته فيبناهو يلعب ويده قضيب فضرب رأس فرعون فغضب حتى همّ بقتله . فقالت آسية : أيها الملك إنه صغير لا يعقل جرّبه أن شئت فجاءت بطشتين في أحدهما الجمر وفي الآخر الجوهر فأراد موسى أن يأخذ

(١) وهذا من التفسير الاشارى الذي ينتهجه بعض الصوفية ، و السلمى وعطاء من كبارهم .

(٢) قال (ز) : ((يستقبل ما عسى يرد عليه)) من الشدائد التي ينهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات .

(٣) على حدّ قوله في الخلاصة :

* وكونه بدون أن بعد عسى * نزر وكاد الأمر فيه عكسا * .

(٤) القائل هو هذبة بن خرشم الغدري . انظر معجم شواهد النحو الشعرية ٢٧٤ والأشئونى

٢٥٩/١ .

(٥) الأساس ٥٩ مادة (تب) .

(٦) محي السنة البغوي ٥ / ٢٧١ . وهذا جزء من حديث الفتون الطويل ذكره النسائي في تفسيره

٤١/٢ والطبري في تفسيره ، ١٦ / ١٦٤-١٦٧ وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما . وانظر

مجمع الزوائد ٧ / ٦٦ وابن كثير في تفسيره ٥ / ٢٧٩ .

الجوهر فأخذ جبريل عليه السلام يده فوضعها في النار فأخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة [الراغب (١)] اللسان الجارحة وقوتها وقوله تعالى : ﴿ واحلل عقدة من لساني ﴾ يعني به من قوة لساني فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوته التي هي النطق به يقال : لكل قوم لسان ولِسْنٌ [.

قوله : ((أو من الوزر)) (٢) ، أى الملقأ وأصل الوزر الجبل ، الراغب (٣) : [الوزر الملجا الذي يُلْتَجأ إليه من الجبل ، قال تعالى : ﴿ كلا لاوزر ﴾ (٤) ، والوزر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم ، قال تعالى : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة ﴾ (٥)] .

قوله : ((أو من المؤازرة وهي المعاونة ، قال في الأساس (٦) : [وزير الملك الذي يؤازره أعباء الملك أي يحامله ، وليس من المؤارة ، لأن واوها عن همزة وفعيل منها أوزير] ، يقال : أزره أي شدّ به أزره ، وأردت كذا فأزرنى عليه فلان إذا ظاهره وعاونك ، وأجاز في الكتاب أن يكون منه بناء على الوزن وحمل النظير على النظير وذلك أن أزيراً أخو المؤازرة ، كما أن العشير والجليس والخليل إخوان المعاشر والمجالس والمخال ، وإذا ثبت أنه أخو المؤازر فكما قلبت الهمزة في أخيه ، وهو المأزر واوا . وقيل : موازر لانضمام ما قبله تقلب فيه ، وإن لم ينضم ما قبله حملاً للنظير على النظير ، ونظر إلى المضارع منه والمصدر ، وهما يوازر والموازرة ، فقلوه : ((ونظرا إلى يؤازر)) عطف على قوله : ((إن فعلاً جاء من حيث المعنى)) .

قوله : ((أو (لي وزيراً) مفعولاه)) فعلى هذا أيضاً قدّم الثاني على الأول عناية بشأن نفسه ، وأنه محتاج إلى عون ، ولذلك عقب به قوله : ﴿ يفقهوا قولي ﴾ كما قال : ﴿ هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني ﴾ .

(١) الراغب ٤٥٠ مادة (لسن)

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى أشدّ به أزرى ﴾ ٣١ طه.

(٣) الراغب ٥٢١ مادة (وزر)

(٤) سورة القيامة الآية ١١

(٥) سورة النحل الآية ٢٥

(٦) الأساس ٦٧٣ مادة (أزر)

قوله : ((وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن)) يعني (هارون) عطف بيان للوزير ، و (أخي) مثله ، وإنما جاز ذلك وحسن وإن لم يكن أشهر الاسمين ، مثل (هارون) لكونه بمنزلة في الشهرة . و قليلا ما نسمعه في التنزيل ، ولم يشع به وفي جاز وحسن إيماء إلى أن تقدير البدل أحسن .

قوله : ((قرؤا جميعا ﴿ اشدد ﴾)) وفي التيسير ^(١) [قرأ ابن عامر ﴿ اشدد ﴾ به ﴿ بقطع الألف وفتحها في الحالين ، ﴿ وأشركه ﴾ بضم الهمزة . والباقون بوصل الألف في الأول ، وَيَبْتَدِئُونَهَا بِالضَم وفتح الهمزة في الثاني] ، قال الزجاج ^(٢) : [أما قطع الألف وفتحها وضم الألف في ﴿ وأشركه ﴾ فعلى جواب الأمر المعنى اجعل لي أخي وزيرا ، فإنك إن فعلت ذلك أشدد به أزري وأشركه في أمري على الإخبار عن النفس ، وأما من قرأ ﴿ أخي اشدد به أزري ﴾ بوصل الألف ، ﴿ وأشركه ﴾ بفتح الهمزة فعلى الدعاء . المعنى اللهم اشدد به أزري وأشركه في أمري] .

قوله : ((أي أوحينا إليها أمراً لا سبيل إلى التوصل إليه إلا بالوحي)) ^(٣) هذا يؤذن أن الوحي الذي هو بمعنى الإلهام ، لا يكون إلا في أمر يعزّ على كل أحد . قوله : ((ولا يُخَلُّ به)) بضم الياء وفتح الخاء من أخل الفارس بمركزه إذا ترك موضعه الذي عينه الأمير له .

قوله : ((القذف مستعمل في معنى الإلقاء)) ^(٤) الراغب ^(٥) [القذف الرمي البعيد ولا اعتبار البعد فيه ، قيل : منزل قَذَفَ وقديف وبلدة قذوف بعيدة . وقوله عز وجل : ﴿ فاقدفيه في اليم ﴾ أي اطرchie فيه ، واستعير القذف للشتيم والعيب ، كما استعير للرمى] .

(١) التيسير للداني ١٥١ وانظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤١٨

(٢) الزجاج ٣/٣٥٦ وانظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب

٩٧/٢

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد منّا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي ﴾

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم فليقه اليم بالساحل يأخذه عدوّي

وعدوّ له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾

(٥) الراغب ٣٩٧ مادة (قذف)

قوله :

((** غلام رماه اليه بالحسن يافعا ** له سيمياء لا تشقّ على البصر **))^(١)

غلام يافع ويقعه تحرك ولما يبلغ ، والسيماء العلامة وأصله الواو .

قوله : ((فيه هجنة)) والهجنة مصدر الهجين ، وهو الذي والدته أمة ، الأساس ^(٢) : [أنا أستهجن فعلك ، وفيه هجنة ، وهجنته تهجيناً ، وفي زَنَادِهِ هُجْنَةٌ إذا كان أحد التّزّدين واريّاً والآخر صلّوداً] .

قوله : ((سلك في ذلك)) ^(٣) جواب لما ، والمشار إليه قوله : ﴿ فليلقه اليم ﴾ والجاز من باب الاستعارة المكنية ^(٤) ، شبه اليم بمأمور ذي تمييز أوردَ عليه أمر أمرٍ مطاع ، وجعل القرينة أمره بقوله : ﴿ فليلقه ﴾ .

قوله : ((لا يتمالك أن يصبر عليه)) الجوهرى ^(٥) : [ما تمالك ما تماسك] .
قوله : ((وظاهر اللفظ)) عطف على قوله : ((روى)) أو حال من الضمير في روى ، يعني ظاهر لفظ القرآن يخالف الرواية المذكورة ، لأن اليم البحر والساحل هو شاطئه ، والقذف من اليم إنما يكون بالساحل ، وكذلك الالتقاط منه ، وليس فيه دخول التابوت البركة ^(٦) فيلتقط منها إلا أن يحمل اللفظ على أن الساحل كان متصلاً بهوّة فرعون ، وقلت : رواية الواحدي ومحي السنة ^(٧) [أن اليم هو نهر النيل والشاطئ هو شاطئ النيل ، وكان يشرع من النيل نهر كبير في دار فرعون

(١) القائل : أسيد بن عطاء الفزاري ، انظر شواهد الانصاف على الكشف ٦٢/٣ .

(٢) الأساس ٦٩٦ مادة (هجن)

(٣) تفسير قوله : ﴿ أن اقذفه في التابوت فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ﴾ الآية ٣٩ سورة طه ،

قال (ز) ((سلك في ذلك سيل الجاز ، وجعل اليم كأنه ذو تمييز

(٤) الاستعارة أصلها من الجاز اللغوي ، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه ، فعلاقتها المشابهة دائماً ، وهي

قسمان ، تصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به ، ومكنية ، وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه . انظر التلخيص ٣٢٤ والبلاغة الواضحة ٧٥

(٥) الجوهرى ١٦١١/٤ مادة (ملك)

(٦) البركة : الخوض ، والجمع البرك ، وسميت بذلك لإقامة الماء فيها . الجوهرى ٤ / ١٥٧٤ (برك)

(٧) محي السنة البغوي ٢٧٢/٥

فبينما فرعون جالس مع امرأته على رأس البركة إذا بتابوب يجيئ به الماء فأمر بإخراجه فأخرجوه [.

قوله : ((لأن الماء يسحله)) ، الجوهري (١) : [الساحل شاطئ البحر ، قال ابن دريد : (٢) هو مقلوب ، وإنما الماء سحله] .

قوله : ((وقذف به ثمته)) الفاعل المستتر في قذف للبحر ، وهو عطف تفسيري على ألقاه بساحله وما بينهما معترض .

قوله : ((فوهة نهر فرعون)) ، الجوهري (٣) : [وأفواه الأزقة والأنهار واحداًتها فُوهة بتشديد الواو] .

قوله : ((وإما أن يتعلق بمحذوف)) يعني الجار والمجرور (٤) ، يحتمل أن يكون ظرفاً لغواً ، وأن يكون مستقراً وعلى الأول من ابتدائي ، فيكون إنشاء إلقاء المحبة من الله ، ثم يسري منه إلى الخلق ، وإليه الإشارة بقوله : من أحبه الله تعالى أحبته القلوب ، وعلى الثاني : إما أن يقدر عاملاً عاماً ، كما هو المشهور ، وهو المراد من قوله : أي محبة حاصلة أي كائنة موجودة منيّ أو خاصاً لقرائن الأحوال ، وهو أن الله تعالى أوقع محبته في قلب آسية وأعدى عدوه فرعون وغيرهما ، وإليه الإشارة بقوله : ((قد ركزتها أنا في القلوب)) فلذلك أحبك فرعون ، وكل من أبصرك ، والوجه الثاني : أشمل من حيث المنطوق ، والأول أدخل في البلاغة من حيث المفهوم ، ويساعد عليه ماروينا عن البخاري ومالك والترمذي (٥) عن أبي هريرة أن

(١) الجوهري ١٧٢٧/٥ مادة (سحل)

(٢) ابن دريد العلامة شيخ الأدب أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري ، صاحب التصانيف كثير ، حفظ الأدب مات سنة ٣٢١ انظر سير أعلام النبلاء ٩٦/١٥ وتاريخ بغداد ١٩٥/٢

(٣) الجوهري ٢٢٤٥/٦ مادة (فوه)

(٤) تفسير قوله : ﴿ محبة مني ولتصنع على عيني ﴾

(٥) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٦١/١٠ كتاب الأدب ، باب المقة من الله تعالى برقم ٦٠٤٠ ومالك في الموطأ ٩٥٣/٢ كتاب الشعر ، باب ما جاء في المتحابين في الله برقم ١٥ . والترمذي ٢٩٧/٥ - ٢٩٨ كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة مريم ، رقم ٣١٦١ ، ومسلم ٢٠٣٠/٤ كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده برقم ٢٦٣٧ .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحبُّ فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض) ورواية مسلم أبسط من هذا .

قوله : ((مسحة جمال)) ، الأساس (١) : [مسحه بالماء والدهن ومسح رأسه أمرٌ يده عليه ، ومن المجاز به مسحة من جمال] يعني كان الجمال مسح وجهه ، ومنه بيت الحماسة : (٢)

**** على الوجه مني مسحة من ملاحه **** وتحت الثياب الخري لو كان باديا ******
قوله : ((وأنا مراعيك وراقبك)) وفي نسخة ورافيك من رفوته سكينه من رعب يريد أن على عيني حال من المستر المرفوع في (لتصنع) وليس بصلة (لتصنع) قوله : ((كما يراعي الرجل الشئ بعينه إذا اعتنى به)) إشارة إلى أن في التركيب تمثيلاً واستعارة ، قال الواحدي (٣) : [وتفسير قوله : ﴿ على عيني ﴾ بمرأى مني صحيح ، ولكن لا يكون في هذا تخصيص لموسى ، فإن جميع الأشياء بمرأى من الله . والصحيح لتغذى على محبتي وإرادتي . وهذا قول قتادة واختيار أبي عبيدة (٤) وابن الأنباري ، وقال زيد العرب : تقول اتخذ شيئاً على عيني على محبتي] ، وقلت : هذا الاختصاص للتشريف كاختصاص (عيسى) عليه السلام بكلمة الله ، و (الكعبة) بيت الله فإن الكل موجود (بكن) وكل البيوت بيت الله ، على أن خلاصة الكلام وزُبدته تفيد مزيد الاعتناء بشأنه ، وأنه من الملحوظين بسوابق إنعامه .
قوله : ((وترأم)) الجوهري (٥) [رَأَيْتُ الناقَةَ وَلَدَهَا رِئْماناً إِذَا أَحَبَّتْهُ] .
قوله : ((ولتصنع)) بكسر اللام وسكونها ، قال ابن جنِّي (٦) : [وهي قراءة أبي جعفر وليس دخول لام الأمر هنا كدخولها في قوله : ﴿ فبذلك

(١) الأساس ٥٩٣ - ٥٩٤ مادة (مسح)

(٢) البيت لذي الرمة كما في اللسان ٥٩٦/٢ مادة (مسح)

(٣) الواحدي في تفسيره الوسيط ٢٠٦/٣

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩/٢ والنكت والعيون للماوردي ٤٠٢/٣

(٥) الجوهري ١٩٢٦/٥ مادة (رأم)

(٦) ابن جنِّي في المحتسب ٥١/٢ بتصرف منه

فلتفرحوا ﴿١﴾ بالتاء لأن المأمور في ﴿فلتفرحوا﴾ مخاطب ، وههنا غائب ، وهو كقولنا : ولتغن بحاجتي ولتوضع في تجارتك ، لأن المعاني بها ، والواضع فيها غير المخاطبين ، نحو ليضرب زيد ولتكرم هند ، فأما قول الرجل خذ طرفك لاخذ طرفي ، وقولهم : لنمش كلنا وإنما جاء باللام ولم يخفف فم وسر ونحوهما ، لأنه لم يكسر أمر الإنسان كثرة أمره لغيره ، فلما قل استعماله لم يخفف] .

قوله : ((ولتصنع)) بفتح التاء والنصب وكسر اللام قرأها أبو نهيك (٢) .
قوله : ((العامل في إذ تمشي أقيت أو تصنع)) (٣) ، قال صاحب الانتصاف (٤) : [ولتصنع أولى ، لأن معناه : إنك محفوظ مكلو وزمان التربية هو زمان رده إلى أمه ، وأما إلقاء الحبة عليه ، فقيل : ذلك من أول ما التقطه فرعون] وقلت : والأولى تقدير اذكر ، لأن كونه مرا قبا قبل زمان رده إلى أمه من حين وجوده وإلقائها له في التابوت واليم وغير ذلك وكان (٥) الكلام سيق للامتنان فاستقلاً له .

قوله : ((ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره)) بدل من فرعون بدل اشتمال أي نجاه من أن ينشب فرعون فيه الأظفار شبه فرعون بسبع صار لقوة غضبه وشدة شكيمته وأثبت له لازمه ، كقول الهذلي : (٦)

** وإذا المنية أنشبت أظفارها **

قوله : ((هاجربه)) الباء للتعدي أي جعله الله مهاجراً إلى مدين (٧) .

(١) سورة يونس الآية ٥٨

(٢) انظر المختص لابن جني ٥١/٢

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفشاك فتونا﴾ الآية

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٤/٣

(٥) في ب (ولأن) الكلام

(٦) باقي البيت : ** ألفت كل قيمة لا تنفع ** انظر اللسان ٧٥٧/١ مادة (نشب).

(٧) مدين : تعرف اليوم باسم (البدع) ، وهي بلدة بين تبوك والساحل على بعد ١٣٢ كيلا غرب تبوك ، وشرق رأس الشيخ حميد على البحر ، بمسافة ٧٠ كيلا ، وهي في واد بين الجبال ، وواديها يسمى (غفال) . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٨٤

قوله : ((على فعول في المعتدي)) (١) إشارة إلى أن ذلك قليل ، وهو مع قلته قد جاء كالأمثلة المذكورة .

قوله : ((وجمع فتن)) من قولهم : فتن الذهب بالنار إذا خلصته بها .
قوله : ((وقضى أوفى الأجلين)) أي المذكورين في قوله تعالى حكاية عن شعيب ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ .. إِلَى قَوْلِهِ .. فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ (٢)
قوله ((قَدْ وَقَّته لذلك)) أي المتكلم (٣) والاستنباء ، المغرب (٤) : [الوقت من الأزمنة المهمة ، ثم استعمل في كل حد ، وقد اشتقوا منه فقالوا : وَقَّتَ الله الصَّلَاةَ ووقَّتها وحدَّده ، ثم قيل : لكل محدود موقوت وموقَّت] .

قوله : ((هذا تمثيل لما خوله)) يعني قوله : ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ لا يجوز أن يجري على ظاهره لاستغنائه تعالى عن ذلك ، فهو استعارة تمثيلية (٥) وبيانها قوله : ((مثل حاله بحال من يراه)) إلى آخره ، الراغب (٦) : [الصنعة ما اصطنعته من خير . وَفَرَسٌ صَنِيعٌ أَحْسَنُ الْقِيَامِ عَلَيْهِ ، وَعَبَّرَ عَنِ الْأَمْكَنِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَصَانِعِ ، وَكُنِّيَ عَنِ الرِّشْوَةِ بِالْمَصَانِعَةِ وَالْإِصْطِنَاعِ الْمُبَالِغَةِ فِي إِصْلَاحِ الشَّيْءِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ (٧) وقوله : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ إشارة إلى نحو ما قال بعض الحكماء : إن الله تعالى إذا أحبَّ عبداً تَفَقَّده ، كما يتفقد الصديق الصديق ، والصنع إجادة الفعل ، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات ، كما ينسب إليها الفعل ، قال تعالى :

(١) قوله تعالى : ﴿ فتونا ﴾ كالتيور والشكور والكنفور

(٢) سورة (القصص) الآية ٢٩

(٣) (للتكليم) في م ، ب

(٤) المغرب ٣٦٣/٢ مادة (وقت) بتصرف

(٥) الاستعارة التمثيلية : هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من

إرادة معناه الأصلي ، انظر الايضاح ص ٤٤٤

(٦) الراغب ٢٨٧ مادة (صنع)

(٧) سورة (طه) الآية ٤١

﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾^(١) وللإجادة يقال للحاذق المجيد : صنع وصنّاع .

قوله : ((لئلا يكون أحد أقرب منزلة)) ، (كان) تامّة ، لئلاً يوجد أحد أقرب منزلة منه .

قوله : ((ولا يؤتمن على مكنون سره إلاّ سواء ضميره)) ، الأساس^(٢) : [سواء الشيء وسطه ، وضرب سواءه وسطه ومستوى مفرقه ، ﴿فراّه في سواء الجحيم﴾^(٣) أي وسطها] .

قوله : ((الوني الفتور والتقصير))^(٤) ، الأساس^(٥) : [وني في الأمر ضعف وفتر ، وفلان عمل فوني تعب ، وأونيته أتعبته] .

قوله : ((واتخذ ذكري جناحاً)) ، ولما عقب النهي عن الوني في الذكر بالأمر بالذهاب ، وكرّره إجمالاً وتفصيلاً حسن قوله : ((واتخذ ذكري جناحاً تطيران به)) ، يعني اذهب بآياتي وأسرعاً فيه واستعينا على إمضائها بمداومة ذكري ، فإن الأمر الذي وجّهتهما إليه ما يتمشى إلاّ بمداومة الذكر والاصطبار عليها ، وفيه تلويح إلى إشارات العارفين ، وأن الترقى إلى المقامات العالية والعروج إلى مظان الزلفى إنما يحصل بملازمة الذكر وشدة أعضاده بالأعمال الصالحة ، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾^(٦) ، انظر كيف كرّر الذكر من أول ما بدأ بالتكليم ليعرف عائدته ، ومن ثمّ قال : إن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلاّ بذكري .

(١) سورة (النمل) الآية ٨٨

(٢) الأساس ٣١٥ ، مادة (سوى) .

(٣) سورة الصافات ، الآية ٥٥ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ﴾ الآية ٤٢ ، طه ، قال (ز) :

لا تنسياني ، ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلّبتما ((واتخذ ذكري جناحاً)) تصريح به مستدّين بذلك العون والتأييد مني .

(٥) الأساس ٦٩٠ ، مادة (وني) .

(٦) سورة فاطر ، الآية ١٠ .

قوله : ((وهذا من مظانّه ومجازه)) ، لأن الملعون قد أمتاز بقوله : ﴿ ربنا الذي أعطى كلّ شيء ﴾ ، بقوله : ﴿ لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ على سبيل التعريض ، كما مرّ لأنه زعم أن الربوبية مشتركة بينه وبين الله لقوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾^(١) ، فإجراء الأوصاف الباقية على المدح أخرى وأولى ، كأنه قال : ربّي المعروف بالمالكية المشهور بالربوبية الذي لا يخفى على كلّ عالم وجاهل ، وخالق كلّ شيء في السماء والأرض وما بينهما من الخلائق والمرافق . ومن صفات كماله أنه جعل لكم الأرض مهادا ، وأنزل من السماء ماء ، ولو جعل صفة لربي أفاد تمييزا وأن الرب مشترك بينه وبين الله على زعمه ، لقوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ وفاتت القوائد .

قوله : ((مهذا))^(٢) ، قراءة أهل الكوفة^(٣) ، والباقون مهادا .
قوله : ((انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع))^(٤) ، قال صاحب الانتصاف : هذا ليس بالتفات ، لأن الالتفات يكون في كلام متكلم واحد ، وههنا حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون : ﴿ علمها عند ربي في كتاب إلى قوله : ولا ينسى ﴾ ، وقوله : ﴿ الذي جعل لكم .. إلى قوله : فأخرجنا به ﴾ ، إما أن يكون من كلام موسى ، فيكون كلام بعض خواصّ المملك : أمرنا وفعلنا يريدون الملك وليس بالتفات ، وإن كان الله تعالى ابتداء وصف ذاته فليس التفاتاً ، وهو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب ، وعلى هذا يوقف على ﴿ ولا ينسى ﴾^(٥) ، ويحتمل أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفة على لفظ الغيبة ، وقال : ﴿ فأخرجنا به أزواجاً ﴾ فلما حكاها الله عنه أسند الضمير إلى ذاته ، لأن الحاكي هو المحكي عنه

(١) سورة النازعات ، الآية ٢٤ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهذا وملك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾ الآية ٥٣ طه .

(٣) المراد بأهل الكوفة عاصم وحمة والكسائي وخلف ، ووافقهم الأعمش (مهذاً) هنا وفي الزخرف . والباقون (مهادا) . الإتحاف ٣٠٣ .

(٤) في قوله : ﴿ فأخرجنا ﴾ ، قال (ز) : ((انتقل فيه من لفظ الغيبة)) الخ .

(٥) انظر المكتفى في الوقيف والابتداء للداني ٣٨٠ . وقال الأشموني في كتابه منار الهدى في الوقف والابتداء : (ولا ينسى) وقف تام لأنه آخر كلام موسى ، وما بعده من كلام الله مستأنف ٢٤٣ .

فمرجع الضميرين واحد ، وقلت : هذا الأخير له وجه ، لأنه إذا نظر إلى الله تعالى حكى عنه وغير العبارة يكون التفاتاً ، وإذا نظر أن موسى عليه السلام سمع هذه الكلمات بعينها من الله تعالى فاقبسه وأدرج في كلامه ، كان التفاتاً أيضاً ، ونحوه في الإدراج قوله تعالى في الزخرف (١) : ﴿ وَلئن سألْتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ خلقهنَّ العزيز العليم . الذي جعل لكم الأرض مهدياً ﴾ إلى قوله : ﴿ والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ﴾ ، ومعنى ﴿ ليقولنَّ خلقهنَّ العزيز العليم ﴾ إلى آخره لينسبَ خلقها إلى الذي وصف بهذه (الصفات) (٢) وقيل في حقه تلك النعوت .

قوله : ((والإيدان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره)) ، يعني في وضع صير الجمع موضع المفرد على سنن الملوك في هذه الآيات الدالة على سرعة تأتي المكونات على اختلافها لإرادته ، فإن المَلِك لا يأبى من تحت تصرفه مع اختلاف أصنافهم لسرعة إجابته وامتثال أمره ، وقد أدمج في الكلام معنى الاختصاص رداً لزعم الطبيعيين (٣) على منوال أنا نفعل كذا أيتها العصابة ، كما قال : بأنا نحن نقدر على مثل هذا ، ولا يدخل تحت قدرة أحد ، أى الماء واحد والأرض واحدة والمخرج مختلف ألوانه ، فلا يكون ذلك إلا بإيجاد قادر مختار لا يمتنع شيء من إرادته ومشيتته كقوله تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ (٤) .

قوله : ((عَدَد الله عليهم ما علق بالأرض)) (٥) ، بيان للنظم وأن الآية كالتميم للآية الأولى ، والتكميل للمنافع المنوطة بالأرض ، دلت الأولى على بيان مرافقهم وأصناف انتفاعهم ، وهذه على أنها أصلهم وفيها تقلبهم حياً وميتاً ، فكانت

(١) الآية ١٠ .

(٢) الأوصاف فى ب ، م .

(٣) الطبيعئون : هم المنسوبون للطبيعة ، وهي : عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي . أنظر التعريفات للجرجاني ١٨٢ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٤ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ الآية ٥٥ طه .

كالأم البارة بولدها في جميع ما يفتقر إليه ، ومن ثم استشهد بقوله : تَمَسَّحُوا بالأرض^(١) فإنها أم بارة^(٢) ، النهاية^(٣) : [أراد به التيمم ، وقيل : أراد به مباشرة مباشرتها بالجباه في السجود من غير حائل ، وهذا أمر تأديب واستحباب لا وجوب] فإنها أم برّة ، أى مشفقة كالوالدة بأولادها ، يعنى أن منها خلقكم ومنها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم .

قوله : ((كفاتهم إذا ماتوا)) ، هو من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا ﴾^(٤) ، قال : الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه ، وهو اسم ما يكفت أى كافية أحياء وأمواتا .

قوله : ((بَصَرْنَاهُ وَعَرَفْنَاهُ صَحْتَهَا))^(٥) ، يعنى يجوز أن يكون (أريناه) من الرؤية بمعنى المعرفة ، وعلى التقديرين متعلّة إلى مفعولين ، وعلى الثاني المضاف محذوف ولا يجوز أن تكون (الرؤية)^(٦) بمعنى العلم ، لئلا يلزم حذف المفعول الثالث من الإعلام وهو غير جائز .

قوله : ((أن يكون موسى قد أراه)) ، والإضافة على هذا بمعنى السلام الاستغراقى ، ومعنى (أريناه) عرفناه لأنه قدر مشترك بين الإراءة بالبصر بالنسبة إلى الآيات التى أظهرها الله على يد موسى و بين الإراءة التى هي الإعلام والإخبار بالنسبة إلى ما أوتيّه غيره ، ولهذا قال : لا فرق بين ما نخبر عنه^(٧) وبين ما نشاهد به . قال القاضى^(٨) : [كلها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد على أن المراد

(١) أخرجه ابن أبى شيبه في مصنفه ١٦١/١ كتاب الطهارات ، باب ما يجزى الرجل في تيممه .

(٢) في م ، ب فإنها (بكم برّة) وهو الصواب كما في النهاية وأبن أبى شيبه .

(٣) النهاية ٣٢٧/٤ مادة (مسح) .

(٤) سورة المرسلات الآية ٢٥ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ الآية ٥٦ طه .

(٦) ما بين القوسين س من ب ، م .

(٧) (يخبر عنه) في م ، ت .

(٨) القاضى البيضاوي ٢٤/٤ .

بآياتنا آيات معهودة ، هي الآيات التسع المختصة بموسى وأنه عليه السلام أراه آياته وعدّد عليه ما أوتى غيره من المعجزات [، وقال السجاوندي (١) : [كلها أى كل أجناس الآيات إيجاد المعلوم كإيجاد الضوء من اليد وإعدام الموجود كإعدام حبال السحرة وتغيير الموجود كقلب العصا حية وإعادتها حية .

قوله : ((العصا و اليد و فلق الحجر)) إلى آخره ، وليس في معالم التنزيل ذكر الحجر ولا نَتَقُ الجبل ، وفي رواية عن ابن عباس (رضي الله عنه) : والعقدة التي كانت بلسانه فحلّها ، وفي رواية عكرمة والسنون و نقص من الثمرات ، وفي رواية محمد بن كعب الطمس : وأما الحجر ونتق الجبل فغير مناسبين لأنهما من الآيات التي اختصّت ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون .

قوله : ((بين ما يشاهد به)) ، بكسر الهاء أى يحاضر به ويريه ، قاله نور الدين الحكيم (٢) .

قوله : ((وقيل فكذب)) ، عطف على فكذبها جميعا يعني (أبى) ، حذف مفعوله إما بواسطة القرينة الظاهرة أو المعنوية ، فعلى الأول (أبى) تتميم ، وعلى الثاني تكميل لأن الحقّ أعمّ من المعجزات .

قوله : ((يلوح من جيب)) (٣) ، قوله الرواية (جيب) بالجيم والباء الموحدة ويروى من (خيث) بالخاء المعجمة والتاء المثناة ، وهو تصحيف ، والصحيح الأول ، وقد تضمنت الاستعارة الموشحة بالترشيح ، وذلك أن قوله : ﴿ لتخرجنا من أرضنا ﴾ فيه إظهار تجلّد من اللعين للقوم ، وفي ضمنه استشعار خوف عظيم ، وقوله : ﴿ بسحرك ﴾ تعمية وإلباس على الحمقى والجهلة ، لأن هذا الكلام ما صدر عن اللعين إلا بعد ما أيقن وحقق أن ما جاء به ليس من قبيل الباطل الذي هو السحر ، بل هو من

(١) السجاوندي : تقدم تعريفه . ولازال كتابه مخطوطا .

(٢) نور الدين الحكيم لم أقف له على ترجمة .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أجنّتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴾ الآية ٧٥ طه ، قال

(ز) : ((يلوح من جيب قوله : ﴿ أجنّتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ﴾ أن فرائضه كانت ترتعد خوفا مما جاء به موسى .

الحق الساطع الغالب على كل باطل ارتكبه ، فإبرازه في معرض السحر استشعاراً للخوف ، فشبهه بالثوب الساتر على عيوب لابسه مع اطلاع ذى الدرية على عيبه من جيبه .

قوله : ((فرائضه)) ، الجوهرى (١) : [عن الأصمعي الفريضة اللحمية بين الكتف والجنب التي لا تزال ترتعد من الذابة] .

قوله : ((أن يجعل الزمان مُخْلِقاً)) (٢) ، قال ابن الحاجب في الأمالي : [الظاهر أن الموعد الوعد ، لأنه وصف بقوله : ﴿ لا نخلفه ﴾ ، والإخلاف إنما يتعلق بالوعد ، يقال : أخلف وعده لا بمكانه ولا بزمانه ، ولو جعل مكانا وزمانا لوقع الإخلاف على غير الوعد وهو بعيد] .

قوله : ((وأن لا يطابق قوله ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾)) لأنه يكون حينئذ ﴿ فاجعل ﴾ طلباً لمكان الوعد فلا يكون تعيين زمان الوعد مطابقاً للسؤال .

قوله : ((وقراءة الحسن غير مطابقه له)) (٣) أى للموعد من جهة المكان والزمان أما المكان فظاهر ، وأما الزمان فلأن زمان الوعد زمان التكلم لازمان الزينة وإنما يتوقع إنجازه فيه . قال ابن جنى (٤) : [أما نصب ﴿ يوم الزينة ﴾ فعلى الظرف والموعد مصدر والظرف بعده خبر عنه على حذف المضاف أى إنجاز موعدنا إياكم في ذلك اليوم . ألا ترى أنه لا يراد في ذلك اليوم نعدكم وكيف ذا والوعد قد وقع الآن وإنما يتوقع إنجازه في ذلك اليوم] وإليه الإشارة بقوله : ((فالموعد في قراءة الحسن مصدر لا غير)) لأن التقدير اجعل بيننا وبينك إنجاز وعد فقيل : إنجاز وعدكم في يوم الزينة . وقال أبو البقاء : (٥) [تقديره موعدكم واقع يوم الزينة] .

(١) الجوهرى ١٠٤٨/٣ مادة (فرص) .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ فلنأتينك بغير مثلها فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً

سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴾ .

(٣) قراءة الحسن والأعمش والثقفى ، ورويت عن أبى عمرو (يوم الزينة) المختص بالبن جنى

٥٣/٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) أبو البقاء ١٢٣/٢ .

قوله : ((ومكانا بدل من المكان المحذوف)) وجاز الإبدال لتغايرهما بوصف الثاني بـ (سوى) .

قوله : ((فكيف طابقه)) (١) أتى بالفاء إنكاراً يعنى قرّرت أنه لا يجوز جعل الموعد مكاناً لما يلزم منه عدم المطابقة بينه وبين قوله ﴿ موعداً لكم يوم الزينة ﴾ وحين جعلته مصدراً على تقدير المضاف وقعت فيما فررت منه وأجاب أنه كان يلزم من الأول محذوران جعل المكان مخلفاً وعدم المطابقة ، ومن الثاني محذور واحد وهو عدم المطابقة ، فتأول كما أشار إليه وذلك كما يقال لمن يقول لصاحبه : أين أراك يوم عرفة ؟ أى في عرفات . وقال صاحب الانتصاف : (٢) [ويحتمل أن يجعل موعد اسم مكان فيطابق مكاناً والزمان بما ذكره ويعود الضمير في ﴿ لا نخلفه ﴾ على المصدر المفهوم من اسم المكان إذ حروفه فيه . والموعد إذا كان اسم حاصله مكان وعد وكذا إذا كان اسم زمان حاصله زمان وعد ، وإذا جاز عود الضمير إلى ما دلّت عليه قوة الكلام فرجوعه الى ما هو كالمنطوق به أولى . قالوا : من صدق كان خيراً له فأعادوا الضمير على مصدر صدق للدلالة الفعل عليه ، ويكون على هذين التأويلين جواب موسى من جوامع الكلم ، سألوه مكاناً فعلم أن الزمان لا بد أن يسأل عنه فأجاب جواب مفرد كاف في الجميع فإن قيل : المسئول عنه جُعِلَ ضمناً وهو المكان وصرّح بما لم يطلب ، وهو الزمان فالجواب أن قرينة سؤالهم دلّت على المضمّن وما لم يسألوا عنه صرّح به إذ لا قرينة معه [وقلت في قوله : يعود الضمير إلى المصدر المفهوم من اسم المكان نظر لأن قوله ﴿ لا نخلفه ﴾ صفة لموعد أو الضمير فيه لا يرجع إلا إليه قطعاً .

قوله : ((بالمصدر)) أى انتصب (مكاناً) بالمصدر قال أبو البقاء : (٣) وكلام صاحب التقريب والانتصاف فيه نظر لأن المصدر الموصوف لا يعمل وغاية ما يقال فيه : إن عمله في الظرف من الاتساع . وقال ابن الحاجب : لا يستقيم نصب مكاناً

(١) تفسير قوله (مكاناً) .

(٢) الانتصاف مع الكشاف ٧٠/٣ مع تصرف منه .

(٣) أبو البقاء ١٢٢/٢ - ١٢٣ .

بالوعد وإن كان مصدراً لأنه قد فصل بينه وبينه بالوصف فصار مثل قولك : أعجني ضرب حسن زيداً وهو غير سائغ لأن المنسوب بالمصدر من تتمته ولا يوصف الشيء إلا بعد تمامه فكان كوصف الموصول قبل تمام صلتته . وقال صاحب الفرائد : إن جعلته مصدراً فالتقدير اجعل لنا وعداً لا تخلفه جاء يبين أو أتينا مكاناً سوى . وقال أبو البقاء : (١) [يجوز أن يكون مكاناً مفعولاً ثانياً (لا جعل)] .

قوله ((كيف يطابقه الجواب)) أى قوله ﴿ موعداكم يوم الزينة ﴾ كيف يستقيم جواباً لقوله ﴿ اجعل بيننا وبينك موعداً ﴾ فإن يوم الزينة حمل على موعدكم وأجاب أنه على قول الحسن ظرف مستقر وعلى المشهورة يقدر في الخبر مضاف بأن يقال : وعدكم وعد يوم الزينة .

قوله : ((لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه أى يوم الزينة فيوم الزينة ظرف والظرف من المخصصات ، والمراد من قوله : ((على نية التعريف فيه)) أى في ضحى أنه لما وقع خبراً من المجموع لم يلتبس على أحد أنه ضحى غير ذلك اليوم فإنه وإن كان نكرة لفظاً إلا أنه معرفة معنىً ونيةً ، إذ التقدير : موعدكم في يوم الزينة ضحاها . قال صاحب التقريب : وعلى هذا في نصب يوم الزينة نظر إلا أن يجعل صفة للضحى تقدمت عليه أى ضحى كائناً في ذلك اليوم وحينئذ يستغنى عن نية التعريف فيه ، وقلت : لا يجوز أن يكون حالاً من ضحى لفقد العامل .

قوله : ((وقرئ سوى وسوى)) عاصم وابن عامر وحمزة بالضم والباقون بالكسر ووقف أبو بكر وحمزة والكسائي (سوى) بالإمالة وورش وأبو عمرو بين وبين والباقون بالفتح قال محي السنة (٢) [وهما لغتان لمثل غدى وغدى قال مقاتل وقتادة : مكاناً عدلاً بيننا وبينك ابن عباس نصفاً يستوى مسافة الفريقين إليه . قال مجاهد : منصفاً] .

قوله : ((لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية)) تعليل لتصحيح قول مجاهد، أي لما كان أصل سوى من الاستواء جعله بمعنى منصفاً لأن المسافة أى البعد لكل فريق من السحرة والمؤمنين إلى ذلك المكان مستو لا تفاوت فيه . قال الزجاج: (٣)

(١) أبو البقاء ١٢٢/٢ - ١٢٣ .

(٢) محي السنة البغوى ٢٧٩/٥ .

(٣) الزجاج ٣٦٠/٣ .

[منصفاً أى مكاناً يكون النصف فيما بيننا وبينك] الراغب (١) سواء وسط ، ويقال : سواء وسوى قال تعالى : ﴿ مكانا سوى ﴾ أى يستوي طرفاه ويستعمل ذلك وصفاً وظرفاً وأصل ذلك مصدرٌ والسوى المساوى كعدل ومعادل وقتل ومقاتل ، تقول : سيان زيد وعمرو والمساواة متعارفة في الثمنات يقال : هذا الثوب يساوى كذا . قوله : ((ومن لم يُنَوِّن فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقف)) قال صاحب التقريب : [وفيه نظر لأنه وقف حقيقة فعدم التنوين لكونه وقفاً لإجراء الوصل مجرى الوقف إلا أن يثبت عدم التنوين في الوصل أيضاً] وقال ابن جني (٢) : [وهي قراءة الحسن وترك صرفه مشكل لأنه وصف على فعل وهو مصروف يقال : رجل حُطِمَ (٣) ودليل خُتِعَ (٤) " ومال لبد (٥) إلا أنه ينبغي أن يحمل على أنه محمول على الوقف عليه فجاء بترك التنوين ، فإن وصل على ذلك فعلى نحو قولهم : سبباً (٦) وكلكلاً (٧) فيجرى في الوصل مجراه في الوقف] دليل أى ماهو في الدلالة .

قوله : ((ومحل أن يحشر)) الرفع أو الجر عطفاً على اليوم أو الزينة قال أبو البقاء : (٨) [وأن يحشر الناس ﴾ معطوف على الزينة أى ويوم أن يحشر الناس فيكون في موضع جر ويجوز أن يكون في موضع رفع أى موعدكم أن يحشر الناس] وقال ابن جني (٩) في قوله تعالى [﴾ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ : النظر فظاهر حاله أنه مجرور ، كأنه قيل : موعدكم يوم الزينة وحشر الناس ضحى ، ويجوز أن يكون مرفوعاً عطفاً على الموعد كأنه قال : إنجاز موعدكم وحشر الناس ضحى في يوم

(١) الراغب ٢٥٢ مادة (سوا) .

(٢) ابن جني في المحتسب ٥٢/٢ (مكانا سوى) غير منون .

(٣) الحطم : الظلوم ، من قوهم : راع حُطِمَ أى ظلوم لماشيته كأنه يحطمها لعنفه في سوقها . الأساس

١٣٢ مادة (حطم) .

(٤) دليل ختيع : حاذق في الدلالة ، وخَوَّنِعَ ماهر . الأساس ١٥٣ مادة (ختيع) .

(٥) مال لبد : كثير متلبّد بعنقه فوق بعض . الأساس ٥٥٧ مادة (لبد) .

(٦) والسبب : المفازة ، يقال : بلد سبب . الصحاح ١٤٥/١ مادة (سبب) .

(٧) الكلكل : الصدر ، ويقال : رجل كُلكل قصير غليظ مع شدة . الصحاح ١٨١٢/٥ .

(٨) أبو البقاء ١٢٣/٢ .

(٩) ابن جني في المحتسب ٥٣/٢ .

الزينة فكانه جعل الموعد عبارة عن جميع ما يتجدد في ذلك اليوم من الثواب والعقاب وغيرهما سوى الحشر ، ثم عطف ﴿ أن يحشر ﴾ عليه فهو على منوال ﴿ وملائكته وجبريل ﴾ (١) ومن رفع فقال : يوم الزينة ، فإن الموعد إذن زمان أي وقت وعدكم يوم الزينة ، وعطف ﴿ وأن يحشر ﴾ يؤكد الرفع ، لأن ﴿ أن ﴾ لا تكون ظرفا ، ألا ترى أن من قال : زيارتك إياي مقدم الحاج ، لا تقول : زيارتك إياي أن يقدم الحاج ، وذلك ان لفظ المصدر الصريح أشبه بالظرف من ﴿ أن ﴾ وصلتها التي بمعنى المصدر إذا كان اسما لحدث ، والظرف اسم للوقت والوقت يكاد يكون حدثا [.

قوله : ((وكبت الكافر)) الجوهري : [الكبت الصرف والإذلال ، يقال : كبت الله العدو أي صرفه وأذله] .

قوله : ((قرئ فُيُسْحِتُكُمْ)) (٢) حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء وضم الياء . والباقون بفتحها ، قال الزجاج (٣) : [يقال سحته الله وأسحته إذا استأصله وأهلكه ، قال الفرزدق : (٤)

****** وَعَضُ زَمَانُ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ ****** مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا ******
لم يدع ، لم يستقر ، من الدعة ، إلا مسحت بالرفع . والأكثر بالنصب ، فهذا بناء على قولهم : أسحت فهو مسحت [، الجوهري (٥) : [المسحت المهلك ، والمجلف بالجميم الذي بقيت منه بقية ، يريد إلا مُسْحَتًا وهو مجلف] ، قيل : معنى لم يدع لم يبق ، حيث رفع به مجلف . ومن روى مسحتا ، فهو على معناه ، وتام تقريره مضى في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُطِعمه فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ (٦) .

(١) سورة البقرة الآية ٩٨ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ ، قرأ ﴿ فُيُسْحِتُكُمْ ﴾ حفص وحمزة والكسائي ورويس وخلف بضم الياء وكسر الحاء من (أسحت) رباعيا لغة قميم ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بفتح الياء والحاء من سحته ثلاثيا لغة أهل الحجاز ، الإنحاف ٣٠٤

(٣) الزجاج ٣ / ٣٦١

(٤) قاله الفرزدق في ديوانه ٥٥٦

(٥) الجوهري ٤ / ١٣٣٨-١٣٣٩ مادة (جلف)

(٦) سورة (البقرة) الآية ٢٤٩

قوله : ((لا تزال الرُّكْبُ تَصْطَلُكَ)) (١) مثل في عَقْدِهِ وَعَضْلِهِ .

قوله : ((وعن وهب (٢) لما قال ﴿ ويلكم ﴾ الآية قالوا : ما هذا بقول ساحر)) مؤذن بأن قوله : ﴿ قال لهم موسى ويلكم ﴾ كلام مع السحرة ، وبه صرح الواحدي (٣) ، وعليه ينطبق قوله : ﴿ فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ﴾ أي ثم أتى بجميع ما رأى أن يؤتى به من القوم والسحرة والآلات ، فلما حضر موسى للميقات ونظر إلى السحرة وما استعدوا به قال : ﴿ ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ﴾ فحينئذ تنازع السحرة أمرهم وأسروا النجوى . وقالوا : ما هذا بقول ساحر ، ثم اتجه لسائل أن يقول : ما فعل فرعون وقومه عند هذا التقاعد والتواني وما قالوا للسحرة؟ أجيب قالوا : ﴿ إن هذان لساحران ﴾ إلى قوله : ﴿ استعلى ﴾ .

قوله : ((وتجادبوا أهذاب القول)) استعارة (٤) ، وتجادبوا ترشيحها ، والمجموع كناية عن أن الكلام ذو شجون . وفيه أن كلامهم كان أقوالا ملفقة لا حقيقة لها ، لأن هدبة الثوب مثل في الرخاوة ، يدلّ عليه قوله ((في تلفيق هذا الكلام وتزويره)) (٥) ، ويروى وتزويره (٦) من الوزر وهو الذوق ، يقال : راز العذل أي حرّكه ، هل يقدر على حمله أم لا ؟ .

(١) قال (ز) : مشيرا لبيت الفرزدق المذكور آنفا ((لا تزال الركب تَصْطَلُكَ)) في تسوية إعرابه . قال في اللسان ٤٥٦/١٠ ، مادة (صكك) الصَّك : اضطراب الركبتين والعرقوبين من الإنسان وغيره .

(٢) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز اليماني الصنعاني الذماري أبو عبد الله ، كان يتهم بشئ من القدر ، ثم ترك القول به ، ولد سنة ٣٤ ومات ١١٠ ، تهذيب التهذيب ١٦٦/١١

(٣) الواحدي ٢١١/٣

(٤) الاستعارة الترشيفية : هي اقتران الاستعارة بما يلائم المستعار منه . انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٤٣٣ .

(٥) قال الزمخشري في الأساس : وزر حمله الوزر ، وهو الحمل الثقيل

(٦) الروز التجربة ، يقال : رازه يروزه روزا جرّب ما عنده وخبره ، اللسان مادة (روز)

قوله : ((خوفاً من غلبتها)) يريد أن نجواهم في السر كان لتلقيق ، قوله : ﴿إن هذان لساحران﴾ يعني إن صرحنا الحق نخاف من غلبتهما علينا بأن يقولوا فاتبعونا إذن . ومن تثبيط الناس أيضاً فإنهم إذا سمعوا ذلك رغبوا في اتباعهما ، فالواجب أن يقول : إن هذين لساحران فيأمن من ذلك ، هذا يقوي رواية من روى تزويره بالراء بعد الزاي .

قوله : ((قرأ أبو عمرو^(١) ﴿وإنَّ هَٰذَيْنِ﴾ وفي التيسير^(٢)) وقرأ ابن كثير وحفص ﴿إنَّ هَٰذَانِ﴾ يأسكان النون والباقون بتشديدها . وقرأ أبو عمرو ﴿هَٰذَيْنِ﴾ بالياء والباقون بالألف قوله ﴿أن هذان لساحران﴾^(٣) بفتح (أن) وبغير لام بدل من النجوى)) هذا على أن يكون قوله : ﴿إن هذان لساحران﴾ من كلام السحرة كما قال ، والظاهر أنهم تشاوروا في السر فيكون قوله : ﴿قالوا﴾ مقحماً تأكيداً لأن أسرو أنواع من القول وقوله ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ كلام بعضهم مع بعض وفي الموضح^(٤) بحذف ﴿قالوا﴾ من السر .

قوله : ((جعلوا الاسم المتى نحو الأسماء التي آخرها ألف كعصا)) قال الزجاج :^(٥) [حكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب ، وهو رأس من رؤساء الرواة أنها لغة لكنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد وينشدون^(٦)]

**** فأتروا أطراف الشجاع ولو أرى **** مساعاً لنا به الشجاع لصمما ****** ويقولون ضربته بين أذناه ، وكذلك روى الكوفيون أنها لغة لبنى الحارث بن كعب وقالت النحاة القدماء : إن الضمير فيه مضمرة أى أنه هذان لساحران وقالوا أيضاً : إن معنى (إن) نعم وينشدون^(٧)

(١) قرأ ابن كثير يأسكان نون (إن) و (هَٰذَانِ) بالألف مع تشديد النون والمد المشيع للساكنين وصلوا ووقفوا . وقرأ أبو عمرو بتشديد نون (إن) وفتحها و (هَٰذَيْنِ) بالياء مع تخفيف النون . وحفص يأسكان نون (إن) و (هَٰذَانِ) بالألف مع تخفيف النون والباقون بتشديد نون (أن) و (هَٰذَانِ) بالألف مع تخفيف النون . البدور الزاهرة ، ٢٠٥ .

(٢) التيسير للداني ١٥١ وفيه إجمال وعدم تفصيل .

(٣) قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، انظر الشواذ لابن خالويه ٨٨ بلفظ (إن ذان إلا

ساحران)

(٤) الموضح لم أقف عليه .

(٥) الزجاج ٣/٣٦٢ وانظر المجاز لأبي عبيد ٢/٢١ .

(٦) هذا البيت للمتلمس ، وذكره ابن يعيش ٣/١٢٨ واللسان (صمم) .

(٧) البيت لعبد بن قيس الرقيات العامري . انظر خزائن الأدب ٣/١٣٠ .

****وَيَقْلَنَ شَيْبَ قَدِ عَلَا ** كَ وَقد كَبُرَتْ فَقُلْتَ إِنَّهُ ****

وحكى صاحب المطلع (١) أن أعرابيا أتى ابن الزبير يستجديه فلم يعطه شيئا . فقال :
(لعن الله ناقة حملتني إليك) قال ابن الزبير (إن) وراكبها أى نعم . وقال ابن
الحاجب في الأمالي : وهذه القراءة مشككة ، أظهرها أن هذان مبنى لأنه من أسماء
الإشارة فجاء في الرفع والنصب والجر على حال واحدة وهي لغة واضحة ولما يقويها
أن اختلاف الصيغ في اللغة الأخرى ليس إعرابا في التحقيق لوجود علة البناء من غير
معارض لأن العلة في هذا وهولاء كونها اسم إشارة . وقال (إن) بمعنى (نعم) شاذ
قوله : ((وقال بعضهم (إن) بمعنى نعم)) وقد أعجب به أبو إسحاق أى
الزجاج (٢) قال بعد ما نقل كلام النحويين : [هذا جميع ما احتجوا به والذي عندي
والله أعلم وكنت عرضته على عالمينا محمد بن يزيد يعنى المبرد وعلى إسماعيل بن
إسحاق (٣) فقبلاه وذكرنا أنه أجود ما سمعناه في هذا المعنى أن تقديره (نعم) هذان
لهما ساحران وأن اللام قد وقعت موقعها أى دخلت على المبتدأ لا الخبر] وقال
النحاة: أصل هذا اللام أن تقع في الابتداء و وقوعها في الخبر جائز وأنشدوا :

**** أم الحليس (٤) لعجوز شهره (٥) ** ترضى من اللحم بعظم الرقبه ****

أى لأم الحليس عجوز .

وقال أبو علي (٦) في الأغفال : هذا غير مرضي لأن هذا اللام للتأكيد ويقبح أن يذكر
للتأكيد ويحذف نفس المؤكد لأن التأكيد إنما يحتاج إليه فيما خيف لبسه على السامع

(١) صاحب المطلع لم أقف عليه .

(٢) الزجاج ٣/٣٦٣ .

(٣) إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي الجهمي الأزدي فقيه على مذهب مالك ومن بيت
علم . جليل التصانيف نشر مذهب مالك في العراق ، كان من نظراء المبرد ولد سنة ٢٠٠ ومات سنة ٢٨٢ .
الاعلام ١/٣١٠ والديباج المذهب ٩٢ .

(٤) نسب بعضهم هذا البيت لعنزة بن عروس مولى بنى ثقيف ، ونسبه آخرون إلى رؤية بن العجاج ،
انظر خزنة الأدب ٣/١٣٠ .

(٥) معنى (شهره) كبيرة السن . الصحاح ١/١٥٩ مادة (شهرب) .

(٦) أبو علي الفارسي في كتابه الإغفال . انظر مقدمة الحجة لأبي علي المذكور ٤٢ .

فإذا بلغ به الحال التي يستجاز معها حذفه لعلم المخاطب به استغنى لذلك عن التأكيد ، ولهذا حمل النحويون قوله (أم الحليس لعجوز) على الضرورة حيث أدخل اللام على الخبر وحقها أن تدخل على المبتدأ ولو كان للذي ذكره وجه ما حملوا هذا على الضرورة بل قدرُوا فيه ما قدروه في قوله : ويحذف نفس المؤكد نظراً لأن المؤكد مضمون الجملة كما نص عليه المصنف في قوله ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾^(١) ثم قال أبو علي : فإن قلت أليسوا قد أجازوا حذف الخبر في نحو إن مُجِلاً وإن مرتحلاً ؟ وإذا لم يمنع الحذف في الخبر مع إن لم يمتنع في المبتدأ مع اللام قلت : لا يلزم من جواز هذا جواز ذاك وإن اجتمع في التأكيد وتلقى القسم لأن (إن) مشبهة بـ (لا) من حيث كانت تعمل عملها وكانت نقيضتها وحمل النقيض على النقيض شائع ، وإنما حسن الحذف مع (لا) لأن المنفى في تقدير التكرير لأنه لا يقع إلا بعد إثبات مثبت وبعد إثباته يحسن الحذف .

قوله : ((سَمُوا مذهبهم الطريقة المثلى^(٢))) الراغب^(٣) : [الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل قال تعالى ﴿ فاجعل لهم طريقاً في البحر يبساً ﴾^(٤) وعنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمود أو مذموم قال تعالى ﴿ ويذهب بطريقكم المثلى ﴾] .
قوله : ((وقيل : الطريق اسم لوجوه الناس وأشرافهم)) قال الزجاج^(٥) : يعنى طريقتم المثلى جماعتكم الأشراف والمثلى تأنيث الأمثل ، والمثلى ذو الفضل الذي به يستحق أن يقال هذا أمثل قومه والعرب تقول للرجل الفاضل : وإنما تأويله هذا الذي ينبغي أن يجعله قومه قدوة ويسلكوا طريقته ، والذي عندي أنه أهل طريقتم كقولهم : هذا طريقة قومه أى صاحب طريقة قومه ، وقال القاضي^(٦) : [بطريقتم المثلى ﴾

(١) سورة الضحى الآية ٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ ويذهب بطريقكم المثلى ﴾ .

(٣) الراغب ٣٠٣ مادة (طرق) .

(٤) سورة طه الآية ٧٧ .

(٥) الزجاج ٣٦٤/٣ .

(٦) القاضي البيضاوي ٢٥/٤ .

أى مذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبيهما وإعلاء دينهما لقوله : ﴿أخاف أن يبدّل دينكم﴾ (١) .

قوله : ((فأجمعوا كيدكم)) بوصل الألف وفتح الميم ، قرأها أبو عمرو والباقون بقطع الألف وكسر الميم . قال صاحب الكشف (٢) : من قال : (فأجمعوا) بقطع الألف حذف الجار كما حذفها في قوله : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾ (٣) ، أى على عقدة النكاح كقوله : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾ (٤) ومن قال : (فأجمعوا) فوصل لم يحتج إلى حذف الجار لأنه متعد بنفسه .

قوله : ((إما منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف)) (٥) ، قال أبو البقاء (٦) : [أى إما أن تفعل الإلقاء أو أمرنا الإلقاء] .

قوله : ((ووجه صحته)) (٧) ، أى صحة هذا المجاز والعدول من الحقيقة وإرادة المصلى بوصف في قول فرعون : (ايتوا صفًا) بعد تقرير علاقة المجاز هو أن يقع علما ويراد مصلى من المصليات .

قوله : ((هذا التخيير منهم استعمال أدب حسن)) ، قال في الانتصاف (٨) : [سبق أدبهم في قوهم : ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه ﴾ ، جعلوا الموعد

(١) سورة غافر الآية ٢٦ .

(٢) صاحب الكشف عن وجوه القرآت السبع مكى بن أبى طالب القتيبي ١٠١/٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٥ .

(٤) سورة يونس ، الآية ٧١ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ﴾ . قال (ز) :

(أن) مع ما بعده ((إما منصوب)) الخ .

(٦) أبو البقاء ٢٨٢/١ في سورة الأعراف ، الآية ١١٥ .

(٧) قال (ز) : قال أبو عبيدة : إنه فسر الصف بالمصلى ، لأن الناس يجتمعون فيه

لعيدهم .

(٨) الانتصاف مع الكشاف ٧٣/٣ .

من موسى ثم قالوا : ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِي ﴾ وألهم الله تعالى موسى عليه السلام أن يجعل الموعد يوم عيدهم ليفتضحوا على رؤوس الأشهاد وألهمه بأن يبدؤا ليكون إلقاءه قذفا بالحق على الباطل [وقال القاضي^(١)] أمرهم بأن يبدؤوا في الإلقاء اسعافا إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في جانبهم وتغيير النظم إلى وجه أبلغ [وهو ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾] .

قوله : ((وهذا تمثيل ، و المعنى على مفاجأته)) ، قال صاحب التقريب : [والتقدير فاجأ موسى وقت تخيل سعي حباهم ، وهذا تمثيل و ليس عين المدعي ، لأن وقت في التقدير مفعول به لفاجأ ، والمدعي أنه ظرف ، فالأولى أن يقال : فاجأ موسى حباهم في وقت تخيلها السعي ، وقد نبه في قوله : ((والمعنى على هذا))^(٢)] . وقلت : المراد من قوله : ((هذا تمثيل)) أن ما ذكره ، وهو قوله : فاجأ موسى وقت تخيل سعي حباهم وعصيتهم وارذ على سبيل تنظير الآية به ، بحسب هذه القاعدة ، لكن معنى الآية على مفاجأته حباهم وعصيتهم محيطة إليه السعي ، بناء على قولهم : (إذا) هذه للمفاجأة كأن الظرف سد مسد فعله ، قال ابن الحاجب^(٣) : [ولا يقع بعد (إذا) المفاجأة إلا المبتدأ والخبر والعامل فيها معنى المفاجأة ، وهو عامل لا يظهر ، استغنوا عن إظهاره بقوة ما فيها من الدلالة عليه] .

قوله : ((وقرئ ﴿ ويخيل ﴾))^(٤) ، على إسناده إلى ضمير الخيال : ابن ذكوان . والباقون بالياء التحتاني ، قال ابن جني^(٥) : [القراءة بالتاء الفوقانية

(١) القاضي البضاوى ٢٥/٤

(٢) على (غير) هذا في م ، ب

(٣) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ٥١٤/١ نقله بالحرف

(٤) قرأ ابن ذكوان وروح بالله من فوق ، في قوله ﴿ تخيل ﴾ على التانيث على إسناده لضمير العصي والرجال ، ﴿ وأنها تسعى ﴾ بدل اشتمال من ذلك الضمير ، ووافقهما الحسن . والباقون بالياء على التذكير

لإسناده إلى أنها تسعى ، أي يخيل سعيها . الإتحاف ٣٠٥

(٥) ابن جني في المختص ٥٥/٢ .

(٦) سورة (ص) الآية ٥٠ .

للحسن والتقفي ﴿ وأنها تسعى ﴾ بدل من الضمير في ﴿ تخيل ﴾ وهو عائد إلى الحبال والعصي . كقولك : إخوانك يعجبونني أحوالهم . وقوله تعالى : ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ في من جعل الأبواب بدلا من الضمير في ﴿ مفتحة ﴾ وهذا أمثل من أن يعتقد خلوّ ﴿ تخيل ﴾ من الضمير [، قال أبو البقاء (١) : ﴿ حبالهم ﴾ مبتدأ والخبر إذا ، و ﴿ يخيل ﴾ حال] .

قوله : ((نبأ يسيرة)) (٢) ، الجوهرى (٣) : [النبوة الصوت الخفى] .

قوله : ((إنك أنت الأعلى ﴾ فيه تقدير لغبته وقهره وتوكيده يجوز أن يكون قوله : ((وتوكيد)) عطفا على قوله : ((تقرير لغبته)) على البيان وقوله : ((بالإستئناف وبكلمة التشديد)) أى التحقيق ، وهى (إن) (٤) إلى آخره تعداد للمؤكدات ، ويجوز أن يكون توكيد غير الأول فيتعلق قوله بالإستئناف بقوله تقرير لغبته بتعلق البواقي بقوله : ((وتوكيد)) أما دلالة الاستئناف على تقرير الغلبة والقهر فهي أنه لما قيل له : ﴿ لا تخف ﴾ ، أى لا تبال ، سأل لم ذاك والحال حال استشعار الخوف ؟ ، فأجيب : ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ ، وأما دلالة لام التعريف على تقرير الغلبة فإنها للجنس . وقد دخلت على الخبر فأفادت أن حقيقة العلو والغلبة مختصة بك لا تعدى إلى غيرك . وقوله : ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ أمر عطف على النهي وهو ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ ، وفصل فيه ما كان مجملاً في ﴿ أنت الأعلى ﴾ بقوله : ﴿ تلقف ما صنعوا ﴾ إلى قوله : ﴿ آمنا برب هارون وموسى ﴾ .

قوله : ((جائز ان يكون تصغيراً لها)) (٥) خبر لقوله : ﴿ ما في يمينك ﴾ ، ﴿ فما ﴾ حينئذ موصولة ، والصلة تدل على التحقير ، أى ألقى الذي اشتمل عليه يمينك من العويد (٦) الخفيف الحقير ، وعلى تقدير أن يكون تعظيماً لها ، (ما) موصولة أنها منه والتنكير

(١) أبو البقاء ١٢٣/٢

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ . قال (ز) : ((توجَّسُ الصوت سَمِعَ))

نبأ يسيرة)) منه .

(٣) الجوهرى ٧٤/١ مادة (نبأ)

(٤) المراد بأن إلى آخره أى ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ إلى آخر كلام الزمخشري .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ قال (ز) : ولم يقل عصا ((جائز أن يكون)) الخ .

(٦) العويد : تصغير للعود الصغير الجرم .

للتعظيم ، أى ألق شيئاً استقرّ في يمينك ، أى شيئاً عظيماً ، وإلى الأول الإشارة بقوله الصغير الجرم الذي في يمينك . وإلى الثاني بقوله : ((لا تحتفل)) إلى قوله : ((فإن في يمينك شيئاً أعظم منها)) ، قال صاحب الانتصاف : ويحتمل وجهها آخر : وهو أن الله تعالى إنما قال لموسى عليه السلام : ﴿ ألق ما في يمينك ﴾ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قيل له : ﴿ وما تلك بيمينك ﴾ وأظهر له معجزتها فأنسه بأن خاطبه بما خاطبه به وقت ظهور آيتها لينبه على ما فيها من المعجزة القاهرة ، ويقوى قلبه .

قوله : ((يتلقفها يا ذن الله ويمحقها)) ، الراغب ^(١) : [لفتت الشيء ألقفه وتلقفته تناولته بالجدق ، سواء كان تناوله باللفم أو اليد] .

قوله : ((وقرىء تلقف بالرفع)) ^(٢) ، ابن عامر : [في المعالم ^(٣) وفي التيسير ^(٤) ابن ذكوان ، والباقون بالجزم على جواب الأمر] .

قوله : ((وقرىء كيد سحر)) ^(٥) ، حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف والباقون بفتحها وألف بعدها ، وإضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى المفعول ، قال الزجاج ^(٦) : [ويجوز ﴿ كَيْدٌ ساحر ﴾ بنصب الدال . وأما رفعها فعلى أن الذي صنعوه كيد ساحر على خير إن و (ما) اسم . ومن قرأ بالنصب جعل (ما) مانعة ^(٧) (لأن) من العمل ، وتسوغ لتكثير السعي ^(٨) إذ لو عرف الدنيا صار السعي

(١) الراغب ٤٥٣ ، مادة (لقف) .

(٢) قرأ (تَلَقَّفُ) بفتح اللام وتشديد القاف ورفع الفاء : ابن ذكوان على الاستئناف وقرأ حفص بإسكان اللام والفاء مع تخفيف القاف ، من لقف يلقف كعلم يعلم . والباقون بالتشديد والجزم ، على جواب الأمر الإتحاف ٣٠٥ .

(٣) معالم التنزيل للبيهقي ٢٨٤/٥ ، قال : قرأ ابن عامر (تَلَقَّفُ) برفع الفاء ها هنا .

(٤) التيسير للداني ١٥٢ .

(٥) قرا (كيد سحر) حمزة والكسائي وخلف بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف ، أى كيد ذى سحر ، أو هم نفس السحر على المبالغة . ووافقهم الأعمش . والباقون بفتح السين وبالألف وكسر الحاء ، فاعل من سحر ، وأفرد من حيث أن فعلهم نوع واحد من السحر . الإتحاف ٣٠٥ .

(٦) الزجاج ٣٦٧/٣ .

(٧) على حد قوله في الخلاصة :

** إعمالها وقد يبقى العمل **

** ووصل ما بذى الحروف منطل **

(٨) يشير إلى بيت العجاج الذي استشهد به الرمخسري :

** من نُزِلَ إذا الأمور غَبَّت ** في سَعْيِ دُنْيَا طالما تَعَنَّت **

معرفة ، والمراد تنكيره ، المعنى في سعي ما دُنيوى . قوله : في (سعى دُنيا) ظرف (غبت) ، يقول : يوم القيامة ترى النفوس ما جعلته عدة من ترك يوم القيامة حين تبلغ الأمور أواخرها .

قوله : ((وفي حديث عمر رضي الله عنه)) ، النهاية^(١) : [في حديث عمر رضي الله عنه قال : (إني لأكره أن أرى أحدكم سَهْلًا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة) سَهْلًا أي فارغا . يقال جاء يمشي سَهْلًا إذا جاء وذهب فارغا في غير شيء] التكرير في (دُنيا) و (آخرة) يرجع إلى المضاف وهو للفعل أن يكون بعدها ونصب (كيد ساحر) بـ (صنعوا) .

قوله : ((لأن القصد إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد))^(٢) ، مضى بيانه في أول مريم عند قوله : ﴿ وهن العظم مني ﴾ مستوفى .
قوله : ((** في سعي دُنيا طالما تعنت **)) ، قبله :

** يوم ترى النفوس ما أعدت ** من نزل إذا الأمور غبت **
ما أعدت من نزل إذا الأمور غبت ، ما أعدت أي جعلته عدة ، غبت الأمور إذا بلغت أواخرها ، (ما) في طالما كافة أو مصدرية مضى شرحه في الخطبة ، مدت أي أمهلت ، في جمعها وتهئية أسبابها . وإنما نكر دينا العمل كأنه قال : لا في عمل من أعمال الدنيا ولا في عمل من أعمال الآخرة .

قوله : ((حيث أتى كقولهم حيث يسير)) ، الراغب^(٣) : [حيث عبارة عن مكان مبهم ، يشرح بالجملة التي بعده ، نحو قوله تعالى : ﴿ وحيث ما كنتم ﴾^(٤)]
﴿ ومن حيث خرجت ﴾^(٥) .

(١) النهاية ٣٤٠/٢ مادة سهل .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ ، قال (ز) : فإن قلت : لم وحد (ساحر) ولم

يجمع ؟ ، قلت : ((لأن القصد)) الخ .

(٣) الراغب ١٣٤ ، مادة (حيث) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٤ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٤٩ .

قوله : ((قد ألقوا حبّالهم ثم ألقوا رؤسهم ، فما أعظم الفرق بين الإلقاءتين)) (١) ، قال في الانتصاف (٢) : [في تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن قوله : فسجدوا إشعاراً بلطفه في نقلهم من غاية الكفر إلى غاية الانقياد ، ويحصل ذلك بتكرير لفظ واحد لمعنيين متناقضين وفيه مناسبة لما قدمه ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ وما تلك بيمينك ﴾] .

قوله : ((شبه تمكّن المصلوب إلى الجذع بتمكّن الشيء الموعى)) (٣) ، بيان مجاز استعمال (في) موضع (على) .

قوله : ((بدليل قوله : ﴿ آمنتُم له ﴾)) ، يعني دلّ هذا على أن المراد من قوله : ﴿ آينا أشد ﴾ نفسه وموسى عليه السلام ، لأن معنى ﴿ آمنتُم له ﴾ آمنتُم لأجله وبسببه ، لأنكم خفتُم على أنفسكم أن يعذبكم إن لم تؤمنوا له استهزاءً بموسى ، لأنه لم يُعذب قط .

قوله : ((وفيه نفاجة)) ، النهاية (٤) : [النفاج الذي يمتدح بما ليس فيه ، من الانتفاج والارتفاع (٥)] ، يعني تعلمون عادتِي في العذاب ، ولا تشكّون في ضعف موسى .

قوله : ((أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف)) (٦) ، قال القاضي (٧) : [المعنى فاقض ما أنت قاضيه ، أي صانعه أو حاكم به ﴿ إنما تقضي

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا بربّ هارون وموسى ﴾ الآية ٧٠ طه .

(٢) الانتصاف مع الكشاف ٧٥/٣ .

(٣) تفسير قوله : ﴿ ولأصلبكم في جذوع النخل ولتعلمنّ آينا أشدّ عذاباً وأبقى ﴾ الآية ٧١ ،

طه .

(٤) النهاية ٨٩/٥ ، مادة (نفج) .

(٥) في م و (هو) الارتفاع ، وهو الصواب .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ ، قال (ز) : قريء ﴿ تقضي هذه الحياة

الدنيا ﴾ ، ووجهها ((أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف)) فأتسع في الظرف يلجرائه مجرى المفعول به .

(٧) القاضي البيضاوي ٢٦/٤ .

هذه الحياة الدنيا ﴿﴾ أي إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ، فهو كالتعليل لما قبله ، والتمهيد لما بعده . [

قوله : ((والسائر من بني إسرائيل)) (١) ، مؤذن أن سائر من السور الباقي ، لا بمعنى الجميع ، كما مرّ عن صاحب النهاية (٢) .

قوله : ((قيل في هذه الآيات الثلاث)) ، أي قيل في شأنها وحقها من كلام السحرة ، وهي حكاية الله قولهم ، والآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبِّهِ مَجْزَأً ﴾ إلى قوله : ﴿ جزاء من تركي ﴾ ، كذا عن القاضي (٣) وصاحب التقريب .

قوله : ((وقرئ ييساً ويابساً)) (٤) ، قال الزجاج (٥) : [فمن قرأ يابساً جعله نعتاً للطريق ، ومن قرأ ييساً فإنه نعت بالمصدر ، أي ذا ييس ، يقال : ييس الشيء ييسُّ ييساً وييساً ، ثلاث لغات بفتح الياء والباء وبضمها ، وسكون الباء وفتحها ، وسكون الباء .

قوله : ((** ومعاً جيعاً **)) (٦) ، تمامه أنشد صاحب المطلع :
** كَأَنَّ قُتُوذَ رَحْلِي حِينَ ضَمَّتْ ** حَوَالِبَ غُرَزًا وَمَعِيَ جِياعاً **
القتاد خشب الرحل ، والجمع أقتاد وقتود ، الحالبان ، عرقان مُكْتَنِفَانِ بالسرة ، والغازز الناقة التي قلّ لبنها ، والجمع الغرز والغازر بتقديم الزاي على الراء ، ضدها من الغزارة ، وحوالب خبر كأن ، ومعى عطف عليه ، و(غُرَزًا جِياعاً) حالان ، وقيل : خبر كأن في البيت يليه (٧) ، وحوالب مفعول ضَمَّتْ ، أي سدّت عليّ

(١) قال (ز) : روي أن السحرة كانوا اثنين وسبعين ، الاثنان من القبط ((والسائر من بني إسرائيل))

(٢) النهاية ٣٢٧/١ ، مادة (سار) .

(٣) القاضي البيضاوي ٢٧/٤ .

(٤) تفسر قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى ﴾ .

(٥) الزجاج ٣٦٩/٣ .

(٦) قائل هذا البيت : القطامي في مدح زفر بن الحارث الكلابي ، كما ذكر محمد عليان في مشاهد الأنصاف على شواهد الكشف ٧٧/٣ .

(٧) البيت الذي يليه هو :

** على وحشية خذلت خلوج ** وكان لها طلائفل فضاعا **

حوالب ناقتي ، وقلت : الأظهر أن يقدّر مضاف ، أي ذات حوالب ، وهو مفعول ضُمَّت بفتح الضاد ، فحذف المضاف على حوالب ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، وغُرِّزاً صفة حوالب ، ومعنى مع صفته ، عطف على حوالب وخبر كأن في البيت الذي يليه وهو قول : (على وحشة) شبه حالة قتود رحله حين وضعت على ناقة موصوفة بالضمور بحالة وضعها على وحشية فقدت ولدها ، فحينئذ التشبيه مركّب ، فهذه الرواية أصحّ معنى وإعراباً ، أما من حيث المعنى ، فلأنّ غرض الشاعر تشبيه ناقته بالوحشية في الضمور والنفور لا تشبيه القتود بالحوالب ، وأما من حيث الإعراب فلأنّ حوالب ومعنى نكرتان ، فلا يصحّ وقوعهما ذا الحال مقدّماً ، وبعده :

** على وحشية خُذِلَتْ خلوجٍ ** وكان لها طلاً طفلاً فضاء **

** فكُرت تبتغيه وصادفته ** على دمه ومصرعه السباعا **

والخلوج من النوق التي اختلج عنها ولدها فقلّ لذلك لبنها ، [قال الأصمعي (١) : إذا تخلف الطي عن القطيع قيل : خَذَلَ] ، جعله لفرط جوعه كجماعة جياع ، كذا جعل الطريق لفرط ييسها كالييس ، والمعنى : ليس فيها ماء ولا طين ولا ندوة ، الانتصاف : [أوقدّر كلّ جزء من أجزاء الطريق طريقاً يابساً ، فكانت لذلك اثنتي عشرة طريقاً ، لكلّ سبط طريق .

قوله : ((لا تخف)) ، على الجواب ، حمزة ، والباقون برفعها وألف قبلها ، قال الزجاج (٢) : [لا نخاف ، أي لست تخاف ، أي ولا نخف أن يدركك فرعون ولا نخشى الغرق] ، فعلى هذا الألف للإطلاق .

قوله : ((الدَّرْكُ و الدَّرْكُ اسمان من الإدراك)) (٣) ، الراغب (٤) : [الدرك كالدرج ، والدرك أقصى قعر البحر ، ويقال لما يلحق الإنسان من تبعة درك كالدرك في البيع ، قال تعالى : ﴿ لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾ ، أي تبعه ، وأدرك الصبي بلغ غاية الصبا ، وذلك حين البلوغ] .

(١) ذكره الجوهري في صحاحه ١٦٨٣/٤ ، مادة (خذل) .

(٢) الزجاج ٣٦٩/٣ .

(٣) تفسير قوله : ﴿ لا تخاف دركاً ﴾ .

(٤) الراغب ١٦٧ ، ١٦٨ ، مادة (درك) .

قوله : ((لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى)) ، أي أنها جملة معترضة .
قوله : ((** كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً **)) (١) ، قبله :

** وتضحك مني شيخة عبشمية **

القائل كان أسيراً يمانياً ، فمرت به عجوز من عبد شمس ضحكت منه ، فقال البيت ،
وعبشمية منسوب إلى عبد شمس ، كعبدري منسوب إلى عبد الدار ، وأثبت الألف
مع الجازم في (لم تر) لضرورة الشعر ، قيل : ترى ، كأنه جاء على الأصل ترى ثم
سكنه بالجازم .

قوله : ((تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة)) (٢) ، الأساس (٣) : [ومن الجازم
هو مستقل بنفسه ، إذا كان ضابطاً لأمره ، وهو لا يستقل بهذا الأمر أي لا يطيقه .
قوله : ((ورط جنوده)) (٤) ، الأساس (٥) : [وقع في ورطة لا يتخلص منها
في بلية ، وأورطه شراً مؤرط] .

قوله : ((وما هدى تهكم به)) ، قال في الانتصاف : [التهكم أن يؤتى
بعبارة والمقصود عكس مقتضاها ، كقوله : ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ (٦)] ،
وأما ﴿ وما هدى ﴾ فهو إخبار عن عدم الهداية . قال في الانتصاف : [الأمر كذلك
لكن في العرف في قولك : ما هدى زيد عمراً ، إثبات كون زيد مهتدياً عالماً بطريق
الهداية] ، وفرعون أصل الضالين ، فكيف يتوهم أن يهدي غيره ، ولأن أصل فرعون
كاف في المقصود من عدم الهداية زائداً عليه الإضلال ، فإن من لا يهدي قد يكون
غير مضل . وقلت : وتوضح معنى التهكم أن قوله : ﴿ وما هدى ﴾ من باب
التلميح : وهو أن يشار في أثناء الكلام إلى قصة أو حال . فإن مجيء ﴿ ما هدى ﴾

(١) القائل : عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، كما في مشاهد الأنصاف على شواهد الكشف ٧٨/٣

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ ، قال (ز) : من باب الاختصار ومن جوامع

الكلم التي ((تستقل مع قلتها)) إلخ .

(٣) الأساس ٥٢١ ، مادة (قلل) .

(٤) وفاعل ﴿ غشيهم ﴾ إما فرعون ، لأنه الذي ((ورط جنوده)) .

(٥) الأساس ٦٧٢ ، مادة (ورط) .

(٦) سورة هود ، الآية ٨٧ .

إشارة إلى ادعاء اللعين الرشاد في قوله : ﴿ وما أهديكُم إلا سبيل الرشاد ﴾ (١) ، فهو كمن ادعى دعوى وبالغ فيها ، فإذا حان وقتها ولم يأت بها قيل له : ما أتيت بما ادعيت تهكما .

قوله : ((والوجه هو الأول)) (٢) ، إذ النظم يستدعيه لأن السابق واللاحق وهو قوله : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ فيهم .

قوله : ((وقرىء أنجيتكم)) (٣) ، أى بقاء مضمومة حمزة والكسائي ، والباقون بالنون المفتوحة وألف بعدها .

قوله : ((وأن يَزُؤُوا)) ، أى تصرفوا ، الجوهري (٤) : [زوى فلان المال عن وراثته زياً] .

قوله : ((أن يبطروا ويأشروا)) ، الجوهري (٥) : [البطر الأشر ، وهو شدة المرح والفرح والنشاط ، وقد بَطِرَ بالكسر يَطِرُ بفتح الطاء] ، الراغب (٦) : [الأشر شدة البطر والأشر أبلغ من البطر ، والبطر أبلغ من الفرح ، فإن الفرح وإن كان في أغلب أحواله مذموماً كقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ (٧) ، فقد يحمد إذا كان على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب ، كما قال تعالى : ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ (٨) .

قوله : ((قرىء ﴿ فيحل ﴾)) (٩) ، بالنصب جواباً للنهي ، والفاء عاطفة بتأويل المصدر على مصدر ما قبلها ، فيقدر : لا يكن منكم طغيان فحلول غضب

(١) سورة غافر ، الآية ٢٩ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ الآية . قال (ز) : خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون ((وهو الأوجه)) .

(٣) قرأ (أنجيتكم) حمزة والكسائي وخلف بقاء المتكلم من غير ألف ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بنون العظمة مفتوحة ، وألف بعدها . الإنخاف ٣٠٦ .

(٤) الجوهري ٢٣٦٩/٦ ، مادة (زوى) .

(٥) الجوهري ٥٩٢/٢ - ٥٩٣ ، مادة (بطر) .

(٦) الراغب ١٨ ، مادة (أشر) .

(٧) سورة القصص ، الآية ٧٦ .

(٨) سورة يونس الآية ٥٨

(٩) تفسير قوله تعالى : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ .

مَنَى ونحوه ائني فأكرمك ، أي ليكن منك اتيان فإكرام مَنَى ، و (أن) مقدرة ، وقرأ الكسائي ﴿ فَيَحُلَّ ﴾ بضم الحاء ﴿ ومن يحُلُّ ﴾ بضم اللام الأولى ، والباقون بكسر الحاء واللام .

قوله : ((وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول)) (١) ، الانتصاف (٢) : [لا يسعه أن يذكر الغضب إلا بالعقوبة لأنه ينفي (٣) الإرادة في جملة ما نفاه من صفات الكمال ، وعند أهل السنة يجوز أن تكون الإرادة من صفات الذات وعاملهم معاملة الغضبان لأنه صفة فعل ، ولا يأبى وصفه بالحلول أن يكون صفة ذات ويكون كقوله صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) (٤) بتأويله

(١) فقول (ز) : ((وغضب الله عقوبته)) فأول غضب الله بعقوبته ، وهذا لا يجوز ، فإنه يجب أن يوصف الله بما وصف به نفسه من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ، فالله جل وعلا وصف نفسه بالغضب إن انتهكت حرمانه . وهذا الغضب تظهر آثاره في الغضوب عليهم ، قال تعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ﴾ ، وقال في سورة النساء الآية ٩٣ : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ﴾ ، ووصف جل وعلا الحادث بالغضب في سورة طه الآية ٨١ ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾ وشتان ما بين الوصفين ، فغضب الله لائق بجلاله وكماله وعظمته ، ووصف المخلوق مناسب لعجزه وفقره ، وهذا هو الذي ينبغي أن يجري في كل الصفات ، وكيفية غضب الله لا يعلمها إلا هو جل وعلا . والله أعلم .

(٢) الانتصاف مع الكشاف ٧٩/٣ .

(٣) قول الطيبي : ناقلا لكلام صاحب الانتصاف أحمد بن النير رحمهما الله تعالى وعفا عنا وعنهما (لأنه ينفي الإرادة) يعني الزمخشري بذلك ، لأنه معتزلي والمعتزلة ينفون الإرادة عن الله تعالى ، وأحمد بن النير يؤول الإرادة ، ومنهجه أهل السنة والجماعة وسلف الأمة لا ينفون الإرادة عن الله تعالى ولا يؤولونها ، فالله جل وعلا أثبت الإرادة لنفسه ووصف نفسه بها فقال في سورة هود الآية ١٠٧ : ﴿ نعال لما يريد ﴾ ، وقال في سورة يس الآية ٨٢ : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ ، وقال تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٥ : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال جل وعلا في وصف المخلوق بالإرادة في سورة الأنفال الآية ٦٧ : ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ ، وقال تعالى في سورة الأحزاب الآية ١٣ : ﴿ إن يريدون إلا فرارا ﴾ ، وقال في سورة التوبة الآية ٧٢ : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ فالله جل وعلا له إرادة لائقه بكماله وجلاله ، وللمخلوق إرادة أيضا مناسبة لحاله ، وبين إرادة الخالق والمخلوق من المنافع ما بين ذات الخالق والمخلوق . وانظر هذا البحث في أضواء البيان لإيضاح القرآن بالقرآن لشيخنا المغفور له الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٢٧٢/٢ إلى ص ٢٨٩ ، والصفات بابها واحد لأن موصوفها واحد .

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٩/٢ كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل رقم ١١٤٥ ومسلم ٥٢١/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء آخر الليل رقم ٧٥/١ والترمذي ٣٠٧/٢ كتاب الصلاة ، باب ما جاء في نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا رقم ٤٤٦ وقال : حديث حسن صحيح .

المعروف أو عبر عن حلول أثر الإرادة بحلول أمرها كقولك : انظر إلى قدرة الله ،
 أى أثر قدرته ، قال المصنف في المنهاج (١) : وليس لله تعالى مثل صفة المريد منا ،
 وهي القصد والميل . وقال الإمام في نهاية العقول (٢) : القائلون بنفي الإرادة من
 المعتزلة أبو الهذيل (٣) والنظام (٤) والجاحظ (٥) والبلخي (٦) والحوارزمي (٧) ، وقد
 استقصينا القول فيه في أول البقرة عند قوله تعالى : ﴿ بماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ (٨) .

قوله : ((* هَوَى مِنْ رَأْسٍ مَرْقَبَةٍ *)) (٩) ، القائلة : الخنساء . والمرقبة ، مكان
 الدبران ، مَفْعَلَةٌ من رقب إذا نظر .
 قوله : ((فَفَتَّتَ)) أى صارت فتاتاً دَقَاقاً .

قوله : ((هَوَتْ أُمُّه)) ، الجوهري (١٠) : [يقال لا أم لك ، وهو ذم ، وربّما
 وضع موضع المدح ، قال كعب بن سعد يرثي أخاه (١١) :

**** هَوَتْ أُمُّه مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيَا ** وماذا يؤدى الليل حين يؤب ****

(١) المنهاج في الأصول للزمخشري ، ولا زال مخطوطاً .

(٢) الامام الفخر الرازي في كتابه نهاية العقول .

(٣) أبو الهذيل : محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف المعتزلي . المتوفى سنة ٢٢٦ ، انظر
 تاريخ بغداد ٣/٣٦٦ وسير أعلام النبلاء ١١/١٨٣ .

(٤) النظام : إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة مات ٢٣١ ، انظر
 ترجمته في الأعلام ١/٤٣ وتاريخ بغداد ٦/٩٧ .

(٥) الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان ، كبير أئمة الأدب ورئيس
 الفرقة الجاحظية من المعتزلة . ولد سنة ١٢٦ ومات ٢٥٥ هـ ، انظر الأعلام ٥/٧٤ ، وتاريخ بغداد
 ١٢/٢١٢ .

(٦) البلخي : لم أقف على ترجمته .

(٧) الحوارزمي : لم أقف على ترجمته .

(٨) انظر رسالة صالح عبد الرحمن الفائز بتحقيق الجزء الأول من كتاب الطيبي هذا ١/٥٩ فذكره
 حرفياً .

(٩) ومقبة البيت :

**** فَفَتَّتَ تَحْتَهَا كَبِدُهُ ****

وانظر الزمخشري وابن المنير ٣/٧٩ .

(١٠) الجوهري ٦/٢٥٣٩ ، مادة (هوى) .

(١١) كعب بن سعد الغنوي من بني غنى شاعر جاهلي حُلُو الديباجة وقدرثى أخاه بكثير من الشعر
 الرقيق . انظر ترجمته في الأعلام ٥/٢٢٧ وخزانة الأب ٣/٦٢١ .

أي أي رجل بعثه الصبح ، وأي رجل يؤديه الليل ، على أن (ما) إبهامية للتفخيم والتعظيم ، أي حسدت أمه .

قوله : ((الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور)) (١) ، يعني لما أفاد قوله : ﴿ لمن تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ الهدى ، حمل قوله : ﴿ اهتدى ﴾ على الاستقامة عليها ، قال الإمام (٢) : [المراد الاستمرار على تلك الطريقة ، إذ المهتدي في الحال لا يكفيه ذلك في الفوز بالنجاة حتى يستمر عليه في المستقبل ويموت عليه ، ويؤكد قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ ، وكلمة التراخي ليست لتباين المرتبتين بل لبيان الوقتين ، فكأنه قال : الإتيان بالتوبة والإيمان والعمل الصالح مما قد يتفق لكل أحد ، وإنما الصعوبة في المداومة عليها بعد ذلك] ، وقلت : ومعنى قوله : ((وكلمة التراخي)) دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين أن مرتبة الاستقامة والدوام أعلا من مرتبة الإحداث والإبداء . قال (٣) :

**** لكل إلى شأو العلى حركات ** ولكن عزيز في الرجال ثبات ****

قوله : ((أى شيء عجل بك على وجه الإنكار)) (٤) ، الراغب (٥) : [العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه ، وهي من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن ، حتى قيل : العجلة من الشيطان (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ (٧) فيه تنبيه على أنه لا يتعزى من ذلك وأن ذلك أحد الأخلاق التي ركّب عليها ، وعلى ذلك قال : ﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾ (٨) ، وأما قوله : ﴿ وعجلت إليك ربي لترضى ﴾ (٩) ، فذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود وهو رضى الله [.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ .

(٢) الإمام الفخر الرازي ٩٧ / ٢٢ .

(٣) لم أقف على قائله .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ .

(٥) الراغب ٣٢٣ ، مادة (عجل) .

(٦) أخرجه الترمذي بلفظ (الأناة من الله والعجلة من الشيطان) ، انظر عارضة الأحوذى ١٧٢ / ٨ .

(٧) سورة الأنبياء ، الآية ٣٧ .

(٨) سورة الإسراء ، الآية ١١ .

(٩) سورة طه ، الآية ٨٤ .

قوله : ((وكان قد مضى مع النُّقْبَاء إلى الطور على الموعد المضروب)) إلى قوله : ((وزلَّ عنه أنه تعالى ما وُقَّت أفعاله إلا نظراً إلى دواعي الحكمة فيه)) ، إشعار بأنه عليه السلام كما تقدم القوم تقدّم الموعد المضروب أيضاً . وقال الإمام (١) : [﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ يدل على أنه ذهب إلى الميعاد قبل الوقت الذي عينه الله تعالى له] ، وقلت : يرّد هذا التأويل قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ (٢) إلى قوله : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ ، قال المصنف : (لميقاتنا) لوقتنا الذي وقّتنا له وحددنا ، وإنما المراد ﴿ بعجلت إليك ﴾ عجلت عن قومي لا عن الميقات ، لقوله تعالى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ والله اعلم .

قوله : ((قد تضمّن ما واجهه به ربّ العزة شيئين)) ، يريد أن قوله : ﴿ وما أعجلك عن قومك ﴾ في الظاهر سؤال عن سبب العجلة ، ولما تضمن معنى الإنكار أفاد أيضاً إنكار نقض العجلة ، لأن نفس العجلة لو لم تكن منكراً لم يكن الحامل عليها منكراً ، ولهذا قدم عذر نفس العجلة في الجواب على العذر على السبب الحامل عليها اهتماماً بشأنه ، وإليه الإشارة بقوله : فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط عذره تمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه ، وقال القاضي (٣) : [﴿ وما أعجلك ﴾ سؤال عن سبب العجلة ، يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها ، وانضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظيم عليهم] ، وقال صاحب الفرائد : الواو لمطلق الجمع والجواب (٤) مجموع الكلام ، فلا يلزم التقدم الذي ذكر ، ألا ترى إلى أنه قال : ﴿ وادخلوا الباب سجداً وقلوا حطة ﴾ (٥) ، وقال في موضع آخر : ﴿ وقلوا حطة وادخلوا الباب سجداً ﴾ (٦) ، والقضية واحدة ، فظاهر كلامه يقتضي أن يكون موسى عليه

(١) الإمام الفخر الرازي ٩٨/٢٢ - ٩٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٤٢ - ١٤٣ .

(٣) القاضي البيضاوي ٢٨/٤ .

(٤) في م والجواب (عن) مجموع .

(٥) سورة البقرة ، الآية ٥٨ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٦١ .

السلام ردّ قوله تعالى : ﴿ وما أعجلك ﴾ بقوله : ﴿ هم أولاء على أثري ﴾ ، لأنه قال في معناه ما هذا تقدم يعتد به ، فلم يكن هذا تعجلاً مني في العادة . والوجه أن يقال : إنني خشيت أن مثل هذا التقدم غير معتد به نظراً إلى العادة . وقلت : الأحسن أن يقال : إن الجواب هو قوله : ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ ، وقوله : ﴿ هم أولاء على أثري ﴾ كالتوطئة والتمهيد للجواب ، يعنى ما كانت عجلتى إلا لرضاك ، وأن أكون من السابقين الذين يتقدمون على متابعتهم مسافة يسيرة يتقدم بمثلها الوفد رئيهم ، فجاء قوله : ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ كالبيان لذلك . ويؤيده ما في المعالم (١) : [أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ، ثم عجل من بينهم شوقاً إلى ربّه وخلفهم وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل ، فقال الله تعالى له : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ ، (فقال) مجيباً : هم بالقرب مني يأتون على أثري ، وعجلت إليك لتزداد رضى] ، ودلّ قوله : لتزداد رضى على وجود رضى ، فإن كيف التوفيق بين هذا الذي ركّب في هذا المقام وما سبق في الأعراف أن قصته ميقات الكلام وطلب الرؤية منه عليه السلام (٢) ، غير قصّة الميقات للاعتذار لأجل عبادتهم العجلّ وأنه عليه السلام اختار السبعين في الكرة الثانية ، وأنه لم يحضر معه القوم في الكرة الأولى ، وما طلب الرؤية إلا لنفسه . قلت : وجهه أنه تعالى بعد هلاك فرعون واعد بني إسرائيل بقوله : ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ﴾ إحضارهم جانب الطور ، ثم إنه عليه السلام اختار منهم سبعين فسار بهم ، ثم عجل من بينهم إلى الجبل شوقاً إلى ربّه فكلمه ربّه وطلب الرؤية ، وليس فيه أنهم لحقوه وطلبوا الرؤية . والحاصل أنه اختار السبعين مرتين ، ففي الثانية كانوا معه . وأما في الأولى فليس في التنزيل ولا في الروايات أنهم حضروا معه في المكاملة وطلب الرؤية ، على أنه يجوز أن يراد بالقوم جميع قومه الذين خلفهم مع هارون ، ويفسر ﴿ هم أولاء على أثري ﴾ بالقرب مني ينتظرونني ، كما أورده

(١) معالم التنزيل للبغوي ٢٨٨/٥ .

(٢) يشير إلى قوله تعالى في الأعراف الآية ١٤٢-١٤٣ : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الآيات ﴾ .

الإمام (١) . وقلت : ويؤيد هذا الوجه التعقيب بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا ﴾ بحرف
الترتيب ، قول موسى عليه السلام : ﴿ عَجَلْتَ إِلَيْكَ رَبِّ لِرِضَى ﴾ ، كما عطف
إبراهيم عليه السلام قوله : ﴿ وَمَنْ ذَرَيْتِي ﴾ (٢) على الكاف في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ثم التصريح بقوله : ﴿ قَوْمَكَ ﴾ بعد قوله : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ
عَنْ قَوْمِكَ ﴾ يدلّ على أنهم هم ، لأنّ المعرف إذا أعيد كان الثاني عين الأول ،
ولأنّ المفتونين ليسوا السبعين ، بل المتخلفين ، ويحمل التعجيل على أنه عليه السلام
ما صبر لانقضاء الميقات المضروب عند القوم ، بل حسب الميقات تمامه عند مجيئه إلى
الميقات بدليل اللام في قوله : ﴿ لَمِيقَاتِنَا ﴾ ، أي لوقت ميقاتنا ، ولهذا كان من جواب
الله : ﴿ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ ﴾ (٣) يعني إن فعلت ذاك ، فإننا قد فتناهم . وقال صاحب
الانتصاف : [والمراد بسؤال موسى تعليمه أدب السفر ، وهو أن يتأخر رئيس القوم
ليحيط بصره بطائفته ، كما علّم لوطا بقوله : ﴿ وَاتَّبِعْ أَذْيَارَهُمْ ﴾ (٤) وموسى إنما
أغفل ذلك لعله طلب الرضى بمسارحته إلى الميعاد الذي يؤدّ لو ركب أجنحة الطير .
قوله : ((فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه : ﴿ إِنَّا
قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ ﴾ ، قال صاحب الفرائد : [لو كانت الفاء داخلة على تقدير التسليم
المراد من قوله : ﴿ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ ﴾ أردنا فتنهم أو حكمنا بوقوع الفتنة ،
كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ فَجَاءَهَا بِأَسْنَا ﴾ (٦) ، وقال
صاحب التقریب : ظاهر الآية وجود الفتنة أول زمان مفارقتها لقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِكَ ﴾
أي من بعد انطلاقك ، و ﴿ مِنْ ﴾ للابتداء ، فوجه التوفيق : لا نسلم أن ﴿ مِنْ ﴾
للابتداء بل بعدك ومن بعدك سواء في الاستقبال ، فيصحّ من بعدك ولو بعد عشرين
ليلة ، والفاء ، وقد ليستا لتعقيب الفتنة ، بل هما للإخبار بالفتنة لأنفسهما . وقلت :

(١) الإمام الفخر الرازي ٩٩/٢٢

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٤

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ طه الآية ٨٥

(٤) سورة (الحجر) الآية ٦٥

(٥) سورة (الإسراء) الآية ٤٥

(٦) سورة (الأعراف) الآية ٤

مراد المصنف من السؤال أنه تعالى كيف قال : ﴿ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا ﴾ بلفظ الماضي ، والمقتضي المستقبل يدلّ عليه جوابه : قد أخبر الله عن الفتنة المرتقبة بلفظ الموجود الكائنة ، أي الماضي . وإنما قال : ﴿ فَتَنَّا ﴾ لما أن مقلّمات الفتنة كانت ^(١) موجودة فجعلها لذلك كأنّها وجدت ، وإليه الإشارة بقوله : ((فكان بدء الفتنة موجوداً)) . قوله : ((من أهل باجرُ ما)) ^(٢) في الحاشية أنها قرية من قرى موصل ^(٣) ، وقال الزجاج ^(٤) : [الأكثر في التفسير أن السامري كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة ، وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين] .

قوله : ((علجاً من كرمان)) ، النهاية ^(٥) : [العلج الرجل القوي الضخم ، والعلج الرجل من كفار العجم وغيرهم والأعلاج والعلوج جمعه] .

قوله : ((في موت الفجأة راحة للمؤمن)) ^(٦) ، الحديث من رواية رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (موت الفجأة أخذة أسف للكافر ورحمة للمؤمن) وفي رواية عن عبيدة بن مرة عن

(١) كائنة في ب

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَضْلِهِمُ السَّامِرِيُّ ﴾ قال (ز) السامرة من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم ، وقيل : كان ((من أهل باجرما))

(٣) قال صاحب معجم البلدان ٣١٢/١-٣١٣ (باجرُما) بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة قرية من أعمال (البليخ) قرب (الرقة) من أرض الجزيرة ، أما (جَبارة) قرية في شرقي مدينة الموصل على نحو ميل . والجزيرة يقال لها الموصل ، قال الفرزدق :

** وبصرة الأزد منا والعراق لنا ** والموصلان ومنا مصر والحرم **

وأراد بالموصلين الموصل والجزيرة . الموصل : هي المدينة المشهورة ، سميت بذلك ، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق على طرف دجلة . أنظر معجم البلدان ٢٢٤/٥

(٤) الزجاج ٣٧١/٣

(٥) النهاية ٢٨٦/٣ مادة (علج)

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ الآية . قال (ز) : الأسف الشديد الغضب ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : ((في موت الفجأة)) رحمة للمؤمن . أخرجه أحمد في مسنده ، ١٣٦/٦ من حديث عائشة ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن موت الفجأة ، فقال : راحة للمؤمن ، وأخذة أسف للكافر .

النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، وقال مرة عن عبيدة : (موت الفجأة أخذ أسف)
أخرج الثانية أبو داود (٢) . والأولى ذكرها رزين ، النهاية (٣) : [أى أخذة غضب أو
غضباً ، يقال : أسف يأسف أسفاً فهو أسيف إذا غضب] .

قوله : ((فأخلفوا موعده)) ، أى ما وعدوه ، قال تعالى : ﴿ فَأَخْلَفْتُمْ
مَوْعِدِي ﴾ إلى ما وعدتموني من الإقامة على الإيمان ، وهو من إضافة المصدر
إلى المفعول .

قوله : ((﴿ بَمِلْكِنَا ﴾ (٤) قرىء بالحرركات الثلاث (٥))) ، بالضم حمزة
والكسائي ، وبالفتح نافع وعاصم ، والباقون بالكسر ، فالفتح مصدر مَلَكَتَ الشيء
أَمْلِكُهُ مَلَكًا ، والمَلِكُ ما ملك ، ويستعمل استعمال المصدر كالرزق وبالضم السلطان
والقدرة ، أى لو ملكنا وقد رنا عليه وخلينا وراءنا .

قوله : ((وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى (٦))) ، أى ليس له أن يأخذه
إلا يأذنه حتى لو أخذ ماله بطريق الربا عند أبى حنيفة ، وإن جرى بينه وبين مسلم
أسلم هناك ، كما يجوز للمسلم المستأمن أخذه من الحربى برضاه .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ٤٢٤/٣ عن قديم بن سلمة عن عبيد بن خالد رجل من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : (في موت الفجأة أخذة أسف) . وأخرج عبد الرزاق في مصنفه ٣٦٩/٣
موت الفجأة راحة على المؤمن وأسف على الكافر ، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٣٥٣/٢ ، فذكر
كل الروايات .

(٢) أبو داود ٤٨١/٣ كتاب الجنائز ، باب موت الفجأة ، برقم ٣١١٠ ، بلفظ (موت الفجأة أخذة
أسف) ، والأسف الغضب ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم ﴾ .
(٣) النهاية ٤٨/١ ، مادة (أسف) .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بَمِلْكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ الآية .
(٥) قرأ (بَمِلْكِنَا) بفتح الميم نافع وعاصم وأبو جعفر ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الميم
ووافقهم الأعمش والحسن . والباقون بكسرها . قيل : لغات بمعنى وقيل : المضموم معناه لم يكن لنا مَلِكٌ
فنخلف موعده لسلطانته ، وإنما أخلفناه بنظر أدى إليه فعل السامري . وفتح الميم مصدر من مَلَكَ أمره أى ما
فعلناه بأننا ملكنا الصواب ، بل غلبنا أنفسنا . وكسر الميم أكثر استعماله فيما تحوزه اليد ، ولكنه يستعمل
فيما يبرمه الإنسان من الأمور ، ومعناه كالذي قبله . الاتحاف ٣٠٦ .

(٦) لأنهم أخذوا حلى القبط ، وكانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب ((وليس للمستأمن))

الخ .

قوله : ((وقرىء ﴿ حُمَلْنَا ﴾ ^(١))) ، الحرميان وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشدداً ، والباقون بفتحها تخفيفاً .

قوله : ((حيزوم)) ، النهاية ^(٢) : [في حديث بدر (أقدم حيزوم) جاء في التفسير ^(٣) أنه اسم فرس جبريل عليه السلام] .

قوله : ((عجلأ خلقه الله من الحلي)) ، إنما قال خلقه الله ، لأنه قال في قوله تعالى : ﴿ ما يفرقون به بين المرء وزوجته ﴾ ^(٤) : والسحر حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله تعالى عند العرك والنشور ابتلاء منه ، لأن السحر له أثر .

قوله : ((فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة)) ^(٥) ، الانتصاف : [قد ثبت أن الله تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لاعتن علل أفعاله ، وحتم ذلك بقوله : ﴿ لا يسأل عما يفعل ﴾ ^(٦) ، والزمخشري يراعي قاعدة رعاية الأصلح ^(٧) .

قوله : ((﴿ فنسي ﴾)) أي فنسي موسى ، يجوز أن يكون من كلام القوم والفاء فصيحة ^(٨) ، أي قال بعضهم لبعض : ﴿ هذا إلهكم وإله موسى ﴾ الذي كنتم ترومونه منه فالزموا عبادته ولا تطلبوه في الموضع الذي ذهب إليه موسى للطلب فإن

(١) (حُمَلْنَا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ورويس بضم الحاء وكسر الميم مشددة ، ووافقهم ابن محيصن . والباقون بفتح الحاء والميم مخففة . الإنحاف ٣٠٦ .

(٢) النهاية ٤٦٧/١ ، مادة (حيزم) .

(٣) وانظر سيرة ابن هشام ٦٣٣/١ شهود الملائكة وقعة بدر ، وكذا ذكره (ز) في الكشف .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٠٣ .

(٥) قال (ز) : فإن قلت ((فلم خلق الله)) إلخ فأجاب : ليس بأول محنة محن الله بها عباده .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية ٢٣ .

(٧) مذهب المعتزلة في رعاية الأصلح أن الله لا يفعل بالعباد إلا ما هو أصلح لهم في دينهم وأدعى لهم إلى العمل بما أمرهم به ، وأنه لا يدخر عنهم شيئاً يعلم أنهم يحتاجون إليه في أداء ما كلفهم به . وهذا المذهب باطل ، لأن الله هو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وانظر كتاب المعتزلة وأصولهم الخمسة . ١٨٩ .

(٨) تقدم تعريفها .

موسى اعتراه النسيان فغفل عن ذلك ودلّ على المبالغة إتيان اسم الإشارة والمشيار إليه بمرأى منهم كقوله : (١)

**** هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ****

وتكرير إله وتخصيص موسى بالذكر وإتيان الفاء ، أي قد ظهرت لكم الهيبة فلا تتركوا عبادته ، ولم يوفق موسى لذلك فغفل ونسي ، ومثله قول الشاعر (٢) :

**** خولان فانكح **** ، أي هؤلاء القوم يستحق أن ينكح منهم لجمال نسائهم ووفور حسننها ، فلا يغفل عن النكاح فيهم ، وأن يكون من كلام الله ، ﴿ ونسي ﴾ بمعنى ترك (٣) ، وإليه الإشارة بقوله ، أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر .

قوله : ((يَرْجِعْ)) (٤) من رفعه فعلى ، (أن) مخففة من الثقيلة ، قال الزجاج (٥) : [هذا الاختيار ، والمعنى أفلا يرون أنه لا يرجع إليهم قولاً ، كما قال تعالى : ﴿ أولم يروا أنه لا يكلمهم ﴾ (٦) ، ويجوز أن لا يرجع ينصب بأن ، والاختيار مع علمت ورأيت أن يكون أن لا يفعل في معنى قد علمت أنه لا يفعل ، وكذا قال أبو البقاء (٧) في قوله : ﴿ وحسبوا أن لا تكون فتنة ﴾ (٨) : لا يجوز أن تكون المخففة

(١) قول الشاعر : لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) نسي بمعنى ترك ، ومن ذلك هذه الآية ، وأيضاً قوله تعالى في السجدة الآية ١٤ : ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ ، أي تركناكم في العذاب ، وفي سورة البقرة الآية ٢٣٧ : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ ، أي لا تركوا الفضل فيما بينكم ، وتأتي (نسي) بمعنى لم يحفظ ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعلى الآية ٦ : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ ، أي تحفظ فلا تنساه البتة ، وفي سورة الكهف الآية ٦٣ : ﴿ فإني نسيت الخوت ﴾ يعني لم أذكره ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان ﴾ ، وقول موسى للخضر : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ يعني بما ذهب عني .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴾ .

(٥) الزجاج ٣٧٣/٣ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٤٨ .

(٧) أبو البقاء ١٢٦/٢ .

(٨) سورة المائدة ، الآية ٧١ .

من الثقيلة مع أفعال الظن والشك ، ولا الناصبة للفعل مع علمت ، وما كان في معناها (١) .

قوله : ((من قبل أن يقول لهم السامري ما قال)) (٢) ، قال الواحدي (٣) : [ولقد قال لهم هارون من قبل رجوع موسى : يا قوم إنما ابتليتم بالعجل ﴿ وإن ربكم الرحمن فاتبعوني ﴾ في عبادة الله وأطيعوا أمري في ترك عبادة العجل ، ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ ، وقيل : هذا أشد ملاءمة من كلام المصنف ، لقوله : ﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ وقلت : تفسير المصنف أدخل في المعنى وأولى بالقبول ، لأن الكلام وارد على توبيخ القوم وتقريرهم على الغاوة ، وأن دليلي العقل والسمع تعاضدا على بطلان إلهية العجل ، وأنهم ما التفتوا إليهما وما رفعوا لهما رأساً ، وهذا إنما يستقيم على تقدير المصنف ، والنظم أيضاً يساعد عليه ، وذلك أنه تعالى لما حكى عن السامري أنه حين قال للقوم : ﴿ هذا إلهكم وإله موسى ﴾ قبلوا منه ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ عقب ذلك بقوله : ﴿ أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ﴾ الآيات ، تنبيهاً على غباوتهم ، فأتى بهمزة الإنكار داخلية على الفاء العاطفة المستدعيتين تقدير فعل يصلح أن يكون معطوفاً عليه لما بعد الفاء ، وهو أن يقال : أحرموا العقل الهادي ، فلا يتفكرون وينظرون بنظر البصيرة أن هذا المتخذ من هذه الأجرام لا يصلح للإلهية ، أم عمّوا وصمّوا فلا يهتدون إلى أن الإله ينبغي أن يكون سامعاً لدعاء عابده ، عالماً بأفعاله ، دافعاً عنه المضار ، مثيباً ومعاقباً (٤) ، مع أن دليل السمع شاهد ببطلانه ، وهو تنبيه نبي الله هارون بقوله : ﴿ يا قوم إنما فتنتم به

(١) كما قال ابن مالك في الخلاصة :

** وبلن انصبه وكى كذا بأن ** لا بعد علم والتي من بعد ظن **

** فانصب بها والرفع صحح واعتقد ** تخفيفها من أن فهو مطرد ** .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن ﴾ الآية .

(٣) الواحدي ٢١٩/٣ .

(٤) كما قال تعالى في سورة مريم الآية ٤٢ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ، وقوله تعالى في سورة الشعراء الآية ٢٢ : ﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ .

وإن ربكم الرحمن ﴿ على سبيل التوكيد والحصص قد سبق على وقوعهم في تلك الفتنة ،
 وأيضاً في إثارة المضارع في قوله : ﴿ أفلا يرون ﴾ ، وعطف ﴿ ولقد قال لهم هارون ﴾
 عليه للدلالة على استحضار تلك الحالة القطعية في ذهن السامع واستدعاء الانظار
 عليهم ، ويجوز أن تكون الجملة الاسمية حالاً من فاعل ﴿ يرون ﴾ مقرررة لجهة
 الإشكال ، أي ﴿ أفلا يرون ﴾ والحال أن هارون نبههم قبل ذلك ببطانها ؟ ، وأما
 جوابهم وهو قوله : ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين ﴾ فمن باب الأسلوب الأحمق
 نقيض الأسلوب الحكيم ، لأنهم قالوه عن قلة مبالاة بالأدلة الظاهرة ، كما قال عمرو
 في جواب الخليل : ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ (١) ، وذكر القاضي (٢) الوجهين في تفسيره .

قوله : ((ومالك لم تلحقني)) (٣) ، قال محي السنة (٤) : [أي ما منعك من
 اللحق بي وإخباري بضلالتهم ، فتكون مفارقتك إياهم زجراً لهم عما أتوه ؟] .
 قوله : ((العدو المكاشف)) (٥) ، الجوهري (٦) : [كاشفه بالعداوة ، أي بادأه
 بها ، ويقال : لو تكاشفتما ما تدافتم] .

قوله : ((وكان أفرع)) ، أي تمام الشعر ، الأساس (٧) : [امرأة طويلة
 الفروع ، ولها فرع تطؤه] .

قوله : ((فاستأنيتك)) ، الجوهري (٨) : [واستأنى به ، أي انتظر به] .
 قوله : ((وحفظ الدهماء)) ، الجوهري (٩) : [الدهم العدد الكثير ، يريد
 قوله : ضُمَّ البشر ، أي المنشور ، وحفظ الدهماء قوله : ﴿ يا هارون اخلفني في
 قومي وأصلح ﴾] .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

(٢) القاضي البيضاوي ٢٩/٤ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تبعن أفصيت أمري ﴾ .

(٤) محي السنة الغوي ٢٩١/٥ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ الآية .

(٦) الجوهري ١٤٢١/٤ ، مادة (كشف) .

(٧) الأساس ٤٧١ ، مادة (فرع) .

(٨) الجوهري ٢٢٧٣/٦ ، مادة (أنا) .

(٩) الجوهري ١٩٢٤/٥ ، مادة (دهم) .

قوله : ((ما خطبك))^(١) ، (ما شأنك فمعناه)^(٢) ما طلبك له ،
 الجوهري^(٣) : [الخطب سبب الأمر ، تقول : ما خطبك] ، الأساس^(٤) : [ومن
 المجاز فلان يخطب عمل كذا يطلبه وما خطبك ما شأنك الذي تخطبه ، ومنه هذا
 خطب جليل] والظاهر أن المراد بما في الآية هذا الأخير لأن هذا السؤال المرتب
 بالفاء على ما سبق من السؤال عن القوم وعن هارون وجوابهم مما يدل على جلالة
 الخطب وعليه النظم ، لأنه عليه السلام لما وبخ القوم بقوله أولاً ﴿ يا قوم ألم يعدكم
 ربكم وعداً حسناً ﴾ إلى آخره وأجابوا ﴿ ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾ أى بأن ملكنا
 أمرنا بل بسبب أن صدر كَيْتَ وَكَيْتَ ورأينا خطباً جليلاً ثم تنى إلى أخيه بالمعاقبة
 وأجاب بما ظهر عجزه من جلالة الخطب ثم التفت ثالثاً إلى السامري بقوله ﴿ ما
 خطبك يا سامري ﴾ أجاب مما ينبأ عن عظم الشأن حيث قال ﴿ بصرت بما لم يبصروا
 به ﴾ أى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له كما نصّ عليه المصنف أى كان
 من خطبى أن أظهر للقوم أنى تفوّقت عليك بالعلم والبصارة ، وأنا أحقّ بالاتباع
 منك ، لكن تذييله الكلام بقوله ﴿ وكذلك سولت لي نفسي ﴾ دلّ على حمقه وأن
 جوابه من الأسلوب الأحمق وأنطقه الذي أنطق كل شيء به .

قوله : ((بصرت بما لم تبصروا به ، أى قوله فطنت ما لم تفطنوا له)) ، قال
 القاضي^(٥) : [وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمسّ أثره شيئاً إلا
 أحياء] .

قوله : ((فقبضت قبضة)) ، بالضاد قال ابن جني^(٦) : [تقارب الألفاظ
 لتقارب المعاني ، وذلك أن الضاد المعجمة لتغشيتها واستطال مخرجها جعلت عبارة
 عن الأكثر ، وهو القبض بكل اليد وأن الصاد المهملة لصفائها وضيق محلها وانحصار

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فما خطبك يا سامري ﴾ .

(٢) ما بين القوسين س من ب ، م .

(٣) الجوهري ١٢١/١ ، مادة (خطب) .

(٤) الأساس ١٦٨ ، مادة (خطب) .

(٥) القاضي البيضاوي ٢٩/٤ .

(٦) ابن جني في المختص ٥٥/٢ .

مخرجها جعلت عبارة عن القبض بأطراف الأصابع ، ولعلنا لو جمعنا من هذا الضرب لكان أكثر من ألف موضع] .

قوله : ((ونحوهما الخضم والقضم)) ، الجوهري (١) : [الخضم هو الأكل بجميع الفم ، والقضم الأكل بأطراف الأسنان . قال الأصمعي : أخبرنا ابن أبي طرفة قال : قدم أعرابي على ابن عم له بمكة فقال له : إن هذه بلاد مقضم وليست ببلاد مَخْضَم] .

قوله : ((لو سَمَّاه الرسول)) ، يعني السامري كان يعرف جبريل فلم عدل عن اسمه وسماه الرسول ؟ ، قالوا : تلخيص الجواب أنه عرف منه أنه رسول مبعوث له شأن ، ولعله لم يعرف أنه جبريل حين جاء إلى موسى راكبا الحيزوم (٢) ، فيكون جوابا واحداً ، وعليه ظاهر كلام صاحب التقريب . وقلت : الظاهر أنه جوابان أحدهما أن السامري عرف جبريل ، وإنما عدل إلى الرسول عن اسمه ليصور تلك الحالة البديعة ، وهو كونه راكب حيزوم جاء لأمر له شأن غريب ، وهو عرف الحال . يدل عليه قوله : ﴿ بصرت بما لم يصروا به ﴾ ، على ما فسره الإمام علمت أن تراب فرس جبريل له خاصية الإحياء ، في كلام محي السنة إشعار بأنه عرف أنه جبريل عليه السلام . وثانيهما أنه لم يعرف إلا كونه رسولا مبعوثا لأمر فأتى بما عرفه . قوله : ((أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم)) (٣) ، قال المصنف : عند أبي حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل في الحل فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبيع حتى يضطر إلى الخروج .

قوله : ((باق فيهم ذلك إلى اليوم)) ، قيل : الصواب النصب روى سيويه عن بعض العرب اليوم يوم الجمعة ، وعلى ذلك قوله : (٤) :

**** اليوم يوم بارد سمومه ** من جزع اليوم فلا تلومه ****

(١) الجوهري ١٩١٣/٥ ، مادة (خضم) ومادة (قضم) ٢٠١٣ .

(٢) الحيزوم فرس جبريل .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلت عليه عاكفا لئلا تحرقه ثم لتسففه في اليم نسفا ﴾ الآية ٩٧ طه .

(٤) لم أقف على قائله .

اليوم إذا كان بمعنى الوقت بفتح ورَد بأنه يلزم أن يكون للزمان ظرف ، ولذلك أولوا اليوم الجمعة واليوم السبت من سبت اليهود ، أي قامت بأمر سبتها ومن ثم لم يجر في سائر الأيام ، فلا يقال : اليوم الأحد ، وأولوا قولهم : اليوم يومك على غلبتك . ومثل هذه (التأويلات) (١) تبعد في الكتاب ، فإنه اسم معرب دخل فيه حرف الجر فلا وجه لنصبه .

قوله : ((لا مَسَاسٍ ﴿ بوزن فَجَارٍ ﴾)) ، قال ابن جنّي (٢) : [قرأها أبو حيوة . وأما قراءة الجملة (لا مساس) فواضحة . وفي هذه القراءة نظر ، وذلك بأنها كنزال ودراك وحذار ، وليس هذا الضرب من الكلام ، أعنى ما سُمى به الفعل مما يدخل فيه (لا) النافية للنكرة ، نحو لا رجل عندك فـ (لا) إذا في قوله : ﴿ لا مساس ﴾ نفي للفعل ، كقولك لا أمسك ولا أقرب منك] .

قوله : ((فلا عباب)) (٣) ، عَلِمَ للعبة من عبّ الماء شربه من غير مصّ ، والأبَابُ علم للأبّة من الأب الطلب ، يصف الظباء بالصبر عن الماء أى إذا أوردت الماء فلا تفعل العبّ ، وإذا لم ترد لم تفعل الأبّ . قال الميداني : يقال إن الظباء إذا أصابت الماء لم تعبّ فيه ، وإن لم تصبه لم تأبأ إليه ، أى لم تنهياً لطلبه ، يقال : أبّ يؤبّ أباً إذا قصد وتها . قال : وليس شيء من الوحوش من الظباء والنعام والبقر يطلب الماء إلا أن ترى الماء قريباً منه فترده ، وإن تباعد عنه لم تطلبه ، ولم ترده كما يرد الحمير ، يضرب لرجل يعرض عن الشيء استغناء .

قوله : ((وقرىء ﴿ لن تخلفه ﴾)) (٤) ، ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام . والباقون . بفتحها .

(١) ما بين القوسين س من ب .

(٢) ابن جنّي في المختص ٥٦/٢ .

(٣) قال (ز) : في قوله تعالى : ﴿ لا مَسَاسٍ ﴾ على القراءة الشاذة على وزن فجار ، ونحوه قولهم : في الظباء إذا وردت الماء ((فلا عباب)) وإن فقدته فلا أباب .

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (لن تخلفه) بضم التاء وكسر اللام مبنياً للفاعل متعدياً لمفعولين ، ووافقتهم الزبيدي والحسن وابن محيصن . والباقون بفتح اللام على البناء للمفعول . الإتحاف ٣٠٧ .

قوله : ((أثوى وقصر البيت أثوى أقام)) (١) ، وقيل : أثوى أى صار ضعيفاً وقصر ليله ، جاء الوصال فمضى الليل ووجد الموعد من قتيلة اسم المحبوبة . يقول : صار العاشق ضعيفاً في الحى ليرى معشوقه ، وقصر ليله برجاء الوصال فمضى الليل ووجد الموعد من قتيلة خلفاً ولم يتمتع بوصولها .

قوله : ((كما مر في ﴿ لأهب لك ﴾)) ، (قال : إنما أنا رسول ربك) أمرني أن أهب لك أو هي حكاية عن قول الله .

قوله : ((القراءتان من الإحراق)) (٢) ، أي لَنُحْرِقْهُ ، ولنَحْرِقْهُ بمعنى . قوله ((وذكر أبو علي الفارسي (٣) في ﴿ لنحرقه ﴾ : أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد)) ، وقال الزجاج (٤) : [﴿ لنحرقه ﴾ إذا شدد فالمعنى نُحْرِقْهُ مرة بعد مرة . وقرئت لَنَحْرِقْهُ أي لنبردنه بالمبرد ، يقال : حَرَقْتُ الشيء أحرَقَهُ وأحرق الشيء إذا بردته . قال أبو علي : أن من قرأ ﴿ لنحرقه ﴾ فحمله على الحرق بالنار بعيد ، لأنه لا يحتمل الإحراق ، يعنى لم يستعمل حرقة بالنار لكن أحرقتة وحرقتة .

قوله : ((وعليه القراءة الثالثة)) (٥) ، قال ابن جني (٦) : [قرأ علي وابن عباس رضي الله عنهما ﴿ لَنَحْرِقْهُ ﴾ بفتح النون وضم الراء ، يقال : حرقت الحديد إذا بردته فتحات وتساقط . ومنه قولهم : إنه لَيُحْرِقُ عَلَى الْأَرَمِ (٧) أي يحك أسنانه بعضها ببعض غيظاً عليّ] .

(١) البيت للأعشى . وتامة :

** أثوى وأقصر ليله ليزودا ** فمضى وأخلف من قتيلة موعدا **

انظر الكشف ٩٧/٣ .

(٢) تفسير قوله : ﴿ لنحرقه ﴾ قرأ ، ﴿ لنحرقه ﴾ علي بن ابي طالب وأبو جعفر . وقرأ الكلبي والحسن ﴿ لنحرقه ﴾ وقرأ أبو نعيم ﴿ لنحرقه ﴾ ، شواذ القرآن ٨٩ .

(٣) لم أقف على كلامه هذا في الحجة . وذكره الراغب ١١٤ .

(٤) الزجاج ٣٧٥/٣ .

(٥) هي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كما سبق .

(٦) ابن حني في المحتسب ٥٨ / ٢ .

(٧) الأرم الأفراس . قال الجوهري : يقال فلان يَحْرِقُ عليك الأرم إذا تغيط فحرك أفراسه بعضها

ببعض . اللسان ١٤/١٢ ، مادة (أرم) .

قوله : ((وهذه عقوبة ثالثة)) أولاها الدعاء عليه ، بقوله ﴿ لا مساس ﴾ ،
وثانيها ﴿ لنحرّقه ﴾ ، قال القاضي : [المقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة
المفتنين به لمن له أدنى نظر] .

قوله : ((فنصبهما معا على المفعولية)) (١) ، قال ابن جني (٢) : [معناه خرّق
كل مُصمّت بعلمه لأنه بطن كل مُخفّئٍ ومُستبهمٍ ، فصار لعلمه فضاء متّسعا بعد ما
كان متلاقيا .

قوله : ((تكثيراً لبيّناتك)) (٣) إلى آخره بيان لفائدة ذكر الأقسام في
التنزيل ، فقوله : ((زيادة لمعجزاتك)) تفسير لقوله تكثيراً لبيّناتك ، لأن القرآن كما
دلّ بنظمه الفائق على الإعجاز دلّ بذكر الأقسام فيها كما هي عليه من غير
نقصان ولا زيادة على الإعجاز ، لأنه صلى الله عليه وسلم ما سمعها من أحد ولا
قرأها في الكتب .

قوله : ((ويزداد المستبصر)) ويتأكد أي السامع إن كان الموافق فيزداد
بصيرة على بصره ، وإن كان المخالف فيزداد الإلزام على الإلزام (٤)
قوله : ((وأن هذا الذكر الذي أتيناك)) إلى آخره تفسير لقوله : ﴿ وقد
آتيناك من لدنا ذكراً ﴾ ، وقد أشار فيه إلى وجه نظمه مع الآية السابقة واللاحقة .
أما ربطه بالسابقة فهو أن العطف فيه للتفسير ولذلك أعاد ذكر الأخبار والأقسام
فيه واعتبر التّفكّر والاعتبار ، وأما بيان التّأمة مع الآية الثالثة فهو قوله : ((وأن هذا
الذكر الذي أتيناك)) إلى قوله : لمن أقبل عليه فأذن به أنه مقابل لقوله : ﴿ من

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنّما إنكمم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾

(٢) ابن جني في المختص ٥٩/٢

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً ﴾

(٤) وقد قصّ الله على نبيه صلى الله عليه وسلم كثيراً من أخبار وقصص من سبق ، كما في قوله
تعالى في آل عمران الآية ٤٤ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم
يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ وقوله في سورة هود الآية ١٠٠ : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء
الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ الآية ، وقوله في سورة يوسف الآية ١٠٢ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك
وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ ، وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن .

أعرض عنه ﴿١﴾ فكأنه قيل : نحو ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون ، نقص عليك أخبار الأمم وقصص الأنبياء لتكثير بيناتك ومزيد معجزاتك ، من أقبل عليه فاز بالفلاح المَعْلَى ، ومن أعرض عنه فقد شقي وتردّى . وأما دلالة على قوله : ((وإنه لذكر عظيم ، وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة)) فإن التكثير في (ذكر) وإثارة ضمير الجماعة في ﴿ آتيناك ﴾ واختصاص ﴿ من لدنا ﴾ مُنَادٍ بلسان طلق ، إن المؤتى لما لا يقادر ﴿٢﴾ قدره ولا يُكْتَنه كنهه ، كأنه قيل أعظم بمؤتى موليه عظيم الشأن قويّ السلطان ، وأنه من عنده ومن خزائن لطفه وكرمه في تخصيص اليوم بالذكر وتكرير الجمل في التذليل ، وهو سائلهم يوم القيامة حملاً للإشعار بأن الموجب للحمل في الدنيا أمر عظيم وخطب جسيم ، وهو الإعراض المؤدى إلى تفويت السعادات والكمالات الدنيوية والأخروية ، وبأن تبعة الحمل في ذلك اليوم مما لا يدخل تحت الوصف ، فيجب أن يقدر مثله في مقابله ﴿٣﴾ والمصنف اقتصر على لفظ النجاة والسعادة اختصاراً وإيجازاً .

قوله : ((لذكر عظيم وقرآن كريم)) ، من عطف الشيء على نفسه تجريداً ، نحو قولهم : مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة .
قوله : ((الباهظة)) ، الجوهري ﴿٤﴾ : [بهظه الحمل يبهظه بهظاً ، إذا أثقله وعجز عنه ، وهذا أمر باهظ أي شاق] .

(١) تفسر قوله تعالى: ﴿ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾

(٢) يقدر في ب .

(٣) يعني أن من أعرض عن هذا الذكر وهو القرآن قد خسر الدنيا والآخرة ، كما دلّ عليه قوله في سورة الجاثية الآية ٨ : ﴿ ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء وهم عذاب عظيم ﴾ ، وقوله في سورة لقمان الآية ٧ : ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم ﴾ ، ومثل هذه الآية كثير في القرآن جعلني الله من أهل القرآن المؤمنين به العاملين به قولاً وعملاً . وقال في سورة طه الآية: ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً فاك كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ الآية ١٢٤-١٢٦

(٤) الجوهري ١١٧١/٣ ، مادة (بهظ) .

قوله : ((يفتح الحامل)) ، الجوهري (١) : [فدحه الدين أثقله ، وأمر فادحٌ إذا عاله وبهظه] .

قوله : ((وينقض ظهره)) ، الجوهري (٢) : [وأنقض الحمل ظهره أي أثقله ، وأصله الصوت والنقيض صوت الحامل والرحال] .

قوله : ((ويلقي عليه بهره)) ، بهره بهراً أي غلبه ، والبهر بالضم تتابع النفس ، وبالفتح المصدر ، يقال (٣) : بهره الحمل يبهره بهراً ، أي أوقع عليه البهرة فانبهر أي تتابع نفسه .

قوله : ((أو لأنها جزاء الوزر)) ، عطف على ((تشبيها)) ، فالوزر على الأول بمعنى الثقل ، وضع موضع العقوبة على الاستعارة ، وعلى الثاني بمعنى الإثم إقامة للسبب مقام المسبب .

قوله : ((جمع ﴿ خالدين ﴾ على المعنى)) ، أي حملاً على المعنى .
قوله : ((وهي للبيان كما في ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾)) ، قال في قوله تعالى : ﴿ هيهات لما توعدون ﴾ (٤) : اللام لبيان المستبعد ماهو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في ﴿ هيت لك ﴾ (٥) لبيان المهيت به ، كأنه لما قيل : ﴿ وساء ﴾ قبل أن يقال ، فأجيب (لهم) فالعامل القول المقدر .

قوله : ((وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملاً)) ، قال أبو البقاء (٦) : [﴿ حملاً ﴾ تمييز لاسم ﴿ ساء ﴾ ، وساء مثل بئس ، والتقدير : وساء الحمل حملاً ، ولا ينبغي أن يكون التقدير : وساء الوزر ، لأن المميز ينبغي أن يكون من لفظ اسم بئس] .
قوله : ((بعد أن يخرج من عهدته هذه اللام)) ، لأن ﴿ ساء ﴾ يتعدى بنفسه ، الجوهري (٧) : [ساء يسوء سَوْءاً بالفتح نقيض سره] ، قيل : إنما كان صاداً

(١) الجوهري ٣٩٠/١ ، مادة (فدح) .

(٢) الجوهري ١١١١/٣ ، مادة (نقض) .

(٣) أساس البلاغة ٥٥ ، مادة (بهر) .

(٤) سورة المؤمنين ، الآية ٣٦ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٦) أبو البقاء ١٢٧/٢ .

(٧) الجوهري ٥٥/١ مادة (سوا) .

لأنه لا يفهم من هذا التركيب معنى يصح التعبير عنه ، مع أن اللام لا وجه له في هذا
الموضع إذ لا يقال : أحزن لهم ، بل أحزنهم ، والمنصوب لا يصح أن يكون تمييزاً ،
لأن الضمير إذا كان عائداً إلى الوزر لا يصح أن يميز بالوزر وغير التمييز لا وجه له .
وفيه نظر لجواز أن يكون اللام للبيان كما في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾^(١)
وحملًا تمييزاً والمعنى أحزنهم حمل الوزر وثقله .

قوله : ((فيمن قرأ تنفخ بالنون))^(٢) ، أبو عمرو بالنون مفتوحة وضم الفاء ،
والباقون بالياء مضمومة وفتح الفاء .

قوله : ((أو لأن الملائكة)) ، عطف على محذوف ، لأن المعنى أسند النفخ إلى
الله تعالى لأنه الأمر به ، ولأن المقربين بالمنزلة العظيمة من رب العزة ، والحاصل أن
هذا الإسناد مجازي^(٣) ، أسند النفخ إلى الله تعالى لأنه سبب ، كما في بني الأمير
المدينة ، أو لأن الملائكة المقربين بمنزلة عظيمة عنده فيكون فعلهم فعله .

قوله : ((وإسرافيل منهم)) هو جملة معترضة دخلت بين اسم إن وخبرها ولا
يجوز أن يكون إسرافيل عطفاً على الملائكة ، لأنه لا يبقى لقوله منهم محل^(٤) ((ومن
رب العزة)) خبر لقوله : (هم) ، وبها متعلق بالفعل المقدر في الخبر نحو مقربون أو
حال من ضمير الاستقرار في (بها) وهو الخبر ، وهو أيضاً متعلق به ، والمعنى أن
الملائكة المقربون أو المتصلون من رب العزة بالمنزلة التي هم بتلك المنزلة ، أى بمنزلة
عظيمة معلومة عند كل أحد ، وذلك من إيقاع (هم) بها صلة للمؤمنين ، لأن
(من) حقها أن تكون معلومة الانتساب عند السامع .

(١) سورة يوسف ، الآية ٤٣ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَحِيمَ يَوْمَئِذٍ أَرْحَقَ ذَرْقًا ﴾ ، قرأ ﴿ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ ﴾

أبو عمرو بنون العظمة مفتوحة مبني للفاعل ، والباقيون بالياء . الانحاف ٣٠٧ .

(٣) الاسناد المجازي من أقسام انجاز المرسل وعلاقته غير المشابهة ، وإنما علاقته إما السببية ، أو المسيية ، أو

الجزئية ، أو الكلية ، أو اعتبار ما كان ، أو اعتبار ما يكون ، أو الخلية ، أو الحالية . انظر الإيضاح في علوم
البلاغة ٣٩٧ .

قوله : ((أصهب السبال)) (١) ، النهاية (٢) : [الصهبة مختصة بالشعر وحمرة تعلوها] .

قوله : ((تخافتهم)) (٣) ، التخافت من خفت صوته إذا أخفضه .

قوله : ((لأن أيام السرور قصار)) قال (٤) :

**** تمتع بأيام السرور فإنها ** قصار وأيام الغموم طوال ****

قوله : ((ويقال لبث أهلها)) ، أى يعدّ قليلا ، النهاية (٥) : [وفي الحديث (٦) كأنهم تقالّوها أى استقلّوها] ، أى عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو تفاعيل من القلة .

قوله : ((ويعضده)) ويوم تقوم الساعة ﴿ (٧))) ، أى يعضد إرادة استقصار لبثهم في القبور هذه الآية . وفيه نظر لأنه فسرهما في موضعها في آخر الروم بقوله : أرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور ، أو ما بين فناء الدنيا إلى البعث للوجه الأول ، وهم يستقصرون عدة لبثهم في الدنيا بقوله : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ (٨) صحيح لتصريح ذكر الأرض .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ زرقا ﴾ ، قال (ز) : الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ، لأن الروم أعداؤهم ، وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في حفة العدو : أسود الكبد ((أصهب السبال)) أزرق العيون .
(٢) النهاية ٦٢/٣ ، مادة (صهب) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقولون أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ﴾ .

(٤) لم أقف على قائله .

(٥) النهاية ١٠٤/٥ ، مادة (قلل) .

(٦) أخرجه البخاري مع الفتح ٦٧/٦ كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، من حديث أنس

رقم ٥٠٦٣ . يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ... إلى آخر حديث التبتل المشهور .

(٧) سورة الروم ، الآية ٥٥ ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ الآية .

(٨) سورة المؤمنين ، الآية ١١٢ .

قوله : ((يجعلها كالرمل))^(١) ، الراغب^(٢) : [نَسَفَتِ الرِّيحُ الشَّيْءَ أَقْلَعَتْهُ وَأَزَالَتْهُ ، وَكَذَا نَسَفَتْهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾] ، ونسف البعير الأرض بمقدّم رجله ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَوْمِ نَسْفًا ﴾ ، أي نطرحه فيه طرح النّسافة ، وهي ما تشور من غبار الأرض ، وانتسف لونه أي تغيّر عمّا كان عليه نسافه ، كما يقال : اغيّر وجهه] .

قوله : ((العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الأعيان))^(٣) ، قال الزجاج^(٤) : [العوج في العصا والجلل أن لا يكون مستويًا ، والأمت أن يغلظ مكان ويدق مكان] ، قال القاضي^(٥) : [عوجًا بالقياس ، وأمتًا بالإحساس] .

قوله : ((من الفلاحة)) ، الأساس^(٦) : [الفلاحة الأكرة جمع أكار لأنهم يفلحون الأرض أي يشقونها] .

قوله : ((بدلا بعد بدل))^(٧) ، يعنى ﴿ يومئذ ﴾ بدل من ﴿ يوم ينفخ ﴾ ، وهو من قوله : ﴿ يوم القيامة ﴾ في قوله : ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾ ، والعامل ساء فيكون قوله : ﴿ ويسألونك ﴾ الآية وحدها استطراداً ، وعلى الأول العامل ﴿ يتبعون ﴾ ﴿ ويسألونك ﴾ إلى قصة آدم استطراداً ، والأول أوجه لجيء قوله : ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة ﴾ فيكون بدلاً ثالثاً على الترقى .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ ، قال (ز) : ﴿ يَنْسِفُهَا ﴾ ((يجعلها كالرمل)) .

(٢) الراغب ٤٩٠ ، مادة (ن س ف) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ .

(٤) الزجاج ٣٧٧/٣ .

(٥) القاضي البيضاوي ٣٠/٤ .

(٦) الأساس ٤٨٠ ، مادة (ف ل ح) قال : وأحسبك فلّاحة اليمن ، وهم الأكرة .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همًا ﴾

قوله : ((يدعوا^(١) الناس فيقبلون من كل أوب^(٢))) ، قال محمي
السنة^(٣) : [يقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى
عرض الرحمن^(٤)] .

قوله : ((لا يعوجُّ له مدعو^(٥))) ، قيل كما يقال : لا عصيان له ، أى لا
يعصى ولا ظلم له أى لا يظلم .

قوله : ((والمراد بالوجوه وجوه العصاة))^(٦) ، قال القاضي^(٧) : [ظاهرها
يقتضي العموم ، ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين ، فتكون اللام بدل الإضافة
ويؤيده قوله : ﴿ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ ، وهو يحتمل الحال والاستئناف فليبان
ما لأجله عنت وجوههم] ، وكذا عن أبى البقاء^(٨) .

قوله : ((وقوله : ﴿ وقد خاب ﴾ وما بعده اعتراض)) يعني في هذا الكلام
معنى التوكيد لما قبله ، وكان من الظاهر وذلت وجوه العصاة وقد خابوا وخسروا ،
فوضع موضعه ذلك وفيه رائحة من الاعتزال^(٩) ، والأولى أنه حال من الوجوه
ووضع موضع الراجع ﴿ من حمل ظلماً ﴾ ، كما في قوله : ﴿ إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً ﴾^(١٠) ، أى لا نضيع أجرهم

(١) قال (ز) : هو إسرئيل قائماً على صخرة بيت المقدس ((يدعو الناس)) الخ .

(٢) الأوب : الإتيان من كل وجه ومرجع . الأساس ٢٤ ، مادة (أوب) .

(٣) محي السنة البغوي ٢٩٥/٥ . والطبري ١٨٣/٢٦ بعدة روايات وزاد السير ٢٤/٨ والماوردي ٩٤/٤

(٤) كما قال تعالى في سورة القدر الآية ٦-٨ : ﴿ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعا

أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾
وقوله في سورة ق الآية ٤١-٤٢ : ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق
يوم الخروج ﴾ .

(٥) تفسير قوله : ﴿ لا عوج له ﴾ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ .

(٧) القاضي البيضاوي ٣١/٤ .

(٨) أبو البقاء ١٧٢/٢ .

(٩) لم تُتضح لي رائحة الاعتزال هنا .

(١٠) سورة الكهف ، الآية ٣٠ .

والمراد بالظلم الشرك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) ، روى محي السنة ^(٢) عن ابن عباس : [خسر من أشرك بالله ، والظلم هو الشرك] ولأنه واقع في مقابلة قوله : ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ، والمراد بالوجوه الرؤساء والمتكبرون لأن المقام مقام الهيبة ولصوق الذلة بوجوههم ، أولى وقد خاب مقابل لقوله : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ، المعنى فلا يخاف الخيبة وإليه الإشارة بقوله : فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم ، فلا يستقيم حينئذ أن يكون اعتراضا .

قوله : ((وقرئ (فَلَا يَخَفُ))) ^(٣) ، على النهي ابن كثير ، والباقون ﴿ يَخَافُ ﴾ بالرفع ^(٤) ، وهذه القراءة توافق لما يقابله وهو قوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ ﴾ من حيث الإخبار وأبلغ من القراءة الأولى من حيث الاستمرار . والأولى أبلغ لأنها لا تحتمل التردد في الإخبار ، قال الواحدي ^(٥) : ﴿ فَلَا تَخَفُ ﴾ : [فليأمن لأنه لم يفرط فيما وجب عليه ، ونهيه عن الخوف أمر بالأمن] .

قوله : ((وكذلك عطف على ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ ﴾ ^(٦))) إشارة إلى بيان النظم ، وأن التكرير للتردد والترجيع إلى ما هو مهتم بشأنه وما سيق الكلام لأجله ، ذكره هناك وعلق به مدح القرآن ، ومن أقبل عليه ومن أعرض عنه وأشار إلى أن المُقْبِلَ مريح مفلح والمعرض خاسر دامر ، واستمر على وعيد المعرض ووعد المقبل إلى أن عاد إلى ماله سوق الكلام وهو مدح القرآن ، فحرض على التمسك به واستعمال التؤدة والرفق في أخذه وعهد على العزيمة بأمره وترك النسيان فيه ، وضرب حديث آدم مثلا للنسيان وترك العزيمة ، واسترفى حقه ثم رجع إلى ما هو المقصود في الإيراد

(١) سورة لقمان ، الآية ١٣ .

(٢) محي السنة الغوي ٢٩٦/٥ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ .

(٤) بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي فهو لا يخاف ، وقرأ ابن كثير بالقصر والجزم على النهي ووافقه ابن

محيسن . والباقون بالمد والرفع كما تقدم . الإنحاف ٣٠٧ .

(٥) الواحدي في كتابه الوسيط ٢٢٢/٣ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ

لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ .

حيث قال : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ﴾ (١) إلى أن قال :
 ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ﴾ ، وإذا تأملت حديث موسى عليه السلام بطوله
 وجدته متمماً لحديث القرآن وما افتتح به السورة من قوله تعالى : ﴿ طه * ما أنزلنا
 عليك القرآن لتشقى ﴾ (٢) وهلم جراً ، إلى آخر السورة ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تمدن
 عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً ﴾ (٣) إلى قوله : ﴿ ورزق ربك خير ﴾ لأنه على وزن
 قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما
 متعنا به أزواجاً ﴾ (٤) ، وينصره قوله تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا
 نسألك رزقاً ﴾ (٥) ، ولأمر ما صدر عن صدر النبوة ومشكاة الرسالة صلوات الله
 عليه : (إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألف عام فلمّا
 سمعت الملائكة القرآن قالوا : طوبى لأمة ينزل هذا عليها ، وطوبى لأجواف تحمل
 هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا) (٦) ، أخرجه الدارمي عن أبي هريرة .

قوله : ((الوتيرة)) ، الجوهرى (٧) : [هي الطريقة يقال : ما زال على وتيرة
 واحدة] .

قوله : ((ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير)) ، قال في
 الانتصاف (٨) : [الصواب ليكونوا على رجاء التقوى والتذكر إذ لو أراد الله تقواهم

(١) سورة طه ، الآية ١٢٤ .

(٢) سورة طه ، الآية ١-٢ .

(٣) سورة طه ، الآية ١٣١ .

(٤) سورة الحجر ، الآية ٨٧ .

(٥) سورة طه ، الآية ١٣٢ .

(٦) أخرجه الدارمي ٥٤٧/٢ كتاب التفسير ، باب في فضائل طه ويس برقم ٣٤١٤ ومجمع الزوائد

٥٦/٧ ، قال : ورواه الطبراني في الأوسط . وفيه إبراهيم ابن مهاجر بن سمار ضعفه البخاري بهذا الحديث .
 ووثقه ابن معين وابن كثير في تفسيره ، ٢٦٦/٥ ، وقال هذا حديث غريب ، وفيه نكارة ، وإبراهيم وشيخه
 تكلم فيهما .

(٧) الجوهرى ٨٤٢/٢ ، مادة (وتر) .

(٨) الانتصاف مع الكشاف ٨٩/٣-٩٠ .

لكان . والعجب أن الرمخشري نقل عن سيويه في أول هذه السورة في ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (١) ، أي كونا على رجائكما ، ثم كع (٢) عنه ههنا لمعتقده .

قوله : ((والذكر كما ذكرنا)) عند قوله : ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ (٣) أي لتذكرنى ، فإن ذكرى أن أعبد ، يطلق على العبادة والطاعة أي مجاز إلا أن الطاعة أثر الذكر والتذكير ، ومراده من هذا التأويل اعتبار المطابقة لتفسيره التقوى بالاجتناب عن المعاصي ليجمع بين فعل الطاعة وترك المعصية ، وفيه إيذان بأن التقوى قد يراد منه الاحتراز عما لا ينبغي كما قرناه في فاتحة البقرة (٤) ، وقال محي السنة (٥) والواحدى (٦) : ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي يحتشرون الشرك ، ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ أي يجدد لهم القرآن عبرة وعظة ليعتبروا ويتعظروا بذكر عقاب الله للأمم [، وقال الإمام (٧) : وفيه وجهان ﴿ لعلهم يتقون ﴾ ، أي يصيرون محترزين عما لا ينبغي أو يحدث لهم القرآن ذكراً يدعوهم إلى الطاعات وفعل ما ينبغي . أو أنزلنا القرآن ليتقوا ، فإن لم يحصل ذلك ، فلا أقل من أن يحدث لهم ذكرا شرفا وصيتا حسنا وكلمة . أو كما في قولك : جالس الحسن وابن سيرين وقال القاضي (٨) : ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة ﴿ أو يحدث لهم ذكرا ﴾ عظة واعتبارا حين يسمعونها فتبطلهم عن المعاصي ، ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن [، وقلت : والذي يحضرنا الآن والله أعلم أن المعنى ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ أي فصيحا ناطقا بالحق ساطعا ببيانه يحدث لهم

(١) سورة (طه) الآية ٤٤

(٢) (كع) رجع عن هذا التفسير الصحيح بسبب مذهبه الاعتزالي المعروف ، وكفى ما قال صاحب

الانتصاف أحمد بن المنير

(٣) سورة (طه) الآية ١٤

(٤) انظر ذلك في رسالة د / صالح الفوز ص ٣٩٠ في تحقيقه لأول كتاب الطيبي ، فقرة ٩٢٧

(٥) محي السنة البغوي ٢٩٧/٥

(٦) الواحدى في الوسيط ٢٢٣/٣

(٧) الإمام الفخر الرازي ١٢١/٢٢

(٨) القاضي البيضاوي ٣١/٤ .

التأمل والتفكير في آياته وبياناته الرافية الشافية فيذعنون ويطيعون ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ﴾ العذاب ففيه لفّ من غير ترتيب، فالآية على وزن قوله تعالى: ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ ، قال المصنف : يتذكر أي يتأمل فيبذل النصيفة من نفسه والإذعان للحق ويخشى أن يكون الأمر كما تصفان فيجرّه إنكاره إلى الهلكة .

قوله : ((وسكن بعضهم الثاء للتخفيف)) (١)، أي يحدث ، قال ابن جني (٢) : [قرأ بها الحسن وينبغي أن يكون هذا مما يسكن استثقالا للضمّة . وأنشدنا أبو علي لجرير :

**** سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم ** ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب ****
أي لا تعرفكم .

قوله : ((فالיום أشرب غير مستحب)) (٣) ، تمامه في المطلع :

**** إثمًا من الله ولا واغل ****

مستحب أي محتمل يقال : استحقب الإثم إذا احتمله واكتسبه مأخوذ من الحقيية ، ووجل يغل إذا دخل على القوم في شرب من غير أن يدعى كالوارس في العظام . قبله :

**** حلت لي الخمر وكنت امرأ ** عن شربها في شغل شاغل ****

قائله امرؤ القيس ، وكان حلف أن لا يشرب الخمر حتى يقتل بنى أسد بأبيه حجر فوقع ببعضهم فقتل جماعة منهم فقال عند ذلك : حلت البيت .

قوله : ((ولما يصرف عليه)) (٤)، عطف على (له)، أي استعظام لما يصرف عليه عباده . وقوله : يُصَرَّف بضم الياء وفتح الصاد وكسر الراء المشددة ، الأساس (٥) :

(١) من قوله تعالى : ﴿ أو يحدث ﴾

(٢) ابن جني في المحتسب ٥٩ / ٢ والبيت لجرير يهجو بنى العم قبله

**** ما للفرزدق من عز يلوذ به ** إلا بنى العم في أيديهم الخشب ****

انظر ديوانه ٤٩ والأغانى ٢٥٧/٣ .

(٣) القائل : امرؤ القيس ، كما سيأتي للطبي رحمه الله . وانظر الكتاب ٢٩٧/٢ والخصائص ٧٤/١

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما ﴾ ، قال (ز) ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ((استعظام له ولما يُصَرَّف عليه)) عباده من

أوامره ونواهيه .

(٥) الأساس ٣٥٣ ، مادة (صرف) .

[صرّفه في أعماله وأموره فيتصرف فيها وتصرفت به الأحوال] ، وليس فيه ولا في الصحاح تصرف عليه ولعله ضمنه معنى العلو والاستيلاء ، أى يجبر الخلق على امتثال أوامره والانتفاء من نواحيه تصرفاً كما ترى الملك الغالب النافذ التصرف في رعيته ، وهذا لا يوافق مذهبه وفي هذا التقدير إيذان بأن في ترتب حكم الإنزال والتصريف في ﴿ أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد ﴾ ، على قوله : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ بالفاء أمراً عظيماً وخطباً جليلاً ، فدلّ وصف الباري بالملك على التصريف القوي في الملك والملكوٓت على مقتضى مشيئته بالأمر والنهي والوضع والرفع والثواب والعقاب ، فكان مناسباً [لقوله : ﴿ وصرّفنا فيه من الوعيد ﴾ (١)] ودلّ وصفه بالحق على البيان والظهور ، وعلى الثبات في الصفات الكاملة ، فكان مناسباً [لقوله : ﴿ أنزلناه قرآنا عربياً ﴾ أي بيّنا برهانه ساطعاً نوره لا يحوم الباطل حوله ، فأعظم بمنزّل ومتصرف منزله الحق ومتصرفه الملك ، وفيه أيضاً معنى ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ ، يعني لا تستعجل بالقرآن خوفاً من أن ينفلت منك ، لأن المصرف قاهر والمبين محقّ لا بدّ من إمضاء ما أراحه ﴿ إن علينا جمعه ﴾ في صدرك لتحفظه ، وأجراه على لسانك لتدفع الباطل بالحق ، وهذه السنة قائمة في أمتك إلى يوم القيامة ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ، فإن له تحت كل كلمة بل كل حرف من هذا الكتاب العزيز أسراراً ورموزاً تتحير فيها الأوهام ، زادنا الله اطلاعاً على أسرار تنزيله والتوفيق للعمل بما فيه بقدر الوسع والطاقة . قال صاحب المطلع : الذي بيده الثواب والعقاب فهو يملكها ، والحقّ الثابت ذاته وصفاته الكاملة .

قوله : ((ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد)) ، قلت : قد سبق بأن قوله : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ كالرابطة بين الكلامين ، وذلك أنه تعالى لما عظم شأنه في إنزال القرآن العربي وتصريف الوعيد فيه بأن أتى بصيغة العظمة والكبرياء في قوله : ﴿ أنزلنا ﴾ ﴿ وصرّفنا ﴾ امتناناً على حبيبه صلوات الله عليه

(١) مابين القوسين س من ب والصواب مابني ا ، ت ، م .

وبَيَّن أن المقصد في الإنزال والتصريف الترغيب والترهيب ، وأراد أن يرشده إلى حسن تلقيه لهذا المنزل العظيم الشأن ، وأن يترك من عاداته من العجلة وسَط بين الكلامين قوله : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ، وعطف عليه ﴿ ولا تعجل ﴾ على التنزيل الإخباري منزلة الإنشائي ، لأن فيه إنشاء التعجب معنى حين نُبِّهت على عظمة جلاله المنزل وأرشدت إلى فخامة المنزل ، فعظم جنابه الملك الحق المتصرف في الملك والملوك وأقبل بِشْرًا (١) ، شَرِكًا في تحفظ ألفاظ كتابه وتحقق مبانيه ، وإذا وعيت فادع الله لاستزادة العلم لتدبر حقائقه ومعانيه ، وقد سبق وجه نظمه مع قوله : ﴿ ولقد عهدنا ﴾ .

قوله : ((ريثما يسمعك)) (٢) ، الأساس (٣) : [ما ريثك وما بطأ بك وما قعدت لفلان إلا ريثما قال كذا] ، النهاية (٤) : [وفي الحديث : فلم يَلْبَثْ إلا ريثما ، قلت : أي إلا قدر ذلك ، وقد يستعمل بغير (ما) ، والمعنى أرفق على نفسك قدر ما يسمعك .

قوله : ((مساوقة لقراءته)) ، الأساس (٥) : [فلان في ساقاة العسكر في آخره ، جمع سائق ، وهويساوقه ، وتساوقت الإبل تتابعت ، وهو يسوق الحديث] ، النهاية (٦) : [المساوقة المتابعة ، كأن بعضها يسوق بعضاً] .

قوله : ((وقرئ ﴾ حتى نَقْضِي ﴾)) ، قال محي السنة (٧) : [قرأ يعقوب نقضي بالنون وفتحها وكسر الضاد وفتح الياء ، و ﴿ حيه ﴾ بالنصب] .

(١) الشراشر قال في الأساس ٣٢٦ ومن الخازن ألقى عليه شراشره إذا حرص عليه وأحبه .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ ، قال (ز) : وإذا لَقْنَك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ((ريثما يسمعك)) ويفهمك .

(٣) الأساس ٢٦٣ ، مادة (ريث) .

(٤) النهاية ٢٨٧/٢ ، مادة (ريث) .

(٥) الأساس ٣٩٤ ، مادة (سوق) .

(٦) النهاية ٤٢٣/٢ ، مادة (سوق) .

(٧) محي السنة البغوي ٢٩٧/٥ ، وقرأ : ﴿ نَقْضِي ﴾ إليك ﴿ وحيه ﴾ الجحدري والحسن ومجاهد .

شواذ القرآن لابن خالويه ٩٠ .

قوله : ((عندما علم)) (١) ، ظرف يتعلّق بالشكر ، والشكر له عطف تفسيري على قوله : للتواضع لله ، لأنّ التواضع ههنا عين الشكر . كأنّه قيل : ياربّ إني لا أعلم شيئاً ، وإنّ افتقاري إلى جنابك الأقدس لا يزول ، فكما علّمتني كيفيّة ترتيب التعلّم ، وهو التحفّظ بعد التعلّم ، فلا تقطع هذه النعمة عنيّ في كلّ ما أنا فيه من الأقوال والأفعال .

قوله : ((أي علّمتني ياربّ)) ، يعني أدبّني في باب العلم أدباً جميلاً ، وهو التآني عند تلقين المعلّم ثمّ الإقبال عليه بالتحفّظ ، وهذا ما كنت أعلمه ، فزدني علماً أي أدبني تأديباً إلى تأديب ، فإنّ لك في كلّ شيء حكمة . فقوله : ((ما كان عندي)) معترضة .

قوله : ((تقدّم الملك إلى فلان)) (٢) ، الراغب (٣) : [قدّمت إليه بكذا أمرته قبل وقت الحاجة إلى الفعل] ، أي قبل أن يدهمه الأمر أو الناس ، وعهد فلان إلى فلان ألقى العهد إليه وأوصاه بحفظه .

قوله : ((وأوعز إليه)) ، الجوهري (٤) : [أوعزت إليه في كذا وكذا أي تقدّمت ، وكذلك وعزت إليه ترعيزاً وقد يخفّف ، فيقال : وعزت إليه وعزّاً] .

قوله : ((عطف الله سبحانه وتعالى قصة آدم عليه السلام على قوله : ﴿ وصرّفنا فيه من الوعيد ﴾)) ، فإن قلت : أليس هذا مخالفاً لما ذهبت إليه في النظم؟ وقولك : وضرب حديث آدم مثلاً للنسيان وترك العزيمة ، وأنّه متّصل بقوله : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إيلك وحيه ﴾ ، قلت : هيهات ما أشدّ التّأّمه بما أسلفناه من أنّ تصريح الوعيد لأجل اتّقاء العذاب ، وأنّ قوله : ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ متّصل بقوله : ﴿ ولقد صرّفنا ﴾ ، وذلك أنّ معنى قوله : ﴿ وصرّفنا فيه

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ربّ زدني علماً ﴾ ، قال (ز) : متضمّن للتواضع لله تعالى والشكر له ((عندما علم)) من ترتيب التعلّم .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ . قال (ز) : يقال في أوامر الملوك ووصاياهم : ((تقدّم الملك إلى فلان)) وأوعز إليه .

(٣) الراغب ٣٩٧ ، مادة (قدم) .

(٤) الجوهري ٩٠١/٣ ، مادة (وعز) .

من الوعيد لعلهم يتقون ﴿ هو أنا كما نهيناهم عما لا ينبغي ورتبنا عليه الوعيد لعلهم يخافون العذاب ويحْتَبُونَ عنه ، كذلك نهيناك عن التعجيل لتلقي التنزيل متأثراً متدبراً بجدّ وعزيمة ، فكأنّا عهدنا إليك بذلك لئلا تقع فيما لا ينبغي ، كما نهينا آدم عن أكل الشجرة لئلا يشقى ﴿ فنسي ولم نجد له عزماً ﴿ ، فالضمير في قوله قبل وجودهم لمن قيل في حقهم ﴿ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴿ من قوم محمد صلوات الله عليه ، فسبيل حديث العجلة سبيل الاستطراد ، وسبيل حديث آدم سبيل التذييل ، وإليه الإشارة بقوله : ((إنّ أساس أمر بني آدم على ذلك)) .

قوله : ((فخالف إلى ما نهى عنه)) ، هو من قوله تعالى : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴿ (١) ، قال المصنّف (٢) : [خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت موالي عنه ، وتقول : خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه وارداً وأنت صادرٌ] .

قوله : ((مخالفتهم)) مفعول مطلق ، لقوله : ((فخالف)) ، ((وتوعّد)) عطف على ((نهى عنه)) ، أي خالف المنهي والمتوعّد في قوله : وصيّناه أن لا يقرب الشجرة ، وتوعّدناه بالدخول في جملة الظالمين مخالفة مثل مخالفة هؤلاء في النهي والوعيد .

قوله : ((لم يعن بالوصيّة ، أي لم يعتدّ بها الاعتداد الصادق)) ، الجوهري (٣) : [عُيِنْتُ بِحَاجَتِكَ أُعْنِي بِهَا عناية وأنا بها مَعْنِيٌّ ، والأمر لِتَعْنَ بِحَاجَتِي] بضم التاء وسكون العين .

قوله : ((من الاحتراس)) ، الجوهري (٤) : [تحرّست من فلان واحترست منه ، أي تحفّظت منه] .

(١) سورة هود ، الآية ٨٨ .

(٢) المصنّف الرّمحشري ، قال ذلك في سورة هود ٤٢٠/٢ .

(٣) الجوهري ٢٤٤٠/٦ ، مادة (عنا) .

(٤) الجوهري ٩١٦/٣ ، مادة (حرس) .

قوله : ((عَلَيْهِ أَهْلَهُ)) (١) ، الجوهري (٢) : [فلان من عليّة الناس ، وهو جمع رجل عليّ ، أي شريف رفيع ، مثل صبيّ وصيّّة] .

قوله : ((سِرَاتِهِمْ)) ، الجوهري (٣) : [وهو جمع السّريّ ، لا يعرف جمع فعيل على فَعَلَةٍ غيره] ، الأساس (٤) : [هو سَرِيّ من السّراة ومن أهل السُّرُو ، وهو السخاء والمروءة] .

قوله : ((وذلك معصوب برأس الرجل)) (٥) ، أي موكل إليه ، الأساس (٦) : [الأمور تعصب برأسه] ، النهاية (٧) : [سَمَوُ السّيد المطاع مُعَصَّباً ، لأنّه تعصّب به امور الناس أي تردّ إليه وتراد به ، قال عتبة بن ربيعة : ارجعوا ولا تقاتلوا وأعصبوها برأسي ، يريد السّبة التي تلحقهم بترك الحرب ، أي انسبوها إليّ وإن كانت ذميمة] .
قوله : ((قريءٌ ﴿ وَأَنْتَ ﴾ بالكسر والفتح)) (٨) ، بالكسر ابن كثير ، وبالفتح الباقون ، قال الزجاج (٩) : [إذا كسرت فعلى الاستئناف وعطف جملة على جملة ، وإذا فتحت فعلى معنى إن لك أن لا نظماً فَتَسْقُ بِأَنْتَ على قوله : ﴿ أَنْ لَا تَجُوع ﴾ ويكون ﴿ أَنْتَ ﴾ في موضع نصب ، ويجوز أن يكون في موضع رفع والعطف على محلّ إن واسمها ، لأنّ معنى إن زيدا قائمٌ زيدٌ قائمٌ ، فالمعنى وذلك إنك لا نظماً] ، وقال أبو البقاء (١٠) : [وجاز أن تقع (أن) المفتوحة معمولة لأن لما

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ .

(٢) الجوهري ٢٤٣٥/٦ ، مادة (علا) .

(٣) الجوهري ٢٣٧٥/٦ ، مادة (سرا) .

(٤) الأساس ٢٩٤ ، مادة (سرور) .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجْكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ، قال (ز) : أسند الشقاء لآدم دون حواء بعد إشراكهما في الخروج ، إمّا للفاصلة ، أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت ((وذلك معصوب برأس الرجل)) وهو راجع إليه .

(٦) الأساس ٤٢٢ ، مادة (عصب) .

(٧) النهاية ٢٤٤/٣ ، مادة (عصب) .

(٨) قرأ : ﴿ وَأَنْتَ ﴾ بكسر الهمزة نافع وأبوبكر عطف على قوله : ﴿ إِنَّ لَكَ ﴾ ، أو على

الاستئناف ، والباقون بفتحها عطفاً على المصدر المسبوك من ﴿ أَنْ لَا تَجُوع ﴾ . الإتحاف ٣٠٨ .

(٩) الزجاج ٣٧٨/٣ .

(١٠) أبو البقاء ١٢٨/٢ .

فصل بينهما ، التقدير : إن لك الشبّع والرّي [، وقيل : يجوز أن عندنا أن زيداً منطلق .

قوله : ((الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن ، إنما هي نائبة عن كلّ عامل)) ، قال صاحب التقريب : [يريد أن الواو تنوب عن كلّ عامل ، ولم توضع للتحقيق خاصة ، والممتنع تلاقي الحرفين موضوعين للتحقيق] ، وقلت : يعني أن الواو وإن نابت مناب إن ، لكن بالنظر إليها واعتبار وضعها ليست نصّاً في التحقيق مثل إن ، فلا يهمل وضعها الحقيقي ، وقال القاضي (١) : [حرف العطف وإن ناب عن (إن) لكنه ناب من حيث إنه عامل ، لا من حيث إنه حرف تحقيق] ، وقيل : الواو إن كانت نائبة إلا أنها ليست في قوة المنوب عنه ، فلذلك عومل معها مالا يعامل معه ، كقولك : ليس زيد قائماً ولا قاعداً ، ولا يجوز أن تقول : ليس لا قاعداً .

قوله : ((الشبّع والرّي والكسوة والكن)) ، أورد على خلاف ما عليه ترتيب الآية ليشير إلى أنه من باب التّميم والاستيعاب ، يعني كان من الظاهر أن يضمّ الشبّع والرّي في قرن واحد ، والكسوة والكن في آخر ، فخولف لينبه على أن المذكور في الأقطاب التي يدور عليها الكثاف ، يعني إنما ضمّ الشبّع واللبس ليؤذن بعدم استغناء الإنسان عنهما ، وأنهما من أصول النعم ، وجمع الاستظلال والرّي ليشير إلى أنهما تابعين لهما ومكملين لمافعهما ، وهذا أدخل في الامتان من الظاهر لما في تقديم أصول النعم وجلالتهما ، وأردف توابعها ولواحقها لإعلام باستجلابها لسائر ما يفتقر إليها في الكفاف ، كما سبق في تقديم (الرحمن) على (الرحيم) ، وينصر هذا التأويل اختلاف العبارتين في الفقرتين ، وهو إن لك وأنك ، وألاً ولا ، فدلت الأولى على استقرار الإكرام وثبوت الاحترام بتقدير متعلّق الخبر ، وإتيان اللام ، وكذا في تنسيق المذكورات الأربعة مرتبة هكذا مقدّماً ما هو الأهم فالأهم ، ثم في جعلها تفصيلاً لمضمون قوله : ﴿ فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ﴾ وتكرير لفظة (فيها) ، وإخراجها في صيغة النفي مكرّرة الأداة (٢) والإيماء إلى التعريض بأحوال

(١) القاضي البيضاوي ٣٣/٤ .

(٢) (الأداء) في م .

الدنيا ، وأنه لا بلد من مقاساتها فيها ، لأنها خلقت لذلك ، وأن الجنة ما خلقت إلا للتعيم ولا يتصور فيها غيره ، وما ذكره من تصوير ما ينفر السامع ويحذره حتى يتحامي بعض من ذلك .

قوله : ((استجماعها ^(١))) ، وفي بعض النسخ : اجتماعها ، هو الثاني مفعول ذكر ، أي ذكر الله تعالى آدم استجماع هذه الأشياء له في الجنة أي اجتماعها ، المغرب ^(٢) : [استجمعت للمرء أموره ، اجتمع له ما يحبه ، وهو لازم ، وقولهم : استجمع الفرس جرياً ، نصب على التمييز ، وأما قول الفقهاء : مستجمعاً شرائط الجمعة ، فليس بثبت] ، واللام في لقائضها لضعف عمل النفي بسبب التعريف أو الفرعية .

قوله : ((كيف عدى وسوس)) ^(٣) ، سؤال عن موقع استعماله مع حرف الجر ، ووجه صحته وتحقيق وضعه . قال الجوهري ^(٤) : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ يريد إليهما ولكن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل [، وأجاب أن (وسوس) مأخوذ من الوسوسة ، وهي حكاية صوت ، وحكمها حكم صوت ، وكذا وكذا ، وهو فعل لازم فإذا عدى باللام كان لبيان الوسوس له كما في قوله تعالى : ﴿ هيت لك ﴾ ^(٥) ، وقوله : ((أجرس)) لها وقال : ﴿ هيت لك ﴾ ، واللام من صلة الفعل . وأما في الأصوات فلليان ، وإذا عدى بآلى ضمّن معنى الإنهاء ^(٦) ، المغرب ^(٧) : [الوسوسة الصوت الخفي ، يقال : وسوس الرجل بلفظ ما ، سمي فاعله إذا تكلم]

(١) قال (ز) : فذكره ((استجماعها)) له في الجنة .

(٢) المغرب ١٥٩/١ ، مادة (جمع) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومملك لا

يبلى ﴾ ، قال (ز) : فإن قلت : ((كيف عدى وسوس)) تارة باللام في قوله : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ وأخرى بآلى .

(٤) الجوهري ٩٨٨/٣ ، مادة (وسوس) .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٦) في م (الإنتهاء) .

(٧) المغرب ٣٥٢/٢ ، مادة (وسوس) .

بكلام خفيّ يكرّره ، وهو فعل لازم كَوَلَوْتَ المرأة ، ووَعَوَعَ الذئبُ ، ورجل موسوس بالكسر ، ولا يقال بالفتح ، ولكن موسوس إليه أوله أي تلقى إليه الوسوسة ، وقال أبو الليث : الوسوسة حديث النفس ، وإنما قيل : موسوس ، لأنه يحدث بما في ضميره [.

قوله : ((وسوس المبرسم)) ، المغرب ^(١) : [بُرْسِمَ الرجل على ما لم يسمّ فاعله فهو مُبْرَسَمٌ بفتح السين إذا أخذه البرسام بالكسر ، وفي التهذيب : بالفتح وهو معرّب عن ابن دريد ^(٢) ، وفي الأسباب والعلامات : هو ورمٌ يحدث في الحجاب المعترض بين الكبد والمعدة ، فيزول العقل لاتصال هذا الحجاب بحجب الدماغ] .

قوله : ((وهو موسوس بالكسر ، والفتح لحن)) ، قال الخريزي في درّة الغواص : يقولون بَاقِلًا مدوّد وطعام مسوّس ورجل موسوّس وخبز مكرّج ومتاع مقارب ، يفتحون ما قبل الحرف الأخير من كلّ كلمة . والصواب كسره . ويقال : في الفعل من المدوّد . قد داد ، وأ داد ، ودوّد ، وذيد .

قوله [٣] : ((** وسوس يدعو مُخْلِصاً ربّ الفلق **)) ، تمامه :

** سرّاً وقد أوّن تأوين العتق ** في الزّرب لو يمنع شرباً ما بصق **
أوّن البعير إذا عظم بطنه من شرب الماء . والعقق جمع عقوق ، وهي الحامل . وسوس صوت حكاية للصوت ، لأن رؤية يصف قانصاً يخفي شخصه ويخفت صوته حتى إنه لو مضغ حنظلًا ما بصق خوفاً من أن يحسّه الصيد فينفر ، الأساس ^(٤) : [ومن الجواز الصائد في زّربه وزرّيته وهي قترته ، شبهت بزرب البُهم] .

قوله [٥] : ((** أجرس لها يا ابن أبي كباش ** ، تمامه في المطلع :

** فمالها الليلة من إنفاس **)) .

أجرس لها أي أخلد للإبل لتسمع الحذاء فتسير ، وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت ، وجرس الطير صوتت بمنقرها على شيء تأكله ، قوله : ((لها)) ، أي

(١) المغرب ٧١/١ ، مادة (برسم) .

(٢) ابن دريد في جبهة اللغة ٣٠٥/٣ .

[٣] القائل : رؤية . انظر مشاهد الانصاف ٩٣/٣ .

(٤) الأساس ٢٦٩ ، مادة (زرب) .

(٥) القائل غير مسمى ، والبيت في الجوهري ، مادة (جرس) واللسان كذلك .

لأجلها ، الإنفاش من أنفش الغنم إذا تركها ترعى ليلاً بلا راع (١) أي سربها ولا تتركها الليلة لترعى .

قوله : ((﴿وملك لا يبلى﴾ دليل على قراءة الحسن (٢))) ، ﴿إلا أن تكونا مَلِكَيْنِ﴾ بالكسر في الأعراف (٣) ، لأن الملك غير مطابق للمَلَكَيْنِ بالفتح ، وقلت : يجوز أن يطابقه من حيث انضمام ﴿لا يبلى﴾ مع الملك ، لأنه حينئذ كناية عن الخلود ، فهو بمنزلة ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ هناك .

قوله : ((كان لباسهما الظفر)) (٤) ، النهاية (٥) : [أي شيء يشبه الظفر في بياضه وصفائه وكثافته] .

قوله : ((فيه لطف للمكلفين ومزجرة بليغة)) ، خبر لكن ، أي لكن قوله : كنت وديت في لطف ، يعني كان من الظاهر أن يقال في حقه : زلّ وأخطأ ، فجعله عاصياً ثم أوقع الغي سبباً عنه للتغليظ ، كما قال تعالى : ﴿ولله على الناس حِجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر ..﴾ (٦) ، يدلّ عليه قوله بهذه الغلظة .

قوله : ((فبشم)) (٧) ، الجوهرى (٨) : [البشم التّخمة ، يقال : بِشِمْتُ من الطعام ، وبِشِمَ الفصيل من كثرة شرب اللبن] .

(١) ومنه قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿إذ نفثت فيه غنم القوم﴾ الآية ٧٨ .

(٢) في شواذ القرآن لابن خالويه : قرأ الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهما والزهرى : ﴿مَلِكَيْنِ﴾ ، سورة الأعراف ، الآية ٢٠ . الشواذ ٤٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٢٠ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى﴾ ، قال (ز) في قوله تعالى : ﴿يخصفان﴾ : يلزقان الورق بسوءاتهما للسّر ، وقيل : ((كان لباسهما الظفر)) ، فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع .

(٥) النهاية ١٥٨/٣ ، مادة (ظفر) ، قال : كان لباس آدم عليه السلام الظفر ((أي شيء)) إلخ ، والأظفار جنس من الطيب ، القطعة منه شبهة بالظفر .

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿فغوى﴾ ، قال (ز) : ((فبشم)) .

(٨) الجوهرى ١٨٧٣/٥ ، مادة (بشم) .

قوله : ((جئى إلى كذا فاجتبيته)) (١) ، من قولك : اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه ، أي جمعه ، فقوله : هلاً جئيت إليك فاجتبيتها ، معناه : هلاً جمعت إليك فاجتمعتها افتعالاً من عند نفسك ، فإنهم كانوا يقولون : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾ .

قوله : ((جليت عليّ العروس فاجتلتيتها)) ، أي نظرت إليها مجلوة .
قوله : ((﴿ وهدى ﴾ أي وفقه لحفظ التوبة)) ، فسر الهداية المطلقة لاقتراحها بالتوبة بما يناسبها تنميماً ، فعلى هذا ينبغي أن يفسر الغواية في قوله : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ بما يناسب العصيان من متابعة هوى النفس بتسويل الشيطان ، لا بالغواية الحقيقية ، كقول إخوة يوسف : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

قوله : ((ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب ، وهو في الحقيقة للمسبب)) (٣) ، نحو : بنى الأمير المدينة ، وكسى الخليفة الكعبة ، يعني خوطب آدم وحواء بقوله : ﴿ بعضكم لبعض عدوٌ ﴾ لأنه حال من الضمير في ﴿ اهبطا ﴾ ، أي متعادين ، عقب بقوله : ﴿ فإمّا يأتينكم مني هدى ﴾ على لفظ الجماعة ، ولم تحصل منهما العداوة ولا كانا تابعين لأحد من الأنبياء ، لكن لما كانا سبيي البشر ومنهما نشأ ، أو جعلاً كأنهما البشر فخطباً مخاطبتهم ، وفي عكسه خطاب اليهود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بنحو قوله : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ﴾ (٤) .
قوله : ((وعن ابن عباس : ضَمِنَ الله لمن اتبع القرآن أن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (٥))) ، ونحوه في المعالم (٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ،

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٨ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوٌ فإمّا يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ ، قال (ز) : لما كان آدم وحواء أصلي البشر ، جعلاً كأنهما البشر ، فقيل : ﴿ فإمّا يأتينكم ﴾ ، ونظيره إسنادهم ((إلخ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٥٠ .

(٥) ذكره السيوطي ٦٠٧/٥ ، وعزاه للثريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبيد بن حميد و

محمد ابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن عباس .

(٦) في معالم التنزيل للبغوي ٣٠٠/٥ .

وعن الشعبي عن ابن عباس ، وقلت : هذه إشارة إلى الترجيع الذي بُنيت هذه السورة الكريمة عليه كما سبق ، وإلا فَلِمَ خصّه بالقرآن ههنا وتركه في البقرة على العموم والقصة القصّة حيث قال : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ (١) برسولٍ أبعثه إليكم وكتابٍ أنزله عليكم ، بدليل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (٢) في مقابلة قوله : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ ، والقرينة ههنا ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ﴾ ، رويناه عن أبي داود (٣) عن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم) (٤) ، وزاد رزين : واقرؤوا إن شئتم : ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ ، وإنما خصّ خير الأمة لا تضل بالدنيا ولا تشقى بالآخرة لأن قصة آدم عليه السلام كانت مصدرة بقوله : ﴿ فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ومختمة بقوله : ﴿ فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٥) ، وإنهما مقابلان لقوله : ﴿ فَإِن لَّهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٦) .

قوله : ((الضنك مصدر)) (٧) ، الراغب (٨) : [ضنكا أي ضيقا وقد ضنك عيشه ، وامرأة ضنكاً مُكَبَّرَةً ، والضنك الزكام والمضنوك المزكوم] .

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٩ .

(٣) أبو داود ١٥٨/٢ كتاب الصلاة ، باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ، رقم ١٤٧٤ .

(٤) والأجذم مقطوع اليد ، وقيل : يلقي الله خالي اليدين من الخير ، وقيل : لقي الله لا حجة له ، وفي

سند هذا الحديث يزيد بن أبي زياد ولا يحتج بحديثه ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٨٢ : يزيد ابن أبي

زياد القرشي الدمشقي متروك من السابعة . وأخرجه أحمد في مسنده ، ٢٨٥/٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٥) سورة طه ، الآية ١٢١ .

(٦) سورة طه ، الآية ١٢٤ .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِن لَّهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ .

(٨) الراغب ٢٩٩ ، مادة (ضنك) .

قوله : ((إن مع الدين التسليم)) ، تأويل المعنى قوله : ﴿ ذكرى ﴾ المراد منه القرآن لأن الدين منه ، ويؤيده قوله : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (١) .

قوله : ((فيعيش عيشاً رافعاً)) ، الجوهرى (٢) : [الرفع السعة والخصب ، يقال : رفع عيشه بالضم رفاعة اتسع فهو عيش رافع ورفيع أى واسع طيب] ، الراغب (٣) : [العيش الحياة المختصة بالحيوان ، وهو أخص من الحياة ، لأن الحياة تقال في الحيوان ، وفي الباري وفي الملك ، وتشق منه المعيشة لما يتعيش منه . قال تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ (٤) ، وقال في أهل الجنة : ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ (٥) وقال صلى الله عليه وسلم : (لا عيش إلا عيش الآخرة) (٦) .

قوله : ((وعن الحسن هو الضريع)) ، عطف على قوله : ((إن مع الدين التسليم والقناعة)) إلى الآخرة من حيث المعنى ، يعنى معنى ﴿ معيشة ضنكا ﴾ أما ما يلقاه المعرض في الدنيا من الضيق في العيش بسبب الحرص وجمع المال أو الذلة والمسكنة أو قلة الرزق أو الابتلاء بالجذب والقحط . وأما ما يلقاه في الآخرة من أكل الزقوم والضريع ، وقال الله : ﴿ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل

(١) سورة المائدة، الآية ٦٦ .

(٢) الجوهرى لم أجده فيه .

(٣) الراغب ٣٥٣ ، مادة (عيش) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ .

(٥) سورة القارعة ، الآية ٧ .

(٦) عن أنس بن مالك قال : قالت الأنصار يوم الخندق :

** نحن الذين بايعوا محمداً ** على الجهاد ما بقينا أبداً **

فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم :

** لا عيش إلا عيش الآخرة ** فأكرم الأنصار والمهاجرة **

رواه البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أصلح الله الأنصار والمهاجرة ، ١١٨/٧ ، برقم ٣٧٩٦ ، ومسلم ١٤٣١/٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق ، رقم ١٨٠٥ .

مكان ﴿١﴾ فتلخيصه : المعرض عن الدين شأنه في الدنيا كيئت و كيئت ، و عيشه صنك و عن الحسن المعرض عن الدين شأنه في الآخرة أكل الضريع والزقوم ، يشهد للقول الأول رعاية التقابل فإن قوله : ﴿ فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ مقابل لقوله : ﴿ ولا يضل ولا يشقى ﴾ كما سبق .

قوله : ((وهذا مثل قولهم : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكمأ وصمأ ﴾ (٢) لأنه من أعمى البصر . وقيل أعمى عن الحجة لقوله : ﴿ كذلك أتتك آياتنا ﴾ والوجه هو الأول لقوله : ﴿ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴾ . قوله : ((وكما فرّ الزرق بالعمى)) يعني في قوله تعالى : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ (٣) قال العمى لأن حدة من يذهب بنور بصره يزرق .

قوله : ((لما توقع المعرض)) يريد أن قوله : ﴿ ولعذاب الآخرة ﴾ إما مؤكد لمعنى قوله : ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ وبين لما قصد به أو لقوله : ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴾ .

قوله : ((ثم فسر بأن آياتنا أتتك)) يعني لما قال القائل : ﴿ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴾ وأجيب بقوله : ﴿ كذلك ﴾ والمشار إليه السابق أى كما أنا حشرناك أعمى وكنت بصيرا ، مثل ذلك فعلت أنت قال : ما فعلت يارب . ف قيل : أتتك آياتنا واضحة مستتيرة ، وأنت بصير صحيح فعميت عنها . فلمّا وضع في التنزيل موضع فعميت عنها ففسيتها وضعا للمسبب موضع السبب ، لأن من عمى عن شيء نسيها (٤) وتركها رتب عليه ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴾ ولذلك بدل المصنف الواو فاء . وأما معنى كذلك الثالث فالتذيل والتقرير ، ولذلك عمّ المعنى بقوله : ﴿ من أسرف ﴾ فالمشبه في التشبيه الأول فعلهم ، وهو عماهم عن الآيات والمشبه به حشرهم أعمى ، وفي التشبيه الثاني المشبه فعل الحق ، وهو تركه إياهم على عماهم ،

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٧ .

(٣) سورة طه الآية ١٠٢ .

(٤) نسيه وتركه في م .

والمشبه به تركهم آيات الله ، وفي التشبيه الثالث المشبه به الجزاء الخاص والمشبه به الجزاء العام .

قوله : ((وفاعل ﴿ لم يهد ﴾ الجملة)) (١) قال صاحب الكشف (٢) فاعل ﴿ يهد ﴾ مضمّر ، والمعنى أفلم يتبين لهم إهلاكنا ؟ ولا يكون كم في ﴿ كم أهلكنا ﴾ فاعلا ولا مفعولا ، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، ولكنه منصوب بـ ﴿ أهلكنا ﴾ وهو مفعول مقدم أى وكثيرا من القرى أهلكنا وإذا كان الضمير في ﴿ يهد ﴾ لله أو للرسول ، فكم أهلكنا الجملة في تأويل المفعول . قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم ﴾ (٣) : إنما عدّى فعل الهداية باللام ، لأنه بمعنى التبيين . فإذا قرىء بالنون كان المعنى أولم يهد لهم هذا الشأن كذلك المعنى أولم نبين لقريش هذا الشأن ، وهو إهلاكنا كثير من القرى الحالية والحال أنهم يمشون في مساكنهم والبيان مثل قوله تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ (٤) في الباب قال الكوفيون : فاعله ﴿ كم أهلكنا ﴾ (وهذا لا يجوز عند البصريين) (٥) ، لأن الجملة لا تكون فاعلة وقالوا : فاعله مضمّر يفسره ﴿ كم أهلكنا ﴾ والباء في قول المصنف بمعناه ، مثله كتبت بالقلم أى فاعل ﴿ لم يهد ﴾ هذا بواسطة مضمونة .

قوله : ((هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة)) (٦) قال القاضي (٧) : [أى تأخير عذاب هذه الأمة] .

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ﴾ الآية
(٢) صاحب الكشف عن وجوه القرات السبع وعللها وحججها : أبو محمد مكّي بن أبى طالب
القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ وهذا الكلام ذكره في كتابه مشكل إعراب القرآن ٧٨/٢ بتصرف من الطيبي
رحمه الله

(٣) سورة الأعراف الآية ١٠٠ ١٣٢/٢ .

(٤) سورة الروم الآية ٩ .

(٥) ما بين القوسين س من ب .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ قال (ز) : الكلمة

السابقة : ((هي عدتهم الخ .

(٧) القاضي البضاوي ٣٣/٤ .

قوله : ((لِرَازِ خِصْمِ)) (١) أى مَلَحَ الأساس (٢) : [هذا لِرَازِ البابِ لِنَجَافَةِ الذي يُلْزِبُهُ ، وأنه لِرَازُ خِصْمٍ ، وَلِرَازِ مالٍ مُصْلِحٍ لَهُ] والنجاف العتبة .

قوله : ((مَنْ أَنْ يَكُونَ مُعْطُوفاً عَلَى (كَلِمَةٍ))) قال صاحب الكشف التقدير : [لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازماً لهم ، فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بكان واسمها وخبرها .

قوله : ((وَتَعَمَّدَ آتَاءَ اللَّيْلِ)) (٣) قال صاحب المطلع : أى بعض ساعات الليل واحدها أنى مثل رَحَى وَإِنِّى كَمَعَى وَإِنِّى كُنْجَى .

قوله : ((مُحْتَصِماً لِمَا بِصَلَاتِكَ)) اعتبر في تقديم الظرف الاختصاص ، وقدر يعتمد لقرب معناه من قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ﴾ أى إياى ارهبوا فارهبون وأريد بالاختصاص الاهتمام (٤) ، لأنه ليس المراد خصص هذين الوقتين بالصلاة دون غيرهما ، ويجوز أن يراد بالاختصاص أى تعمّد هذين الوقتين بالفضل وخصّص فضليتهما على سائر الأوقات .

قوله : ((عِنْدَ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ)) وهو مجاهد لقوله في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ (٥) هي الفجر لأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل ، وبيان النسبة ، هو أن قبل طلوع الشمس وقبل غروبها تناول صلاة الفجر والظهر والعصر ، وآتاء الليل صلاة العتمة ثم جيء بقوله : ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ فعلم منه صلاة المغرب وصلاة الفجر ، على أن صلاة الفجر كررت على تلك الوتيرة أى على عطف الخاص على العام . فقوله : ((عَلَى التَّكْرَارِ)) متعلق بصلاة الفجر بدليل قوله : ((كَمَا اخْتَصَمْتَ)) أى صلاة الفجر لا صلاة المغرب والفجر كما ظن .

(١) تفسير قوله : ﴿ لِرَازِ خِصْمِ ﴾ .

(٢) الأساس ٥٦٣-٥٦٤ مادة (لرز) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ .

(٤) كما في قوله تعالى سورة المزمل الآية ٦ : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ وقوله في

سورة الزمر الآية ٩ : ﴿ أَمِنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءُ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَانِماً ﴾ الآية .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٨ .

قوله : ((هُدُو الرجل)) الجوهري (١) : [أتانا فلان هُدُوا أى بعد نومه وبعد ما هدأ الناس أى ناموا] والرواية هُدو الزَّجَلُ (٢) بالزاي والجيم المفتوحة الصوت .

قوله : ((مجئى الأمرين)) أي الشئبة والجمع . قوله : (٣)

**** ظَهَرَاهُمَا مِثْلَ ظَهْوَرِ التَّرْسَيْنِ ****

قبله : **** وَمَهْمَهَيْنِ قَلْدَيْنِ مَرْتَيْنِ ****

وبعده : **** جُبَّتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ ****

المهمهة ، المفازة البعيدة ، والمرتين ، بسكون الراء مفازة لا نبت فيها ولا ماء ، والفَلْدُ الأَرْضُ المستوية ، والواو بمعنى ربّ وجوابها جبتهما وظهراهما صُلْبَاهُمَا ، لأن ظهر الترس يأتي بالنعت بالفرس فرس نعت متناه في الجري ، لأن النعت وصْفُكُ الشئ بما فيه من الحسن ، هكذا ذكر الخليل ، وكل شئ جيد بالغ فيه فهو نعت . وقيل : المراد قطعها ولم ينعت لي إلا مرة واحدة يصف نفسه بالفطنة والخبرة بسلوك المفاوز . وقيل : إنما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين الشئتين إحداهما في المضاف وثانيهما في المضاف إليه . كقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (٤) .

قوله : ((ولعل للمخاطب)) أي الترجي راجع إلى المخاطب ، كما أن الشك في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (٥) راجع إلى المخاطب لا إلى المتكلم سبحانه وتعالى . قوله : ((وقرئ : تُرَضَى)) (٦) بضم التاء الكسائي ، الراغب (٧) : [رضي يرضي رضا فهو مرضيٌّ ومرضَوَ ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه ،

(١) الجوهري ٨٣/١ مادة (هُدَا) .

(٢) الزجل بالتحريك : الصوت . الصحاح ١٧١٥/٤ مادة (زجل)

(٣) القائل : خطام الخاشعي . وقيل : هُمَيان بن قحافة . انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف

للشيخ محمد عليان ٩٧/٣

(٤) سورة (التحريم) الآية ٤

(٥) سورة (الصافات) الآية ١٤٧

(٦) قرأ الكسائي وأبو بكر ﴿ تُرَضَى ﴾ بضم التاء مبنيًا للمفعول ، وحذف الفاعل للعلم به أي لعل

الله يعطيك ما يرضيك ، أو لعله يرضاك ، والباقرن بفتحها مبنيًا للفاعل أي لعلك ترضى بها ، الإنخاف ٣٠٨

(٧) الراغب ١٩٧ مادة (رضي)

ورضا الله عن العبد ، هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهياً عن نهيه ، قال الله تعالى : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾^(١)

قوله : ((بَادَةٌ الشيء))^(٢) بادهه فاجأه ، والاسم البداة والبديهة .

قوله : ((أزواجاً منهم)) أصنافاً من الكفرة))^(٣) الراغب^(٤) : [الزوج ، يقال : لكل من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة وفي غيرها كالخفّ والنعل ، ولكلّ ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً ، قال تعالى : ﴿أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾^(٥) أي أقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم . وقال تعالى : ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾^(٦) أي أشباها وأقرانا]

قوله : ((ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير)) أي في (به) وتقديره . وهو أصناف . وقوله (منهم) على هذا مفعول به والعامل ﴿مَتَّعْنَا﴾ و (من) للتبعية ، وناسأً في الكتاب تفسير لقوله : بعضهم ، المعنى : (لا تمدن عينيك) إلى أصناف الزخارف التي متّعنا به بعضاً من الكفرة كالملايس الفاخرة والمناكح المؤنّقة والمراكب الفائقة و الروائح الطيّبة ، وعلى الأول كان الفعل واقعا على (أزواجاً) و (منهم) صفة و (من) بيان أي (لا تمدن عينيك) إلى الزخارف التي متّعنا بها أصنافاً من الكفرة كاليهود والنصارى والمشرّكين ، قال صاحب التقريب (منهم) هو المفعول به .

قوله : ((وعلى تضمين)) (متّعنا) معنى أعطينا وخولنا أي ملكنا ، قال صاحب التقريب : فالباء في (به) على هذا للآلة ، أي إلى المال الذي أعطينا تشبيه الكفّار زهرة ، إذ لو كان صلة متّعنا لزم أن يكون له ثلاث مقاعيل . وقال ابن الحاجب في الأمالي : [الأظهر أن تكون (زهرة) منصوباً بفعل مضمر دلّ عليه

(١) سورة البينة الآية ٨

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ . قال (ز) : وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه ، وذلك مثل نظر ((من بَادَةٌ الشيء)) بالنظر ، ثم غصّ الطرف

(٣) الراغب ٢١٥ مادة (زوج)

(٤) سورة (الصافات) الآية ٢٢

الكلام [أي جعلنا لهم أو آتيناهم ، لأنه إذا متّعهم بها جعلها لهم وآتاها إيّاهم ، هذا قول الزجاج (١) . وقال ابن الحاجب : ويجوز أن يكون الفعل المقدر ، قولنا : أعني بيانا (لما) أو للضمير في (به) أو (لأزواجاً) وهو الذي يسمى نصبا على الاختصاص ، وأن يكون بدلاً من (أزواجاً) على حذف المضاف أي أهل زهرة الدنيا بدل الكل من الكل على المبالغة ، كأنه جعلهم الزهرة على الحقيقة ، وجعله بدلاً من (به) ضعيف لأنه لا يقال : مررت بزيد أخاك ، ولأن الإبدال من الضمير العائد إلى الموصول يجعله من باب قولك : زيد رأيت غلامه رجلاً صالحاً . وفي جوازها قولان . وكذا عن صاحب التقریب .

قوله : ((وعلى إبداله من محلّ الجار والمجرور)) هذا اختيار صاحب الكشف (٢) قال : هو عندي بدلٌ من موضع (ما) في قوله : ﴿ إلى ما متّعنا ﴾ لأن موضع الجارّ والمجرور نصب كقوله تعالى : ﴿ دينا قيما ﴾ (٣) وقوله : ﴿ ملة أيكم ﴾ بعد قوله : قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ﴿ ، وقوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله ﴾ وقلت : أما وجه النصب على الاختصاص والذم فيقضي تحقير شأنها وازدراء حالها ، كقوله تعالى : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ (٤) والمقام يأباه ، لأن المعنى أن النفوس مجبولة على النزوع إليها راغبة فيها حقّ رغبتها حتى لا تكاد ترغب عنها نفوس الأنبياء ، فلذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ملة العينين إليها ، ويعضّده ما رويناه عن البخاري (٥) ومسلم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، قالوا :

(١) الزجاج ٣/٣٨٠

(٢) صاحب الكشف مكّي بن أبي طالب القيس ذكره في كتابه (كتاب مشكل الإعراب) ٢/٧٨-

٧٩ بتصرف من الطيبي رحمه الله .

(٣) سورة (الأنعام) الآية ١٦١

(٤) سورة (العنكبوت) الآية ٦٤

(٥) أخرجه البخاري مع فتح الباري ٣/٣٢٧ كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى برقم ١٤٦٥

وكتاب الجهاد ، باب فضل النفقة في سبيل الله ٦/٤٨ برقم ٢٨٤٢ واللفظ له ، ومسلم ٢/٧٢٨ كتاب

الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا برقم ١٠٥٢ باب ١٢٢

وما زهرة الدنيا يا رسول الله ، قال : بركات الأرض ، وعن مسلم والنسائي (١) عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون) ولتوافقه التعليل في قولهم ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ ولا استشعار الخوف بسبب زخرفها وزينتها وبهجتها ، ويجوز أن تكون (زهرة) بدلا من (أزواجا) على تقدير أن تكون حالا من هاء الضمير ، فلا يحتاج إلى تقدير ذوي قوله : ((كما جاء في الجهرة الجهرة)) وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر ، قرأ يعقوب (٢) : ﴿ زَهْرَةٌ ﴾ بفتح الهاء ، والباقون بسكونها .

قوله : ((وتهلل وجوههم)) الجوهري (٣) : [تهلل السحاب ببرقة تلالاً ، وتهلل وجه الرجل من فرحه واستهل] .

قوله : ((وشارتهم)) الشارة اللباس والهيئة .

قوله : ((والتقشفت)) الجوهري (٤) : [والتقشفت أن يتبلغ بالقوت والمرقع]
قوله : ((هو خير منه)) أي لما متع به الكافر في نفسه ، لأنه الخير المحض الذي لا يشوبه ما يكدره في نفسه ، ولا يلحقه ما يفيئه .

قوله : ((أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة)) هذا الوجه أوفق لتأليف النظم على ما سبق ، وعليه ينطبق قوله : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ أي دين الإسلام والنبوة من الكتاب والسنة خير فاشتغل بذلك وتمسك بالحبل المتين ، ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ لأن الذي بعث لأجله هؤلاء الخصال ، لا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٩٨/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ... الخ رقم ٢٧٤٢ والترمذي ٤١٩/٤ كتاب الفتن ، باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة رقم ٢١٩١ ، وابن ماجه ١٣٢٥/٢ كتاب الفتن ، باب فتنة النساء رقم ٤٠٠٠ ، وأحمد في مسنده ، ١٩/٣ ولم أجده في النسائي بهذا اللفظ

(٢) قرأ يعقوب ووافقه الحسن ﴿ زَهْرَةٌ ﴾ بفتح الهاء ، والباقون بسكونها ، وهما بمعنى واحد كنهير

ونَهَر . الإتحاف ٣٠٨

(٣) الجوهري ١٨٥١/٥ مادة (هلل)

(٤) الجوهري ١٤١٦/٤ مادة (قشفت)

لتكون تاجرا كسوبا أو حريصاً بجمع المال ^(١) ، فلا تهتمّ بأمر رزقك فإن رزقك مكفي عندنا ، ونحن رازقوك ، ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك في التبليغ والإنذار والاشتغال بالعبادة والأمر بالمعروف لأهلك وأمتك و ﴿العاقبة﴾ أي الجنة لأهل التقوى ، ولن اتقى حطام الدنيا وزينتها ، كما جاء عن خير البرية . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا .

قوله : ((لا أقرضته)) ^(٢) قيل هو على سبيل الدعاء ، كأنه قال : لا كان إقراضي إياه إلا برهن ، كما تقول : لا رحمك الله ، وأوجه من هذا أن يكون حاكياً لما يقوله بعد إقراضه برهن للمبالغة بحظه .

قوله : ((في عمله)) قيل : معناه ، كان ملائكة الله الموكلون بكفاية الاعمال في تحقيق عمله .

قوله : ((خصاصة)) النهاية ^(٣) [الخصاصة الجوع والضعف وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء]

قوله : ((إن القرآن برهان)) ^(٤) ما في سائر الكتب المنزلة ، قال القاضي ^(٥) : [لأن القرآن مشتمل على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي به أتمّ لم يرها ولم يتعلّم ممن علمها ، وفيه إشعار بأن القرآن كما يدلّ على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب ، من حيث إنه مصداق لما هو معجز وتلك ليست كذلك ، بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها] .

(٥) جمع الدنيا في ب ، م

(٢) قال (ز) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال : قل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرضني إلى رجب ، فقال : والله لا أقرضته إلا برهن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض ، أحمل إليه درعي الحديد فنزلت : ﴿ولا تمدن عينيك﴾

(٣) النهاية ٣٧/٢ مادة (خصص)

(٤) تفسر قوله تعالى : ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى﴾

(٥) القاضي البيضاوي ٣٤/٤

قوله : ((ذكر الضمير)) (١) أي في قوله ﴿ من قبله ﴾ والظاهر أنه راجع إلى معنى ﴿ تأتيتهم ﴾ أي قبل مجيئ البينة ويؤيده قوله ﴿ لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ﴾ لأن مجيئ هذه البينة لا يكون إلا مع إرسال الرسول .

قوله : ((كل واحد منا ومنكم مترتب للعاقبة وما يؤول أمره إليه)) (٢) فيه معنى المشاركة وأن الإنذار والتذكير بلغ غايته ، كقوله تعالى : ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ (٣) اعلم أن هذه خاتمة شريفة ناظرة إلى الفاتحة ، وهي قوله تعالى : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ (٤) فإنه تعالى لما أمر بحبيبه صلوات الله عليه بالإعراض عن الكفار وعمّا أوتوا من زهرة الدنيا والاقبال بكليته إلى دين الحق والاشتغال بالعبادة والصبر عليها وبأمر أهله ، أي أمته رمزاً إلى ما بدئ به أي اشتغل بالعبادة على مقدار طاقتك وصبرك ، وأمر من ينجع فيه تذكيرك ووعظك . وأما هؤلاء المعاندون الذين ما توانيت في إنذارهم ، وألزمت الحجة عليهم ، وظهر إفحامهم حيث اقترحوا الآيات ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه ﴾ وأنت قد أتيت بأم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن فأعرض عنهم واتركهم ، لأن التذكير إنما ينفع فيمن يخشى وأوعدهم بقولك : ﴿ قل كل مترتب فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدي ﴾ .

والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على خير أنبيائه .

(تمت بحمد الله وحسن توفيقه) (٥)

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه أولم تأتيتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل كل مترتب فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدي ﴾

اهتدي

(٣) سورة (الزخرف) الآية ٨٩

(٤) سورة (طه) الآية ٢

(٥) ما بين القوسين س من ب

١ انتهى ما رمت تحقيقه من كتاب فتح الغيب في الكشف عن قناع الرب للحسين بن عبد الله الطيبي رحمه الله وإنني لأرجو الله أن يجعله عملاً خالصاً لله تعالى . وكان الفراغ منه يوم الأربعاء ثمانية في ربيع الثاني من سنة ١٤١٥ هـ .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والكرامات.

وبعد : فإني أحمد الله على تمام ما رمته من تحقيق جزء من كتاب الإمام العظيم (الحسين بن علي^{عليه السلام} الطيبي) المسمى (فتح الغيب في الكشف عن قناع الريب) الذي حشى به (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل). للإمام محمود بن عمر الزمخشري رحم الله الجميع وأسكنهما فسيح جناته، وأثابهما على أعمالهما.

وبعد أن عشت مع الطيبي برهة من الزمن وتلمذت عليه، اتضح لي أنه إمام دهره وفريد عصره في شتى العلوم والمعارف ولا سيما في اللغة العربية وسائر فروعها من نحو وصرف وبلاغة وأدب وأمثال وغير ذلك.

وحقاً أنه شرح الكشاف وعلق عليه وجال معه وصال في كل ما تعرض إليه الكشاف في تفسيره، ورد عليه اعتراضاته التي هي محور حاشيته عليه، وشرح كل غامض في الكشاف من تفسير وقرآآت ولغة ونحو وصرف وأدب وتاريخ، وكان رحمه الله فارس ميدان هذه الفنون.

وقد أحسن عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه حيث قال في مقدمة كتابه ٥٥٦/١ : "وقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين، وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريز من عراق العجم، شرح فيه كتاب الزمخشري وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تريفها، وتبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، وفوق كل ذي علم عليم".

ومع هذا فلا شك أن هناك بعض الملاحظات على هذا الإمام، ومن أشدها أنه انتهج في تفسيره نهج الأشاعرة في تأويل بعض الصفات، كما هو الواقع لكثير من أجلاء العلماء، وإنني لأحسن بهم الظن، ولكن ينطبق عليهم قول الشاعر :

* رام نفعاً فضرّ من غير قصد * ومن البر ما يكون عقوقاً *

ومع ذلك فإنه ردّ على أهل البدع والأهواء من الباطنيين والفلاسفة وغلاة الصوفية المدعين معرفة علم الغيب، وأبدع في مباحث اللغة العربية والقراآت والاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة مرمع هذا فقلما يخلص مصنف من الهفوات، أو ينجو مؤلف من العثرات.

وقد حاولت بكل ما أملك من جهد أن أوضح وأبين ما أجمله الطيبي رحمه الله في كتابه هذا عازياً كل قول لقائله، وتخرّيج كل حديث استشهد به، وعزو كل قراءة أتى بها، ومسألة فقهية استبطنها، وبيت شعر أو مثل أو حكاية جاء بها، أو آية فسر بها، وإني لأعلم علم يقين أنما قمت به من تحقيق يحتاج إلى تحقيق لعلمي بجهلي وقلة بضاعتي، وكثرة خطئي.

وصدق الله العظيم في قوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) وإني لأرجو المَعذرة فيما كتبت، وقد أحسن من قال (٢) :

* ومن رأى من أهل ذا الفن الخطأ * فيما كتبت أو أصاب غلطا *

* فليغمض الجفن على فـلـذاه * ولا يلم في زلّة أخـاه *

* قد يعثر الجواد في الرهـان * وينثني الرمح لدى الطعان *

* وقد يُرنُ المحصن البـريء * ويتحامى الكلاء المـريء *

* وقلما ينجو امرؤ من خلـل * أو يحتمي مؤلف من زلـل *

وأخيراً فإني أحمد الله تعالى على ما أولاني من النعم وأن وفقني حتى أتممت هذا العمل، وأسأله تعالى أن يتجاوز عني وأني يغفر لي زللي وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة النساء الآية ٨٢.

(٢) القائل : الشيخ محمد العاقب بن مايابي الجكني الموريتاني.

فهرس الآيات الواردة المستشهد بها

رقم الآية رقم الصفحة

سورة الفاتحة

٤٥١، ٨٠	٦	﴿ أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ﴾
٥٩٣	٦٠٧	﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾
١٢٢	٤	﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾
١٢٢	٣	﴿ مالك يوم الدين ﴾

سورة البقرة

٩٣	٣٤	﴿ أباي واستكبر وكان من الكافرين ﴾
١٦٠	٢٠٧	﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾
٢٩٩	٣٠	﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾
٦٦٦	٥٨	﴿ ادخلوا الباب سجداً ﴾
٨١	٨٥	﴿ أفترمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾
٣٥٢	١١٣	﴿ إلا من سقه نفسه ﴾
١٧٥	١٦	﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾
٥٢٠	١٠	﴿ بما كانوا يكذبون ﴾
٢٧٦	٢٥٣	﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾
٣٩٩	٢٥	﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾
٧٠٤	٢٣٨	﴿ حافظوا على الصلوات ﴾
٢٣٩، ٦٨	١٨٧	﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾
٣٥٤	٧	﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ... ﴾
٢٦٤	٦٣	﴿ خذوا ما آتيناك بقوة واذكروا ما فيه ﴾
٣٧٨	٦	﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾
٧٠٠	٣٨	﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾
٤٠٦	٢٦٤	﴿ فتركه صلداً ﴾
٢٩١	٢٣٩	﴿ فرجالاً أو ركبانا ﴾

٢٦٨،٢١	٢٤٩	﴿ فشرّبوا منه إلا قليل منهم ﴾
٣٧٣	١٨٤	﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر ... ﴾
٦٧٤	٢٥٨	﴿ قال أنا أحيي وأميت ﴾
٥١٣	٢٥	﴿ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾
٦	١٤٤	﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾
١٩٢	١١٦	﴿ كل له قانتون ﴾
٥٦٣	١٧١	﴿ كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ﴾
١٥٧	٢٨٦	﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾
٢٧٩	٢	﴿ هدى للمتقين ﴾
٥٤١،٨٣	٢٥	﴿ وأتوا به متشابها ﴾
٦٩٩	٥٠	﴿ وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ﴾
٥٤٨	٧٢	﴿ وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها ﴾
٤٣٨	١٢	﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾
٧٠٠	٣٩	﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾
٦٠٩،٦١	٤٥	﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾
١٩٩	٢٣٧	﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾
٣٥١	٤٥	﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾
٦٥٧	١٤٤	﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم ... ﴾
٢٣٢	١١٤	﴿ وسعى في خرابها ﴾
٣٧٩	٢١٦	﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾
٣٣٣	٢٣٦	﴿ وعلى المقتر قدره ﴾
٤٣٧	٣١	﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾
١٩٢	٢٣٨	﴿ وقوموا لله قانتين ﴾
٦٥٣	١٣٥	﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾
٦٧٢،٤٤٢،٣٨٦	٢٣٧	﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾
٢٥٤،٣٢	١٧٩	﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾
٢٧١	١٠٢	﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾
٤٢٠	٢١	﴿ وما يضلّ به إلا الفاسقين ﴾
٥٤٨	٢٢٨	﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾

٦٤٨	٩٨	﴿ وملائكته وجبريل وميكال ﴾
٤٩٤	٩٨	﴿ وملائكته وكتبه ورسله ﴾
٦٥٧	١٤٩	﴿ ومن حيث خرجت ... ﴾
٦٦٨	١٢٤	﴿ ومن ذريتي ... ﴾
٢٠٢	٣٠	﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾
٢٤١	٢٣٣	﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ﴾ الآية
٥٧٤	١٥	﴿ ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾
٦٦٣، ٥٩٥	١٨٥	﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾
٦٠٠	٢٥٥	﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾

سورة آل عمران

١٩٥	٦٨	﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾
٥٠٥	٣٧	﴿ أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾
٥٦٦	١٧٨	﴿ إنما غلبي لهم ليزدادوا إثماً ﴾
٢٨	٥٩	﴿ خلقكم من تراب ﴾
٤٧١	١٩٣	﴿ ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ﴾
٤٦١	١٩١	﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾
٥٦٢	١٨	﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ﴾
٤٩٠	١٨٧	﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾
٥٠٨	١٨٦	﴿ لتبلون في أموالكم ﴾
٥٣٨	٩٧	﴿ من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾
٥٩٧	٣٥	﴿ نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾
١٥٣	٢٠	﴿ وإن تولوا فإنا على البلاغ ﴾
١٧٠، ٥٣	٧	﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به ﴾
١٧٧	٧٢	﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل ﴾ الآية
٦٩٨	٩٧	﴿ والله على الناس حج البيت ﴾
٥٩٧	٣٦	﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾
٣٧٦	١٠٤	﴿ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾

سورة النساء

٥٠٦	١٩٨	﴿ أن يصلحا بينهما صلحا ﴾
٥١٩	٦٩	﴿ أولئك مع الذين أنعم الله عليه من النبيين ﴾
٢٢٥	١٦٥	﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة ﴾
٦٠٣	٧٨	﴿ فما هؤلاء القوم ... ﴾
١٠٤	١٥٨	﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾
١٣٣	٩٤	﴿ لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم ترعمون ﴾
١٨٢	٥٦	﴿ ليدوقوا العذاب ﴾
٢٣	٢	﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾
٨١	٣٦	﴿ والجار ذي القربى ﴾
٥٤١	٥٤	﴿ وآتيانهم ملكاً عظيماً ﴾
٩٦	١٢٨	﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾
٣٩٠	٥٠	﴿ وكفى به إثماً مبيناً ﴾
٥٢	١٦٤	﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾
٤٧٢	١٠٤	﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾
٥٩٦	٦٤	﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾
٥٠٩	٤٨	﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى ﴾
٥٣٦	٦٩	﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾
٦٦٣	٩٣	﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾
٤٨٠	١١	﴿ وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾

سورة المائدة

١٦٤	٦	﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾
١٥٨	٥٤	﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾
١٥٦	٩٢	﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾
٣٦٩	٣١	﴿ فبعث الله غرابة يبعث في الأرض ﴾
٥٦٣	٥٨	﴿ وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً ﴾
٦٧٢	٧١	﴿ وحسبوا أن لا تكون فتنة ﴾
٥٩٨	٦٤	﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾

٧٠١	٦٦	﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ﴾
٣٥٧	٥٤	﴿ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ﴾

سورة الأنعام

٣٦١	١١٧	﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾
٢٣٢	٢٩	﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا ﴾
٤٤٦	١١٧	﴿ بديع السموات والأرض ﴾
٣٨٤	١٢٨	﴿ خالدين فيها إلا ما شاء الله ﴾
٤٦	٤٥	﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾
٦٣٦	١٠٨	﴿ فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾
٥٢٣	٣٢	﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك الآية ﴾
٢٣٤	١٥١	﴿ لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾
٥٣١	٧١	﴿ له أصحاب يدعوونه إلى الهدى انتنا ﴾
٢١٢	١٢	﴿ ليجمعنكم إلى يوم الجمع لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم ... ﴾
١٨٦	١٢٩	﴿ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ﴾
٢٦٠	١٠٠	﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾
١٩٠	١٤٦	﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾
٢٧٩	٥١	﴿ وأنذر به الذين يخافون ﴾
٣٤٦	١١٥	﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته ﴾
٣٩٤	٢٥	﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾
٤٢٠	١٠٠	﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾
٢٩٩	١٦٥	﴿ ورفع بعضهم فوق بعض درجات ﴾
٤٨٦	١١٢	﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن ﴾
٢١٥	١٢٩	﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾
٣٥٢	٣٨	﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾
٥٧٦	٩٤	﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾
٣٩٤	٣٥	﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾
٥٥٤	٩٣	﴿ والملائكة باسطوا أيديهم ﴾
٣٦٩	٣٦	﴿ والموتى يعثهم الله ﴾

﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء ﴾

٩٩

٤١٢

سورة الأعراف

٣٣٥	١٢٨	﴿ استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء ﴾ الآية
٩٣	١٣٣	﴿ إلى فرعون وملأه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾
٢٦٣، ١٥٠	١٧٩	﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾
٦٧٢	١٤٨	﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ﴾
٤٣٦	١٨٥	﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾
٧٠٣	١٣٢	﴿ أولم يهد للذين يرثون الأرض ﴾
٩٢	١٤٦	﴿ الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق ﴾
٩٢	١٤٦	﴿ سأصرف عن آياتي الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق ﴾
٢٧١	١١٦	﴿ سحروا أعين الناس ﴾
٥٣١	١٥٦	﴿ عذابي أصيب به من أشاء ﴾
٦٦٨، ٣٧٨	٤	﴿ فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون ﴾
٥٩٤	٢	﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾
٥٦١	٧٠	﴿ قالوا أجنبتنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾
٣٥٠	٣٣	﴿ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾
١٥٥	٢٠٢	﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾
٦٦٦	١٦١	﴿ وقولوا حطة ﴾
٦١٦	١٧٦	﴿ ولكنه أدخل إلى الأرض ﴾
١١٣	١٠	﴿ ولقد مكناكم في الأرض ﴾
٣٨٤	٨٩	﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ﴾
٦٦٦	١٤٢	﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾
٧٤	٢٦	﴿ يوارى سواكم وريشاً ولباس التقوى ﴾

سورة الأنفال

١٤٢	٤٩	﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾
٦٦٣	٦٧	﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾
٤٣٦	٦٠	﴿ لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾

٢٢٠	٣٢	﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾
٥٢	٥١	﴿ليس بظلام للعبيد﴾
٤٩٧	٤٢	﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾
١٧	٤٢	﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾
٨١	٤٨	﴿وقال إني جار لكم﴾
٤٥١	١٧	﴿وما رميت إذ رميت﴾
١٠٠	١٣	﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾

سورة التوبة

١٦٠	١١٢	﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴾
٥٣٤	١١٢	﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾
٥٨٤، ٤٨٣	٩٢	﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع حزناً﴾
٣٨٠	٤٠	﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾
١١٧	٢٥	﴿ثم وليتم مدبرين﴾
٢٧٩	١٢٨	﴿حريص عليكم﴾
١٣٠	٦٧	﴿النافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾
٣٢٨	١٢٨	﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾
٣٨٦	٦٧	﴿نسوا الله فسيهم﴾
٣٢٠	٥٥	﴿وتزحق أنفسهم وهم كافرون﴾
٥٣١	١١٤	﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾
١٠٠	٦٣	﴿ومن يخادد الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾
٣٧٥	١١٢	﴿والناهون عن المنكر﴾
٩٥	٦١	﴿ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم﴾ الآية
٦٦٣	٧٢	﴿يريدون ليطفنوا نور الله﴾

سورة يونس

٩	١	﴿المر . تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً﴾ الآية
١١١	٤	﴿إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا إنه يبدو الخلق﴾ الآية
١٨٠	٣٤	﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾

٢٧٤	٤	﴿ إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا ... ﴾
٣٥٤	٣٤	﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ... ﴾
٩١	٤	﴿ ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ الآية
٦٦	٥٠	﴿ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾
٦٥٣	٧١	﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾
٦٦٢، ٦٣٢	٥٨	﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾
٥٧	٤٩	﴿ فلا تكوننن من الممترين ﴾
٤٦٦	١٥	﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾
٤١٥	٢٤	﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ﴾
٢٩٧	٣٦	﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ﴾
٤١٧	٢٢	﴿ وهو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾

سورة هود

٤٨٢	٧٢	﴿ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ﴾
٣٨	٦٩	﴿ إنا منكم وجلون ﴾
٦٦١	٨٧	﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾
٥٧٧	٩٩	﴿ بنس الرفد المرفود ﴾
٤٩٢، ٤١٣	٨٦	﴿ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾
٦٥٤ الحجر ٦٥	٨١	﴿ فأمر بأهلك بقطع من الليل ﴾
٦٦٣	١٠٧	﴿ فعال لما يريد ﴾
٣٨٢	١٠٩	﴿ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون ﴾
١٨٢	٩	﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ﴾
٥٦١	١١٣	﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ... ﴾
	٧٣	﴿ وهذا بعلي شيخا ﴾

سورة يوسف

٤٣٩	٩٩	﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾
٦٩٩	٥٠	﴿ إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾
٥٩٥، ٢٩٠	٢	﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا ﴾

٦٨٢	٤٣	﴿ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾
٤٣٨	٣٥	﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه ﴾
٣٥٩	٢٠	﴿ دراهم معدودة ﴾
٥٨١	١٩	﴿ فأرسلوا واردهم ﴾
٥٤٣	٣١	﴿ ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾
٦٨١	٢٣	﴿ هيت لك ﴾
١٨٩	٨	﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾

سورة الرعد

٤١١	٢٤	﴿ فنعم عقبى الدار ﴾
٣٤٦	١١٥	﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ﴾
٤٣٢	١٠	﴿ وسارب بالنهار ﴾
٢٦٧، ١١٩	١٥	﴿ والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها ﴾ الآية
٤٠٦	٣١	﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ﴾
٢٢١	٣٩	﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت ﴾

سورة إبراهيم

١٥٥	٢٢	﴿ إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾
٩	١٤	﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾
٤٦٢	١٨	﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد ﴾
٤١٦	٤٨	﴿ وبرزوا لله الواحد القهار ﴾
٤٠٢	٧	﴿ ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾

سورة الحجر

٥٩٣	٥٨-٥٧	﴿ إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾
٢١٤	٤٢	﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾
٢٧١	١٥	﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾
٦٦٨	٦٥	﴿ واتبع أديبارهم ﴾
٦١٤	٩٩	﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾

٣٨٢	٥٥	﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرة منه ﴾
٦١٦	٨٧	﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾
٣٧٦	٤	﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾

سورة النحل

١٧٨	١١٩	﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ﴾
١٣٨	٩٨	﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾
٩٣	٢٩	﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾
٢٠٤	٥١	﴿ لا تتخذوا الهين اثنين ﴾
١٧٩	١٠٩	﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾
٣٥٤	١٣٧	﴿ ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾
٢٦٧	٤٩	﴿ والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة ﴾
٢٨٤	٥٣	﴿ وما بكم من نعمه فمن الله ﴾
٥٢١	٦٢	﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾
١٨٥	٦٢	﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ﴾

سورة الإسراء

٢٧٢	٤٧	﴿ إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾
٥٨٤	٤٤	﴿ تسبح له السموات السبع ﴾
٢٩٩	٦٦	﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر ﴾
٦١	١	﴿ سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ﴾
٣٠٣	٧١	﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه ﴾
٦٦٨	٤٥	﴿ وإذا قرأت القرآن ... ﴾
١١	١٧	﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ﴾
٢٥٦	٣٥	﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾
٦٥	١١	﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾
٤٩٥	٦٧	﴿ وكان الإنسان كفوراً ﴾
٢٠٩	٦٠	﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾
٢٠٤	٧٩	﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾

٨٥

٥٤٤،٦٨

سورة الكهف

٤٦١	١١٢	﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي ... ﴾
٤٥٠	٧٩	﴿ أما السفينة فكانت لمساكين ﴾
٣٥٤	١١-٧	﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾
٣٩٨	٣١-٣٠	﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾
٤٤٢	٦٣	﴿ إني نسيت الحوت ﴾
٣٥٩	١٢	﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾
٤٥٨	٩٣	﴿ حتى إذا بلغ بين السدين ﴾
٤٥٦	٩٠	﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس ﴾
٣٤٥	٥-١	﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ... ﴾
٤٦١	١٠١	﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى ﴾
٤٣٨	٦٩	﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾
٣٥٩	٢٥	﴿ سنين عدداً ﴾
٤١١	٦٤	﴿ فارتدا على آثارهما قصصاً ﴾
٤٤١	٧١	﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة ﴾
٦٧٢،٤٤٢،٣٨٦	٦٣	﴿ فإني نسيت الحوت ﴾
٥٩٤،٣٥٣	٦	﴿ فلعلك باخع نفسك ... ﴾
٤٤٣	٧٦	﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾
٤٣٧	٦٨-٦٧	﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾
٤١١	٧٣	﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ﴾
٤٠٣	٣٧	﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره ﴾
٤٥٨	٩٤	﴿ قالوا يا ذا القرنين ﴾
٤٣٥	٦٦	﴿ قال له موسى هل أتبعك ... ﴾
٤٤٩	٧٨	﴿ قال هذا فراق بيني وبينك ﴾
٤٦٥	١٠٩	﴿ قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي ﴾
٢٢٧	٥٠	﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾
٤٤٢،٣٨٦	٣٧	﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾

٤١٣	٤٦	﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾
٣٦٣	١٥-١٣	﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية ﴾
٤٠٨	٤٤	﴿ هنالك الولاية لله الحق ﴾
٤١١، ٤٠٨	٤٤	﴿ هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾
٤٦٥، ٤٦٣	٢٧	﴿ واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك ﴾
٤٦٥	١٨	﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾
٣٦٨	١٨	﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ﴾
٤٦١	٩٩	﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾
٢٦٦	٩٣	﴿ وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قرأاً ﴾
٤٠١	٣٦-٣٥	﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾
١٨٠	٤٥	﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ﴾
٣٩٩	٣٤-٣٢	﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾
٣٧٢	٢١	﴿ وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ﴾
٣٦٩	٢٠	﴿ وكذلك بعناهم ليتساءلوا بينهم ﴾
٣٨٣	٢٤	﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ﴾
٤٠٦	٤٠-٣٩	﴿ ولو لا إذ دخلت جنتك ﴾
٤١٨	٤٩	﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين ﴾
٤١٥	٤٨	﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ﴾

سورة مريم

٥٢٣	٤٤	﴿ إن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾
٣٤٥	٩٣	﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾
٩٧	٣٧	﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾
٤٥٢	١٩	﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك ... ﴾
٣٨٣	٣٤	﴿ قول الحق الذي فيه يمترون ﴾
٣٧٤	٤٦	﴿ لأرجنك وأهجرني ملياً ﴾
٣٧٨	٦٦	﴿ لسوف أخرج حياً ﴾
٥٨١	٧١	﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾
٥٩	٣١	﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ﴾

٦٣٧	٣٣	﴿ والسلام علي يوم ولدت ﴾
٤١٨، ١٥٢	٦٢	﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾
٥٦٣	٦٦	﴿ ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾
٦٧٣	٤٢	﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ... ﴾
٤٩٥	٢٨	﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ﴾

سورة طه

٢٦٥	٥	﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾
٦٨٧	١	﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾
٢٨٩	٩٧	﴿ فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ﴾
٧٠٠	١٢٤	﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾
١٩٣	٧٨	﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾
١٩١	١١٧	﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾
٦٦٨	٨٥	﴿ قال فإنا قد فتنا قومك ... ﴾
٥٤	١٣١	﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾
٦٨٨	٤٤	﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾
٧١٠	٢	﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾
٦٨٨	١٤	﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾
٦٨٧	١٣٢	﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾
٣٣٠	٥٩	﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾
٦٦٥، ٦٤	٨٤	﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾
٧٠١	١٢١	﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾
٦٨٧	١٣١	﴿ ولا تمدن عينيك ﴾
٤١٥	١١٥	﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل ﴾
٦٨٧، ٦٨٠	١٢٤	﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ﴾
٢٧١	٦٦	﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾
٦٠٠	١١٠	﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾

سورة الأنبياء

٢٣٦	٦٧	﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾
٦٦٥، ٦٥	٣٧	﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾
٤٨٢	٨٩	﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾
٢٦٥	٢٢	﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾
٢٠٢	٣٣	﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾
٥٤	٤٨	﴿ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء ﴾
٢٧٦	١٠٥	﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾
٦٠٨	١٠٤	﴿ يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب ﴾

سورة الحج

٥٠٧	٥	﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾
٥٣	٣٠	﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾
١٤٨	٤٧	﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾

سورة المؤمنون

٤٥٨	٧٢	﴿ أم تسألهم خرجاً ﴾
٢٤٩	٦	﴿ فإنهم غير ملومين ﴾
٦٨٣	١١٢	﴿ قال كم لبثتم في الأرض ... ﴾
٣٢٩	٨٣	﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ﴾
١٤٧	١١٧	﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ﴾
٨١	٨٨	﴿ وهو يحير ولا يحار عليه ﴾

سورة النور

٥٩٨	١٦	﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾
٤٣٨	٢٦	﴿ الطيبات للطيبين ﴾
٦١٤	٣٧	﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾
٤٦٢	٣٩	﴿ والذين كفروا أعماهم كسراب ﴾
١١٣	٥٥	﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الآية

سورة الفرقان

٥٧١	٢٤	﴿ أذالك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون ﴾
٢٦٧	٦	﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ﴾
٢٧٢، ٢٧٠	٧	﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴾
٤٨٣	٥٤	﴿ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾
٥٤١	٧١	﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾
٣٣٣، ١٥٨	٦٧	﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾
٥١٧	٣٧	﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾

سورة الشعراء

٢٧٢	١٥٣	﴿ إنما انت من المسحرين ﴾
٤٠٥	١٦٨	﴿ إني لعملكم من القالين ﴾
٥٣٢	٨٣	﴿ رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ﴾
٥٩٤	٢-١	﴿ طسم . تلك آيات الكتاب المبين ﴾
٦٧٣	٧٢	﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ﴾
٣١٣	٧	﴿ كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾
٥٩٤	٣	﴿ لعلك باخع نفسك ﴾
٢٧٢	١٥٤	﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا ﴾
٤٦٤	١٩٣	﴿ نزل به الروح الأمين ﴾
٨٠	٨٠	﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾
٥٦٣	١٠	﴿ وإذا نادى ربك موسى أن انت القوم الظالمين ﴾
٥٢٩	٨٦	﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾
١١	٢٠٨	﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾
٣٢٣	٢٣	﴿ وما رب العالمين ﴾
٢٧١	١٢١	﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾

سورة النمل

٤٣٦	٢٢	﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾
-----	----	------------------------

٣٥٥	٦٠	﴿ حدائق ذات بهجة ﴾
٦٣٤	٨٨	﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾
٤٣٦	٤٠	﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾
٥٦	٤٩	﴿ قالوا تقاسموا بالله لنيبته وأهله ﴾
٢٨	٤٠	﴿ كن فيكون ﴾
٣٢٩	٦٨	﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾
٤٦٤	٩٢-٩١	﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾
١٣٧	٢٣	﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾
٥٢٣	١٤	﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾
٥٢٨، ٣٩٥	١٥	﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما ﴾
٤٨٠	١٦	﴿ وورث سليمان داود ﴾

سورة القصص

٦٦٢	٧٦	﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾
٦٣٣	٢٩	﴿ إني أريد أن أنكحك ﴾
٩٧، ٩٢	٨	﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾
٢٩٣	٨١	﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾
٣٢١	٧٦	﴿ ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة ﴾
٤١٦	٢٩	﴿ وسار بأهله ﴾
٤١١	٨٣	﴿ والعاقبة للمتقين ﴾
٥٨١	٢٣	﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾

سورة العنكبوت

٤٦٤	٤٩	﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾
٢٩٤	٦٥	﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾
٤١	٣٢	﴿ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية ﴾
٤٦٧	٥	﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت ﴾
٧٠٧	٦٤	﴿ وما هذه الحياة الدنيا ﴾

سورة الروم

٧٠٣	٩	﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا ... ﴾
٢١٦	٤٢	﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾
٥٨	١	﴿ وهم من بعد غلبهم سيفلون ﴾
٦٨٣	٥٥	﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ﴾
٥٨	٤٣	﴿ يومئذ يصدعون ﴾

سورة لقمان

١٠٢	١٣	﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾
٦١٢	٣٤	﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾
٣٧٥	١٦	﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾
٤٢١	٢٥	﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ﴾
٤٦٣	٢٧	﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ﴾

سورة السجدة

٤٤٢، ٣٨٦	١٤	﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾
٣٤	١٣	﴿ ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾
١٢٣	٩	﴿ ولهم عذاب واصل ﴾
٣٩٤	١٣	﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾

سورة الأحزاب

٦٦٣	١٣	﴿ إن يريدون إلا فرارا ﴾
٢١٢	٢١	﴿ أسوة حسنة ﴾
٤٠٤	٥٦	﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾
١٨٨	٤	﴿ ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾
٤٩٥	٤٠	﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾
٤٦٤	٣٤	﴿ واذكرون ما يتلى في بيوتكن ... ﴾

٣٦٩	٢٦	﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾
٥٢٤	٤	﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾
٣٥٩	٢٢	﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب ﴾

سورة سبأ

٢٧٢	٤٣	﴿ إن هذا إلا سحر مبين ﴾
٣٠٧	٣٧	﴿ أولئك لهم جزاء الضعف ... ﴾
٢٠٣	١٨	﴿ سيروا فيها ليالي ﴾
١٣٠	٣١	﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾
١٤٠	٦٨	﴿ ومن نعمده نكسه في الخلق ﴾
٤٦١	٤٠-٤١	﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ﴾

سورة فاطر

٦٣٤	١٠	﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾
٥٦٥	٣٧	﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾
٥٩٤، ٣٥٣	٨	﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾

سورة يسر

٦٦٣	٨٢	﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً ... ﴾
٧١	٧٧	﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ﴾ الآية
٥١٠	٧٩	﴿ قال من يحي العظام وهي رميم ﴾
١٨٠	١٣	﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية ﴾

سورة الحافات

٥٤	٢٢	﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾
٢٨٧	٦٥-٦٦	﴿ طلعتها كأنه رؤوس الشياطين ﴾
٥٢٠	٣٧	﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾
٢٠٢	١٤٣	﴿ فلو لا أنه كان من المسبحين ﴾
٤٢٠	١٥٨	﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴾

﴿ويقتذفون من كل جانب . دحورا﴾ ٩ ٢٣٠

سورة ص

﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ ٦٣ ٣٥٦
﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ ٢٩ ٤٦٤، ٢٦٤

سورة الزمر

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ ٢٢ ٦٢٥
﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾ ٩ ٧٠٤
﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ٣٠ ٩١
﴿حققت كلمة العذاب على الكافرين﴾ ٧١ ٤٣
﴿فرآنا عربياً غير ذي عوج﴾ ٢٨ ٤٦٤
﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ ٦٧ ٢٩٢
﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ ٦٧ ٦٠٨
﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ ٧١ ٥٦٠
﴿وفتحت أبوابها﴾ ٧٣ ٣٧٥
﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ٧٥ ٤١٠
﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون﴾ ٢٧-٢٨ ٣٤٦
﴿يا عباد فاتقون﴾ ١٦ ٢١٤
﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾ ٦ ٦٠٥

سورة فاطر

﴿إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ ٢٦ ٦٥٣
﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ ١٦ ٥١٩
﴿وما أهديكُم إلا سبيل الرشاد﴾ ٢٩ ٦٦٢
﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء﴾ ١٥ ٦٨

سورة فحات

﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ ٤٤ ٤٧١

٢١٤	١٢	﴿ ففَضَاهُن سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾
٣٣٧	٤٢	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾
٣٢٨	١٤	﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾
٤٧٩	٢٨	﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾
٤٠٢	٥٠	﴿ وَلَنَنْزِلَنَّهُ رِجَّةً مِّنَّا ﴾
٢١٤	٤٦	﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

سورة الشورى

١٩٩	٤٠	﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾
٥٩٨	١٢	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
١٠٤٨٨	٤٠	﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾
١٩٣	١٣	﴿ يَجْتَبِي مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

سورة الزخرف

٦٣٨	٥٢	﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾
٤٦٤	٢	﴿ حَمِّ . وَالْكِتَابِ الْمَبِينِ ﴾
٧١٠	٨٩	﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾
٣٩٩	٥٣	﴿ فَلَوْ لَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ﴾
٥٩٨	١٢	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
٧٠١	٣٢	﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾
٥٣٢	٤٤	﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمُكَ ﴾
٦٤١	١٠	﴿ وَلَنَنْسَأَلَنَّهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ ... ﴾
٢٧١	١٢١	﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾

سورة الدخان

٥٥٢	٤٧	﴿ خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ ﴾
٣٨٤	٥٦	﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾
٦٠٩	٣٢	﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ ... ﴾
٥٥٥	٣٠	﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾

سورة الجاثية

٥٥٣	٤٧	﴿ ترى كل أمة جاثية ﴾
٦٠٣	٦	﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾
٤٩٧	٢٢	﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ﴾
٩٣	٣٧	﴿ وله الكبرياء في السموات والأرض ﴾
٦٨٠	٨	﴿ ويل لكل أفاك أثيم ﴾
٤٦٤	٢٩	﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾

سورة الأحقاف

٥١	١	﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾
٤٦٤	٢٩	﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ﴾
٤٣٣	١١	﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾
٣٢	١٥	﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾

سورة الفتح

١٥٨	٢٩	﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾
١٦٣	١٠	﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾
٤٣٩	١٦	﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾
٥٣٧	٢٩	﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ﴾
٥٣٧	٣٩	﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾

سورة الحجرات

٤٣٦	١٦	﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾
٥٩٢	٢	﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾
٥٣٤	١١	﴿ ولا تنازروا بالألقاب ﴾

سورة ق

٦٨٥	٤١	﴿ واستمع يوم ينادي المنادي ﴾
-----	----	------------------------------

سورة الذاريات

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ٥٦ ١٥٠

سورة الطور

﴿ وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحب مرموم ﴾ ٤٤ ٣٢٦

سورة النجم

﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أن وآباؤكم ﴾ الآية ٢٣ ٥٤٧
 ﴿ ثم دنى فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ ١١-٨ ٢٠٤
 ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ ٦٢ ١١٩
 ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ٣٩ ٢٣٢
 ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ ٣ ٣٨٤، ٥٩٨، ١٥٦

سورة القمر

﴿ اقتربت الساعة ﴾ ١ ٦٦
 ﴿ فتول عنهم يوم يدع الداع ﴾ ٦ ٦٨٥

سورة الرحمن

﴿ الرحمن . علم القرآن ﴾ ٢-١ ٤٦٥، ٤٣٦
 ﴿ فكانت وردة كالدهان ﴾ ٣٧ ٥٨١

سورة الواقعة

﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ ٨٩ ٤٩٢
 ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ ٥٥ ٣٩٩
 ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسـم لو تعلمون عظيم ﴾ ٧٥ ٥٢١
 ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ ١٩ ٥٨
 ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ ٨٢ ٥٨٥، ٤٠٢، ٧٠

سورة الحشر

٤١١	١٧	﴿ فكان عاقبتهما أنها في النار ﴾
٥٨	١٣	﴿ لأنتم أشد رهبة ﴾
٣٨٦	١٩	﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله ﴾

سورة الممتحنة

٥٣٠	١	﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم ... ﴾
-----	---	--

سورة الصف

٣٥١	٣	﴿ كبر مقتا عند الله ﴾
٧	٥	﴿ وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ﴾

سورة التغابن

٦٠٠	٤	﴿ يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾
-----	---	------------------------------

سورة الطلاق

٤٦٤	١	﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾
-----	---	---------------------------------

سورة التحريم

٣٧٦	٥	﴿ ثيبات وأبكارا ﴾
٧٠٥	٤	﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾
٤٣٩، ١٤٥	٦	﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾
٦٠٣	٣	﴿ وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴾

سورة المائدة

٣٧٤	٥	﴿ رجوماً للشياطين ﴾
٦٠٠	١٣	﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به ﴾

سورة القلم

٥٦٦	٤٤-٤٥	﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾
٢٠٧	٣	﴿ وإنك لعلی خلق عظیم ﴾
٤٠٦	٥١	﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾

سورة الحاقة

٣٠٨	٤٢	﴿ قليلا ما يؤمنون ﴾
-----	----	---------------------

سورة الجن

٤٦٤	٢	﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾
١٣٩	٩	﴿ شهاباً رصداً ﴾
٤٥٧، ٣٣٧	٢٨	﴿ وأحاط بما لديهم ﴾
٣٥٩	٢٨	﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾
٥١٦	١٨	﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾

سورة المزمل

٥٩٤	٥	﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقیلاً ﴾
٧٠٤	٦	﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطناً ﴾
٢٠٢	٧	﴿ إن لك في النهار سبْحاً طويلاً ﴾
١٥٩	٢٠	﴿ علم أن لن تحصوه ﴾
٥١٧	١٧	﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾

سورة الممتحنة

٤٥٧	٣١	﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾
-----	----	------------------------------

سورة الإنسان

٣٩٩	٢١	﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾
٣٥٤	٣٠	﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾

سورة المرسلات

٦٤٢	٢٥	﴿ ألم نجعل الأرض كفافاً ﴾
٧٠	٢٠	﴿ فقدردنا فنعم القادرون ﴾
٩	٧٧	﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ﴾

سورة النبأ

٤١٧	٢٠	﴿ وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴾
٢	٤٠	﴿ يا ليتني كنت تراباً ﴾

سورة الفاتحات

٥١٩	٤٥	﴿ إنما أنت منبذ من محضلات ﴾
٦٤٠	٢٤	﴿ فحشر فنادى فقال أن ربكم الأعلى ﴾
٦٣٥	١٨	﴿ فقل هل لك إلى أن تركي ﴾
٢٣١	٤٠	﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾
٢٠٢	٣	﴿ والسابحات سبحاً ﴾
١٦٠	٤٠	﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾

سورة مجسر

٢٧٩	٤٥	﴿ إنما أنت منبذ من محضاتها ﴾
-----	----	------------------------------

سورة التكوير

٤١٧	٣	﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾
-----	---	----------------------

سورة الإنشقاق

٤٠١	١٤	﴿ إنه ظن أن لن يحور ﴾
١٣٨	٦	﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ﴾ الآية

سورة الأمل

٦٧٢، ٤٤٢، ٣٨٥	٦	﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾
---------------	---	---------------------

سورة الغاشية

٤٦٢	٣	﴿عاملة ناصبة﴾
٦٠٣	١	﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾

سورة الشمس

٢٨	١٣	﴿ناقة الله وسقياها﴾
----	----	---------------------

سورة الليل

٣٤٩	١٤	﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾
-----	----	----------------------

سورة الزخرف

٤٠٥	٣	﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾
٦٥٢	٥	﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾

سورة الحلق

٥٦٣	١٧	﴿فليدع نادية﴾
-----	----	---------------

سورة المينة

٧٠٦	٨	﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾
-----	---	---------------------------

سورة القارعة

٧٠١	٧	﴿فهو في عيشة راضية﴾
-----	---	---------------------

سورة العصر

٢٣١	٢	﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾
-----	---	-------------------------------

سورة الجمزة

٤٩٠	٤	﴿كلا لينبذن في الخطمة﴾
-----	---	------------------------

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

- أتدرون ما هذان الكتابان ٣٤ عمرو بن العاص
- (اتقوا فراسة المؤمن) ٤٩ أبو سعيد الخدري
- (اتلوا القرآن وابكوا) ٥٣٧ سعد بن أبي وقاص
- (أجل إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله فيها ٤٧٨ خباب بن الأرت
- ثلاثا ... الخ)
- (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ... الخ) ١٥٨ أبو هريرة
- (إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا) الخ ٦٣١، ٥٨٧ أبو هريرة
- (إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة وذ الذين ٥ أبو هريرة
- كفروا لو كانوا مسلمين)
- (أرحنا بها يا بلال) ٣٢٤ عن رجل من أسلم
- (استحيوا من الله حق الحياء ... الخ) ٢٣١ ابن مسعود
- (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة) ثوبان ١٥٨
- (استقيموا ولن تحصوا) ٣٦٠
- (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ١٥٦ ابن المسيب
- (أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة) ٥٦٥ أبو هريرة
- (أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل ...) ٤٦٦ ابن عباس
- (اعلموا معاشر اليهود أن الآيات التي أوتي موسى ... الخ) ٣٣٣ صفوان بن عسال
- (أعوذ بكلمات الله التامات ...) ٤٦٥
- (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ... الخ) ١٦٩ جبير بن مطعم
- (أكفنوا القذور ...) ٧٧ البراء بن عازب
- (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات) الخ ٥٤٦ أبو هريرة
- (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ...) ٧٦ المقداد بن معد يكرب
- (أما إنكم سترون ربكم ...) ٤٦٧ جرير بن عبد الله
- (أمر أبو بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً) ٣٤١ ابن عباس
- (أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعرفجة بن أسعد ٣٧١
- باتخاذ أنف من ذهب)
- (إن أخوف ما أخاف عليكم) ٧٠٧ أبو سعيد

- (إن أخي استطلق بطنه ... الخ) أبو سعيد الخدري ١٣٩
- (إن الدنيا حلوة خضرة) أبو سعيد ٧٠٨
- (إن رسول الله خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر ... أبو قتادة ٦٠١
- (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ٣٢٤
- (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) أبو بكر ٤٧٩
- (أن تعبد الله كأنك تراه) أبو هريرة ٣٢٤
- (إنت ومالك لأبيك) ابن عمرو بن العاص ٢٤١
- (إن الحبارى تموت هنزلاً بذنب ابن آدم) أنس ١٢٨
- (انعت لي) قتادة ٤٦٠
- (إنك امرؤ فيك جاهلية ... الخ) أبو ذر ١٤١
- (إن لله تسعة وتسعين اسماً ...) ٣٥٩
- (إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة) أنس ١٩٢
- (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم ... الخ) أبو هريرة ٢٥٦
- (إن الله تعالى قرأ طه) أبو هريرة ٦٨٧
- (إن الله جميل يحب الجمال) ٧٣
- (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان) ابن عباس ٣٨٦
- (إن الله يحدث من أمره يشاء) ابن مسعود ٤٦٤
- (إنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى استغدت قدماه) ٥٩١
- (إنه صلى الليل حتى تورمت قدماه) ٥٩٤
- (إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم ذكراً) الخ أبو موسى الأشعري ٣١٥
- (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن عمر بن الخطاب ١١٣
- (إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر) أبو هريرة ٢٢١
- (كانت هجرته إلى الله ورسوله ...)
- (إن من أبر البر...) ابن عمر ٢٤٢
- (إنها أيام أكل وشرب) خدامه صلى الله عليه وسلم ١٨١
- (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين) معاوية بن الحكم ١٩٢
- (إنهم كانوا يسمعون بأنبيائهم والصالحين قبلهم) أبو ذر ٥٣٣
- (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء ... الخ) أبو ذر ٣٠٠

- (أوثق عليك نفقتك ٣٧١ أنر عن عائشة
- (أول ما خلق الله القلم ٢٢٢ عبادة بن الصامت
- (أول ما يحاسب به العبد صلاته ... الخ) ١٥٩ أبو هريرة
- (أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون ...) ١٥٧ عائشة
- (بيننا أنا في الخطيم مضطجع إذ أتاني آت) ٢٠٨ أنس بن مالك
- (تصدق به على نفسك) الخ ٥٣٥ أبو هريرة
- (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ... الخ) ٣٤٦ أبو هريرة
- (تمسحوا بالأرض فإنها أم بارة) ٦٤٢
- (حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها) ١٣٥ ابن عباس
- (الخراج بالضمان) ٤٥٩ عائشة
- (خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة) ٢٢٨ سويد بن هيرة
- (خير الناس رجل تمسك بعنان فرسه كلما سمع هيلة ٥٧٤ أبو سعيد الخدري
- أو فزعة طار إليها)
- (خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور ٢١٩ جابر
- محدثاتها ...)
- (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ٣٢٠ ابن مسعود
- وحول البيت ... الخ
- (ذلك محض الإيمان) ٣٥٣ ابن مسعود
- (ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ٢٩٦
- روى أن امرأة حسناء ... الخ ٢٦ ابن عباس
- (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود ٣٢٤ أبو هريرة
- فقال : هو الشفاعة)
- (سلمان منا أهل البيت) ١٥١ علي بن أبي طالب
- (ضمن الله لمن اتبع القرآن ...) ٦٩٩ ابن عباس
- (كان صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من ٣٤٣
- بني عبد المطلب علمه هذه الآية
- (العجلة من الشيطان) ٦٦٥ (الترمذي)
- (علمت مريم أن التقي ذو نهية حين قالت : ﴿إن ٤٩٣ أبو وائل
- كنت تقيا﴾

- (عند مجمع البحرين ما يقرب منه..)
- ٤٢٩ أبي بن كعب
- (عليكم بالشفائين العسل شفاء... الخ)
- ١٣٩ ابن مسعود
- (غير مخلوق)
- ٤٦٤ اثر عن ابن عباس
- (فلما قضى رسول الله... أي صلاة الصبح...)
- ٦١١ أبو هريرة
- (فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رءوسهم)
- ٦٦ ابن عباس
- (قام موسى خطيباً في بني إسرائيل...)
- ٤٣٧ سعيد بن جبير
- (قد أوتيت بالبراق)
- ٢٠٩ أنس بن مالك
- (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرعه أمر بادر
- ٦١ حذيفة
- إلى الصلاة
- (كان على موسى يوم كلمه الله سراويل...)
- ٦٠٧ ابن موسى
- (كأنهم تقالوها)
- ٦٨٣ (البخاري)
- (كان يخلو بغار حراء)
- ٣٥٩ عائشة
- (كل مولود يولد على الفطرة...)
- ٣١٥
- (كنا مع رسول الله في سفر فجعل الناس يجهرون...)
- ٦٠٠ أبو موسى
- (كنت جالساً عند علي رضي الله عنه إذ جاءه ابن طلحة
- ٣٧ (الحارث الأعور)
- (كنت قينا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل
- ٥٧٣ خباب بن الأرت
- دين) الخ
- (لا أزيد على هذا ولا أنقص
- ١٥٨ طلحة بن عبيد الله
- (لا تأكلوا ثمن السحت ...)
- ٨٢ عكرمة
- (لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذنين
- ٥٠ ابن عمر
- (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم)
- ١٥٧ سهل
- (لا تشركوا بالله شيئاً
- ٢٦٣ صفوان
- (لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل)
- ٣١٧ ابن عمرو
- (لا عيش إلا عيش الآخرة...)
- ٧٠١ أنس بن مالك
- (لا نعشر ولا نحسر ولا نجبي
- ٣٠٤ ابن عباس
- (لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد)
- ٤٢٨ أبو هريرة
- (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء)
- ٨٢
- (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم)
- ٥٤٦ أبو هريرة
- (لست بنبي الله، ولكني نبي الله)
- ٥٣٣ أبو ذر

- (اللهم أعلم بما كانوا عاملين) أبو هريرة ٤١٩
- (اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا الخ) ابن عمر ٢٥
- (اللهم انشدك عهدك ووعدك) ابن عباس ٢٨٢
- (اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر) عبد الله بن جرجس ٤٠١
- (لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة : يارب خلقتهم يأكلون ... الخ) جابر ٢٩٧
- (لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة) أنس ٥٣٦
- (اللهم غفرا) اثر عن عمر ٤٥٣
- (لم تكن سيئة الخلق حين حملتك) ابن عمر ٢٤٢
- (لو أن يسيره الله على لسان الآدميين ...) اثر عن ابن عباس ٤٦٤
- (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أبو لبابة ٥٤
- (ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه) أبو هريرة ٦٠
- (ما جالس القرآن أحد فقام إلا بزيادة أو نقصان) قتادة ٣١٥
- (ما دخل الخرق في أمر إلا شأنه) ٢٦١
- (ما المقام المحمود : قال : ذلك يوم ينزل الله تعالى على كرسیه.) ابن مسعود ٣٢٤
- (ما من امرئ يقرأ القرآن ...) سعد بن عبادة ٧٠٠
- (ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ... الخ) ٣١٦
- (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة) علي ٣٢٢
- (ما هذا السرف يا سعد ... الخ) ابن عمر ٢٤٦
- (ملئ عمار إيماناً إلى مشاشه) عمرو بن شرحبيل ١٧٦
- (من أنكر القدر فقد فجر) اثر عن ابن عباس ٤٢٠
- (من استثنى فله ثنياء) ٣٨٤
- (من حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسب في الآخرة) عمر بن الخطاب ٤٨٠
- (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه..) أبو هريرة ٩٦
- (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال) يحيى بن راشد ٢٥٧
- (من كنت مولاه فعلي مولاه) زيد بن أرقم ١٦٢
- (من نوقش الحساب هلك) عائشة ٤١٩

- (موت الفجأة أخذ أسف) ٦٧٠ عبيد بن خالد
- (مولى القوم منهم) ١٥١ علي بن أبي طالب
- (المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته) ٢٩٧ أبو هريرة
- (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة) ١٩٥ أبو هريرة
- (نزل القرآن بحزن فإذا قرأتموه فابكوا) الخ ٥٣٧ سعد بن أب وقاص
- (نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار) ٣٨١ أبو بكر
- (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية) ٧٦ جابر بن عبد الله
- (هذا مصرع فلان) ٢٨٢ أنس
- (هل يرتد أحد منهم عن دينه) ١٧٧ أبو سفيان بن حرب
- (هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به) ٢٨٥، ٢١٠ ابن عباس
- (واجعله الوارث منا جزء من حديث) ٥٧٥ ابن عمر
- (وجعلت قرعة عيني في الصلاة) ٣٢٤ أنس
- (الولد مجبنة مبخله) ٣٤٢ يعلى بن منبه
- (والله لا أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار) ٢٤٧ أبو بكر
- (وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لواءي) ٣١٢ أبو سعيد الخدري
- (ويسألونك عن الروح) ٣١٤ ابن عباس
- (يا أبا ذر أتدري أين تغرب هذه) ٤٥٤ أبو ذر
- (يا بلال اقطع لسانه) ٢٥١ ابن عباس
- (يا خيل الله اركبي) ٢٩١ قتادة
- (يا فتى لقد شققت عليّ أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك...)
- (يجمع ملائكة الليل وملائكة النهار... الخ) ٣١١ أبو هريرة
- (يجمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...)
- (يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماة من القرناء... الخ)

— يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف

أبو هريرة

٣٢٩

فهرس القراآت

سورة الحجر

- ٤ - ﴿ (ربما) يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾
- ١٣ - ﴿ (ما نزل) الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ﴾
- ١٩ - ﴿ لو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه (يعرجون) ﴾
- ١٩ - ﴿ لقالوا إنما (سكرت) أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾
- ٣٥ - ﴿ لها سبعة أبواب بكل باب منهم (جزء) مقسوم ﴾
- ٣٨ - ﴿ قالوا لا توجل إنا (نبشرك) بغلام عليم ﴾
- ٣٨ - ﴿ قال أبشركم على أن مسني الكبر فبم (تبشرون) ﴾
- ٤٠ - ﴿ قال ومن (يقنط) من رحمته إلا الضالون ﴾
- ٤٢ - ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط (إنا لمنجرهم) أجمعين ﴾

سورة النحل

- ٦٧ - ﴿ خلق السموات والأرض تعالى عما (يشركون) ﴾
- ٦٨ - ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴾
- ٨٣ - ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ﴾
- ٨٤ - ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات ﴾
- ١٠٠ - ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم (تشاقون فيهم) ﴾
- ١٠١ - ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾
- ١٠٨ - ﴿ فإن الله (لا يهدي) من يضلل وما لهم من ناصرين ﴾
- ١١٦ - ﴿ (أولم يروا) إلى ما خلق الله من شيء يفيقر ظلاله ﴾
- ١٣١ - ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة (نسقيكم مما في بطونه) ﴾
- ١٤١ - ﴿ والله فضل بعضكم على بعض ﴾ إلى قوله : ﴿ أفبنعمة الله تجحدون ﴾
- ١٥٢ - ﴿ (يوم ظعنكم) ويوم إقامتكم ﴾
- ١٧٢ - ﴿ ولقد نعلم إنهم ليقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي (يلحدون) ﴾
- ١٧٨ - ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا (من بعد ما فتنوا) ﴾

سورة الإسراء

- ٢١٧ - ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ (لِيسُوءُوا) وَجُوهَكُمْ﴾
- ٢١٩ - ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (وَيُشِرُ) الْمُؤْمِنِينَ﴾
- ٢٢٢ - ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا (يَلْقَاهُ) مَنْشُورًا﴾
- ٢٣٤ - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (إِمَّا يَلِغْنِ) عِنْدَكَ الْكِبَرُ ..﴾
- ٢٣٥ - ﴿إِمَّا يَلِغْنِ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا (أَفِ)﴾
- ٢٦١ - ﴿كُلْ ذَلِكَ كَانَ (سَيِّئُهُ) عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾
- ٢٦٤ - ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ (كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَابَتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)﴾
- ٢٩٤ - ﴿أَفَأَمْتُمْ (أَنْ يَخْشِفَ) بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ (أَوْ يَرْسِلْ) عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾
- ٢٩٤ - ﴿أَمْ أَمْتُمْ (يَعِيدُكُمْ) فِي تَارَةٍ أُخْرَىٰ (فَيَرْسِلْ) عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقْكُمْ﴾
- ٣٢١ - ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾
- ٣٣٦ - ﴿لَقَدْ (عَلِمْتَ) مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ﴾

سورة الكهف

- ٣٤٨ - ﴿مَنْ لَدُنْهُ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
- ٣٥٣ - ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ...﴾
- ٣٦٥ - ﴿وَيَهَيِّ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ (مَرْفِقًا)﴾
- ٣٦٥ - ﴿(تَزَاوَرُ) عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾
- ٣٦٨ - ﴿(وَتَحْسِبُهُمْ) أَيْقَاطًا﴾
- ٣٦٩ - ﴿(وَمَلَلْتَ) مِنْهُمْ رَعْبًا﴾
- ٣٧١ - ﴿(بُورِقْكُمْ) هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾
- ٣٨٨ - ﴿ثَلَاثُمِائَةِ سَنِينَ﴾
- ٣٩٢ - ﴿(بِالْغَدَاةِ) وَالْعَشِيِّ﴾
- ٣٩٣ - ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾
- ٣٩٥ - ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾
- ٤٠٣ - ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾
- ٤٠٧ - ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾
- ٤٠٧ - ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً﴾
- ٤١٠ - ﴿هَنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾

- ٤١١ - ١٦ ﴿وخير عقبا﴾
- ٤١٣ - ١٧ ﴿تذروه الرياح﴾
- ٤١٥ - ١٨ ﴿نسیر الجبال﴾
- ٤١٦ - ١٩ ﴿فلم تغادر﴾
- ٤٢٨ - ٢٠ ﴿وجعلنا (لمهلكهم) موعدا﴾
- ٤٣٤ - ٢١ ﴿ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما﴾
- ٤٣٥ - ٢٢ ﴿هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت (رشدا)﴾
- ٤٤٠ - ٢٣ ﴿فلا تسألني﴾
- ٤٤١ - ٢٤ ﴿لتغرق أهلها﴾
- ٤٤٢ - ٢٥ ﴿نفسا (زكية)﴾
- ٤٤٣ - ٢٦ ﴿لقد جنت شيئا نكرا﴾
- ٤٤٤ - ٢٧ ﴿من لدني﴾
- ٤٤٨ - ٢٨ ﴿(لا تأخذت) عليه أجرا﴾
- ٤٥٢ - ٢٩ ﴿(يبدلهما) ربهما﴾
- ٤٥٣ - ٣٠ ﴿فأتبع سبا﴾
- ٤٥٤ - ٣١ ﴿في عين (حمنة)﴾
- ٤٥٥ - ٣٢ ﴿فله جزاء الحسنى﴾
- ٤٥٦ - ٣٣ ﴿حتى إذا بلغ (مطلع الشمس)﴾
- ٤٥٨ - ٣٤ ﴿بين السدين﴾
- ٤٥٨ - ٣٥ ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾
- ٤٥٨ - ٣٦ ﴿يأجوج وماجوج﴾
- ٤٥٨ - ٣٧ ﴿خرجوا﴾
- ٤٥٩ - ٣٨ ﴿إيتوني﴾
- ٤٥٩ - ٣٩ ﴿قال ما مكني فيه ربي﴾
- ٤٦٠ - ٤٠ ﴿الصدفين﴾
- ٤٦٠ - ٤١ ﴿جعله (دكا)﴾
- ٤٦٢ - ٤٢ ﴿أفحسب الذين كفروا﴾
- ٤٦٦ - ٤٣ ﴿لنفذ البحر﴾

سورة مريم

- ٤٦٩ - ١ ﴿كهيعص﴾
 ٤٧٥ - ٢ ﴿واني خفت الموالي (من ورائي)﴾
 ٤٧٧ - ٣ ﴿فهب لي من لدنك وليا (يرثني) ويرث من آل يعقوب﴾
 ٥٠٣-٥٠١ - ٤ ﴿قالت ياليتني (مت) قبل هذا وكنت نسياً منسيا﴾
 ٥٠٥ - ٥ ﴿وهزي إليك بجذع النخلة (تساقط) عليك رطباً جيا﴾
 ٥٦٠ - ٦ ﴿ثم (ننجي) الذين اتقوا ونذرنا الظالمين فيها (جثا)﴾
 ٥٦٤ - ٧ ﴿هم أحسن أثاثاً (ورثا)﴾

سورة طه

- ٦١٣ - ١ ﴿أكاد أخفيها﴾
 ٦٣٥ - ٢ ﴿أن يفرط﴾
 ٦٤٠ - ٣ ﴿مهرا﴾
 ٦٤٤ - ٤ ﴿يوم الزينة﴾
 ٦٤٨ - ٥ ﴿فيسحتكم﴾
 ٦٥٠ - ٦ ﴿إن هذان لساحران﴾
 ٦٥٤ - ٧ ﴿(يخيل) إليه من سحرهم أنها تسعى﴾
 ٦٥٦ - ٨ ﴿تلقف﴾
 ٦٥٦ - ٩ ﴿كيد ساحر﴾
 ٦٥٨ - ١٠ ﴿إنما تقضي هذه (الحياة)﴾
 ٦٦٢ - ١١ ﴿أنجيئكم﴾
 ٦٧٠ - ١٢ ﴿بملكنا﴾
 ٦٧٠ - ١٣ ﴿حملنا﴾
 ٦٧٧ - ١٤ ﴿لن تخلفه﴾
 ٦٧٨ - ١٥ ﴿لنحرقنه﴾
 ٦٨٢ - ١٦ ﴿يوم (ينفخ)﴾
 ٦٨٦ - ١٧ ﴿فلا يخاف ظلماً﴾
 ٦٩١ - ١٨ ﴿يقضى إليك وحيه﴾
 ٦٩٤ - ١٩ ﴿وانك لا تظماً فيها﴾

٦٩٨

٧٠٥

٧٠٨

٢٠- ﴿ملكين﴾

٢١- ﴿لترضى﴾

٢٢- ﴿زهرة﴾

فهرس الأبيات الشعرية

٤٤٧	الرء	لم يعلم	٤٤٧	١- أبت الروادف والثدى لقمصها	طهورا
٥٦٩	الهمز	حسان بن ثابت	٥٦٩	٢- أتهجوه ولست له بكفء	فداء
٦٩٧	الشين	لم يعرف	٦٩٧	٣- اجرس لها يا ابن كباش	انفاس
٥٥٠	الخاء	لا يعلم	٥٥٠	٤- أحين أتى أن أحتني ثمر الرضا	يرضح
٤٨١	الهمز	لم يعرف	٤٨١	٥- أدعا بأسماء نبزا في قبائلها	أسماء ي
٣٦٢	السين	العباس بن مرداس	٣٦٢	٦- إذا الخيل حالت عن صريع نكرها	عوايسا
٤٤٦	القاف	أبو النجم	٤٤٦	٧- إذا قالت الأنساع للبطن الحق	اخنق
٥٢٥	العين	حريث بن عتاب	٥٢٥	٨- إذا قلت قدني قال بالله حلفة	أجمعا
٥١٤	الباء	معاوية بن مالك	٥١٤	٩- إذا نزل السماء بأرض قوم	غضابا
٤٢٣	الفاء	أبي كثير الهذلي	٤٢٣	١٠- أزهير هل من شية من مصرف	متكلف
٣٩٠	الرء	أبو دؤاد	٣٩٠	١١- أكل امرئ تحسين امرأ	نارا
٣٦٢	السين	العباس بن مرداس	٣٦٢	١٢- إذا ما اشددنا شدة ثصبوا لنا	المداعسا
٥٧٤	الدال	زائد بن صعصعة	٥٧٤	١٣- إذا ما انتسبنا لم تلدني لئمة	بدًا
١٩٨	الرء	لم يعرف	١٩٨	١٤- إذا ما نهى الناهي فليج بي الهوى	المحجر
١٨٨	الدال	لم يعرف	١٨٨	١٥- أضحت يمينك من جود مصورة	الجود
٥٤١	الرء	البحري	٥٤١	١٦- أعد سنيني فارحاً بمورها	أشهر
٤٥	الميم	لم يعرف	٤٥	١٧- افتحي الباب وانظري في النجوم	بهميم
٥٧٧	الباء	جوير	٥٧٧	١٨- أفلّي اللوم عاذلي والعتابن	أصابن
٣٦٢	السين	العباس بن مرداس	٣٦٢	١٩- أكرّ واحمي للحقيقة منهم	الفوانسا
٣٥٣	الرء	ذو الرمة	٣٥٣	٢٠- ألا أبهذا الباخع الوجد نفسه	المقادر
٤٨٧	الياء	زرقاء اليمامة	٤٨٧	٢١- ألا ليت ما هذا الحمام له	حماميه
٣٦٦	السين	ذو الرمة	٣٦٦	٢٢- إلى ظعن يقرض أفواز مشرف	الفوارس
٤٨٦	اللام	النابعة	٤٨٦	٢٣- أمسى يبلدة لا عم ولا خال	ولا خال
١٤٩	الباء	قصي بن كلاب	١٤٩	٢٤- أمهتي خندف وإلباس أبي	أبي
٢٩٥	الرء	أبو النجم	٢٩٥	٢٥- أنا أبو النجم وشعري شعري	صدر
٥٨٥	النون	بشامة بن حزن	٥٨٥	٢٦- إنا بني نهشل لا ندعي لأب	يشرينا

٢٣٢	الدال	واحد	٢٧-	إن أجزر علقمة بن سعد سعيه
٥٧٩	السين	ولا حرس	٢٨-	إن الحبيب من الأحباب مختلس
٤٤٦	النون	بالإحسان	٢٩-	إن دهرأ يلف شملي يجمل
٦٠٤	الدال	بالمهدود	٣٠-	إن عبد الحميد لما تولى
٥٣٢	الراء	سحر	٣١-	إني أتنني لسان لا أسر بها
٥٧٢	الراء	وعورا	٣٢-	إني إذا مضر علي تحدثت
٦٥١	الهاء	الرقبة	٣٣-	أم الحليس لعجوز شهره
٦٢٣	الدال	قعودا	٣٤-	أم صرفان تارزا شديدا
٤٤٧	الدال	تمردا	٣٥-	بأبي على أجفانه إغفاءة
٣٦٨	الراء	منكر	٣٦-	بأرض فضاء لا يسدّ وصيدها
٤٥٤	الدال	مرشد	٣٧-	بلغ المشارق والمغارب يبتغي
٢٥٣	اللام	فلم يعجل	٣٨-	تخاطأ النبل أحشاءه
١١٦	النون	السفن	٣٩-	تخوف الرحل منا ثامكا قردا
٦١٩	الهاء	بالحاظها	٤٠-	تصامت إذا نطقت غشية
١٨٥	الهاء	صدروها	٤١-	تقاسم أسيافا شر قسمة
٢٨٨	السين	المتقاعس	٤٢-	تقول ووقت نحرها يمينها
٤٦	العين	أخذعا	٤٣-	تلفت نحو الحيّ حتى وجدتنني
٦٨٣	اللام	طوال	٤٤-	تمتع بأيام السرور فإنها
١٣٤	الراء	الوتر	٤٥-	جاءت بكفي كان من أرمى البشر
١٨٤	الهاء	وحده	٤٦-	جاءت به معتجرا بيرده
١٤٢	اللام	الأحمال	٤٧-	جفد الولاتد بينهن وأسلمت
٢٥٧	اللام	الغوافل	٤٨-	حصان رزان ما تزن بريية
٦٨٩	اللام	شاغل	٤٩-	حلت لي الخم وكنت امراً
٣٣٢	الميم	وللقم	٥٠-	دلقت له بالرمح من دون ثوبه
٢١٣	العين	مضاعا	٥١-	ذريني إن أمرك لن يطاعا
٢٥٨	الميم	الأيام	٥٢-	ذم المنازل بعد منزلة اللوى
٥٨٩	العين	المربع	٥٣-	راحت بمسلة البغال عشية
٥٨٦	العين	لم يطع	٥٤-	رب من أنضجت غيظا صدره
٥٨٠	الميم	الماء	٥٥-	ردي ردي ورد قطاة صما

٦٠٥	الأعشى	القاف	لا تنفرك	رضيعي لبنان ترى أم تقاسما	٥٦-
١٨٨	أبو العلام المعري	اللام	الكلالا	سرى برق المعرة بعد وهن	٥٧-
١٣٢	ليبد بن ربيعة	اللام	هلال	سقى قومي بني مجد وأسقى	٥٨-
٦٨٩	أبو علي الحريري	الباء	العرب	سيروا بني العم فالأهواز منزلكم	٥٩-
٥٧٠	لم يعلم	الثاء	غراثا	شجعاء جرّتها الذليل تلوكه	٦٠-
٦٣٧، ٥١٨	البحري	العين	داعي	شجر حساده وغيض عداه	٦١-
٣٦٤	ابن أحمد	اللام	طلل	شط المزار يجدوى وانتهى الأمل	٦٢-
٤٨١	لم يعرف	الباء	بالهدب	شنع الأسامي مسلي أزر	٦٣-
٦١٩	لم يعلم	الباء	الخلاب	صاح هل ريت أو سمعت براع	٦٤-
٦٢٦	هدبة	الباء	قريب	عسى الكرب الذي أمست فيه	٦٥-
٣١٠	ابن خالد المخزومي	الراء	حضيرا	عفت الديار خلافهم فكأنهما	٦٦-
٣٤٢	لم يعرف قائله		شطربيت	على لا حب لا يهتدي لمناره	٦٧-
٦٦٠	القطامي	العين	فضاعا	على وحشية خذلت خلوج	٦٨-
٨٦	لم يعرف	الهاء	عينها	علفتها تبناً وماء باردا	٦٩-
	بشر بن أبي حازم	الميم	بالصيلم	غضبت تميم أن تقتل عامر	٧٠-
٥٧٠، ٣٩٧					
٦٢٩	اسيد بن عنقاء	الراء	البصر	غلام رماه إليه بالحسن يافعا	٧١-
١٦١	كثير عزة	القاف	غللقا	غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا	٧٢-
٤٤٦	عنتره	الميم	وتحمحم	فازور بن وقع القنا بلبانه	٧٣-
٦١٣	امرؤ القيس	الذال	تقعد	فإن تدفن الراء لا تخفه	٧٤-
٥٢٣	الفرزدق	اللام	ضلالا	فانعق نصابك يا جرير فإنما	٧٥-
٣٦٢	العباس بن مرداس	القاف	المذلق	فإنك إذا ترجو تميما ونفعها	٧٦-
٥٠٤	ليبد	الهاء	قلامها	فتوسطا عرض السرى فصدعا	٧٧-
٤٥٤	تبع الأكبر	الذال	حرمدا	فرأى مغار الشمس عند مآبها	٧٨-
٤٩٨	المتبي	الباء	التريا	فرت غير نافرة عليهم	٧٩-
٥٤٧	الفرزدق	الذال	خالد	فسيف بني عبس وقد ضربوا به	٨٠-
٣٩٢	أبو دؤاب	العين	تطلع	فصبرت عارفة لذلك حرة	٨١-
٣٩٣	النابعة	الذال	اجد	فعد عماري إذ الا ارتجاع له	٨٢-
٦٦٠	القطامي	العين	السباعا	فكرت تبغيه وصادفته	٨٣-

٤٨٩	منذر بن درهم	الفاء	عارف	فقالت حنان ما أتى بك ها هنا	٨٤-
٥٤٣	أبو وجرة	الباء	يصوب	فلست لإنسى ولكن للملاك	٨٥-
٦٨٩	امرؤ القيس	الباء	واغب	فاليوم اشرب غير متسحقب	٨٦-
١٣١	قيس بن الحصين	النون	وتتحنونه	في كل عام نعم تحوونه	٨٧-
٤٤٥	الراعي	اللام	نصولا	في مهمه قلقت به هاماتها	٨٨-
٥	لم يعرف	(شطر البيت الأول)		قد أنزل القرآن مصفراً أنامله	٨٩-
٤٥٤	تبع الأكبر	الذال	تسجد	قد كان ذو القرنين جدى مسلما	٩٠-
٤٤١	أبي عبيدة	الراء	إمرا	قد لقيا الأعداء أشياء نكرا	٩١-
	حميد بن مالك	الذال	الملحد	قدني من نصر الحبيبين قدي	٩٢-
٥١٤	ابن الأحمر	الراء	وتحدرا	كثور العذاب الفرد يضربه الندى	٩٣-
٢٠٢	أعشى بن ثعلبه	الراء	الفاخر	قلت لما جاءني فخره	٩٤-
٤٠٠	المغيرة بن حبناء	الياء	تغانيا	كلانا غنى عن أخيه حياته	٩٥-
٤٠٠	لم يعلم	الياء	تغانيا	كلانا ينادي يا براز وبيننا	٩٦-
٢٥٤	لم يعرف	الراء	آل مرة	كل قتيل في كليب غره	٩٧-
٣٥٠	لم يعرف	الراء	ينجحر	لا تفزع الأرنب أهوالها	٩٨-
٥٣٩	ابن نباتة	الحاء	به	لا يكمل الطرف الخاسن كلها	٩٩-
٢٤	الحارث بن نهيك	الحاء	الطرائح	لبيك يزيد ضارع لخصومه	١٠٠-
٦٠٤	الأعشى	القاف	محرق	لعمري لقد لاحت عيون كثيرة	١٠١-
٦٦٥	لم يعرف	التاء	شبات	لكل الحشا والعلی خرفات	١٠٢-
٣٣٢	حاتم	النون		لو ذات سوارلطمتي	١٠٣-
٤٤٦	عنرة	الميم	مكلمي	لو كان يدري ما الخاورة اشكى	١٠٤-
١٣	ابن مقبل	الراء	عوري	لو ما الحياة ولو ما الدين عبتكما	١٠٥-
٥٦٩	عمرو بن معديكرب	الذال	زندا	ما إن جرعت ولا هلع ** ت	١٠٦-
٦٢٣	الزباء	الذال	حديداً	ما للجمال مشيها ونيرا	١٠٧-
٦٨٩	جرير	الباء	الخسب	ما للفرزدق من عز يلوذ به	١٠٨-
٧٣	أبو العلاء	النون	القيان	مغان ما أجينا مغان	١٠٩-
٦٥٦	العجاج	التاء	تعنت	من نزل إذا الأمور غبت	١١٠-
٧٠١	الأنصار	الذال	أبدا	نحن الذين بايعوا محمداً	١١١-
٦٠٤	الأعشى	القاف	المخلق	نشب بمقرونين يصطليانها	١١٢-

١١٣-	نصرم حبلها إذا صرمته	عداء	الهمزة	زهير بن أبي سلمى	٦٢٠
١١٤-	نظرت بجرعاء السبية نظرة	شامس	السين	ذو الرمة	٣٦٦
١١٥-	نعلفها اللحم إذا عز الشجر	ضرر	الراء	نمر بن تولب	٨٢
١١٦-	هوى من رأس مرقية	كبده	البدال	الخنساء	٦٦٤
١١٧-	هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا	يؤب	الباء	كعب بن سعد	٦٦٤
١١٨-	واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت	التمد	البدال	النايعة	٤٨٧
١١٩-	وإذا المنية انشبت أظفارها	تنفع	العين	الهلالي	٦٣٢
١٢٠-	وأراك تفعل ما تقول وبعضهم	ما لا يفعل .	اللام	الأخوص بن عبد الله بن محمد	٢٧٧
١٢١-	وإن أتاه خليل يوم مسغبة	حرم	الميم	زهير	٣١٧
١٢٢-	وإن تعتذر باخل من ذي ضروعها	نصلى	اللام	ذو الرمة	٣٢
١٢٣-	وبصرة الأزد منا والعراق لنا	الحرم	الميم	الفرزدق	٦٦٩
١٢٤-	وترميني بالطرف أي أنت مذنب	لا أقلّي	اللام	لم يعلم	٤٠٧
١٢٥-	وتضحك مني شيخة عيشمية	يمانيا	الياء	عبد يغوث	٦٦١
١٢٦-	وتقرون والافاق مري نجعها	حرجف	الفاء	الأبيوردي	٥٩
١٢٧-	وخرجها صوارخ كل يوم	تلين	النون	زهير	٥٤٩
١٢٨-	وخير جليس لا يمل حديثه	تجملا	اللام	الشاطبي	١٤٠
١٢٩-	وخيل قد دلفت الليل مرتفعا	مذبوح	الحاء	أبو ذؤيب الهذلي	٣٩٨
١٣٠-	وركب يساقون الركاب زجاجة	قاطب	الياء	أبو تمام	٥٧٠
١٣١-	وسوف يدعو مخلصا رب الفلق	العمق	القاف	روبة	٦٩٧
١٣٢-	وضربنا الحديث ظهر البطن	ما اشتهينا	النون	عمر بن أبي ربيعة	٤٠٧
١٣٣-	وضاقت الأرض حتى كان هاربهم	رجلا	اللام	المتبي	٤٨٦
١٣٤-	وعض زمان يا ابن مروان لم يدع	محلف	الفاء	الفرزدق	٦٤٨
١٣٥-	وفي كل شيء له آية	الواحد	البدال	أبو العتاهية	٥٨٤
١٣٦-	وقائلة خولان فانكح فئاتهم	كما هيا	الياء	مجهول	٥٤٥
١٣٧-	وقد قالت الزبا بالحصن سموأل	الأبلى	القاف	لم يعلم	٤٤٧
١٣٨-	وقد كان منهم حاجب وابن أمه	المعارك	الكاف	الأخطل	٣٩٢
١٣٩-	ولا أرمي البريء بغير ذنب	إن قفينا	النون	الكميت بن زيد	٢٥٧
١٤٠-	ولقد أبيت من الفتاة بمنزل	محروم	الميم	الأخطل	٥٥٥
١٤١-	ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي	ميسما	الميم	المتلمس	٣٣٢

١٤٢-	وليت فلم تشتم عليا ولم تخف	مجرم	الميم	كثير عزة	١٦١
١٤٣-	وما بي وقر ولكنني	ألفاظها	الحاء	لم يعلم	٦١٩
١٤٤-	ومثل الدمى شم الفرانين ساكن	التقافيا	الياء	النابعة الجعدي	٢٣٧
١٤٥-	ومهمبين قدين مرتين	بالنقين	النون	خطام الجاشعي	٧٠٥
١٤٦-	ويراني كالشجي في حلقة	ينتزع	العين	سويد	٥٨٦
١٤٧-	ويقلن شيب قد علا	انه	الحاء	لعبد بن قيس	٦٥١
١٤٨-	ويل لبرني الحزين مني	سني	النون	لم يعلم	٤٤٦
١٤٩-	يا بيت عاتكة الذي أتعزل	موكل	اللام	الأحوص بن عبد الله بن محمد	٢٢٧
١٥٠-	يا حيت زوجك قد غدا	ورمحا	الحاء	لم يعرف	١٢٤
١٥١-	يراوح من صلوات المليشك	جؤرا	الراء	الأعشى	١٢٣
١٥٢-	يلوذ ثعالب الشرقيين منها	التبيع	العين	الشماخ	٢٩٥
١٥٣-	ينازعني رداءي عبد عمر	بكر	الراء	لم يعرف	١٨٤

فهرس التعريفات

٣٧٠	الأسلوب الحكيم	-١
٢٢٩	الإيماء	-٢
١٠	الادماج	-٣
٥٢٢	الاستدراج	-٤
٢٩٩	الاستطراد	-٥
٢٣٨	الاستعارة التخيلية	-٦
٩٨	الاستعارة التمثيلية	-٧
٥٢	الاستعارة المكنية	-٨
٦	الاستعارة لغة واصطلاحاً	-٩
٢٦٨	الاسناد المجازي	-١٠
٩	الاعتراض	-١١
٣٥٢	الاقتباس	-١٢
٤٨٣	التجريد	-١٣
٢٢	التذيل	-١٤
٥٦١	التقابل	-١٥
٥٢٣	التلميح	-١٦
٥٢٤	التلويع	-١٧
٥٧٧	التهمك	-١٨
٢٦٧	التواظ	-١٩
١٢٥	الجملة الطلية	-٢٠
٢٣٧	الطباق	-٢١
١٦٥	الطرد والعكس	-٢٢
٢٩٤	الفاء الفصيحة	-٢٣
٤٥٧	الفدلكة	-٢٤
٩١	الفدلكة	-٢٥
٢٤٦	الفهيء	-٢٦
٣٣٨	القول بالموجب	-٢٧

٤٥٦	الكن	-٢٨
٦	الكناية	-٢٩
٢٣٤	اللف والنشر	-٣٠
١٠٥	المشاكلة	-٣١
٢٧٧	المصراع	-٣٢
٢٢٩	المقابلة	-٣٣
٢٦١	اليافوخ	-٣٤
٣٧٣	فاء التعقيب	-٣٥
٣٧٦	واو التقسيم	-٣٦

فهرس الأعلام

- ٢٣٦ - ١ أبو السمال العدوي البصري
- ٢ - ٢ أبو البقاء عبد الله بن الحسين
- ١١٢ - ٣ أبو العباس المردب محمد بن يزيد
- ١٨٨ - ٤ أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله
- ٢٩٥ - ٥ أبو النجم : الفضل بن قدامة العجلي
- ١٤ - ٦ أبو بكر بن عياش بن سالم
- ١٠٣ - ٧ أبو زيد أحمد بن سهل البلخي
- ٢٥٣ - ٨ أبو عبيد القاسم بن سلام
- ٣٩٩ - ٩ أبو عبيد معمر بن المنثي
- ١٧٦ - ١٠ أبو علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب
- ١٣ - ١١ أبو علي الفارسي الحسين بن أحمد بن عبد الغفار
- ٥١١ - ١٢ أبو عمرو بن العلاء
- ٥١٢ - ١٣ أبو مجلز
- ٥١٢ - ١٤ أبو نهيك
- ٥٩٢ - ١٥ الأبيوري أبو المغفر محمد بن أحمد
- ٢٥١ - ١٦ أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم
- ٦١٣ - ١٧ أحمد بن منير
- ٢٧٧ - ١٨ الأحرص : عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم
- ٣٩٢ - ١٩ الأخطل غياث بن غوث
- ٩٧ - ٢٠ الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد
- ٦٢٩ - ٢١ أسيد بن عنقاء
- ٤٠ - ٢٢ الأشهب بن رميلة
- ٢١٠ - ٢٣ الأصم : محمد بن يعقوب بن يوسف
- ١٤٢ - ٢٤ الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب
- ٤٢١ - ٢٥ أيوب بن أبي تيممة البصري
- ٦٦٤ - ٢٦ إبراهيم بن سيار
- ٦٥١ - ٢٧ إسماعيل بن إسحاق

٥٣٩	إسماعيل بن محمد بن الحسين	-٢٨
١٤٦	إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله	-٢٩
٨	ابن الأثير المبارك بن محمد	-٣٠
٥١٤	ابن الأحمر	-٣١
٥١١، ٤٠٢	ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن	-٣٢
٢	ابن الحاجب : عثمان بن أبي بكر	-٣٣
٥٠	ابن السكيت يعقوب بن إسحاق بن السكيت	-٣٤
٨٧	ابن المبارك عبد الله بن المبارك	-٣٥
٢٥٩	ابن المعطي : زين الدين أبو الحسين يحيى النحوي	-٣٦
٢٠	ابن جني عثمان بن جني الأزدي	-٣٧
٢٢١	ابن ذكوان : عبد الله بن أحمد بشير بن ذكوان	-٣٨
١٦١	ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله	-٣٩
٥٠	ابن عبد البر أبو عمرو يوسف بن عبد الله	-٤٠
١٩	ابن كثير عبد الله أبو معبد العطار المكي	-٤١
٣٥١	ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن السهمي	-٤٢
٤٢٤	ابن م حمد بن عبد الله الأندلسي	-٤٣
٥٣٩	ابن نباتة محمد بن الحسن	-٤٤
١٠١	المبزر أحمد بن محمد بن عبد الله	-٤٥
١٩٠	بهاء الدين القاشي	-٤٦
٣٦٥	الجحدري كامل بن طلحة	-٤٧
٢٥٩	الجراح : أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي	-٤٨
٥١٦	جرير بن عطية	-٤٩
٢٧٠	جعفر بن محمد الباقر	-٥٠
١٠	الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد	-٥١
٤٢	الحارث بن نهيك النهشلي	-٥٢
٣٥١	الحجاج بن يوسف الثقفي	-٥٣
٤٠٠	الحريري القاسم بن علي	-٥٤
٢٢٣	الحسن البصري أبو سعيد	-٥٥
١٤	حفص بن سليمان	-٥٦

٥٣١	حماد الرواية	-٥٧
١٤	حمزة بن حبيب الزيات	-٥٨
	حيي بن أخطب	-٥٩
٢٥١	الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم	-٦٠
٦	الراغب الأصفهاني	-٦١
٤٤٧	الزبا بنت عمرو	-٦٢
١٥	الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري	-٦٣
١٨٣	زهير بن أبي سلمى	-٦٤
٤٨	السجاوندي محمد بن طينور الغزنوي	-٦٥
٤١٠	سلام بن أوي مطيع الخراعي	-٦٦
٦٠	السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى	-٦٧
٢١٤	سنحاريب	-٦٨
٢٠٩	سيويه : عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين	-٦٩
١٢	السيرافي صاحب التقريب	-٧٠
١٤٠	الشاطبي : القاسم بن فيرة	-٧١
٦١٠	الشبلي دلف بن حجر	-٧٢
٢١٢	صدر الأفاضل القاسم بن الحسين	-٧٣
	صلى الله عليه وسلم	
٤٤٥	الصولي إبراهيم بن العباس	-٧٥
٤	عاصم بن أبي النجود	-٧٦
٣٦٢	العباس بن مرداس السلمي	-٧٧
٤٥٣	عبد الله بن الكلواء	-٧٨
١٦١	عبد الله بن عتبة بن مسعود المذلي	-٧٩
٤٢٩	عبد الله بن مسلم بن يسار	-٨٠
٤٥٥	عبد الله بن وهب الراسي	-٨١
٢١٣	عدي بن زيد بن الحممار	-٨٢
٤٤٨	عكرمة بن خالد المخزومي	-٨٣
٥٠٤	علقمة بن أبي علقمة	-٨٤
٥٠٣	علقمة بن قيس	-٨٥

٤٠٧	عمر بن أزي ربيعة المخزومي	-٨٦
٤١٠	عمرو بن عبيد المعتزلي	-٨٧
٦٦٤	عمرو بن بحر	-٨٨
٤٠٥	عيسى بن مروان الثقفي	-٨٩
٤	الفخر الرازي	-٩٠
١٢٦، ١٠٩	الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله	-٩١
٤٢١	الفرزدق همام بن غالب	-٩٢
٥٤٣	القاضي عبد الجبار بن أحمد	-٩٣
٤٤٩	القشيري عبد الرحيم بن عبد الكريم	-٩٤
٦٤٩	كامل بن سريح	-٩٥
	كثير عزة	-٩٦
١٤	الكسائي علي بن حمزة	-٩٧
٦٦٤	كعب بن سعد	-٩٨
٥١٦	الكميت	-٩٩
٢٥٨	الكواشي : أحمد بن يوسف بن الحسين	-١٠٠
٢٣٧	ليبد بن ربيعة مالك أبو عقيل العامري	-١٠١
٧	مابرنبادي وتفسيره الفرائد	-١٠٢
١٢	المالكي بدر الدين محمد بن أبي بكر المعروف بالدمامي	-١٠٣
٤٩٦	المبرد	-١٠٤
٤٨	مجاهد بن جبر	-١٠٥
٢٥٥	مجاهد بن جبر المكي	-١٠٦
٣٨١	محمد بن الحسين السلمي	-١٠٧
٦٣٠	محمد بن الحسين بن دريد	-١٠٨
٦٦٤	محمد بن الهذيل	-١٠٩
١٢	محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوين . صاحب المفتاح	-١١٠
٣٧٦	محمد بن عبد الرحمن الغزويني	-١١١
٣١	محمد بن محمد بن محمد الغزالي حجة الإسلام	-١١٢
٣٥	محمد بن مسلم بن شهاب أبو بكر	-١١٣
٣	محي السنة الإمام أبو محمد الحسين بن سعود البغوي	-١١٤

٤٦	المرزوقي أحمد بن محمد	-١١٥
٧٠٣، ٤٦٦	مكي ابن أبي طالب	-١١٦
٢٥٤	مهلهل امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث	-١١٧
٤٣٧	موسى بن منشا	-١١٨
٤	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعمي	-١١٩
٤٩٦	النجاشي ملك الحبشة	-١٢٠
٤٤٢	نجدة بن عامر	-١٢١
٢٢٠	النضر بن الحارث بن علقمة	-١٢٢
٤٣٧	نوفان بن فضلة	-١٢٣
٥٥٧	هارون الأعور	-١٢٤
٢٣٦	هارون بن موسى بن شريك	-١٢٥
٦٠	الواسطي : خلف بن محمد بن علي بن حمدونة السلمي	-١٢٦
٢١٩	واصل بن عطاء أبو حذيفة	-١٢٧
١٤٦	وصي بن كلاب	-١٢٨
٣٥١	يحيى بن يعمر العدواني	-١٢٩
٤٣٤	يوشع بن نون	-١٣٠
٥٠٢	يونس بن حبيب	-١٣١

فهرس المصادر

أولاً المصادر المخطوطة :

- ١- الإنصاف مختصر الإنتصاف لابن الأثير دامادا إبراهيم باشا رقم ١٦٠
- ٢- تفسير الراغب الإيضاح في التفسير، نسخة أيا صوفيا رقم ٢١٢
- ٣- التقريب في التفسير للسيرافي، نسخة أيا صوفيا رقم ٨٨
- ٤- التوضيح شرح مقامات الحرير لصدر الأفاضل، نسخة مصورة من المكتبة الوطنية في برلين رقم ٨٥٤٣
- ٥- حدائق البيان في شرح كتاب التبيان لعلي بن عيسى، نسخة ميكروفلم بالجامعة الإسلامية برقم ٥-٠٦٩
- ٦- شرح أسماء الله الحسنی للطیبي، نسخة دار الكتاب المصرية رقم ٢٥٨٨٠
- ٧- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب
أ/ نسخة دار الخزانة العامة للكتب بالرباط مصورة ميكروفلم في جامعة أم القرى برقم ٤١٠.
ب / نسخة محمود باشا رقم ٦١
ج/ نسخة بني مدرسة رقم ٤٨
- ٨- لطائف التبيان في علم المعاني والبيان للطیبي نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٧٩٦.
- ٩- الميسر شرح مصابيح السنة للتوربشتي مصورة روضة خيرى بمصر ١٥٦ ومنه نسخة بجامعة الإمام تحت رقم ٩٨٨ حديث.

ثانياً : المصادر المطبوعة

- ✳️ أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- ✳️ أحكام القرآن لأبي بكر المعروف بابن العربي، خرّج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية.
- ✳️ الأدب المفرد للإمام البخاري، ترتيب وتقديم : كما يوسف الحوق، عالم الكتب، الأولى ١٤٠٤هـ.
- ✳️ الأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزقي الأصفهاني، دار الكتاب الإسلامي.
- ✳️ أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة.
- ✳️ أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري، وبهامشه الناسخ والمنسوخ هبة الله أبي النصر ، دار المعرفة.
- ✳️ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري، تحقيق محمد إبراهيم البنا ورفاقه، دار الثعلب.
- ✳️ الأشموني حاشية الصبان على ألفية بن مالك، عيسى البابي الحلبي.
- ✳️ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب.
- ✳️ أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، راجعه وعلق عليه طه سعد، دار الجيل.
- ✳️ الأعلام، (قاموس تراجم) للزركلي، دار العلم، السادسة ١٩٨٤م.
- ✳️ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، مصور عن مطبعة دار الكتب.
- ✳️ أمالي الزجاجة لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاج ، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة.
- ✳️ الأمالي النحوية (أمالي القرآن الكريم) لابن الحاجب، تحقيق هادي حسن حمودي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية الأولى ١٤٠٥هـ.
- ✳️ الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون، الأولى.
- ✳️ الأمثال والحكم للرازي، تحقيق عبد الرزاق حسين، دار البشير عمان.
- ✳️ الأنساب للإمام السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان.
- ✳️ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٨هـ.
- ✳️ أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تأليف قاسم القونوي، تحقيق أحمد الكيس، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الثانية.
- ✳️ الإبهاج شرح المنهاج لعلي السبكي وابنه، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٤هـ.
- ✳️ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر لأحمد عبد الغني الدمياطي الشهير بالبنا.

- ✳ الإحسان في تقريب صحيح بن حبان، ترتيب : علي الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ.
- ✳ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأديباء) لياقوت الحموي، دار المأمون ١٩٣٦م . ودار الكتب العلمية، الأولى ١٤١١هـ.
- ✳ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني، المكتب الإسلامي، الثانية.
- ✳ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق علي بن محمد البجاوي، طبع مطبعة نهضة مصر.
- ✳ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لحمد أبي شهبة، مكتبة السنة الرابعة ١٤٠٨هـ.
- ✳ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (بهامشه الاستيعاب) دار إحياء التراث العربي، مصور عن الطبعة الأولى.
- ✳ إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، الأولى.
- ✳ الإصمعيات لعبد الملك بن قريب تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف.
- ✳ إضاءة الدُّجَّة في عقائد أهل السنة، منظومة لأحمد المقرئ التلسماني . مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ✳ إعراب القرآن وبيانه غي الدين الدرويش، اليمامة، دار ابن كثير.
- ✳ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبي البقاء العبكري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- ✳ إنباء الرواه على أنباء النحاة للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٩هـ.
- ✳ الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب النحوي . تحقيق د. موسى بني العلي، مطبعة العاني بغداد.
- ✳ الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب اللبناني ١٤٠٣هـ الخامسة.
- ✳ الإيضاح والبيان في معرفة المكيال والميزان، لابن الرفعة الأنصاري، دار الفكر ١٤٠٠هـ.
- ✳ اعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي، مكتبة القاني، بغداد.
- ✳ بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق كل من علي محمد وعادل أحمد. دار الكتاب العلمية . بيروت.

- ✽ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة والمكتبة التجارية بمكة المكرمة، بعناية الشيخ عرفات حسونة.
- ✽ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير نشر مكتبة المعارف ، بيروت.
- ✽ البدر الطالع للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة.
- ✽ الدور الزاهرة في القرآت العشرة المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة ، تأليف عبد الفتاح القاضي
- ✽ البديع في البديع في نقد الشعر لابن منقذ، تحقيق/ عبد الأعلى مهنا، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٧هـ.
- ✽ بطلان المجاز وأثره في فساد التصور، لمصطفى عيد الصياصنة، دار المعارج للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١١هـ.
- ✽ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لبعث المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة الآدار.
- ✽ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية.
- ✽ البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع لعلي الجابري ومصطفى أمين.
- ✽ البيان في غريب إعراب القرآن، تأليف أبي البركات ابن الأنباري، وتحقيق د. طه عبد الحميد. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ✽ البيان والتبيين للجاحظ عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون مطبعة الخانجي. بالقاهرة، الرابعة.
- ✽ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، شرح ونشر السيد أحمد حقر، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية.
- ✽ تاج العروس من جوامع القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ✽ تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني، دار القلم الأولى.
- ✽ تبصرة المتذكر وتذكر المتبصر للكواشي، رسالة علمية من إعداد الطالب : عبد الله نافع العمري، الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية..
- ✽ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين الطيبي . تحقيق د. هادي عطية، توزيع مكتبة النهضة.
- ✽ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المزي . المكتب الإسلامي
- ✽ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف، للإمام الزيلعي، تحقيق مجموعة من طلاب كلية الحديث بالجامعة الإسلامية.
- ✽ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، لابن جماعة، دار الكتب العلمية.

- * تراث العرب العلمي في الرياضات والفلك لقنبري طوقان، دار القلم، الثالثة ١٣٨٢هـ
- * الترجمة والدليل لآيات التنزيل ، تأليف المختار أحمد محمود الشنيطي، دار روضة الصغير الرياض.
- * التعريفات للجرجاني على بن محمد بن علي، بتحقيق الأبياري . دار الكتاب العربي.
- * التعليق المغني لأبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، مطبوع مع الدارقطني.
- * تفسير أبي السعود محمد بن محمد العماري المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي . بيروت - لبنان.
- * تفسير أبي المغفر السمعاني . توزيع دار البخاري . بريدة . المدينة المنورة.
- * تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر.
- * تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير الدمشقي . تقديم : يوسف المرعشلي، دار المعرفة.
- * تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن هشام الصنعاني . تحقيق د. مصطفى مسلم محمد. مكتبة الرشد، الرياض.
- * التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) للإمام الرازي، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ الأولى.
- * تفسير النسائي لأحمد بن شعيب بن علي النسائي . تحقيق سعيد الحليمي . وصيري. مكتبة السنة.
- * تفسير النسفي لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي . عيسى البابي الحلبي.
- * تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر، بعناية محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الثالثة.
- * تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق : شعبان محمد إسماعيل، مكتبة بن تيمية القاهرة.
- * تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر للكواشي، رسالة علمية إعداد الطالب : محمد بن عبد الله العيدي، كلية أصول الدين . جامعة الإمام .
- * التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر. الأولى.
- * تهذيب اللغة للإمام الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، دار القومية العربية للطباعة.
- * تهذيب تاريخ الخلفاء للسيوطي، تهذيب وتحقيق وتعليق / نايف العباس، دار الألباب.
- * التوحيد لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز إبراهيم الشوان، دار الرشيد بالرياض ١٤٠٨هـ الأولى.
- * تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، مركز ابن صالح بعنيزة ١٤٠٧هـ.
- * التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.

- * جامع الأصول في أحاديث الرسول (مع التتمة) للإمام ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، والتتمة بتحقيق بشير محمد عيون، طبعة دار الفكر.
- * جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٤٠٥هـ دار الفكر.
- * الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام السيوطي، دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠هـ.
- * الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي . دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.
- * الجدول في إعراب القرآن وصرفه، تأليف محمود صافي . مطبعة دار الرشيد . دمشق . بيروت.
- * الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم الموسوم بمشارك الأنوار النبوية على صحاح الأخبار المصطفوية لأبي الفضائل الصاغاني، تعليق أشرف عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية ، الأولى ١٤٠٩هـ.
- * جوهرة اللغة لابن دربرد تحقيق رمزي منير البعلبكي، دار العلم، الأولى ١٩٨٧م.
- * جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الخاشي.
- * الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- * حاشية الدسوقي على الشرح الكبير . تأليف محمد عرفة الدسوقي ، دار الفكر.
- * حاشية الشهاب . المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي . دار صادر.
- * حاشية يحيى محي الدين شيخ زاد على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، محمد ازمير ديار، بكر تركيا.
- * الحاكم الجششمس ومنهجه في التفسير لعدنان زررور.
- * حجة القراءات لأبي رزعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة . مؤسسة الرسالة.
- * الحجة للقرآن السبعة لأبي علي الفارسي، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاني، الأولى، دار المأمون للتراث.
- * حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . دار الكتاب . بيروت . لبنان.
- * الحماسة البصرية لأبي الفرج البصري تحقيق مختار الدين أحمد، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد.
- * الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل ١٤٠٨هـ.
- * خزنة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، شرح عصام شعيثوا دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧م الأولى.
- * خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، دار صادر بيروت.
- * الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي.
- * خلاصة في أصول الحديث للطبي، تحقيق صبحي السامرائي.

- ✽ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل محمد إسماعيل البخاري . مؤسسة الرسالة.
- ✽ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لابن السمين الحلبي، تحقيق أحمدى محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الأولى.
- ✽ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١١هـ.
- ✽ درء تعارض العقل مع النقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ✽ درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصر.
- ✽ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مطابع الرسالة.
- ✽ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للإمام البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلنجي، دار الكتب ١٤٠٥هـ.
- ✽ ديوان أبي الأسود الدؤلي تحقيق محمد حسين آل ياسين، الأولى ١٩٧٤م.
- ✽ ديوان أبي النجم العجلي.
- ✽ ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، الثالثة دار المعارف.
- ✽ ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطلي.
- ✽ ديوان أوس بن حجر، شرح وتحقيق محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة ١٤٠٦هـ.
- ✽ ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، السابعة ١٤٠٣هـ.
- ✽ ديوان الأفواه الأودي (ضمن الطوائف الأدبية تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية)
- ✽ ديوان الخنساء شرح ثعلب، تحقيق أنور أبو سويلم، دار عمار للنشر والتوزيع.
- ✽ ديوان الطرماح تحقيق عزت حسن، مطبوعات وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٨هـ.
- ✽ ديوان العجاج بشرح الأصمعي، تحقيق عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس دمشق ١٩٧١م.
- ✽ ديوان الفرزدق، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ.
- ✽ ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة ١٩٦٠م.
- ✽ ديوان المتنبي بشرح العبكري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين مكتبة البابي الحلبي ١٣٩١هـ.
- ✽ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الثانية، ١٩٨٥م.
- ✽ ديوان النمر بن تولب (ما نسب له ولغيره).
- ✽ ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الرابعة ١٩٨٤م.
- ✽ ديوان جميل بثينة، تحقيق أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، الأولى، ودار صادر ١٤١٢هـ.

- * ديوان حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ.
- * ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية ١٩٥١هـ.
- * ديوان دريد بن الصمة، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف.
- * ديوان ذي الرمة تحقيق عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان الثانية ١٤٠٢هـ.
- * ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق حسين نصار، مصر ١٣٧٧هـ.
- * ديوان عدي بن الرقاع العاملي تحقيق احسان عباس، نشر وزارة الاعلام الكويتية ١٩٨٤م.
- * ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي، جمع مطاوع الطرايشين مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤٠٥هـ.
- * ديوان لبيد بن ربيعة العاملي، تحقيق إحسان عباس، نشر وزارة الإعلام الكويتية ١٩٨٤م.
- * رصف المباني لأحمد بن عبد النور المالكي، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، الثالثة.
- * روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للألوسي، دار الفكر.
- * الروض الريان في أسئلة القرآن لشرف الدين بن الحسين بن سليمان بن ريان، تحقيق عبد الحليم بن محمد.
- * روضة الطالبين للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي، طبع المكتب الإسلامي.
- * روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن قدامة المقدسي، ومعها : نزعة الخاطر العاطر لابن يدران، دار المعارف بالرياض، الطبعة الثانية.
- * زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله، وخرج أحاديثه السعيد بسيوني زغلول، دار الفكر ١٤٠٧هـ.
- * زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق الأرناؤطي، مؤسسة الرسالة.
- * السبعة في القراءات لابن مجاهد بتحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف.
- * سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للأمير الصنعاني، بتحقيق : فواز أحمد زمرلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربي الطبعة الثانية.
- * سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ومكتبة المعارف بالرياض.
- * سمط اللآلي في شرح آمال القسالي لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الثانية.
- * السنة للإمام أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الأولى ١٤٠٠هـ.

- ✽ سنن أبي داود ومعه : معالم السنن للإمام الخطابي، إداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس وعادس السيد، دار الحديث، حمص، سوريا.
- ✽ سنن ابن ماجه، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار البيان للتراث.
- ✽ سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الثانية ١٣٩٨هـ.
- ✽ سنن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم البدني، دار الخاسن للطباعة، ١٣٨٦هـ.
- ✽ سنن الدارمي، تحقيق فواز زمري وخاله السبع، دار الكتاب العربي، الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ✽ السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر.
- ✽ سنن النسائي، بشرح الحافظ السيوطي، طبع دار البشائر الإسلامية.
- ✽ سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة.
- ✽ السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا ورفيقه، مؤسسة علوم القرآن.
- ✽ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، إداد أحمد إبراهيم محمد، دار الكتب العلمية، الأولى.
- ✽ شرح أبيات سيويه لابن السيراقي، تحقيق محمد علي سلطاني، دار المأمون، دمشق ١٩٧٩م.
- ✽ شرح أشعار المهذلين لأبي سعيد السكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار العروبة القاهرة ١٣٨٤هـ.
- ✽ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث القاهرة.
- ✽ شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة، الأولى ١٩٦٥م.
- ✽ شرح التصريح على التوضيح، خالد عبد الله الزهري، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- ✽ شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط نشر المكتب الإسلامي.
- ✽ شرح العقيدة لابن أبي العز، تحقيق عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ. (الطبعة الأولى)
- ✽ شرح العقيدة الواسطية للدكتور : صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض.
- ✽ شرح المفصل في صنعة الإعراب (التخمير) لصدر الأفاضل الخوارزمي. تحقيق : عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ✽ شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
- ✽ شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ✽ شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة الأنوار المحمدية.

- ✳ شرح مقامات الحريري، لزين الدين أبي بكر الرازي، رسالة علمية من إعداد أحمد سعيد قشاش، كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة.
- ✳ شعر ابن ميادة، تحقيق حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤٠٢هـ.
- ✳ شعر الأخطل أبي مالك الثعلبي النصراني، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الأمانة الجديدة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، مع شرحه لإيليا سليم.
- ✳ الشعر والشعراء، (طبقات الشعراء) لابن قتيبة الدينوري. تحقيق : مفيد قميحة ونعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
- ✳ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧م.
- ✳ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة.
- ✳ صحيح مسلم بشرح النووي، دار القلم، الأولى ١٤٠٧هـ.
- ✳ ضعيف سنن أبي داود للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ✳ ضعيف سنن ابن ماجه للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ✳ ضعيف سنن الترمذي للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ✳ ضعيف سنن النسائي للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ✳ طبقات الشافعية لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد ١٣٩١هـ.
- ✳ طبقات الشافعية للسبكي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ✳ طبقات اللغويين والنحويين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف الثالثة ١٩٨٤م.
- ✳ طبقات المفسرين للداودي، دار الكتب العلمية.
- ✳ طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، شرحه / محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة.
- ✳ العرش وما روي فيه للحافظ ابن أبي شيبه العبسي، تحقيق : محمود بن حمد الحمود، الطبعة الأولى، مكتبة المعلاء، الكويت.

- * العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني، تحقيق رضاء الله بن محمد المبارك فوري، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- * العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الثالثة، ودار الكتاب العربي ١٤٠٣هـ.
- * علل الحديث للإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، دار المعرفة، الثانية ١٤٠٥هـ.
- * العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، الأولى ١٣٩٩هـ.
- * عمل اليوم والليلة للنسائي، تحقيق د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الثانية/ ١٤٠٦هـ.
- * عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب.
- * عيون المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني للسجاوندي، رسالة علمية مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (أول الكتاب فقط).
- * غرائب البيان وورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطية عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- * غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغزياني، مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ.
- * غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتاب العربي، مصور عن دائرة المعارف العثمانية.
- * غريب الحديث لابن قتيبة، تحقيق عبد الله الجبوري، طبع وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة البعاني، بغداد، الأولى ١٩٧٧هـ.
- * الفائق في غريب الحديث لجمار الله الزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثانية.
- * فتح الباري بشرح صحيح البخاري بخدمة محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، وابنه قص، دار التراث، الأولى ١٤٠٧هـ.
- * فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان، مطبعة العاصمة، القاهرة.
- * الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني لأحمد عبد الرحمن البناء، الشهير بالساعاتي.
- * الفتح السماوي بترجيح أحاديث القاضي البيضاوي لزين الدين عبد الرؤف المناوي، بتحقيق أحمد مجتبى بن نذير، دار العاصمة الرياض.
- * فتح العزيز شرح الوجيز وهو الشرح الكبير للإمام الرافعي، مطبوع بذييل المجموع للإمام النووي، طبع دار الفكر.

- ✳ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، دار إحياء التراث.
- ✳ الفتوحات الإلهية لابن عمر الشافعي، الشهير بالجميل، دار التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ✳ الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الرابعة، نشر قصي محب الدين الخطيب.
- ✳ فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي، منشورات مكتبة الحياة.
- ✳ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي بتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر دار إحياء السنة ١٣٩٥هـ.
- ✳ الفوائد البهية في تراجم الحنفية لعبد الحي اللكنوي، دار المعرفة.
- ✳ القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة.
- ✳ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح القاضي، مطبوع بذييل البدور الزاهرة له، نشر دار الكتاب العربي، الأولى.
- ✳ الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن جبر العسقلاني، مطبوع بذييل الكشاف، طبع دار المعرفة.
- ✳ الكامل في التاريخ لابن الأثير (المؤرخ) دار الكتب العلمية.
- ✳ الكامل في اللغة والأدب للمبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى ١٤٠٦هـ.
- ✳ الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني . دار الفكر.
- ✳ كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف ليحي بن حمزة العلوي اليميني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ✳ الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان (سبويه) تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب الثالثة.
- ✳ الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، دار المعرفة.
- ✳ كشف الأسرار على أصول البرذوي للبخاري ومعه أصول البرذوي، نشر الصدف بيلشرز، كراتشي باكستان.
- ✳ كشف الأستار على زوائد البزار على الكتب الستة للإمام الهيثمي، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.
- ✳ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- ✳ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى بغداد.

- ✽ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الرابعة.
- ✽ الكنى والأسماء للدولابي، الطبعة الهندية، مصورة عن الطبعة الأولى.
- ✽ لباب التفسير للكرماني، رسالة علمية إعداد : ناصر العمر، مقدمة لجامعة الإمام، (المطبوع صدر الكتاب فقط).
- ✽ لسان العرب لابن منظور، دار صادر.
- ✽ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني الحنبلي، مطبعة المدني.
- ✽ المؤلف والمختلف للآمدي، دار الكتب العلمية، الثانية ١٤٠٢ هـ.
- ✽ المبسوط في القراءات العشر لابن مهران، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ✽ المبسوط لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة.
- ✽ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (الأديب) تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طبع نهضة مصر ، الأولى.
- ✽ مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ✽ انجروحين لابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زائد، دار الوعي بحلب، الأولى ١٣٩٦ هـ.
- ✽ مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة.
- ✽ مجمع البحرين في زوائد المعجمين للحافظ الهيثمي، تحقيق عبد القدوس بن محمد نذير، مكتبة الرشد، الأولى.
- ✽ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، الثالثة ١٤٠٩ هـ.
- ✽ مجمع اللغة لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الثانية.
- ✽ المجموع شرح المذهب، للإمام أبي زكريا النووي، دار الفكر.
- ✽ محاسن التأويل لـ محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر ١٣٩٨ هـ الثانية.
- ✽ المختص في تبين وجوه شواذ القراءات لابن جني، تحقيق علي النجدي ورقيقه، لجنة إحياء التراث.
- ✽ انحرار الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي.
- ✽ الخلى لابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. الطباعة المنيرية.
- ✽ مختارات ابن الشجري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ✽ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، لـ محمد بن المولى، دار الندوة الجديدة .
- ✽ مختصر العلو لـ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠١ هـ الأولى.

- ✳ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . المطبعة الرحمانية بمصر، بجمعية المستشرقين الألمانية.
- ✳ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، تحقيق محمد حامد فقهي. دار الكتاب العربي.
- ✳ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع وتحقيق : عبد الإله الأحمدى، دار طيبة، الأولى ١٤١٢هـ.
- ✳ المستدرک على الصحيحين للحاكم وبذيله التلخيص للذهبي طبع المعرفة بإشراف يوسف المرعشلي، والطبعة الأولى بتحقيق مصطفى عطاء دار الكتب العلمية.
- ✳ مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، الأولى.
- ✳ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، قرطبة.
- ✳ مشاهد الإنصاف على شواهد الكشف محمد بن عليان المرزوقي، مطبوع بذييل الكشف.
- ✳ مشكل أعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي بتحقيق ياسين محمد السواس . دار المأمون للتراث.
- ✳ مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق يوسف المرعشلي، ورفيقه، دار المعرفة ، الأولى ١٤٠٧هـ.
- ✳ المصاحف للحافظ أبي بكر بن أبي داود، طبع المطبعة الرحمانية بمصر، الأولى.
- ✳ المصباح في المعاني والبديع لابن الناظم، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، طبع ونشر مكتبة الآداب.
- ✳ المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، دار الفكر، الأولى.
- ✳ المصنف للصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع المجلس العلمي الثاني.
- ✳ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مكتبة الباز.
- ✳ معالم التنزيل (تفسير البغوي) للإمام محي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر ^{عبد}، دار طيبة ١٤٠٧هـ.
- ✳ معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي (مطبوع بذييل سنن أبي داود) دار الحديث حمص، سورية.
- ✳ معاني القرآن لأبي زكرياء الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور لبنان.
- ✳ معاني القرآن للأخفش (سعيدة بن مسعدة البلخي) دراسة وتحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب.
- ✳ معاني القرآن وإعرابه للزجاج، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الأولى.

- * معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ١٣٦٧هـ.
- * معتزك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- * معجم البلاغة العربية لبديوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، الثالثة.
- * معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، الأولى.
- * معجم الشعراء للمزرباني، دار الكتب العلمية، الثانية ١٤٠٢هـ.
- * المعجم الفلسفي لجيل صليبا، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٩م.
- * المعجم الكبير للإمام الطبراني، طبع وزارة الأوقاف العراقية من (١-٩) الثانية، ومن ١٠ إلى آخر الكتاب.
- * معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، للمقدم عاتق بن غيث البلادين دار مكة للنشر والتوزيع.
- * المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف لوندك مكتبة بريل بلندن.
- * المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم وغيره.
- * معجم شواهد النحو الشعرية للدكتور حفا جميل حداد. دار العلوم ١٤٠٤هـ.
- * معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، السادسة.
- * معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، الأولى.
- * مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية.
- * مفتحات الأقران في مبهمات القرآن، تأليف السيوطي، بتعليق د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن . دمشق . بيروت.
- * المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- * المفصل في علم اللغة للزمخشري بتحقيق د. محمد عز الدين السعيد، دار إحياء العلوم.
- * المفضليات للمفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد شاهر وعبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٦٤م.
- * مقامات الحريري، عناية محمد قطة العدوي، شركة مصطفى البابي الحلبي.
- * المقتضب لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.
- * مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.
- * المقصد لتلخيص ما في المرشد للأنصاري.
- * المكتفي في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني، بتحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة.

- * منارا هدى في بيان الوقف والإبتدا، تأليف أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأسحوني، مصطفى البابي الحلبي.
- * منع جواز الحجاز في المنزل للتعب والإعجاز ل محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، مطبوع مع الجزء العاشر من تفسير أضواء البيان.
- * المنهاج الواضح للبلاغة، تأليف حامد عوني، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
- * منهج ودراسات لآيات الصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام (رسالة).
- * موسوعة أطراف الحديث النبوي، إعداد أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، عالم التراث، بيروت.
- * الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- * الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، طبع مطبعة السعادة، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.
- * نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، طبع دار المنار، الثالثة.
- * النشر في القراءات العشر لأبي الخير ابن الجزري، دار الفكر.
- * نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي، مطبوعات المجلس العلمي، الثانية ١٣٩٣هـ.
- * النكت والعيون تفسير الماوردي البصري، بتعليق السيد بن عبد المنصور بن عبد الرحيم . دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان.
- * النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق بشير محمد عيون، تحقيق طاهر أحمد الكاوي ومحمود الطناح دار الكتب العلمية.
- * نواسخ القرآن لابن الجوزي، تحقيق محمد أشرف الملباري، من منشورات مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة.
- * نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ل محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- * الهداية في شرح البداية للإمام الميرغاني.
- * الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق محمد بشير عيون، نشر وتوزيع دار البيان، ومكتبة المؤيد.
- * الوسيط بن المقبوض والوسيط للإمام الواحدي، (مطبوع منه البقرة والفاحة رسالة علمية بكلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤٠٥هـ)

فهرس الموضوعات

سورة الحجر

رقم الصفحة

- ١ تفسير قوله تعالى : ﴿ ألمر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ وما فيها من أعاريب وقرآت وما ورد فيها من آثار .
- ٨ ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ وما فيها من تهديد وأيضاحها ببعض الآيات، وما فيها من التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ١١ ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ وما تضمنته من بحث الواو المتوسطة بين الصفة والموصوف في قوله تعالى : ﴿ إلا ولها كتاب معلوم ﴾
- ١٣ تفسير قوله تعالى : ﴿ لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين . ما ننزل الملائكة ... ﴾ الآية، وما فيها من اعاريب والشواهد عليها، والقراءات
- ١٧ ﴿ كذلك نسلكه في قلوب انجرمين . لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ﴾ وأقوال المفسرين فيها، وإعراب، وتعلق معناها بما فيها من الآيات .
- ١٩ ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا ... ﴾
- ٢١ ﴿ وحفظناها من كل شيطان مرج . إلا من استرق السمع ﴾ وما فيها من الإعراب .
- ٢١ ﴿ وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له ﴾ وما فيها من الإعراب
- ٢٣ ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ... ﴾ الآية، ومعنى (لواقح) وما ورد فيها
- ٢٥ ﴿ وإنا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون ﴾ وما ورد فيها
- ٢٦ ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ وسبب نزولها
- ٢٧ ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ ومعنى الصلصال والحمأ
- ٣٠ ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾ وما فيها من الرد على المعتزلة، وما تعتقد به اليمين من أسماء الله وصفاته

- ﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ وما فيها من القراءات ٣٥
- ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ ومعنى الاتقاء ٣٦
- ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا ﴾ وما فيها من الإعراب، وما ورد فيها ٣٧
- ﴿ قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم . قال أبشروني على أن مسني الكبير فيمبشرون ﴾ وما فيها من القراءات ٣٨
- ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ وإعرابها والقراءات فيها ٤٠
- ﴿ إلا امرأته قدرته من الغابرين ﴾ وما فيها من الإعراب ٤١
- ﴿ وامضوا حيث تؤمرون ﴾ وما فيها من الإعراب ٤٦
- ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ ومعناها وما ورد فيها ٤٨
- ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ ومعناها وما ورد فيها ٥١
- ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ ومعنى (عضين) وإعرابها ٥٥
- ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ ومعنى الصدع وما فيها من التسليّة للرسول صلى الله عليه وسلم ٥٨
- ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ وما ورد في ذلك، وأن عبادة الله هي كل شيء ٦١

سورة النحل

رقم الصفحة

- ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وبيان سبب نزولها، ومعنى الإتيان، والآيات المفسرة لها ٦٤
- ﴿ خلق الله السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ والقراءات فيها ٦٧
- ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ وبيان المراد بالروح وما فيها من قراءات ٦٨
- ﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ والآيات المفسرة لها ٧٠

- ٧١ ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وبيان المراد
بالنعم
- ٧٥ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
والخلاف في أكل لحوم الخيل، وما ورد في ذلك
- ٨٠ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَانِرٌ﴾ وبيان المراد من (السبيل) والرد
على الجبرية
- ٨٢ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ
تَسِيمُونَ﴾ وما ورد في ذلك
- ٨٣ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمِ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾
الآية، وما فيها من الإعراب، والقراءات
- ٨٥ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ الآية، وبيان معنى
(طرياً) واستنباط مالك من هذه الآية حجر الزوج على مال زوجته بمقدار الثلث
- ٨٦ ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ والمراد بالنجم وما فيها من قراءات
- ٨٩ ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ وبيان تلك النعم
- ٩٠ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ﴾ وبيان ما فيها من التفسير
- ٩٤ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبِّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وما فيها من
الإعراب
- ٩٦ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ
عِلْمٍ﴾ الآية، وما فيها من التفاسير وما ورد في ذلك
- ٩٨ ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيَآنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الآية وما فيها
من بلاغة
- ١٠٠ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ﴾
وما فيها من القراءات
- ١٠٢ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ وما فيها من الإعراب
- ١٠٥ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ الآية والآيات
الموضحة لها
- ١٠٨ ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ الآية، وما فيها من
قراءات وإعراب

- ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ﴾ وبيان الرد على المعتزلة في وجوب الأصلح على الله. ١١٠
- ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ضلاله عن اليمين والشمائل ﴾ الآية، والقراءات فيها، وما فيها من إعراب. ١١٦
- ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد ﴾ الآية وتفسير ﴿ إلهين اثنين ﴾ ١٢٠
- ﴿ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾ وما فيها من تفسير ١٢٣
- ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم ﴾ الآية، وما فيها من الإعراب. ١٢٥
- ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً ﴾ الآية، وما فيها من قراءات، وتفسير لكيفية خروج اللبن. ١٣١
- ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرأ ورزقأ حسناً ﴾ وما فيها من بحث المسكرات، والخلاف في ذلك. ١٣٣
- ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ وكيفية ذلك الإلهام، وكيفية صنع العسل، وما ورد في العسل. ١٣٦
- ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ الآية وما ورد في ذلك. ١٤١
- ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ وبيان معنى الحفدة ١٤٢
- ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ﴾ الآية وبيان الخلاف في العبد هل يملك أولاً؟ وما ورد في ذلك؟ ١٤٦
- ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ وبيان القراءات فيها وامتنان الله على عباده بالعلم والمعرفة وسائر النعم ١٤٩
- ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ﴾ الآية، وبيان معنى البيت وما ورد في ذلك، وما في ذلك من إنعام الله على عباده ١٥١
- ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾ الآية وأن كل من دعى ممن دون الله شريكاً ١٥٤
- ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم ﴾ الآية وما ورد في ذلك من الحث على الاتباع ١٥٦
- ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ وبيان العدل عند أهل السنة والمعتزلة، والتحذير من الإفراط والتفريط في أمور الدين، وبيان سبب نزول هذه الآية. ١٥٦

- ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ وما ورد
منه والآيات التي تحت على الرفاء بالعهد.
- ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم ﴾ الآية
وما فيها القراءات
- ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وما ورد فيها
- ﴿ ولقد نعلم إنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي
وهذا لسان عربي مبين ﴾ الآية وبيان معنى الإلحاد
- ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ﴾
وبيان الرد على المعتزلة فيها
- ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ وما
فيها من الإعراب، وما ورد في ذلك من تفسير
- ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ الآية، والمقصود بالنفس الأولى
والثانية
- ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ﴾ الآية، وبيان معنى ضرب
المثل وما في ذلك من بلاغة
- ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾ وما فيها
من الإعراب والبلاغة
- ﴿ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم
القيامة ﴾ الآية وبيان معنى الحكم وما ورد في ذلك
- ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ الآية، وما فيها من مشكلة

سورة الإسراء

- ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ﴾ الآية وبيان معنى
التسبيح وأنه أسرى ليلاً يقظة لا مناماً، وأنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعين
رأسه على الصحيح وما ورد في ذلك وقصته صلى الله عليه وسلم مع غير
قريش
- ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ وبيان إعرابها
- ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ﴾ الآية وبيان القراءات فيها
- ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ الآية وبيان القراءات، ومذهب
المعتزلة أن الفسق منزلة بين المنزلتين ... الخ والرد عليهم وما ورد

- ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ الآية وبيان معنى الطائر، وما ورد
في ذلك ٢٢٢
- ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ الآية وبيان
الرد على المعتزلة والأشاعرة في أن أول واجب على المكلف النظر ٢٢٤
- ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴾ الآية وبيان معنى ﴿ أمرنا ﴾ ٢٢٦
- ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ الآية وبيان
معنى الإرادة وما ورد في ذلك ٢٢٩
- ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولا الآخرة أكبر درجات وأكبر
تفضيلاً ﴾ وبيان ما فعله عمر بن الخطاب مع أبي سفيان وسهيل بن عمرو ٢٣٢
- ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ الآية وبيان
القرآآت، وبيان معنى التأفيف، والحث على برور الوالدين، وما ورد في ذلك ٢٣٤
- ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴾ الآية
وبيان أحكام الإنفاق على الأقرباء وغيرهم، والنهي عن التبذير والتقتير ٢٤٤
- ﴿ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾
وما فيها من الآداب والإعراب ٢٤٧
- ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ الآية وبيان
آداب الإنفاق والتوجيه في ذلك وما ورد في ذلك ٢٤٨
- ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ الآية وبيان
القرآآت فيها وما ورد في الوعيد من قتل النفس بغير حق ٢٥٣
- ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ الآية وبيان معنى ﴿ تقف ﴾ والتشديد
في اتباع الهوى ٢٥٤
- ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾
الآية والقرآآت فيها والنهي عن التكبر في الأرض ٢٦٠
- ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى ﴾ الآية وإعرابها
وبيان معنى (مسحوراً) ٢٦٩
- ﴿ وقل لعبادي يقول التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ الآية
وبيان آداب الإسلام وسلوكه وتربيته وما استطرده الطيبي من أمر المنصور
والهذلي وطلب إنجاز الوعد. ٢٧٤

- ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ﴾ الآية وبيان إعرابها، وسبب نزولها، وأن العبادة لا تصرف إلا لله وحده. ٢٧٨
- ﴿ وما جعلنا الرؤي التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ الآية وما ورد في قصة بدر، وما ورد في ذلك، وأن الأسباب لا تأثير لها ٢٨٢
- ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾ وبيان قصة إبليس وآدم وما جرى في ذلك من العدوأة لذرية آدم ٢٨٨
- ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ﴾ الآية وبيان مذهب المعتزلة والرد عليهم في تفضيل الملائكة على الآدميين، وتفصيل ذلك ٢٩٥
- ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليفتنزك عن الذي أوحينا إليك لتفزي علينا غيره ﴾ الآية وبيان سبب نزولها وما ورد في ذلك، وبيان مذهب المعتزلة والرد عليهم ٣٠٤
- ﴿ وأقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ وبيان أوقات الصلاة، ومذاهب العلماء في القراءة في صلاة الفجر وبيان المقام المحمود. ٣١٠
- ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ الآية وما ورد في القرآن وقراءته والعمل به إعجازه، وأنه كلام الله ليس بمخلوق، ولا مدلول كلامه ٣١٥
- ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ الآية، وبيان القراءات فيها، ومعنى (نأى) وما ورد فيها ٣٢١
- ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ الآية، وبيان معنى الروح وما ورد في ذلك ٣٢٢
- ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلى أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ﴾ وبيان القول بالموجب فيها ٣٢٧
- ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فساءل بني إسرائيل إذ جاءهم ﴾ الآية وبيان الآيات التسع والخلاف في تحديدها، وما ورد في ذلك ٣٣٣
- ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ الآية، وبيان سبب نزولها، وما ورد في ذلك ٣٤٠
- ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ الآية وبيان تعالى الله عن الولد، والله الموفق والحمد لله رب العالمين

سورة الكهف

- ٣٤٥ ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾ وبيان
تفسيرها والتفريق فيها بين عبد الله وعبد الدرهم وما ورد في ذلك، وبيان معنى
(عوجاً. قيماً)
- ٣٤٩ ﴿ وينذ الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ ولانكبة في التصريح بالمنذر فيها
- ٣٥٢ ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ وبيات تلك الكلمة وإعرابها
- ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾ الآية وبيان معنى (باخع)
- ٣٥٤ ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾ الآية وما فيها من التسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
- ٣٥٦ ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ وبيان
معنى (أم) فيها وبيان معنى (الوصيد)
- ٣٥٨ ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ﴾ وإعراب (عدداً) وما ورد
في ذلك
- ٣٦٣ ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم ﴾ الآية، وبيان معنى
(شططا) وبيان عدم جواز التقليد في دين الله
- ٣٦٥ ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تراور عن كهفهم ذات اليمين ﴾ الآية وبيان
معنى (تراور)
- ٣٦٨ ﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ الآية،
وبيان القراءات فيها
- ٣٧٠ ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ﴾ الآية وبيان البعث، وما ورد
فيه وما فيها من القراءات
- ٣٧٣ ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً
بالغيب ﴾ وبيان معنى (رجماً بالغيب)
- ٣٧٥ ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ وبحث واو (وثامنهم)
- ٣٨٣ ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً أن يشاء الله ﴾ والرد على المعتزلة
في المشيئة، والامتناء المتصل والمنفصل عند الفقهاء
- ٣٨٦ ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ الآية ، وبيان معنى النسيان
- ٣٨٨ ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ وبيان التقرآت وما
فيها من إعراب

- ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ الآية، وما فيها
من قراءات ٣٩٢
- ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ الآية وبيان مذهب المعتزلة والرد
عليهم. ٣٩٤
- ﴿ إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقهم ﴾ وبيان معنى السرادق، وما
ورد في ذلك ٣٧٩
- ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ﴾ الآية وبيان
الرجلين ٣٩٩
- ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً ﴾ وبيان إعراب ﴿ كلتا ﴾
والشواهد على ذلك ٤٠٠
- ﴿ ولنن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ والقراءات فيها ٤٠٣
- ﴿ لكننا هو الله ربي ﴾ وما فيها من قراءات وتصريف ٤٠٤
- ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ﴾ الآية وما فيها من أعراب
وتفسير (الزلق) وما ذكر فيها من الشواهد ٤٠٦
- ﴿ هنالك الرلاية لله الخ ﴾ الآية والقراءات فيها، وأن القراءة سنة متبعة ٤٠٨
- ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾ وتفسيرها
بالقرآن ٤١٢
- ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً ﴾ وخير أملاً ﴾ وما ورد فيها
من قراءة، وبيان معنى الحشر ٤١٥
- ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ والبحث في أطفال الكفار وما ورد في ذلك ٤١٨
- ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً ﴾ (لن) فيها وإيضاح
الآيات بالقرآن ٤٢٥
- ﴿ وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾
وما ورد في قول فتاي وفتاتي، ونبذه من قصة الخضر وموسى عليهما السلام ٤٢٨
- ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ وما فيها من
قراءات وإعراب، وأن تعليم موسى من الخضر لا ينافي نبوة موسى ٤٣٥
- ﴿ فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ وما فيها
من قراءات ٤٤٠
- ﴿ قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس ﴾ الآية وما فيها من قراءات وبيان
معنى (نكرا) ٤٤٢

- ٤٤٤ ﴿فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه﴾ وبيان معنى الإرادة فيها والشواهد على ذلك
- ٤٥٢ ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾ الآية
- ﴿فله جزاء الحسنى﴾ والقراءات فيها وإعرابها
- ٤٥٦ ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونها سترًا﴾ وموضع هؤلاء القوم
- ٤٥٨ ﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ والقراءات فيها

سورة مريم

- ٤٦٩ ﴿كهيعص﴾ ذكر رحمة ربك ﴿الآية وبيان القراءات فيها، وإعرابها
- ٤٧٢ ﴿إني وهن العظم مني﴾ الآية، وبيان معنى الوهن والقراءات فيها، وبلاغتها
- ٤٧٦ ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ الآية، وبيان إعرابها، والمراد بالأثر وما ورد في ذلك
- ٤٨٣ ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ وبيان معنى العتى، والقراءات فيها
- ٤٨٧ ﴿فخرج على قومه من الخراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا﴾ وبيان معنى الوحي
- ٤٨٨ ﴿وآتيناه الحكم صبياناً وحناناً من لدنا وركاءة﴾ وبيان معنى الحنان، والحكم، وشواهد ذلك والرد على من أول الصفات
- ٤٩٣ ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ وبيان القراءات فيها
- ٤٩٤ ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً﴾ وبيان تفسيرها وحل إشكال تكرير لفظة (لم) وبيان الأسلوب الحكيم فيها
- ٤٩٨ ﴿وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ وما ورد في مس الشيطان لكل مولود إلا مريم وابنها
- ٥٠١ ﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ وبيان القراءات فيها، ومعنى (نسياً)
- ٥٠٥ ﴿وهزي إليك الجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾ والقراءات فيها، وإعرابها

- ﴿ فَأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ﴾ وبيان ما ورد
فيها من الإعراب ٥١١
- ﴿ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ وبيان ما فيها من
القرآت ٥١٤
- ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وما
ورد في ذلك ٥١٨
- ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾ وبيان معنى الصدق
والدليل على ذلك ٥١٩
- ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً ﴾ وبيان الخلاف في
خطاب الكفار بفروع الشريعة والدليل على ذلك ٥٢٨
- ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ﴾ وبيان
القرآت فيها والخلاف في اشتقاق النبي ٥٣٣
- ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً ﴾ وما
ورد في ذلك ٥٣٦
- ﴿ أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ وبيان مذهب
المعتزلة في أن المعلوم له ذات ٥٥٠
- ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ وما ورد فيها ٥٥٨
- ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ الآية، وما
فيها من أوجه الإعراب، ومعنى (نديا) والأدلة على ذلك ٥٦٢
- ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً ﴾ وبيان أوجه
الإعراب ٥٦٤
- ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ﴾ وبيان سبب نزولها
وما ورد في ذلك ٥٧٢
- ﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ وبيان وجوه إعرابها
وما ورد في ذلك ٥٨١
- ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾ وبيان وجوه
إعرابها ٥٨٥
- ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ وما ورد
في ذلك ٥٨٧

سورة طه

- ٥٨٩ ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ وما فيها من قرآآت وبيان معنى
(طه)
- ٥٩٧ ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وتأويل الإستواء والرد على ذلك
- ٥٩٩ ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ وما فسرته به من الآيات
- ٦٠٣ ﴿ إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى ﴾ وما
فسرته به من الآيات وما استشهد به من الشعر
- ٦٠٦ ﴿ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ الآية، والرد على
المعتزلة وغيرهم
- ٦١٢ ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ الآية وبيان تفسيرها وما فسرناها بن من
الآيات
- ٦١٦ ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ وما فيها من الإعراب وما قيل في العصا
من المنافع
- ٦٢١ ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾ وما
استعرضه من قصة (جذيمة الأبرش)
- ٦٢٥ ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى . قال رب اشرح لي صدري ﴾ الآيات، وما
فسر به الإنشراح وما ورد من حديث الجمرة التي سببت عقدة لسان موسى،
وطلبه هارون معه.
- ٦٢٨ ﴿ ولقرمنا عليك مرة أخرى . إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي ﴾ وقصة مريم
والتابوت واليم
- ٦٣٠ ﴿ وألقيت عليك محبة مني ﴾ الآية وما ورد في ذلك
- ٦٤٤ ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى ﴾ والمراد
بالموعد هو الزمان أو المكان وبحث ذلك
- ٦٤٨ ﴿ قال لهم موسى ويلكم لا تقفروا على الله كذابا فيسحقكم بعذاب ﴾
الآية وبيان القرآآت فيها وإلفات نظر السحر بأن موسى ليس بساحر
- ٦٥٠ ﴿ قالوا إن هذان لساحران ﴾ والقرآآت فيها وتوجيهها، والشواهد على
ذلك
- ٦٥٦ ﴿ وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ الآية
والقرآآت فيها

- ٦٥٩ ﴿ فاضرب لهم طريقاً في البحر يساً لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾ وبيان القراءات فيها وبيان معنى (دركا)
- ٦٦٢ ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ الآية وبيان القراءات فيها
- ٦٦٢ ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي ﴾ وبيان مذهب المعتزلة في الإرادة، وتأويل غيرهم لها، وبيان مذهب أهل السنة
- ٦٦٥ ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ وبيان معنى (اهتدى)
- ٦٦٨ ﴿ قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ﴾ الآية وبيان قصة السامري وما ورد في موت الفجأة
- ٦٧٩ ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً ﴾ وبيان ذلك بالآيات الدالة على خبر الأمم الماضية، وعظم هذا القرآن
- ٦٨٢ ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر النجسين يومئذ زرقاً ﴾ والقراءات فيها وما ورد في ذلك
- ٦٨٦ ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ والقراءات فيها وتوجيه تلك القراءات
- ٦٩٤ ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وإنك لا تظمئ فيها ولا تضحى ﴾ وبيان القراءات فيها والإعراب
- ٦٩٦ ﴿ فرسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ وبيان معنى الرسوسة
- ٦٩٩ ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ وما ورد في القرآن من الوعد والوعيد
- ٧٠٤ ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسح ﴾ الآية وما ورد في ذلك من الآيات المرغبة في قيام الليل
- ٧٠٦ ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾ وبيان (الأزواج) وما فيها من الإعراب، وما ورد في ذلك
- ٧١٠ ﴿ قل كل متريص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴾ وما فيه من معنى التاركة، وحسن خاتمة هذه السورة، والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

١	المقدمة
٤	شكر وتقدير
٦	سبب اختيار الموضوع
٨	أهمية الموضوع
١٠	خطة البحث وقسم الدراسة
١٢	قسم الدراسة
١٥	<u>الفصل الأول</u> : ترجمة المؤلف وفيه خمسة مباحث
١٦	المبحث الأول : اسم المؤلف ونسبه ولقبه وكنيته
١٩	المبحث الثاني : نشأته وحياته وصفاته
٢٠	المبحث الثالث : عقيدته، ومذهبه في الفروع
٢٢	المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه
٢٤	المبحث الخامس : آثاره العلمية، ثناء العلماء عليه، وفاته
٢٨	<u>الفصل الثاني</u> : في التعريف بالكتاب وفيه خمسة مباحث
٢٩	المبحث الأول : تحقيق اسم الكتاب ونسبته للمؤلف
٣١	المبحث الثاني : وصف نسخ الكتاب التي اعتمدها
٣٣	المبحث الثالث : منهج المؤلف ومصادره.
٣٥	منهجه في التفسير بالمأثور
٣٦	منهجه في آيات الأحكام
٣٧	المبحث الرابع : مصادر الكتاب وقيمتها
٤٢	المبحث الخامس : مكانة الكتاب وقيمه العلمية
٤٥	<u>الفصل الثالث</u> : في المقارنة بين فتوح الغيب وتفسير السمعاني
٤٦	المبحث الأول : في الكلام عن الزمخشري وكتابه الكشاف
٥٠	المبحث الثاني : عن السمعاني وتفسيره
٥٧	المبحث الثالث : المقارنة بين السمعاني والطبري
٥٩	العقائد وموقف كل منهما
٦٤	الجوانب الخاصة وموقف كل منهما وشمل التفسير بالمأثور
٧٢	القرآآت وموقفهما منها

٧٥	موقفهما من اللغة العربية والاستشهاد بالشعر
٧٩	منهجهما في أسباب النزول
٨٢	الجانب الفقهي واستنباط الأحكام
٨٥	بعض مواضع الاعتزال والرد عليها
٢	سورة الحجر
٦٤	سورة النحل
٢٠٢	سورة الإسراء
٣٤٥	سورة الكهف
٤٦٩	سورة مريم
٥٨٩	سورة طه
٧١١	الخاتمة
	الفهارس
٧١٤	فهرس الآيات
٧٤٠	فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٧٤٧	فهرس القراءات
٧٥٢	فهرس الأبيات الشعرية
٧٥٨	فهرس التعريفات
٧٦٠	فهرس الأعلام
٧٦٥	فهرس المصادر
٧٨١	فهرس الموضوعات
٧٩٤	فهرس المختويات

